

حَضْرَةُ مِصْرَ الْقَائِمَةِ

منذ أقدم العصور حتى نهائية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الأول



تقديم

زكريا حمزة

تأليف

د. الزهراء جبر



وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للآثار

نحو وعي حضاري معاصر
سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب

٤١

حَضْرَةُ مِصْرَ الْقِدِيمَةِ

منذ أقدم العصور حتى نهائية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الأول

تأليف

د. الزهراء محمد علي

تقديم

د. محمد عبد الله

تقديم

يسعدنى أن أقدم للقارئ العزيز الجزء الأول من كتاب «حضارة مصر القديمة» للدكتور رمضان عبده على . وهذا الكتاب يشرح بالتفصيل حضارة مصر حتى نهاية الأسرة ٣١ من العصر الفرعونى.

ويعتبر هذا الكتاب رقم ٤١ فى سلسلة المائة كتاب التى يصدرها المجلس الأعلى للآثار . وكان المجلس قد أصدر كتاباً من جزئين للدكتور رمضان عبده عن «تاريخ مصر القديم» . وقد لاحظنا أن علماء الآثار مقلين بالإنتاج العلمى وتقديم الجديد لذلك فقد وجهنا إلى ضرورة نشر رسائل الدكتوراه والمجستير المميزة . وهناك مشروع آخر للترجمة سوف يثرى المكتبة الأثرية بالعديد من الكتب الأجنبية باللغات المختلفة وسوف يفيد دارسى الآثار.

ويعد كتاب «حضارة مصر القديمة» من الكتب المهمة باعتباره عملاً علمياً جاداً يستطيع القارئ أن يلم من خلاله بكل ما هو جديد فى مجال الحضارة الفرعونية من خلال أحدث الاكتشافات الأثرية التى قد تغير الكثير من المعلومات المتعلقة بالحضارة المصرية القديمة وفضلاً عن ذلك فإن الدكتور رمضان عبده يقدم لنا أحدث المؤلفات والمراجع العلمية فى مجال الحضارة المصرية ومعروف عن الدكتور رمضان عبده دقته المتناهية فى العرض والتحليل واستخلاص النتائج العلمية.

ويسعدنى أن أقدم الجزء الأول من كتاب «حضارة مصر القديمة» الذى سيكون بلا شك إضافة جديدة للآثار والأثريين وطلاب الجامعات المهتمين بالدراسات المصرية القديمة . وأرجو أن يستكمل المؤلف باقى الأجزاء لتلبية حاجة المكتبة المصرية الأثرية .

كما يسعدنى أن أشكر فريق العاملين بمطبعة المجلس الأعلى للآثار بقيادة آمال صفوت على الإخراج الرائع لهذا الكتاب...

والله الموفق

د. زاهى حواس

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد النور وآله

فى البدائة لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر العميق إلى السيد الأستاذ الدكتور / زاهى حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار على موافقته السريعة على طبع هذا الكتاب ضمن سلسلة مطبوعات المجلس الأعلى للآثار .

وقد سبق للمجلس الأعلى للآثار مشكوراً تحت تسميته القديمة (هيئة الآثار المصرية) أن قام بطبع مؤلفى عن «تاريخ مصر القديمة» فى جزئين ، فى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، مشروع المائة كتاب - الأول فى العدد ١٦ وظهر عام ١٩٨٨ والثانى فى العدد ٢١ وظهر عام ١٩٩٢ .

وفى الواقع أنه عندما عرضت فكرة هذا الكتاب على أ.د/ زاهى حواس ، تحمس لها كثيراً كما هى عادته دائماً فهو يعرف جيداً قيمة التأليف العلمى فهو صاحب رصيد كبير وله مؤلفاته العلمية العديدة فى مجال علم المصريات .

وإذا استعرضنا قائمة مطبوعات سلسلة الثقافة الأثرية (مشروع المائة كتاب) وغيرها من مطبوعات المجلس الأعلى للآثار ، نلاحظ خلو هذه السلسلة وغيرها من مؤلف عن مظاهر الحضارة المصرية بوجه عام منذ أقدم عصورها حتى نهاية الأسرات الوطنية ، فهناك مؤلفات معدودة تتناول بعض العناصر من مظاهر الحضارة المصرية القديمة مثل :

الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، لمحات فى تاريخ العمارة المصرية ، بعض المؤلفات المترجمة من الإنجليزية لمؤلفين أجانب عن الديانة المصرية القديمة ، فن الرسم عند قدماء المصريين ، الفن المصرى القديم ، العمارة المصرية القديمة ، المسلات المصرية ، مصر القديمة «دراسة طبوغرافية» وغيرها .

لهذا السبب تحمس أ.د/ زاهى حواس لنشر هذا المؤلف بأجزائه الثلاثة .

كما لايفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى السيدة الفاضلة / آمال صفوت الألفى مدير عام مطبعة المجلس الأعلى للآثار وفريق العمل معها ، مثال النشاط والخبرة الطويلة والرؤية الثاقبة ، والتي بفضلها تخرج كل مطبوعات المجلس الأعلى للآثار فى أكمل صورة .
فلها منا عظيم الشكر ، والامتنان .

الجزء الأول

- مقدمة – تمهيد – البيئة والإنسان المصري القديم – نشأة الحضارة المصرية القديمة –**
- عوامل تطور وازدهار الحضارة – نظم الحكم والإدارة – مظاهر الحياة الاجتماعية –**
- مظاهر الحياة الاقتصادية**

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين .

يعد تاريخ مصر القديم من أعظم وأجل تواريخ الأمم والشعوب القديمة
وارفعها في تاريخ الإنسانية مكانا ، وأن الحضارة المصرية القديمة من أرقى
حضارات الشعوب القديمة وأكثرها تأثيرا في التراث الإنساني القديم .

وبعد أن انتهينا من استعراض أهم الأحداث السياسية في كل عصر من
عصور تاريخ مصر القديم في كتابنا عن " تاريخ مصر القديم " في طبعته الحديثة^(١)
وما أشرنا فيه عن بعض المظاهر الحضارية التي تميز بها كل عصر ، رأينا أنه لكي
تتكمّل معرفتنا عن مصر القديمة من كل جوانبها أن نكتب كتابا مستقلا عن الحضارة
" حضارة مصر القديمة " نتعرف من خلال صفحاته على أهم مظاهر الحضارة
المصرية القديمة المختلفة وما توصل إليه الإنسان المصري القديم من معارف
وخبرات .

مفهوم كلمة حضارة :

إن كلمة الحضارة كلمة عامة قد تكون غير واضحة للكثير من الناس .
فمثلا يعبر عن لفظ حضارة في اللغة الإنجليزية بكلمة :

Civilization وفي الفرنسية بالكلمة نفسها Civilisation ، وهو لفظ مشتق أساسا
من كلمة Civilis في اللاتينية بمعنى " المدنية " أو Civis بمعنى " ساكن المدينة " .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة
القاهرة ، جزاءن يناير ٢٠٠١ .

أو Civilis بمعنى " مدنى أو ما يتعلق بمساكن المدينة " (١) حيث تقوم الحياة المتحضرة بين سكان المدن ، وذلك لما يتوفر فى المدن من ثروات وخبرات فضلا عما يحققه الإنسان فيها من إنجازات وابتكارات ونتاج فكرى ومادى . (٢) ولهذا يرى بعض الكتاب أن كلمة " مدنية " ما هى إلا ترجمة للفظ Civilization بينما كلمة " حضارة " ترجمة للفظ Culture ، على أساس أن المدنية فى نظر البعض أكثر اتصالا بالمظاهر المادية المتصلة بالحياة العملية ، وهذه بدورها وثيقة الصلة بالعلوم الطبيعية بينما تتطوى الحضارة على مظاهر ثقافية ومعنوية . وإذا رجعنا إلى الاشتقاق اللغوى للفظ Culture فنجد أنه مشتق من " فن حراثة التربة أو الأرض " أى أن الثقافة فن تهذيب العقل بعد أن كان اللفظ يتصل بفن تشذيب الأرض أو الزراعة ، ومن ثم فإن لفظ Culture يعبر عن طريق تفكير الإنسان ومجموعة أنظمتها ونظراته إلى الحياة . (٣) ويرى بعض الكتاب أن اختصاص المدنية بالجوانب المادية والعلمية واختصاص الحضارة بالجوانب الثقافية قد أدى إلى اقتراب لفظ حضارة من لفظ الثقافة إلى حد صعوبة التمييز بينهما . (٤)

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ٣ .

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٩٤ .

(٣) أن الثقافة لترتبط بالزراعة كما ترتبط المدنية بالمدينة ، ويشير بعض المؤلفين هنا إلى الارتباط اللفظى بين الكلمتين فى الإنجليزية وهما : Culture Agriculture وكذلك إلى العلاقة اللفظية بين كلمى Civilization ومعناها " مدنية " وكلمة Civility ، ومعناها " رقة المعاملة " راجع : ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الأول ، نشأة الحضارة ، ترجمة : د. زكى نجيب محمود ، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، ص ٥ .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٤ - ٥ .

وإذا بحثنا في القاموس عن معنى لفظ Civilization فنجده يعنى باللغة العربية : حضارة ، تمدن ، عمران ، تنقيف . ولفظ Culture يعنى : تمدن ، تهذيب ، تنقيف العقل ، تربية ، ثقافة أى أن المعنيين متقاربين .

ويرى بعض المفكرين أن هناك فرقا بين كل مفهوم : المدنية ، الثقافة ، والحضارة .

فالمدينة تعنى : الإبداع ، والارتقاء بالوسائل المادية التى تحقق للإنسان الرخاء فى مجال الصناعة ، والعمران ، والمواصلات ، والزراعة ... الخ - أى أن موضوعها وسائل الإنسان (عالم الأشياء) والإبداع فى مجال الماديات .

وان الثقافة تعنى : الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان ، وحسن تأهيله وتربيته ، واكتسابه مجموعة معارف تساهم بتشكيل شخصيته ، وتكوين نظرتة السوية إلى الكون والحياة ، وتحديد هدفه وتكوين نسيجه العام ، أى أن موضوعها الإنسان نفسه (عالم الأفكار) والإبداع فى مجال المعنويات .

أما الحضارة فتعنى : المدنية والثقافة معا أى الإبداع والارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان .

فإذا اقتصر التقدم العلمى على وسائل الإنسان وأشياءه المادية فقط ، فلا يخرج عن كونه تقدما مدنيا ولا يمكن تسميته حضارة ، وهذا هو الحاصل اليوم فى التقدم العلمى للمدينة الحديثة ، حيث تتقدم أشياء الإنسان على حساب الإنسان ذاته . لأن هذا التقدم أهمل إنسانيته ، وتنمية خصائصه وصفاته ، وتكوين نوقه العام وتطهير وجدانه ، والارتقاء بنظرتة للحياة والأحياء ، إنه أخرج الإنسان بخصائصه وصفاته من دائرة اهتمامه .

(١) عمر عبيد : فى كتاب الأمة : " قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر " ، سلسلة فصلية ، تصدر عن مركز البحوث والمعلومات برنامسة المحاكم الشرعية فى دولة قطر ، ١٩٨٨ ، ص ١٧ .

ويرى البعض الآخر أن كلمة " مدنية " أو " حضارة " تدل على النظام الاجتماعي والتشريعات الخلقية والنشاط العلمي ، أما كلمة " ثقافة " فهي تدل أما على ما يمارسه الناس فعلا من ألوان السلوك وأنواع الفنون ، وإما على مجموع ما لدى الشعب من أنظمة اجتماعية وعادات وفنون .^(١) ويفرق د. حزين بين هذه المفاهيم الثلاثة : فالمدينة هي الشيء المادي المتصل باليد ووسائل التعبير عنها . أما الثقافة فهي الأشياء المعنوية والتابعة من الفكر . والحضارة تشمل العنصرين السابقين معا .^(٢)

وفي رأينا أن الكلمتين تستخدمان للدلالة على مفهوم واحد وهو " حضارة " وأن لفظ حضارة لفظ أعم وأشمل من لفظي " مدنية وثقافة " وأن مفهوم لفظ الحضارة الحديثة والمعاصرة يقصد به مجموعة من المعاني والمفاهيم هي :

" تمدن ، عمران ، تثقيف وثقافة ، وتنهيب وتربية "

ويمكن التعبير عن هذه المعاني والمفاهيم في أربع نقاط :

(١) أن الحضارة هي نتيجة التفاعل بين الإنسان وعناصر البيئة التي يعيش فيها ، ونتيجة التأثير والتأثر المتبادل بين الإنسان والبيئة وما يترتب على ذلك من عوامل استقرار وعمران وتمدن وبناء . أي هي تفاعل بين الإنسان وظروفه البيئية .

(٢) هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته المادية والمعنوية . أو بمعنى آخر فالحضارة هي كل ما يفرزه عقل الإنسان من إنجازات .

(٣) هي انعكاس لما يفكر فيه الإنسان ويشعر به ويتفاعل معه ويتأثر به ويؤمن به ويجعل منه منهجا وسلوكا في حياته . فالحضارة هي تعبير عن إرادة الإنسان التي تحرك الأشياء وتصنع الأحداث .

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : د. زكي نجيب محمود ، المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) د. سليمان حزين : مستقبل الثقافة في مصر العربية ، دار الشروق ، ص ٧ - ١٠ .

(٤) هي المرآة التي تعكس لنا ظواهر حياة المجتمع ونشاط الإنسان فيه من كافة جوانبه الروحية والفكرية والمادية والعملية .

فالحضارة عبارة عن صفة عامة يتصف بها كل مجتمع إنساني وتميزه عن المجتمع الآخر وربطت بين أفراد مجموعة من المصالح المادية المشتركة ، ومجموعة من القيم الروحية وقواعد السلوك . فالإنسان هو مقياس الأشياء جميعا ، أودع الله عز وجل فيه عقل مدبر وقلب مملوء بالمشاعر وإرادة وطاقات هائلة . وعلى ذلك فإن لفظ حضارة لا يقصد به نمط راق أو تقدم في الحياة ، أو أن وصفها مقصور على بعض الشعوب دون الأخرى .

فالمعنى الفعلي للحضارة يبتعد تماما عن التقييم أو المفاضلة أو التمييز بين الشعوب والمجتمعات ، ويستبعد أيضا المعنى المتداول حديثا عند بعض كتاب الغرب والذي يميز بين شعوب متحضرة وشعوب غير متحضرة أو همجية أو متخلفة أو بربرية .^(١) وذلك لأنه لكل شعب نصيبا من الحضارة قل أو كثر ومهما كان من البساطة رصيده المادي والثقافي . فسكان البادية والقبائل الرحل وسكان المناطق المنعزلة والجال لا يمكن أن تنفي عنهم صفة الحضارة فهم يعيشون على نظم وأنماط معينة تلائم حياتهم وظروفهم والتي يمكن أن نطلق عليها نظم حضارية بسيطة .^(٢)

فإذا أردنا الحديث عن حضارة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات فإنه لا ينبغي أن يقتصر حديثنا على أنشطة الإنسان المختلفة داخل هذا المجتمع في مجال نظم الحكم والإدارة ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، والحياة الدينية ، والحياة الثقافية (الكتابة واللغة وفروع الأدب) والحياة العلمية (العلوم) ، والحياة الفنية واساليب التربية ونظم التعليم ، وأخيرا في مجال التأثير والتأثر ولكن لابد من الحديث عن مجموعة القيم والمبادئ والفضائل التي تمسك الإنسان بها واحترمها

(١) د. أحمد صبحي : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) د. محمد ادريس : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٦ .

والترم باتباعها ، وكذلك عما آمن به من عدالة وتسامح تجاه الآخرين ويلخص شفيتسر كل هذه المعانى فى جملة واحدة : " ان الحضارة بصفة عامة هى التقدم الروحى والمادى للأفراد والجمهير على السواء " (١).

فالحضارة هى أيضا محصلة التفاعل بين كل هذه المظاهر والأنظمة ، ونسيج متكامل الخطوط من كل هذه الأفكار والمعانى والقيم ، وسجل لنشاط المجتمع فى كل جوانب الحياة . (٢) وللإنسان الدور الرئيسى فى تحقيق هذا التفاعل وذلك الترابط بين هذه الخطوط المختلفة وهو مصدر هذا النشاط حتى تبدو الحضارة وحدة متكاملة الأطراف . وعليه أيضا أن يحافظ على كل ما حققه ويحافظ على مظاهر حضارته من الاضمحلال ، فحين تضطل حضارة يميل الإنسان بداخلها إلى ما هو سهل وسطحى وخفيف ، ويميل إلى ما يرضى العاطفة ولا يثير الفكر ويحمس النشاط ويلهب الإرادة ، ويفقد قيمه ومبادئه ويبعد عن الديانة ، ولا تصبح ذات تأثير فعال عليه ، ومن هنا يظهر أهمية دور الإنسان الذى يبنى فيرتقى ، أو يهدم فينحدر وينهار معه كل شئ معنوى ومادى .

فالحضارة تعنى كذلك دراسة حياة الإنسان فى ماضيه وحاضره فى مختلف ظواهرها . فالحضارة سابقة على التاريخ بل هى أساس الأحداث التاريخية نفسها .

فالحضارة والتاريخ مرتبطان ببعضهما ببعض : فالحضارة هى الصورة المتكاملة بكل تفاصيلها لحياة هذا الإنسان ، والتاريخ هو الإطار العام الذى يعطى لهذه الصورة قيمتها . فدارس الحضارة يهتم بنشأة الحضارة وتطور مظاهرها وازدهارها . ودارس التاريخ يهتم بأسباب قيام الحضارة ونتائج وآثار مظاهرها فى جوانبها المختلفة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية وعلمية أو فنية .

(١) البرت شفيتسر : فلسفة الحضارة (ترجمة : د. عبد الرحمن بدوى) دار الأنبلس ، ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، افسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧ .

وعلى ذلك فإن هناك صلة وثيقة بين دراسة الحضارة ودراسة التاريخ من حيث الاهتمام بحياة الإنسان في ماضيه .^(١)

والحضارة والتاريخ هما من صنع الإنسان . ولهذا لا ينبغي أن نقلل من شأن الإنسان في كليهما . فكما أن الإنسان وراء كل بناء حضارى فإنه صانع كل أحداث التاريخ والمؤثر الفعال في مجرياته .

وخلاصة القول أن كل هذه المعانى والمفاهيم التى وضعها أهل الفكر فى عصرنا الحالى لمعنى كلمة حضارة ، من تمدن وعمران وثقافة وتربية ، وما تعبر عنه من نشاط مادي وفكرى وروحى للإنسان ، وما تعكسه من صور لحياة الإنسان نجدها تنطبق فى أغلبها على مفهوم الحضارات القديمة بوجه عام والحضارة المصرية القديمة بوجه خاص . ولكن هناك اختلاف فى الصفات بين الحضارات القديمة أو الحضارة الحديثة فيما يأتى :

أولا : من الصعب تحديد بداية تاريخية ثابتة للحضارات بما فيها الحضارة المصرية القديمة ؛ لأن المقومات التى ساعدت على نشأة هذه الحضارات ليست كلها متشابهة أو متجانسة فى كل بلد ، ولكن نجد أن بداية ونشأة الحضارات الحديثة معروفة ومحددة بتواريخ ثابتة .

ثانيا : هناك اختلاف كبير بين مظاهر الحضارات القديمة ومنجزاتها ومظاهر الحضارات الحديثة أو الحضارة الحديثة . فنجد أن الحضارات القديمة

(١) اهتم ابن خلدون (٨٨٨هـ) فى مقدمته بفن التاريخ ، فأشار إلى " أنه فى الظاهر لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدولة القديمة والأمم الماضية ، ولكنه فى الباطن نظر وتحقيق ، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها وهو يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث وكيفية حدوثها " ، راجع : د. عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٣٣ حاشية (٣) .

اهتمت بما هو روحى ومادى . كما كان لكل حضارة قديمة مظاهرها التى تتميز بها عن غيرها .

فالحضارة المصرية القديمة ما هى إلا نتيجة للنشاط الروحى والفكرى والمادى للإنسان المصرى القديم . وبدأت بتأثير الإنسان المصرى القديم وتأثره بعناصر البيئة المحلية التى عاش فيها ، وكيف نجح فى التغلب على الصعوبات التى واجهته فى البداية فى منشأ هذه الحضارة ، وكيف نجح فى وضع أسس العمران والتخطيط العمرانى ، وكيف تطور بعد ذلك بحضارته المحلية فى مجال نظم الحكم والإدارة ومجال المظاهر الاجتماعية والاقتصادية وفى العقيدة والمعتقد ، وفى الحياة الثقافية والعلمية والفنية والتعليمية ، وفى مجال علاقاته بالشعوب الأخرى المجاورة . ونستطيع أن نقول مصر بلد ذات حضارة عريقة ، إشارة إلى جذورها الممتدة فى أعماق التاريخ . وكانت الحضارة المصرية القديمة فى كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية متكاملة ، كما أن الأصول الروحية والمادية التى قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة فى كيان وقلب المجتمع المصرى القديم . فالحضارة هى نتاج أصحاب قلوب حاضرة وعامرة بالإيمان ؛ لأنهم عاشوا فى عصور بعض الرسل والأنبياء الذين وطئت أقدامهم الشريفة أرض مصر وعاشوا فيها فترة وتأثر مجموعة من المصريين بما نادوا به من إيمان وتوحيد . أما بالنسبة لمظاهر الحضارة الحديثة فنجد أنها تهتم بالتقدم العلمى والتكنولوجى وتهتم بالنظم وتطويرها ولا تهتم بما هو روحى وقد ينطبق هذا على مظاهر حضارة الغرب ، أما الحضارة الإسلامية فجمعت بين ما هو روحى وما هو مادى أيضا مثل الحضارة المصرية .

ثالثا : تتسم الحضارات القديمة بصفة محلية وتترابط كل حضارة باسم البلد الذى نشأت وتطورت وازدهرت فيه ، كما أنها ترتبط بشخصية أهل البلاد ودورهم الفعال فى داخل هذه الحضارة مثل الحضارة المصرية القديمة . ولكن الحضارة الحديثة تتسم بصفة واحدة ، هى صفة العالمية ، فيقال مثلا

حضارة الغرب أو عصر النهضة أو عصر الأحياء (القرن السادس عشر)
في أوربا ولا يقال حضارة إنجلترا أو فرنسا أو ألمانيا .

فالحضارة المصرية القديمة تعد من أرقى الحضارات التي ظهرت في تاريخ
الإنسانية ، كما تعتبر الحضارة الرائدة في جميع مظاهرها التي توصل إليها الإنسان
المصري القديم ، فقد نشأت وتطورت وازدهرت عبر آلاف السنين من التاريخ
المكتوب أو المعروف وذلك بفضل مجهودات صانعيها ، ثم توقفت مسيرة هذه
الحضارة منذ أكثر من ألفي عام ولكنها على الرغم من ذلك لا تزال تتبوأ مكان
الصدارة في مجال الأبحاث والتأليف ، فمنذ حوالي مائتي عام ، كرس الكثيرون من
العلماء والمؤرخين والباحثين الأجانب حياتهم العلمية كلها للبحث في مظاهر هذه
الحضارة الرائدة ، حتى ظهر علم خاص بها ، هو علم " الاجيبتولوجى " أى " علم
الدراسات المصرية القديمة " (١).

كما ظهرت آلاف الكتب والمؤلفات والمجلات العلمية والبحوث التي كتبها
متخصصون وغيرهم في أحداث تاريخ مصر القديم ومظاهر الحضارة المصرية (٢).
ولا زالت آثار هذه الحضارة القائمة في جميع أرجاء الوطن والمعروض منها في
متاحف مصر في الداخل والمتاحف غنية في الخارج تجذب أنظار الزوار
المبهورين أمام ضخامة وعظمة ودقة صنع هذه الآثار .

وكما جذب تاريخ مصر القديم ولا يزال أقلام وأفكار العديد من العلماء
الأجانب والمصريين ، فقد جذبت حضارة مصر القديمة الكثير منهم ولا زالت ، وما
أكثر ما كتبه العلماء الأجانب من جميع أنحاء العالم عن حضارة مصر القديمة بجميع

(١) عن نشأة علم المصريات القديمة وتطوره وازدهاره : راجع : د. رمضان
عبد : تاريخ مصر القديم ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٢٤ - ٢٠٧ .

(٢) عن مصادر دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها ، راجع : د. رمضان عبد :
المرجع السابق ، ص ٢٠٨ - ٣١٦ .

اللغات^(١) وهى مؤلفات عديدة ومتنوعة وسوف نذكرها فى سياق حديثنا عن مظاهر الحضارة المصرية ، ولا تزال هذه الحضارة حتى وقتنا هذا تجذب بل وتشد الانتباه حتى لغير المتخصصين فى الحضارة المصرية أو علم الدراسات المصرية القديمة ، وذلك لتطورها فى أكثر من مجال ، ولما تحتويه من معارف متعددة ، ولما تزخر به من عقائد وعبادات وحكم وآداب وسلوكيات وقيم وفضائل ، وعلوم ومعارف متعددة وفنون دقيقة ، ولما تشمله أيضا من أسرار لمعارف لم يكشف النقاب عن حقيقتها حتى الآن .

قلة ما كتب عن حضارة مصر القديمة :

على الرغم من أهمية موضوع الحضارة المصرية القديمة ، إلا أنها لم تلق العناية الكافية من أقلام الباحثين المصريين ، فالقلة منهم كتبت عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة بوجه عام^(٢) ، ومنهم من ألف عن بعض مظاهر هذه الحضارة^(٣) ، ومنهم من ترجم إلى العربية بعض المؤلفات الأجنبية عن الحضارة

(١) من أحدث المراجع الأجنبية عن الحضارة المصرية القديمة والتي اعتمدنا عليها ، هى :

Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, Paris (1959); Pirenne – Mekhitarian, Histoire de la Civilisation de L'Égypte Ancienne, Neuchatel (1962); Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris (1965) .

(٢) من أهم هذه المراجع والتي اعتمدنا عليها فى دراستنا هذه ، هى :
ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - المجلد الأول) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ، وهو مؤلف أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء : الحضارة المصرية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ .

(٣) مثال ذلك : بول غليونجى - زينب الدواخلى : الحضارة الطبية فى مصر ==

المصرية القديمة أو بعض مظاهرها ^(١) وهذا هو ما دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، لعلى بهذا الكتاب عن حضارة مصر القديمة أكون قد أسهمت فى سد

== القديمة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ؛
 د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية
 العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ؛ وليم نظير : السثروة النباتية عند قدماء
 المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠ ؛ د. أنور شكرى : العمارة
 فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ؛
 د. مختار رسمى : فضل الحضارة المصرية على العلوم ، المكتبة الثقافية ،
 العدد ٢٩١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ؛ د. أحمد بدوى -
 د. جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الأول -
 العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ؛ محمد
 سميح : التعدين فى مصر قديما وحديثا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ،
 ١٩٨٥ ؛ د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ،
 سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ؛
 د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، سلسلة
 الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٦ ؛ د. عبد الرحيم
 صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة
 ١٩٨٦ ؛ مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية
 اللبنانية ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٦ ؛ د. سمير يحيى : تاريخ الطب
 والصيدلية المصرية ، العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
 القاهرة ١٩٩٤ ؛ د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب فى
 الفكر المصرى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ .

(١) مثال ذلك : الفريد لوкас : الموارد والصناعات عند قدماء المصريين -
 ترجمة : د. زكى اسكندر - زكريا غنيم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٤٥ ؛
 ارمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة -
 =====

النقص فى المكتبة العربية بعامة . ولعلنى أردت الكتابة فى هذا الموضوع ، لسببين

== ترجمة : د. عبد المنعم أبو بكر - محرم كمال ، القاهرة ، ١٩٥٣ ؛ جون
 ولسون : الحضارة المصرية - ترجمة : د. أحمد فخرى ، مجموعة الألف
 كتاب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ ؛ جيمس برستد : انتصار
 الحضارة - ترجمة : د. أحمد فخرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،
 ١٩٥٥ ؛ بيير مونتييه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة - ترجمة :
 عزيز مرقس ، ومراجعة : عبد الحميد الدواخلى ، الدار المصرية للتأليف
 والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ؛ فلنדרز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر
 القديمة - ترجمة : حسن جوهر - عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية
 العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ؛ سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة -
 ترجمة : د. زينب الكوردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ؛
 د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة - ترجمة :
 شاكرا إبراهيم ، ومراجعة : د. أبو المحاسن عصفور ، الهيئة المصرية العامة
 للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ ؛ فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة : زكى
 سوس) الألف كتاب (الثانى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ن القاهرة ،
 ١٩٨٦ ؛ ج. سبنسر : الموتى وعالمهم فى مصر القديمة ، الألف كتاب (الثانى)
 (ترجمة : أحمد صليحه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ؛ رنل
 كلارك : الرمز والأسطورة فى مصر القديمة (ترجمة : أحمد صليحه) الهيئة
 المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ ؛ وفى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ،
 المجلس الأعلى للآثار ، ظهرت عدة كتب مترجمة منها : ياروسلاف شرني :
 الديانة المصرية القديمة ، ترجمة : د. أحمد قدرى ؛ وليم بيك : فن الرسم عند
 قدماء المصريين ، ترجمة : مختار السويفى ؛ سيريل الدريد : الفن المصرى
 القديم ، ترجمة : د. أحمد زهير ؛ د. اسكندر بدوى : العمارة المصرية القديمة
 (جزء أول) ، ترجمة : د. محمود عبد الرازق - صلاح رمضان ؛ يان أسمان :
 ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة (ترجمة : د. زكية طبوزاده ==

آخرين أولهما : أنه موضوع طريف وشائق ؛ لأنه يتصل بالنظم والمظاهر الحضارية المصرية القديمة التى هى جزء من شخصيتنا وقوميتنا ، وهو تراث غنى بما فيه من نظم ومظاهر حضارية . والقارئ المتقف ما زال فى حاجة إلى كتب كثيرة تتناول مختلف مظاهر الحضارة المصرية وتقدم له نتائج أحدث الاكتشافات وتجلى له بعض النقاط الغامضة فى مجالات الحضارة قدر المستطاع .

واليس من المستغرب ألا يعرف المتفنون فى مصر عن تاريخ مصر القديم وحضارتها إلا شذرات لا تعنى شيئا ، بل وقد يكون أغلبها مغلوطا ومخلوطا بالخرافات .^(١) وفى الوقت نفسه يدرك المتعلمون ومحبو الثقافة فى جميع أنحاء العالم أهمية تاريخ مصر القديم ومظاهر الحضارة المصرية القديمة ويهتمون بالقراءة عنها وعما حققته وأنجزته . واليس من المستغرب أيضا إذا أردنا البحث فى كل تاريخنا القومى القديم أن نجد فيضا هائلا مما كتبه علماء الغرب ، ونجد قلة قليلة فى المراجع العربية ، وهذه القلة لا تكفى إلى التعمق فى تاريخ بلادنا القديم ، ولذلك نضطر إلى الرجوع إلى الفيض الكبير المملوء أحيانا بوجهات نظر العلماء الأجانب ، وهذا نقص معيب يؤخذ علينا إذ معناه أننا لا نهتم كما يجب بالتعرف على تاريخنا القديم وحضارتنا القديمة ، وهو عيب كبير لأن الأمة التى تريد أن تتبوأ مكانا جديرا

== (ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٦ ؛ جورج بوزنر (وآخرون) معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة : أمين سلامة ومراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ ؛ فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية ، ترجمة : ماهر جويجاتي ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ؛ بارى كيمب : تشريح حضارة ، ترجمة : أحمد محمود ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠ .

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية

١٩٨٦ ، ص ٨٠ .

بالاحترام يجب أن تصل بين حاضرها وماضيها لتحسن إعداد بناء مستقبلها .^(١)

وثانيهما : أنه على الرغم مما بذله العلماء من جهد ونشاط فى دراسة ونشر أغلب الآثار المصرية القديمة وترجمة ما عليها من نقوش وكتابات وتحليل تلك المعلومات وتصنيفها منذ أواسط القرن الماضى ، إلا أنه من الصعب كتابة كتاب عن تاريخ مصر القديم وحضارتها ، فهذه ليست بالمهمة السهلة أو اليسيرة .

وكما ذكر أستاذنا الراحل د. بدوى أن هناك اختلاف فى دراسة الحضارات القديمة والحديثة^(٢) ، فالحديثة أشبه بالشباب الذى يمكن تتبع نشأته ومراحل نموه وتطوره ونضوجه من المهد حتى اللحد ، أما الحضارات القديمة فهى أشبه بالشيخ الذى توفى منذ آلاف السنين أو مئات السنين ، وبعد فترة عثر علماء الآثار على بقايا هيكله العظمى وعلى بقايا ما وضع معه من متاع جنائزى ثمين أو بسيط وعديد أو معدود ، فقاموا بجمعها وترميمها وتصنيفها وإعدادها للدراسة ، وعليهم أن يرجعوا فى دراسة كل هذه المخلفات الأثرية إلى أيام طفولته الأولى ومعرفة كيف نما وكبر عبر السنين الطويلة ، وما هى التجارب التى مر بها ، وما هى المظاهر الحضارية التى حققها ، وما هى المظاهر التى طرأت عليه حتى بلغ سن الكهولة وكيف انتهت أيامه .

فالكتابة عن كل هذه المراحل هى فى الواقع مهمة شاقة وعسرة وتحتاج إلى دراسة كل التفاصيل وكل صغيرة وكبيرة وتتطلب الحرص الشديد عند كتابة أية معلومة حتى يستطيع العلماء أن يرسموا فى النهاية صورة أقرب إلى الواقع لما كانت عليه حياة هذا الشيخ الهرم ، أى هذا الإنسان المصرى القديم ، أى صانع هذه الحضارة القديمة . وهو الأمر الذى تعد الكتابة فيه باللغة العربية صعبة .

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر ، عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، المقدمة ص (أ) .

(٢) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٤ .

وقد قسمت هذا الكتاب إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة عشر بابا - ويشتمل كل باب على عدة فصول أو عناصر رئيسية أو نقاط هامة في شكل عناوين صغيرة . ووزعت هذه الأبواب على ثلاثة أجزاء .

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن : مفهوم كلمة الحضارة وقلة ما كتب عن حضارة مصر القديمة باللغة العربية بالنسبة لما كتب ويكتب باللغات الأجنبية . ومدى صعوبة الكتابة في هذا الموضوع باللغة العربية مع تغطية كافة مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

وفي التمهيد تحدثت عن أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة وحاولت الربط بين الأحداث التاريخية لكل عصر من عصور تاريخ مصر القديم وبين ما ظهر في كل عصر من مظاهر حضارية لها دلالاتها .

وفي الباب الأول : تناولت البيئة والإنسان المصري القديم ، وقسمته إلى :

(١) عناصر ومقومات البيئة المصرية :

الموقع الجغرافى ، وفرة التكوينات الصخرية والأحجار والمعادن المتنوعة ومواد أخرى ، وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطميهِ الغنى ، تكون أراضي الوادى الطويلة والتربة الصالحة والوديان والواحات الشاسعة ، وجود الحدود الطبيعية الحامية (كالصحارى المترامية والجبال والبحار) وتوافر المناخ المعتدل ، ثم تحدثت عن تكامل عناصر البيئة المصرية .

(٢) أصل الإنسان المصري القديم .

(٣) استغلال الإنسان المصري القديم لعناصر البيئة .

(٤) تأثير عناصر البيئة وظواهرها على طبيعة ومجهود الإنسان المصري القديم .

وفي الباب الثانى : تحدثت عن : نشأة الحضارة المصرية القديمة ،

وقسمته إلى :

(١) العمران المصرى القديم والتجارب التى مر بها الإنسان المصرى القديم ووضع فى أثنائها أسس العمران المصرى القديم (١).

(٢) تطور صور العمران على الأرض المصرية وظهور الأقاليم .

(٣) العمران وعلاقته بكثافة السكان فى مصر القديمة .

(٤) الأسماء التى أطلقها المصريون القدماء على أرضهم وبلادهم ودلالاتها .

(٥) تأثير عناصر البيئة على النتاج الحضارى المصرى القديم .

(٦) الحضارة المصرية بين النشأة والتطور أو فترات النشوء والتكوين والتطور .

وفى الباب الثالث : تحدثت عن العوامل التى أدت إلى تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة ، وهى العوامل الآتية :

(١) مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل فى توفير عامل الاستقرار للحضارة المصرية كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والتفوق والازدهار بفضل الدور الفعال الذى قام به السكان الأوائل .

(٢) رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال فى حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية .

(٣) تبجيل واحترام الحاكم وطاعته والتفانى فى خدمته مما أصبح حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار .

(٤) وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع . وتحمى الصغير قبل الكبير .

(٥) توافر عوامل الأمن والأمان بفضل إتباع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج .

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٢ - ٥ .

(٦) تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم وبرز قدراته فى أكثر من مجال حضارى .

(٧) احترام العمل ونوبان ذاتية الفرد فى الجماعة وأصبح العمل قيمة فى حياة ونشاط الإنسان المصرى القديم .

(٨) ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم فتحقق الاتقان وأعظم المنجزات والمعجزات .

(٩) قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين أفرادهِ روابط وعادات وتقاليد راسخة .

(١٠) التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التى كانت ثابتة الأركان فى حياة المصريين القدماء فى كل عصر .

(١١) المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سواء كان تراثاً فكرياً أو علمياً أو مادياً .

(١٢) ثبات مقومات الحضارة أمام المحن ولم تتغير أو تفقد أصالتها لأنها كانت تعبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد على ذاتهم المصرية الأصيلة .

وابتداء من الباب الرابع حتى الحادى عشر تناولت أهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

فى الباب الرابع تناولت نظم الحكم والإدارة . وتحدثت فيه عن مراحل التطور السياسى قبل قيام الأسرة الأولى ، ثم قيام الملكية المصرية وتطور نظم الحكم والإدارة عبر العصور التاريخية ، وعن اختيار مكان العاصمة الرئيسية للحكم ، ثم تحدثت بالتفصيل عن :

(١) نظم الحكم : الملك وحق وراثته العرش ، ارتقاء العرش ومراسم التتويج ، ألقابه الرسمية ، صفات وألقاب أخرى ، صفاته المقننة ، زينته وملابسه الرسمية ،

سلطاته وواجباته وأعماله الرسمية ، حياته الشخصية ، ثقافته وخبرته ، إشراك
ولى العهد فى الحكم .

(٢) نظم الإدارة : الوزير واختصاصاته ، كبار الموظفين ، موظفو القصر الملكى ،
موظفوا الإدارات الحكومية ، وما يجب أن يكون عليه كل موظف من
سلوكيات ، والإدارات الحكومية المختلفة .

(٣) النظام المالى : الضرائب ، إدارة بيتى المال .

(٤) النظم القضائية : مفهوم كلمة " ماعت " ، القوانين . دور القضاء ، أنواع
الدعاوى ، أنواع العقوبات .

(٥) النظم العسكرية : الشرطة وأقسامها ، وسائل البحث الجنائى ، وسائل التحقيق
الجنائى ، واجبات أخرى للشرطة . الجيش : فرق الجيش ، التدريب ، التربية
العسكرية لأبناء الأمراء ، إدارة الأسلحة والمعدات ، تجميع الأسلحة وتوزيعها ،
مخازن الغلال والمؤن . البحرية والأسطول - التقاليد العسكرية .

(٦) نظم الحكم والإدارة فى الأقاليم ، العدالة فى القرية المصرية ، مسئولية الدولة .

(٧) مظاهر الأوضاع السياسية فى الداخل عبر الأسرات الحاكمة المختلفة منذ أقدم
العصور حتى نهاية عصور الأسرات المصرية .

(٨) مظاهر السياسة الخارجية عبر الأسرات الحاكمة .

وفى الباب الخامس تحدثت عن مظاهر الحياة الاجتماعية ، وتحدثت عن :

(١) المجتمع وطبقاته : الطبقة العليا ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا ، حالة
طبقة العمال والصناع والحرفيين والفنانين والتجار والأقليات الأجنبية ، الرعاية
الصحية وسن الشيخوخة ، المشكلات الاجتماعية .

(٢) الأسرة : الزواج ، شروط الزواج ، خطوات الزواج ومراسيمه ، وعقود
الزواج ووثائق الانفصال ، الحياة الزوجية ، العلاقات الزوجية ، واجبات
الوالدين نحو الأبناء ، واجبات الزوجة ، واجبات الزوج ، واجبات الأبناء ،

صيغ البر بالوالدين فى حياتهما وبعد مماتهما ، صيغ الترابط السرى بين الأبناء داخل الأسرة الواحدة ، صيغ البر بالآخرين من أفراد الأسرة ، صور ومناظر وأوضاع بعض التماثيل التى تعبر عن الترابط الأسرى ، صور من انفصال الترابط الأسرى ، وفاء الزوج لذكرى زوجته .

(٣) بعض مظاهر وأنشطة الحياة الأسرية ، أماكن معيشة الأسرة ، الخدم والعبيد فى المنزل ، والعناية بالنظافة بوجه عام ، والملابس والزينة ، وإعداد الطعام والوجبات ، والطهى ، وجود الحيوانات الأليفة فى المنازل .

(٤) أساليب شغل أوقات الفراغ : الرياضة بأنواعها ، مشاهدة ألعاب الأطفال ، وسائل التسلية وألعاب الخط والفكر ، والمأدب والولائم ، والخروج للصيد ، والخروج للتنزه .

(٥) الاحتفال بالأعياد والمناسبات والمشاركة فى المواقب .

(٦) بعض السلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية .

وفى الباب السادس تحدثت عن مظاهر الحياة الاقتصادية ، ثم تحدثت بالتفصيل عن :

(١) تقسيم الأراضى : الأراضى الملكية ، أراضى المعابد ، إقطاعات كبار الموظفين ، إقطاعات كبار العسكريين ، أراضى الهبات ، أراضى الملكية الخاصة .

(٢) الثروة الزراعية : الملكية الزراعية ، حياة الفلاح ، الأدوات الزراعية ، مراحل الزراعة ، المحاصيل الزراعية : الحبوب الغذائية ، الحبوب الزيتية ، الكتان ، الكروم وغيرها من الفاكهة ، الأشجار ، أعداء الزراعة ، أعياد الزراعة ، البساتين والحدائق والزهور ، تربية النحل واستخراج العسل ، وإعداد المواد التموينية .

(٣) الثروة الحيوانية : تربية الماشية والأغنام والماعز ، المنتجات الحيوانية ، ترويض الحيوانات .

(٤) تربية الدواجن : تربية الأوز وتربية الحمام ، منتجات الدواجن .

(٥) الثروة السمكية : صيد الأسماك وحفظها وتجفيفها .

(٦) الصيد والقتص وأدواتهما .

(٧) إعداد المواد التموينية ، الأطعمة والمشروبات .

(٨) الصناعات والحرف والمهن المختلفة : المحاجر وتصنيع الأحجار ، المناجم

وتصنيع المعادن ، الأشغال الخشبية ومجالاتها ، صناعة الزجاج ، صناعة

القشاني ، صناعة الفخار ، صناعة الطوب اللبن والملاط ، صناعة الورق من

البردى ، صناعة النسيج ، صناعة أدوات الزينة ، صناعة الجلود والدباغة

والصبغة ، المصنوعات من القرون والعظم والعاج والأبنوس ، صناعة

العطور ، والدهونات ، صناعة أدوات التسلية ، صناعة السلال والحبال

والحصر والفرش ، وصناعة الجعة ، واستخراج الملح ، ومهن وصناعات

أخرى .

(٩) التجارة : التجارة الداخلية : الحبوب الغذائية ، الحبوب الزيتية ، الكتان

والمنسوجات ، الفاكهة والنبيد ، الجعة ، الأدوات المعدنية ، ورق البردى ،

الجلود ، الأسماك .

التجارة الخارجية : واردات مصر : من بلاد الشرق ، ومن الجنوب .

صادرات مصر : الحبوب ، الأسماك المملحة ، ورق البردى .

(١٠) طرق التجارة ووسائل النقل : المعاملات المالية والتجارية .

وفي الباب السابع تناولت نشأة العقائد الدينية وتطورها ومظاهر الحياة

الدينية نظرا لارتباط الحضارة المصرية الوثيق بعامل الدين والعقيدة . وتحدثت عن

مصادر دراستها وركزت على مجالين ، الأول : المعتقدات الدنيوية : مفهوم كلمة نثر

وتقدس المعبودات ونشأتها وخصائصها ، وتطور الفكر الدينى ونشأت المذاهب

الدينية ، وظهور نصوص وأناشيد الخليفة والأساطير الدينية والغرض منها ، ومعابد

المعبودات الرئيسية والمحلية والمعابد الجنائزية ، ودور العاملين فيها والشعائر

والطقوس والاحتفالات الدينية التى تقام بها .

والثانى : المعتقدات فى عالم الآخرة : معتقدات البعث والخلود، نشأتها، ومقوماتها : إعداد المقبرة ، التحنيط ، إعداد المتاع الجنائزى ، عادات ومراسيم الدفن ، تأمين المقبرة ، تقديم القرابين وواجبات كاهن الروح . وتأمينها أيضا بتسجيل وتلاوة الصيغ الجنائزية والمتون والفصول الدينية المختلفة ، وبعض التصورات عن عقيدة البعث وعالم الآخرة : البعث اليومى والمتجدد ، البعث فى عالم الآخرة وفكرة الثواب والعقاب ، صور الجنة والحياة فى الآخرة كما تخيلها المصريين القدماء .

وفى الباب الثامن تحدثت عن الحياة الثقافية ومجالاتها وبدأته بتمهيد عن مفهوم الثقافة ومصادرها وأهميتها ودورها ومراكزها ومجالاتها وتأثيرها . وركزت على مجالين :

الأول : نشأة الكتابة واللغة المصرية القديمة وتطورها :

- (١) أقدم المحاولات لحل رموز اللغة المصرية القديمة .
- (٢) العثور على حجر رشيد ومحاولات العلماء حل رموزه .
- (٣) دور شامبوليون فى حل رموز الكتابة الهيروغليفية .
- (٤) تتبع نشأة اللغة المصرية القديمة وتطورها : نشأة الكتابة ، تطور الكتابة ومعرفة اللغة .

(٥) اختراع وتطور أدوات الكتابة .

(٦) أهمية اللغة والكتابات المصرية القديمة .

الثانى : فنون الألب : أهميته ، أصالته ، غنى أسلوبه ، تنوعه :

(١) الألب الدينى (وفيه أدب الأسطورة والملحمة الدينية ، المتون والكتب الدينية ، الأناشيد الدينية ، نصوص الوجدانية ، أشعار التساييح ، الحوار الدينى) .

(٢) الألب التهنيبى والتعليمى أو أدب التعاليم والحكم والأمثال ، وهو من أهم فروع الألب لأنه يؤثر فى تكوين شخصية الإنسان وسلوكه وثقافته .

(٣) أدب القصة .

(٤) أدب الحوار .

(٥) أدب الملاحم والمديح .

(٦) كتابة الأغاني والغزل (أو الشعر) .

(٧) أدب النقد والهجاء .

(٨) أدب التراجم الشخصية .

(٩) أدب المراسلات وصيغ الخطابات .

وفي الباب التاسع تحدثت عن : الحياة العلمية وما بها من تجارب

ومعارف ، وتحدثت فيه عن نشأة المعارف والعلوم ، ثم تناولت بعد ذلك :
(١) ما يسمى حديثاً بالعلوم الطبيعية :

الطب والكيمياء : الطب بأنواعه وأصول معرفتها للطب

المصرى القديم ، مدارس الطب ، طبقة الأطباء ، الأمراض المعروفة ،

التشريح ، التحنيط ، الجراحة والكمور والخلوع ، الحروق والأورام ، طرق

العلاج العامة ، العقاقير والمراهم والأربطة والتدليك والعلاج الطبيعي ، الرعاية

الصحية ، العناية بالنظافة كوسيلة للوقاية .

- معارف الكيمياء

(٢) ما يسمى حديثاً بالعلوم الصحيحة :

الرياضة ، الهندسة ، الفلك : التوقيت ، كيفية قياس

الوقت ، الأجرام السماوية ، نتائج تقويم الأيام ، تفسير الأحلام ومعرفة الطالع ،

النبؤات .

(٣) السحر والتعاويذ : اللوحات ذات النصوص السحرية والشافية .

وفي الباب العاشر تناولت الحياة الفنية ومظاهرها وبدأته بتمهيد عن مفهوم

الفنون ، وركزت على مجالين : الفنون التشكيلية والتعبيرية

أولاً : الفنون التشكيلية وتشمل :

الفصل الأول : عن

(١) الرسم .

(٢) النقش .

(٣) النحت .

(٤) التلوين .

(٥) الزخرفة وفن التطعيم .

وتحدثت عن نشأة أساليب الرسم والنقش والنحت في فجر العصور التاريخية والمراحل التي مرت بها ، وتطور أساليب الرسم والنقش والنحت والمراحل التي مرت بها في عصر الدولة الحديثة ، التلوين ، الزخرفة وفن التطعيم .

الفصل الثاني : عن العمارة وأشكالها : وتحدثت في البداية عن البيئـة والعمارة

والعوامل الأخرى التي أثرت فيها ثم تحدثت عن :

(١) العمارة الدنيوية : المدن ، عمارة القصور والمنازل عبر العصور المختلفة ، الإدارات ، السدود ، الحصون .

(٢) العمارة الدينية : معابد المعبودات ، المعابد الصخرية ، المقاصير ، جواسق اليوبيل .

(٣) العمارة الجنائزية : تطور عمارة المقبرة عبر العصور المختلفة ، المقابر الملكية ، مقابر كبار الشخصيات ، مقابر العمال ، المقابر التذكارية ، المعابد الجنائزية ، السراديب .

ثانيا : الفنون التعبيرية وتشمل :

(١) الموسيقى .

(٢) الغناء .

(٣) الرقص بأنواعه .

كما أشرت إلى ما يمكن أن نسميه :

(٤) فن المسرح : كما عرفه المصري القديم .

ثم تحدثت بعد ذلك عن :

(٥) فن الرسم الساخر : وهو لون من ألوان التعبير الثقافي .

وفى الباب الحادى عشر : تناولت أساليب التربية ونظم التعليم وتحدثت فيه

عن :

(١) مفهوم التربية والتعليم .

(٢) مصادر دراسة نظم التربية والتعليم .

(٣) أهمية العلم والتعلم .

(٤) الأهداف من وراء التعلم .

(٥) دور المعلم ووسائله التعليمية .

(٦) مراحل التعليم ونظمه .

(٧) المكتبات وأنواعها .

(٨) مناهج التعليم والدراسة : اللغة ، التربية الدينية ، التربية الخلقية ، الرياضيات ،

التاريخ ، الجغرافيا ، الرسم ، التربية البدنية .

(٩) طرق ووسائل التقويم ، صور التقويم ، تعليم الفتاة .

(١٠) عشاق الثقافة العامة .

وفى الباب الثانى عشر تحدثت عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة

وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية ، أى تأثير وتأثر مظاهر الحضارة

المصرية بمظاهر حضارات الشعوب الأخرى والتى كانت لها علاقات بمصر القديمة

فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وتأثر الحضارة المصرية نفسها بمظاهر

حضارات هذه الشعوب فى أكثر من مجال . وسوف نجد أن عوامل التأثير والتأثر أكثر ظهوراً فى المجالات الآتية :

- نظم الحكم والإدارة وخاصة فى مجال السياسة الخارجية .
- مظاهر الحياة الاجتماعية وخاصة بالنسبة للأقليات الأجنبية والأسرى والعمال الأجانب .
- مظاهر الحياة الاقتصادية وخاصة فى العلاقات التجارية .
- مظاهر الحياة الدينية وخاصة تأثير الديانة المصرية فى معتقدات الشعوب الأخرى المجاورة والبعيدة .
- الحياة الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف ، نجد أن العامل الثقافى للحضارة المصرية القديمة كان أكثر العوامل تأثيراً وأسرعها فاعلية وأكثرها بقاءاً ودواماً بين الشعوب المحيطة بمصر ، وسوف نشير إلى التأثير الملموس للثقافة المصرية القديمة حديثاً .
- الحياة الفنية ومظاهرها كان لها تأثيرها الفعال أيضاً .
- أساليب التربية ونظم التعليم أثرت هذه الأساليب فى أهل الشرق وخاصة أهل الفكر فى بلاد اليونان .

وأخيراً فى الباب الثالث عشر تناولت مظاهر الحضارة المصرية القديمة

بين مراحل الإزدهار ومراحل الأفول وأسبابه . وتحدثت عما وقع من أحداث وتغيرات وتأثيرات فى نهاية الأسرات المصرية الوطنية وأدت إلى أفول مظاهر الحضارة المصرية القديمة تدريجياً . وهذه الأحداث الأربعة هى :

- (١) دخول الإسكندر مصر عام ٣٣٢ ق.م .
- (٢) دخول الرومان مصر عام ٣٠ ق.م .
- (٣) ثم دخول المسيحية فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى .
- (٤) أخيراً دخول الإسلام مصر عام ٦٤٠ ميلادية .

وأخيرا تحدثت عما بقى من هذا التراث الحضارى العظيم من آثار مادية تشمل جميع العصور على أرض مصر الطيبة .

وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت فى إعطاء صورة عامة عن مظاهر الحضارة فى مصر القديمة ، أو بتعبير آخر تقديم " لوحة متكاملة الخطوط والألوان " لعناصر هذه الحضارة فى مختلف مجالاتها .

وهدفى من ذلك كله أن اصحب القارئ المصرى المعاصر والمتقشف فى جولة تاريخية حضارية عبر هذه الصفحات للتحدث معه والرجوع به إلى الوراء فى باطن التاريخ وعبر آلاف السنين عما أنجزه نظيره الإنسان المصرى القديم منذ آلاف السنين لكى يقف على مآثر أجداده ، ويستمد منها زادا لحاضره ومستقبله .

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه وفيما أردت أن أعرضه ، والله أسأله التوفيق دائما .

المؤلف ،،

مَهَيِّدٌ

أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة

فى هذا الزمن الذى تسيطر فيه على عقولنا البحوث العلمية المتقدمة فى المجالات المتعددة والتكنولوجيا الحديثة ، والغنى بالآمال بالنسبة للحاضر والمستقبل ، وفى عصر تطغى فيه مشاكل الحياة المادية على تفكيرنا ، فإنه قد يبدو غير منطقي أن نهتم بالماضى وبدراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة ، التى تبعد عنا كثر من حيث الزمن ومن حيث طبيعة المظاهر الحضارية ، ونترك تلك المشاكل التى تفرضها علينا حضارة العصر الحديث دون التفكير فيها وفى محاولة حلها . وقد يراه الكثيرون نوعاً من " الترف الثقافى " الحديث عن الاهتمام بدراسة آثار مصر وتراثها الحضارى القديم ، فى الوقت الذى يعانى فيه الناس أساساً من ارتفاع تكاليف المعيشة ، ومن التصارع للحصول على لقمة العيش . ولكن رغم تقديرنا الكامل لأولوية اهتمام الناس بالمطالب اليومية التى تتزايد أعباءها إلا أن إحياء التراث الحضارى فى ضمير أبناء أمتنا سيكون له أكبر الأثر فى تحقيق نهضة مصر واستلهاً المثل العليا والقيم من مظاهر حضارتنا القديمة .

فهناك أكثر من سبعة آلاف عام أو أكثر قد مضت؟، منذ قيام ملوك مصر الأوائل بحكم مصر فى دولة متحدة القطرين ، وهناك ما يقرب من عشرين قرناً قد مضت منذ أن ثرت آخر معالم هذه الحضارة . لذلك لنا أن نسأل ما هى أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة ؟ والإجابة على مثل هذا التساؤل تنحصر فى إبراز النقاط الآتية :

أولاً : أن هذه الحضارة تعتبر من أقدم الحضارات البشرية . وأن أقدمية حضارة مصر القديمة هى التى خلقت هذا الاهتمام لدراساتها وإبراز أهمية علم الدراسات المصرية القديمة فى دول أوروبا وأمريكا واليابان وأستراليا .

وفى الواقع أننا لا نستطيع تحديد البداية الزمنية التى وضع فيها الإنسان المصرى الأول أسس هذه الحضارة المحلية الوطنية القديمة فى وادى النيل وفى جنباته ، ولكن يمكن القول بأن نشأة هذه الحضارة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ ، وفى تلك العصور البعيدة نجح الإنسان المصرى القديم فى وضع أسس هذه الحضارة وتوصل أثناءها إلى عدة معارف سلك بها طريقه فى البداية واستطاع أن يتطور بمعالم حضارته بعد ذلك عبر العصور المختلفة .

ثانياً : أن هذه الحضارة تتميز بطابع التطور المستمر الذى لم توقفه إلا بعض فترات الضعف السياسى . فالدارس للحضارة المصرية القديمة لا يكاد يجد فاصلاً بين حضارات العصور الحجرية القديمة وعصور التطور الحضارى بعد ذلك ، خلال العصور التاريخية الطويلة ، فكلاهما مكمل للآخر ، أى أن هذه الحضارة عبارة عن سلسلة متعاقبة الحلقات ، أو " شجرة " غرست جذورها فى الأرض منذ أقدم العصور ونمت وترعرعت عبر العصور المختلفة ، لتؤتى بثمارها الحضارية فى كل عصر ، من عمرها الطويل ، بفضل مراعاة أبنائها ومجهوداتهم فى المحافظة عليها .

ثالثاً : أن هذه الحضارة تتميز بطابع التماسك والمحافظة على أصالتها . فلم يسلم تاريخ مصر القديم السياسى من أحداث داخلية وخارجية فى شكل ثورة اجتماعية أو اضطرابات اقتصادية أو غزوات أجنبية عديدة وتسربات وهجرات أجنبية من وقت لآخر . ولكن كل هذه الأحداث لم تكن من القوة الكافية لكى تغير من الطابع المحلى للحضارة أو تعوق مسيرة الركب الحضارى ، أو تؤثر فى تماسكها وأصالتها . فالغزاة الذين غزوا البلاد أكثر من مرة نجد أنهم خرجوا منها دون أن يتركوا أى أثر فعال فى معالم هذه الحضارة وإما أن بعضهم اندمج بسرعة فى تيار تلك الحضارة التى جذبتهم وتفاعلوا معها وتأثروا بها واعتنقوا مظاهرها وفى كل مرة بقى الطابع العام للحضارة المصرية القديمة كما هو دائماً . وإن كان بعض هؤلاء الأجانب من بلاد ذات حضارة مثل بلاد فارس وبلاد النهرين أو بلاد اليونان ، إلا أنهم بما جلبوا من أفكار لم يستطيعوا أن يغيروا من الطابع العام للحضارة المصرية القديمة التى أخذت من الحضارات الأخرى ما يلائم ظروفها المحلية .

رابعاً : أن هذه الحضارة كانت تمتاز بطابع التجانس ، فالمصريين الذين عاشوا فى عصر الدولة الحديثة ، صقل الأحجار من الصوان على الرغم من معرفتهم للبرونز ، واستخدموا أيضا الأدوات المصنوعة من الأحجار المصقولة مثل التى كان يستخدمها هؤلاء الذين عاشوا فى عصر المعادن بوادى النيل ، ولكن بمرور الزمن أصبحوا أكثر خبرة وأكثر تجربة . وكان الكهنة يرتلون العبارات والصيغ نفسها التى كان يرددونها أسلافهم البعيدون ، والتى كانوا يتداولونها فيما بينهم شفها . قبل التوصل إلى معرفة الكتابة .

خامساً : أن حضارة مصر القديمة تعد أطول تجربة خاضها الإنسان المصرى القديم ، وذلك ابتداء من عصور ما قبل التاريخ حتى دخول المسيحية . وفى أثناء هذه الفترة الطويلة كان على الإنسان المصرى الأول أن يتكيف مع ظروف البيئة المحيطة به . وكان عليه أن يتغلب على كثير من الصعاب التى واجهته ، حتى نجح فى استغلال مصادر الثروة الطبيعية فى تطوير حياته وحضارته .

وفى الواقع نجح المصرى القديم نجاحا كبيرا فى السيطرة على مصادر البيئة التى اكتشفها من حوله واستغلالها لصالحه أحسن استغلال . وكل ذلك يدل على قدرته وصبره . وأنه لم ينهر أمام الصعاب التى واجهته فى أية لحظة من اللحظات . ونجح كذلك فى وضع الأسس لحضارة محلية عريقة وساهم فى صنع الكثير من الأحداث صغيرة كانت أم كبيرة ، والتى لازمت تطور الحضارة المصرية ، وكيف أنه استطاع فى مثل هذه الظروف والإمكانات المادية الموجودة أن يؤسس ويضيف ويجدد عبر تاريخه الطويل حضارة عريقة ، وأن يترك بصماته الحضارية على هذه الأرض الطيبة .

ولهذا فإن الحضارة المصرية تتفق مع الإطار الجغرافى الذى نشأ فيه والذى ساهم إلى حد كبير فى تطويرها والمحافظة عليها ، وهذا الطابع المحلى المتأثر أساسا بعوامل البيئة وظروفها وعناصرها وكل ما فيها أصبح هو الصبغة المميزة لما توصل إليه الإنسان المصرى القديم من أفكار فى نظم الحكم والإدارة ، وفى النظم الاجتماعية ، وفى النظم الاقتصادية ، وفى حياته الدينية وفى مظاهر الحياة الثقافية

والعلمية ، وفي الأساليب التربوية والنظم التعليمية ، وفي مجال الفنون المتعددة ، وفي مجال علاقاته الخارجية بالشعوب والبلاد المحيطة به .

ويعد ما خاضه الإنسان المصرى القديم من تجارب وما توصل إليه من معارف ، وما حققه من منجزات حضارية ، جزءا هاما من المنجزات التى توصل إليها الإنسان فى الشرق القديم ، ولم تكن هذه المنجزات مجرد نشاط حضارى ظهر وانقرض فى الحدود المحلية للمنطقة ، وإنما كانت منجزات أثرت فى غيرها من المناطق واستمر تأثيرها كأساس للتطور الحضارى فيما بعد .^(١)

سادسا : حتى يومنا هذا يميل بعض الباحثين إلى اعتبار حضارة مصر القديمة حضارة أجنبية مجمدة فى إطار ثابت غير إنسانى لم يتغير^(٢)، ولكنها فى الواقع شئ يختلف عن كل هذا التجنى بل هى العكس من كل هذا ، ولا توجد حضارة عبرت عن القيم والعدالة إلا الحضارة المصرية . وذلك لأن رسوم ونقوش آثارها تعبر عن أعماق ونزعات إنسانية متعددة . وكان شعبها أكثر الشعوب تنظيما وتقدما وكانوا أكثر الشعوب إنسانية ، وأكثرها احتراما لحياة البشر من أى بلد آخر فى العالم القديم ، وفى كل البلاد التى وجدت فيها قصوة ينعكس ذلك فى رسمها ونقوشها ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لهذه القسوة فكل شئ مصور بطريقة هادئة وملائمة ومناسبة ومحبية . وتصور لنا النصوص الأدبية المعانى والقيم الإنسانية والسلوكيات والآداب التى يجب أن يتبعها الإنسان أو الابن نحو والديه وأخوته ونحو أفراد عائلته ونحو الآخرين فى مدينته ومجتمعه .

وعندما نادوا بأداب السلوك وحسن التصرف كانوا يطبقونها بحزم ، وكان المصرى فخورا بفضائله . وكان مسلكه يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة ما نادى به أهل الفكر والكهنة من تعاليم وحكم وقيم ومبادئ ، وكان المصرى القديم يودى عمله

(١) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٣ .

(٢) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 8.

بنوع من التقوى والحيوية والإتقان والصبر التى لم تكن معروفة حينئذ فى المجتمعات الأخرى .

ونجد صدى لهذه المعانى فى مختلف النصوص ، وقد عبر عنها أكثر من فرد من طبقات المجتمع ، فنجد هذه المعانى فى النقوش التى تخص سير كبار الشخصيات من حكام أقاليم وقواد ونبلأ وكبار كهنة ، وأيضا فى بعض النصوص التى تخفى الأشخاص العاديين . فمثلا يقول حاكم إقليم فى نقوشه : " أنه قام بتوزيع الحبوب على الناس " .^(١) وآخر يقول : " انتفى لم أرتكب أى عنف ضد أى إنسان " .^(٢) ويقول القائد ونى عن تصرفات جنوده : " أن لا أحد من جنوده الذين اشتركوا فى الحملة قد نهب مدينا أو سرق أغذية من القرى التى عبروها " .^(٣) وقد وصف أحد النبلاء الذين عاشوا فى عهد الملك تحوتمس الثالث بأنه " هو الذى يساهم بالأغنياء وأيضا الفقراء ، والذى يحمى الأرامل دون عائل ، والذى يساعد المسنين والعجزة ، والذى يعين الأبناء فى الوظائف التى كان يشغلها أبائهم ، والذى يوفر السعادة لكل إنسان " .^(٤)

ويقول المتوفى عندما يبعث فى عالم الآخرة ويقف أمام محكمة المعبودات فى العالم الآخر : " أنا لم أمنع الخبز عن الجائع ولا الماء عن الظمآن ولا الملبس عن العارى " .^(٥) أو " لم أكن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بالأم ، لم أبعد اللبن عن فم صغار الأطفال لم أجحف على المعبود ، لم امتلئ صلفا " .^(٦)

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) د. إبراهيم نصحي : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى - عصر البطالمة) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٩٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٦) فرانسوا دوما : آلهة مصر ، ترجمة : زكى سوس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .

ونرى أيضا أن الأدب المصرى القديم قد توصل إلى وصف دقيق لمشاعر الإنسان وعواطفه وهو لا يزال يؤثر فى أنفسنا على الرغم من الفاصل الزمنى الطويل الذى يبعدنا عنه (١).

وعلى الرغم من أن الثراء المادى والتطور فى أوجه النشاط المختلفة فى الدولة الحديثة فإن المصريين احتفظوا بالكثير من صفاتهم التى عرفناها عنهم فى العصور السابقة ، فقد بقيت تلك الصفات كما هى على الرغم من التغير المادى الكبير الذى طرأ على حياتهم اليومية نفسها ، وقد بقى الشعب متيقظا ومعروفا بإنسانيته أكثر من الشعوب التى تحيط به . وعلى الرغم من أن معاملة المصريين القدماء لبعض الأسرى فى عصر الدولة الحديثة قد نشر نوعا من القسوة والسيطرة عن بعض القادة المصريين ، إلا أنه يمكن القول بأن هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى معظم بلاد الشرق القديم ، وكانوا يعاملون معاملة إنسانية قبل كل شئ (٢) وإذا كانت هناك بعض المناظر التى تدل على القسوة أثناء المعارك الحربية فهذا يرجع أيضا إلى الظروف العسكرية وأساليب التخويف والتهديد والمبالغة فى تمثيل مناظر المعارك الحربية .

سابعاً : أن لمظاهر الحياة الدينية ومظاهر التنشئة الخلقية والسلوكية فى الحضارة المصرية القديمة رسالة روحية تخاطب الإنسان وما يجب أن يتمسك به فى معتقده وفى تصرفاته وفى قيمه التى يجب أن يتحلى بها . فقد آمن المصريون القدماء بالموت واعتقدوا فى البعث والخلود وكرموا الروح وآمنوا بفكرة الثواب والعقاب فى الآخرة ومما تركه المصريون القدماء من نصوص دينية عديدة كنصوص أو متون الأهرام ونصوص أو متون التوابيت وفصول من كتاب الموتى ، والكتب الجنائزية الأخرى ، نجد أنها تعكس جزءا كبيرا من معتقداتهم فى الحياة والموت وعالم الآخرة . وتحتوى على الكثير من أسرار الديانة لهذه الحضارة البعيدة ، وتعطينا

(١) Vercoutter, op. cit., p. 8.

(٢) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

درسا فى الروحانيات طبقا لمعتقداتهم . ولهذا فبالإضافة إلى المظاهر المادية للحضارة المصرية القديمة والتي نرى آثارها فى كل مكان ، نقول أن لهذه الحضارة رسالة روحية تخاطب معتقد الإنسان فى كل وقت وزمان .^(١)

فقد دخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام منهم سيدنا إبراهيم ويعقوب ويوسف الذى أصبح أمينا على خزان أرضها ، دخلها أخوته عليهم السلام . ونشأ فيها سيدنا موسى عليه السلام وتربى فى قصر المسئول - فرعون . ونادى برسالة الإسلام والوحدانية ، ولاشك فى أن مجئ هؤلاء الأنبياء قد أثر فى فكر وعقيدة بعض المصريين القدماء ، وأصبح هذا التأثير جزءا من رسالة مصر القديمة الروحية ، لأنها الأرض الوحيدة التى شرفت بمجئ كل هؤلاء الأنبياء .

فقد زارها بعد ذلك سيدنا عيسى عليه السلام طفلا ، الذى جاء إليها مع السيدة العذراء . وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ما يزيد على مائة رجل . ودفن بقراتها جماعة منهم لأنها المكان الآمن لكل من دخلها من الرسل والأنبياء .^(٢)

ثامنا : تعتبر الحضارة المصرية القديمة إحدى دعائم الحضارات البشرية ولهذا يصبح من الواجب علينا أن ندرس ونعرف هذه الحضارة وتجارب الإنسان المختلفة فيها لكي نقارنها بحضارتنا الحديثة ، ونرى إلى أى مدى تغير الإنسان منذ هذه العصور البعيدة الساحقة حتى الآن ، وكيف تطورت حياة المجتمعات الإنسانية منذ القديم حتى الآن ، ولذلك فإن حضارة مصر القديمة يجب أن تكون معروفة لنا جيدا ، ولا سيما وأن الإنسان المصرى القديم قد سجل جميع معارفه وتجاربه العديدة على جميع أنواع الآثار التى وصلت إلينا .

(١) Guilmot, le Message spirituel de L'Égypte Ancienne, Paris (1970), p. 15 - 33.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٠ - ٢٨٣ .

لهذا فإن دراسة حضارة مصر القديمة هام بوجه خاص بالنسبة لدراسة وفهم الحضارات القديمة للشعوب المجاورة ، لكى ندرك إلى أى مدى ساهمت حضارة مصر القديمة فى تطور الحضارات الأخرى للعالم القديم ، وكيف أنها استطاعت أن تغنى التراث الإنسانى بأكمله ، ونظرا لموقعها الجغرافى المتوسط بين قارتى آسيا وأفريقيا ، فهى كانت تعتبر نقطة اتصال بين حضارات الشرق القديم وحضارات أفريقيا القديمة وحضارات البلاد المطلة على البحر المتوسط .

ف نجد أن بعض الحضارات القديمة قد استفادت من العلوم والمعارف والتجارب التى حققها الإنسان المصرى القديم ، ومن ذلك :

(١) كان لاختراع المصرى القديم لصناعة الورق من البردى واستخدامه فى الكتابة أثر كبير فى تقدم العلوم والمعارف والثقافة ، فقد لعبت لفائف البردى دورا كبيرا فى نشر العلوم والآداب فى العالم القديم ، وما زال اسم البردى يتردد على لسان كل غربى عندما يشير إلى الورق . فإن اسمه فى اللغة الإنجليزية مشتق من كلمة بابيروس ، وهو الاسم اليونانى لهذا النبات الذى استخدم المصرى القديم سيقانه فى صناعة الورق .^(١)

(٢) نعرف أن الحروف الأبجدية التى تستخدم كل يوم فى أوربا كتبت فى الأصل بحروف لاتينية المأخوذة من الرومان والتى أخذها الرومان بدورهم عن اليونانيين وأخذها اليونانيون بدورهم عن الفينيقيين . وأن الأبجدية الفينيقية استمدت أصولها من بعض المصادر أهمها الكتابة المصرية السينائية . فقد عثر فى شبه جزيرة سيناء على نقوش عرفها العلماء باسم " مخربشات سيناء " والتى استمدت منها الكتابة الفينيقية الكثير من أصولها اللغوية .^(٢)

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١ ، ص ٤٤٧ ؛ د. حسن رجب : البردى ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ ؛ آلن جاردنر : مصر الفرعونية (ترجمة : نجيب ميخائيل ومراجعة عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) يعتقد أغلب المفكرين فى الغرب أنهم مدينون بالشئ الكثير فى مدنيّتهم الحاليّة لمصدرين أولهما : اليونان والرومان ، والثانى الكتاب المقدس ... وقد استمد هذا الأخير الكثير من أصوله من أدب بلاد بين النهرين ومصر . أما عن اليونانيين فقد تعلموا الكثير من مصر واعترف الكثيرون ممن وضعوا أسس معارفهم فى مختلف فروع الحضارة كالقانون والطب والرياضيات والموسيقى بأنهم تعلموا ما نشره بين مواطنيهم من الكهنة المصريين عندما أقاموا معهم وتعلموا عليهم فى مصر لمدة عدة سنوات ، أمثال أفلاطون وغيرهم . وأثينا وهى لفظ غير يونانى قد اسسها مصرى يدعى سيكرابس .^(١)

كما أخذ الرومان الشئ الكثير من الحضارة المصرية ، وفى مجال العقيدة نعرف أنه قبل ظهور المسيحية وفى أوائل أيامها كانت عبادة المعبودة إيزيس المصرية منتشرة فى جنوب أوربا ، ولها معابدها وكان يقوم على خدمة تلك المعابد كهنة مصريين يساعدهم كهنة من أبناء البلاد . وكانت مواكب أعياد هذه المعبودة وتمثيل قصتها كل عام ذات أثر كبير على أفكار الناس عامة فى ذلك العهد .^(٢)

(٤) كان الإنسان المصرى القديم المفكر الأول والمبدع والمخترع والرائد الأول لعدة تجارب علوم ومعارف ، تلك المعارف التى أفادت البشرية بعد ذلك وكانت الأساس فيما نسميه الآن " بتاريخ العلوم " ولهذا فليس من الغريب أن نرى اليوم أن الدراسات الحديثة فى شتى فروع العلوم والفنون والآداب تبدأ أولاً بدراسة ما حققه المصرى القديم من خطوات رائدة فى هذه المعارف .^(٣)

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٧ - ١٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٥١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - المجلد الأول) مكتبة النهضة المصرية ، ص ٦١٩ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، دار المعارف ١٩٨٤ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٥ .

ف نجد أن ما توصل إليه المصري القديم فى مجال الديانة أصبح من الضروريات عند دراسة " علم مقارنة الأديان " . وما توصل إليه فى مظاهر الحياة السياسية من نظم الحكم والسياسة والإدارة ، وأصبح الأساس فى دراسة ما يسمى " بالعلوم السياسية " حتى أن القانون المصرى القديم يعتبر من المواد الهامة التى تدرس فى كليات الحقوق والاقتصاد فى الخارج عند التعرض لتاريخ القانون . وكذلك ما عرفه المصري القديم من نظم اجتماعية دخلت الآن فيما يسمى " بتاريخ علم الاجتماع " . وكذلك ما عرفه وتوصل عليه فى الحياة الاقتصادية من نظم ومعاملات وغيرها ، نجد له أثر فى دراسة " تاريخ النظم الاقتصادية " . أما بالنسبة لما توصل إليه فى مجال العلوم المختلفة من طب وكيمياء ، نجد أن ما توصل إليه المصري القديم فى مجال الطب يدرس ضمن مادة " تاريخ الطب " ، وكذلك الكيمياء فى مادة " تاريخ الكيمياء " . ويرى بعض العلماء أن اصل كلمة كيمياء مأخوذة من كلمة كمت بمعنى أرض مصر السوداء أى الأرض الطينية السوداء . وما توصل إليه المصري فى مجال الحياة الفنية وخاصة فى العمارة والنحت والنقوش والرسم والتلوين يدرس حالياً فى كليات الفنون الجميلة وفى أقسام العمارة وفى كليات الهندسة ، ضمن مادة تاريخ الفنون ، وكذلك ما توصل إليه المصري القديم فى مجال الرياضيات يدخل ضمن مادة تاريخ العلوم أو الرياضيات . وأخيراً ما قام به المصري فى مجال العلاقات الخارجية ، ما يبين لنا أقدم صور العلاقات الدبلوماسية بين مصر والبلاد الأخرى فى الشرق والجنوب والشمال .

تاسعا : لم تعرف حضارة مصر القديمة التعصب فى معتقداتها وعبادتها الدينية . فسلمت الحضارة المصرية من نوازع التطرف والفتن ولهذا سلمت معظم معالمها الأثرية من الضياع ولم تخرب إلا فى حالات قليلة نادرة . وكان المصريون القدماء يمتازون بالتسامح فيما يخص العقيدة والمعتقد . فكان لكل إقليم معبوده أو معبودته الخاصة به ، ويعترف فى الوقت نفسه بالمعبودات التى تعبد وتقُدس فى الأقاليم الأخرى البعيدة . ويمكننا أن نجد إلى جانب عبادة المعبود الرئيسى عبادات أخرى لمجموعة من معبودات الأقاليم كما أننا نجد إلى جانب عبادة المعبود المحلى فى الأقاليم عبادات أخرى لمعبودات مختلفة ، ومن ناحية أخرى يمكن لكاهن واحد أن

يكون فى خدمة أكثر من معبود أو معبودة ، ويصبح كاهنا لمجموعة من المعبودات ويتولى أكثر من وظيفة لخدمة الطقوس المختلفة لهذه المعبودات فى المعابد الرئيسية أو المحلية .

وتعد روح التسامح هذه من أهم خصائص الديانة المصرية القديمة ، وتدل أيضا على سمو تفكير المصرى القديم فى معتقده .

عاشرا : أن دراسة الحضارة المصرية القديمة لا تقتصر أهميتها وقيمتها على ما توصل إليه الإنسان المصرى القديم فيها من مظاهر حضارية متعددة أو ما تمثله هذه الحضارة فى مسار الحضارات العالمية القديمة ودورها فى هذا المسار ، تأثيرا وتأثرا ، ولكن هذه الدراسة لها قيمتها الخاصة بالنسبة لنا ، إذ أنها تعرفنا بشخصيتنا الحضارية وهويتنا الحضارية القديمة التى هى جزء من تراثنا وقوميتنا .

أن من واجب كل مواطن مصرى أن يتعرف على مظاهر هذه الحضارة لأنها جزء منه . ومع الأسف فما زال أكثر المصريين ، بما فى ذلك عدد كبير من المثقفين يجهلون مظاهر هذه الحضارة . أما العامة فلا يحفون بها ولا يتأثرون بذكر مظاهرها أو مشاهدة آثارها العظيمة والإعجاب بها ، بل أن بعضهم ينفر من هذه المظاهر المعمارية ويكاد ينكرها ويعتبره حضارة وثنية وذلك لعدم توافر الفهم والوعى الكافى عن حقيقة هذه الآثار وما تحمله من معان .

وأخيرا فإن واحدة فقط من هذه النقاط السابقة كفيلا وحدها بأن تدفعنا إلى الاهتمام بدراسة مظاهر حضارة مصر القديمة ، فما بالك كلها مجتمعة . ويبقى بعد ذلك كله أن كتابة تاريخ حضارة أمة من الأمم بقلم أحد أبنائها إنما يصدر عن إحساس عميق بما كان عليه ماضيها ، وإيمان قوى بحاضرها ، وثقة كاملة فى مستقبلها .

ويتناول هذا الكتاب " حضارة مصر القديمة " منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد أى نهاية تاريخ الأسرات الوطنية المصرية ، ويلقى الضوء على الحضارة المصرية القديمة فى مظاهرها المختلفة ، مع الإشارة إلى أهم المظاهر والتطورات التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم فى كل عصر من عصور هذه الحضارة وتفسير أسباب التطور الحضارى لكل عصر .

والحقيقة أن تاريخ مصر القديم زاخر وعامر بالتطورات الحضارية التى تعبر عن مدى قدرة الإنسان المصرى على تطوير سبل حياته ، وما بذله من جهد واضح أثر كل هذه المظاهر الحضارية المتميزة التى تشيد بذكائه وقدرته وصبره وجلده على صنع حضارة من أعظم الحضارات البشرية فحضارته سلسلة متصلة الحلقات من التطور المستمر .

وكان أول واجب على علماء الدراسات المصرية القديمة ممن جاعوا بعد شامبوليون أن يضعوا النظام الحقيقى لترتيب ملوك مصر الوطنيين . الذين حكموا قبل ملوك البطالمة وأباطرة الرومان . فلم يجدوا نظاما أفضل من النظام الذى وضعه الكاهن المصرى مانيتون الذى عاش فى عهد بطلميوس الأول والثانى .

فقد أخذ مانيتون على عاتقه أمر تدوين تاريخ الملوك المصريين السابقين على حكم البطالمة . وقسم مانيتون فى مؤلفه التاريخ الكامل لمصر منذ أقدم العصور أى منذ حكم المعبودات وأنصاف المعبودات لأرضها ، إلى إحدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية التى حكمت بطريقة شرعية والتى تبدأ بالملك نعرمر - منى وتنتهى بغزو الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق. م .

ورغم ما جاء من قصور فى هذا التقسيم إلى أسرات فإنه يعد من الأسس الثابتة فى دراسة تاريخ مصر القديم بحيث لم يستطع العلماء تبديله أو التخلص عنه باختراع تقسيم آخر . وعلى الرغم من أن سجلات هذا التاريخ قد فقدت فى حريق مكتبة الإسكندرية عام ٤٧ ق. م . إلا أن فقرات كثيرة حفظت منه فى كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس (التى ظهرت فى عام ٩٣ أو ٩٤ ميلادية) وبقيت بعض الفقرات المختصرة المشوهة فى مؤلفات المؤرخين المسيحيين : جوليوس الأفريقى (فى أول القرن الثالث الميلادى) ويوسيبوس (من أوائل القرن الرابع الميلادى) وجورج الراهب المعروف باسم " سينسلوس " (حوالى القرن الثامن الميلادى) .^(١)

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة : د. نجيب ميخائيل ومراجعة

د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

وبالإضافة إلى ما وصل إلينا من تاريخ مانيقون فهناك قوائم ملكية أخرى تكمل ما جاء عنده كحوليات حجر بالرمو وقائمة الكرنك وقائمة أبيدوس وقائمة سقارة وبردية تورين وقائمة لوحة الأنساب من الأسرة الثانية والعشرين^(١).

وكان لكل عصر من عصور تاريخ مصر القديم مظاهره الحضارية منذ أقدم العصور (أى منذ عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل السرات) حتى نهاية التاريخ الوطنى والأسرات الوطنية المصرية . ففى عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات توصل الإنسان المصرى القديم إلى العديد من المعارف . منها معرفته للزراعة واستغلاله لأراضى البلاد وتجاوبه مع عناصر البيئة ، وتكوين عناصر ديانته وبعض معتقداته ، كما أنه تطور بفنه ، وبدأ فى اختراع بعض حروف الكتابة وبعض الحروف الهجائية والعلامات الرمزية ، واتفق بعض الصناعات مثل صناعة الفخار والأوانى الحجرية والألوات المعدنية والنسيج والطحى وإعداد الجلود مما يدل على نوع من الرقى الحضارى فى بعض المجالات فى هذه الفترة المبكرة .

أما فى عصر بداية الأسرات (الأسرة الأولى والثانية) الذى يعتبر فترة تبلور للحضارة المصرية ، فقد توصل الإنسان المصرى القديم إلى معرفة الكتابة وما ترتب على هذا الاختراع من عوامل تقدم فى كافة المجالات لا سيما مجال حكم الإدارة والحياة الثقافية والعلمية .

وارتبط بعصر الدولة القديمة (من الأسرة الثالثة حتى نهاية السادسة) الكثير من المظاهر الحضارية وتطور نظم الحكم والإدارة ، وتطور الحياة الثقافية والعلمية وظهور الحكم والتعاليم وآداب السلوك والتى كانت تطبق بحزم . وظهور المعارف والتجارب العديدة فى مجال الطب والكيمياء وخاصة توصل الإنسان المصرى القديم إلى معرفة التحنيط وتقدمه فى علم الرياضيات ، ويشهد بهذا التقدم الأسس والأبعاد الرياضية التى بنيت عليها الأهرام الكبرى ، ولهذا السبب عد الهرم الأكبر إحدى معجزات الدنيا السبع .

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٩ .

أما في العصر الوسيط الأول (من الأسرة السابعة حتى العاشرة) فكان فترة ضعف سياسى فى الداخل وانعكس ذلك على المظاهر الحضارية وعدم تطورها . وتعطلت الفنون والنتاج الصناعى وتوقفت عجلة التطور الحضارى .

أما في عصر الدولة الوسطى (من الأسرة الحادية عشرة حتى الثانية عشرة) فقد استعادت مصر وحدتها السياسية وعاود المصري القديم السير فى مجال التطور الحضارى . وقام بتنفيذ العديد من المشروعات وخاصة فى مجال الرى واستصلاح الأراضى فى منطقة الفيوم . وازدهرت التجارة مع سوريا . وبدأ ذهب بلاد النوبة والصحراء الشرقية يتدفق على خزائن الملك . وساعد ذلك كله على انتشار عوامل الرخاء وازدهرت فى هذا العصر الصناعة والتجارة والفنون والآداب .

وفى العصر الوسيط الثانى (من الأسرة الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة) تمزقت وحدة البلاد السياسية مرة ثانية وتعرضت للغزو الأجنبى من قبل الهكسوس وذلك لأول مرة فى تاريخها وفى عهد الغزاة تعطلت الصناعات والفنون أيضا . وتفرغ الناس لمقاومة الاحتلال الأجنبى وإعداد الخطة لطرده حتى نجح أمراء طيبة فى هذه المهمة القومية .

وفى عصر الدولة الحديثة (من الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين) تم طرد الهكسوس وقامت حكومة قوية ، نظمت الجيش وطبقة الموظفين ، وزادت اتصالات مصر بالشعوب والدول فى الشرق القديم ، وأصبح لها سيادة ونفوذ سياسى قوى فيما يعرف ببلاد الشام ، وانعكس ذلك على تجارتها وتدفق الثروات والخيرات على خزائنها من الشرق والجنوب ، وانتشر الرخاء بين طبقات الشعب ، وشيد الملوك المعابد الضخمة والقصور الفخمة ، وشيد الأغنياء البيوت المزودة بأحسن الأثاث وأقممه .

وبذلك كله عدت مصر أعظم الممالك المتحضرة فى هذه الفترة ، وجاء إلى عاصمتها طيبة السفراء والرسل والزوار من الشرق والشمال والجنوب محملين

بهداياهم لملوكها ، وظلت مصر على قوتها السياسية فى الداخل والخارج حتى بداية الأسرة العشرين .

وفى العصر الوسيط الثالث (من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الخامسة والعشرين) وكذلك فى العصر المتأخر (من الأسرة السادسة والعشرين حتى الحادية والثلاثين) عاشت البلاد فترات ضعف سياسى فى الداخل والخارج ، كما عاشت فترات قوة . فعندما تولى حكم البلاد فى نهاية الأسرة العشرين ملوك ضعاف ، ساءت فى عهدهم إدارة البلاد وحالتها الاقتصادية ، وفقدت مصر هيبتها فى الخارج . وكان ذلك بداية للعصر المتأخر . ولكن عرفت مصر بعد ذلك فترات قوة على يد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ولكن على الرغم من فترات الضعف السياسى أحيانا فإن مصر ظلت دائما مركزا حضاريا هاما ، ذا اثر مباشر على الشعوب التى تعيش من حولها . وكانت فى أكثر عصر من عصورها شعلة وضاءة تضى من نور المعرفة على كل من حولها وكل من يتصل بها حتى فى ظل ظروف الاحتلال الأجنبى أى فى العصر البطلمى - الرومانى .^(١)

ويعتقد بعض مفكرى الغرب بأن المصريين القدماء الذين صنعوا هذه الآثار ، كانوا أناس غير طبيعيين يتمتعون بقدرة فائقة على الإتيان بالخوارق وأنهم استعانوا بالسحر أحيانا فى تنفيذ كل هذه العناصر المعمارية الهائلة من أهرام ومعابد منحوتة فى الصخر وغيرها ، فعليهم الرجوع إلى الكتب والمؤلفات العلمية والتى تتحدث عما وضعه المصريون القدماء من نظم ومظاهر حضارية فى الحكم والإدارة والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية والحياة الدينية والحياة الثقافية والحياة العلمية والحياة الفنية والأساليب التربوية ونظم التعليم ومجالات العلاقات الخارجية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - المجلد

ليدرك أنه توافر لهذه الحضارة عدة مقومات وأسس جعلتها تخرج من هذه الصورة المتكاملة منها : مساهمة عناصر البيئة ، رسوخ عقيدته ومعتقداته ، تبجيل الحاكم وطاعته والتفاني في خدمته ، وجود قواتين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، توافر عوامل الأمن والأمان ، تدفق عطاء الإنسان المصري ، احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد في الجماعة ، ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم ، قيام مجتمع متماسك تربط بين أفرادها روابط وعادات وتقاليد راسخة ، التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا ، المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة، ثبات مقومات الحضارة أمام المحن والصعاب . أضف إلى كل هذا مقومات حب المصري القديم لوطنه وأرضه كما لم يفعل شعب من شعوب الأرض وأثر هذا الحب الصادق للوطن على إرادة الإنسان واستعداده الطبيعي فكان البذل والعطاء فى سبيل بناء حضارة محلية أصيلة ، فتحقق له ما أراد من منجزات .

وليدرك أيضا أن شجرة الحضارة التى غرست أصولها فى أعماق أرض مصر الطيبة أخذت تنمو وتزدهر لتؤتي بثمارها ومظاهرها الحضارية عبر العصور المختلفة من عمرها الطويل الذى يمتد إلى آلاف السنين حتى أصبحت شاهقة الطول مزدهرة الفروع ضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، بفضل مراعاة أبنائها لها ومحافظتهم على مظاهرها وعملهم على تطورها وازدهارها بقلوب عامرة بالإيمان الحقيقى وعزيمة لا تعرف الكلل ولهذا خرجت رائعة ومزدهرة فى كل مظاهرها .

على الرغم من توقف عطاء هذه الشجرة منذ أكثر من ألفى عام بعد إصابتها بعوامل القدم وعواصف الأزمات ، ورياح التغير ، وإحجام الكثير من رجال الدين والكهنة والعلماء عن توريث معارفهم وتجاربهم وعلومهم التى توصلوا إليها عبر هذا التاريخ الطويل إلى غيرهم، وعدم الإقصاد عن تفاصيلها فى نصوصهم على مختلف الآثار التى خلفوها، لأنهم لم يجدوا من بين معاصريهم من هم أهل لحمل هذه الأمانة وأسرارها، فاخترقت هذه الأسرار باختفاء أهلها، وما توصلوا إليه من معارف فى شتى المجالات، وستظل البقايا الأثرية لهذه الحضارة والمنتشرة فى أرض مصر وصحاريها مثل الشواهد الراسخة ، والشامخة التى جذبت ولا تزال تجذب المئات من المتخصصين، والآلاف من غير المتخصصين فى العصر الحديث من شتى بقاع العالم، ومن جميع الجنسيات لكى ينهلوا من معارفها ، ويشيعوها بين

الناس فى كتبهم ، ومؤلفاتهم ، ومقالاتهم ومحاولين أيضا إلقاء الضوء على أسرارها وغموض الكثير من مظاهرها التى تدعوا إلى الحيرة ، والتى يعجز العقل البشرى عن تفسير حقيقتها وكيفية تحقيقها .

وسيظل هذا التراث لأعظم حضارة إنسانية صنعها الإنسان المصرى القديم منها لثقافة الإنسان بوجه عام فى كل مكان وزمان .

الباب الأول

البيئة والإنسان المصري القديم

قد يسأل سائل ما هي العوامل التي ساعدت على نشأة وتطور الحضارة على هذه الأرض عبر هذه القرون الطويلة من الزمان ؟

نقول أن هناك عدة عوامل لابد من توافرها لقيام أى حضارة إنسانية ، ومن أهم هذه العوامل هي عناصر البيئة ، فقد أثبتت البحوث العلمية أن لظروف البيئة الطبيعية أثر فعال على المجموعات البشرية فى كل العصور وبخاصة فى العصور القديمة التى لم يكن فيها الإنسان قد سيطر بعد على عناصر ومقومات البيئة الطبيعية بالشكل الذى عرفه فى العصور التالية من حضارته . ومن ثم كان الإنسان أكثر تأثرا وانطبعا بهذه الظروف وعناصر البيئة . فإما أن تكون ظروف البيئة ملائمة للنشاط البشرى فيصبح هناك استقرار وانطلاق وعطاء وإنجاز بشرى وحضارى ، وإما لا تكون مواتية ، فيصبح هناك نوع من عدم الاستقرار والقلق والتقل المستمر كما يصيب الأفكار نوع من الركود والخمول^(١) ويؤدى ذلك إلى قلة الإنتاج وعدم ترك آثار ذات قيمة حضارية .

وعلى ذلك كان هناك أكثر من ظرف جغرافى ترك أثره بشكل واضح وفعال على طابع الاستقرار والعمران بالنسبة للمصرى القديم وأدى إلى ارتباطه بأرضه وتمسكه بها ، أى لعناصر البيئة أثر هام فى تطور وازدهار الحضارة .

من أهم صفات الحضارة المصرية القديمة : صفة الأصالة ، فقد نشأت هذه الحضارة فى مصر ، ثم نمت وتطورت وازدهرت فى جميع المجالات نتيجة

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧ .

للتجاوب الشديد الذى حدث بين الإنسان المصرى القديم وبين عناصر البيئة التى وجدها من حوله وعاش بجوارها ونتيجة لروح الكفاح والجهاد وقوة العزيمة المتأصلة فيه ، بل لصبره وجلده على العمل الشاق المتواصل نجده قد تطور وتقدم بحضارته المحلية الوطنية إلى مستوى رفيع ، وأصبحت حضارة عميقة الجنور راسخة البنیان .^(١)

وترتبط الأحداث التاريخية ووضع أسس الحضارة المحلية فى أرض مصر ارتباطا وثيقا بعوامل البيئة الجغرافية . فقد ساهمت مقومات البيئة الطبيعية فى تقدم هذه الحضارة ، وفى الوقت نفسه كانت البيئة مسرحا صالحا^(٢) استخدمه الإنسان المصرى القديم واستغله لإبراز جهوده وقدراته ونبوغه ، فأنتج هذه الحضارة العريقة وارتقى بها حتى أصبحت من أعظم حضارات العالم القديم .

فالبيئة والإنسان يرتبط كل منهما بالآخر . والحضارة ما هى إلا تفاعل جهود الإنسان ونكاته مع مؤشرات ومقومات البيئة . ولهذا فإن البيئة تساهم أيضا فى صنع هذه الحضارة^(٣) ، وعلى أرض البيئة المصرية أقام الإنسان المصرى ذلك التراث الأثرى الضخم المتعدد ، الذى هو خير شاهد على حسن صنيعه ، ولولا اعتدال مناخ مصر لما حفظت لنا البيئة ذلك التراث آلاف السنين .

والتاريخ ما هو إلا تسجيل لهذا التفاعل بين الإنسان والبيئة ، فأرض مصر هى التى عاصرت أحداث تاريخ مصر القديم فى جميع عصوره ، وعلى أرض مصر قامت هذه الثروة الأثرية ، فارتبط تاريخ مصر القديم وحضارتها بثرى هذا البلد الذى

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - المجلد الأول) ص ٤٥٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٣) أيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقلة إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤ - ٥ .

لا يوجد فيه شبر واحد لم يمتزج بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل منذ آلاف السنين ، تلك الثرى الذى لا يزال يحتفظ بالكثير من آثاره وأسراره التى لم يكشف النقاب عنها كلها حتى الآن .

(١)

عناصر ومقومات البيئة المصرية

كانت مصر تمتلك منذ أقدم العصور الجيولوجية ، المقومات البيئية الطبيعية والعناصر الضرورية لتأسيس حضارة محلية عريقة .

وهذه العناصر البيئية ذات الملامح المحددة قد أثرت بدورها فى أقدم السلالات البشرية التى استقرت على أرض مصر . كما أثرت هذه العناصر البيئية تأثيرا كبيرا فى نشأة الحضارة المصرية القديمة كما ساهمت فى نموها وتطورها بفضل مجهودات الإنسان المصرى القديم عبر عصوره التاريخية الطويلة .

وهذه المقومات والعناصر هى :

الموقع الجغرافى الفريد ، وفرة التكوينات الصخرية والأحجار والمعادن المتنوعة ومواد أخرى ، وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطمييه الغنى ، تكون أراضي الوادى الطويلة والتربة الصالحة والواحات الشاسعة ، وجود الحدود الطبيعية الحامية (كالصحارى المترامية والجبال والبحار) وتوافر المناخ المعتدل .

وكان هناك نوعا من التوافق بين عناصر البيئة الطبيعية والجغرافية . وقد استغل الإنسان المصرى القديم معظم هذه المقومات والعناصر الطبيعية منذ أقدم العصور ، واستغل البعض الآخر خلال عصوره التاريخية الطويلة عندما أصبح أكثر خبرة فى مجال البناء الحضارى . وكما يذكر د. حزين : " أن علاقة الإنسان ببيئته الجغرافية فى مصر القديمة كانت علاقة تأثير متبادل متطور المظاهر " (١).

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ١.

كما أن الإنسان وجد مصادر أخرى في البيئة الطبيعية استغلها لنفعه ولاستقراره ولبناء حضارته ، مثل استغلاله للمنخفضات التي تحولت إلى بحيرات ، واستغلاله للأحراش وما ينبت فيها .

أولا : الموقع الجغرافي القريب :

تقع مصر في أقصى الشمال الشرقي للقارة الأفريقية . وتبلغ الرقعة التي تحتلها مصر نحو ٣ % من مساحة القارة الأفريقية .^(١)

وجعل هذا الموقع من مصر مفرق البحرين : البحر المتوسط والبحر الأحمر وملتقى القارتين وشعوب من آسيا وأفريقيا وجنوب أوروبا .

ولهذا تعتبر مصر بحكم موقعها المتوسط جزءا هاما من منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم . وبغض النظر عن الترتيب الزمني لظهور هذه الحضارات ، وهي بلاد فارس وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وبلاد الشام (بالمعنى الجغرافي القديم والذي كان يشمل المنطقة الممتدة من حدود آسيا الصغرى شمالا إلى حدود مصر عند الحد الشرقي لشبه جزيرة سيناء جنوبا) وشبه الجزيرة العربية ، فإن نشأة الحضارة المصرية القديمة كان مرتبطا بنشوء الحضارات في هذه المنطقة وأصبحت جزءا رئيسيا من المسار والتيار الحضارى الذى عم منطقة الشرق القديم منذ آلاف السنين ، أو بمعنى آخر أن نشأة هذه الحضارة في مصر تعتبر الحلقة الرئيسية في سلسلة نشوء الحضارات القديمة في هذه المنطقة ، أو أن هذه النشأة كانت ضرورة ملحة لى تكتمل حلقات سلسلة حضارات الشرق القديم أو لى تكتمل الشخصية الحضارية للمنطقة صاحبة المنجزات الحضارية الأولى للإنسان منذ آلاف السنين . فالتيارات الحضارية لا تعرف الحدود الجغرافية ولا تتوقف عندها سواء أكانت هذه الحدود قومية أو قارية ، ولهذا لا يمكننا فصل نشأة الحضارة المصرية

(١) د. محمد صفى الدين : مروفولوجية الأراضي المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١ .

القديمة على أرض مصر عند منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم ،
فحضارات الشرق القديم تقع فى قارة آسيا ، والحضارة المصرية تقع بين قارتى آسيا
وأفريقيا . ولهذا أصبحت مصر بحكم موقعها وبالضرورة جزءا من هذا التيار
الحضارى القومى الذى اجتاح المنطقة منذ القدم .

أما بالنسبة للتوقيت الدقيق لنشأة كل حضارة على حده فهو لا يزال أمرا من
الصعب البت فيه برأى قاطع . ولكن يمكن القول بأن أقدم دور حضارى كبير فى
منطقة نشوء الحضارات كان من نصيب مصر وبلاد النهرين وبلاد الشام .^(١)

وكان هذا الموقع الفريد يتحكم فى مواصلات الشرق والغرب والشمال
والجنوب ، مما ساعد على نشأة الصلات والعلاقات بمختلف مظاهرها وأشكالها
وصورها بين مصر وبقية أقطار العالم القديم التى كانت تحيط بها والذين تأثروا
بحضارة أهلها .

ثانيا : وفرة التكوينات الصخرية والأمجار والمعادن المتنوعة ومواد أخرى :

تتكون صخور السطح فى مصر من أنواع مختلفة من الصخور النارية
والرسوبية والمتحولة^(٢) وتبلغ نسبة توزيع التكوينات الصخرية الأساسية فوق

-
- (١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ
العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٣٣ .
- (٢) مصر جزءا من قارة أفريقيا وهذه القارة كانت جزءا من قارة أضخم هى
جندوانا - لائد التى بدأت تتكسر فى الزمن الجيولوجى الثانى . وكان تكوين
جندوانا أساسا من الصخور البللورية الشست، الكوارتزيت ، الفيليت، المرمو ،
بالإضافة إلى تداخل كتل جرانيتية ضخمة . أما قارة أفريقيا نفسها فهى تتكون
من الناحية الجيولوجية من هضبة عظيمة الاتساع ذات قدم تاريخى قلما يوجد
له نظير ، فأجزاء كثيرة من القارة عمرها يزيد على ٥٠٠ مليون سنة ، كما أن
حوالى ثلثها ينتمى إلى التكوينات الأريكة التى يزيد عمرها على
- =====

الأراضي المصرية كما يأتي :

(١) الصخور البلورية ، وهي تعتبر من أقدم أنواع الصخور فوق سطح الأراضي المصرية . ويرجع عمرها الجيولوجي إلى أقدم الأزمنة الجيولوجية المعروفة وهو الزمن الأركي أو ما قبل الكمبرى .^(١) ولهذا تسمى أيضا الصخور الأركية .

==== ٨٠٠ مليون سنة ، راجع :

د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٥ ، ٩٢ .

(١) أجمع العلماء على تقسيم عمر كوكب الأرض منذ نشأتها حتى الآن إلى أربعة أحقاب متعاقبة هي :

١- حقبة الأركي (أو ما قبل الكمبرى) وطولها من ٤٥٠٠ - ٦٠٠٠ مليون سنة .

٢- حقبة الباليوزوي : وطولها تقريبا ٣٥٠ مليون سنة . وتشمل هذه الحقبة الأزمنة الآتية :

الكمبرى ٧٠ مليون سنة ظهور أول الحياة البحرية .
حقبة الحياة القديمة الأورثوفاشي ٧٠ مليون سنة ظهور الأسماك .
- أو الأولى من الزمن السيلوري ٣٥ مليون سنة ظهور النباتات والحيوانات البرية

الأول الديفوني ٥٠ مليون سنة
الفحمي أو الكربوني ٦٥ مليون سنة كثرة النباتات
البرمي الأول ٥٥ مليون سنة موت كثير من الحيوانات
٣- حقبة الميزوزوي : وطولها تقريبا ١٦٠ مليون سنة وتشمل الأزمنة الآتية:

حقبة الحياة الترياسي ٣٥ مليون سنة أولى الديناصورات

الوسطى أو الجوارسي ٥٤ مليون سنة

- الزمن الثاني الكريتاسي ٧١ مليون سنة النباتات المزهرة

=====

وهى عبارة عن مركب صخري معقد تختلط فيه الصخور النارية والمتحولة ذات الأصل الناري أو الرسوبي والتي تكون الأساس الجيولوجي القاعدي .

=== ٤ - حقبة الكاينوزي أو السينوزي وطولها تقريبا ٦٥ مليون سنة وتمتد حتى الآن وتشمل الأزمنة الآتية :

الباليوسين	١١ مليون سنة	ظهور الحيوانات ذات الخف والأظافر
الايوسين	١٦ مليون سنة	ظهور النباتات البرية
<u>حقبة الحياة الحديثة أو</u>	١٢ مليون سنة	ظهور الحشائش
الميوسين	١٩ مليون سنة	
البليوسين	٤,٥ مليون سنة	أكالات اللحوم الضخمة
<u>الزمن الثالث</u>	٢ مليون سنة	انتهى منذ عشرة آلاف سنة*
<u>الزمن الرابع</u>	الهولوسين (الحديث)	

* ظهور بداية الإنسان العاقل في الهولوسين . وبنهاية البلايستوسين انتهى أيضا العصر الحجري القديم (الأسفل ، الأوسط ، الأعلى) وبدأ ما تعارف على تسميته بالعصر الحجري الوسيط (١٠,٠٠٠ سنة ق.م) واستمر حوالي ٧٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة ق.م . ثم بدأ بعد ذلك العصر الحجري الحديث منذ ٥٠٠٠ سنة ق.م ، ثم بدأ بعد ذلك عصر المعادن في نهاية العصر الحجري الحديث .

يرى بعض العلماء أن ظهور الإنسان العاقل Homo- Sapiens الذي يعتبر الجد الأكبر للبشرية في حوالي ٢٠ ألف سنة قبل الميلاد . وأن العصر الحجري القديم (بما فيه العصر الحجري الوسيط يبدأ من ٢٠ ألف سنة إلى ٦٠٠٠ ق.م) وأن العصر الحجري الحديث من ٦٠٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق.م . (== راجع تاريخ مصر القديمة وأثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٧ - ١٨) .

** وبين أزمنة البلايستوسين والهولوسين كانت توجد الفترات الجليدية على المناطق الشمالية من الكرة الأرضية ، وكانت تشمل أربع فترات هي : عصر جونز الجليدي انتهى من ٣٣٠ ألف سنة

عصر ميندل الجليدي

عصر ريس الجليدي انتهى من ١٠٠ ألف سنة

عصر فيرم الجليدي انتهى من ١١ ألف سنة

راجع لهذا التقسيم الجيولوجي ، الجدول الذي جاء في مذكرات

د. محمود عاشور مذكرات في الجغرافيا الطبيعية - كلية الآداب -

جامعة عين شمس ، عام ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .

وتشغل هذه الصخور حوالى ١٠ % (٩٣ ألف كيلو متر مربع) من المساحة الإجمالية لأراضى البلاد . وتظهر مكاشفها الرئيسية فى الصحراء الشرقية حيث تتواجد جبال البحر الأحمر كما تغطى الثلث الجنوبى من شبه جزيرة سيناء ، كما تظهر أيضا فى أقصى جنوب غرب مصر فى جبل عوينات وفى المناطق المتفرقة فى جنوب الصحراء الغربية . وتبرز بعض الكتل من هذه الصخور فى قاع نهر النيل وعلى ضفتيه كما هو الحال فى منطقة كلابشة عند الجندل الأول .^(١)

ومن أهم أنواع الصخور النارية التى جذبت انتباه الإنسان المصرى القديم صخور الجرانيت التى تتكون منها الكثير من القمم الجبلية فى الصحراء الشرقية وفى منطقة أسوان التى تتميز بنوع وردى كبير الحبيبات جيد التبلور وهو ما يعرف علميا باسم " جرانيت أسوان التذكارى " Aswan Monumental Granite .

وكذلك صخر الديوريت الأسود وهو صخر نارى جوفى قاعدى ويتواجد مع هذه المجموعة كما يكون بعض التلال المميزة مثل التل الموجود بجنوب الصحراء الغربية وجنوبى غرب أسوان ، والتى استقطع منها الحجر المصنوع منه تمثال الملك خفرع الشهير الموجود بالمتحف المصرى ، ولذلك أطلق عليه اسم " ديوريت خفرع - Kephren Diorite " .

ومن بين الصخور المتحولة والتى تنتمى إلى هذه المجموعة أنواع كثيرة أشهرها صخور الناييس والشست^(٢) و الكوارتزيت التى تتواجد بوضوح فى الجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية حيث تكون صخور الناييس^(٣) سلسلة جبال (حفلايت) و (سكيت) وحول وادى الجمال الذى استقر فيها المصريون القدماء ولا تزال

(١) د. محمد صفى الدين : مرفولوجية الأراضى المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الذى يحتمل أنه يرجع أصلا إلى حجر طينى ، راجع : د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

أطلال مدينة سكيت قائمة حول مناجم إنتاج حجر البريل^(١) Beryl الذى كان يستخدم فى أدوات الزينة الخاصة بالملكات .

كما تظهر صخور الشست فى أنحاء متفرقة من الصحراء الشرقية وخاصة حول وادى الجرف فى الجنوب . وقد استخدمه المصريون القدماء فى صناعة بعض التماثيل نظرا لدقة حبيباته وانتشاره فى هذه الأماكن .

وينتشر حجر الكوارتزيت الأحمر ، الذى صنع منه المصريون القدماء كثيرا من تماثيلهم ولوحاتهم ، فى منطقة الجبل الأحمر ، وهذا الجبل جزء من جبل المقطم وقد تكون فى عصر الميوسين من الزمن الثالث الجيولوجى .^(٢) ويوجد الكوارتزيت كذلك فى منطقة جبلين .

ومن صخور هذه المجموعة أيضا صخور الإردواز وصخور البرشا التى تكون جزءا من مجموعة الرسوبيات التى تجمعت فى بعض أحواض صغيرة فى الصحراء الشرقية بعد حركات الرافعة للجبال . واشهر مناطق تواجدهما فى وادى الحمامات التى سميت باسمه " رواسب الحمامات " .

وتتمثل هذه المجموعة أحدث صخور القاعدة المركبة الغير متحولة . وتتميز صخور الإردواز بصلابتها ودقة حبيباتها وبألوانها الخضراء والحمراء وكذلك صخور البرشا التى استخدمها المصري القديم فى عمل ألواح رخامية وهى مشهورة باسمها اللاتينى :

“ Breccia Rosso Antico and Bressia Verdi Antico ”

وتوجد محاجر هذه الصخور بمنطقة الفواخير على طريق قفط القصير حول مناجم الذهب القديمة .

(١) " حجر كريم أخضر اللون " .

(٢) تاريخ مصر القديمة وأثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٩٨ .

أما صخور البازلت فهي صخور بركانية قاعدية دقيقة الحبيبات شديدة الصلابة ويمثل أحدث الصخور النارية التي نتجبت عن نشاط بركاني في عصر الأوليجوسين التابع للزمن الثالث الجيولوجي^(١).

وتظهر صخور البازلت في منطقة جبل القطراني بمنطقة الفيوم وبمنطقة أبو زعبل وفي شمال غربى أهرام الجيزة^(٢) وعلى امتداد طريق مصر السويس وكذلك في جنوب غرب سيناء كما تظهر أيضا في عدة مواضع بالصحراء الغربية جنوبى الواحات البحرية وفي مناطق متناثرة شرقى النيل عند سمالوط والبهنسا ومنفلوط^(٣). ولا تزال هذه الأحجار البازلتية تستخدم حتى الآن فى شتى أعمال البناء والتشييد .

وأخيرا أحجار الصوان أو الظران التى توجد فى مناطق متفرقة فى جميع الأراضى والصحارى المصرية .

(٢) الأحجار الرملية النوبية التى تغطى حوالى ٢٩ % من مساحة الأراضى المصرية بسمك حوالى ٥٠٠ متر وتمتد إلى مسافات كبيرة خارج حدود البلاد حيث يمكن تتبعها بمسافة تزيد على ١٥٠٠ كم غربا كما تمتد بطول المسافة نفسها تقريبا إلى الجنوب .

وتتميز هذه الأحجار بأنها جيدة التصنيف متعددة الألوان وصالحة لمختلف الأغراض فى البناء والتشييد . هذا إلى جانب المرمز " الكلسيت " ويوجد بالقرب من حلوان وفى جنوب شرقى تل العمارنة والإليباستر المصرى .

(٣) الصخور البحرية الطباشيرية والجيرية وتغطى حوالى ٤٣ % من سطح الأراضى المصرية ، وهى تنتمى إلى عصور جيولوجية مختلفة أهمها الكريتاسى من الزمن الثانى والأيوسين والميوسين من الزمن الثالث بنسب متفاوتة^(٤) وقد تكونت

(١) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(٣) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ٣٦ - ٣٨ .

هذه الأحجار نتيجة لتقدم بحر تيثس Tethys الجيولوجى القديم الذى يعتبر أصل البحر المتوسط الحال^(١) والحجر الجيرى ، وهو حجر البناء الرئيسى فى العمارة المصرية القديمة ، تمتد طبقاته بين القاهرة وقنا .

(٤) تلال الحجر الجيرى البويضى فى شمال الصحراء الغربية ، والرواسب البحرية ، والشواطئ المرتفعة ، ورواسب الوادى والدلتا ، والتلال الرملية والشعاب المرجانية ... وهى تغطى جميعا نحو ١٦ % من المساحة الإجمالية للبلاد .

(٥) صخور أخرى كرواسب الحصى والدماليك من عصر الاوليغوسين ، والصخور البازلتية ، وتحتل ٢ % من مساحة البلاد .

وقد سمحت صلابة بعض هذه الصخور والأحجار أن تبقى أكثر مما عداها دواما واستمرارا . هذا إلى جانب توافر مواد البناء والتشييد وأحجار الزينة وبعض المعادن والمواد الأخرى فى باطن الأرض وعلى سطوحها . فمن وادي الحمامات كان المصري القديم يحصل على نوع خاص من الحجر البركاني وعلى بعض أنواع الجرانيت . وفى وادي العلاقي كانت توجد مناجم الذهب ، وفى وادي الهوى كانت توجد مناجم النحاس والذهب والبيريت وحجر الجمشت الذى كان يستخدم فى زينة الحلى . وفى وادي المغارة مناجم الفيروز . وفى وادي النطرون كان يوجد النطرون الذى يدخل كثير من الصناعات والأغراض .

وكان يوجد أيضا بعض المواد الأخرى مثل طمى النيل ومواد النباتات من البردى والغاب وخنوع بعض الأشجار مثل النخيل والجميز .

ثالثا : وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطوبىه الغنى :

كان له أكبر الأثر فى تكوين أرض هذا الوادى ، وإعدادها لتكون مهدا لاستقرار الإنسان المصرى القديم وتكوين حضارة عريقة أصلية ، وهو يعد من أطول

(١) د. محمد صفى الدين ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

أنهار العالم ، إذ يبلغ طوله بالكيلو متر ٦,٦٧١^(١) ، واتجاهه العام هو من الجنوب إلى الشمال . وهو يمر في مناطق متنوعة يربط بينها ، فهو ينبع في المنطقة الاستوائية المرتفعة ، وتمر بعض منابعه في أخاويد يشبه مناخها النوع الاستوائي المنخفض . ثم يمر في منطقة حوض الجبل والغزات ذات شبه المناخ شبه الاستوائي . ويتلقى بعد ذلك من الشرق منابعه الحبشية التي تأتي من المنطقة شبه موسمية ، ثم يمر بالسودان ، وهو يمثل منطقة مناخية قائمة بذاتها .

أما عن التطور الجيولوجي لنهر النيل فيمكن القول أنه لم يكن دائما في صورته التي نراه عليها الآن ، وإنما كانت في أول الأمر ثلاثة فروع نهريّة يستقل كل منها عن الآخرين : أولها في الهضبة الاستوائية ، وثانيها في الهضبة الحبشية ، وثالثها في بلاد النوبة ومصر .

وقد دلت البحوث إلى أنه قبل أن يتكون نهر النيل بصورته الحالية في أرض مصر ، كان هناك نهر أطلق عليه اسم " النيل القديم " أو " النهر الليبي " ^(٢) ، وهو نهر قديم كانت دلتاه تقع في شمال منطقة الفيوم الحالية . وعندها كان يبدأ ساحل البحر المتوسط الذي كان يصل إذ ذاك حتى شمال الفيوم ثم تكامل تكوين هذه الدلتا عند مطلع زمن الميوسين ، وحدثت اضطرابات بركانية هي التي ظهرت بسببها تكوينات جبل القطراني في شمال الفيوم ، ولا يعرف بالضبط مجرى تلك النهر القديم .

وقد بدأ ذلك النهر القديم في جريانه على أرض مصر نحو الشمال بعد أن انحسر البحر المتوسط القديم على أرض مصر نحو الشمال ، واشتد جريان ذلك النهر

(١) أطول أنهار أفريقيا وثاني أنهار العالم بعد المسيسيبي ، وحوضه عظيم المساحة إذ يبلغ أكثر قليلا من ثلاثة ملايين من الكيلو مترات المربعة و ٣,٠٠٧,٠٠٠ ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧ - ٩ .

على الخصوص خلال زمن الاوليجوسين .

وخلال عصر الميوسين حدثت اضطرابات في أرض مصر وفي منطقة البحر الأحمر ظهرت على اثرها تلال البحر الأحمر في مصر من جهة ، وجبال الحجاز في الجانب الشرقي من جهة أخرى ، وارتفاع الأرض في شمال شرقي أفريقيا من ناحية ثالثة ؛ وقد أدى ذلك إلى حدوث تغيير في نظام جريان المياه ، فانتهى النيل القديم بصورته التي أشرنا إليها ، وبدأ نظام نهر النيل الحالي .

وفي خلال هذا العصر أيضا حدث هبوط خفيف في المنطقة التي يجرى فيها نهر النيل الحالي ، فتجمعت المياه في ذلك الهبوط ، وجرت نحو الشمال إلى البحر المتوسط . وبذلك بدأ نهر النيل الحالي يحفر مجراه الذي نعرفه في أرض بلاد النوبة ومصر .

وعندما جاء عصر البليوسين عادت الأرض فهبطت قليلا بالنسبة إلى البحر . وكان النهر قد عمق مجراه ، فطغت مياه البحر من جديد في هيئة لسان طويل من الماء المالح ووصل إلى منطقة أسوان ذاتها . وترك ذلك الخليج المستطيل أثره في تكوينات ملحية توجد الآن آثارها في قاع الوادي وعلى بعض جوانبه ^(١).

وفي نهاية عصر البليوسين بدأ عصر مطير ، ثم أخذت هذه الأمطار في القلة بعد ذلك . وامتاز هذا العصر الممطر بزيادة الأمطار أيضا في بلاد الحبشة وفي شرق أفريقيا . وترتب على ذلك ازدياد في كمية المياه والرواسب التي تصل إلى مصر إبان الفيضان . وكان من نتائج ذلك أن جاءت سلسلة من الفيضانات العالية ^(٢) التي جلبت مزيدا من الرواسب إلى أرض مصر ، وألقت بها على سطح التربة ، فردمت ما تخلف من مستنقعات قديمة وأكملت تكوين الدلتا وقاع الوادي في كل مكان من مصر الوسطى والعليا ، وبذلك زاد تمهيد الأرض وإعداد التربة وتوسيع رقعة

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) عن تذبذب فيضان النيل ، راجع : د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية

العمران في مصر القديمة ، ص ٥ - ٦ .

الطمي والأرض السوداء ، مما ساعد بالتدريج على تكوين بيئة الاستقرار الزراعى فى أرض مصر فيما بعد .^(١)

وترتب على بداية العصر المطير فى مصر وبلاد النوبة فى أواخر زمن البليوسين على زيادة الأمطار واشتداد جريان المياه فى نهر النيل ، وزادت عملية نحت الصخور وجرف الرواسب من مرتفعات النوبة وشرق السودان وأطراف ارتيريا وشمال الحبشة وكذلك من الصحراء الشرقية فى مصر .

وكان نهر النيل يجمع كل تلك المياه والرواسب ، وامتاز مجراه فى بلاد النوبة بالنحت ، وامتاز مجراه فى مصر بالارساب . ونتيجة لتلك الرواسب الكثيرة ردم مجرى الخليج القديم ، وتكونت مدرجات نهريّة على جوانب النيل . وتكونت هذه المدرجات بالتدريج ابتداء من عصر البليوسين حتى مطلع البلايستوسين .

وكانت هذه الرواسب كذلك بمثابة " البطانة " لما جاء بعدها من رواسب دقيقة جاءت من الحبشة والمكونة من الطمي وقشيرات الميكا الدقيقة التى جلبتها الروافد الحبشية ، بعد أن اتصلت بنهر النيل فى زمن البلايستوسين .

فى أواسط زمن البلايستوسين حدثت بعض الاضطرابات الأرضية فالتصّلت هذه الروافد الحبشية ببعضها واتخذ النهر صورته التى نراها عليه الآن من اتصال أجزائه بعضها ببعض . ونتيجة لاتصال النيل بهذه الروافد ومروءه بالمناطق المختلفة أن امتلأت مياهه بالرواسب من الحصى والحصباء والغرين ، أى مواد طينية وصلصالية .^(٢)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧ - ٩ ، ١١ ، ١٥ .

(٢) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ١٠٣ ، ١٩٧ - ٢٠٠ ،

٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ وعن تطور شكل النيل وتطور دلتاه ، راجع : د. محمد

عوض : نهر النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص

١٧٩ - ١٩٨ .

أصبح النيل يكون بين منطقة بربرة وأسوان خمسة جنادل . وكان يصل إلى البحر المتوسط عن طريق سبعة أفرع هي :

الفرع البيلوزى ، الفرع الثانيتى ، الفرع المنديزى ن الفرع الفاتيتى ،
الفرع السبنتى ، الفرع البليبتى ، الفرع الكانوبى .^(١)

وبفضل مياه الحبشة ونتيجة للأمطار الاستوائية التى لها صفة الدوام طوال العام ، أصبح النيل يمتلك مصدرا لا ينقطع من المياه ، وأصبح النيل نهرا دائم الجريان .^(٢) ولولا ذلك لتحول النيل فى مصر العليا بالتدريج إلى واحد من تلك الأودية الجافة التى نراها الآن بالصحراء الشرقية أو فى بلاد النوبة .

ووصول مياه الحبشة غزيرة ووفيرة الطمى ، تساعد بما تحمل من رواسب على تمهيد مجرى النيل وإزالة العقبات منه ، لا سيما فى مناطق الجنادل لأن المواد التى تحملها مياه النيل كانت بمثابة المعاول التى تجرف قاع النهر وتقطع جوانبه وتمهد مجراه .

وبفضل الأمطار التى تتساقط على هضبة الحبشة المرتفعة ، والأمطار الاستوائية تحدث تلك الظاهرة الطبيعية التى جذبت أنظار العالم القديم ، ألا وهى فيضان النيل . وبسبب طول المسافة التى تجرى فيها مياه النيل ، فإن الفيضان الذى يبدأ فى المناطق الحارة فى شهرى مايو ويونيه لا يصل فى مصر إلا فى شهر يوليو ، وابتداء من هذا التاريخ فإن الفيضان يزداد بفضل أمطار الحبشة ، (حيث يصل أعلى منسوب للأمطار من شهر يونيه إلى أكتوبر) لذلك فإن فيضان النيل يعتبر فيضانا صيفيا .

(١) انظر : Daumas, La Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris :

1965, p. 512 carte I, 1.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣ - ١٤ .

وقد فحص العلماء ماء النيل فوجدوه مشتملا على مواد غازية نافعة في غذاء النباتات ، وهذا بيان بما وجد في اللتر الواحد منه^(١) :

حامض كربونيك	٥,٠٧ سم مكعب
أزوت	١١,٧١
أوكسجين	٤,٨٨

وفي اللتر الواحد نجد المواد الجامدة الآتية^(٢) :

سلسالات	٠,٠٣٤
حمض الكبريت	٠,٠١٧
جير	٠,٠١٠
كلور	٠,٠٠٤
حمض الفسفور	اثر

وحمض الفسفور والبوتاسا ، وهما العنصران المعدنيان اللذان عليهما الدور الأعظم في الخصوبة ، تكثر كميتهما في شهرى أغسطس وسبتمبر ، بخلاف باقى الأشهر^(٣).

أما الأملاح الجيرية وأملاح المنيزيا فهي بعكس ذلك ، أى قليلة في ماء النيل كثيرة في غيره ، ولذلك كان موصوفا في كل الأزمان بالخفة وجودة الاستعمال ، وكذا الصودا قليلة في ماء النيل بالنسبة لغيره ، وأما البوتاسا فهي كثيرة فيه ، وكل ذلك في اشهر الفيضان الثلاثة يونيو ويوليو وأغسطس ، عندما تكون

(١) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة ،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

المواد الذائبة مستجمعة لأعظم صفات الخصوبة .^(١)

رابعاً : تكون أراضي الوادي الطويلة والتربة الصالحة :

مرت الأرض المصرية بعدة مراحل من التطور في العصور الجيولوجية الطويلة قبل أن تصبح أهلة بالسكان من السلالات البشرية القديمة حتى استقرت على صورتها الحالية .

يقال أن تاريخ أرض مصر الجيولوجي بدأ في فجر الباليوسين بفترة طويلة من النحت تعرضت لها الصخور النارية والمتحولة والتي تكونت قبل هذا التاريخ ، واستمرت حتى أواسط زمن الأيوسين وتبعتها سلسلة من الانخفاضات ارتبط بها تكون أراضي حسر وغمر ، استمرت حتى نهاية هذا الزمن ، وتكونت رواسب هذه الفترة أكثر من ٥٠ % من مساحة الأراضي المصرية .^(٢)

وفي عصر الأوليجوسين كانت مياه البحر الأبيض المتوسط تصل إلى جنوب إسنا ، ثم حدث ارتفاع في الأراضي المصرية في هذا العصر أدى إلى ظهور أكثر الأراضي المصرية ، كما أن نهر النيل بدأ يشق واديه فوق هذه الرواسب ، وأن يملأه في أواخر عصر الميوسين واتخذ مجراه الحالي تقريباً .^(٣)

وأصبح شكل الوادي هو الشكل الحالي عبارة عن خط مستطيل في أغلب الأحوال ، ومتعرج أحيانا ، ينتهي في النهاية بما يشبه الرقم " سبعة " أي أن الخط المستطيل هو الوجه القبلي ، ينتهي بالمثلث المقلوب الذي يمثل الدلتا والتي تبدأ شمالي مدينة القاهرة بنحو ٣٠ كيلو متر .^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٢) د. محمد صفى الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

وتسمية الدلتا هي تسمية يونانية لأن شكلها يشبه حرف الدلتا اليونانية ، وقد ظل هذا الاسم يطلق عليها حتى الآن ، وكان هذا المثلث المقلوب مكونا من الأراضي المنخفضة ، ويبلغ طول قاعدته على شاطئ البحر المتوسط حوالى ٢٤٠ كيلو متر ^(١) . وكان للرواسب التى تكونت ابتداء من عصر الباليوسين أثرها فى تكوين التربة المصرية . إذ أننا نجد ابتداء من هذه الفترة أن الوادى كان يحتوى على طبقات خشنة فى القاع تعتبر بمثابة المصفاه التى تتشرب المياه وتجري بها تحت سطح الأرض حتى تبلغ البحر . أما الطبقة العليا من التربة فهى تلك التى تتكون من مواد غريبة ناعمة وغير مسامية . وقد اشتهل كثير من العلماء قديما وحديثا بتقدير سمك الطبقة التى يعلو بها وادى النيل فى كل قرن ، وبعد أبحاث طويلة قدروا أنها ١٢٦ مرة من المتر أى ١٢,٢٦ سم ، وأن قاع النيل يعلو بقرب أسوان فى كل مائة عام ١٣٢ ملليمتر (١٣,٢ سم) وفى مدينة القاهرة مائة وعشرين ملليمتر (١٢ سم) ، ولاش: أن هذا التفاوت ناشئ عن انحدار النيل وسرعة جريانه ^(٢) .

وعرف بالتجارب الصحيحة أن علو أرض النيل بالطمي يبلغ فى كل ألف سنة ١,٢٦ متر . فيكون ارتفاع أرض الوادى بالطمي من عهد الملك نعرمر - منى أول ملوك الأسرة وبداية تسجيل ارتفاع فيضان النيل عام ٣٣٠٠ ق. م . إلى عام ١٩٦٠ ميلادية بداية حجز الطمي وراء السد العالى أى فى مدة ٥,٢٦٠ سنة حوالى ٦,٦٢ متر .

ها هي صورة أرض مصر نفسها التى هي عليها الآن ، وهى الصورة نفسها التى كونتها الطبيعة . ونجد أن الأرض المزروعة كانت أكثر اتساعا فى الدلتا ، وفى أماكن أخرى نجد أن الوادى لا يتسع إلا لعدة كيلو مترات ^(٣) .

(١) عن المراحل التطورية التى مرت بها الدلتا فى العصور الجيولوجية ، راجع : د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، ١٥١ .

(٣) كما تعتبر أراضي شمال سيناء من أجود الأراضي المصرية الخصبة الصالحة لزراعة القمح والشعير لتوافر مياه الآبار والأمطار التى تتحدر من أعالي قمم الجبال المحاطة بها صحراء وسط سيناء والتى تأخذ معها ما يسمى بطمي الجبال الذى يغمر الأرض بعدها والذى يعتبر كالمسود الخصب للتربة لأنه يحتوى على ١٦ عنصرا من العناصر التى يتغذى عليها النبات .

ولنا أن نفكر أيضا أن مصر بامتدادها الذى يبلغ مساحة بلجيكا أو ضعف طول فرنسا لا تبلغ المساحة المنزرعة منها سوى ٣٠ ألف متر مربع (١).

الوديان والواحات الشاسعة والصحارى المترامية :

كان للنيل عدة روافد فى الصحراء الشرقية لم يبق منها غير أثر محاريبها فى الوديان هناك . وقد جفت هذه الروافد فى العصر الحجرى القديم (الباليوليتى) وفى زمن الميوسين كان النيل قد اتخذ مجراه الحالى تقريبا . وكانت له عدة روافد فى الصحراء الشرقية ولم يأت العصر الحجرى القديم على مصر حتى كانت هذه الروافد قد جفت ، وانفصل خليج السويس عن البحر المتوسط وانكمش خليج العقبة وظهر منخفض الفيوم ، إذ سار فرع من النيل إلى ذلك المنخفض الشبيه بالواحة . وقد تغيرت عوامل الطبيعة فجفت فرعا للنيل كان يسير فى الصحراء الغربية منذ زمن الميوسين وبقي حتى نهاية زمن البليوسين (٢).

ومن أهم أماكن الوديان القديمة التى استخدمها الإنسان المصرى القديم واستغل ما فيها من ثروات طبيعية : وادى الحمامات ، وادى العلاقى ، وادى اليهودى ، وادى المغارة ، وادى النظرون .

أما عن الواحات فيوجد منها عدد غير قليل فى صحراء سيناء وفى الصحراء الشرقية ، ولكن العدد الأكبر منها نجده فى الصحراء الغربية ، وكانت فى الأصل سبع واحات ولكنها الآن خمس فقط وهى : البحرية ، والخارجة ، والداخلية ، والفراقة ، ومسيوه .

وكانت أرضها صالحة للزراعة ووفيرة الخيرات لذلك استغلها الإنسان المصرى أفضل استغلال وذلك منذ أقدم العصور .

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

أما عن الصحارى فكانت فى العصر الحجرى القديم المسرح الأول لنشاط الإنسان فى هذا الركن من أفريقيا . أما بعد انقضاء عصر الأمطار وطول الجفاف نرح السكان أو الجماعات المتنقلة إلى الوادى واضطروا إلى الإقامة على ضفافه . وقد جفت الصحارى تماما فى العصور التاريخية ، وقل بها السكان ، عدا بعض القبائل المتنقلة فى الصحراء الشرقية ، وفى شمال الصحراء الغربية ، وبعض السكان المستقرين بالواحات .

ولم تستطع هذه الصحارى المترامية أن تغير من أسس الحضارة المحلية بل على العكس من ذلك فقد أعطت مصر نوع من الأمان ، وكانت مثل الدروع التى تقى أرض مصر أو أرض الوادى من شر الغزوات .^(١)

خامسا : توافر المناخ المعتدل :

ان الخطوات الأولى التى خطاها الإنسان على طريق الحضارة فى العصر الحجرى القديم ، وهو أول العصور الحضارية للمجموعات البشرية ، قد عاصر زمن البلايستوسين وهو أحدث العصور الجيولوجية وآخر عصورها فى تاريخ الأرض - وكان ابتداءه منذ نحو نصف مليون سنة ونهايته فى أوائل الألف العاشرة ق.م. تقريبا .

ولقد شهدت الأرض فى هذا الزمن أربع فترات طويلة من الزحف الجليدى على المناطق الشمالية من الكرة الأرضية ، كانت تتأثرها فى المناطق الاستوائية أربع فترات من الأمطار الغزيرة . ووقوع منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم بما فيها مصر فى مكان وسط بين الظروف الجغرافية القاسية ، أى بين الزحف الجليدى فى الشمال ، والأمطار المستمرة الغزيرة فى الجنوب ، جعلها تتمتع بمناخ معتدل نسبيا لا يعوق النشاط الإيجابى للمجموعات البشرية التى تقطنها ، ومن ثم لا

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩ ، ٢٥ .

تعوق حرية تحركاتها وتقللتها (١).

كانت الأمطار الشتوية في مصر في العصر الحجري الحديث أوفر منها الآن ، وعندما كانت تهطل الأمطار في المناطق الصحراوية كانت تملأ بعض المنخفضات فتحيلها إلى بحيرات ، تنبت حولها الأشجار والأحراش ، وتغذيها مياه الأمطار التي تسقط فيها وفي مجارى الوديان المختلفة التي تصب في تلك المنخفضات (٢).

وقد أدى هذا المناخ الرطب الذى ساد في هذه الفترة إلى تدعيم الحياة النباتية المتنوعة في الوادى وحول حوافه ، وكذا في تلال البحر الأحمر . فكانت الأمطار تغذى النباتات طوال أشهر الشتاء . ويذكر بوتزر أن الأمطار أخذت تقل في الصحراء الشرقية والغربية بحيث أصبحت غير كافية لتدعيم وإعاشة أى حجم سكاني ، باستثناء المناطق ذات الأودية والينابيع والواحات ، ولهذا لم يحدث انتقال الإنسان إلى الوادى فجأة . ولكن واكب ذلك التطور المناخى في المنطقة (٣) وساء بعد ذلك الطقس الصحراوى فيما عدا المناطق الساحلية في شمال الدلتا ، وأصبحت الأمطار نادرة جدا (تبلغ في المتوسط ٣٣ ملليمتر في العام) . وأصبحت الرياح جافة (باستثناء الرياح الشمالية) ، وأصبحت درجة الحرارة اليومية تختلف بفارق كبير في النهار عنها في الليل . وتصل الفوارق في الشتاء بين ١٥ - ١٦ درجة . وصارت الشمس ساطعة طوال النهار ، شديدة الحرارة في الصيف ، كان لها تأثير على ظهور النبات ونضوجه . واعتدال المناخ جعل الأرض صالحة لأن تنمو بها محاصيل البلاد الدفيئة والمعتلة على حد سواء (٤).

-
- (١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة ، ص ٢٧ - ٢٨ .
 (٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٣٥ .
 (٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .
 (٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ .

سادسا : تكامل عناصر البيئة المصرية :

نقصد بالتكامل هو التوافق بين عناصر البيئة الطبيعية والجغرافية ، ويظهر هذا التكامل فى أكثر من عنصر أو ظاهرة :

(١) توافر المناخ الصالح للإنبات والنمو والحصاد ، فاعتدال المناخ جعل الأرض صالحة لأن تنمو بها محاصيل البلاد الدفيئة والمعتدلة على حد سواء .

(٢) توافر التربة الخصبة والطمى الغنى الذى تجلبه مياه الفيضان .

(٣) وفرة المياه فى كل أوقات العام بفضل النيل وتوافر الأمطار الشتوية فى فترة من الفترات . يأتى الفيضان فى أواخر الصيف وأوائل الخريف . ومنتصف الخريف هو الوقت الملائم للزراعة . فكان الفيضان يأتى ويغمر الأرض بالطمى أو الغرين والماء ثم ينحسر عنها فى أصلح وقت لزراعة النباتات الشتوية وأهمها الشعير والقمح . هذا إلى جانب أن الأمطار الشتوية فى مصر كانت فى العصر الحجرى الحديث أوفر منها الآن ، فكانت تغذى النباتات طوال أشهر الشتاء ، هذا بالإضافة إلى الرى بمياه النيل وحتى إذا حل آخر الربيع وأول الصيف تصبح نباتات الشتاء فى كامل نموها وتتقطع الأمطار ويحين حصادها .^(١)

(٤) نجد هذا التكامل أيضا فى مياه نهر النيل الضرورية للأرض الزراعية ولحياة الإنسان فإذا كانت هذه المياه تسمح بتأمين ثروته الزراعية ، فإنه يؤمن له مصدرا آخر للغذاء وهى الثروة السمكية المتنوعة .

(٥) المناخ عامل مساعد للتربة :

فبعد أن يتم الحصاد ، يجئ أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ، فتجف التربة وتتشقق الأرض الزراعية ، وتموت الحشائش الضارة ، ويؤدى هذا

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

التشقّق إلى تفتح التربة ودخول غازات الهواء داخل التربة التي تجدد خصوبتها . حتى إذا ما جاء الفيضان من جديد في آخر الصيف ، عاد فغطى الأرض من جديد وتدخل كمية من الطمي في التشققات الأرضية وتكسر سطح الأرض طبقة إضافية من الطمي ، حتى تتحسر مياه الفيضان ويحسّ الإنسان ليزرع الأرض فيجدها مثل الخميرة المعدة للتفاعل مع كل ما يلقي في باطنها من بذور .

(٦) نجد هذا التكامل أيضا في أن نهر النيل يأتي من الجنوب فيندفع تياره من الصعيد إلى الوجه البحرى ، ويدفع تلك التيار المراكب فى ذلك الاتجاه . وكانت الرياح الشمالية الدائمة ، ولا زالت تجرى فى أغلب السنة فى اتجاه شمال جنوب ، وبذلك استطاع الإنسان المصرى القديم أن يستغل قوة اندفاع الرياح ، وظهر الشراع وانطلقت المراكب الشراعية من الدلتا نحو الصعيد مغالبة تيار النهر حتى فى أيام فصل الفيضان .

ولذلك عير المصرى القديم فى نصوصه عن الإبحار من الجنوب إلى الشمال " بالنزول " مع قوة اندفاع تيار نهر النيل ، ومن الشمال إلى الجنوب " بالصعود " مع قوة اندفاع الرياح الشمالية .

(٧) لا يقف التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية فى مصر عند هذه الظواهر التى نكرناها ، ولكن نجد الوادى والصحراء . فالصحراء تحيط بالوادى من جنباته ، وتقيه كأنها دروع من الشرق والغرب . وقد أبرزت هذه الصحراء الصفراء أهمية الوادى فى الشمال ومجرى النيل السريع وجنابله فى الجنوب .

أصل الإنسان المصري القديم

هناك من يعتقد بأن المصريين القدماء كانوا من أصل حامى ، أو مزيج من الساميين والهاميين ، أو أن التأثير الزنجى كان هو أقوى التأثيرات على المصريين القدماء ، بل هناك من يربط بين المصريين القدماء الأصليين والجنس القوقازى .

ولقد درست هذه الآراء والتصورات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بواسطة علماء المصريات والمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا الطبيعية ، كما تمت الدراسة عن طريق الصور وكتابات المؤرخين القدماء والكتب المقدسة ومقاييس بقايا الجماجم والهيكل العظمية والعادات والتقاليد .. الخ . ولكن لم يصل العلماء فى هذا الموضوع إلى نتائج مرضية حتى الآن . ولقد عقدت هيئة اليونسكو مؤتمرا علميا فى القاهرة سنة ١٩٧٤ عن موضوع ' أصل المصريين القدماء ' ، وثبت أن هذا الموضوع لا يزال يحتاج إلى دراسات متعددة تشمل بعض جهات مصر وبعض المناطق خارج مصر من النواحي الأثرية والأنثروبولوجية ، كما تعوزه دراسة شاملة للهجرات القديمة إلى مصر ومسالكها المتعددة ، وخاصة أن مصر لم تعرف الهجرات الكبيرة التى هاجرت إلى بلاد الشام والعراق ، بل كانت الهجرات السامية محدودة ، كذلك لم تدرس بعد البقايا البشرية الدراسة العلمية الكافية .

وأخيرا فإنه لا بد من بحث مدى تأثير مصر بالعبادات والتقاليد الأفريقية مثلا ، بل أن الموضوع يحتاج إلى الاستعانة بما سوف يتم فى المستقبل من دراسات تاريخية وأثرية وأنثروبولوجية خاصة بشبه الجزيرة العربية بما فيها مناطقها الشرقية والجنوبية .^(١)

(١) د. جمال مختار : دور منطقة الخليج فى الحضارة القديمة ، فى مجلة ثمار

الفكر ، جامعة قطر - العدد الثانى عشر ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٦ .

ولكن نستطيع أن نقول أنه منذ العصر الحجري القديم - أى منذ أقدم العصور التى نرجع إليها بالنسبة لعصور ما قبل التاريخ بوجه عام - كان الإنسان المصرى يعيش فى الصحارى ، أما بعد انقضاء عصر الأمطار وحلول الجفاف فقد ترح الإنسان إلى الوادى ، واضطر إلى الإقامة على ضفاف النيل .

وليس من السهل معرفة أو التأكد من أى جنس كان ينتمى هذا الإنسان ولا نستطيع أيضا معرفة ، هل هذا العنصر من السكان قد استمر فى حياته بين هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى وادى النيل فى بداية العصر الحجري الحديث أم لا ؟ ولكن من المحتمل - على أية حال - إذا وجدت بعض هذه العناصر البشرية فى بداية العصر الحجري الحديث ، فلا بد أنها قد اندمجت مع عناصر المهاجرين الجدد والسلالات البشرية الأخرى .^(١)

ويرى بعض العلماء أن هناك فترة جفاف قد حلت فى شمال وشرق أفريقيا فى بداية العصر الحجري القديم الأعلى ، ولذلك اضطرت الأجناس التى كانت تتنقل فوق الهضبة الصحراوية فى العصر الحجري القديم الأعلى ، إلى الهجرة والبحث عن أماكن نقاط المياه . ويرجع إلى هذه الفترة - بون شك - أول استقرار حقيقى للإنسان فى مصر . فقد عثر من هذا العصر على بقايا هيكل عظمى فى منطقة كوم امبو .^(٢) ولا نستطيع القول بأنها تنتمى إلى عنصر بشرى واحد ، ولا نستطيع القول أيضا بأن سكان مصر الأصليين قد انتموا فى هذه الفترات البعيدة إلى جنس نقى موحد ، ولكن يمكن القول بأن العنصر الأساسى والرئيسى المسيطر على هؤلاء السكان ، كان بالضرورة من أصل أفريقى . هذا بالإضافة إلى عنصر مغذى بصفة

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤ - ١٥ ، ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

وحديثا عثرت بعثة جيولوجية فى بداية عام ١٩٨٧ على هيكل عظمى كامل متحجر لإنسان مصرى عاش فى منطقة وادى الكوبانية غرب نهر النيل فى كوم امبو يرجع تاريخه إلى ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد .

دائمة وهو العنصر الحامي ، أى العنصر القريب من سكان شمال وشرق أفريقيا كالبربر الذى ينتمى إليهم حاليا قبائل التوارج والقبيل والبجة من شرق أفريقيا ^(١) . ويبدو أيضا أن هذا العنصر الحامي ، لم يحافظ على نقائه أو على الأقل بقى نقيا ، فلا بد أن عناصر سامية قد اختلطت به منذ البداية أيضا . وقد جاءت تلك العناصر من الشرق عن طريق شبه جزيرة سيناء ، ومن الجنوب وهذا من المحتمل أيضا ، عن طريق البحر الأحمر ، وصحراء الجزيرة العربية .

وينكر د. فخرى قوله : " روى قنماء المصريين في العصر المتأخر لبعض الرحالة أنهم جاءوا من الشرق والجنوب ، وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البلاد وأخضعوهم لسيطرتهم " ^(٢) .

وفى الواقع أن هذه الأقوال قائمة على ما تذكره أيضا الأساطير المصرية من أن المصريين كانوا ينتمون إلى " أتباع المعبود حورس " وأن هؤلاء الأتباع هم الذين جاءوا من الجنوب والشرق وعلموا المصريين (الأصليين) الحضارة وأخضعوا البلاد لسيطرتهم . وقد رأى الكثير من المؤرخين فى هذه الإشارة إلى أن أتباع المعبود حورس قد جاءوا بالفعل من شبه الجزيرة العربية . وعبروا البحر الأحمر وساروا على طول ساحل البحر الأحمر الغربى ثم تقدموا شمالا حتى وصلوا إلى مصر ^(٣) .

وقد بالغ بعض المؤرخين فى حجم هذه الهجرة السامية ، ولكنها فى الواقع سرعان ما اختلطت بالعناصر الأفريقية والنوبية التى كان لها وجود وتأثير واضح

(١) د. السيد غلاب - د. يسرى الجوهري : الجغرافيا التاريخية ، ١٩٧٠ ، ص

٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٩ -

١٤١ .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص

٧٦ - ٧٧ ، ١٥٢ .

أيضا وبالعناصر الحامية التي كانت قليلة العدد .

ويمكن القول بأنه منذ العصر الحجري الحديث الأعلى وبداية عصر الأسرات ، وكان سكان مصر يمثلون أجناسا أفريقية ونوبية اختلطت بها بعض العناصر الحامية والسامية . ولم يتغير هؤلاء السكان قط على مر آلاف السنين ، حتى أننا نجد اليوم عند بعض أهالي مصر العليا تلك السمات التي كان يمتاز بها العنصر المصرى القديم .

وبناء على ذلك يمكن القول بأن غالبية سكان مصر فى بداية عصر الأسرات ، كانوا من أصل أفريقى ، وإن كانوا نوى بشرة بيضاء^(١) ، أما العناصر الحامية من ناحية والسامية من ناحية أخرى ، التي استطاعت أن تختلط بالسكان الأصليين ، فلم تكن كثيرة العدد ، بحيث كان فى مقدورها تغيير المظهر العام والسمات الخاصة بالسكان .

(١) حتى فى داخل أفريقيا نجد السكان ذو البشريتين . فمنذ خمسة آلاف سنة ق.م . على الأقل نجد أن الصحراء كانت تمثل عازلا حقيقيا بين أفريقيا الزنجية وأفريقيا البيضاء أو القوقازية . ولكن الاختلاط بين السلالتين الرئيسيتين قد تم فى مناطق عديدة داخل نطاق السفانا السودانية وعلى الأخص فى الشرق ، فى جنوب السودان وأثيوبيا وأوغندا وكينيا . أما عن السلالة الزنجية فى أفريقيا ، فهناك الزوج القدماء ، ويعيشون فى نطاق واسع يمتد من وسط أفريقيا (حوض الكونغو) وشمال ووسط أنجولا ، غانا السفلى ، وكل الإقليم الساحلى لغرب أفريقيا حتى نكار ، ولهم امتداد عبر البحر الأتلى إلى مضبة جوس ، وأيضا زنوج النيل ويحتلون معظم السودان الجنوبى ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢ (١) ، ٢٢٣ (٤) .

فكانت سلالة أهل الدلتا تمتاز باستطالة الرأس واعتدال القامة ، أما فى الصعيد فقد كانت سلالة السكان تمتاز باستعراض الوجه نوعا ما ، وقوة الفك ، وبروز عظام الحاجب ، وطول القامة .^(١)

إن المجموعات البشرية الأولى أو السلالات البشرية الأولى التى جاءت واستقرت على أرض مصر والتى عليها يرجع الفضل فى وضع أصول الحضارة المصرية القديمة كانت جزءا من الحركة الدائمة والدائبة لهجرات العديد من شعوب وأقوام وقبائل ، هاجرت من مواطنها الأصلية فى قارتى آسيا وأفريقيا ، فى حوالى الألف العاشرة ق. م .^(٢) أو ربما قبل هذا التاريخ ، بحيث كانت تفصل بين كل هجرة والتى تليها فترة قد تطول أو تقصر . واستقرت عناصر منها على أرض مصر واستقر البعض الآخر فى مناطق أخرى من بلاد الشرق القديم . ولهذا يمكن القول بأن سلالات عديدة اختلطت على أرض مصر وتجمعت على فترات وأجبرتها ظروف البيئة على الاستقرار فى أماكن معينة . ومن هنا كانت البداية ، وأخذ الإنسان المصرى القديم الذى انحدر أصله من هذه السلالات القديمة فى الارتقاء قليلا .. قليلا فى مجال العمران والبناء الحضارى .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٩ .

ونستطيع أن نجد هذه السمات فى صور الملك نعرمر - منى أول ملوك الأسرة الأولى ، المنقوشة على لوحته من الشست ، والموجودة الآن بالمتحف المصرى . وكذلك تمثال الملك خع سخم من الأسرة الثانية والمعروض أيضا بالمتحف المصرى ، راجع : Saleh - Sourouzian, Official Catalogue the Egyptian Museum Cairo, no. 8; no. 14.

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

استغلال الإنسان المصرى القديم

لعناصر البيئة

ساعدت عناصر البيئة الإنسان المصرى القديم على الاستقرار وارتباطه بالأرض وترك بصماته على ترابها ، ويأتى فى مقدمة هذه العناصر :

- توسط الموقع الجغرافى بين قارتى آسيا وأفريقيا ؛ لذلك أصبح من السهل على المصريين القدماء فى بداية العمران والاستقرار أن يتلقوا البذور من الشرق أو الشمال أو الجنوب . وسوف يلعب هذا الموقع دورا كبيرا فى علاقات واتصالات مصر بالشعوب المجاورة .

- توفر عدد كبير من المواد الأولية فى أرض مصر ، مثل وفرة المعادن وفرة نسبية ، وكثرة أحجارها مع تعدد أنواع هذه الحجارة وألوانها ، وفرة نباتاتها وأعشابها ، أعطى المصرى القديم الموارد الكافية دون حاجة للاستيراد من الخارج إلا فى حدود فأعطاه ذلك نوع من الكفاية والاستقرار مما زاده تمسكا بأرضه ، التى وفرت له موارد الإنتاج فأحسن استغلالها .

- نهر النيل الذى كان أبا حانيا لحضارة المصريين القدماء ن على الرغم من الجبروت الظاهر لفيضانه .^(١)

فالإنسان المصرى القديم الذى تواجد على أرض مصر منذ العصر الحجري القديم كان يعيش فى الصحارى ، أى فى حركة تنقل دائمة ، أما بعد انقضاء عصر

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ،

الأمطار وحلول فترات الجفاف نزع هذا الإنسان إلى الوادى ، وطابت له الإقامة على ضفافه . ومن هنا بدأ الإنسان يفكر فى الاستفادة من مياه النيل لحياة مستقرة ثابتة ، وخاصة فى حياته الزراعية ؛ لأنه كان من أقدم الشعوب التى عرفت الزراعة فى العصر الحجرى الحديث . وكانت الزراعة أهم تطور حضارى توصل إليه فكر الإنسان المصرى فى هذه الفترة من العصور الحجرية .

فإذا كان النيل أبا حانيا لحضارة المصريين القدماء ، فإن الأرض الخصبة كانت أهم الحانية . فقد وفرت الزراعة لأهلها نصيبا من موارد العيش فأمنوا رزقهم وقوتهم . كما وفرت لهم نصيبا من الاستقرار لم يكن يعهدونه فى عهود الصيد والجمع والتقاط الثمار التى سبقت العصر الحجرى الحديث .

كما أن التوصل إلى الحرف والمهن البسيطة إلى جانب الزراعة قد زاد من عوامل الاستقرار هذه . ولا نغنى هنا الاستقرار السكنى وحده وإنما نغنى أيضا الاستقرار المعيشى ، ذلك الاستقرار الذى توفر للإنسان المصرى بعد أن أمن محصول أرضه وحاجته من الحيوانات المستأنسة وضمن قوته طوال العام بما كان يذخره من حبوب فى مطامير الغلال منذ العصر الحجرى الحديث . وأدى هذا الاستقرار أيضا إلى نوع من الرخاء النسبى . وهذا الرخاء يتيح للإنسان أن يرضى نوقه ويرضى فكره أيضا وذلك بابتداع أشياء جديدة يستطيع أن يكمل بها راحته ويستفيد منها فى حياته اليومية . ومن هنا بدأ الاهتمام بالكماليات ونتيجة لذلك ارتقت الأنواق رقا نسبيا فى البداية ثم تطورت بعد ذلك خلال العصور التاريخية الطويلة .

لقد أحس المصرى القديم بأهمية ظاهرة الفيضان التى ليس لها نظير فى البيئات الأخرى ، ولهذا طبع حياته الزراعية فى الوادى والدلتا بنظام معين فى رى الأحواض . وقد حاكى المصرى القديم النيل فى طوله وذلك بشق الترع وحفر القنوات بشكل طولى كذلك .

وعلى أقدم قوائم الملوك ، حجر بالرمو ، الذى يرجع إلى الأسرة الخامسة ، نجد أنه يعطينا قوائم بأسماء الملوك منذ الأسرة الأولى مع ذكر الحدث الأكثر أهمية أثناء حكم كل ملك ، ألا وهو تسجيل ارتفاع منسوب الفيضان فى كل

عام .^(١) فالحياة الزراعية ترتبط في كل عام بمدى ارتفاع منسوب المياه ، ويعتمد فرض وتحديد الضرائب على الأراضي الزراعية على حالة الفيضان .

وكان لهذا الفيضان أهمية اقتصادية أدركها المصري أيضا . فالفيضان العالي كان يعنى رخاء البلاد . أما الفيضان المنخفض فكان يعنى عدم كفاية الماء لرى الأرض مما يؤدي إلى ضالة المحصول واضطراب الحالة الاقتصادية وربما يؤدي ذلك إلى مجاعة أيضا .^(٢)

ويرى فانديه أن " النيل يعتبر أساسا للحياة المادية والاجتماعية في مصر " .^(٣)

(١) استخدم المصريون القدماء " الذراع " كوحدة لقياس عمق المجرى أو ارتفاع المياه . وطول هذا الذراع عبارة عن المسافة بين كوع الرجل العادي وطرف إصبعه الوسطى ، راجع : مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ٣٦ .

(٢) بالنسبة لقياسات النيل فى فصول الفيضان ، كانت القاعدة أنه إذا وصل منسوب المياه إلى ١٢ ذراعا ولم يتجاوزه ، فإن معنى ذلك القحط وقلّة المحاصيل وحدث مجاعة إذ لم يكن هناك مخزون فائض . وإذا وصل المنسوب إلى ١٤ ذراعا فسيتوافر الطعام للجميع . أما إذا وصل إلى ١٦ ذراعا فسيعم الخير وتمتلئ المخازن والمستودعات بالحبوب ، وإذا تخطت المياه هذا المنسوب ، فهذا يعنى فيضان خطر يجب أخذ جميع الاحتياطات لتجنب أضراره ، راجع : مختار سويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ائدار المصرية اللبناية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٦ ، ٤١ . ويقول المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦هـ فى كتابه " فإذا بلغ ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض وريـع للبلد عام ، راجع المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى عبد الحميد ، المجلد الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٩٨٢ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ : Vandier, la Famine dans l'Egypte Ancienne, p. 47 .

وتحدث فانديه فى ص ٤٥ - ٤٨ عن الفيضان المرتفع والمنخفض للنيل ، ويقال *r hpr shn Hcpy nds* " عندما يحدث انخفاض (للمياه) (بسبب) الفيضان القليل " . وعبر المصرى القديم عن الفيضان القليل بعدة ألفاظ منها *Hcpy nds* " فيضان قليل " ، *Hcpy šrw* " فيضان صغير " ، *mw nds* " مياه قليلة " ، *tm iw Hcpy* " الفيضان لم يأت " ، *Hcpy it inī* " الفيضان المتذبذب " (راجع : Meeks, Alex. I, p. 51) راجع لكل هذه التعبيرات : Vandier, op. cit., p. 71 (a-e).

وهكذا نرى أن النيل قد أرسى للإنسان المصرى القديم حضارة استقرار فيما

يأتى :

(١) ان الإنسان المصرى ارتبط بالأرض التى قام بإعدادها وحرثها وزراعتها وحصادها وبذل فى ذلك مجهودات مضيئة ومتواصلة وما يتطلبه هذا العمل الزراعى من صبر ويقظة ، ففيضانات النهر كانت، على الرغم من وجودها وانتظام مواسمها، تستدعى من المصرى اليقظة لمواجهة لها . وقد ظل البعض يردد ما قاله هيرودوت بأن مصر هبة النيل . ولكن يمكن القول بأنه إذا كان النيل قد أعطاهم المياه والطمى فإن إعداد الأرض الخصبة للزراعة كان من عمل الإنسان . فقد ساهم الإنسان المصرى القديم بثقافته فى وضع الأسس لحضارة الاستقرار هذه .

ولنا أن نقول أنه عندما قال هيرودوت قولته المشهورة هذه فربما قد سمعها بنفسه من أقواء أحد الكهنة فسجلها على أنها مقولة من أفكاره . والدليل على ذلك أننا نقرأ فى أكثر من نص من نصوص المعابد البطلمية الجملة المكررة التى تربط الفيضان بمصر وتشبه الملك بالفيضان ويقال له : " فليعيش المعبود الكامل حعبى (أى الفيضان) مصر (Hcpy n kmt) ملك الأرضين مع الشواطئ " (١) . ويقال أيضا : " فليعيش المعبود الكامل حعبى مصر (Hcpy n b3kt) الذى يفرق الأرضين " (٢) . " فليعيش المعبود الكامل حعبى مصر (وجات) الذى يكس المعابد بالمون " (٣) . وتكرار هذه الجملة يدل على أن المصريين القدماء قد أدركوا هم أنفسهم أهمية هذه الظاهرة البيئية المحلية المؤثرة والفعالة بالنسبة لأرضهم وخيراتها (٤) . فنظرا لبطء تيار النهر عندما يصل إلى مصر ، فإن ذلك يساعد على ترسب الطمى فى الحقول التى تغطيها مياه الفيضان . وهذا الطمى الذى تكمله عناصر أخرى نباتية خصبة هو الذى كون أرض مصر الخصبة ، والتى سمحت بزراعة محاصيل أو ثلاثة سنويا .

(٢) فقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك والترابط بين الأفراد نتيجة لإمكان الانتفاع بمجهود الجماعة فى عمليات الزراعة ، ثم زيادة الاستقرار السكنى بين المزارعين نتيجة لحرصهم على الإقامة بجوار مزارعهم لرعايتها وحمايتها ثم للانتفاع بها ، وزيادة الاستقرار المعيشى بينهم نتيجة لإمكان تحكم الإنسان فى محصول أرضه بقدر ما يبذله فيها من الجهد والعرق ، وزيادة

(١) ذكرت هذه الجملة فى نصوص سبعة معابد : أوبت وادفو واسنا وطود وندره

وفيلة ، راجع : Chr. Zivie, BIFAO 74 (1974), p. 113 . ودير

شلويط ، راجع : Chr. Zivie, le temple de Deir Chelouit I, p. 68

(26)

(٢) ذكرت فى نصوص معبد طود ، راجع : Grenier, Tôd, p. 101, 103

تعوده على الادخار أو خزن الغلال للاستعانة بهذا المحصول المدخر على المعيشة في غير فصول الإنبات. (١)

وفي مواسم الجفاف ، مع زيادة التعاون بين الناس في استصلاح المزيد من الأرض واستغلالها . وإزدياد الميل إلى التجمع بين السكان في سبيل حماية المناطق المزروعة ودفع أخطار الفيضانات عنها. (٢) ثم التماس الفرد للأمن

Daumas, les mammissis des temples egyptiens, p. 169, 173. (٣) =

(٤) ففي هذه النوعية من النصوص البطلمية وصفوا الملك بصفتين لهما صلة

بالفيضان فهو : Rnnwt m t3wyn nb أى " المغذى في كل الأرضين "

(Alex. 111, p. 171) أو K3w n kmt أى طعام أو مؤن مصر (Alex.

Chr. Zivie, BIFAO 74, p. : ولهذه النصوص راجع : (111, p. 306

112 - 113 . وأحيانا نجد المتوفى يختلط بحعبى فعلى كتلة حجرية لخم ام

واست بالمتحف المصرى من عصر الدولة الحديثة نقراً : " إنه أنا الذى يخرج

مع الطوفان ، والذى أعطى إليه الفيضان ، لكى اتملكه مثل حعبى " راجع :

Chr. Zivie, BIFAO 76 (1976), p. 19 .

وعن فيضان النيل كمعبود ، راجع : Bonneau, la Crue du Nil,

divinite egyptienne `a travers mille ans d'histoire Paris 1964, p.

378 - 79 .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) نعرف أنه ابتداء من عهد الملك عج - ايب سادس ملوك الأسرة الأولى ، كان

هناك إحصاء كل عامين وكان يحدد فى هذا الإحصاء حصر الأراضى التى

خربها الفيضان . كما كان يوجد ابتداء من هذه الفترة أيضا موظف كبير يحمل

لقب " عج- مر " أى الإدارى ويبدو أنه كان مسئولاً عن نظام توزيع أنصبه

المزارع من المياه مع إشرافه على تنظيمها مع إشرافه على مشروعات الري

وصيانة الجسور والسدود . وهو فى نفس الوقت إدارى كبير يشرف على

الشئون الإدارية والمالية فى كل إقليم ، راجع فيما بعد ، ص ١٨٦ حاشية (٢) ،

٣٧٩ حاشية (١) . وبخصوص دفع أخطار الفيضان نرى فى إحدى رسائل حقا

نخت التى كتبها إلى ولده الأكبر مرسو ، وهى مؤرخة من الأسرة الحادية

عشرة ، يقول فيها لولده الذى كان يشرف أرضه أثناء غيابه :

" إذا طغى الفيضان على أرضى فالويل لرجالى ولك ولن ألقى المسئولية إلا

عليك " ، ويقول أيضا " عليك أن تبذل الجهد فى أرضى واجتهد بأقصى ما

تستطيع ، اعزق الأرض ، وتدخل فى كل عمل " ترجمة : د. عبد العزيز =

والطمأنينة وسط الجماعة وفي حماية المجموع ، مع زيادة إحساسه بأمنه الغذائي نتيجة لما أصبح يمتلكه من الأرض وما يستغله عليها من الحيوانات الأليفة والتي عرفها منذ العصر الحجري الحديث .

(٣) تقسيم السنة إلى فصول تبدأ بقدومه . فقد لاحظ المصريون القدماء أن بدء مجئ الفيضان يتفق بشكل واضح مع الدورة السنوية لنجم ثابت معين هو نجم الشعرى اليمانية ، يبدو ويشرق بوضوح في السماء مع بداية الفيضان مرة كل عام . ولهذا جعل المصريون القدماء اليوم الذي تظهر فيه أولى علامات الفيضان بمثابة أول أيام العام الجديد . وقسموا هذه السنة النيلية إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير إلى ثلاثة فصول مرتبطة بالدورة الزراعية :

أخت : (الفيضان من منتصف يوليو حتى منتصف نوفمبر) وسمى هذا الفصل بأخت لأن وجه الأرض الزراعية المغطى بالطمى يصبح مهياً للزراعة والبذر ، ونلاحظ أن هناك صلة بين كلمتي أخت بمعنى أفق و فيضان على أساس أن بداية خروج الزرع من الأرض يشبه بزوغ الشمس من الأفق وتكتب كلمة أخت " فيضان " برمز الأرض التي يخرج منها النبات . وتكتب كلمة أخت " أفق " برمز الجبل الذي تخرج منه الشمس .

برت : (الشتاء من منتصف نوفمبر حتى منتصف مارس) وهو فصل خروج النبات والزراع بالكامل من باطن الأرض .

شمو : (الخريف + الصيف من منتصف مارس حتى منتصف يوليو) وهو فصل الحصاد والجفاف والتحريق .

ولتفادي إضعاف التربة ، كانت الأرض لا تزرع زراعة ثقيلة ثلاثة أعوام

صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٠ ، وأخذ البطالمة عن ملوك مصر القدماء مواجهة الفيضانات المرتفعة بالتعبئة العامة والسنوية . وكانت تدوم عشرة أيام أو أحد عشر يوماً . ولا يعفى منها إلا الطبقات الممتازة : الإغريق والكهنة في مقابل ضريبة معينة . وكان سكان الريف ينهمكون في أداء هذا الواجب من شهر إبريل حتى اللحظة التي يبلغ الفيضان أقصى ارتفاعه . وقد كان يباشر شئون الري مهندسون

إغريق ، يشد أزهرهم خبراء مصريون ، راجع : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤ . وعن هذا الإداري بالنسبة للفيضان ، راجع :

Vandier, la famine dans l'Égypte Ancienne, p. 58 .

متتابعة فقسمان يزرعان قمحا أو شعيرا والقسم الثالث زراعة ضعيفة مثل البقول وعلف الماشية . وربطوا بين هذه الدورة الزراعية التى تتكرر كل عام والمعبود اوزير ، معبود البعث ، على أساس أن فى تكرارها تصوير للحياة على الأرض " وأن اوزير هو الحبة التى توضع فى باطن الأرض (وهذا يدل على الموت) ثم تبقى محتفظة بعناصر الحياة فى ظلمة الأرض (العالم السفلى أو عالم الآخرة) ثم لا تلبث أن تدفع بساق أخضر إلى سطح الأرض ليلقى نور الشمس وهواء الطبيعة ويثمر سنابل مليئة بالحبوب (عودة الحياة) .^(١) ووصف بعض الحكماء مصر فقال :

" ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة (ذهب) حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر فى شهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياها على روابى وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من كل وجه . وأما المسكة السوداء فإن فى شهر بابه وهاتور وكهياك ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها ، فتصير أرضا سوداء ، وفيها تقع الزراعات ، ولأرض روائح طيبة تشبه روائح المسك ، وأما الزمردة الخضراء ، فإن فى شهر طوبة وأمشير وبرمها تلمع ويكثر عشبها ونباتها ، فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فإن فى شهر برمودة وبشنس وبؤونه - يكتمل نضوج الزرع وخاصة القمح فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعا " .^(٢)

(١) تاريخ مصر القديمة وأثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٣٠ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٣٩ ؛ المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروفة بالخطط المقرئية) الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٦ .

وعلى أية حال فلا يزال هذا التقويم القديم مأخوذاً به فى أساسه حتى الآن فى السنة الزراعية أو ما يعرف خطأ باسم السنة القبطية . ويفضله المزارعون عادة على التقويم الميلادى وشهوره الإفرنجية ، ويرونه أنسب لتحديد مواسم الحرت والبذر والرى والحصاد والجنى والتخزين وهى توت ، بابه ، هاتور ، كهياك ، طوبة ، أمشير ، برمهل ، برمودة ، بشنس ، بؤونة ، أبيب ، مسرى . فهذه اثنتا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما . وإذا كانت مدة شهر مسرى كاملة وهو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسئ بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت .^(١)

(٤) وكما كان الفيضان مصدرا للخير فكان أحيانا يهدد حياة السكان جميعا فى الوادى وعلى جوانب النهر وفى دلتاه . فكان لابد من توحيد الجهود وتنظيمها لإقامة الجسور القوية وبناء السدود وإدخار الماء لأوقات الجفاف وتخضع كل هذه المشاريع للإشراف من قبل الحكومة المركزية . كما أن توزيع المياه يحتم شق القنوات وحفر الترعى .

(٥) وفى أثناء فصل الشتاء عندما ينخفض منسوب مياه النيل ، كان لابد من إيجاد واختراع وسيلة بسيطة لرفع المياه لرى الأرض فاخترع الشانوف الذى عرف منذ عصر ما قبل الأسرات أو منذ بداية الأسرات ، وكذلك الطنبور (لولب ارخميدس) والساقية اللذين ظهرا فى العصر البطلمى-الرومانى .^(٢)

(٦) امتاز نهر النيل بأنه وسيلة مواصلات للبشر والبضائع . فهو يمتاز بأنه مجرى مائى تياره هادئ غير عنيف ، جعله من أنسب مجارى الاتصالات المائية التى

(١) المقرئزى : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) وكانت هاتان الآلتان من ثمرة العلم الإغريقى ، ويحدثنا ديودور الصقلئ فى القرن الثانى ق.م ، أن الطنبور كان يستخدم فى رى أراضى الدلتا ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٠ - ١١ .

ساعدت الإنسان المصرى القديم على الحركة والانتقال من مكان لآخر ،
ومساعدت بالتالى على انتقال الجماعات وتبادل الأفكار بينها . والدليل على ذلك
هو اندماج المراكز الحضارية فى الجنوب والشمال ، فبعض المظاهر الحضارية
التي ظهرت فى أعالي الوادى فى عصور ما قبل الأسرات ، كانت موجودة
بصورة ما فى المراكز الحضارية فى الشمال وخاصة فى مرمرة بنى سلامة من
العصر الحجري الحديث .

(٧) أن النيل ربط أجزاء مصر وأقاليمها ببعضها ببعض ، ويسر الاتصال بين سكان
هذه الأقاليم . وقد ترتب على ذلك الاتصال المتاح بينهم بعض الأثر فى الإيحاء
إلى الحكام والمفكرين المصريين القدماء بقوة الترابط الطبيعى بين أجزاء
أرضهم ومدى اتصال مصالحها ومقومات قوميتها . وأدى هذا الأثر مع غيره
من مجريات الحوادث القديمة ، إلى التبكير بظهور أول وحدة سياسية كبيرة
مستقرة فى تاريخ البشرية^(١) ، وبذلك أصبحت مصر دولة ذات تجمع سياسى
قوى متماسك ، وفى الوقت نفسه ذات تجمع إدارى منظم .

وقد عبر المصريون القدماء أنفسهم عن هذا الدور الذى يقوم به النيل فى
توحيد أراضى البلاد فى منظر منقوش على قاعدة تمثال رمسيس الثانى أمام
معبد الأقصر يمثل نيل الدلتا ونيل الصعيد فى هيئة بشرية ويتوج رأسهما نباتى
اللوتس والبردى اللذين يرمزان إلى نباتات القطرين .^(٢) ويقوم النيلان بربط
نباتين آخرين للوتس والبردى أمامهما بواسطة حبلين على هيئة نباتى اللوتس
والبردى وذلك حول علامة " سِما " التى تدل على الوحدة . وقد أرادوا بذلك أن
يعبروا بدلالة واضحة على هذا الربط والوحدة التى يقوم بها النيل بين قطرى
مصر : الوجه القبلى والوجه البحرى . مما يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن

(١) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء
الأول ، ص ٢١٤ ، شكل ١٦ .

هذه الوحدة التى يحققها النيل بمثابة القصبه الهوائية بالنسبة للجسد أو الرئة بالنسبة للجسد ^(١) . وعندما زار العبدى ، وهو من علماء المغرب مصر فى أخريات النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، أعجب بالنيل ، فقال عنه :

..... * ونيلها من عجائب الدنيا عذوبة واتساعا وغلة وانتفاعا ، وقد وضعت عليه المدائن والقرى ، فصار كسلك انتظم دررا * ^(٢) .

وتمشيا مع تحقيق هذه الوحدة السياسية والترابط كان لابد من إحراز تقدم فى وسائل الملاحة ، مثل التقدم فى صناعة المراكب الشراعية منذ أقدم العصور . وأدى ذلك أيضا إلى توصل المصريون القدماء إلى اختراع الدفة . وكل ذلك كان له أثر فى تطور النظام الاقتصادى ودخل الدولة من المحاصيل الزراعية التى كانت تتقل عبر النيل فى مراكب شراعية .

ومن كل هذا نرى أن النيل كان عنصرا حيويا وأساسيا فى حياة استقرار المصرى القديم ، ومما يدل على أهمية هذا العنصر أيضا ، وجود أكثر من سبعة عشر لفظا فى اللغة المصرية القديمة للتعبير عن كيفية انسياب مياه النيل وفيضانه ^(٣) . بل أننا نجد صدى لأهمية مياه النيل فى النصوص المصرية القديمة كمصدر هام لشرب السكان فى حياتهم وفى مماتهم ، فالماء هو القربان الأساسى الذى يقدم للمتوفى أو ينثر تحية ووفاء لذكراه على قبره .

(١) تعددت الآراء بالنسبة لتفسير معنى هذه العلامة ، فهل هى تمثل القصبه الهوائية أو الشريان أو العمود الفقرى (؟) ملتصق بها الرئتين أو الكليتين أو غدتين أو الأمعاء فهى تشير إلى الارتباط الوثيق لهذه الأعضاء وأهميتها داخل جسم الإنسان . وأقدم ظهور لهذه العلامة ظهر على آثار الأسرة الأولى ، راجع :

Schafer, MDIAK 12 (1943), p. 75

(٢) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ - ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ١٤٤ .

Wb. VII, p. 160- 181.

(٣)

وبفضل كل هذه المزايا ندرك جيدا السبب الذى جعل المصريين القدماء
يقدسون ذلك النهر تقديسا يصل حتى العبادة . فكانوا يطلقون على النيل اسم " ايترو "
أى نهر أو " ايترو - عا " النهر العظيم ، وتصوروا أن هناك روح تكمن وراء هذا
النهر العظيم والتي تدفع بمياه فيضيه حاملة الخصب والنماء ، هى روح المعبود
حعبى .^(١) وحعبى تعنى معبود الفيضان ، ويوجد فى اللغة المصرية لفظ آخر يرادفه
وهو لفظ " بعحى " وهو الفيض والوفرة والخير .^(٢)

ولهذا صور المصرى القديم هذا المعبود فى هيئة بشرية تجمع الأنوثة
والذكورة فى هيئة صيد السمك ويحمل مائدة تتلى منها فروع نباتات معلقة بها
أسماك النيل ، ويلتحنى باللحية التقليدية للمعبودات له ثديا امرأة دلالة على العطاء
المستمر وبطن مترهل علامة على الغذاء الوفير والخير وكان يصور على جدران
المعابد الكبرى فى صورته هذه وهو يقدم خيراته إلى المعبودات الرئيسية فى هذه
المعابد .^(٣)

أما الاسم " نيل " الذى اشتق من اللفظة اليونانية " نيلوس Nileus " ^(٤)
والتي وردت فى كتابات الرحالة اليونان فإننا لا نعرف أصله وإن كان البعض يرجعه

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المرجع السابق ، ص
٢١٥ .

(٢) تعبر كلمة " حعبى " عن " الفيضان " راجع : Traunecker, BIFAO 72 :
(1972), p. 210 n. (2).

(٣) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٣١ .

(٤) عرفت هذه التسمية كاسم لرجل يدعى : نيلوس Neilos ، جاء على بردية
بالمتحف المصرى تحمل رقم ٥٧٨٧٥ من العصر الرومانى ، هى عبارة عن
عقد بيع بين رجل يدعى نيلوس وآخر يدعى اسيدوروس ، راجع : د. سيد
توفيق - د. سيد الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور
حتى الفتح العربى ، دار النهضة العربية ١٩٧٧ ، ص ٣٠٦ حاشية (١) .

إلى أصل فينيقي^(١) ، وهذا الأصل الفينيقي مشتق من الكلمة السامية " نهل " أو " نخل " بمعنى " جرى " أو " مجرى " أو " نهر " .^(٢)

وفى رأينا أنها كلمة من أصل مصري قديم مشتقة من نا - ايترو أى " الفروع " ويشير معناها الإجمالى إلى " النهر ذو الفروع " .^(٣) وكانوا يطلقون اسم حبت إنت ايترو على " مجرى النهر " واسم ايترو نوكت على " فروع الأرض السوداء " أى فروع النيل فى أرض مصر .^(٤)

مدى علم المصريين القدماء بأعالى النيل :

من الصعب أن نذكر بشئ من الدقة جميع الأقطار التى اتصل بها المصريون القدماء والتى كان لهم بها علم . غير أننا نعرف أنهم كان لهم اتصال وثيق بثلاثة مناطق هامة فى جنوب مصر ، وهى : بلاد كوش ، بلاد أيام ، بلاد بونت .

وربما لم نصبح بعينين عن الصواب إذا افترضنا أن المصريين القدماء كان لهم علم بمجرى النيل وبأعاليه إلى نقطة اتصال النيل بالسوبات كما كان لهم بعض العلم بإقليم بحر الغزال ، وذلك منذ عصر الدولة القديمة ، فعندما ذهب حرخوف

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ١٩٦٦ ، ص ٩٧١ حاشية (٤) ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢١٥ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٠٧ حاشية (٤) .

(٣) Meeks, Alex. 111, p. 38.

(٤) Meeks, Alex. I, p. 50.

للحصول على قزمه بالقرب من مواطن الأقزام فى ذلك العهد ، فإن هذه المواطن كانت قريبة من إقليم بحر الغزال أو أعالي النيل الأبيض .^(١)

فالمصريون إذن ، حتى فى أوائل عهدهم ، لم يكونوا بالأمة المنعزلة عن العالم القابعة بالبقاء فى واديهما الخصيب ، بل كانوا مجدين فى الاستكشاف والاتصال بالبلاد الأخرى . وكان لهم علم بكثير من الأقطار التى يتألف منها حوض النيل ، وإن كنا للأسف عاجزين عن تقرير مبلغ علمهم بمنابع هذا النهر .

وعندما دخل اليونان مصر تناولوا مسألة منابع النيل بالبحث والاستقصاء . فرأوا أنه نهر ليس له فى العالم الذى يعرفونه نظير ، وجهلهم التام بمجرأه الأعلى أثار فى نفوسهم الرغبة الشديدة لمعرفة شئ عن منابع النيل .

وحين زار هيروdot مصر عام ٤٤٨ ق. م . سافر إلى الجندل الأول . وهناك حاول عبثاً أن يحصل على معلومات أكيدة ثابتة عن منابع النيل بالاستفسار من التجار والرحالة . وكل ما اهتدى إليه أن منابع النيل الأصلية مجهولة وأن جزءاً من مياه النيل يأتى من بلاد الحبشة . وأما منابعه الكبرى فربما كانت فى الغرب .^(٢) كما شرح هيروdot بالتفصيل التكوين الطبعى لأرض مصر ، والتى تكونت نتيجة لطمي النيل ، ووصف فيضان النيل ، والخصائص الطبيعية للدلتا وحياة البحيرات . وخصص فصلاً طويلاً عن حيوانات البلاد والحيوانات التى كانت تعيش فى النيل : فتحدث عن التمساح وسبع البحر .^(٣)

وبعد فتح الإسكندر لمصر وتأسيس حكم البطالمة كثر وفود اليونان إلى مصر من تجار وعلماء ، وكثر ارتيادهم لأعالي النيل ، لكنهم لم يكونوا يتوغلون إلى

(١) د. محمد عوض : النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،

١٩٦٢ ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق

بحرم جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٨ .

ما وراء نقطة التقاء النيل الأزرق والأبيض إلا نادرا .

وأول جغرافى درس مجرى النيل بشئ من الدقة هو اراتوستينيس الذى عاش فى الإسكندرية فى القرن الثالث ق. م . وكان أميناً لمكتبة الإسكندرية ومن أكبر الجغرافيين فى زمانه . وقد وصف نهر النيل وصفا جيدا إلى ملتقى النيل الأبيض والأزرق وأشار إلى أن هناك بحيرات ينبع منها النهر .

وأكبر جغرافى جاء بعد اراتوستينيس وهو سترابون والذى زار مصر ما بين عامى ٢٥ - ٢٤ ق. م . وعاش أكثر من خمس سنوات فى الإسكندرية ، ولم يزد على أن زار مصر وساح فيها حتى وصل إلى الجندل الأول وتوغل قليلا فيما وراءه ، لكنه لم يستطيع أن يزيد الشئ الكثير على ما أتى به سلفه .^(١)

ولعل التوغل فى بلاد السودان فى تلك العهد إلى ما وراء ملتقى النهرين كان محفوفا بالمخاطر فلم يحاول أحد أن يقوم على هذا الأمر حتى جاء الإمبراطور نيرون وكان على استبداده محبا للعلم شغفا بالاستطلاع ، فأرسل فى سنة ٦٦ بعد الميلاد اثنين من ضباط جيشه فى بعثة لاستكشاف منابع النيل الأبيض ، وقد ركبت هذه البعثة الزوارق وسافرت إلى الجنوب حتى بلغت منطقة السدود والمستنقعات وهناك رأت أن المضى فى طريقها ضرب من المحال فعادت ادراجها حاملة إلى روما من المعلومات عن الرحلة ما يثبط الهمة ، فلم يجروا أحد بعدها على التوغل فى أعالي النيل من هذه الجهة ، وبقي شرف اجتياز منطقة المستنقعات لم يحزه أحد فيما نعلمه إلى أن أحرزوه رجال محمد على فيما بعد فى العصر الحديث .

وكان هناك تاجرا وفلاحا يونانيا اسمه ديوجين سافر فى تجارة له إلى شرق أفريقية ونزل بساحلها الشرقى عند بلدة كان اسمها فى ذلك الوقت رابتم وموقعها عند مصب نهر باتجانى غير بعيد من الساحل المقابل لجزيرة زنجبار . وقد زعم هذا التاجر أنه سافر من الساحل متوغلا فى أواسط أفريقية مدة خمسة وعشرين يوما حتى صار على مقربة من البحيرات الكبرى والجبال الشاهقة المكسوة بالجليد التى يستمد

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٩ .

منها النيل ماءه .

ويظن الكثيرون أن هذا اليوناني قد حصل على معلومات جديدة موثوق بها عن منابع النيل . فقد نقل ديوجين أن في أواسط أفريقية عدة بحيرات وأن النيل إنما ينبع من اثنتين منها وأن في جنوب البحيرات جبالا عالية مغطاة بالجليد تدعى جبال القمر لما لقممها من اللون الأبيض الناصع .

ولم يكتب ديوجين كتابا . عن رحلته لكنه قصها على رجل جغرافي من بلدة صور اسمه مارياتوس ، ولسوء الحظ ضاعت مؤلفات مارياتوس وكادت تذهب كلها لولا أن الجزء الخاص منها بنهر النيل قد نقله إلينا بطلميوس .

وجاء بعد ذلك بطلميوس وهو رجل مصرى يوناني ولد بقرية في شمال الدلتا وعاش بالإسكندرية حيث دون أكثر مؤلفاته في أواسط القرن الثاني بعد الميلاد . وهو من غير شك أعظم الجغرافيين القدماء . وقد تناولت أبحاثه الجغرافية جميع أقطار العالم ، ورسم خرائط عديدة للعالم ولنهر النيل . وظلت كتبه وخرائطه هي المرجع الأكبر لدراسة الجغرافية عامة ونهر النيل خاصة إلى أواسط القرن السادس عشر .

فقد وصف بطلميوس مجرى النيل وصفا دقيقا حتى مدينة مروي وهي مدينة باقية آثارها إلى اليوم بين الدامر وشندي (وليست مروي الحديثة الواقعة جنوب الجنبل الرابع) على الضفة اليمنى للنيل على نحو خمسين ميلا جنوب نقطة اتصال العظيرة بالنيل ، بالقرب من بلدة كبوشية .^(١)

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ١٠ .

خرافة عروس النيل :

من أهم الخرافات التي أشيعت عن علاقة المصريين القدماء بالنيل أنهم كانوا يلقون إليه كل عام بعروس بكر جميلة ، مزدانة بأقصر الحلى والثياب ، ويزفونها إليه بإلقائها حية في جوفه لتبتلعها مياه النهر^(١) وجاء ذكر هذه الخرافة عند أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم الذي توفي عام ٢٥٧هـ (٨٧١ ميلادية) ، وهو الذي كتب " فتوح مصر والمغرب " ^(٢) وكان فقيها عظيمًا ومؤرخًا عربيًا كبيرًا ، قال : " ولما فتح عمرو بن العاص مصر ، أتى أهلها إلى عمرو حين دخل شهر بؤونه " فقالوا له : أيها الأمير أن لنيلنا سنة لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ ... قالوا : أنه كلما جاءت الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في النيل .. فقال لهم عمرو : هذا لا يكون في الإسلام ، وأن الإسلام يهدم ما قبله .. فأتوا شهر بؤونه وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء ..

فلما رأى عمرو ذلك ، كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك ، فكتب إليه عمر أن قد أصبت ، أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في النيل إذا أتاك كتابي . فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها :

(١) مختار السوفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ٦٦ - ٦٧ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربى ، ١٩٦١ ؛ ذكره مختار السوفى : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ وذكره أيضا د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ - ١٨٢٥) من جواهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٤ (مقدمة) ، ص ٢٩٣ .

" من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر . أما بعد . فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك ففسأل الله الواحد القهار أن يجريك .. " .

" فالتقى عمرو البطاقة فى النيل ، وكان أهل مصر قد تهيأوا للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ... وأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ... " (١) .

ويلاحظ أن بعض المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب الذين تناولوا فى مؤلفاتهم وصف المدن وخططها وأحوالها من الذين جاءوا بعد ابن عبد الحكم وزاروا مصر وأقاموا فيها أو نشأوا فيها لم يذكرُوا هذه القرية عند حديثهم عن النيل . ومن أمثال هؤلاء :

- المسعودى : ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ ميلادية . (٢)

- الكندى : ٣٥٠ هـ - ٩٦١ ميلادية . (٣)

- ناصر خسرو : ٤٥٣ هـ - ١٠٦١ ميلادية . (٤)

(١) روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات " ، راجع : الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٥٩ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٨ - ١٠١ ، ٣٤٠ - ٣٤٥ ؛ وأيضاً : أخبار الزمان (من إيالة الحدثن ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٢ - ١٤٦ .

(٣) الكندى : فضائل مصر : تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ودار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٥٩ - ٦٣ .

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، نكر مقتطفات من هذا المؤلف د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ٣٦ - ٤٠ .

- الادريسي : المتوفى نحو ٥٦٠ هـ .^(١)
- أبو الصلت امية الذي جاء إلى مصر عام ٤٨٩ هـ .^(٢)
- ابن جبير الذي وصل إلى مصر عام ١١٨٣ ميلادية .^(٣)
- عبد اللطيف البغدادي جاء إلى مصر عام ١١٩٤ ميلادية .^(٤)

وقد ظلت هذه الخرافة تروى على مدى أكثر من ألف سنة منذ أن قيلت لدرجة أن أحمد شوقي قد ذكرها في قصيدته الشهيرة عن " النيل " : وفي كل عام درة تهدي إلبد وحره لا تصدق .^(٥)

وإذا رجعنا إلى الوراء إلى المصادر الأثرية نفسها للبحث عن إشارة أو ذكر لهذه العادة ، فنقول إننا لم نجد أية دليل مادي على صحة هذه العادة ، بل هناك أكثر من وثيقة تدل على كذب هذه الخرافة :

أولاً : لم يعرف المصريين القدماء في تاريخهم المعروف والمدون ، أنهم كانوا يقدمون تضحية بشرية لأي معبود مقدس ومهما علا شأنه . وهناك عشرات

(١) الادريسي : أنس المهج وروض الفرج ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٤ ، ص ١٧ - ٢٨ ، ٤٨ - ٤٩ .

(٢) أبو الصلت : الرسالة المصرية ، لجنة التأليف والنشر عام ١٩٥١ ، ذكره د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٤٤ - ٤٦ ، ٩٢ .

(٣) ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، دار الفكر العربي ، حققها حسين نصار ، ذكرها د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ٢٩٢ .

(٤) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، ذكره د. عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٢٩٢ .

(٥) مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

اللوحات والبرديات التي كانت تصف أحوال النيل ، سواء عند حدوث الفيضان المعتدل الذي يجلب معه الخير ، أو عند حدوث الفيضان العالي الذي يغرق الأرض ويبعث الخوف في نفوس الناس ، أو عن حدوث الفيضان المنخفض الذي يؤدي إلى كوارث ومجاعات ، ولم يرد في أى من هذه الآثار جميعاً أى ذكر لعروس عنراء تقدم للنهر قرباناً .^(١)

والحقيقة أنه عثر حتى الآن على ثلاث لوحات تصف كل منها بالتفصيل جميع المراسم التي كانت تقام والشعار والأغاني التي كانت تلقى في الاحتفالات التي كانت تقام لدعوة النيل إلى الفيضان والإتيان بالخير الوفير ، وكانت في الغالب تأخذ طابعاً دينياً وشعبياً . وترجع هذه اللوحات إلى عهود رمسيس الثاني ومرنبتاح ورمسيس الثالث .

ومن هذه اللوحات يتضح لنا أن الملك كان يحضر بنفسه هذا الاحتفال الرئيسي الذي كان يبدأ عادة بذبح عجل أبيض وأوز وبط ودجاج كقربان ، ثم تلقى في النيل " رسالة " مكتوبة على ورق من أوراق البردى ، تتضمن بعض الدعوات والمدائح في النيل ، اعترافاً بفضلها وابتهالاً له لمواصلة الفيضان في كل عام بما فيه خير للبلاد .^(٢) فلو كان المصريون القدماء يقدمون للنيل عروسة حية ، فهل كان من الممكن عدم ذكر ذلك وإغفاله في تلك اللوحات التي تركها هؤلاء الملوك الكبار .

كما عثر على العديد من الابتهالات والدعوات المكتوبة التي كانت ترفع للنيل أو تلقى فيه ، خصوصاً حين يأتي الفيضان منخفضاً ومهدداً بالمجاعة ، ولم يذكر في أى نص من هذه الابتهالات أو الدعوات أن عروساً قد أُلقيت في النيل كمسبيل للتوسل إليه .^(٣)

(١) مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

ثانيا : أن النيل نفسه كان محل تقديس لدى المصريين القدماء ، ومنحوه صفة المعبود وسموه " حعبى " ويتخذ المعبود حابى صورة رجل ذى جسم ممتلى وتظهر ملامحه سمات من النيل والغنى . ولكن الغريب أن له بطناً كبيرة كبطن الحبالى ، وثنديان كبيران كأنهما ثديا امرأة تنبثق المياه من حلمتيهما مثل اللبن الذى تغذى به الأم أبناءها مما يجسد معنى العطاء والخصوبة والقوة التى تمنحها الأم لأبنائها الصغار ، فكيف يستقيم معنى العطاء والحنان مع معنى الموت وإزهاق روح إنسانة بريئة بإلقائها فى جوف النيل .

ثالثا : هناك مجموعة من الأناشيد الموجهة لمعبود النيل التى كان يرددها الكهنة والناس فى مدح معبود النيل لبيان قدرته وأفضاله على الناس . وسوف نتحدث عن هذه الأناشيد بالتفصيل فى الباب الخاص بالحياة الثقافية .

فكان النيل " حعبى " معبودا يختلف عن غيره من المعبودات لأنه لم تكن له معابد خاصة ، أو كهنة يقومون على خدمته وخدمة طقوسه كباقي المعبودات ، ولهذا فإن هذه الأناشيد كانت ترتل فى مناسبات الاحتفالات بالفيضان وهذه الأناشيد محفوظة على لوحتين لصبيين من صبية المدارس كانا يقومان بنسخ مقتطفات من هذه الأناشيد ، وهناك جزء آخر من هذه الأناشيد مسطرا على بردية تورين وأيضاً على برديات سالييه رقم (٢) ، وانستاسى رقم (٧) ، وشستريبتى رقم (٥) وهى موجودة بالمتحف البريطانى (تحت أرقام ١٠١٨٢ ، ١٠٢٢٢ ، ١٠٦٨٥) وهذه البرديات مؤرخة من الأسرة التاسعة عشرة ويبدو أنها نسخت من أصل يرجع إلى عصر أقدم من الأسرة التاسعة عشرة .^(١)

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 106-107; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 516; 11, p. 143-144, 314-315 . وكان المصرى القديم حريصا على المحافظة على انسياب مياه النيل وعدم العبث بمياهه . ففى الفصل ١٢٥ من فصول كتاب الموتى ، نقرأ : " أنا لم أمنع الماء فى وقته ، ولم أقم حاجزا لسد المياه المنساب ، يا اير - ام - ايب - إف الذى يخرج من ثبو ، أنا لم أعبث فوق المياه " راجع : Vandier, la Famine dans l'Égypte Ancienne, p. 52-53 .

ويختلف النص الموجود على بردية تورين عن النص الموجود على البرديات الأخرى . ونجد فى هذه الأناشيد ثلاث صور للنيل وفيضانه ، تصف لنا الصورة الأولى حالة الناس ، والحالة العامة عند مجئ الفيضان . وتصف لنا الصورة الثالثة حالة الناس إذا جاء الفيضان منخفضا . ونجد الصورة الأولى فى بردية تورين : " أنه هو الذى يروى المراعى ، وهو المخلوق من رع ليغذى كل الماشية ، وهو الذى يسقى الأراضى الصحراوية البعيدة عن الماء ، فإن ماءه هو الذى يسقط من السماء " " أنه هو الذى يأتى بالقوت ، وهو الذى يكثر الطعام ، وهو الذى يخلق كل شئ طيب ، ويمدحه الناس " " هو الذى يخلق العشب للماشية ، ويمد كل معبود بقرايينه سواء أكان فى العالم السفلى أم فى السماء أو فى الأرض " ... " هو الذى يملأ المخازن ، ويزيد من حجم شئون الغلال ، وهو الذى يعطى للفقراء " ... " هو الذى يجعل الثمار تنمو كما يشتهى الجميع ، فلا ينقص الناس أى شئ " ... ومن كان حزينا يصبح مسرور ويتهيج كل قلب ... وهو الذى يسعد الإنسان ويجعله يحب أخيه ^(١) ... (انت) الفيضان الذى ينساب على الأرض الخضراء ... لكى يعطى الحياة إلى جميع الظمأى ، وعندما ترتفع تشدو الأرض (كلها) فرحانة " ^(٢).

ونجد الصورة الثانية فى برديات المتحف البريطانى : " وعندما تفيض يقربون لك القرايين ، وتذبح لك الماشية ، ويقام لك احتفال كبير .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤١٣ - ٤١٥ ؛

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ،

١٩٧٩ ، ص ٣٥٧ ؛ Vercoutter, L'Égypte Ancienne, p. 18

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 18

د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

وتسمن لك الطيور ويصيدون لك الغزلان من الصحراء ويكافئك الناس بكل ما هو طيب ... أنت مزدهر ، أيها النيل ، أنت مزدهر ، فالنيل هو الذى يجعل الإنسان يحيا من خير ماشيته وتعيش ماشيته على المراعى " (١).

ونجد الصورة الثالثة فى بردية تورين : " وإذا ما تباطأ تسد الخياشيم ، ويفتقر كل الناس ، وتنقص أقوات المعبودات ويهلك ملايين الناس " ، وإذا ما قسا تصبح البلاد كلها فى فزع ، ويندب الكبار والصغار ... " (٢). ونجد هذه الصورة فى تلك الأثشودة الدينية الجميلة التى ألفها اخناتون والتى ذكر فيها النيل بأنه نهر أراضى يخرج من باطن الأرض :

أنت خلقت النيل فى العالم الأراضى .

وأنت تخرجه بأمرك فتحفظ به الناس .

يا معبود الجميع ، حين يتسرب إليهم الضعف .

يا رب كل منزل ، أنت تشرق من أجلهم .

يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية .

أنت موجد حياتهم

أنت الذى خلقت فى السماء نيلا .

لكى ينزل عليهم ولهم .

يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، ٤١٥ : James, op. cit., p. 106 – 107.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٤١٣ – ٤١٥ ؛ وأيضا د. محمد عوض : نهر النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٤ – ٥ .

فيسقى مزارعهم وسط ديارهم .
 ما أبدع تدابيرك يا معبود الأبدية .
 فى السماء نيل للأمم الغربية .
 ولماشية البلاد الأخرى ودوابها . ولكل ما يمشى على رجلين .
 أما النيل الذى يروى أرض مصر فإنه يجئ من باطن الأرض .^(١)
 لم ترد فى هذه الصور الثلاث أى ذكر لعروس تقدم كقربان بل
 تتحدث الصورة الثانية عن قرابين من الماشية والحيوانات والطيور
 والقرابين المادية .

رابعاً : تحتفظ لنا بردية هاريس من عصر رمسيس الثالث بقائمة من القرابين من
 جميع الأنواع وأيضاً حيوانات وفواكه وغلل ونباتات وزهور التى خصصت
 للمعابد وفى نهاية هذه القائمة ، نجد ذكر لتمائيل لمعبود النيل ، من الذهب ،
 والفضة ، والأحجار الكريمة ، والنحاس ، والحديد ، والحجارة ، والخشب
 وتمائيل لمعبودة النيل (أطلقوا عليها اسم ربعت) . وكل القرابين مع
 التمائيل كانت تلقى فى النيل مع ما يسمى بـ " كتب النيل " ^(٢) وربما يعنى
 هذا طقس الزواج المقدس ومنه تنتج خصوبة النيل وزيادته . وهكذا تظهر
 بردية هاريس تخفيف هذا الطقس عن طريق التمائيل ^(٣) وأحياناً تكون هذه
 التمائيل على شاكلة اوزير من الطين الذى خصب بماء النيل . ^(٤)

خامساً : قمنا من ناحيتنا بتجميع (١١) نصاً عن فضل الفيضان منها ثمانية
 نصوص من العصر البطلمى ، وذلك فى مؤلفنا عن " تاريخ مصر القديم " ^(٥)
 فنقرأ على بردية فى نيويورك على لسان تحوتى : " اننى أجعل الفيضان
 يأتى فأخصب الحقول وأجعل المعبودات والناس يعيشون " . ^(٦) وعلى لوحتى
 المطاعنة وقفت من عصر الملك طهرقا ، نقرأ فى السطر ١٠ : " طلب
 جلالتي نيلا (مرتفعاً) من والده آمون رع ، سيد عروش الأرضيين حتى لا
 يسمح بحدوث مجاعة فى عصره " . ^(٧) وفى بعض النصوص البطلمية التى

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٤ حاشية (١) .

(٢) أو كتب حعبى ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 144 .

(٣) Moret, la Mise `a Mort du dieu en Egypte, p. 11 – 13 .

(٤) Id., op. cit., p. 37 – 38.

(٥) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

. ٣٥١

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

جمعناها (من معابد ادفو واسنا ومدامود ودير شلويط) نقرأ فى إحداها :
 " (الملك بطلميوس) يأتى إليك يا مونتو - رع ، سيد طيبة فى وسط
 مدامود ، ويحضر لك نيل الجنوب مع كل ثرواته الطيبة ، (هو) الذى يأتى
 فى موسمه كل عام ويزود مائدة قرابينك بالأغذية والمؤن لكى يعيش قلبك
 أبديا " (١).

فى كل هذه النصوص لم يرد ذكر لعروس أو قرابين بشرية تؤدى
 للنيل بسبب فيضانه كما لم يرد فى أى نص آخر وصف للتضحية بعروس أو
 بخطيبة للنيل. (٢)

سالميا : قام فانديه فى مؤلفه القيم عن " المجاعة فى مصر القديمة " بتجميع عدد
 كبير من النصوص التى تتحدث عن المجاعة . وجميع هذه النصوص من
 نصوص الأهرام ولوحات ونقوش مقابر وبرديات وتوابيت وتمائيل ونقوش
 معابد بطلمية (مثل معابد دندرة وادفو وفيله وكوم امبو والكرنك وقوص
 وطود والدكه) (٣) وفى هذه المصادر التى يبلغ عددها أكثر من ٥٥ (ومن
 مصدر واحد وهو معبد ادفو ذكر ٣٥ نصا و ٩ نصوص معبد دندرة) لم
 يأت ذكر لأى عروس فى نصوص هذه المصادر . ولم يكتف فانديه بذلك بل
 قام بالبحث فى النصوص القبطية من تعبيرات تعنى " المجاعة " ووجد منها
 خمسة (٤) وهى تخلو أيضا من أى ذكر لعروس أو تضحية بشرية للنيل فى
 حالة مجيئه منخفضا .

سالميا : قام بعض الرحالة اليونان والرومان بزيارة مصر ، فيما بين القرنين السادس
 والأول ق. م . من أمثال هيكاتيه الذى جاء إلى مصر فى القرن السادس قبل
 الميلاد واهتم بالكتابة عن الظواهر الطبيعية لأرض مصر .
وهيرودوت الذى زار مصر فى حوالى سنة ٤٤٨ ق. م . وقام بشرح

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
 Moret , op. cit . , p. 12.
 (٢) Vandier, " la Famine dans l'Égypte Ancienne, Paris (1936), p. 99 - 149 .
 (٣) Id., op. cit., p. 93 - 97.
 (٤)

التكوين الطبيعي لأرض مصر ووصف بعض الظواهر الجغرافية والفيضان وبعض عادات المصريين . ويودور الصقلي الذي زار مصر في حوالي سنة ٥٩ ق. م . وكتب عن معتقدات المصريين . وسترابون الجغرافي الشهير الذي زار مصر بين عامي ٢٥ - ٢٤ ق. م . وعاش في الإسكندرية أكثر من خمس سنوات وحدثنا عن المدن المصرية وعادات سكانها . ولكن لا نجد أن أحد من هؤلاء المؤرخين يتحدث أو يشير إلى أن المصريين كانوا يزفون للنيل كل عام عروسة حية وأن أحدهم ينكر أنه سمع عن وجود هذه العادات وخاصة هيرودوت الذي كان لديه حب استطلاع جارف .^(١)

ثامنا : كان فتح مصر سنة ٦٤٠ ميلادية . وكان المصريون آنذا قد اعتنقوا المسيحية وهي دين سماوي ولا يمكن أن يقبل أو يقر قصة إلقاء عروسة بكر حية لتموت غريقة في النيل .^(٢)

تاسعا : ان ابن عبد الحكم كتب هذه القصة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص بنحو ٢٣٠ سنة ، فإما أن تكون هذه القصة قد رويت له بمعرفة أحد المخرفين ، وإما أن تكون الحكاية برمتها من تأليفه هو ، بقصد تفسير المصريين من مظاهر حضارتهم وعقائدهم القديمة والدعوة إلى الإسلام .^(٣) ويذكر د. زايد : " قصة إلقاء فتاة في النيل التي رواها المؤرخ العربي ابن الحكم لا تعدو أن تكون أكنوبة من الأكاذيب المدعاة على مصر القديمة أو سوء فهم لبعض ما قام به المصريون عند الاحتفال بوفاء النيل في قصة عروس النيل كما رواها ابن الحكم فهي غير معقولة ، وواضح فيها الاختراع والتلفيق فنحن لم نعرف عن المصريين القدماء عادة التضحية البشرية .

عاشرا : وفي عام ١٦٥٧ رأى تفنوه في ١٨ أغسطس ، احتفالات وفاء النيل ، فبعد فتح الخليج يقومون بذبح بعض الخراف ويلقون في النيل تمثالين من الخشب يمثلان رجلا وامرأة ، خطاب النيل ، وأحيانا يكتفون بتمثال واحد ، يلقي إلى النيل إشارة إلى خصوبته .^(٤) وهذا يطابق ما جاء من قبل على بردية هاريس .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٥٢ ؛ مختار السويفي ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٢) مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٤) Moret, op. cit., p. 12.

كما رأينا نصوص المصادر الأثرية من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمي - الروماني ، كما لم يذكر أو يشير إلى قصة عروس النيل أي مؤرخ آخر إغريقى أو روماني أو عربى ، وقد كانت مصر عندما فتحها العرب تدين بالمسيحية التى لا يمكن أن تقر ذلك العمل . بل أن المصريين تحدثوا بإفاضة عن الاحتفالات بوفاء النيل وعن سنى الجذب والمجاعة التى حلت بمصر بسبب انخفاض النيل ، ولم يذكروا قط أن عروسا قد أقيمت فيه .^(١) وهناك إلى جانب ذلك الكثير من الأدلة التاريخية والمنطقية التى لا تقر هذه القصة .^(٢)

عرف المصرى القديم حسن استغلال أراضي الوادى الطويلة فى الزراعة وعرف الارتباط بهذه الأرض ، وعرف معنى الاستقرار وكان من نتيجة استقامة أرض الوادى سهولة الانتقال بين أرجاء البلاد وسهولة الانتقال

- (١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٧١ - ٩٧٢ .
- (٢) يعتقد جومار أحد علماء الحملة الفرنسية أن هذه القصة مزورة وأن هذا التقليد ملئ بالغموض والشك . وعند الاحتفال بفتح الخليج كان يقام فى وسط مجرى الخليج ، أمام السد ، كتلة من الطين غير محددة الشكل تسمى " عروسة " تقذف فى الماء أو على الأحرى تقلبها المياه عند فتح مدخل السد ، راجع : جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل (ترجمة د. أيمن فؤاد) مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢ . ويذكر د. بدوى أن قصة عروس النيل التى ورد ذكرها أيام الفتح العربى ، لم تكن غير مسخ وسوء فهم لبعض ما عرف عن المصريين القدماء أيام احتفاتهم بوفاء النيل ، إذ كانوا يقربون له قربان الشكر ، فيلقون فيه بعدد من الدمى أو التماثيل على هيئة اوزير ، ولم يشر تاريخ مصر إلى شئ من تلك الضحايا البشرية وأن الوقت الذى نسبت إليه تلك القصة كانت مصر قد دخلت فى الدين المسيحى ، دين السماحة والرحمة والبر بالإنسانية ، راجع : أعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٠٥ .

معناها تيسير الالتقاء والتعامل والتحرك والتفاعل بين الجماعات السكانية فى أرجاء البلاد ، ومن ثم الانتفاع المتبادل بتجارب كل مجموعة ، الأمر الذى أدى إلى تطوير إنجازات هذه الجماعات واختيار أفضل الأماكن للاستقرار .

عرف المصريون القدماء قيمة الأرض الزراعية ، ولكى يعبروا عن طبيعة أرض بلادهم أطلقوا عليها عدة أسماء تصف هذه الأرض وتصف طبيعتها ، وتعكس ما يقوم به الإنسان فيها . وتعكس كل هذه التسميات طابع الاستقرار والثبات فى هذه الحضارة . فأطلقوا عليها الأسماء الآتية :

" تا " : الأرض ، أرض مصر كلها ، وهى تكتب بعلامة الأرض المنبسطة والمسطحة . ويلاحظ أن هناك تشابه كبير فى اللغة المصرية القديمة فى كتابة " تا " بمعنى أرض و (ت) بمعنى خبز . ويبدو أن المصرى القديم أدرك أهمية الأرض كمصدر للغذاء فأطلق عليها التسمية نفسها التى يطلق على الخبز . وخاصة وأن كلمة خبز نراها فى جميع صيغ القرابين الرسمية كأول ما يطلبه المتوفى من خيرات وفى صيغة أكثر تطورا نقراً " قرابين " مما تخلفه الأرض ونتيجة السماء بفضل مائها وما يحضره حعبى من " خيرات " .

" تاوى " : الأرضيين ، أرض مصر العليا وأرض الوجه البحرى = مصر

" كمت " : وهى أكثر التسميات تعبيراً عن طبيعة أرض الوادى الزراعية ، فهى تعنى الأرض السوداء ، أى الأرض المغطاة بالطين والطين السود على عكس الصحراء الجرداء التى تتميز باللون الوردى أحيانا طبقاً لوجود صخور المناجم والمحاجر فيها ولهذا أطلقوا عليها اسم " دشرت " .

وعرفت التسمية كمت عند اليونانيين تحت اسم خميا والتى نعبر عن الأراضى الزراعية الخصبة . وأطلق العرب فيما بعد على أرض مصر التسمية نفسها " أرض السواد " .

"خبثوت" : أرض القوة ، أى القوة فى سواعد أبنائها وقوة عزيمتهم وربما تعكس هذه التسمية أيضا تفانى أبنائها فى العطاء وقوة .

"سنوت" : أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر حيث يكتمل القمر) . وهو عيد معروف منذ عصر الدولة القديمة . وأصبح هذا العيد صفة لما كان يعم أرض مصر وعما يسود بين أفراد المجتمع المصرى القديم من احتفالات وبهجة فى العصر البطلمى .^(١)

"تامرى" : أرض الفيضان أو المياه المرتفعة . واستخدمت كلمة تا كأداة تعريف للمؤنث فى العصر المتأخر .^(٢) وهى أصل التسمية العربية لكلمة "دميرة"^(٣) بمعنى وقت أن تغمر مياه الفيضان الأرض الزراعية . .

"بيا" : أرض المعجزات أى الهبات والخيرات والفضائل التى وهبتها المعبودات لهذه الأرض .

ولهذا كله أحب المصرى القديم وطنه وأرضه كما لم يفعل شعب من شعوب الأرض . وأثر هذا الحب الصادق للوطن على إرادة الإنسان واستعداداته الطبيعية فكان البذل والعطاء فى سبيل بناء حضارة محلية وطنية وكان الجهد والعزيمة والصبر

Aufrère, L'Univers mineral dans la pensée égyptienne, BdE^(١) 150 (1991), p. 272 – 273 n. k; Altenmuller, LA 11, p. 173; Meeks, Alex. 11, p. 331; 111, p. 257; Wb IV, 153, 4 – 7; R-el Sayed, Documents relatifs `a Sais, p. 66 n. (C).

✓ Cerny , Coptic Etymological Dictionary, p. 35; Meeks, Alex. I, (٢) p. 411; 11, p. 407; 111, p. 319; Wb V, 223, 4 – 10.

(٣) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ؛ محمد رمزى :

القاموس الجغرافى ، الجزء الثانى ، ص ٨٦ .

والجلد فى سبيل تطورها وازدهارها .

وأكثر من ذلك نجد أن اللغة المصرية القديمة نفسها تأثرت بعناصر البيئة المحلية ، فعندما اخترع المصرى القديم مع بداية الأسرة الأولى وبعدها علامات الكتابة الهيروغليفية ، نجد أنه اتخذ هذه العلامات من الأشياء المادية الموجودة فى البيئة ومظاهرها المختلفة وما كان يحيط به من كائنات حية من حيوان وطيور وأسماك وعناصر نباتية ومظاهر البيئة .

فنجد علامات ترمز إلى الأرض ، السماء ، الماء ، الجبال ، النباتات مثل البردى واللوتس والبوص والأثل وزعف النخيل ، والأشجار ، الحيوان مثل الوعل ، الحمار ، الثور ، الثعلب ، ابن آوى ، الكبش ، الماعز ، سبع البحر والطيور مثل الأييس (أبو قردان) الصقر ، البومة ، العصفور ، والأسماك بأنواعها ، والزواحف مثل الثعبان والحية ، والضفدع وعلامات ترمز إلى الذهب والنحاس أى تشير إلى المناجم والمحاجر .

ونلاحظ أيضا أن كلمة " سبات " التى تعبر عن المقاطعة أو الإقليم كانت تكتب بعلامة ترمز إلى قطعة أرض مقسمة إلى مربعات صغيرة ، أى كأنها قطعة من الأرض الزراعية مقسمة إلى أحواض .

ومما يؤكد عامل الاستقرار هذا ، أنهم يذكرون فى صيغ الدعوات والتمنيات كلمة " جد " بمعنى " استقرار أو ثبات أو دوام " على هذه الأرض الطيبة أثناء حياة الإنسان ، أو الاستقرار والثبات على أرضها أيضا فى العالم السفلى . كما كانوا يذكرون كلمتى نح " إلى الأبد " وجت " الأبدى " فى كل الصيغ تقريبا .

كما أنهم كانوا يصنعون تماثم من اللازورد على هيئة علامة " جد " (١) يرجى من ورانها لصاحبها أمنية الاستقرار هذه .

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٩١٩ .

ولهذا فرق المصريون القدماء بين هذه التسميات التى تعبر عن ارتباطهم بأرضهم وبالقبائل البدوية التى تعيش فى صحراء سيناء مثلا ، الذين يعيشون حياة التجوال والترحال ، ولذلك أطلقوا عليهم التسمية " عامو حر يوشع " أى " البدو الذين فوق الرمال " (١).

ويظهر هذا الانتماء للأرض فى مقاومة الإنسان المصرى القديم للغزوات الأجنبية التى تعرض لها وطنه خلال العصور التاريخية ، وكذلك مقاومته للكوارث الطبيعية ، التى قد تحدث أحيانا ، فقد عرفت مصر عدة فترات من الجفاف والقحط نتيجة لانخفاض مستوى مياه النيل وعدم فيضانه ، وكانت كل فترة منها تمتد أحيانا لعدة سنوات ولدينا من عهد الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة ، قصة المجاعة التى سجلت نصوصها فى العصر البطلمي على صخرة (٢) كبيرة باقية فى جزيرة سهيل جنوبى أسوان ، ويطلق عليها اصطلاحا اسم لوحة المجاعة . وتقص نقوشها أنه حدث فى العام الثامن عشر من حكم جسر أن زاد ضيق البلاد بعد أن عز الفيضان عليها سبع سنين ، فقلت الحبوب وتضاعلت المحاصيل واستشعر المسنون وشباب وأطفال البلاد بآلام المجاعة ، حتى الملك نفسه لحقه الهم وأراد أن يتحرى الأصول والأسباب لما لحق ببلده من بلاء فاستدعى رئيس الكهنة المرتلين ايمحوتب وطلب إليه أن يتعرف على منبع النهر والمعبود الذى يجمع ماءه . ورأى الملك المعبود فى رؤيا ، وعندما أفاق أمر بأن توقف بعض خيرات المنطقة لصالحه . ولعل فى تحديد فترة السبع سنوات العجاف فيها ما يماثل فترة المجاعة فى مصر أيام سيدنا يوسف عليه السلام ، كما أن ذكر الرؤيا والاهتمام بتفسيرها ما يشبه رؤيا

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ؛ د. أحمد بدوى - هرمس

كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٦٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ،

وأىضا : Barguet, la Stèle de la famine à Sahel (BdE 24), le Caire (1953), p. 16; Vandier, la Famine dans L'Égypte Ancienne, p. 132 - 139.

العزیز^(١) وطلبه من یوسف علیه السلام تدبیر الشئون الاقتصادية للبلاد خلال سنوات المجاعة السبع وینکر المسعودی المتوفى عام ٣٤٦ هـ : " فأقام یوسف علیه السلام یدبر ملك مصر کیف شاء ، وجاءت سنى الخصب فأخذ یوسف غلاتها فخرن أكثرها فى سنايلها ، واشترى الغلات الجسيمة ، وأكثر غلات الناس ، وخرن من ذلك ما لا یحصر قدره . ثم جاءت سنى الجذب وبدأ النيل فى النقصان ، فكان ینقص فى كل سنة أكثر نقصانا فى السنة التى قبلها ، فغلا السعر حتى بیع المأكول بالجواهر والمال والثياب والأثیة والعقار ، وكاد أهل مصر أن یرحلوا عنها لولا تدبیر یوسف علیه السلام " .^(٢)

وینکر لنا " عنخ تیفی " الذى كان حاکما على أقالیم الفتنین وأدفو وأرمنت والذى كان معاصرا لملوك الأسرة التاسعة فى اهناسیا ، فى نقوش مقبرته بالمعلا (بین الأقصر واسنا) بأنه كانت هناك مجاعة فتكت بالصعيد ولم ینج منها غیر إقلیمه لأنه ساعد الناس ، وكان یوزع علیهم الحبوب ، وحمى الضعفاء من الأقویاء حتى مرت تلك المحنة بسلام .^(٣)

وهناك نص یخص شخص یدعى " آتی " كان یعمل مساعد لأحد رؤساء بیت المال فى عهد منتوحتب الأول یقول فیه :

" أنه أحيى منطقة الجبلین فى سنوات قل الخیر فیها وتعطل فیها أربعمائة عامل ، وأكد أن نفسه أبت علیه أن یستغل ابنة فقیر أو یغتصب أرضه ... وسد كفاية

(١) د. عبد العزیز صالح : المرجع السابق ، ص ٩٧ ؛ تاریخ مصر القديمة وأثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٦١ .

(٢) المسعودی : أخبار الزمان (ومن إیادة الحدثان) وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزیع ، بیروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦٢ .

(٣) د. أحمد فخری : مصر الفرعونیة ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٩٦ ؛ Vandier, La famine de L'Égypte Ancienne, p. 105 .

الجبليين بالغلال ، وأفاض ما بقي من غلاله على منطقة إسنا " . (١)

وينكر رجل اسمه " أميني " ، الذي كان حاكما على إقليم الوعل في مصر الوسطى ، في عهد سنوسرت الأول ، الأسرة الثانية عشرة ، في نقوش مقبرته ببني حسن بأنه : " عندما تعاقبت سنوات القحط اشرف على استغلال إقليم الوعل من جنوبه إلى شماله وكفل الحياة لأهله ووفر لهم الأقوات فقل بينهم المحتاج وأهدى الأرملة كما أهدى ذات البعل ولم يميز عظيما على فقير فيما أعطاه ، وعندما عادت الفيضانات العالية وازدادت المحاصيل وتوفر كل شيء تجاوز عن متأخرات ضرائب المزارع " . (٢)

وفي النص رقم (٢٠) من محاجر حانتوب ، يقال عن حاكم إقليم الأرنب نهري ابن كمن (من الأسرة العاشرة) : " انه جعل مدينته تعيش ، أثناء سنوات النيل المنخفض ، الذي كان يمولها ، بينما كان لا يوجد بها أي شيء " . (٣)

وفي نص على لوحة لشخص يدعى تحوتي (الأسرة الحادية عشرة) يقول : زودت بالمؤن معبد آمون أثناء سنوات البؤس " . (٤)

وفي نص على لوحة حور حرخوف إف (الأسرة الثالثة عشرة) يقول : " أعطيت الخبز للجائع ، والملبس للعارى ، ونعلا لمن لا يملك واحدا ، وأعطيت الحبوب للبلاد كلها ، وأنقذت مدينتي من المجاعة " . (٥)

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٦ حاشية (٧) ؛

وأيضا : Vandier, op. cit., p. 106; Breasted, Ancient Records I, p. 459.

(٢) Newberry, Beni – Hassan I, p. 23 – 24, p. 8; Vandier, op. cit., p. 114; Maspero, RT (1879), p. 171 – 174; Erman, L'Égypte des Pharaons, p. 134.

Vandier, op. cit., p. 103. (٣)

Id, op. cit., p. 109. (٤)

Id, op. cit., p. 115. (٥)

وعلى الرغم من هذه المحن التى حدثت على فترات متفاوتة لم يترك المصرى القديم أرضه ووطنه وهاجر إلى مناطق أخرى . فكان لديه شعور الانتماء هذا حتى ولو اضطرته الظروف للخروج خارج وطنه كان هذا الشعور لا يموت فى قلبه بل يظل حيا حتى يعود مرة أخرى ، كما فى قصة " سنوهى " وقد ناله عفو شامل عن هروبه الذى اتسم بالتهور قبل ذلك بأعوام كثيرة ولقيته عند الحدود بعثة ملكية محملة بكافة الأشياء الطيبة . وعند وصوله إلى العاصمة اقتيد وهو فى وعشاء السفر إلى الحضرة الملكية حيث رحب به الملك بكلمات قليلة عطوفة : " ثم قال جلالتة للزوجة الملكية هاك سنوهى الذى أقبل كعام من نسل قوم ستيو (أى الآسيويين) فصرخت عاليا وهكذا فعل كل الأطفال الملكيون بصوت واحد " وقالوا لجلالتة : حقا أنه ليس هو . وقال جلالتة : بل أنه هو .. هو حقا " (١)

وكان المصريون القدماء يقاسون مرارا من هذه الكوارث وخاصة القحط نتيجة لعدم فيضان النيل ، وأشاروا إلى ذلك فى نصوصهم من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى - الرومانى (٢) والشئ ذاته نجده فى بلاد النهرين . فقد عرفت هذه المنطقة فترات مشابهة من الجفاف والقحط فى عصورها المختلفة نتيجة لانخفاض منسوب المياه فى مجرى دجلة والفرات فى وقت الفيضان ، ولم يفكر أهل بلاد النهرين فى الهجرة (٣)

وحسبنا أن المقرئى ، شيخ المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى ، ألف كتاب : " إغاثة الأمة بكشف الغمة " بحث فيه المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ، فتقصى أسبابها ، وأشار إلى الأساليب الممكنة لعلاجها (٤) فى القرن الأول الهجرى ، حدث قحط فى سنة سبع

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة : د. نجيب ميخائيل ، ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٦٣ .
 (٢) Vandier, la Famine dans l'Egypte Ancienne, p. 99 – 149 (les textes).
 كما درس فاندیه أسباب المجاعة : فيضانات ضعيفة أو قوية جدا ، أو حرب أهلية ، وكيفية مواجهتها (Id., op. cit., p. 45 – 58)
 (٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام) الإسكندرية ، ص ٧٢ – ٧٣ .
 (٤) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ==

وثمانين هجرية في ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وحديثا عبد اللطيف
البغدادي صاحب كتاب " الإقادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة
بأرض مصر " الذي ألفه حوالي سنة ١٢٠٠ ميلادية ، عن مجاعة أصابت مصر أيام
العادل سيف الدين الذي تولى الحكم عام ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) ، نتيجة لانخفاض
مياه النيل وانتشرت المجاعة لمدة عامين متوالين .^(١)

وفي عهد الخليفة الفاطمي المستنصر قصر النيل في فيضانه مدة خمس
سنوات فهدد البلاد بالمجاعة وامتد الجوع إلى سنة ٤٦٤ هـ . وكان أشده سنة
٤٦٢ هـ ، ثم توالى القلاقل التي اقتضت الإسراف في الحبوب المخزونة ، وندرت
الحنطة وبلغ ثمن الأربب الواحد مائة دينار ورافق هذا الغلاء وباء مكث سبع
سنين .^(٢)

ساعدت الصحارى التي تحيط بالبلاد من الشرق والغرب وبعض المناطق
في الجنوب ، على عملية الاستقرار ، فعلى نحو ما كان النيل أبدا حائيا لحضارة
المصريين القدماء ، على الرغم من الجبروت الظاهر لفيضانه ، وعلى نحو ما كانت
الأرض الزراعية أما لهذه الحضارة ، فإن الصحارى كانت بمثابة الدرع الواقى .

فكانت هذه الصحارى بمثابة الأسوار الطبيعية ، فقد أدى اتساعها وانتشارها
إلى التقليل من استخدامها سبيلا للغزوات الخارجية التي يمكن أن تهدد استقرار وادى
النيل وجعلت حضارة مصر بمنأى عن المؤثرات الأجنبية ، فكانت بمثابة الجدران

== ص ٢١ وحاشية (١) ؛ د. زكى حسن : الرحالة المسلمون فى العصور

الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ١١٣ .

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ - ١٨٢٥) من جوهر

القائد إلى الجبرتي المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص

. ٧٤

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ٢١ ؛ د. عبد الرحمن

زكى : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

الخارجية للوعاء الذى تتفاعل بداخله كل مقومات الحضارة المحلية ، كما ساعدت على تطور الحياة فى الوادى وعلى تقدم الحضارة التى كانت تنعم بفترات استقرار طويلة لم تعرفها الكثير من حضارات العالم القديم . ولهذا كانت لهذه الصحارى آثارها البعيدة فى حياة السكان ، فالصحراء الوعرة المترامية الجافة أجبرت الإنسان على تركيز جهوده فى الوادى والاستقرار فيه . وهذا ما أبرز غنى الوادى الأخضر . وعلى الرغم من قسوتها ، فإن هذه الصحارى وما بها من مرتفعات ، أعطت للإنسان المصرى مقومات حضارته المادية ، نتيجة لوفرة المعادن فى محاجرها وكثرة ما بها من أحجار متنوعة ، كما استطاع الإنسان المصرى أن يستغل رمال الصحراء وجفافها فى جهة الغرب فى المحافظة على رفات موتاه .^(١)

المناخ المعتدل نسبياً والبعيد ، والقسوة ، أو التقلب المستمر ، أو صراع الظواهر الطبيعية ، فكان ذلك واقعا لنشاط الإنسان المصرى القديم الإيجابى فأنصرف هذا الإنسان إلى الاستقرار وعمران الوادى . ولم ينصرف مجهوده إلى الدفاع عن نفسه من ظروف مناخية قاسية ، أو صعبة أو متغيرة ومتقلبة ، مما أتاح المجال أمامه لما يمكن أن نسميه بالتأثير والتأثر بين هذا الإنسان وظروف البيئة التى تحيط به ، أى التغلب على صعوباتها تارة ، والانتفاع بمميزات تارة أخرى ، ومن ثم كانت الإنجازات الحضارية .^(٢)

وهكذا بفضل الموقع الجغرافى المتوسط ، وتوفر عدد كبير من المواد الأولية فى أرض مصر ، وجريان نهر النيل وتوافر مياهه وطميّه ، ووفرة الأرض الزراعية ، واستقامة أرض الوادى ، ووجود الصحارى الحامية ، وتوافر المناخ المعتدل ، انطبعت مظاهر الحضارة المصرية القديمة بطابع الاستقرار والاستمرار .

وقد اعتقد بعض العلماء الأجانب أن هذه الحضارة كانت دخيلة على أرض مصر ومن صنع أو نتيجة ثقافة سكان أجناب دخلاء على مصر ، ولكن من خلال ما

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

استعرضناه يمكن القول بأن هذه الحضارة ولدت ونشأت على أرض مصر وتطورت على أيدي الإنسان المصري القديم ، الذي كان أكثر إدراكا ومعرفة وفهما بظروف بيئته وما فيها أكثر من غيره ، فهي بالضرورة حضارة مصرية نيلية المولد وزراعية النشأة ، ولهذا تميزت بالاستقرار والثبات وعدم التنقل أو الهجرة .

واننا نعيش فوق تلك " الأرض المحبوبة " على حد تعبير المصريين القدماء ، وليس في تلك الحقول الخضراء شبر واحد لم يمتزج ثراه بعرق أولئك الأجداد البعيدين جيلا بعد جيل منذ آلاف السنين .

وهذا النيل المبارك المعطاء ، ما زال يسير بين الشاطئين كما فعل منذ مئات القرون .^(١)

(٤)

تأثير عناصر البيئة وظواهرها على طبيعة

ومجهود الإنسان المصري القديم

تقوم الأبحاث العلمية الحديثة بالكشف عن تأثير محيط البيئة على المجتمع الإنساني وما يحيط به . وقد اعتقد اليونانيون في هذا التأثير . وقام عالم الطب الشهير " هيبوقراط " بتقسيم سكان المناطق المرتفعة مثلا إلى طول قامة ، نوى الشجاعة وطابع هادئ . وسكان البلاد القليلة الأشجار بدون مياه إلى عصبيين ، شديدي المراس .^(٢)

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ، ص ٤٥ .

(٢) أكبر علماء الطب ، ولد في جزيرة كوس في اليونان في حوالي ===

وقد شعر هيرودوت نفسه بكل هذه المميزات للبيئة المصرية ذلك عندما زارها فى القرن الخامس ق. م . وقد كتب فى بداية تاريخه : " أن المصريين الذين يعيشون فى جو فريد ، على حافة نهر يمتاز عن بقية الأنهار الأخرى ، كانت لهم معتقدات فى كل الأشياء والمجالات تقريبا ، وعادات وتقاليد على اختلاف الشعوب الأخرى .^(١)

وكان من الأفضل لنا ، أن نتعرف على مدى تأثير الطقس الصحراوى على الإنسان المصرى نفسه ، وللأسف الشديد أن مثل هذه الدراسة الخاصة بتأثير الطقس على جسم الإنسان ، لا زالت فى مرحلة أولية .

وقد تناولت بعض الدراسات الحديثة إظهار مدى تأثير الرياح والرطوبة والرعد على تكوين جسم الإنسان ، وبينت أن الطقس قد أدى دورا هاما وضروريا فى تكوين وتطور أهل المجتمع الإنسانى ، ويقول سور^(٢) :

" أنه ليس هناك أية مجموعة من البشر قادرة على الاستقرار فى مكان ما مع المحافظة كلية على صفاتها العامة وتكوين سائر أعضاء أجسامها " .

== عام ٤٦٠ ق. م. وتوفى عام ٣٧٣ ق. م . واهتم بدراسة بعض الأعضاء الداخلية فى جسم الإنسان ، راجع : (1967) Petit Larousse, Paris (1423)

(١) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ،

Herodote - Thcydide, Oeuvres Completes, texte : ص ١ présentée, traduit et annoté par A. Barguet, Paris (1964), p. 155 (35).

(٢) هو مكسمليان سور : أستاذ الجغرافيا بجامعة السربون فى الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٤٠ ، راجع : (1963) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 22.

ويناقش سور الدور الذى تؤثر فيه بعض الظواهر البيئية على تكوين جسم الإنسان مثل : " شدة الضوء ، انخفاض الضغط ، جفاف الهواء فى المناطق المرتفعة ، شدة الرياح فى المناطق الساحلية " . وعلى ذلك فإن التأثير الذى أحدثه الطقس الفريد على إنسان وادى النيل ، من الأفضل أن يدرس بمزيد من الاستفاضة والاهتمام بواسطة عالم طبيعة ، أجدى مما لو تدارسه مؤرخ .

ولكن على الرغم من ذلك نستطيع أن نقول أن عناصر البيئة الستة التى ذكرناها قد أثرت بفاعلية على طبيعة الإنسان المصرى القديم نفسه ، فقد أكسبت هذه العناصر من : موقع متوسط ومتميز أعطى للبلاد حدودا طبيعية محصنة ، وفرة التكوينات الصخرية ، ووفرة مواد البناء والتشييد ، جريان النيل الخير بمياهه المتجددة الفائضة ، والذى يجئ بالفيضان المحمل بالغرين الغنى ، ووجود أرض الوادى الطويلة الخصبة والواحات الغنية بمواردها ، والصحارى المترامية الجافة ، توافر المناخ الجاف والمعتدل ، والشمس الساطعة التى لا تغيب إلا لتشرق من جديد فى الصباح .

للإنسان المصرى القديم عدة صفات شخصية عرف بها وهى :

الطبيعة السمحة الخيرة : التى اكتسبها من سهولة الحياة على ضفاف النيل ووفرت الخيرات فى أرض مصر ، وما تمتاز به البيئة من مباحج الحياة^(١) وجعلته يغلب الخير على الشر .

طابع الهدوء : أصبحت هذه الصفة من أهم سمات الإنسان المصرى القديم طوال عصوره التاريخية ويتعجب بعض المؤرخين من استقرار شعب مصر وهدوئه والذى يعتبر " أقل الشعوب ثورة وتمردا " .^(٢) فالموقع الجغرافى جعل المصرى

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ١٩٦٥ ، ص ١ - ٢ .

Vercoutter, op. cit., p. 18 .

(٢)

القديم يشعر بالطمأنينة ويأنه فى بلاد آمنة ذات موقع ممتاز محمى بفضلى حدوده الطبيعية .

الإحساس المرهف الرقيق : ويتضح هذا الإحساس فيما أخرج به الفنان المصرى القديم من رسوم ونقوش ونحت ، ونجدها جميعا خالية من عنصر العنف أو القسوة . ويظهر هذا الإحساس المرهف وذلك المنظر المنقوش على تابوت إحدى ملكات الدولة الوسطى ، وهو يمثل حلب بقرة بواسطة عامل أو مزارع ، وقد ربط صغيرها فى إحدى ساقىها الأماميتين ، ليزداد إدراكها للبن ، ولكن البقرة تبكى لإدراكها أن اللبن لن يكون من نصيب وليدها ، وقام الفنان بنقش قطرة من دموعها تتساب من عيناها اليمنى .^(١)

النشاط فى العمل : وقوة العزيمة والصبر ، فلم يعرف المصرى القديم الملل ولم يركن إلى الراحة ، فقد شيد بنشاطه الجم وقوة عزمته صرحا من الآثار المادية ظهر أن الزمن عجز عن محوه محوا تاما . وأقام هذا الصرح من الآثار بأبسط الوسائل المادية والمعدات مما يصعب تحقيقه فى عصر الآلة والتقدم التكنولوجى فى عصرنا الحالى .^(٢)

وتلك العزيمة والصبر كانتا من سماتهم منذ أقدم العصور حتى آخرها . وليس أمامنا إلا أن نعجب بما أخرجوا من أعداد لا تحصى من الأوانى الجميلة من مختلف أنواع الأحجار وأصلبها فى عصور ما قبل الأسرات . وبداية الأسرات^(٣) والتي أخرجت فى دقة واتقان بالطين . وليس أمامنا أيضا إلا أن نحنى رءوسنا إجلالا

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٠٤ ؛ وأيضا د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٤ ؛ Saleh - Sourouzan, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 68 (c) :-

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٨ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

وتقديرًا أمام تلك المنشآت المعمارية الضخمة التي أقامها المصريون القدماء منذ عصور الدولة القديمة والممثلة في أهرام الجيزة . وخاصة إذا علمنا أنهم لم يستخدموا في إقامتها سوى العقل والزلاقات ، وبناء الجسور من الطوب اللبن^(١) وليس أدل على وصف هذه القدرة إلا ما قاله الأديب والشاعر الأندلسي أبو الصلت أمية الذي وصل إلى الإسكندرية في عام ٤٩٨ هـ (١٠٩٥ - ١٠٩٦ م) ثم جاء إلى القاهرة ، وكتب عندما شاهد الأهرام :

" وأى شئ أعجب وأغرب من مقدرات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسيم من أعظم الحجارة ... في غاية من حسن التقدير بحيث لم يتأثر أبدا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل " .^(٢)

ولعل في الكلمات التي وجهها الملك خيتي الثالث (أو الرابع) لابنه مريكارع من العصر الالهناسي ما يشير إلى هذه العزيمة والحرص على العمل بجدية ونشاط فهو يقول له :

" احترم حياة مملوءة بالنشاط ... ولعل يدك لا تصبح عاطلة ، ولكن أقبل على عملك منشرجا ، فالتراخي يقضى على السماء نفسها " .^(٣)

ومما يؤكد هذه الروح هي القصة التي سطرها لنا أحد حكام الأقاليم الذي يحكى فيه قصة اشتراك أهل مدينته جميعا طواعية لسحب تمثال له بلغ وزنه حوالى ستين طنا وأراد إخاله داخل المقبرة المعدة له ، وكان بين الناس المتطوعين لسحب هذا التمثال رجلا هرما ، الذى كان يستند على كتف طفل صغير ، ويقول تحوتى

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٧ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

٦١٩ : تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -

الجزء الأول ، شكل ٣٢٧ .

نخت في نصوص مقبرته تعقيا على ذلك :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة ، وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .^(١)

وليس أمامنا إلا أن نعجب كذلك بتلك المقابر الملكية المحفورة في الصخر وخاصة منطقة البر الغربى فى طيبة ، والتي تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة ، وملتوية تارة أخرى ، وقد يصل طولها إلى أكثر من مائة متر فى باطن الأرض ، وتؤدى فى النهاية إلى حجرة الدفن .^(٢) وكذلك المعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة ، وعلى رأسها معبدى أبو سمبل من عهد رمسيس الثانى . وتحقيقهم لمثل هذه الأعمال الشاقة ، سمح لهم بالعمل فى مجموعات متآزرة متعاونة . وكانت السبب فى تعارفهم وتواردهم . وكانوا يؤدونها أيضا بنوع من التقوى والحيوية الغير مألوفة ، والغير معروفة عند أهل المجتمعات الأخرى فى الحضارات المجاورة أو البعيدة . وهى أعمال اشترك فيها العديد من العمال والحرفيين ، والبنائين ، والمهندسين المصريين القدماء .

الخيال الخصب : ويظهر ذلك فيما أخرجه الكتّاب المصرى القديم من إنتاج (أو نتاج) أدبى غزير نلاحظ فيه تأثير البيئة بما فيها من مظاهر طبيعية جميلة .

الاعتدال فى المزاج ، وحب الوطن والدفاع عنه ، والميل إلى التطور فى أسباب المعيشة ، والبعد عن حياة الهمجية والضرارة والعنف . الشدة عند مواجهة الأخطار ، فتعلم المصرى القديم عند مواجهته لفيضانات النيل الزائد كيفية مواجهة المحن والأخطار فى حياته ، ومحن الغزوات الأجنبية التى تعرضت لها البلاد طوال تاريخها التى قاومها بشجاعة ، وسواعد قتيّة ، وبإصرار شديد تابع من قوة إيمانه بقيمة أرضه وبقيمة ما أنجزه من مظاهر حضارية .

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 77 – 78.

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء

الباب الثاني

نشأة الحضارة المصرية القديمة

كان لتوسط الموقع الجغرافى وتوافر المواد الصخرية والحجرية والمواد الخام فوق سطح وفى باطن الأرض الصحراوية ، وجريان النيل بمياهه وطمييه ، وتوافر التربة الزراعية ، ووجود الوديان والواحات والصحارى المترامية ، واعتدال المناخ ، أثره الكبير فى البناء الحضارى وظهور معالم العمران المصرى القديم . فكل هذه العناصر بدون مجهود الإنسان لا قيمة لها . لذلك ارتبطت مظاهر الحضارة المصرية والعمران المصرى منذ البداية بهذه الظروف البيئية وتلك العوامل الجغرافية ومجهود الإنسان المصرى نفسه .

ومهما قيل أو اعتقد بعض العلماء فإن هذه الحضارة كانت دخيلة على أرض مصر ومن صنع عناصر أجنبية دخيلة على مصر ^(١) ، فإن هذه الحضارة قد ولدت ونشأت على أرض مصر وتطورت على أيدى الإنسان المصرى القديم ، الذى كان أكثر إدراكا ومعرفة بظروف بيئته وما فيها أكثر من غيره ، فهى بالضرورة حضارة مصرية المولد والنشأة والتطور من صنع ومجهود وتفكير الإنسان المصرى.

وقد تحدث بعض العلماء أيضا عن هذه العناصر الفريدة للحياة على ضفاف النيل ناسين أن هذه العناصر ليست إلا نتيجة لمجهود الإنسان المصرى الذى روى الأرض وأعدّها للزراعة وأقام عليها مساكنه وشيد قراه ^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل البعض الآخر يردد ما قاله هيرونوت بأن

(١) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 6-7 .

(٢) Id., . op. cit., p. 14 – 15 .

مصر هبة النيل ^(١) . ولكن إذا كان النيل قد أعطاهما المياه والطمى فإن إعداد الأرض فقد ساهم الإنسان المصرى القديم بمجهوده الوافر فى وضع أسس هذه الحضارة وذلك منذ أن أصبح الوادى صالحا للسكنى ، ولم يحدث أن جفت الصحراء مرة واحدة ولكن كان ذلك على مراحل متتالية .

وبدأ جزء من السكان الذين كانوا يعيشون على الهضبة الصحراوية ويعيشون فى البداية على جمع النباتات والتقاط الثمرات والصيد والقنص ، يستقرون حول مناطق المياه وخاصة بالقرب من الوادى ^(٢) .

وقد ساهم هؤلاء السكان الأوائل فى استيطان الوادى بصفة مستمرة ، وإلى هذه الجماعات أو السلالات البشرية الأولى ، المكونة من عناصر مختلفة ، ينتمى أصل الشعب المصرى فى العصور التاريخية .

(١)

العمران المصرى القديم والتجارب التى مر بها الإنسان المصرى القديم

فرضت عوامل الطبيعة على السكان الأوائل طابع التجمع والعمل المشترك . فالاستفادة من مياه النيل وتنظيم الوسائل للاستفادة من فيضانه كانا يتطلبان مجهود الجماعة وليس الفرد . فكان من الضرورى حفر الترعى وشق القنوات وقياس ارتفاع منسوب المياه ، وتوزيع المياه فى أحواض ، كل ذلك يحتاج إلى جهود الجماعة . وكما كان الفيضان مصدرا للخير ، كان أيضا مصدرا للخطر وكان يهدد حياة السكان أحيانا فكان عليهم إقامة الجسور للحد من خطورته . وفرض هذا العمل

(١) حرفيا : هبة النيل : ، راجع :
Vandier , la Famine dans L'Égypte ancienne, Paris (1936),
p. XI (introd) n. 5 = Barguet , Herodote – Thucydide
d'Athenes, Paris (1964) , p. 143 (5) = Herodote 11,5 .
(٢) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

الجغرافى على السكان طابع التجمع للبحث عن مأوى بعيدا عن تأثير أخطار الفيضان ، مع عدم فقدان الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة . وابتداء من هذه اللحظة بدأ الإنسان يعيش بفضل إنتاجه ومجهوده يديه . فأستغل المناخ الصالح والأرض الخصبة ووفرة المياه وتوصل إلى معرفة الزراعة . وكما أعطته البيئة الأرض الصالحة للزراعة ، أعطته أيضا الأرض والمواد لتشييد مسكنه . وكان عليه أن يختار الموقع الذى يستقر فيه والأكثر ملائمة له ^(١) . فكان يتجنب الأراضي المنخفضة ، سواء فى الوادى أو فى الدلتا ، نظرا لانتشار المستنقعات وكثرة الحيوانات المتوحشة التى تعيش فيها ، ولذلك كان يختار المواقع المرتفعة ، بعيدا عن المستنقعات وبعيدا عن خطر الفيضان السنوى ، ويمكن الدفاع عنها . ولهذا شيد المصري القديم مسكنه فى قرى على أطراف الأراضي الزراعية المتاخمة للصحراء . وذلك بسبب عدم استطاعته إقامة مسكنه فوق هضبة أو تل مرتفع لعدم وجود مثل هذه الهضاب المسطحة فى البيئة . ومن هنا جاء ارتباط المصري القديم بموطنه الصغير الذى شيد فيه مسكنه وتركزت حوله جهوده ونشاطه .

كم اهتم المصري القديم أيضا ببناء مسكنه بالقرب من مصادر المياه إن أمكن ، وبالقرب من طرق المواصلات البرية والنهرية ، وعلى مواقع من السهل الدفاع عنها ضد أى اعتداء خارجى ويستطيع أن يراقب منها الطرق والمساكن ^(٢) .

وقد ساعدت العناصر المادية الموجودة فى البيئة الإنسان المصري القديم على الاستقرار ، فإلى جانب وجود التكوينات الصخرية والأحجار المتنوعة التى سبق ذكرها ، كان يوجد أيضا طمى النيل ، وأعواد نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فى أحراش الدلتا ، وأعواد الغاب أو البوص والسمار . كما استخدم فروع وجنوع بعض

(١) وقد بدأ الإنسان المصري القديم التأثر بالبيئة الطبيعية فى اختياره لمواقع محلاته وسكنه فى عصور ما قبل التاريخ ، راجع : د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، ص ٦١ ؛ د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢ .

الأشجار مثل الأثل والجميز والنخيل فى بناء عمارته الأولى .^(١)

ويمكن القول أيضا بان عوامل الاستقرار قد توافرت أيضا بفضل وجود حكومة مركزية تستطيع ان ترعى شئون الري وتنظيم وتوزيع المياه . وفى الواقع أن الصورة الكاملة لمجهود الإنسان فى البيئة لا تتم إلا بمعرفة ما كان يقوم الإنسان بزراعته أو يستخدمه ويستأنسه من حيوان .

معرفة الزراعة : انتقل الإنسان من مرحلة الإنبات الطبيعى إلى مرحلة الاستتبات المصطنع فبعد أن قلت الأمطار فى الصحارى المجاورة ، وحل الجفاف فى آخر العصر الحجري الحديث حلت بالتدريج الظروف التى ألزمت الإنسان بمعرفة الزراعة وأصبحت الزراعة المتوسعة هى حرفة السواد الأعظم من الشعب رغم ان الفيضان خلال شهور أخريات الصيف كان عائقا مؤقتا دون ذلك مما حول نشاط العاملين إلى مجال العمارة والصناعات اليدوية . ولقد كان طمى النيل الكثير مسببا لخصوبة شديدة ولكن الإفادة منه لم تكن تتم إلا عن طريق الكد الذى تلهبه الحماسة فلا يفتر . ويبدأ الحرث والبذر بمجرد انخفاض المياه .

ونستطيع أن نقول أن ثروة مصر فى النباتات الطبيعية فى أواخر عصور ما قبل التاريخ كانت تتكون من الحشائش التى ترعاها الماشية والأغنام فى شمال الدلتا وكذلك البردى وبعض النباتات المائية التى استغلها الإنسان فى مختلف أغراضه ومنها إقامة الأكواخ وصناعة الحصير وورق البردى فيما بعد . واستطاع ان يخرج من الأرض ، التى كانت مهمة لا تخرج إلا الحشائش والأشجار ، أصناف النباتات النافعة الكثيرة ، فكان منها نبات الحبوب التى تمس إليها حاجة القوت ، وأشجار الفاكهة ، ثم حول الأرض المغطاة بالبحيرات والمناقع إلى أرض زراعية صالحة .

واستطاع الإنسان أن يحسن استتبات كثير من النباتات التى وجدها تنمو طبيعىة فى واديه وصحاريه المجاورة .

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١ .

وبفضل الموقع الجغرافى المتوسط أمكن للإنسان المصرى القديم ان يتصل بالشعوب التى تحيط به فى البلدان المجاورة ، ونقل عنها معرفة زراعة بعض النباتات والبذور من المناطق الشرقية او الشمالية أو الجنوبية .

كما انه تعلم من شعوب هذه المناطق أيضا تربية واستئناس بعض السلالات الحيوانية . ويبدو أن الشعير والقمح كانا من أقدم نباتات الحبوب المزروعة فى وادى النيل . فقد كشف عن بعض حبوب الحنطة والشعير بين آثار العصر الحجرى الحديث فى الفيوم ، وكذلك على حبوب الشعير فى حضارة العمري . ويبدو أن الإنسان المصرى قد عرف الشعير من شمال شرق أفريقيا (١) . أما القمح فقد اكتشفت حبوبه أيضا بين آثار العصر الحجرى الحديث . ومن المرجح ان يكون وطنه الاصلى غرب آسيا وجنوبها الغربى ، فقد وجدت بعض أنواعه تنمو وتتكاثر برية فى منطقتى جبال إيران والأناضول . وكذلك المنطقة الجبلية إلى الغرب من حوران (جنوب غرب سورية وشمال فلسطين) وأيضا الذرة الأفريقية ، الذى عرف استنباته فى جزء ما من شرق أفريقيا فى حوالى بداية العصر الحجرى الحديث أو بعد ذلك بقليل ، ثم انتشرت زراعته فى مصر بعد ذلك . ويمكن القول بان مساحة الأراضى المزروعة فى الوادى فى عصر ما قبل الأسرات حتى عصر الدولة الوسطى كانت فى حدود ٨٠٠٠ كم^٢ . (٢)

أما أشجار الفاكهة فالرأى السائد الآن ان حوض البحر المتوسط هو الموطن الاصلى لكل من الكروم والزيتون وخاصة الساحل الشمالى من أفريقيا ومن هناك انتقلا إلى مصر وساحل مريوط . ويغلب على الظن ان يكون شرق البحر المتوسط هو موطن التين ، وأن يكون جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا موطن نخيل التمر التى استغلها الإنسان . وكان لهذا النبات اثره فى فن العمارة وتقليد عناصره فى النحت .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢٤ - ٢٥ .

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٢٦ .

ومن النباتات التى عرفها الإنسان المصرى فى العصر الحجرى الحديث او بداية المعادن البقول والحضر وبعض الأشجار كالجميز والسنت و غيرها من أشجار البيئة المصرية القديمة .

ويلزم معرفة الزراعة معرفة أدواتها ، فالفأس الحجرية عرفت فى أواخر العصر الحجرى القديم واستخدمت فى الزراعة منذ العصر الحجرى الحديث . ولكنها تطورت وأصبحت فأسا معدنية فى أوائل عصر بداية الأسرات ، ثم تطورت إلى المحراث التى تجره الثيران ، وقد بدأ باستخدامه منذ عصر الدولة القديمة تقريبا . وكان سلاحه من الحجر فى أول الأمر ، ثم أصبح من البرونز ثم من الحديد بعد ذلك وكذلك حل المنجل المعدنى محل المنجل الحجرى . واستخدم الشادوف منذ عصر ما قبل الأسرات او منذ عصر بداية الأسرات ، أما الطنبور والساقية فلم يظهر إلا فى العصر البطلمى - الرومانى .^(١)

وعثر فى حضارة الفيوم على مطامير للفلل ، منها ما كان مصنوعا من سلال من القش ، واستخدم اهل حضارة مرمدة بنى سلامة ، المطامير من السلال او الجرار الكبيرة من الفخار ، عثر فى حضارة العمرى على رصى كثيرة لطحن الحبوب إلى دقيق .^(٢)

استئناس الحيوان : أما بالنسبة لاستئناس الحيوانات ، فقد عثر فى حضارة مرمدة بنى سلامة على بقايا حيوانات مثل فرس النهر والتمساح والسلحفاة ، وبقايا من الأسماك وعظام حيوانات مستأنسة مثل الخنزير ، والأغنام والماعز ، والأبقار والكلاب . وقد عرف البقر الأفريقى نو القرون الطويلة منذ أوائل العصر الحجرى الحديث . ويبدو أن استئناس هذا الحيوان قد بدأ فى شرق أفريقيا . كذلك عرف أولئك

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة

الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ١٠ ؛ ألفه نخبة من العلماء :

تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦ - ٢٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٨ - ٦٠ .

السكان الأغنام بأنواعها المختلفة في العصر الحجري الحديث ، ولا بد أن استئناس الأغنام كان معروفا أيضا في شمال غرب أفريقيا . وعرف الإنسان الحمار منذ عصر ما قبل الأسرات ، وكان هذا الحيوان معروفا أصلا في شمال شرق أفريقيا أو غرب آسيا .

ولم يعرف الجمل في عصور الأسرات المصرية ولكن استخدامه في الصحارى لم ينتشر إلا في العصر البطلمي - الروماني ^(١) ، وهو من موطن الحمار .

أما الحصان فقد استؤنس أول المر في داخل آسيا حتى ادخله الهكسوس إلى مصر في حوالي القرن السابع عشر ق.م . ^(٢)

أى انه سعى لاستئناس بعض الحيوانات وذلك لتربيتها ، فتم له ما قصده منها من مساعدتها له في خدمة الأرض وكثير من أعماله وأصبحت تحت تصرفه يخرج منها ما ينفعه في قوته وملبسه .

(١) م . رسو فتزف : تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادى ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية (مراجعة م . فريزر وترجمة إلى العربية وراجعه زكى على ومحمد سليم) ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٩٤ . يرى أن الجمل لم يكن معروفا في مصر في زمن العصور المصرية القديمة ، فهو يظهر لأول مرة ن في أوائل عصر البطالمة . ففي المنزل رقم (١٣) المسمى بمنزل اوريليوس بتيس بتونا الجبل من العصر الرومانى ، نجد قبل الركن الأيمن للصالة الأمامية رسما بالحبر الأسود يمثل جنديا يحمل على كتفيه سيفاً بينما يمسك في يده اليمنى سوطاً وبيسراه حبل ربط إلى جمل والجمال يحمل جرتين ربما للمياه ، راجع د. إبراهيم سعد : تونا الجبل ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٩ ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ٤٥ - ٦٨ .

تطور صور العمران على الأرض المصرية وظهور الأقاليم

ظهرت معالم العمران المصرى القديم عندما بدأ الإنسان فى استغلال مقومات وعناصر البيئة فاستغل الأرض والتربة وأصبحت الزراعة أساسا هى حرفة المصرى القديم المستقر فى الوادى والدلتا . وتطورت بعد ذلك معرفة هذا الإنسان للأدوات المستخدمة فى الزراعة منذ أواخر العصر الحجري الحديث وما بعده^(١) . وبدأ الإنسان المصرى يواجه تذبذب مستوى فيضان النيل وأصبحت الأرض الزراعية مقسمة إلى مساحات مربعة طبقا لنظام الري .

وبعد أن احترف المصرى القديم الزراعة والري اتجه إلى العمران والتجمع فى قرى صغيرة وتطور بمساكنه ، وتطورت القرى الصغيرة إلى قرى كبيرة وأصبح هناك نوع من النظام الإدارى ونشأت المحلات الحضارية الكبرى ثم المدن والأقاليم أو المقاطعات .

وهناك ما يدل على أن مصر فى عصور ما قبل التاريخ كانت مقسمة إلى عدة أقاليم أو مقاطعات وسمى المصرى القديم الإقليم باسم " سبات " وهى تعنى جزءا أو قسما من الأراضى الزراعية .

ومنذ البداية وضح الفرق بين الصعيد والدلتا فى التطور العمرانى وظهر ذلك فى عدد الأقاليم وحدودها التى كانت أكثر ثباتا عبر العصور التاريخية فى الصعيد منها فى الدلتا المتغيرة والمتطورة نتيجة تحول مجارى وفروع النيل واستصلاح

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٨ .

الأراضى (١).

وحاول بعض العلماء عمل جداول لتوضيح التوزيع العمرانى والمراكز العمرانية فى مصر العليا ومقاطعة منف أو الجدار الأبيض أول مقاطعات أو أقاليم الدلتا ، ومن هذا التوزيع نستنتج انه كان هناك :

١٧ مدينة كبرى .

٢٤ مركزا حضريا .

٢٩ مركزا اصغر .

١٣٨ قرية كبيرة .

يضاف إلى ذلك ٧٠ مركزا جرى التنبؤ بوجودها ، وكذلك ١٧٠ قرية كبيرة (٢) . وكانت هذه المدن والمراكز والقرى توجد فيها ما يسمى بالإقليم " نوم " .

ظهور الأقاليم :

كانت هذه الأقاليم تختلف كثيرا فى مساحتها بحسب المنطقة التى تقوم فيها وظروفها الطبيعية . وكانت عاصمة الإقليم تمثل الخلية الأولى للتكوين السياسى والإدارى والدينى . وكانت نشأة عاصمة الأقاليم ونموها مرتبطا بالأحوال الاقتصادية فى الأقاليم واستقرار الأمن فيه . وروعى أيضا التوازن بين حجم السكان وموضع العاصمة بحيث يكون ممكنا لسكان أقصى المناطق فى الإقليم المجئ إلى السوق فى العاصمة والعودة فى مدى نهار واحد (٣) . وذلك بإحدى طرق المواصلات المتاحة آنذاك ، وهى إما راجلا ، أو بالدواب ، أو بالمواصلات النيلية (٤) . وكان من الأفضل ان تبني صوامع الغلال فى عواصم الإقليم والتى كانت لابد ان تتباعد على

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

مسافات مناسبة لحفظ وتخزين الحبوب (١).

ويربط " بترى " بين تباعد المدن المصرية القديمة ، وبين توافر الفائض من الحبوب الذى أدى إلى تواجد أسباب القوة السياسية ، وظهور " حكومات المدن " وهناك قوائم بإملاء تلك الأقاليم ، تبين لنا التقسيم الإدارى لكل إقليم ، والأرض المزروعة والملحة والصحراوية وحدودها ومساحتها بالذراع ، كما تبين لنا القنوات التى كانت تروى الأراضى الزراعية فى كل إقليم (٢).

ومن هذه الأقاليم ظهرت مدن لعبت دور عواصم للبلاد ، وسوف نرى أسماءها تتردد طوال فترات التاريخ وعصوره . وكان لكل إقليم رمزه الخاص به ، ومعبوده الرئيسى ، ومعبوده الحامى له ، والرفات المقدس به .

جاء ترتيب هذه الأقاليم وعددها فى الدلتا مختلفا فى كل القوائم التى وصلت إلينا فى المعابد البطلمية ، خلافا لما عليه الحال فى الوجه القبلى ، وذلك نتيجة للمتغيرات التى طرأت نتيجة تحول مجرى فروع النيل واستصلاح الأراضى مما أثر على العمران وعدل من الحدود كثيرا .

ثبتت إقليم الوجه القبلى منذ الأسرة الخامسة وحتى العصر البطلمى على اثنين وعشرين إقليما ، ولكن الوضع كان مختلفا بالنسبة لأقاليم الدلتا ، التى كانت حتى الأسرة الرابعة ، أربعة عشر إقليما ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامسة سبعة عشر إقليما ، وفى الأسرة الثانية عشر ستة عشر إقليما ، وفى عصر الدولة الحديثة زادت إلى ثمانية عشر إقليما ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامسة والعشرين أربعة عشر إقليما ، وزادت فى الأسرة السابعة والعشرين إلى سبعة عشر إقليما ، وبلغت فى

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) مثل قائمة الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة ، والتى عثر عليها

منقوشة على الجدران الخارجية لمقصورته التى عثر عليها فى الكرنك ،

راجع : Lacau – Chevrier , Une Chapelle de Sesostri I er a'karnak , p. 2 – 50 .

العصر البطلمي حوالى عشرين إقليما (١)

ويرى بعض العلماء إن تقسيم أقاليم مصر إلى اثنتين وأربعين إقليما فى العصر البطلمى - الرومانى فى قوائم معابد ادفو وندرة واوبت وغيرها ، يرجع إلى عدد الجزاء التى قطع إليها جسد المعبود اوزير فى أسطورة الصراع بين اوزير وست ، أو إلى عدد القضاة الذين يجلسون مع اوزير أثناء محاكمة الموتى فى عالم الآخرة ، أو إلى عدد الكتب الدينية المقدسة التى كانت معروفة لدى المصريين القدماء وذلك طبقا لأقوال " كلمنت السكندرى " (فى القرن الثانى الميلادى) . (٢)

وتتكون أقاليم مصر العليا من اثنتين وعشرين إقليما يمكن ترتيبها من الجنوب إلى الشمال كالآتى : (٣)

<u>الاسم المصرى القديم</u>	<u>العاصمة بالمصرية القديمة</u>	<u>الاسم الحديث</u>
(١) تا - ستى (٤)	آبو	أسوان

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ، ١٦٨ - ١٧٩ ؛ وأيضا د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ١٦ ؛ محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية فى عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٧ ، ص ١ - ٣ ، وأيضا :

Montet , La Géographie de L'Égypte Ancienne I , p. 20 ;
Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , London (1958) p. 15 .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٧٩ ؛ وأيضا :

Baines - Malek , op. cit., p. 15 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١١٢ - ١١٣ ؛ Baines - Malek, op. cit. , p. 15 .

(٤) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٦٦٩ .

أنفو	جبع	(٢) وشن - حور ^(١)
الكاب ، الكوم الأحمر	خن	(٣) نخن ^(٢)
الأقصر	وامت	(٤) وامت ^(٣)
قفط	جبثو	(٥) بيكو اونثرى ^(٤)
نفرة	ايونت	(٦) ابتي ^(٥)
هو، على بعد ٥ كم جنوبى نجع حمادى	باتيو (بات)	(٧) بات ^(٦)
العرابة المدفونة	ثنى	(٨) تاو - ور ^(٧)
أخميم	منو	(٩) منو ^(٨)
كوم أشقاو	واجيت	(١٠) واجت ^(٩)

(١) المرجع السابق ، ص ٦٦٩ ؛ يعطى د. انجليباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ن العدد ٢٧ لعام ١٩٨٨ ، ص ٩٠ - ٩١ ، قائمة بـ ٢٢ مقاطعة .

(٢) موسوعة المجالس القومية ن المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .

شطب	مركو	(١١) شاي ^(١)
البر الشرقى من أسيوط	برعنتى	(١٢) جو - فت ^(٢)
أسيوط	ساوت	(١٣) نجفت-خنتت ^(٣)
القوصية	قسي	(١٤) نجفت - بحثت ^(٤)
الاشمونين	خمنو	(١٥) أونو ^(٥)
بالقرب من المنيا	حبنو	(١٦) ما-حج ^(٦)
القيس	حنو	(١٧) أنبو ^(٧)
الحية	دون عوى	(١٨) عنتى ^(٨)
البهنسة	سبت مرو	(١٩) وابو ^(٩)
إهناسيا المدينة	ننونسوت	(٢٠) نعت - خنتت ^(١٠)

-
- (١) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٥١٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥١١ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٥١١ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٤٩٦ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٥١١ .
(١٠) المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

- (٢١) نعت - بحثت شنع خنوت البر الغربى ،
- شرق أبو صير الملق
- (٢٢) مدينه^(١) برايت أطفيح
- أما أقاليم الدلتا فكانت تتكون من عشرين إقليمًا فى العصر البطلمى وهى :
- (١) انب حج^(٢) انب حج منف
- ومن - نفر ميت رهينة
- وعنخ - تاوى^(٣)
- (٢) أيوع^(٤) خم أوسيم
- (٣) ايمنى^(٥) برينت إيماو كوم الحصن
- (٤) نيت رسى^(٦) جقع بر زاوية رزين على
- بعد ٥ كم جنوب غرب منوف

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ - ٣٢٠ ، ٣٢٦ - ٣٣٦ .

(٣) أى التى تمد الأرضين بالقوت ، على أساس أن اوزير غرق فى هذا المكان ودفن فى منف ، ولهذا أصبحت أرض منف هى أخصب الأراضى المصرية من ناحية الإنتاج الزراعى ، راجع : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ؛ د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٣٩ .

(٤) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٦٣ - ٢٨٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٣١ ، ٢٣٥ .

- (٥) نيت محت^(١) ساو صا الحجر
- (٦) جو خاسو^(٢) خاسو سخا
- (٧) واع امنيتي^(٣) واع امنيتي العطف
- (٨) واع اييتي^(٤) تكو تل المسخوطة
- (٩) غنجتي جدو أبو صير بنا
- (١٠) ايح كم (أو كاكم)^(٥) حوت تامري أيب تل أتريب
- (١١) ايح حسب^(٦) ---- بالقرب من هربيط
- (١٢) تب - نثر^(٧) ---- مسنود
- (١٣) حقا - عنج ايونو المطرية
- (١٤) خنت اييت^(٨) بنو صان الحجر
- (١٥) تحوتي^(٩) برتحوتي وب رحوي بمنهور
- (١٦) حات محيت^(١٠) جدت تل الربع ، تمى الأمديد

-
- (١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ - ٢١٢ ، ٢٣٧ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٣ .
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧٠ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ١٦١ ، ١٦٣ - ١٧٢ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ ، ١١٥ .
- (٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ، ٢١٤ .
- (٨) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١١٥ .
- (٩) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
- (١٠) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١٢٣ - ١٢٩ .

(١٧) بحدث ^(١)	بحدث	تل البلامون
(١٨) امتى خنتى ^(٢)	بامت	تل بسطة
(١٩) امتى بحتى ^(٣)	بوتو	تل الفراعين
(٢٠) سبدو ^(٤)	برسبدو	صفط الحنة

وبمرور الوقت اكتملت الخطوط العامة للمدن ونظمت فيها المباني العامة والمسكن والمباني الأخرى ؛ وأصبح هناك مجتمع يسمى بمجتمع المدينة المصرية القديمة ، وما كان يشمل كل مدينة من تركيب سكانى أو عرقى ، ونشأت العواصم المبكرة مثل بوتو فى الشمال ، ونخن فى الجنوب (هيراقونبوليس) ، وايونو التى يرجع تاريخها إلى حوالى عام ٤٢٤٠ ق. م . ومن العواصم التى لعبت دورا هاما فى السياسة بعد ذلك : منف ، اهناسيا ، واينث تاوى (فى الفيوم) ، وطيبة ، وسايس . وعلى الرغم من زوال أهمية بعض المدن كعواصم سياسية وأقول نجمها إداريا إلا أنها ظلت تحتفظ بقداستها الدينية مثل ايونو وطيبة وكانت هناك مدن الفكر الثقافى والدينى مثل ايونو ومنف والاشمونين (أونو) ومدن الزيارة المقدسة مثل أبيدوس وسايس وبوتو وبوزيريس^(٥) ، ومجلات المستودعات التجارية ومراقبة التجارة النيلية^(٦) ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ ، ٨٦ - ٩٢ ، ١٠٠ - ١٠٢ .

(٣) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ،

ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٨٤ - ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧١ ؛ ويعطى ر. انجليباخ : المرجع السابق ، ص

٩١ - ٩٢ ، قائمة بـ ٢٠ مقاطعة .

(٥) Vandier, La Religion Égyptienne, Paris (1949), p. 94 - 95, 139, 237.

(٦) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٩٨ - ٩٩ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣١ -

١٣٩ ، ١٥٠ - ١٥٢ .

والجبانات على الضفة الغربية للنيل ابتداء من الجيزة حتى أسوان فيما عدا مقابر بنى حسن ، كما شيدت الحصون فى الشرق مثل حائط الأمير وحصن ثارو ، وفى الغرب مثل حصنى الغربانات قرب برج العرب والحصون الأخرى عند زاوية أم الرحم غربى مرسى مطروح ، وفى الجنوب حصنى سمنة وقمة .

كما ارتاد الإنسان فى توسعه العمرانى واستغلاله لعناصر البيئة أماكن الوديان القديمة حيث توجد مناطق المناجم والتحجير ، ومنها :

وادي الحمامات : وهو جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشرقية بين النيل والقصير ، ويطلق على الدرب كله اسم وادى الحمامات وترجع شهرته إلى أنه كان طريقاً للتجارة منذ أقدم العصور ، كما كان الطريق الموصل إلى بعض المناجم القديمة ، وبخاصة مناجم الذهب ، وإلى المحاجر الشهيرة التى كان المصري القديم يحصل منها على نوع خاص من الحجر البركاتى ، ويسمى فى المصرية باسم " بخن " وعلى بعض أنواع الجرانيت . وفى منطقة المناجم القديمة فى وسط هذا الطريق يوجد منات من النقوش المحفورة على واجهات الصخور ، منذ الأسرة الخامسة حتى الأسرة الثلاثين ، تركها أعضاء البعثات التى ذهبت للحصول على الأحجار اللازمة لتمثيل الملوك وتوابيتهم ومعابدهم وهى فى جملتها من المصادر الهامة فى تاريخ مصر القديم . وكان للطريق التجارى أهمية خاصة عند المصريين القدماء ، وكانوا يسمونه " طريق المعبودات " لأنهمذكروا أن أجدادهم جاءوا إلى وادى النيل من هذا الطريق (١).

وادي العلاقى : هو واحد من وديان الصحراء الشرقية ، يصب فى وادى النيل إلى الجنوب من الدكة . وقد اشتهر منذ عصر الدولة الوسطى بسبب مناجم الذهب التى تقع فيه ، واستغل المصري القديم هذه المناجم ، منذ عصر الدولة الوسطى ، وحتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (٢).

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ٤٢٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

وادي الهودي : واد بالصحراء الشرقية يبعد نحو ٢٥ كم جنوب شرقى أسوان ، وفيه آثار عدة مناجم قديمة لاستخراج الذهب والنحاس والبيريت ، إلا أن شهرته الكبيرة ترجع إلى وجود محاجر الاماتيست (حجر الجمشيت) الذى كان يستخدم فى الحلى ، وبدأ استغلاله منذ عصر الدولة الوسطى . وعلى مقربة من المحاجر القديمة نجد بقايا المواقع التى كانت تقيم فيها العمال .^(١)

وادي المغارة وسراية الخادم : ترجع أهمية شبه جزيرة سيناء إلى خمسة عوامل :

أولا : لأنها تحتوى على النحاس والفيروز فى وادي المغارة وفى سراية الخادم فيوجد النحاس فى جبال المغارة ، وعثر فى صخورها على نقوش باسم سنفرو وخوفو . واستمر استغلال هذه المناجم فى عصر الأسرة الثانية عشرة والدولة الحديثة . واشتهرت سراية الخادم بمناجم الفيروز ، وهى تقع فى جنوب شبه الجزيرة ، وتقع المناجم فى منطقة جبلية وعرة بها مناجم النحاس أيضا . وقد بدأ استغلال المصرى القديم لهذه المناجم منذ أيام الأسرة الثانية عشرة . وأقام المصريون فيها معبدا للمعبودة حتحور سيدة جبل الفيروز التى كانت هناك .^(٢)

وفى عام ١٩٠١ ذهبت إحدى الشركات الإنجليزية لاستغلال مناجم الفيروز ، واستخدمت الديناميت فى تحطيم الطبقات التى يوجد فيها الفيروز ، فحطمت أغلب النصوص التاريخية التى كانت توجد على مقربة من فتحات المناجم القديمة ، وقد قام بترى عام ١٩٠٥ بنقل ما بقى من النقوش إلى

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ،

ص ٢١٠ ؛ أيضا : Fakhery, The Amethyst Quarries of Wadi el Hudi, (1952), p. 19 – 23; Sadek, The Amethyst Mining Inscriptions of Wadi el Hudi, London (1979), p. 4 – 15; p. 100 – 101.

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

المتحف المصرى ولم يترك إلا نقشا واحدا فقط وهو نقش الملك سخم خست لأنه كان على ارتفاع كبير .^(١)

ثانيا : من أهم ما يرتبط بمنطقة سرايية الخادم تلك النقوش المعروفة باسم " النقوش السينائية " التى كتبها بعض العمال غير المصريين ، الذين جاءوا من سورية للعمل هناك ، وقد كتبوها على بعض التماثيل وعلى جنوب مغارات وعلى بعض الأحجار ، واتضح من دراستها أنها كانت الأصل لبعض الحروف التى استخدمها الفينيقيون القدماء .^(٢)

ثالثا : أن شبه جزيرة سيناء أقدم طريق حربي " القنطرة - رفح " فى تاريخ العالم القديم يمر فى شمالها وهو الطريق الذى سارت عليه جيوش مصر عند ذهابها إلى آسيا ، والذى سارت عليه أيضا جميع الجيوش التى جاءت من تلك البلاد عند غزوها لوادى النيل .^(٣)

رابعا : خرج إليها بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ، وبها جبل سيدنا موسى .^(٤)

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ ، ص ١٨ حاشية (٣) ، ص ٢٠ لوحة رقم ٣ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، السادس عشر والسابع عشر ، ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(٣) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٢ .

(٤) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ٣٧ - ٣٨ .

خامسا : بها الأديرة المسيحية المتعددة وبخاصة في الجزء الجنوبي منها وبعض المنشآت والكنائس في واحة فيران . ومنذ القرن السادس الميلادي شيد فيها دير سانت كاترين ^(١).

وادي النطرون : ورد اسمه في بعض النصوص القديمة ، وشيد فيه الملك امنمحات الأول معبدا داخل حصن لتأمين الحدود الغربية للبلاد ، وكان المصريون القدماء في العصر المتأخر من تاريخهم ، يذكرون سبع واحات في صحراء مصر الغربية كان وادي النطرون واحد منها . وفي هذا الوادي كان يوجد عدد من البحيرات ، التي كانت تعتبر من أهم مصادر الحصول على النطرون الذي يدخل في كثير من الصناعات والأغراض الأخرى .

وأصبح وادي النطرون من أهم مراكز الرهبنة في القرن الثالث الميلادي ، وكانت فيه أديرة كثيرة ^(٢).

وامتد العمران أيضا إلى أراضي الواحات . ويوجد من هذه الواحات عدد غير قليل في صحراء سيناء وفي الصحراء الشرقية ، ولكن العدد الأكبر منه نجده في الصحراء الغربية وكانت أهلة بالسكان في العصور القديمة ^(٣) وكلمة واحة كلمة مصرية قديمة من " واحيت " ^(٤).

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٣٧٢ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ، ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٧ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ، ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٠ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٤) Wb. I, 258, 6; Fakhry, Bahria Oasis I, p. 10; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 35 no. (4) ;

موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٦٨ - ٤٩١ .

وراجع أيضا د. رمضان عبده : ذكر الواحات في المصادر المصرية القديمة، (دراسة وثائقية)، سوف ينشر ضمن أعمال ندوة لجنة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، عن "آثار الواحات المصرية عبر العصور" في ١٧-١٨ يناير ٢٠٠٤ .

وكانوا يطلقون هذه الكلمة فى نصوص معبد إدفو على سبع واحات هى :
الخارجة والداخلة والفراقرة والبحرية والحيز (التى تقع بين الفراقرة والبحرية) ،
وسيوه ، وأخيرا وادى النطرون . أما الآن فالواحات المعروفة فى الصحراء الغربية
خمس فقط هى : البحرية ، والخارجة ، والداخلة ، والفراقرة ، وسيوه .^(١)

وكانت هذه الواحات تستخدم كحصون أمامية للدفاع عن الوادى ، وكانت
تقام بها الحاميات والمعابد والمتامير ، والقرى والمقابر . وكانت وفيرة الخيرات
وأرضها صالحة للزراعة . وكانت تمد الوادى بالنبيذ والزيت والأملاح المعدنية
(النطرون) . وهى مواد هامة كانت تستخدم فى الطقوس الدينية وفى عمليات
التحنيط . ومن أجل ذلك عمد المصريون القدماء إلى أن تظل الواحات تحت
سيطرتهم فى كل العصور .^(٢)

البحرية : كان يطلق عليها " واحة زسزس " وأحيانا " الواحات الشمالية " .
أى " البحرية " . وقد ورد اسمها فى نصوص الدولة الوسطى ، وتوجد بها مقبرة
لحاكم هذه الواحة ، وكان يسمى امنحتب الذى كان من أهلها وعاش فى عصر الدولة
الحديثة . غير أن فترة الازدهار الكبيرة فى هذه الواحة كانت الأسرة السادسة
والعشرين عندما جعل منها الملك ابريس ، والملك امازيس حصنا أماميا للدفاع عن
الوادى . فأمروا بالتوسع فى حفر الآبار وزراعة الأراضى وإنشاء الحاميات ،
وقامت بها فى ذلك الوقت معابد كثيرة . كما ترك لنا حكامها وكهنتها مقابر ملونة .
أما آثار العصر البطلمى - الرومانى فهى كثيرة من بينها حصون وبقايا قرى
ومقابر .^(٣)

-
- (١) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .
(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٨٦ .
(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ ؛ موسوعة المجالس
القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٨٦ - ٤٩١ ؛
د. أحمد فخرى : واحات مصر (ترجمة د. جاب الله) المجلد الأول : واحدة
سيوه ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (رقم ٢٠) ١٩٩٣ ، ص ٩٩ - ١٠٠ ،
١٠٧ - ١٢٢ ، ١٦٣ - ١٧٧ .

الخارجة : أهم الواحات الخمسة ، وكانت تسمى فى النصوص المصرية باسم " هبت " أى المحراث (هيس فى اليونانية) .^(١) وكانت وفيرة الخيرات وأرضها صالحة للزراعة ، وكان بها الكثير من العيون والآبار . وقد عثر فيها على آثار من أقدم العصور ، منها كثير من أدوات الظران (الصوان) التى استخدمها الإنسان المصرى القديم الذى عاش فى العصور الحجرية . كما نجد بها آثار أخرى من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى - الرومانى . ووصلت إلينا لوحات من عصر الأسرة الثانية عشرة لرؤساء بعض الحملات التى كانت تقوم من أبيدوس أو طيبة ، للتفتيش على الواحة ، والتأكد من حالة الأمن فيها . وكانت الخارجة والداخلية تكونان وحدة إدارية واحدة ، ولهما حاكم واحد ، يتبع حاكم إقليمى ثينى . وفى مناظر بعض مقابر البر الغربى فى طيبة من الدولة الحديثة ، نرى كلا من حاكمى الواحات الخارجة (والداخلية) ، والبحرية (والفرافرة) يأتيان على رأس وفد من زعماء الواحات لتقديم هداياهم إلى الملك فى المناسبات الرسمية . ويوجد بالواحات الخارجة بقايا معابد كثيرة وبقايا الحصون والنقاط العسكرية . وعلى مقربة من مدينة الخارجة ، جبانة من أهم الآثار المسيحية فى مصر وهى جبانة البجوات ، ويرجع تاريخها بالتحديد بين القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى ، وما زالت هياكلها قائمة حتى الآن ، وبينها خمسة بها نقوش ملونة ، وأكثرها مناظر دينية من قصص العهد القديم ، كقصة سيدنا آدم وحواء ، وقصة سيدنا إبراهيم وابنه اسحق ، وقصة سيدنا نوح ، وخروج بنى إسرائيل من مصر .^(٢)

الداخلية : وكان يطلق عليها اسم " كتمت " فى النصوص المصرية . وكانت تكون مع الخارجة وحدة إدارية واحدة . وقد عثر فى الداخلية ، منذ سنوات قليلة ، فى منطقة أمهدا ، على لوحة من الدولة الوسطى ، كما عثر أيضا على لوحات

(١) Gauthier, DGIV, p. 4 ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ -

١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٦٨ - ٤٨٠ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ ، موسوعة

المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٧٧ .

من الأسرة الثامنة عشرة فى بلدة بلاط ، التى توجد فيها بقايا معبد من الدولة الحديثة ، لم تبق منه إلا أحجار قليلة . وذكرت الداخلة فى النصوص المصرية لجودة نببذها ووفرة كروم المعبود آمون رع . وأهم المناطق الأثرية فيها هما بلاط ، وبلدة موط حيث عثر فى الخيرة على لوحين ، أولهما من الأسرة الثانية والعشرين ، وتمدنا بمعلومات هامة عن ملكية العيون والآبار . والأخرى من الأسرة الخامسة والعشرين^(١) ، وهما الآن فى متحف الاشموليان بأكسفورد . ويوجد فى بلدة القصر آثار لمعبد المعبود تحوتى .

الفرازة : كان يطلق عليها اسم " تا - احت " أى أرض البقرة .^(٢) وذكرت فى النصوص المصرية القديمة منذ الأسرة العاشرة ، وفى نصوص أخرى من أيام الدولة الحديثة ، لأنها كانت من بين المناطق التى يستخرج منها المعادن . وبها بقايا معبد رومانى عند عين بس . وكانت تعتبر إحدى المواقع الاستراتيجية الهامة فى الصحراء الغربية .

سيوة : وكانت تسمى أيضا " واحة آمون " ومن أقدم الآثار القائمة بهذه الواحة معبد آمون أو معبد النبوة أو الوحي الذى ذاعت شهرته فى عالم البحر المتوسط منذ بداية الأسرة السادسة والعشرين . وهو مشيد من الحجر الجيرى فوق صخرة " اغرومى " إذ أنه من أيام الملك اماريس من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وهو المعبد الذى زاره الإسكندر الأكبر فى بداية عام ٣٣١ ق. م . ووقف فى هيكله ، يستمع إلى رد المعبود آمون أو وحيه على أسئلته ، تلك الزيارة التى تركت أثرا كبيرا فى نفسه حتى يوم وفاته.^(٣) وهناك أجزاء من معبد آخر لآمون عند سفح

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٨١ - ٤٨٣ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ،

ص ٤٨٣ - ٤٨٥ ; Wb V, 221, 17;

=====

(٣) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى

صخرة اغرومى ، وهو من عهد الملك نختنبو الثانى من الأسرة الثلاثين .^(١) وهناك مقابر منحوتة فى الصخر فى منطقة " جبل الموتى " على بعد كيلو متر ونصف من سيوة ، أشهرها مقبرة سى - آمون ، وهى أهم مقبرة قديمة فى الصحراء الغربية كلها ، وعلى جدرانها مناظر تمثل صاحبها وزوجته وابنيه ، وهم يقدمون القرابين للمعبودات ، وهى من العصر البطلمى (حوالى القرن الثانى ق. م) .^(٢)

ومن أشهر ما يتصل بتاريخ واحة سيوة القصة التى رواها هيرودوت عن الجيش الذى أرسله قمبيز للقضاء على كهنة آمون ومعبدهم ، فخرج الجيش من طيبة إلى الخارجة ، ثم ترك الخارجة فى طريقه إلى سيوة ، فابتلعت رمال الصحراء ، ولم يعثر أحد على أثره حتى الآن . ولم ينجح أحد فى العثور على أى خيط قد يودى إلى إمطة اللثام عن هذا اللغز ، وحتى حينما استخدمت الطائرات الصغيرة لم يسفر البحث عن أى شئ . ومن المعروف أن العواصف الرملية فى مناطق الكثبان تسبب الكوارث ، ففي عام ١٨٠٥ دفنت نفس رمال الصحراء قافلة مكونة من ألفى رجل ومعهم إيلهم بينما كانوا فى الطريق من غرب السودان إلى أسبوط . وفى " مخطوط

-- (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٣٨ ، ١٠٧ - ١١٤ ، ١٨١ - ١٩٥ .

(١) يوجد هذا المعبد فى أم عبيدة : وقد أضاف نختنبو الثانى بوابة إلى معبد وحى آمون ، راجع : د. رمضان عبده : معالم تاريخ مصر القديم ، مكتبة النهضة الشرق ، ١٩٨٤ ، ص ٦٤٣ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٩ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٤ - ٤٢٦ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٦٩ ، ٣٠٣ ، ٤٣٧ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٢١٤ - ٢٢٠ شكل ٧٠ - ٨١ .

سيوة " الذى كتبه زعيم عائلة " أبو مسلم " نقرأ فى موضعين عن جيشين دفنتهما العواصف الرملية . وقد تكون كلتا الروايتين صحيحة وربما تكون كل منهما مجرد صدى لقصة جيش قمبيز ^(١).

وتكثر فى سيوة عيون الماء التى كان لبعضها شهرة كبيرة منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة مثل عين الجوبة ، التى تعرف قديما باسم " عين الشمس " وقد ذكرها هيرودوت فى كتاباته ^(٢).

(٣)

ال عمران وعلاقته بكثافة السكان

فى مصر القديمة

أما بالنسبة لكثافة السكان فقد اختلفت فى كل إقليم ^(٣) . وقام بوتزر بعمل جدول تقريبي لتوزيع عدد السكان فى الأقاليم والمدن الكبرى المختلفة فى مصر العليا

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ،

ص ٤٦٩ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٦٧ ،

١٠٩ - ١١١ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ ؛ موسوعة

المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٧٠ ؛

د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) تواجه الباحث صعوبات جمة فى معرفة عدد سكان مدينة ما ،

فى عصور الأسرات المختلفة ، ويذكر بوتزر أسماء ٢٤ مدينة آخرها منف ، وبيانها كالآتى : (١)

(١)	الفنتين	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(٢)	إدفو	كان بها حوالى	٥٢ ألف نسمة
(٣)	الكاب	كان بها حوالى	٨٢ ألف نسمة
(٤)	الكرنك	كان بها حوالى	٨٧ ألف نسمة .
(٥)	قفط	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(٦)	دندرة	كان بها حوالى	٢٩ ألف نسمة .
(٧)	هو	كان بها حوالى	٣٨ ألف نسمة .
(٨)	البربا	كان بها حوالى	٥٠ ألف نسمة
(٩)	أخميم	كان بها حوالى	٥٠ ألف نسمة .
(١٠)	كوم اشقاو	كان بها حوالى	٣٧ ألف نسمة .
(١١)	شطب	كان بها حوالى	٢٨ ألف نسمة .
(١٢)	العكاوية	كان بها حوالى	٢٥ ألف نسمة .
(١٣)	أسيوط	كان بها حوالى	٢٦ ألف نسمة

== أو بلد ما فى مختلف فترات تاريخ مصر القديم . فالمصادر التاريخية لا تزودنا بمعلومات عن أعداد السكان ، سواء فى المدن ، أو فى الأقاليم ، أم فى البلاد ككل ، ولم تكن تقديرات الرحالة أقرب إلى الصحة ، إذ اعتمدت ، فى كثير من الأحيان على اعتبارات خاطئة أو مبالغ فيها ، أو على معلومات من مصادر غير موثوقة .

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

(١٤)	القوصية ^(١)	كان بها حوالى	٢٥ ألف نسمة .
(١٥)	الأشمونيين	كان بها حوالى	٨٠ ألف نسمة .
(١٦)	الكوم الأخضر	كان بها حوالى	٤١ ألف نسمة .
(١٧)	الشيخ فضل	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(١٨)	الحية	كان بها حوالى	٣٥ ألف نسمة .
(١٩)	البهنسا	كان بها حوالى	٣٠ ألف نسمة .
(٢٠)	اهناسيا	كان بها حوالى	٨٠ ألف نسمة .
(٢١)	الفيوم	كان بها حوالى	٧٧ ألف نسمة .
(٢٢)	كفر عمار	كان بها حوالى	٣٤ ألف نسمة .
(٢٣)	أطفيح	كان بها حوالى	٢٦ ألف نسمة .
(٢٤)	منف	كان بها حوالى	٧٦ ألف نسمة .
المجموع		١,١٢٥,٠٠٠ مليون نسمة	

ويلاحظ أنه كان هناك ستة مدن وأقاليم كانت تتمتع بنوع من الكثافة السكانية هي بالترتيب : الكرنك ، الكاب ، الأشمونيين ، اهناسيا ، الفيوم ، منف . وكان أقلها كثافة ستة أخرى هي بالترتيب : دندرة ، شطب ، أسيوط ، أطفيح ، العكاوية ، القوصية .

ويقدر بوتزر كثافة السكان في مصر في بداية البناء الحضارى أى في عصر حضارة البدارى (العصر الحجري الحديث) بحوالى ٢٥٠ ألف نسمة .^(٢) وبعدها نتيجة التطورات فى استغلال الأراضى الزراعية وعوامل الاستقرار زادت

(١) عن هذا الإقليم ، راجع رسالة الدكتوراه غير المنشورة التى قام بإعدادها د. محمود الزراعى تحت عنوان : الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا " (دراسة تاريخية وأثرية ولغوية حتى نهاية الدولة الوسطى) كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٠ .

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٢٧ .

كثافة السكان إلى ١,١ مليون نسمة في العهود المزدهرة من عصر الدولتين القديمة والوسطى . ويجب أن نذكر أن الكوارث الطبيعية وانخفاض منسوب النيل على وجه الخصوص كان له أثره السلبي على حجم السكان .

ولا شك أن كثافة السكان كانت تؤثر على مساحة الأرض الزراعية ويبدو أن نمط الاستغلال في عصور ما قبل الأسرات كان واسعا ، وكان الاعتماد أساسا على الأرض مع بعض الرعى والجمع والتقاط الثمار والصيد .^(١)

ويرى بترى أن عدد السكان وصل إلى أقصى عدد لهم في عصر الدولة القديمة . وقدر عددهم في عصر الرعامسة بحوالى ١٠ - ١٢ مليوناً .^(٢) ويذكر محمد رمزى أن عددهم كان يتراوح من ٦ إلى ١٢ مليوناً .^(٣)

أما بوتزر فقد قدر عدد سكان مصر في العصر نفسه ما بين ٢,٤ - ٣,٦ مليون نسمة^(٤) أو أزيد بقليل وبعد انتهاء فترة حكم البطالمة تراوح العدد بين ٧ - ٧,٥ مليون . ويرى أيضا أن نسبة المواليد في مصر القديمة كانت حوالى ٦٠ فى الألف، وأن ربع هذا العدد من المواليد يموت قبل أن يبلغ سن الالتحاق بالمدارس .^(٥)

ويذكر يوسيفوس الذى عاش في الإسكندرية في بداية العصر الرومانى أن عدد سكان مصر عدا أهل الإسكندرية الذين كان لهم سجل خاص بهم ، هو سبعة

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ ، وأيضا : Butzer, Early Hydraulic

Civilization in Egypt, Chicago – London (1967), p. 90.

(٣) محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القسم الأول ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠ .

(٤) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ملايين ونصف مليون .^(١) ويرى د. العبادي أننا نستطيع أن نثق في صحة هذا الرقم نظرا لأن الإدارة البطلمية والرومانية كانت تحتفظ بإحصاءات دقيقة عن عدد السكان ، كما كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظرا لارتباط ذلك بتحصيل الضرائب التي كانت تفرض على كل فرد .^(٢)

ويذكر ديودور الصقلي أن عدد سكان الإسكندرية من الأحرار في الفترة الأخيرة من الحكم البطلمي هو ثلاثمائة ألف شخصا .^(٣)

(١) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ - ١٠٤ ؛ يذكر د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٣١ أن عدد السكان كان حوالى سبعة ملايين نسمة * كان جميع سكان مصر في نظر الحكومة الرومانية بمثابة مصريين فيما عدا المواطنين الرومان ومواطنى المدن الإغريقية الحرة . وقد أدخل الرومان نظام التعداد المنتظم الذى كان يجرى مرة كل أربع عشرة سنة ، وكانت هناك شهادة تحرر عند الميلاد وعند الوفاة . وقد أنشأ الرومان أيضا إلى جانب دور المحفوظات المركزية بالإسكندرية دورا أخرى لحفظ السجلات الرسمية فى جميع عواصم الأقاليم . وقد انقسمت هذه الدور إلى اثنتين : أولهما : دار المحفوظات العامة وكانت مختصة بحفظ جميع الأوراق الرسمية كالمكاتبات وكشوف الضرائب وسجلات التعداد وقوائم التعداد . والأخرى : خى دار التسجيل العقارى وكانت مختصة بتسجيل الأراضى والمنازل وكذلك العبيد .

(٢) ويقترح د. العبادي أن يكون متوسط عدد سكان مصر فى العصر اليونانى - الرومانى هو ثمانية ملايين نسمة ، راجع : د. مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

وحاول بعض العلماء إعطاء تقديرات تقريبية لأعداد سكان مصر في مصر القديمة بوجه عام في الفترات المختلفة ، فالبعض اقترح القائمة الآتية^(١) :

<u>الفترة</u>	<u>عدد السكان التقريبي</u>
في حوالي عام ١٥٠٠ ق.م .	كان حوالي ٣ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٤٠٠ ق.م .	كان حوالي ٢٧ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق.م .	كان حوالي ٧ مليون نسمة (طبقاً لتقديرات ديونديور الصقلي) ^(٢)
في حوالي عام ١٠٠٠ ق.م .	كان حوالي ١٨ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٠٠ ق.م .	كان حوالي ٣ مليون نسمة .
في حوالي عام ٣٠ ق.م .	كان حوالي ٧ مليون نسمة .

وقد قام بوتزر بعمل قائمة حديثة عام ١٩٧٦ للتطور الاقتراضي لكثافة السكان في مصر القديمة وجاءت قائمته كما يأتي^(٣) :

<u>الفترة</u>	<u>عدد السكان التقريبي</u>
في حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م .	كان حوالي ٣٥ ألف نسمة .
في حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م .	كان حوالي ٨٧ ألف نسمة .
في حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م .	كان حوالي ١,٥ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٨٠٠ ق.م .	كان حوالي ٢ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٥٠٠ ق.م .	كان حوالي ٢,٩ مليون نسمة .
في حوالي عام ١٢٥٠ ق.م .	كان حوالي ٤,٩ مليون نسمة .

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٣١ .

(٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

وتوضع هذه الجداول والاقتراضات الوضع المحير لكل من تصدى لدراسة موضوع كثافة السكان في مصر القديمة . وتواجه أى باحث فى هذا الموضوع صعوبات جمة ؛ لأن المصادر الأثرية لا تزودنا بمعلومات عن أعداد السكان ، سواء فى العواصم الكبرى ، أم فى عواصم الأقاليم ، أم فى المدن والقرى الكبرى . وسجل لنا حجر بالرمو أنه فى عهد الملك دن خامس ملوك الأسرة الأولى كان يحدث إحصاء شامل فى البلاد كل عامين .^(١)

ومن الباحثين من اعتمد على معرفة عدد المنازل ومتوسط عدد أفراد الأسرة الساكنة فى البيت الواحد فى كل مدينة ، واعتمد بعض الباحثين على مقدار مساحات الأراضى المنزرعة ، وممتلكات المعابد ومن يعملون فيها . فطبقا لنقوش معبد إيفو فقد كان هناك ٩ مليون آرورا من الأراضى المزروعة أى حوالى ٢٤,٦٠٠ كم^٢ .^(٢)

ويمكن القول بأن مصر عرفت طوال عصورها التاريخية ، فترات زاد فيها عدد السكان نتيجة لإقامة مدن وعواصم جديدة ، أو تعرضت لنقص فى عدد السكان كما ذكر فى بعض النصوص .^(٣)

ونحن نرجح أن عدد سكان مصر القديمة كان بين ٢,٩ و ٤,٩ فى الفترتين ١٥٠٠ و ١٢٥٠ أى فترة الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة . وذلك لأن أغلب فترات الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانت من أكثر الفترات استقرارا فى تاريخ مصر القديم . وقد تركت لنا هاتان الفترتان الكثير من الآثار

(١) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٨١ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (رقم ١٦) ، الجزء الأول ، ١٩٨٨ ، ص ١٧٧ .

(٢) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ أيضا : Meeks, le Grand : texte des donations au temple d'Edfou (BdE) (1972), p. 4 – 25.

(٣) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 2.

والوثائق التي تحدثنا عن التطور الذي أصاب أوجه النشاط الحضارى . وأن المصريين قد جنوا ثمار انتفاضتهم القوية عندما أبعدوا وطردوا الهكسوس من بلادهم وتغير المناخ السياسى فى البلاد ، والذي كان أساسا وليدا لمجهودات ملوك وشعب هاتين الأسرتين . وإذا كان الطابع العام للسياسة الحربية فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، هو الدفاع عن الحدود ، فإن الدولة الحديثة بدأت سياسة تكوين مواطن نفوذ والفتح فى الشرق القديم ، وسياسة تأمين الحدود فى الغرب والجنوب .

وكان من الطبيعى أن تزداد صلات مصر بشعوب الشرق القديم ، وأصبحت طيبة عاصمة عالمية تأتى إليها الوفود والرسل من الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ولتحقيق كل ذلك كان لابد من وجود قوة بشرية أو عدد ملائم من السكان ، وهذا ما كان يشعر به المصريون القدماء أنفسهم ، ففى بردية النصائح التى وجهها الملك خيتى الثالث (أو الرابع) من ملوك الأسرة العاشرة (٢١٣٠ ق.م) لابنه مريكارع ، نجد أنه يحث ابنه على إنشاء المدن المحصنة على حواف الوادى وتعميرها بخير الرجال يسكنونها ويزرعون ما حولها ويتحصنون بها وقت الشدة ويصدون منها غارات أهل البادية ، وقال له فى هذا الصدد :

" لا تتهيب العدو فهو لا يغير إلا على الوطن المنعزل ، ولا يجرأ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان " . ويقول له أيضا :

" (إن) البلد العامرة بالسكان لن يمسها سوء ، فابن مدنا " (١).

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٦ ، ص ١٤٩ .

(٤)

الأسماء التي أطلقها المصريون القدماء

على أرضهم وبلادهم ودلائلها

عرف المصريون القدماء قيمة الأرض الزراعية ، ولكي يعبروا عن طبيعة أرض بلادهم أطلقوا عليها عدة أسماء تصف أرضهم وطبيعتها ، فأطلقوا عليها أكثر من ستة عشر اسماً ترجع إلى عصور مختلفة .^(١)

المولة القديمة :

تاوى : أى الأرضان (كناية عن مصر) ، أرض الوجه القبلى والوجه البحرى .^(٢) أو بالتحديد تا - شمعو ، أرض الوجه القبلى ، وتا - محو أرض الوجه البحرى .^(٣) ويترجمها البعض بـ " مصر " .^(٤)

تا : فقط بمعنى أرض البلاد كلها .^(٥) ويترجمها البعض بـ " مصر " .^(٦) ويترجم التعبير T3 r dr. f الأرض كلها بـ " مصر كلها " .^(٧)

كمت : أى الأرض السوداء^(٨) على عكس الصحراء الجرداء التى تتميز باللون

Wb, index VI, p. 4 .

(١) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٧٠ ، Wb. V, 217, I

(٢) Wb. V, 224, 10; 227, 4, 13; Meeks, Alex. 11, p. 170, 407.

(٣) Meeks, Alex. 11, p. 406; 111, p. 318.

(٤) Meeks, op. cit., 11, p. 408; Wb. V, 215, I.

(٥) Meeks, op. cit., I, p. 410; 111, p. 318.

(٦) Varille, Inscript. Concernant l'architecte Amenhotep fils de

Hapou, BdE 44 (1968), p. 108 - 109.

(٨) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

Meeks , Alex. I, p. 398; 11, p. 310 .

وأحيانا كان يطلق على إقليم اتريب اسم كمي بمعنى " الأسود " اختصاراً

للأسم كم - ور " الثور الأسود العظيم " للأقليم (راجع Vernus Id., p. 38;

Athribis, p. 349 , 350 , 429 n . 2 .

كما كانت تطلق التسمية كمت على " سراجيوم " منف (راجع Meeks, op. cit. 11, p. 398; Vercoutter, Textes biographiques du Serapeum

de Memphis, p. 17, 28 , 35 , 44 وهنا يحتمل أن يكون للأسم معنيين :

مكان السواد (أى الحزن) " أو " مكان (نهاية العمر) " عن هذا المعنى

الأخير ، راجع . Meeks, op. cit. I, p. 398; 111, p. 310 .

الوردى^(١) ، والتي أطلقوا عليها اسم " نشرت " .^(٢)

ابوى : الضفتان أو الشاطئان .^(٣)

جب : كانت تشير إلى إله الأرض ثم أصبحت رمزا للأرض نفسها ، وأصبحت في اللغة اليونانية كلمة جايا أو جي Ge . وهي آلهة الأرض في الخرافات اليونانية ، بينما كلمة لوجيا أو لوجي عبارة عن كلمة لاحقة تشير إلى معنى المعرفة بالشئ ، وبناء عليه فالترجمة الحرفية لكلمة جيولوجيا تعنى المعرفة بالأرض أو علم الأرض ، ذات أصل مصرى قديم .^(٤)

(١) وهذه التسمية معروفة عند اليونانيين تحت اسم " خميا " والتي تعبر عن طبيعة الأراضي الزراعية التي تكونت في الواقع بواسطة طمي النيل ، ذى اللون الرمادى الأسود ، راجع : Wb. V, 126, 7; Gauthier, DG V, p. 203; Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris (1963), p. 26. وهو عين اللفظ الذى تطور ، عن طريق السحر الأسود فى العصور الوسطى ، إلى التعبير الحديث " كيمياء " وأطلق لفظ كمت على المصريين أنفسهم ، أى نوى البشرة السوداء وينطبق هذا الوصف أكثر على أهالى الصعيد وبلاد النوبة ، راجع :

Mokhtar, General History of Africa II (1981), p. 41 – 42.

وهناك لفظ : تاو كمت " أراضي السود " ، راجع : Wb. V, 126, 17. وقد أطلق العرب فيما بعد على أرض مصر التسمية نفسها " أرض السواد " .

Wb V, 126, 10; 494, 5. (٢)

Wb. I, 153, 5; Meeks, op. cit., I, p. 53; II, p. 58; (٣)

وأيضاً: د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٣١ ؛ III, p.39

(٤) د. على السكرى : الآلات الحجرية وعصور ما قبل التاريخ ، منشأة المعارف

بالإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٩٣ – ٩٤ .

الدولة الوسطى :

اترتى : بمعنى (بلاد) المقصورتين للوجه القبلى والبحرى .^(١)

ادبورى حور : أى ضفتى (المعبود) حورس .^(٢)

خبشوت : أى أرض القوة ، أى ذوى السواعد القوية .^(٣)

الدولة الحديثة :

تامرى : أى أرض الفيضان أو المياه المرتفعة " دميرة " .^(٤)

(١) Wb. I, 148, I.

(٢) Wb. I, 153, 7; Meeks, Alex. II, 58; III, p. 39.

(٣) Wb. 111. 270 . 12 .

(٤) راجع فيما سبق ص ١٠٨ حاشية (٣) وفيما بعد ص ١٦١ ؛ د. أحمد بدوى -
هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، ٢٧٠ ؛ ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٠ ،
وجاءت هذه التسمية فى أسطورة أنوريس ، عندما كان تحوتى يصف لتفنوت
الكمال الذى بلغته مصر " على أنها بلد رع والنيل الذى يجتازها والحقول
المزروعة يانعة الخضرة ، والقرى والمدائن التى تجعل منها بلدا منظما: راجع:
فرانسوا دوما : آلهة مصر ، الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٥٥ . ويرى بعض العلماء أن المقصود بكلمة " تاكمت "
هو أرض مصر كلها ، وأن تامرى يقصد به " أرض وادى النيل " فقط ،
راجع : Grimal, les Termes de la propagande royale égyptienne :
Paris (1986), p. 46 n. (7) .

ولكن فى رأينا الشخصى أن " تاكمت " يقصد بها أرض وادى النيل ،
وتامرى هى أرض وادى النيل أيضا وتا هى أرض مصر كلها بصحاريها .
والدليل على ذلك أننا نجد فى بعض النصوص التسمية تامرى إرجراس " أرض
الفيضان أو المياه المرتفعة حتى نهايتها " ، راجع : Meeks, op. cit., II, p.:

تاوكت : أى "أراضى السود". (١)

العصر المتأخر :

ايرت رع : أى "عين (معبود الشمس رع)". (٢)

وجات : أى "عين المعبود الصحيحة (يقصد بها عين حورس)". (٣)

بلاكت : أى "الأرض المضيئة" أو "أرض الصفا أو الإخلاص". (٤)

بلتا ان كمت : أى "أرض السواد". (٥)

العصر البطلمي :

ايستى : أى "بلاد (رمز) البوصتين". (٦)

بيا : أى "أرض المعجزات". (٧)

(١) Wb. V, 126, 17.

(٢) Wb. I, 107. 11.

(٣) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ Wb. I, 402, 4; Meeks, Alex. 11, p. 113.

(٤) Wb. I, 425, 18; Meeks, op. cit., 11, p. 120; Devauchelle, RdE (٤) 37 (1986), p. 50. د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٥) Wb. V, 126, 125; 216, 2.

(٦) Wb. I, 127, 10.

(٧) Wb. I, 442, 6.

سنوت : أى " أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر) وهو عيد معروف منذ عصر الدولة القديمة ، وأصبح اسم هذا العيد صفة تعبر عما يسود بين أفراد المجتمع الواحد من احتفالات وبهجة بصفة مستمرة .^(١)

اياوت : أى " أرض التلال " .^(٢)

تاتثرو : أى " أرض المقدسات " .^(٣) ويقصد بها بعض البقاع الواقعة شرقى مصر أى سيناء ولبنان وبخاصة بقاع البخور ، بونت .^(٤)

تعبّر هذه التسميات المتعددة التى أطلقها المصريون القدماء على أرض مصر فى العصور المختلفة عما كان يجول فى خاطرهم من أفكار عن عناصر البيئة الطبيعية فى بلادهم ، وفهمهم أيضا لأهمية هذه العناصر ، وفهمهم كذلك لدور الإنسان فى التكيف مع هذه العناصر ، وفهمهم أخيرا لمميزات هذه البلاد . كما تعبّر بعض هذه التسميات عن انتمائهم وحبهم لهذه البلاد ، وشعورهم بأن المعبودات تحميها . فنجد إشارة إلى عناصر البيئة الطبيعية من :

- المناخ فى التسمية : **باكت** " المضيئة " بنور شمسها الساطعة دائما .

(١) فهناك أعياد اليوم الرابع والسابع ، والخامس عشر ، والثالث والعشرين ،

والثامن والعشرين من كل شهر ، راجع : Altenmuller, LAII, p. 173

(٢) Wb. I, 26, 13.

(٣) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, Paris (1968), p. 15;

Wb. V, 225. 1.

(٤) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية

القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٠ .

- الأرض والتربة فى التسمية : تاوى ويقصد بها " الأرضين " ، " تا - شمعو " أرض الوجه القبلى ، و " تاو - محو " أرض الوجه البحرى ، " تا " (١) أرض البلاد كلها ، كمت " الأرض السوداء " أى التربة الطينية الزراعية ، أرض الوادى ، باتا ان كمت " أرض السواد " .
 - نهر النيل فى التسميتين : ادبوى ويقصد بها " الضفتين " وادبوى حور " ضفتى (المعبود) حورس " .
 - الأحراش فى التسمية : ايسى ويقصد بها " البوصتين " من نبات البوص الذى كان ينمو فى الأحراش فى الدلتا وفى الصعيد .
 - التكوينات الصخرية فى التسمية : اياوت " التلال " .
 - الصحراء فى التسمية : دشرت " الأرض التى تتميز باللون الوردى " وهى أرض المقدسات فى التسميتين :
 - اترتى : " (بلاد المقصورتين) " ويقصد بها أقدم مقصورتين للعبادة فى الوجه القبلى والوجه البحرى .
 - تا - نثرو : " أرض المقدسات " وما بها من معابد ومقاصير . وهى باستمرار محل رعاية المعبودات فى التسميتين :
 - ايرت رع : " عين (معبود) الشمس رع " .
 - وجات : " عين (المعبود) حورس رمز الصحة والسلامة والحصانة " .
- وهناك تسميات تبين السمات العامة للإنسان المصرى القديم ودوره وارتباطه بهذه الأرض فى التسميات الآتية :

(١) هناك تشابه كبير فى اللغة المصرية القديمة فى كتابة كلمة " تا " بمعنى أرض ، وكلمة " ت " بمعنى خبز ، ويبدو أن المصرى القديم أدرك تماما أهمية الأرض كمصدر للخبز ، د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

سنوت : أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر حيث يكتمل القمر) .^(١)

تاو كمت : " أراضي السود " لفظ يطلق على أهالي الوجه القبلي وبلاد النوبة .

خبشوت : " أرض القوة " أى قوة سواعد أهلها وقوة عزيمتهم .

بيا : " أرض المعجزات " التى حققها الإنسان المصرى على أرضها من

عمران وتعمير . ولهذا فهى موضع حبهم دائما فى التسمية :

تا- مرى : " أرض الفيضان أو المياه المرتفعة " ، واستخدمت كلمة تا كأداة تعريف

للمؤنث فى العصر المتأخر . وهى أصل التسمية العربية لكلمة دميرة

بمعنى وقت أن تغمر مياه الفيضان الأرض الزراعية .^(٢) ويقال أيضا

عن رعايا مصر وسكانها : " هؤلاء الذين فى تا - مرى "^(٣) أو " رعايا

تا - مرى .^(٤)

أما عن التسمية مصر فقد جاءت فى بعض المصادر القديمة وآيات القرآن

الكريم . وفى المصادر الاشورية والكلدانية ، ذكر هذا الاسم أربع مرات :

فقد جاء فى نص للملك تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٨ ق. م) إنه

عين حاكما على " موصرى "^(٥) ، وفى نص آخر للملك سرجون الثانى (٧٢٢ -

٧٠٥ ق. م) جاء :

(١) راجع فيما سبق ، ص ١٠٨ حاشية (١) .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ١٠٨ حاشية (٢ - ٣) .

Wb V, 223, 12.

Meeks, Alex. 111, p. 124.

(٣) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الرياض ، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٧ ،

ص ٢٣٠ .

(تلقيت الجزية من برعو صاحب " موسرو " التي لا يمكن أن تعنى شيئاً سوى " تلقيت الجزية من فرعون صاحب مصر ") .^(١) وفي نص ثالث من عهد الملك نابو بلاصر (٦٠١ ق. م) يحدثنا عن إعداده لحملة ضد ملك مصر نكاو الثاني للحد من تدخله في شئون فلسطين . وكان نابوخذ نصر ولي العهد هو الذي يقود كل هذه العمليات الحربية بدلاً من أبيه الذي ضعف لكبر سنه ، ويذكر النص أنه كان على رأس جيش متقدم صوب : مات - مي - سير mat mi - sir " بلاد مصر " .^(٢)

وفي نص رابع من عهد الملك نابوخذ نصر (٥٦٨ - ٥٦٧ ق. م) يحدثنا عن استئناف الصراع ضد مصر لتدخلها في فلسطين في عهد الملك اماريس ، ودخل اماريس مع نابوخذ نصر في معركة ، ولكن يبدو أن نتیجتها لم تكن حاسمة ويذكر لنا النص اسم اماريس ملك مصر^(٣) : اما اسو - شار - مي - سير .

A- Ma - a - Su - Šar - mi - sir

وفي الآرامية سميت مصريين ، وفي العربية مصريايم ، التي تعنى الحد أو الحاجز أو المكان الحصين^(٤) ، وذكر اسم مصريايم ٦٨٠ مرة في كتابات العهد

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٧٣ حاشية (٤) .

(٢) حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثاني المؤسسة العامة للآثار والتراث ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٦٤ حاشية (١٤) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية (٧٦) .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٣١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية

القديم : العصر اليوناني الروماني - المجلد الثاني ، ص ٢٢٧ ؛ وكذلك Posener, Dictionnaire de La Civilisation Égyptienne, Paris (1959), p. 97 - 98 .

القديم^(١) ، وقرأ بواسطة أغلب الباحثين " مصر " .^(٢)

ويرى بعض الأخباريين أن أهل مصر كانوا من العماليق ، والعماليق فسي رأيهم ، كجدهم من العرب العاربة ، ولكنهم في الوقت نفسه يرون أن أهل مصر من أبناء " مصرايم بن حام بن نوح " ، وتلك في الواقع إنما هي رواية التوراة (التكوين ١٠ : ٦) وهكذا فإن المصريين في نظر المؤرخين المسلمين ساميون وحاميون فسي الوقت نفسه .^(٣)

وذهب فريق آخر إلى أن كلمة " مصرايم التي جاءت في التوراة ، لا تدل على مصر وإنما على الإقليم الواقع شمال بلاد العرب ، والذي يمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية ، ولهذا فإن ما يقال عن إقامة العبرانيين في مصر ، إنما يعني إقامتهم في جنوب فلسطين ، أو في شبه جزيرة سيناء ، وطبقا لهذا الرأي ، فإن خروج بنى إسرائيل لم يحدث من مصر ، وإنما من هذه المناطق المشار إليها . ويرى الباحث هوجو فنلكر أن اسم " مصرايم " لم يكن استعماله في البداية مقصور على الإشارة إلى مصر ، ولكنه كان يشمل كذلك الإقليم الذي سماه البابليون " مصر أو موصري " ، والذي يقع جنوب البحر الميت ، شمال شبه جزيرة العرب ، ويمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية ، ويضم جبل سعيد ومدينة البتراء وأراضى مدين وأنوم .^(٤)

Posener, op. cit., p. 108 – 109.

(١)

د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

وربما أن التسمية "مصر ايم" التى جاءت فى بعض النصوص ، تشير إلى الصحراء المصرية ، وليس إلى اسم "مصر" بالذات .

واستنادا على ما جاء فى التوراة من وصف لجو مصر وأحوالها ، وأثر الأديب المصرى فى أدب العبرانيين ، ونصوص التوراة التى تتحدث عن دخول بنى إسرائيل مصر ، ويؤكد ان المقصود هنا أرض الكنانة . وبناء على ذلك فإن مصر التى جاءت فى بعض النصوص ليست هى موصرى الواقعى إلى شمال غربى بلاد العرب ، وإنما هى مصر كنانة الله فى أرضه ، ومن ثم فإن ما جاء فى نص تيجلات بلاصر الثالث من أنه عين حاكما على موصرى فإنما يعنى هذه المقاطعة العربية ، والتى تقع إلى الشمال من نخل موصرى أى وادى موصرى .^(١)

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم نجد انه قد أشير إلى مصر وأرضها وعاصمتها بأربعة أسماء :

(١) مصر (خمس مرات) فى الآيات الآتية :^(٢)

سورة البقرة - آية ٦١ . فى قوله تعالى مخاطبا بنى إسرائيل :

" اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم "

سورة يونس - آية ٨٧ . فى قوله تعالى مخاطبا موسى وأخيه عليهما السلام :

" وأوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين " .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢) أبو العباس القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة د. ت ، الجزء الثالث ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) ، الجزء الأول ، دار المعرفة بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٣٩ ، ٣٤١ .

سورة يوسف - آية ٢١ ، ٩٩ : فى قوله تعالى :

" وقال الذى اشتراه من مصر " ، " وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين "

سورة الزخرف - آية ٥١ :

" ونادى فرعون فى قومه يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى " .

وعندما تعرض أغلب المفسرين المؤرخين العرب لاسم مصر فى سورة يوسف ، ذكرها أغلبهم بالتسمية نفسها ، ونذكر هنا ما جاء عند بعضهم :

اليقوبى : بعد ٢٩٢هـ ، وكان بيصر بن حام بن نوح ، لما خرج من بابل بولده وأهل بيته ، وكانوا ثلاثين نفسا ، أربعة أولاد له ، وهم : مصر ، وفارق ، وماح ، وياح ، ونساؤهم ، وأولادهم قد سار بهم إلى منف ، وكان بيصر قد كبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده وأحبهم إليه ، فاستخلفه ، وأوصاه بأخوته ، واقطع مصر لنفسه وولده ، مسيرة شهرين من أربعة أوجه ، وكان منتهى ذلك من الشجرتين بين رفح والعريش إلى اسوان طولا ، ومن برقة إلى إيالة عرضا .^(١)

الطبرى ، ٣١٠هـ : " مصر " .^(٢)

المسعودى ، ٣٤٦هـ : وهى مصر ، واسمها كمعناها ، وعلى اسمها سميت الأمصار ، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين .^(٣)

(١) اليقوبى : تاريخ اليقوبى ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٨٥ ، مصدر سبق ذكره فى المصادر العربية .

(٢) أبو جعفر الطبرى : تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل أى القرآن ، الجزء ١٦ ، حققه وخرج أحاديثه محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٧ - ٢٠ .

(٣) أبى الحسن المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤٢ .

أبو السعود : ٩٥١ هـ : " مصر " . (١)

الأوسى : ١٢٧٠ هـ : " مصر " . (٢)

وجاء فى لسان العرب :

" ولمصر " : الحاجز والحد بين الشينيين . والجمع مصور . ويقال اشترى الدار بمصورها أى بحدودها . وأهل مصر يكتبون فى شروطهم : اشترى فلان الدار بمصورها أى بحدودها ، وكذلك يكتب أهل هجر والمصر : الحد فى كل شئ ، وقيل : المصر الحد فى الأرض خاصة .

الجوهري : مصر هى المدينة المعروفة ، تذكر وتؤنث ، عن ابن سیراج والمصر واحد الأمصار . والمصر : الكورة ، والجمع أمصار . ومصروا الموضع : جعلوه مصرا . وتمصر المكان : صار مصرا . ومصر : مدينة بعينها سميت بذلك لتمصرها ، وقد زعموا أن الذى بناها إنما هو المصر بن نوح عليه السلام ، قال ابن سيده : ولا أدري كيف ذاك ، هى تصرف ولا تصرف . قال سيوييه فى قوله تعالى : اهبطوا مصرا ، قال : بلغنا أنه يريد مصر بعينها .

وقال الليث : المصر فى كلام العرب كل كورة تقام الحدود ويقسم فيها الفئ والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . وكان عمر رضى الله عنه ، مصر الأمصار منها البصر والكوفة . والمصر : الطين الأحمر وثوب مصر : مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة . (٣)

(١) أبو السعود العماوى : تفسير أبى السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، الجزء الثالث ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ص ٢٦٢ .

(٢) أبو الفضل الأوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ، الجزء الحادى عشر ، قام بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد الأوسى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ص ٢٠٦ .

(٣) أبو منظور الأفريقى : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، المجلد الخامس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ .

وأخيرا جاء فى معجم الوسيط : " يقال مصر الأمصار : بناها . الماصر : الحاجز بين الشيئين . المصر : الحاجز بين الشيئين أو بين الأرضين . مصور يقال اشترى دار بمصورها " (١).

وبناء على ذلك فإن التسمية مصر كاسم علم منقول عن اسم رجل تسميته لا تؤيدها النصوص المصرية القديمة . لعدم العثور عليها فى أى نص من النصوص العديدة التى نملكها والتى ترجع إلى أقدم العصور .

وأغلب الاحتمالات أن التسمية : مصر التى جاءت فى التوراة (مصر خزائن الله) (٢) ، والتى جاءت فى الآيات الخمس من سور القرآن الكريم والتى جاء ذكرها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن العاص رضى الله عنه ، وبعض الصحابة ، وفى كتابات بعض المفسرين والكتاب أو المؤرخين العرب ، جاءت من تسمية التوراة التى تعنى مصر . وعرب هذا الاسم ودخل آيات القرآن . وأصبحت تسمية عربية مشتقة من اللفظ " مصور " بمعنى حدود " أى البلد ذى الحدود الطبيعية " والمعروفة منذ أقدم العصور . أو البلاد ذات الحدود (المصورة أو المصورة) يجئ الناس إليها . وكما جاء فى لسان العرب تشير التسمية : المصر إلى الطين الأحمر . وفى هذه الحالة ربما تعبر هذه التسمية عن لون طمى النيل بعد احتراقه .

وهذه التسمية العربية مصر بمعنى البلد المحدود وهى فى الواقع كناية عن إحدى التسميتين القديمتين : كمت أو تامرى . وهى تشير إلى الأوصاف التى وصف بها الله عز وجل أرضها . فإن كانت كمت تشير إلى أرضها السوداء وتامرى تشير إلى إنها بلد الفيضان والأرض الخصبة فإن التسمية مصر تعنى كل هذه المعانى ،

(١) د. إبراهيم أنيس - د. عبد الحليم منتصر - عطية الصوالحي - محمد أحمد :

المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث

الإسلامى بدولة قطر ، الجزء الثانى ١٩٨٥ ، ص ٧٨٣ .

(٢) أبو العباس الفلقشندى : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

فالبلد ذى الحدود أو المصور فيه الخيرات ، والاستقرار والأمن والأمان .

وكلا التسميتين يذكران فى النصوص المصرية القديمة بمخصص المدينة مما يدل على أن المقصود بهما " بلاد منظمة إداريا ولها عاصمة " ، وقد ذكرتا هاتين التسميتين بكثرة فى النصوص المصرية القديمة . وقد يذكران معا فى نص واحد . مثال ذلك لوحة المتحف المصرى رقم CG 34025 (من عهد الملك مرنبتاح)^(١) نجد ذكر للتسميتين بمخصص المدينة فى الأسطر : ٢ ، ٥ ، ١١ - ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٥ .

وكما ذكرنا من قبل فإن التسمية المصرية كمت تشير إلى طبيعة الأراضى الزراعية أو طبيعة أرض الوادى الخصبة ، كما تدعو إلى الاستقرار وتامرى تشير إلى البلاد التى يجتازها النيل وبها الحقول المزروعة اليانعة الخضراء والقرى والمدائن التى تجعل منها بلدا منظما محبوبا . وتامرى قريبة من التسمية مصر .

ونظرا لهذه المكانة نشأ فيها موسى عليه السلام ، وتربى فى قصر فرعون (سورة القصص : آيات ٧ - ٩) ، ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام منهم سيدنا إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ، وأخوته عليهم السلام ، وزارها أيضا السيد المسيح عليه السلام ، الذى جاء إليها مع السيدة العذراء . وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودفن بقرافتها جماعة منهم^(٢) . كما كان آمن لكل من دخلها من الرسل والأنبياء .

(١) Lacau, les Steles du Nouvel Empire CGC I, p. 54 – 57.

(٢) أبو العباس القلقشندى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨٣ .

(٢) الأرض (خمس عشرة مرة) :

" وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض " (الآية ٢١ ، ٥٦ من سورة يوسف)
 " قال اجعلنى على خزائن الأرض ^(١) انى حفيظ عليم " (الآية ٥٥) .

" قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين " (الآية :
 ٧٣) . " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى " (الآية : ٨٠) .

سورة الأعراف : " وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا
 فى الأرض " (الآية : ١٢٧) ، " قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى
 الأرض (١٢٩) " .

سورة يونس : " وتكون لكما الكبرياء فى الأرض " (الآية : ٧٨) ،
 " وان فرعون لعال فى الأرض " (الآية : ٨٣) .

سورة القصص : " ان فرعون علا فى الأرض " (الآية : ٤) . " ونريد
 أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض " (الآية : ٥) . " ونمكن لهم فى
 الأرض " (الآية : ٦) . " إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض " (الآية : ١٩) .
 " واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق " (الآية : ٣٩) .

سورة الشعراء : " يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون "
 (الآية : ٣٥) .

(١) أول من تنبه إلى أن معنى " خزائن الأرض " يقصد بها مصر هو المسعودى :
 المرجع السابق ، ص ٣٤١ ؛ المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
 والآثار (المعروفة بالخطط المقرئية) الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ،
 ص ٢٤ ؛ وابن اياس : المرجع السابق ، ص ٥ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على أرضهم وبلادهم لفظ : تَا كناية عن أرض مصر كلها^(١) ، وهو المعنى نفسه الذى عبرت عنه آيات القرآن الكريم .

(٣) المدينة (أربع مرات) :

سورة يوسف : " وقال نسوة فى المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه " (الآية : ٣٠) .

سورة القصص : " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها " (الآية : ١٥) . " وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائكة يأتون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين " (الآية : ٢٠) .

سورة الأعراف : " قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون " (الآية ١٢٣) .

(٤) القرية (مرة واحدة) :

سورة يوسف : " وسئل القرية التى كنا فيها والعرى التى أقبلنا فيها واننا لصادقون " (الآية : ٨٢) .

ويشير هذان الاسمان إلى العاصمة ، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه استخدم اللفظين : المدينة والقرية للمعنى نفسه ، كما كان يعبر عنه فى اللغة المصرية القديمة ؛ لأنه كان يعبر عن لفظى مدينة أو قرية فى المصرية بلفظ واحد هو : نيوت^(٢) وقد فسر الطبرى لفظى المدينة والقرية فى سورة يوسف على أنهما يدلان

(١) د. أحمد بدوى - د. هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

على مصر^(١) ، أما الصابوني فقد فسر كلمة المدينة بأنها " مدينة مصر " ^(٢) ، أما ابن عاشور والكندى فيقولان : " مدينة مصر هي (منفيس) ، ويقال منف وهي قاعدة مصر السفلى " ^(٣) وأخيرا جاء في الوسيط : " المدينة : المصر الجامع " ^(٤) .

أما عن أصل التسمية المعروفة في اللغات الأوربية بـ " إجيبت Egypt " فهي غير واضحة :

- فيرى البعض أن هذه التسمية جاءت من التسمية ايجبتوس aigptos على أساس أن معبد مدينة منف كان يسمى في النصوص المصرية القديمة " حوت - كا - بتاح " (معبد - شخص ^(٥) - المعبود بتاح) وعندما أصبحت منف العاصمة في الدولة القديمة ، فإن هذه التسمية أصبحت تعبر أحيانا عن العاصمة نفسها ، وعرفت هذه التسمية في بعض النقوش البابلية القديمة تحت اسم hi - ku - ptah " حى - كو - بتاح " ^(٦) . وسمع اليونان بعد ذلك هذا الاسم فأخذوه وأسماوا مصر باسم " ايجبتوس " ^(٧) ، وقد ورد هذا الاسم أكثر من مرة في أشعار هوميروس ، ومنه ربما جاءت التسمية إجيبت ^(٨) .

-
- (١) الطبرى : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٢١٢ - ٢١٣ .
 (٢) محمد الصابوني : صفوة التفاسير ، المجلد الثانى ، مكتبة جده ، جده ١٩٨٠ ، ص ٤٩ ، ٦٤ .
 (٣) محمد بن عاشور : تفسير التحرير والتوير ، الجزء الثانى عشر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ ، ص ٢٤٥ .
 (٤) د. إبراهيم أنيس - د. عبد الحليم منتصر وآخرون : المرجع السابق ، ص ٨٥٩ .

- (٥) عن هذا المعنى لكلمة كا ، راجع : Meeks, Alex. II, p. 306
 (٦) على وزن hwt ntr nt b3w lwnw " معبد قوى ايونو " = Meeks, Alex. 111, p. 82.
 (٧) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 17, 82.

د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٤٩ .

- (٨) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى - ===

- يرى البعض الآخر أن هذه التسمية الأخيرة تقارب الكلمة المصرية القديمة ' آجب ' التى تعبر عن مياه النيل وفيضانه ، وأصبحت تطلق على الوادى من الشمال حتى الجندل الأول فى الجنوب .^(١)

- ويرى فريق ثالث أن هذه التسمية جاءت من كلمة قبطى نسبة إلى القبط ، وقبطى معناه مصرى .^(٢) والقبطية فى الواقع ليست ديناً ولا مذهباً ، وإنما هى جنساً وشعباً هو الشعب المصرى كله ، ولفظ قبط ، هو لفظ نطق به العرب وأطلقوه على المصريين جميعاً أيام الفتح العربى .^(٣) ومن المصريين (القبط) من دخل فى الدين الإسلامى ومنهم من بقى على ديانته المسيحية . وصار القبط أعواناً للمسلمين وأصبح القبط بعد الفتح الإسلامى فى غبطة وسرور لتخلصهم من اضطهاد الرومان .^(٤) أما التسمية اليونانية كوبتوس فهى فى الأصل تعبيراً عن

== المجلد الأول - مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٧ ؛ آلن جاردنر : مصر القراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ١٥ .

(١) Gauthier, DG. I, p. 12 et p. 111; Naville, JEA 4 (1917), p. 229 – 230; R. el Sayed, BIFAO 76 (1976), p. 96 n. (b) .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٢٧ .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الأول : العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٨ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ ؛ د. عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء ٢ ، ص ٢١٧ .

(٤) فطبقاً للنظم الإدارية التى وضعها الرومان يأتى الرومان والاسكندرانيين فى المرتبة الأولى وبعدها يأتى سائر السكان الذين كانوا اصطلاحاً يسمون ' مصريين ' وكانوا ينقسمون بدورهم إلى طبقات وفئات مختلفة المنزلة والمكانة ، راجع : د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر حتى ==

الكلمة المصرية جبتيو التى تعنى مدينة ققط فى مصر العليا . وكانت تسمى ققط أو قبتو فى الوثائق القبطية ولا يعنى بها كلمة مصر .^(١)

وفى رأينا الشخصى أن التسمية حوت - كا - بتاح (معبد - شخص^(٢)) - بتاح (أى المعبد الرئيسى فى منف لأقدم عاصمة فى مصر هو الأصل الذى جاءت منه التسمية اليونانية ايجبتوس ومنها جاءت التسمية الأوربية الحديثة إجيبت ؛ لأن هذه التسمية تتوافق مع التسميتين المقدستين اللتين أطلقهما المصريون القدماء على بلادهم :

ايرت رع (عين - (معبود (الشمس رع) ، ووجات (عين - (= المعبود (حورس) ، ويمكن أن تعبر التسمية حوت - كا - بتاح (معبد - شخص - بتاح) عن أقدم المعابد فى مصر وأقدم عاصمة وجد فيها ولهذا فهما يمكن أن يعبرا عن اسم مصر . ونلاحظ فى هذه التسميات الثلاث بأن المصريين القدماء جمعوا فيها بين ثلاث من أكبر المعبودات المصرية وأقدمها : رع ، بتاح ، حورس ، فهى عين رع المضيئة ، وعين حورس المليمية ، ومعبد التمثال الشخصى والرئيسى للمعبود بتاح . وأطلق المصريون القدماء على أنفسهم تسعة أسماء هى :

- رمث : أى " الناس أو العامة " ، من عصر الدولة القديمة (نصوص الأهرام^(٣)) ، وكان هذا اللفظ يعبر عن " المصريين أنفسهم " فى بعض النصوص . وأحيانا كان يعبر عن " المواطنين " بوجه عام ، وأحيانا أخرى كان يطلق على طبقة النبلاء اسم رمث - عاو " الناس العظماء " .^(٤)

- رمثوان باتا : أى " أهل الأرض " من الأسرة العشرين .^(٥)

(١) Cerny, Etymological Dictionary, Cambridge, 1976, p. 345.

(٢) عن هذا المعنى لكلمة k3 ، راجع Meeks, Alex. 11, p. 393

(٣) Wb. 11, 421, 9; Meeks, Alex. I, p. 216.

(٤) Meeks, Alex. I, p. 216 = Goedicke, The Protocol of Neferyt, p. 84.

(٥) Wb. 11, 423, 10.

- كمت : " نوى البشارة السوداء " من عصر الدولة الوسطى .^(١)
 - كمتيو : نفس المعنى السابق من العصر البطلمي .^(٢)
 - رمت إن كمت : " أهل الأرض السوداء " من عصر الدولة الوسطى .^(٣)
 - إمى تامرى : " الذين (يعيشون) على الأرض المحبوبة " من العصر البطلمي .^(٤)
 - عنخونب نوتا إن تامرى : " كل أحياء الأرض من الأرض المحسوبة " من عصر الدولة الحديثة .^(٥)
 - تا - ير - عا : " أرض فرعون (الملك أو الحاكم) " من عصر الأسرة التاسعة عشرة .^(٦)
 - باتا - إن - ير - عا : " نفس المعنى السابق " .^(٧)
- وأطلق المصريون القدماء على جيرانهم عدة أسماء . ففى الجنوب أطلقوا التسمية " نحسيو " الذين كانوا يسكنون بلاد النوبة ، وسكان الصحراء من بلاد النوبة من جنس أكثر خشونة استعانت مصر بهم كرجال شرطة ، وأطلق عليهم اسم " مدجايو " .^(٨) وأما ما وراء الجندل الثانى فكان يطلق عليها أرض " كاس " التى

(١) Meeks, Alex. V, 127 , 20.

(٢) Wb. V, 128, 1.

(٣) Wb. 11, 423, 9; V, 127, 14.

(٤) Wb. V, 223, 12.

(٥) Wb. V, 223, 11.

(٦) Meeks, Alex. 111, p. 318.

(٧) Meeks, Alex. 111, p. 318.

(٨) آلن جارنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة

د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٥٠ .

عرفت فيما بعد باسم " كاش " وهى " كوش " ولكن سرعان ما عم مدلولها بحيث اشتملت كل الأراضى الواقعة بعيدا إلى الجنوب حتى البلاد التى تحمل اسم " واوات " ^(١). أما فى غرب الحدود المصرية فنستطيع أن نميز فى العصور القديمة مجموعتين أولهما الـ " تحنو " والـ " تمحو " .

ويبدو أنهم هم الذين كانوا يسكنون فى الواحات . وكان التمحو يشبهون من ناحية الجنس والثقافة المصريين فى غرب الدلتا . ويتزينون بخصلة شعر تتدلى من أحد جانبي الرأس ، ويحملون ريشا فى شعورهم ^(٢). وأما قبيلة الـ " لبو " فلم نسمع عنها إلا فى عهد مرنبتاح حين قامت على رأس حلف من الغزاة الذين قدموا من أقاليم أبعد غربا ^(٣). ومن اسم هذه القبيلة جاءت التسمية " ليبيا " .

وأما فى الشرق ، فهناك إشارات عن مدى الخطر الذى كان يتهدد مصر من هذه الناحية حوالى عام ١٩٧٠ ق. م . فى الحديث عن " أسوار الحاكم " التى شيدت لصد " السيتو " (أى الآسيويين) ولتقضى على " حريوشع " ومعناه الحرفى " أولئك الذين فوق الرمال " ^(٤). وتحدثنا بعض النصوص أحيانا عن المدن الموجودة فى فلسطين أو سورية . وفى نص مرنبتاح الذى سبق ذكره نجده يذكر :

" وأمسكت التحنو ، وخاتى هدأت ، وأصبيت كنعان بكل أذى ، واستسلمت عسقلون ، وأخذت جزر ، وينعم أصبحت كأنها لم تكن ، (وعنصر) اليسيريرو سحق ولم يعد له بذرة ، وخارو أصبحت أرملة لتاميرى " ^(٥) وكان يطلق على بيبيلوس اسم " كبن " ^(٦).

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ١١٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٧ .

(٦) د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦١ .

وفى الشمال أطلق على البحر المتوسط اسم ' واج ور ' الأخضر العظيم ' فى أناشيد اخناتون .^(١) وعلى جزر البحر المتوسط ' هاو نبو ' فى لوحة الكرنك من عهد أحمس الأول . وجاء فى نص الجدار الشرقى لقناة الخبيثة بالكرنك من عهد مرنبتاح^(٢) (السطر الأول) أسماء بعض شعوب البحر الذين جاءوا أساسا من الشمال من إيطاليا واليونان وآسيا الصغرى ، وهم :

الايكاواشا : وهم الآخيون من اليونان ، وكانوا أصلا من جزيرة تسالى وغزوا جزر اليونان فى بداية الألف الثانية .^(٣)

التورشيا : هم أصل شعب الاتروسك ، وهو شعب ظهر فى نهاية القرن الثامن ق. م . فى إيطاليا .^(٤)

الروكو : شعب من آسيا الصغرى .^(٥)

الشاردنا : من جزيرة سردينيا فى إيطاليا ، جنوب كورسيكا .^(٦)

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ حاشية (١) .

(٢) Kitchen, RI IV, p. 2 – 12.

(٣) Nouveau : Petit Larousse (1095); Lalouette, L'Empire des Ramses, p. 68 – 69, 267 – 270; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 270.

وقد جاء ذكر هذه الشعوب فى النص نفسه فى الأسطر ١٤ ، ٥٢ ، ٥٤ .

(٤) Nouveau : Petit Larousse (1324); Gardiner, op. cit., p. 271.

وقد جاء ذكر هذه الشعوب أيضا فى النص نفسه فى الأسطر ١٤ ، ٥٣ ، ٥٦ .

(٥) Id. op. cit., (1498); Gardiner, op. cit., p. 271 .

نكروا أيضا فى السطر ١٤ .

(٦) نكروا أيضا فى الأسطر ١٤ ، ٥٢ ، ٥٣ .

Id., op. cit., (1678) .

الشكروشا : هم الشعب البدائي كشرق جزيرة صقلية .^(١)

وتعرف من نصوص أخرى الاسم الذى أطلق على جزيرة
كريت وهو " كفتيو " .^(٢)

(٥)

تأثير عناصر البيئة على النتاج الحضارى

المصرى القديم

وكما أثرت عناصر البيئة على طبيعة الإنسان المصرى القديم وسلالاته وأجياله المختلفة منذ أقدم العصور فإنها أثرت أيضا على نتاجه ونشاطه الحضارى . وحاول الإنسان من جانبه أن يتكيف مع هذه العناصر البيئية وحاول استغلال أغلب هذه العناصر فيما يلائم ويناسب حياته اليومية . وأثر استقرار البيئة ووضوح معالمها فيما عرفه الإنسان المصرى القديم من نظم وحضارة ، ففى مجال نظم الحكم والإدارة . كان المصرى القديم من أول الشعوب التى عرفت الوحدة السياسية وحافظ عليها ودافع عنها طوال عصوره التاريخية . تلك الوحدة التى أوجدت القومية المصرية القديمة أو الشخصية المصرية القديمة لأفراد شعب متجانس مترابط لا يعرف التعصب أو العنصرية بين سكان الجنوب والشمال ، وكان ذلك من المقومات الأساسية التى قامت عليها مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

(١) Id., op. cit., (1700); Gardiner, op. cit., p. 271 .

(٢) د. أحمد بدوى - د. هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

وأدت هذه العناصر إلى ميل المصري القديم إلى التجمع والترابط الاجتماعي لتأمين مصادر اقتصاده وثروته الطبيعية .

وأثرت هذه العناصر في عقيدته ، وكان قلبه يفيض اعترافاً بجميل المعبودات عليه وفضلها عليه فيما وهبته من خيرات وهبات على هذه الأرض ، فبحث بإخلاص عن التقرب إلى المعبودات ، وبحث بإخلاص عن القيم والمبادئ ، فاعتقها لأنه اعتبرها جزءاً من طاعة المعبودات .

فضلاً عن ثبات عقائده الدينية التي استوحها من بيئته ، وبعده عن مظاهر التعصب المذهبي وتغلب طابع الرحمة في أربابه على طابع العنف والشدة ، كما أثرت عناصر البيئة في تفكير المصري القديم عن عالم الآخرة ، عالم يجد فيه الطمأنينة والاستقرار كما وجدها في دنياه .^(١)

كما أثرت عناصر البيئة في ثبات تقاليد المصريين القدماء ووضوح ثقافتهم وتوصلهم إلى العديد من المعارف والعلوم ، فضلاً عن صبغ إنتاجهم الفني بصبغة غالبية من بساطة الخطوط ووضوح التعبير .

ولكى نرى إلى أى مدى أثر كل عنصر من عناصر البيئة في هذا النتاج الحضارى نقول أن الموقع الجغرافي الفريد لمصر أثر في حياة المصري القديم فى أكثر من ناحية : أن جعل مصر تتصل بالدول والشعوب المجاورة لحدودها منذ عصور ما قبل التاريخ واستمرت هذه الاتصالات حتى نهاية تاريخ مصر القديم . وقد اختلفت طبيعة ونوعية وطريقة هذه الاتصالات طبقاً للسياسة الخارجية التى اتبعها ملوك مصر القديمة بصفة خاصة ، ونتيجة لما يحدث من جانب الدول والشعوب المجاورة لحدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية ، فأحياناً هي علاقات قائمة على حسن الجوار وما يترتب على ذلك من تبادل للأفكار الثقافية والدينية ، وأحياناً أخرى علاقات ذات طابع تجارى ، وأحياناً ثالثة علاقات ذات صبغة عسكرية لدفع خطر ما

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

وتأمين الحدود ضد الغزوات الأجنبية ، أو سياسة فتح وغزو وخاصة فى مناطق الشاطئ الغربى للبحر المتوسط ، وينطبق هذا على السياسة الخارجية لملوك مصر القديمة فى عصر الدولة الحديثة .

وقد أدرك المصريون القدماء أنفسهم أهمية الموقع الجغرافى لبلادهم ، وحاولوا ربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة للاتصال بالبحر المتوسط . وقد فكر فى هذا المشروع أحد ملوك الدولة الوسطى ربما سنوسرت الأول أو الثالث ؟ والملك نكاو فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ولكنه لم ينفذ هذا المشروع ونفذه فقط الملك الفارسى دارا الأول فى عصر الأسرة السابعة والعشرين .^(١)

وأدرك البطالمة أهمية موقع مصر بالنسبة لطرق المواصلات . وعمد البطالمة إلى تنظيم استغلال موارد مصر الداخلية وإعداد مصر لأن تكون قاعدة صالحة للتحكم فى طرق المواصلات فى الشرق القديم . فعمدوا إلى تحسين وسائل الإدارة وفتح طرق التجارة خصوصا عن طريق البحر الأحمر إلى شرق أفريقيا والهند ، فأصبحت مصر بالتدرج حلقة الاتصال التجارى فى العالم القديم . وجعلها تتحكم فى طرق المواصلات بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب . وبفضل هذا الموقع أصبح من السهل على المصريين فى بداية العمران والاستقرار أن يتلقوا النباتات والبنور من الجنوب أو الشرق أو الشمال .

استفاد المصري القديم من التكوينات الصخرية والحجرية الموجودة فى بيئته ، وقد سمحت صلابة هذه الصخور والأحجار أن تبقى أكثر مما عداها دواما واستمرارا . هذا إلى جانب توافر مواد البناء والتشييد ، وأحجار الزينة وبعض المعادن الأخرى فى باطن الأرض وعلى سطوحها . ولا تنسى أيضا أن المصري القديم قد استفاد من طمى النيل وصنع منه الطوب اللبن ، وذلك بخلطه برمل أو تبس ليقوى تماسكه ، واستفاد كذلك من أعواد النباتات من البردى التى صنع منها لفائفه الصالحة للكتابة ، وكذلك الغاب وجنوع الأشجار مثل النخيل والجميز .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ .

ومن هذه الأحجار المتنوعة والمواد المختلفة استطاع الفنان المصرى القديم أن يصنع أدواته ، ويشيد الكثير من مختلف مظاهر العمارة الدنيوية من مدن بها القصور والمنازل ، والأدوات ، وما يحيط بها من أسوار ، كما شيد الحصون والسدود ، ودينية من معابد للمعبودات ، ومقاصير وهياكل وجواسق للملوك ، وجنائزية من مقابر للملوك والملكات والأمراء من أهرام ومعابد جنائزية ، ومقابر لكبار الشخصيات من رجال الدولة ، ومقابر لبقية الأفراد والعمال . هذا إلى جانب أنه نحت وأقام العديد من التماثيل واللوحات والتحف الصغيرة ، من كل هذه المواد . ولم تكن أدوات المصريين القدماء وآلاتهم لقطع الأحجار وإعدادها واستخدامها فى البناء سوى أدوات بسيطة من حجر ، ونحاس ، وبرونز وخشب .^(١)

وقد أثرت بعض العناصر النباتية الموجودة فى البيئة فى فن العمارة ، فقد أصبح تقليد هذه العناصر من عناصر الزخرفة التقليدية مثل تقليد أعواد البوص أو الخيزران ، التى حلى بها المصرى القديم الجدران الخارجية الهامة والأبواب لما فيها من تناسق وجمال .^(٢)

ومن أبرز مميزات العمارة المصرية ومفاخرها ، الأساطين التى تقلد عناصر نباتية مثل البردى واللوتس والنخيل . فاختار الفنان المصرى شكل زهرة البردى ، أو اللوتس المتفتحة أكامها ، وجريد أو سعف النخيل لتحلية أعالي وتيجان الأساطين ، وذلك لكثرة هذه النباتات بين نباتات البيئة المصرية ، أو لأنه أعجب بها أكثر من غيرها لجمال أشكالها .

أثر النيل فى حياة الإنسان المصرى القديم ، فكان الإنسان الذى تواجد على أرض مصر فى العصر الحجري القديم يعيش فى الصحارى ، أما بعد انقضاء عصر الأمطار وحلول الجفاف ، نزح الإنسان إلى الوادى ، واضطر إلى الإقامة على

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩ ؛ د. أحمد فخرى :

الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥٣ .

ضفافه .^(١) وبدأ الإنسان يفكر فى الاستفادة من مياه النيل فى الشرب والزراعة ، وتنظيم الوسائل للاستفادة من فيضانه . وللاستفادة من مياه النيل يجب ألا يكون مستواها مرتفعاً جداً أو منخفضاً جداً .^(٢)

وعلى أقدم قوائم الملوك ، حجر بالرمو ، نجد مع ذكر أسماء الملوك نوعاً من الترتيب التاريخى للأحداث السياسية الهامة التى وقعت أثناء فترة حكم كل منهم للبلاد ، مع ذكر الحدث الهام فى كل عام ، ألا وهو تسجيل ارتفاع منسوب الفيضان . فالحياة الزراعية ترتبط فى كل عام بمدى ارتفاع هذا المنسوب ، ويعتمد فرض وتحديد الضرائب أيضاً على حالة الفيضان . وفى أثناء فصل الشتاء عندما ينخفض منسوب مياه النهر ، كان لابد من إيجاد وسائل بسيطة لرفع المياه لرى الأرض فاخترع الشادوف الذى عرف منذ عصر ما قبل الأسرات ، أو منذ عصر بداية الأسرات ، ولكن الطنبور ظهر فى العصر اليونانى والساقية فى العصر البطلمى – الرومانى .^(٣)

وكما كان الفيضان مصدراً للخير فكان أحياناً يهدد حياة السكان جميعاً فى وادى النيل أو على جوانب النهر وفى دلتاه ، فكان لابد من توحيد الجهود وتنظيمها لتوزيع المياه بطريقة سليمة . فمشكلة توزيع المياه تعتبر المشكلة الرئيسية ، فهى تحتم شق القنوات ، وحفر الترعة ، وبناء الخزانات والسدود . وللحماية من أخطار

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٤ .

(٢) قام فانديه بتجميع عدد كبير من الجمل التى تعبر عن الأمل فى وصول الفيضان فى ميعاده وعدم تجاوزه المقاييس المتعارف عليها فينتج الخير وتعم البهجة ، كما تعبر بعض الجمل الأخرى عن الخوف من انخفاضه وتعرض البلاد للمجاعة ويحل البؤس والحزن ، راجع : Vandier, la famine dans L'Égypte ancienne, Paris (1936), p. 139 – 149 .

كما جمع فانديه أكثر من ٣٥ كلمة تعبر عن المجاعة والبؤس ، راجع : Id., op. cit., p. 151 – 158.

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧ .

الفيضان لابد من تضاعف الجهود أيضا لإقامة الجسور القوية فمنذ أقدم العصور مارس المصريون القدماء لونا من ألوان التحكم في المياه ، وذلك عن طريق رفع ضفتي النهر إلى حد يحصر أعلى فيضان متوقع . وتخضع كل هذه المشاريع للإشراف من قبل الحكومة المركزية التي لابد من وجودها لكي تستطيع أن تتحكم في هذا الإشراف ، وترعى شئون الري ، وتنظيم توزيع المياه في كل الأقاليم . ويعتبر قياس ارتفاع مياه الفيضان وكيفية الاستفادة منها ودفع أخطارها مثلا واضحا لمدى تأثير عنصر من عناصر البيئة على الحياة الإدارية في مصر القديمة ، ومدى تأثير ذلك في السياسة الداخلية لبعض الملوك . فلدينا على سبيل المثال أقدم نقش على أثر يمثل ملكا مصرياً وهو يقوم بشق ترعة ^(١).

وهكذا كان على المصري القديم أن يواجه ظاهرة تذبذب فيضان نهر النيل في كل عام طوال تاريخه . ونذكر هنا أن الفيضان لعب دورا آخر في حماية العمران المصري أحيانا من الغزاة ، فعندما تقدم الجيش الفارسي لمحاصرة منف في بداية الأسرة الثلاثين لم يستطع الاستيلاء عليها . ويبدو أن فيضان النيل والتنافس بين القواد على تولي القيادة هو الذي عجل بانسحاب العدو ^(٢).

لقد أحس المصري القديم بأهمية ظاهرة الفيضان التي ليس لها نظير في البيئات الأخرى ، ولهذا طبع حياته الزراعية في الوادي والدلتا بنظام معين في ري الأحواض . وقد حاكى المصري القديم النيل في طوله في شق الترع والقنوات بشكل

(١) يوجد هذا المنظر في نقوش رأس مقمعة القتال من العاج والخاصة بالملك

العقرب ، راجع : Vandier, Manuel d'Archeologie I, p. 600 – 602

(2) Fig. 393; Quibell, Hierakonpolis I (1900), pl. 25 – 26

(4) .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثاني ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

٤٥٢ ؛ د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة ،

طولى ^(١) . ومن هنا بدأ الإنسان يتكيف مع هذه الظاهرة الطبيعية الضرورية لحياته الزراعية ، حتى أن هيرودوت ذكر قوله الشهيرة بأن " مصر هبة النيل " ^(٢) .

ولكن يمكن القول بأن المصريين أنفسهم كانوا يدركون هذه الحقيقة الجغرافية ، ففى نص من نصوص العصر البطلمي نقرأ " الأرض السوداء للنيل " ^(٣) ، والتي يمكن فهمها بمعنى " مصر النيل " والتي ربما قد سمعها هيرودوت قبل هذا التاريخ من أفواه أحد الكهنة فسجلها على إنها مقولة من أفكاره .

ولقد أصبح النيل شرياناً للمواصلات ، فمصر ليس لديها طريق آخر غير النهر ^(٤) ، الذى كان يربط بين سكان الوادى واللتا فى الجنوب والشمال ، وساعد على ربط أجزاء مصر ، ومهد ذلك لقيام وحدتها السياسية . ^(٥) فمصر أصبحت دولة ذات تجمع سياسى قوى ومتماسك ، وفى الوقت نفسه ذات تجمع إدارى منظم . ونتيجة لذلك كان لابد من إحراز تقدم سريع فى وسائل الملاحة ، والتقدم فى صناعة المراكب الشراعية ، وأدى ذلك إلى توصل المصريون إلى اختراع الدفة ، وكل ذلك كان له أثر فى تطور النظام الاقتصادى ودخل الدولة من المحاصيل التى كانت تنقل عن طريق المراكب . فلدينا بريدية من الدولة الحديثة موجودة فى متحف اللوفر تحدثنا

(١) د. منحت جابر : المرجع السابق ، ص ٨ ، حاشية (٣) .

(٢) جون ولسون : الحضارة المصرية (ترجمة د. أحمد فخري) ، ١٩٥٥ ، ص ٣٧ .

(٣) يوجد هذا النقش فى معبد اوبت بالكرنك .

(٤) إلى جانب أهمية النيل الاقتصادية فإنه كان وما زال طريقاً ملاحياً ممتازاً فى أفريقيا ، يتوغل فيها من البحر المتوسط إلى حافة هضبة البحيرات عند جوبا ، باستثناء منطقة الجندل فى بلاد النوبة ، راجع : د. محمد رياض - د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ١٢٧ ، ٢٢١ .

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

عن نقل التمر من إقليم لآخر بواسطة المراكب .^(١)

وأهمية اقتصادية أخرى لهذا النهر ، فيضانه العالى كان يعنى رخاء البلاد ، أما الفيضان المنخفض فكان يعنى عدم كفاية الماء لرى الأرض مما يؤدى إلى ضالة المحصول ، واضطراب الحالة الاقتصادية وربما يؤدى إلى مجاعة أحيانا .^(٢)

ونظرا لبطء تيار النهر عندما يصل إلى مصر ، فإن ذلك يساعد على ترسب الطمي في الحقول التي تغطيها مياه الفيضان . وهذا الطمي الذي تكمله عناصر أخرى نباتية خصبة هو الذي كون أرض مصر الخصبة ، والتي تسمح بزراعة محصولين أو ثلاثة سنويا .

ولنا أن نفهم جيدا ، لماذا جعل المصريون من ذلك النهر الذي يجلب لهم المياه ، ويساعد على إعداد الأرض الخصبة على السواء بفضل طمييه ، معبودا ، هو المعبود " حعبى " وقاموا بترتيل الأناشيد^(٣) وعمل الطقوس الدينية تكريما له .

بل أننا نجد صدى لأهمية الماء في النصوص المصرية القديمة ، فالماء هو القربان الأساسى الذى يقدم للمتوفى ، أو ينثر تحية ووفاء لذكراه .^(٤) ونجد فى تلك الخطابات الغريبة التى يرسلها الأحياء إلى الموتى ، صيغة تهديد بالنسبة لهؤلاء الذين لم يطيعوا الأوامر الموجهة إليهم ، فلن " يصب إليهم الماء " .^(٥) ومن هنا نرى أن الماء اعتبر عنصرا حيويا وأساسيا بالنسبة لتأدية القرابين والطقوس .

(١) Megally, Notions de Comptabilité . A propos du papyrus E. 3226 du Musée du Louvre, p. 15.

(٢) أشرنا من قبل إلى نص جزيرة سهيل بأسوان الذى يتحدث عن سنوات المجاعة التى حلت بالبلاد فى عهد الملك جسر فى بداية الأسرة الثالثة .

(٣) انظر فيما بعد الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٤) Garnot, L'Appel Aux Vivants, p. 25 n. (2); Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 570 – 571.

(٥) Gardiner – Sethe, Egyptian letters to the Dead, p. 15.

ونرى فى نص آخر أن تتميز طبقة السكان فى مختلف أنحاء البلاد ، تم طبقا لمصدر شرب الناس الماء ، فهناك من يشربون من ماء النيل ، أو مياه الآبار ومياه الترعى ، أو مياه الأمطار المخزونة . وكان هناك سقاةون لتوزيع المياه على البيوت فى المدينة ، وفى نص لأحد حكام أسيوط يقول فيه أنه قام : " بتعيين سقاةين لتوزيع المياه على البيوت فى المدينة " .^(١)

وأخيرا مما يدل على أهمية هذا العنصر ، وجود أكثر من سبعة عشر لفظا فى اللغة المصرية القديمة للتعبير عن كيفية انسياب مياه النيل ومياه الفيضان .^(٢)

أثر طول الوادى واتساعه واختلافه وتغير طوبوغرافيته على الحياة السياسية والإدارية للبلاد .^(٣) فطول مصر يبلغ عشرة أضعاف عرضها ، وكان له أثره فى تطور نظم الحكم والإدارة . فهذا الشريط الطويل الذى يمثل أرض مصر ، والذى ليس له طريق غير نهر النيل ، كان يعمل فى الاتجاه المضاد ، ويساعد على الانفصال الذى يتعارض مع الوحدة التى تتطلبها ظروف الحياة ، ويساعد أيضا على تفقت السلطة المركزية .

وكان من الصعب على أى ملك أن يمارس أية سلطة بنشاط فى الأقاليم أو فى المناطق التى تبعد أكثر من ألف كيلو مترا عن العاصمة . فالوصول إلى تلك الأقاليم البعيدة ، كان يتطلب الإبحار فى النهر لعدة أيام . ولهذا السبب فعندما تصاب السلطة المركزية بنوع من الضعف ، نرى حكام الأقاليم يتحولون على الفور إلى ملوك صغار شبه مستقلين عن السلطة المركزية .

ولهذا نرى منذ البداية ، أن تاريخ مصر السياسى كان يتأرجح بين الاتجاه إلى التجمع السياسى الذى تتطلبه الاحتياجات الضرورية للبلاد ، والاتجاه إلى

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

(٢) Wb. VI, index (1957), p. 180 .

(٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٦ - ٨ .

الانفصال الذى ساعد عليه امتداد البلاد طولا . ومن هنا نشأت أيضا ، أهمية الأقاليم فى نظم الحكم والإدارة . فقد كان لزاما على كل إقليم أن يعيش ويتمتع بنوع من الحكم الذاتى نظرا لبعده الكبير عن السلطة المركزية والإدارية فى العاصمة . وكان حاكم الإقليم هو الذى يهتم بكل مشاريع الري واستصلاح الأراضى ..

كما أن طول البلاد ، كان يتطلب من الناحية السياسية والإدارية وجود عاصمة ويجب أن تكون فى مكان متوسط من البلاد إلى حد ما ، حتى يستطيع الحاكم القوى ان يسيطر سلطانه على جميع أنحاء السوادى دون عائق . ومنذ العصر الثينى ، وبدون شك منذ عصور ما قبل التاريخ ، كان هذا الموقع المتوسط الحيوى يتمثل فى إقليم منف (الذى لا يبعد كثيرا عن الجنوب القاهرة الآن) . ومن هذا المكان ، استطاعت الإدارة الملكية أن تتحكم فى الإشراف على الدلتا وعلى أعالى الوادى . وسوف نرى فيما بعد ، أن هذا الموقع الذى كان يمثل العاصمة المثالية فى عصر الدولة القديمة ، نجد أن ملوك الدولة الوسطى ، لسبب سياسى داخلى ، اتجهوا إلى إقرار عاصمتهم فى الفيوم . واتجه ملوك الدولة الحديثة لسبب دينى أكثر منه سياسى إلى إقرار عاصمتهم فى طيبة ، التى وأن كانت تمتاز بأنها أكثر قربا إلى بلاد النوبة التى اتسعت حدود مصر تجاهها إلى أقصى درجة ، إلا أنها لا تمثل العاصمة المثالية ، نظرا لبعدها الشاسع عن الدلتا . ولهذا اتجه بعض ملوك الأسرة التاسعة عشرة إلى نقل النفل السياسى والعاصمة إلى الدلتا . وأسس الملك رمسيس الثانى عاصمة جديدة فى " بر - رعمس " وأقام فيها من بعده ابنه مرنبتاح .^(١) واحتفظت طيبة بمكانتها الدينية . وكان من أسباب نقل العاصمة بالقرب من الشمال الشرقى هو أن الإمبراطوريات الآسيوية بدأت تتوسع نحو الغرب . وأقام رمسيس الثانى حكمه فى بر - رعمس ليسهل عليه مراقبة ما يحدث على الحدود الشرقية .

وتغير مكان العاصمة أكثر من مرة بعد ذلك ، نظرا للتطورات فى السياسة الخارجية لبعض بلدان الشرق القديم وفى البلاد المطلة على حوض البحر المتوسط ، فاتخذ ملوك الأسرة الحادية والعشرين من مدينة صان الحجر فى شرق الدلتا عاصمة

(١) Lalouette, L'Empire des Ramsès , Paris (1985) , p. 266 .

لهم ، واتخذ ملوك الأسرة الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين من مدينة صا الحجر فى غرب الدلتا عاصمة لهم ، واتخذ ملوك الأسرة التاسعة والعشرين من مدينة مندىس (تمى الامديد) فى وسط الدلتا عاصمة لهم .

ومن ناحية أخرى كان على حكام مصر منذ بداية الأسرات وخلال العصور التاريخية أن ينتبهوا لما يحدث باستمرار من تحركات للشعوب والقبائل التى تعيش فى المناطق المتاخمة للحدود الشرقية والغربية والجنوبية وكذلك من الغزوات الأكثر أهمية ، والتى كان الغرض منها جميعا النيل من خيرات أرض مصر وثرواتها والاستقرار فى أرضها الخصبة ، أو للسيطرة على موقعها المتوسط ، فنعمة وخيراتها كانت أحيانا سببا فى تعاستها عندما كان يطمع فى خيراتها الطامعون فتعرضت للغزوات والهجرات .

أثرت الوديان القديمة والواحات والصحارى فى حياة الإنسان المصرى القديم . فى أماكن الوديان القديمة تقع جبال المحاجر والمناجم التى استغلها المصرى القديم أفضل استغلال فى كافة أغراضه الصناعية وحياته اليومية . كما استغل الإنسان المصرى القديم منذ أقدم العصور الواحات ، مثل الواحات الخارجة التى عثر فيها على أدوات من الظران التى استخدمها الإنسان فى العصر الحجرى القديم ^(١) ، وكان بها الأرض الصالحة للزراعة وبخاصة البلح والزيتون ، وتمتاز باعتدال جوها مثل الواحة البحرية ، والداخلية التى كانت تشتهر بجودة نبيذها ووفرة كرومها . ولحسن استغلالها قام الإنسان المصرى القديم بحفر العيون والآبار فى جميع الواحات للحصول على الماء الصالح للشرب وللرى وكانت هذه الواحات بمثابة نقاط الدفاع الأمامية ، فأقام بها الحصون والنقاط العسكرية ، فمثلا واحة الفرافرة كانت تعد إحدى المواقع الاستراتيجية الهامة فى الصحراء الغربية ^(٢).

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، ص ٤٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٢ - ٤٢٦ .

وقد أثرت الصحارى فى حياة الإنسان المصرى القديم ، فالصحراء تحيط بالبلاد من الشرق والغرب ، وفى الجنوب توجد بعض المناطق الصحراوية . وكانت هذه الصحارى بمثابة الموانع الطبيعية والجغرافية ضد التدخلات الأجنبية فى فترات الضعف السياسى . فكانت تلك الموانع بمثابة حصن طبيعى مترامى الأطراف من الرمال المترامية على مسافات طويلة تكسر من حدة هجمات المغيرين أحيانا وحمى حدود مصر من شر الطامعين أحيانا أخرى . وساعدت تلك الموانع على تطور الحياة وعلى تطور مظاهر الحضارة المصرية القديمة التى كانت تنعم بفترات استقرار طويلة لم تعرفها الكثير من حضارات العالم القديم ، فهذه الصحارى جعلت حضارة مصر القديمة بمنأى عن المؤثرات الأجنبية الخارجية ، وكانت بمثابة الجدران الخارجية للوعاء الذى تتفاعل بداخله كل المقومات والمظاهر الحضارية ، وهذا ما ساعد ، بطريقة غير مباشرة ، على ازدهار الحضارة المصرية . كما كان لهذه الصحارى أثرها البعيد فى حياة السكان . فلولا وجودها على جانبى الوادى لتغير وجه التاريخ والحضارة المصرية فى أكثر من مظهر ^(١) . فالصحراء الوعرة المترامية أجبرت الإنسان على تركيزه جهوده فى الوادى وحسن استغلاله لأراضيه ، وهذا ما أبرزه غنى الوادى الأخضر . واستطاع المصرى أن يستغل رمال الصحراء وجفافها فى جهة الغرب فى المحافظة على رفات موتاه ^(٢) .

ونتيجة للمناخ الحار ، فى بلد عديم الأمطار ، تبلغ فيه درجة الحرارة السنوية حوالى أكثر من ٢٠ درجة ، كان لابد للإنسان من امتلاك مسكن . ومن هذا ظهرت أهمية البناء منذ عصور ما قبل التاريخ ، حتى فى العصر الحجري الحديث عندما كانت الأمطار الشتوية شديدة ، كان عليه أن يحتوى فى مسكن . وقد أثرت قلة الأمطار فى العمارة المصرية القديمة ، ومن أجل ذلك شيدت الأفنية المتسعة الغير مغطاه فى المعابد . والسبب نفسه أصبحت سطوح المباني وخاصة فى العمارة

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٤ ، ٤٩١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

الحجرية طوال العصور التاريخية مستوية ^(١) كما أن وجود الشمس الساطعة التى تغمر البلاد بضوئها القوي ، أثر فى إعداد المداخل والأبواب فى المعابد والمقابر التى كانت كبيرة ، ليدخل منها ضوء كاف يضى مساحات كبيرة ، ويضى كذلك النقوش الغائرة على السطوح الخارجية ، والتى كانت معرضة لضوء الشمس بما يقيها العطب ، ويسمح للأضواء والظلال أن تتلاعب عليها بما يخفف من حدة الضوء الشديد ويضفى على الجدران الخارجية جمالا ^(٢).

وأثرت هذه الظواهر المناخية فى أحاسيس الفنان المصرى القديم وصبغ إنتاجه بصبغة غالبية من بساطة الخطوط ووضوح التعبير وشماعة الهيئة ^(٣).

وأثر شروق الشمس وغروبها فى عقيدة المصريين ، وربطوا بين البعث وحركة الشمس فى دورتها اليومية ، فهى تشرق لنفهم ثم تتجه إلى الأفق الغربى عند الغروب حيث توجد أغلب مقابرهم ، وتخيلوا أن هذا الكوكب يعبر السماء فى قاربين ، قاربا يعبر به سماء الأحياء فى النهار ، وقاربا يعبر به سماء الموتى فى الليل .

وكان " نسيم رياح الشمال " العليل يلطف من حرارة الجو فى أيام الصيف ، لذلك كانت واجهات البيوت تستقبل عادة جهة الشمال ، كما كانت تتشأ فى السقوف ملاقف تتلقى الهواء الرطب .

وكانت الرياح الشمالية دائمة ، ولا زالت تجرى فى أغلب فصول السنة فى اتجاه شمالي جنوبى ، وبذلك استطاع المصرى أن يستغل قوة دفع الرياح واخترع

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى

القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣١ .

الشراع فى المراكب^(٤) ، وانطلق بمراكبه من الدلتا نحو الصعيد مغالبا تيار النهر الذى يندفع من الجنوب إلى الشمال .

(٦)

الحضارة المصرية بين النشأة والتطور

(أو فترات النشوء والتكوين والتطور)

أثبتت نتائج الحفائر التى تمت فى نخن (هيراقو نبوليس) وأبيدوس وسقارة وحلوان وغيرها من جبانات عصر الأسرتين الأولى والثانية أن الحضارة المصرية فى هذا العصر العتيق كانت أكثر تقدما مما كنا نعتقد . ولهذا فالأسرة الأولى والثانية تمثلان فترة تبلور للحضارة المصرية . فقد تجمعت العناصر المادية الضرورية لنشأة هذه الحضارة فى العصور السابقة على عصر الأسرتين من استغلال الأرض للزراعة . والتحكم فى صناعة الأحجار والفخار والمعادن والنسيج والحلى ... إلخ . ويمكن القول بأن الأسرتين الأولى والثانية قد حولتا هذه الحضارة التى كانت فى دور النشأة إلى حضارة متطورة ؛ ولهذا فنحن نأسف لأننا لم نستطع أن نتعرف على المشاكل التى كانت تخص تطور نظام الحكم والإدارة فى البلاد . فالآثار ودراسة الأساطير الدينية هى التى سمحت لنا إلى حد ما بمعرفة الطريقة التى اتحت بها البلاد وكيف أن الممالك المتعارضة فى الجنوب والشمال قد اندمجت بعد فترة صراع على يد أول ملك هو نعر مر - منى^(٢) ، ولم تفصح لنا الوثائق الأثرية ولا الأساطير

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

(٢) نعرمر هو لقبه الحورى ، ومنى الذى يكتب خطأ ، مينا هو لقبه الملكى

الدينية عن الطريقة التى نشأت عليها الدولة المصرية . ونحن نعلم أنه منذ بداية عصر الأسرة الأولى كان هناك ملك واحد ، ففى عصر الملك دن خامس ملوك الأسرة ظهر لقب ملك مصر العليا والوجه البحرى ، وأن البلاد كانت مقسمة إلى عدة أقاليم وضع على رأس كل منها موظفون ملكيون ، ولم يكن كل ذلك إلا نتيجة لعوامل التطور .^(١) وقد دلت الحفائر على وجود مدن من الطوب اللبن بالقرب من نخن وأبيدوس .

وكان لابد من إنشاء العاصمة الإدارية للحكم ، وأسست مدينة الجدار الأبيض التى عرفت باسم منف ، وكان لابد أيضا من تشييد القصر الملكى فيها ، فعلى لوحة الملك واجى فى اللوفر نرى البوابة الرمزية للقصر الذى كان يسكن فيه الملك ، ويبدو أنه كان من الطوب والأخشاب والحصير والبوص . وأعقب تشييد العاصمة تتويج الملك وكانت هذه المراسيم تشمل : تتويج الملك بالثاج الأبيض والأحمر ، مراسيم اتحاد القطرين ، وأخيرا الدوران حول الجدار الأبيض .^(٢) وكان يصاحب هذه الاحتفالات احتفالات دينية ، فهى احتفالات شرعية مدنية ودينية مقدسة . فالملك اعتبر شبه معبود على الأرض ؛ لأنه كان يستمد سلطاته من المعبودات وظل هذا الطابع الدينى من أهم معالم الملكية المصرية حتى الفتح المقدونى .^(٣)

=== بمعنى المثبت أو المدعم ، وهذا اللقب هو الذى ورد فى القوائم الملكية كاسم لأول ملوك الأسرة الأولى ، راجع : آلن جارنر : مصر القراعنة ، ترجمة د. نجيب ميخائيل ، ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٤٦٨ .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

وكان يعاون الملك مجموعة من كبار الموظفين على رأسهم الوزير ، فقد كان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فعلى ظهر لوحة الملك نعرمر (منى) ، نجد تمثيل شخص كان يسبق الملك ومميز عن الآخرين بطوله وحلته وشعره المستعار ، ربما ينطبق هذا على شخصية الوزير ، وخاصة وهو يحمل لقب ثت أى وزير ، وكان حول ملوك الأسرتين الأولى والثانية بعض الإداريين ، عثر على ألقابهم فى الوثائق ، ولكن لا نستطيع ترتيبهم بشئ من التأكيد ، فكان هناك " مستشار الوجه البحرى " وكان له دور هام وفعال ؛ لأنه كان يتحكم فى الجزء الشمالى الأكثر غنى فى البلاد . ولو إننا لا نملك أى دليل مؤكد فإنه كانت توجد وظيفة مماثلة فى الجنوب . ومن عهد الملك برايب سن سادس ملوك الأسرة الثانية نعرف أنه إلى جانب مستشار قبائل الشمال ، كان هناك بيت مال أبيض ويشرف عليه رئيس ، ويختص بضرائب الوجه القبلى ، ويوجد أيضا بيت مال أحمر ويختص بضرائب الوجه البحرى .^(١)

وكان القصر هو مركز الحكومة ، والذى يشرف عليه هو رئيس القصر الملكى ، وكان هذا القصر يتضمن جزءا خاصا بالحريم يشرف عليه أحد الموظفين . وكان هناك مدير للصالة الوسطى يمثل رئيس التشريفات الذى يقوم بتقديم الموظفين إلى الملك .

ونعرف من النقوش كل أسماء مجموعات المباني التى كانت تدار بواسطة أفراد متخصصين ، وكان حول الملك بلاط به أصدقاء . وكانت مخصصات القصر لها مميزات أكبر من مخصصات كبار رجال الدولة .^(٢)

فقد كان يوجد " محاسب للأوانى وذهب المعبود حورس " وكانت حدائق كروم الملك تدار بواسطة مدير ، ونعرف أيضا " المشرف على تموين البيت الأحمر ، وحدائق وكروم ملك مصر العليا والوجه البحرى " . وكان هناك أيضا من

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

يهتمون بالحدائق ، والعمارة والنحت ، والرسم ، والعمال اللازمون لصناعة الأثاث للملك .

وكان يوجد رئيس للجيش ، حيث عثر على لقبه فى أقدم نقوش سيناء من عصر الأسرة الثالثة ، مما يدل على وجوده قبل ذلك . فقد أصبحت الملكية فى تلك الفترة قوية بما فيه الكفاية لكى ترسل البعثات خارج مصر ، فالجيوش المصرية ذهبت حتى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة ، وتوغلت بعمق فى بلاد النوبة وفى الصحراء الشرقية .^(١) وقد دلت الحفائر على وجود بعض التحصينات بالقرب من الحدود الغربية . ويذكر الأفريقى عن ملوك الأسرة الثانية أنه تقرر فى عهد ثالثهم نى نثر أحقية المرأة فى تولى الحكم .^(٢)

وبالنسبة للحياة الاجتماعية فنعرف من هذه الفترة وجود طبقة عليا من الملك ، وكبار رجال الدولة ، وطبقة دنيا من عامة الشعب . فقد عثر على مجموعة كبيرة من المقابر التى تخص الملوك وكبار الشخصيات فى مقارة وأبيدوس وحلوان . فقد عثر فى عام ١٩٥٤ على مقابر ذات أهمية كبرى فى منطقة حلوان ، كانت تخص بعض كبار الشخصيات ، وعثر فيها على مدى ما يدل على غنى هذه الطبقة ، فقد عثر فيها على أسرة ومقاعد وصناديق وعصى ، وكانت أرجل الأسرة تقلد أرجل الثيران ، وكانت من العاج أو الأبنوس . وقد عثر أيضا على ملابس من الكتان تمتاز بجمال نسيجها وحياتها .^(٣)

وعلى العكس من ذلك عثر بالقرب من قرية بلاص على كثير من الأفران التى تحتوى على حبوب القمح والشعير المجفف ، مما يدل على أن هذه الأفران كانت تستخدم لتجفيف الحبوب لإعدادها لاستخراج الجعة .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ ؛ آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ حاشية

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

وبالنسبة للحياة الاقتصادية ، فطبقا لحجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عصر الملك عج ايب سادس ملوك الأسرة الأولى كان هناك إحصاء كل عامين ، وكان أول من سن هذا الإحصاء هو الملك دن خامس ملوك الأسرة (١) وهذه التفاصيل تسمح لنا بتخيل أن هناك ضرائب ، تدفع عينية ، والإحصاء يسمح بتحديد مساحة الأرض التي خربت بواسطة الفيضان . ونرى على أثرين من آثار تلك الفترة ، الملك وهو يقوم بافتتاح مشاريع حفر الترع أو الري . وكان هناك أحد كبار الموظفين الذى يحمل " عج - مر " أى الإدارى (٢) ، وهو أيضا أحد ألقاب " حاكم الإقليم " وتقع على عاتق حاكم الإقليم مسئولية الاهتمام بالمشاريع الزراعية والأعمال الإدارية والمالية ومراقبة الصحارى (٣).

كما يحدثنا حجر بالرمو عن أحداث الملك نى نثر ثالث ملوك الأسرة الثانية فأشار إلى قيامه بعمل إحصاء . وقد تقدمت فى هذه الفترة بعض الصناعات التى كانت معروفة من قبل فى عصور ما قبل التاريخ ، فقد تقدمت فى هذه الفترة صناعة الطلاء بالمنيا ، وتعددت ألوانها ، وتقدمت صناعة الأوانى الحجرية ، والأدوات النحاسية ، والأدوات المصنوعة من الأحجار الكريمة . فقد عثر على أسرة ومقاعد وصناديق وعصى ، كان بعضها من العاج أو الأبنوس فى مقابر حلوان ، وعثر على ملابس من الكتان (٤).

وبالنسبة للحياة الدينية ، بدأت تظهر فى النقوش أسماء بعض المعبودات المحلية التى كانت معروفة فى كل مدينة وفى كل إقليم ، فعلى الصلاة التى تخص الملك نعرمر (منى) الذى قام بإتمام عملية الوحدة السياسية للبلاد ، نجد تمثيل الرأس للمعبودة حتحور ، كما أن هذه الصلاة عثر عليها فى معبد المعبود حورس فى نخن مما يدل على مكانة هذا المعبود فى هذه الفترة ، والذى سيصبح بعد ذلك معبودا للملكية المصرية . ويذكر لنا هيروdot أن الملك (نعرمر - منى) قام

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٣٨ ، ٤٥١ ؛ وراجع فيما سبق ، ص ٧٨ حاشية (٢) ، وفيما بعد ص ٣٧٩ حاشية (١) ..

(٢) عن هذا اللقب ، الذى كان يحمله أيضا مهندس أمنحتب الثالث ، أمنحتب بن حبابو ، راجع : Varille, Inscript, concernant l'architecte d'Amenhotep fils de Hapou, BdE 44 (1968), p. 92 (30).

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٥١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

بتجفيف سهل منف لكى يقيم الجدار الأبيض ومعبد المعبود بتاح كنواة للعاصمة .^(١)
 كما ظهر اسم المعبودة نيت معبودة سايس فى اسم الملكة نيت حتب زوجة نعرمر -
 منى^(٢) التى عثر لها على بقرة ضخمة فى نقادة عام ١٨٩٦ . ويذكر ديودور الصقلى
 أن المصريين قد تعلموا عن نعرمر - منى كيف يتعبدون المعبودات ويعيشون حياة
 متحضرة .^(٣)

وقام الملك دن بالاحتفال بأعياد المعبودة واجبت معبودة بوتو وغيرها من
 المعبودات .^(٤) وكما ذكر اسم المعبود رع فى اسم ثانى ملوك الأسرة الثانية نب رع
 بمعنى " السيد هو رع " ، وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ مصر القديم التى يظهر
 فيها اسم رع ، معبود الشمس ، الذى أخذت أهميته تزداد بعد ذلك . وفى الأسرة
 الثانية عاد للظهور اسم المعبود ست ، وقد اعتنق الملك برايب سن عبادته وترك
 عبادة حورس .^(٥) وشيد الملك خع سخموى ثامن ملوك الأسرة الثانية فى مدينة نخن
 معبدا للمعبود حورس ، كانت بوابته من الجرانيت الصلب .^(٦)

ويذكر الأفريقى أنه فى عهد الملك نب رع ثانى ملوك الأسرة الثانية عبد
 العجل أبيس فى منف ، والعجل منيفس فى إيونو .^(٧)

وفى الواقع أن معظم المعبودات التى ذكرناها كانت معروفة فى عصور ما
 قبل الأسرتين الأولى والثانية . فقد عثر على نص فى معبد حتحور ببندره ، يحدثنا

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

عن طقوس دينية كانت تزور خلالها المعبودة حتحور أدفو ، لكى ترى زوجها المعبود حورس . ويرجع تاريخ هذه الطقوس إلى قبيل قيام الأسرتين الأولى والثانية^(١) ، كما عثر فى حضارة جرزة من العصر الحجري الحديث على صورة لصقر مرسومة على لوحة رقيقة من القصدير موضوعة على نموذج من الخشب^(٢) وفى حضارة العمرة عثر على ألواح لإعداد الكحل من الأحجار الصلبة كانت تتخذ رمز المعبودة حتحور^(٣).

وفى أثناء مراحل التكوين السياسى فى عصر ما قبل الأسرات ، ظهرت عواصم أو مدن رئيسية فى الدلتا وفى صعيد مصر ، كانت تعبد فيها عدة معبودات نعرف منها :

عنجتي فى مدينة جدو فى شرق الدلتا ، وحورس فى منهور فى غرب الدلتا . نيت فى سايس فى غرب الدلتا ، وست فى امبوس فى محافظة قنا ، واوزير فى جدو ، وواجيت وحورس فى بوتو ، وحورس فى نخن ، ونخبت فى مدينة نخب على الضفة الشرقية للنيل فى مدينة الكاب الحالية^(٤) وغيرها .

وتشهد المقابر التى عثر عليها فى سقارة وأبيدوس وحلوان مدى تطور أفكارهم بالنسبة لعقيدة البعث والخلود . وكانت تنقسم إلى جزئين : أحدهما تحت سطح الأرض مخصص للمتوفى ، والآخر فوق سطح الأرض معد لاستقبال الأحياء لتأدية الطقوس الجنائزية . كما عثر بجوار مقابر ملوك الأسرة الأولى فى سقارة حفر لمراكب ضخمة كانت تستخدم للزيارة إلى المدن المقدسة سايس ، بوتو ، وبوزيريس وأبيدوس^(٥).

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق الجزء الأول ، ص ٤٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

أما بالنسبة للحياة الثقافية ، تعتبر الكتابة من أهم اختراعات الإنسان المصرى القديم ، ومن الصعب تحديد أقدمية الكتابة ، ولكن عثر فى الممرات السفلية لهرم جسر فى سقارة ، على ممرين سليمين أحدهما مملوء بأكوام من الأوانى المصنوعة من الأحجار الصلبة المتنوعة ، وهى تحمل سواء بالنقش أو بالكتابة بالمداد ، على بعض العلامات الهيروغليفية التى تعطى أسماء ملكية وبعض الألقاب . وقد استخدم مؤسس الأسرة الثالثة هذا المخزن الثمين من أوانى سابقه نظرا لجمالها ، وربما رغبة منه فى المحافظة عليها داخل هرمه . وترجع هذه الأوانى إلى الأسرتين الأولى والثانية ، ونجد فيها أثر الاتجاه لمحاولة نطق بعض الضمائر الشخصية وعلامات الجمع والتعبير عن بعض المخصصات . والآثار القليلة التى وصلت إلينا تسمح لنا بالقول بأن الكتابة كانت تستخدم بواسطة أهل العصر الثينى فى تسجيل بعض الأعمال الإدارية ، كما يبين لنا لقب " مستشار الجنوب لكل الكتابات " ولا نعرف على وجه التحديد دور هذا صاحب اللقب ، ويمكننا القول أيضا أن اللغة كانت تصويرية أى يعبر عنها بالصورة ، ويمكن قراءتها عن طريق الصور التى أعطيت لها .^(١)

حتى وسائل الكتابة قد اصابها التطور . ففي مقبرة أحد موظفى الملك واجى عثر على لوحتين لأحد الكتبة ، عليهما محبرة تحمل آثار المداد الأحمر ، والأسود ، وعثر أيضا على بقايا حجرية عليها حسابات من نفس عهد هذا الملك . وفى مقبرة حماكا وزير الملك دن عثر على جراب مستدير من الخشب يحتوى على عدد من البرديات التى لم تستخدم للكتابة عليها . مما يدل على أنهم توصلوا إلى صناعة الورق من سيقان البردى من قبل هذه الفترة .^(٢)

بالنسبة للحياة العلمية ، يذكر لنا مانيتون أن للملك جر ثالث ملوك الأسرة الأولى ألف بعض الكتب فى الطب وخصائص جسم الإنسان ، وكان طبييا وملما

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

بالتشريح (١).

وبالنسبة للحياة الفنية ، فقد تطورت حضارة الأسرتين الأولى والثانية بالمعارف ، وبالتجارب والخبرات التي اكتسبها الإنسان المصري القديم في مجال الفنون في العصور السابقة على عصر هاتين الأسرتين ، في النحت والنقش والرسم والعمارة ، وليس أدل على تطوره في مجال العمارة من تلك المقابر التي عثر عليها في أبيدوس وسقارة وحلوان . ففي مقابر حلوان التي تخص بعض كبار الشخصيات كانت حجرة الدفن مشيدة من كتل كبيرة من الأحجار الجيرية . أما الجزء العلوي فكان من الطوب اللبن (٢).

وعثر في نخن التي كانت فيما يبدو العاصمة السياسية لملوك الصعيد قبل اتحاد القطرين ، على بعض الآثار للملك العقرب ، منها إنشاء أسطوانتي الشكل ، وعلى سطحه الخارجي يوجد نقش بارز يمثل مجموعة من الصقور ، وضع كل منها على ما يشبه الحامل ، ونقش اسم الملك العقرب تحت اسم هذه الطيور . وقد نفذ كل ذلك بدقة متناهية ، دليل خبرة الفنان المصري . كما عثر للملك نعرمر - منى على صلاية في معبد نخن ، صور عليها الملك بالنقش البارز وهو متوج بتاج الوجه القبلي ، ويقوم بتأديب أسير راكم بمقعدة القتال ، وتعتبر نقوش الوجه الآخر للصلاية مكملة لنصر نعرمر - منى ، فصورته متوجا بتاج الوجه البحري ، ويسبقه إداري كبير متوج بشعر مستعار وهو يحمل لقب ثت (٣).

ولهذا يمكن القول بأن فترة الأسرتين الأولى والثانية ، والتي استمرت نحو خمسة قرون من ٣٢٠٠ إلى ٢٧٨٠ ق. م . تعتبر فترة طويلة إلى حد ما سمحت لكثير من مظاهر الحضارة المصرية أن تتطور وتتقدم ، ومما يؤسف له تنقصنا أغلب المصادر الأثرية والوثائق التي تعوقنا عن تحليل هذا التطور ، فهي الفترة التي تكاملت فيها - إلى حد ما - مظاهر الحضارة المصرية ، وسوف تظهر لنا صورة هذا التكامل واضحة في العصور التالية .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

الباب الثالث

عوامل تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة

أخذت مظاهر الحضارة المصرية القديمة في التطور منذ تحقيق الوحدة السياسية للبلاد على يد أول ملوك الأسرة الأولى . وعلى الرغم من أن هذه الوحدة تعتبر إحدى مظاهر هذه الحضارة ، إلا أن الوحدة السياسية جاءت تثبيتاً لها ، وتوسيعاً لأفاقها ، وعاملاً هاماً لازدهارها . وقد عرف المصريون القدماء قبل قيام الأسرة الأولى مبادئ الحضارة ، كالزراعة والصناعات الصغيرة كالفخار واستخراج المعادن وقطع الأحجار وبناء المساكن وحفر المقابر ومعرفة فن النحت والنقش والرسم . ولكن شعور المصريين القدماء بأنهم في حاجة إلى حياة متطورة منظمة جعلهم أسبق الأمم في البحث عن المقومات الحضارية في بلادهم .

وترجع عوامل تطور ازدهار الحضارة المصرية القديمة إلى صفة الاستمرارية في قيام الإنسان وعناصر البيئة بدورها . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ظلت تؤدي دورها حتى أصبحت من ثوابت ازدهار الحضارة المصرية القديمة وأصبحت من أهم مقوماتها . وأصبحت صفة الاستمرارية هذه هي الطابع الغالب في العوامل الآتية :

- (١) مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل في توفير عامل الاستقرار للحضارة المصرية القديمة كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والازدهار بفضل الدور الفعال الذي قام به السكان الأوائل الذين كيفوا حياتهم طبقاً لطبيعة الظروف البيئية والمناخية التي عاشوا فيها ولا يوجد شبر واحد في ثرى هذه الأرض إلا وامتزج بعرق أولئك الأجداد جيلاً بعد جيل ، كما انهم كيفوا حياتهم طبقاً لطبيعة هذا النهر ، فكان النيل معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم .

(٢) رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال في حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية .

(٣) تبجيل واحترام الحاكم وطاعته والتفانى في خدمته مما أصبح حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار .

(٤) وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، وتحمي الصغير قبل الكبير فكانت هناك تشريعات مصدرها المعبودات مما زاد إقدام الشعب لها وعمل على تطبيقها والالتزام بها ، وتشريعات مصدرها الإنسان أى الملك الذى كان له حق التشريع وبيان أوامره كانت لها قوة القانون ، ولكنه كان أول الناس التزاما بها .
(٥) توافر عوامل الأمن والأمان بفضل اتباع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج .

(٦) تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم وبروز قدراته فى أكثر من مجال حضارى .

(٧) احترام العمل وثنويان ذاتية الفرد فى الجماعة وأصبح العمل قيمة فى حياة الإنسان المصرى القديم ، قيمة يمجدها الحكام أنفسهم وتحت عليها الحكم والتعاليم فكانوا خاضعين لنظام من الحكم يقوم على " التكافل الاجتماعى للجميع " والإيمان الشديد بحق كل إنسان فى المأكل والمأوى والأمن ، مادام يؤدي واجبه كفرد فى جماعة مترابطة محكمة التنظيم لا تخضع للسخرية أو لحكم جائر كما يعتقد البعض ، ولم تكن المكافأة المادية تمثل قيمة كبيرة له ، فقد كانت المكافأة الحقيقية هى إحساسه بإجادة العمل والتفانى فى إنجازهِ ارضاء لمعبوده وملكه .

(٨) ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم فظهر الإتقان وتحققت أعظم المنجزات والمعجزات .

(٩) قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين جميع أفرادهِ روابط وعادات وتقاليده راسخة وعميقة .

(١٠) التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التى كانت ثابتة الأركان فى حياة المصريين القدماء فى كل عصر .

(١١) المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سواء أكان تراثا فكريا أو علميا أو ماديا .

(١٢) ثبات هذه المقومات أمام المحن ولم تتغير أو تفقد أصالتها لأنها كانت تعبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد ذاتهم المصرية الأصلية .

فكما قامت العمارة المصرية القديمة بأهرامها الضخمة الشاهقة ومعابدها المتناسقة الجميلة على أسامات راسخة فى الأرض ، قامت حضارتها القديمة وازدهرت بفضل هذه العوامل مجتمعة فأصبحت كالركائز الثابتة التى تمتد جذورها فى الأعماق ولهذا لم تتأثر بطول الزمن وعواصف الأزمان ورياح التغير . لأن كثير من مقومات الحضارة المصرية كان قائما منذ آلاف السنين فى مصر ولم تمت خبرة كل جيل بانتهاه ولم يخبوا نشاطه لأن كل جيل كان يسلم شعلة الحضارة لغيره حتى أوصلوها إلى ما وصلت إليه .

أولا - مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل فى توفير عامل الاستقرار للحضارة المصرية ، كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والازدهار بفضل الدور الفعال الذى قام به السكان الأوائل الذين كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة الظروف البيئية والمناخية التى عاشوا فيها ولا يوجد شبر واحد فى ثرى هذه الأرض إلا وأمتزج بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل ، كما أنهم كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة هذا النهر ، فكان النيل معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم^(١) فهو الذى علمهم معنى الترابط الاجتماعى ومعنى الوحدة السياسية وأن لا بد لهم من حكومة ونظام للإدارة والأمن يسهران على الاستفادة من مياه النيل وتوزيع مياهه بين الناس بالعدل والقسطاس ومواجهة أخطار ارتفاع مياه الفيضان ، وعلمهم أهمية الزراعة وأهمية الارتباط بالأرض والانتظام فى مراقبة النهر وأحواله . فمن أجل الزراعة تعلم المصريون القدماء تقسيم السنة إلى فصول تبدأ بقدوم فيضانه ، وعلمهم قياس الأرض وتقسيمها وشق القنوات

(١) مختار السويفى : مصر والنيل (فى أربعة كتب عالمية) ، الدار المصرية

والمصارف^(١)، وعلمهم تسجيل ارتفاع منسوب المياه وإقامة الجسور وبناء السدود ، وعلمهم اختراع وسائل الزراعة والرى لرفع مياهه لرى الأراضى البعيدة عن مجرى النيل ومجرى الترعى ، وعلمهم التقدم فى صناعة المراكب الشراعية لنقل الإنسان والبضائع فكان لهم بمثابة طريق المواصلات الطبيعية السهلة ، ومن طميه المجفف شيدوا بيوتهم وقراهم على روابى عالية فى الريف ، وعن طريق النيل نقلوا الكتل الحجرية الصلبة من أماكن المحاجر على الضفة الشرقية ومن أسوان ليثسيدوا عمائرهم الضخمة ، ومن نبات البردى الذى كان ينمو على ضفافه وفى مستنقعاته صنع المصريون القدماء الورق الذى سجلوا عليه كل معارفهم وعلومهم وآدابهم ومعتقداتهم بعد أن توصلوا إلى معرفة الكتابة واللغة ، وفى مواجهة فيضانه الزائد علمهم كيفية مواجهة المحن والأخطار فى حياتهم وبناء السدود والخزانات مثل ما كان فى منخفض الفيوم .

ولهذا كان النيل محل تقديس لدى المصريين القدماء ، ومنحوه صفة القداسة وسموه " حعبى " ويتخذ المعبود حعبى صورة رجل ذو جسم ممثلى له بطن كبيرة وثديان كبيران تتبثق المياه من حلمتيهما رمزا للخصوبة والعطاء لأرض مصر الطيبة وللناس فيأتى النيل بالمياه التى تروى ظمأ الأرض وظمأ الناس ، وبالطمى الذى يخصب الأرض ويمنحهما المزيد من القوة والقدرة على العطاء لنشر الخير الوفير وإسعاد الناس فى ربوع الوادى ، وفى هذا تجلت صفة " العطاء " التى أسبغها النيل على طبيعة المصريين القدماء . كما تعلموا من نيلهم معنى الوفاء ن فكان ذلك من أعظم الدروس المستفادة من معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم .^(٢)

(١) هناك بردية فى ليل بفرنسا من العصر البطلمى تعطينا صورة تخطيط الأرض لشق القنوات والمصارف فى إحدى ضياع الفيوم ، راجع : د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٦ حاشية (١٩) .

(٢) وفى هذا قال الشيخ صدر الدين بن عبد الحق :
 " لا تعجبوا من أهل مصر وإن وفوا
 وفى لهم فى كل عام نيلهم
 راجع : ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب المقدمة لها
 محمد مصطفى ، الجزء الأول ، القسم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ص ٥١ .

وتحدثنا فى البابين الأول والثانى عن أهمية هذا العامل وأثره بشكل واضح وفعال على طابع الاستقرار والعمران بالنسبة للإنسان المصرى القديم وأدى ذلك إلى ارتباطه بأرضه وعدم التفكير فى الهجرة منها . كما استطاع بفضل موارد البيئة وسواعده القوية ان يحقق لنفسه نوع من الأمن الغذائى ومصدر دائم ومستمر للغذاء ويفضل ذلك حق الكثير فى حياته الاقتصادية . وعندما ضمن مصدر غذائه انطلق إلى البناء الحضارى لى يحافظ على تدفق واستمرارية عطاء هذا المصدر ومن هنا برزت شخصيته القومية . فقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك والترابط بين الأفراد وزيادة عوامل الاستقرار المعيشى بينهم للاستفادة من محاصيل أراضيهم واستغلال الفائض منها على المعيشة فى غير فصول الإنبات وفى مواسم الجفاف . وحتى فى أوقات الجفاف والقحط نتيجة لانخفاض مستوى مياه النيل وعدم فيضانه . نجد انه لم يترك أرضه ووطنه ويهاجر إلى البلاد المجاورة أو يحاول ان يقوم بغزو أو حملة حربية للاستيلاء على أراضى وخيرات الآخرين ، لأنه كان يعرف أن مثل هذه الكوارث هى كوارث عرضية ، على الرغم من ان بعض هذه الكوارث كان يمتد أحيانا إلى عدة سنوات . وكما ذكرنا فى الباب الأول نجد انهم كانوا يستخدمون بصفة دائمة فى صيغ الدعوات والتمنيات كلمة " جد " بمعنى " استقرار أو ثبات أو دوام " على هذه الأرض الطيبة أثناء حياة الإنسان أو على أرض عالم الآخرة بعد وفاته .

ثانيا - رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال فى حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية فقد قامت الحضارة المصرية على عقائد دينية وعقائد فى البعث والخلود استوحاها الإنسان المصرى القديم من بيئته مما أصبح حياته بطابع الطمأنينة والهدوء بعيدا عن مظاهر التعصب الدينى الذى لم تعرفه الحضارة المصرية . ويمكن القول بأن الديانة هى السمة الواضحة فى شتى مراحل تطور الفكر المصرى القديم ، لأن هؤلاء المصريين القدماء الذين عاشوا على ضفاف النيل منذ آلاف السنين كانوا يؤمنون بأن هناك قوى خفيه هى التى خلقت السماء والأرض والإنسان والحيوان والطير والنبات والماء والهواء ، كما كانوا يعتقدون بان الحياة على الأرض ليست إلا تمهيدا أو مرحلة انتقال إلى حياة أطول وأسعد فى عالم الآخرة . وكان كل

سكان مصر القديمة متشابهين فيما يتعلق بأفكارهم الدينية عن الحياة الدنيا والآخرة ، حتى الملوك أنفسهم .

اعتقد المصريون القدماء أنفسهم في ارتباط الحضارة بالديانة ، وتتمثل الديانة هنا في أسطورة اوزير ، التي ترجع في أصولها إلى عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات ، والتي هي واحدة من اعظم الأساطير التي خلقها أهل الفكر في الديانة في مصر القديمة ، فاوزير يرمز إلى الحضارة " الذي ما كاد يجلس على عرش مصر حتى حرر الناس من الحياة البدائية وعلمهم الزراعة وشرع لهم القوانين وحثهم على التقوى واحترام المعبودات ، ومن ثم جاس أرجاء البلاد لينشر الحضارة بين الناس أجمعين " (١).

انه هو " الذي يرسي ماعت (العدالة) في أرجاء القطرين (الوجه القبلى والوجه البحرى) والذي يضع الابن على كرسى أبيه ، الذي لا يكف عن تقديم الحمد لأبيه جب (الأرض) والذي لا يكف عن حب أمه نوت (السماء) " (٢).

كما اعتبر اوزير معبودا للزراع يموت أثناء فصل الجفاف ، ولكن ايزيس زوجته تعيد الحياة إليه ، ومن جديد ، تعد الأرض لكى يخرج النبات فيحيا ويأتى بالثمار ، على شريطة أن يسود القطر النظام (٣) . والنظام هو مظهر من مظاهر الحضارة أيضا .

ولهذا كانت الديانة هي الرائد للحضارة المصرية القديمة في كل العصور

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٢٩ ؛ د. بيومى مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٢٨٦ .

(٢) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) سلسلة الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

وتغلغلت الديانة فى كل كبيرة وصغيرة حتى أصبحت الحافظ الأكبر والموجه الأول لكل شئ فى حياة الإنسان المصرى القديم . فكانت الديانة المؤثر فى اتجاهاته الفكرية والثقافية وفى سلوكياته وفى علومه وآدابه ومبادئ فنونه (١) . وهذا ما يمثل عامل القوة فى الحضارة المصرية ، وهذا العامل هو الذى دفع الإنسان المصرى إلى اتخاذ خطوات رائدة فى وضع أسس البناء الحضارى ، وبفضل الديانة حقق المصرى القديم الكثير من المعجزات والمنجزات فأقام العمائر الضخمة بواعز من العقيدة والمعتقد . فما من اضطهاد مهما اشتدت وطأته بقادر على ان يولد ذلك الحماس وتلك الطاقة ، ولا يخفى علينا الآن ما للأديان من آثار عميقة فى قيام الحضارات وما تمثله من قوة دافعة للشعوب لى يحقق المعجزات . وبفضل الديانة كان المصرى القديم وفيما لماضيه ومؤمنا بحاضره ولديه الأمل القوى فى الخلود والبعث بعد الموت .

كانت البيئة المصرية بما فيها من مظاهر وعناصر وكائنات ونباتات وحيوانات هو الذى دفعهم إلى الاعتقاد فى عقائد الدنيا .

فقد ترتب على انضمام بعض القرى إلى بعض أن نشأ عدد من الأقاليم ذات الحدود الاعتبارية والحدود الطبيعية ، وأصبح لكل إقليم عاصمته ومعبوده ورمزه ، ذا صلة بخصائص الإقليم أو ذا صلة بالمهنة الغالبة فى الإقليم أو ذا صلة بالصفات التى يعتقدها أهل الإقليم فى المعبود نفسه ، أو ان اختيار هذا الرمز يرجع فى الأصل إلى ان هذا الحيوان أو الطائر هو الكائن الغالب والمنتشر فى المنطقة أو ذو تأثير كبير فى حياة السكان وحمايتهم من ضرر ما .

ولم يكن اختيار المصريين القدماء لنوع من الحيوانات كرمز دينى مجرد صدفة بل كان من اختصاص الكهنة ، الذين كانوا يستمدون هذا الرمز من بيناتهم المحلية . فمثلا اتخذت البقرة كرمز مقدس فى المناطق التى تكثر فيها المراعى ومناطق العشب فى أماكن بعيدة ، والتمساح فى المناطق التى تكثر فيها الجزر أو

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ،

البحيرات ، فعبد في منطقة دندرة ، عند ثنية قنا ، حيث ينحني النيل ويتخلف عن انحنائه عدة جزر ، كما عبد في منطقة وادي كوم أمبو ، وفي الفيوم حيث توجد بحيرة ميرس (مر-ور) التي كانت أكبر حجما واتساعا منذ أقدم العصور ولكنها انكمشت بمرور الوقت إلى بحيرة قارون الحالية ، وما كان يتصل بها من بحيرات صغيرة تتأثر بها الجزر التي تأوى إليها التماسيح .

كم عبد الصقر في مناطق النقاء الوديان أو الطرق الصحراوية بوادي النيل ، فضلا عن المناطق التي تتاخم الصحراء والتي تقع في أقصى شرق الدلتا أو غربها ، كما عبد ابن آوى في تلال أسيوط شبه الجبلية وفي أقاليم مصر الوسطى ، وعبد الوعل في منطقة بني حسن حيث يكثر فيها نظرا للطبيعة الجبلية الزراعية للمنطقة ، وعبدت القطه في بوباست في شرق الدلتا حيث المناطق الشاسعة ولهذا كثر وجودها هناك .

كما عبدت الثعابين والأفاعي في مناطق التلال القريبة من الوادي ، حيث يكثر وجودها هناك ، وغير ذلك من حيوانات وطيور وزواحف . ورأوا في كل حيوان صفة خيره لنفعهم ، فرأوا في حيوية الكباش رمزا للإخصاب ، ورمزوا بقوة الثور إلى قوة البأس والإخصاب أيضا ، ورمزوا بنفع البقرة ووداعتها إلى الأمومة والحنان والعطاء ، ورمزوا بقوة السباع واللبؤات إلى القوة والعنف ، ورمزوا بفراشة البقرد واتزان طائر أي منجل إلى الحكمة والعلم و المعرفة ، ورمزوا بالحيات والضفادع إلى الأزلية والأبدية .

ونلاحظ ان المصريين القدماء لم يقدموا الحيوان لذاته ، وإنما كان اهتمامهم بما تخبروه من حيوان أو طير يرجع رغبتين :

(١) رغبة الرمز إلى صفات معبود خفي هو الذي خلق هذا الحيوان أو هذا الكائن ووضع فيه كل الصفات الخيرة أو الشريرة ، الخيرة للاستفادة منها والشريرة لتجنبها .

(٢) رغبة منهم في التقرب إلى هذا المعبود المبهم والمجهول الشكل بالنسبة لهم عن طريق الرعاية التي يقدمونها إلى رمزه هذا .

ولم يكن اختيار المصريين لرمز أو نوع من الحيوانات أو الطيور يؤدي إلى تقديس كل أنواع الحيوان وسلالاته والطيور وأنواعها ، ولم يكن من بأس على الإقليم وأهله وأن يتعبدوا إلى البقرة مثلا ، وأن تستخدم هذه البقرة في الأعمال الزراعية ، ويمكن لهم ذبحها إذا احتاج الأمر . ولكن مسئولية اختيار حيوان معين من هذه السلالة أو ينوب عن حيوانات السلالة كلها ، له صفة معينة ، تقع على كاهل الكهنة ، الذين يحتفظون به في ملحق خارج المعبد كآية حية ومشهودة أو ملموسة للمعبود حتى ينفق بمفرده لكبر سنه أو لمرضه .

ولم يقدر المصريون المعبود ذا الرمز الحيوانى أو رمز طائر باسم الحيوان أو الطائر المادى المتعارف عليه ، فهم لم يقدموا البقرة باسمها " آهت " وإنما باسم " حتحور " ، ولم يقدموا التمساح باسمه " مسح " ولكن باسم " سبك " ولم يقدموا الكبش باسمه الحيوانى " با " ولكن بالاسمين المقدسين " خنوم وآمون " ، ولم يقدموا الصقر باسمه " بيك " ولكن باسم " حور " . وبعض الأسماء تشرح صفات هذه المعبودات كما هي في البيئة ، فاسم حور للصقر يعنى العالى أو البعيد في عالم السماء ، واسم سخمت للبوّة يعنى القوة والقدرة والبطش ، واسم آمون للكبش يعنى الخفى أى أن جسم الحيوان خفى تحت فروته التى تغطى جسمه ، واسم خنوم للكبش أيضا يعنى الذى يجمع قطعيه ، وغيره من الأسماء .

وإلى جانب هذه المعبودات المحلية المعروفة في كل إقليم ، كانت هناك مجموعة أخرى من المعبودات الكبرى مثل معبود الشمس رع ، ومعبودة السماء نوت ، ومعبود الأرض جب ، ومعبود الفضاء شو ، ومعبود القمر خونسو . ثم هناك مجموعة ثالثة من المعبودات التى كانت شائعة في مصر القديمة ولها سمات جغرافية وتربط بالزراعة والحياة العامة ، وانضمت إلى هذه المعبودات بعض المعبودات الأجنبية . وصنعوا لهذه المعبودات تماثيل تتخذ جسم بشرى ورأس حيوان أو طائر ، وذكر بلوتارخ في هذا الصدد نقلا عن محدثيه من المصريين :

" المسألة ليست أننا نكرم هذه الأشياء (أى التماثيل نفسها) بل أننا نكرم عن طريقها الألوهية ما دامت هي بطبيعتها أشد المرايا صفاء لإظهار الألوهية لذلك

يجب علينا ان نعتبر هذه الأشياء بمثابة أداة (فى يد) المعبود الذى ينظم كل شئ * (١).

بالإضافة إلى ذلك حاول الكهنة ، مع تطور الأساطير والفكر الدينى تفسير أسرار الكون والوجود والخلقة ونشأة الأرض وبدء الحياة عليها ، وذلك بطريقة أكثر تعقيدا وبفكر فلسفى ، فنشأت فى بداية الأمر فكرة المذاهب الدينية فى أقدم المدن المقدسة : مذهب التاسوع المقدس فى ايونو ، ومذهب الثامون فى خمنو ، مذهب الخلق عن طريق القلب واللسان أى الفكر والكلمة فى منف ، فكانت منف أكثر المدارس الدينية عمقا وأكثرها فلسفة . وكان هناك مذاهب أو نظريات دينية أخرى ، مثل المذهب الذى عثرنا على نصوصه فى الفقرتين ٤٠٧ - ٤٠٨ من متون التوابيت (التى عثر عليها فى البرشا ومير وأسيوط) والتى تعبر عن فكرة الخلق طبقا لسبع مراحل أو سبع كلمات من محت ورت (الموج العظيم أو المد العظيم) . (٢) وهناك بعض المدن الأخرى التى اعتنقت هذه المذاهب مثل طيبة التى تبنت فكرة التاسوع المقدس ولكنها زادتته وشكلته بطريقة تختلف اختلافا كبيرا عن ايونو .

ومن هنا برز دور المعابد والمقاصير فى الحياة الدينية فى مصر القديمة ، فكان كل معبد يحتوى على رمز أو تمثال المعبود الذى يوضع فى قدس الأقداس ، وكان يلحق بهذه المعابد مجموعة كبيرة من الكهنة ، وعلى رأسهم الكاهن الأول الذى كان عليه أداء الطقوس والشعائر الدينية المختلفة هو ومن معه من كهنة مساعدين . وكان يلحق بهذه المعابد مجموعة كبيرة من العلماء والخبراء والإداريين والمتخصصين فى كافة المجالات .

وكانت أغلب المعتقدات تتفق مع بعضها البعض فيما عدا فى العصور

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٠٨ .

R. el Sayed , RdE 26 (1974) , p. 70 - 82 .

(٢)

القديمة ، وكان من النادر أن نجد صراعا دينيا ، بل قامت الديانة المصرية على حرية العبادة ، وهذا ما اعطى قوة دفع للحضارة المصرية ، وكنا نجد فى الإقليم الواحد أكثر من معبود يتعبد إليه الناس ، وأحيانا أيضا نجد كاهن المعبود المحلى يقوم بخدمة أكثر من معبود .

وبروح التسامح هذه ، التى لم تعرفها أغلب الحضارات القديمة ، خلدت أسماء الكثير من المعبودات التى كانت تقام لها أعياد دينية يشترك فيها جميع الناس . فمثلا فى معبد الكرنك نجد انه كان يحيط بمعبد آمون هياكل لأكثر من عشرة معبودات . كما كان يحتفى بأعياد البعث أوزير فى شهر كهياك فى أربع عشرة أو ست عشرة مدينة ، وكانت أعياد البعث هذه تتم فى ورع شديد كما جاء فى نصوص معبد دنكرة .^(١)

انعكس كل ذلك على حياة المصرى القديم فاصطبغت حياته من يوم مولده إلى يوم وفاته بصبغة دينية عميقة . فاهتم المصريون القدماء بعملية الولادة التى كانوا يعتقدون أنه تباركها معبودة للحمل والولادة وتقوم بها قابلات متخصصات فى المنازل وكذلك فى هياكل الميلاد المقدس حيث كان يحتفل بالميلاد المقدس للملك ، كما كانت توجد معبودات مألوفة ، حاميات للميلاد وحاميات للنساء اللاتى يضعن مولودهن .

فكانت المعبودة تاورت " العظيمة " التى تمثل على شكل انثى فرس النهر هى التى تحمى الحاملات^(٢) . ومسختت التى كانت تمثل فى شخصيتها مقعد القرميد الذى كانت تستريح عليه الأم للوضع . وكانت أشكال هذه المعبودات تتحتف فوق

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) صورت على هيئة انثى فرس النهر منتصبه على قدميها الخلفيتين ومرتكزة بإحدى قدميها الأماميتين على علامة سا الهيروغليفية التى تعنى الحماية وقد تدلت أطراف بطنها الضخمة وتديها الكبيرين ، وهى ترمز إلى الخصب البشرى وتحمى الحوامل من الولادة المتعسرة .

الكراسى ذات المساند التى كانت تعد للجلوس عليها أو على أخشاب الأسرة . وكانت هناك تمائم وفيرة العدد بأشكال هذه المعبودات تحملها النساء اللاتى على وشك الوضع . وهناك أيضا المعبود بس الذى اعتبره المصريون حاميا للمرأة التى وضعت وليدها فيبعد عنها العين الشريرة والحسد . وكانوا شغوفين أيضا بمعرفة طالع المولود . كانوا يعتمدون فى ذلك على مجموعة من سبع معبودات معروفة باسم ' السبع حتحورات ' لمعرفة ما قدر للمولود الجديد من سعادة أو شقاء على هذه الأرض . وكانوا يعتقدون أيضا فيما جاء بتقويم أيام التفاؤل وأيام التشاؤم لمعرفة طالع الطفل الذى سيولد فى يوم معين .

وكانت تسمية المولود أمرا ضروريا وهى أسماء قصيرة جدا فى بعض الأحيان . وكان معظم الآباء يؤثرون أن يضعوا أبنائهم تحت رعاية إحدى المعبودات . وقد يدل معنى الاسم على رضى المعبود وحمايته للطفل . مثل بتاح حتب الذى يعنى ' المعبود بتاح راضى ' امنحتب الذى يعنى ' المعبود آمون راضى ' حم رع ' خادم رع ' نيت خدب إرت بنت ' المعبودة نيت تقضى على العين الشريرة ' خنوم خواف وى الذى اختصر إلى خوفو ويعنى ' المعبود خنوم يحمينى ' .

وكان البيت هو المدرسة التى يستقى فيها الطفل معارفه الأولى عن الحياة الإنسانية ، وكان الآباء حريصين على تربية أولادهم التربية الدينية الضرورية . ويذكر سترابون بدهشة تقليدا خاصا كان يتمسك به المصريون القدماء كثيرا وهو الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال . وكان الآباء حريصين كذلك على تعليم أبنائهم من الصغر ما عسى أن ينفعهم فى حياتهم المستقبلية وما يجوز وما لا يجوز وما هو حسن وضار فى نظر المعبودات .

وعندما يكبر النشئ ويصبح ناضجا ومستولا عن تصرفاته يجب أن يتبع ويراعى تشريعات المعبود ويخضع لإرادة المعبود وعليه أن يتحلى بالاستقامة ويرتاد المعابد ويدعو بقلب محب خاشع . وفى هذا الصدد لدينا مجموعة من النصوص الأدبية ، مما يسمى بأدب التعاليم والحكم فيقول بتاح حتب من الأسرة الخامسة لابنه :

" أن ما أراده المعبود يتحقق ، فإذا عازمت ان تحيا بالقناعة اتاك ما قدره لك ... والرزق وفق إرادة المعبود ، والجهول هو من يتعرض على إرادته " .^(١)

ويقول " حرخوف " أحد حكام مدينة أسوان فى الدولة القديمة فى نقوش مقبرته بأسوان :

" لقد أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى وعبرت النهر بالذى لا قارب له وكنت أقول الكلمات الطيبة ولم اكرر إلا ما هو مقبول ... لأننى كنت أرغب فى ان أجد القبول لدى المعبود الأكبر " .^(٢)

ومن اجمل ما قيل ما رواه أحد أحفاد الملك خيتى (الأول) من العصر الامناسى :

" أن المعبود نفسه ينتقم ممن يعادى معبده " .^(٣) . ومما قاله " خيتى الثالث (أو الرابع) " لابنه " مريكارع " نقرأ :

" أن طباع رجل قويم السريه اكثر قبولا عند المعبود من ثور (يقدمه إليه) رجل اعتاد الشرور . واعمل لربك يعمل لك بالمثل " .

وما اصدق عبارته التى يشير فيها إلى أن المعبود يوقع عقابه على بعض الناس لمعرفته بما فى قلوبهم :

" أنه (أى معبود) يقضى على من يملأ الشر قلبه بينهم ... لأن المعبود يعرف كل إنسان " .^(٤)

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٢ .

(٢) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٢ ، ٣٢١ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ١٧٥ .

ومن عصر الدولة الحديثة يقول " رخمى رع " وزير الملك تحوتمس الثالث
 " لقد كنت صادق القول أمام المعبود " (١) . ويقول بكى من عهد أمنحتب الثالث :

" انه وضع المعبود فى قلبه وأحيط علما بقدرته " ويقول إخناتون لمعبوده :
 " انك تستقر على الدوام فى قلبى ، لا يوجد أحد آخر يعرفك سوى ابنك ...
 لأنك أحطته علما بتدابيرك وقوتك " (٢) .

وسجلت نصوص سيتى حديثا لطيفا خاطب به المعبودات قائلا لهم :
 " إنما أنا (خادم) خدوم طيب متيقظ لما تشاؤون ، مروا ولسوف يلبى
 أمركم فأنت السادة ، وأنا أبذل حياتى فى سبيل الإخلاص لكم (واتباع) سبيل
 الحسنى معكم " .

ووصف سبيلهم هذا بقوله :

" إن من راعى كلمة المعبود سعد ولن تقشل مشاريعه " (٣) .

وأخيرا يقول أنى من الأسرة الحادية والعشرين :

" إن اسوأ ما يحدث فى بيت المعبود (أى المعبد) هو أحداث ضجة ، أدع
 بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك ، يستجيب المعبود لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبل
 قربانك " (٤) .

وأخيرا يقول امنوبت من بداية الأسرة الثانية والعشرين :

" كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالإنسان فى مأمن فى يد المعبود .
 والمعبود يمقت من يزور فى الكلام ، وكبر مقتا عند التفاق " (٥) .

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ .

(٥) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

ونجد فى بعض نصوص التراجم الشخصية من العصر المتأخر أن الشخص يذكر أنه :

" سار على طريق المعبود " (وات - نثر) ^(١) أى طبقا لما يرضاه وما أمره به ، وعندما يصبح شابا ويأمل فى الزواج عليه أن يختار الزوجة الصالحة ويقول عنخ شامتنقى من القرن الأول ق.م ^(٢) . فى نصائحه لأبنه :

" من أفضل النعم زوجة حكيمة " ، ومن المعروف أن الحكمة من الهبات التى تمنحها المعبودات للإنسان وكان للمعبود رع أربعة عشر " كا " من بينها " كا - الحكمة " .

وعندما يصبح الإنسان أبا ، فإن وصاياه الدينية التى تعلمها هو فى الصغر يحاول أن يغررسها فى نفوس أولاده ، وفى هذا الصدد يقول بتاح حتب من الأسرة الخامسة لأبنه :

" إذا كنت رجلا ناضجا واصبح لك ولدا تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك شئ يسر له المعبود ، وإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ، وإذا هو نظم من شئونك ورعاها ، فأعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك وقطعة من نفسك وروحك ولا تجعل قلبك يجافيه " ^(٣) .

وفى النهاية عندما يصل الإنسان إلى عتبة الموت ، يصبح فى قلب التصورات الدينية ويطمع فى الخلود وعندما يحل الموت يجب على الإنسان أن يكون مستعدا له ، ويقول بتاح حتب فى هذا الصدد :

" عندما يأتى الموت فإنه يصيب الطفل الرضيع المتعلق بثدى أمه ويصيب

(١) عن الصراط السوى " Courayer, le Chemin de vie en Égypte, dans Extrait de la Revue Biblique 56 (1949), p. 417; Otto, Gott und Mensch., (1964), p. 43 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٣) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

أيضا ذلك الذى أصبح هرما ، وعندما يأتى هذا الرسول (الموت) ليأخذك ، فيجب أن يجده على استعداد له " (١).

وكان المصريون القدماء أول أمة آمنت بالبعث والخلود من تلقاء نفسها وأصرت عليهما (٢) . وقد رتب المصري القديم هدفه فى الوصول إلى عالم الخلود على العمل والعقيدة والمنطق والأمل فى أن واحد .

وكما كانت بعض مظاهر وكائنات البيئة المصرية هى العامل الرئيسى التى جعلتهم يعتقدون فى عقائد الدنيا . فإن هناك أيضا مجموعة من المسببات أو الظواهر الطبيعية فى البيئة هى التى جعلتهم يعتقدون فى البعث والخلود .

(١) : أنهم اعتادوا دفن موتاهم منذ فجر التاريخ فى الحواف الصحراوية وشيئا فشيئا أدركوا أن هذه الحواف الصحراوية تحفظ جثث موتاهم بحالة لا بأس بها . وأن جفاف رمال الصحراء لها دور فى امتصاص رطوبة الجسد ، وفى المحافظة على الكثير من ملامح الجثث نتيجة لهذا الجفاف المطلق فيها . ولا شك فى أنهم دهشوا لحالة الحفظ التى كانوا يجدون عليها جثث أجدادهم وآبائهم ، فاعتقدوا أن الموت ليس إلا صورة من صور الحياة فى عالم الآخرة ، يفقد فيها الإنسان مقومات الحركة وحدها (٣) مما أوحى لهم بأنهم يمكنهم الاحتفاظ بجثث موتاهم بحالة جيدة فترة طويلة .

(٢) : أن فيضان النيل يتجدد كل عام ، فيخصب الأرض ، وينبت النبات ، وتتجدد الدورة الزراعية .

(٣) : لاحظوا أن الشمس فى دورتها اليومية ، تشرق فى الصباح وتغرب فى

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٣٩ .

المساء أى أن هذه الظاهرة فيها تجدد دائم وأن الموت تعقبه الحياة كما أن البعث سوف يعقب هذه الحياة الدنيا .

وليس أدل على إيمانهم القوى فى عالم الآخرة والبعث من اختراعهم للتحنيط . حتى انه لدينا مومياوات احتفظ أصحابهم بجلودهم وشعورهم وأصابعهم بأظافرهم ، على الرغم من مرور ما بين ثلاثة آلاف وثلاثة آلاف وخمسمائة عام عليها . وقد استهدف المصريون من التحنيط هو الإبقاء على الجسم سليماً واضح الملامح بقدر الإمكان ، ضماناً لبعث صاحبها وحتى تتعرف عليه الروح . فكان أمتع ما سجله أصحاب الفكر الدينى فى هذا الصدد وعن رأيهم فى مصير الإنسان بعد الموت بان " الجسد للأرض - والروح للسماء " (١).

ولم يكن لهذا التحنيط من أثر ، إلا بفضل ما يتلى على المومياء من طقوس دينية بعد الوفاة ، وعند التطهر والنظافة ، وعند الدفن ، وعند تقديم القرابين . وهنا برز دور المقبرة لحفظ المومياء فيها بعد تحنيطها كما زودوا هذه المقابر بأنواع المتاع الجنائزى . وصوروا على الجدران الداخلية فى الجزء العلوى من المقبرة ، كل ما كان يقوم به المتوفى فى حياته الدنيا من أنشطة وكل ما كان يستمتع به واعتقدوا بان هذه المناظر وما يصاحبها من نصوص يمكن ان تتحول إلى حقائق تناسب العالم غير المنظور الذى سوف ينتقل إليه المتوفى ، بفضل ما يتلى عليها من طقوس دينية .

أما عن تصوراتهم عن عالم الآخرة ، فأوضح بما نستشهد به ما جاء فى نقش هام فى مقبرة أحد القضاة الذين عاشوا فى عهد الملك نى - اوسررع - أتى من الأسرة الخامسة ، وهو يبين أن الروح خالدة وأن الإنسان سوف يحاكم أمام المعبود الأكبر وينبىه إلى أهمية احترام المقبرة باعتبار أنها دار الآخرة ويجب عدم الاعتداء على حرمتها ويقول فى هذا الصدد :

" وإذا جعل أى إنسان من هذا المكان مقبرته الخاصة أو سبب فيها بعض

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

التلف ، فإنه سوف يحاكم ويقدم إلى العدالة أمام المعبود الأكبر ، لقد قمت بعمل هذه المقبرة لكي تصبح كماوى لى " . (١)

يدل هذا النص على أن الإنسان سوف يحاكم أمام المعبود الأكبر أى أوزير . وما جاء فى وصايا خيتى الثالث (أو الرابع) لولى عهده مريكارع وهو يوصيه بالتمسك بعقيدته وما يؤدى إلى السعادة فى الآخرة قائلا :

" أصلح مكانك فى الآخرة بالاستقامة وأداء العدالة ، فإن قلوب (المعبودات) ترتاح إليهما " . (٢) ويحدثه عن رأيه فى البعث والحساب فيقول :

" أن نكرى الرجل الصالح هى التى تدوم إلى الأبد . ولا تضع ثقك فى عدد السنين لأنه بالنسبة لمعبودات ساحة العدالة (فى الآخرة) فإن الحياة ليست إلا ساعة ، ويعيش الإنسان أيضا حتى بعد أن يصل إلى أبواب الموت ، وتوضع أعماله بجواره كأنها ثروته الوحيدة (من الدنيا) فالوجود فى عالم الآخرة خالداً ، وليس بعقل من لا يكثر بذلك ، وإن من بلغها دون أن يرتكب أثماً سوف يعتبر فيها كأنه معبود ويسير (فيها) كأرباب الخلود " . (٣)

وعبر الكتبة الدنيويون فى الدولة الحديثة باللفظ والصورة عن فكرة الحساب فى الآخرة . ومن أكثر الصور شيوعاً وتأثيراً هو منظر دخول المتوفى الذى بعث قاعة الحساب أى العدالة فى الفصل ١٢٥ من فصول كتاب الموتى ، ويجرى حسابه عادة فى حضور معبود الآخرة أوزير ، ذلك المعبود الذى علم المصريين الحضارة ، وكان أوزير أيضا معبودا للخير . وعلى هذا كان واجبا على الإنسان أن يسير على تعاليمه ويمارس الخير . وعلى ذلك فكان أوزير هو الذى يقوم بحسابه قبل أن يدخله

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٠ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

حياة النعيم ، ويجوار اوزير اثنين وأربعين قاضيا مقدما يمثلون معبودات عواصم الأقاليم ، فيقوم المتوفى بتحية المعبود الكبير وكذلك الاثنين والأربعين معبودا الذين معه . ثم يبدأ بعد ذلك التصل من آثام الدنيا (وعددها أربعة وثلاثين) وما من شأنه إغضاب المعبودات في الحياة الدنيا ، ويبدأ كل عبارة بصيغة النفي " لم أفعل كذا وكذا " وانه " اتبع الصدق (أى العدالة) فى مصر " وينهى حديثه مؤكدا محاسنه وأعماله الطيبة . وعندما ينتهى من حديثه الطويل يعلن طهارته بقوله :

" أنى طاهر ، طاهر ، طاهر ، طاهر " وكان يجب عليه أن يكون مبرنا من كل هذه الآثام والخطايا ويؤكد لأوزير والمعبودات التى معه انه برئ من أى إثم . وكان عليه أن يجتاز بنجاح بعد ذلك عملية وزن القلب .

وفى منظر آخر نرى ميزانا (ميزان رع) وضع فى إحدى كفتيه قلب المتوفى الذى بعث ، فالقلب هو مصدر النية والضمير وكل المشاعر والعواطف ومصدر الصدق . بينما وضع فى الكفة الأخرى ريشة العدالة (ماعت) أو تمثال صغير لها . وهى تعبر عن الحق والعدل والاستقامة والنظام والاستقرار . وكانت ماعت القوة الكونية للانسجام والنظام والاستقرار ، التى نزلت منذ خلق العالم ، ونظمت كل ما تم خلقه من أرض وسماء ومعبودات وبشر وظواهر طبيعية ، وهى أيضا صفة للحكم الصالح والإدارة الصالحة .^(١)

وترمز ريشة العدالة من حيث الصورة إلى دقة الوزن وحسابيته ويقوم بعملية الوزن المعبود انوبيس ، حامى الجبانة ومعبود الموتى والذى اعتبره مصريون الدولة الحديثة ابنا لأوزير^(٢) . ويقوم بتكوين نتيجة الوزن المعبود تحوتى ، معبود الكتابة والحساب ، ويجانب الميزان تجلس المعبودة عمميت أو مفترسة الموتى وهى التى تلتهم القلوب المذنبة ، وهى وحش خرافى مكون من رأس تمساح وصدر أسد

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

ومؤخرة فرس النهر ^(١) . وتبدأ بعد ذلك عملية الوزن فإذا تساوت الكفتان فهذا يعنى أن المتوفى كان صادقاً فى كل ما قاله وأكد عليه ، أما إذا ثقلت كفة القلب فهذا يعنى أنه كان متقلاً بالسيئات ، وهذا يعنى أيضاً أنه كان كاذباً فى كل ما قاله ، وفى هذه الحالة يشهد القلب ضد صاحبه وضد ما قاله كذباً . ^(٢)

وتدل شهادة المتوفى عندما يعرض على محكمة الآخرة على روح دينية قوية تركز على الأخرى على مجموعة من الأسس والمبادئ الأخلاقية .

وكان يقوم على تقييم الحسنات والسيئات معبود الكتابة والحكمة تحوتى فيسطر على لوحة نتيجة الوزن ونتيجة دفاع المتوفى عن نفسه أمام المعبود الأكبر اوزير والمعبودات الأخرى .

وحينئذ يتحدد مصيره ، فإما إلى الجنة ، وهى أرض سوف يعيش الإنسان فيها فى راحة نفسية ، وهى أرض لا تمارس فيها شهوات الجنس ، ولكن سوف يمنح فيها الإنسان نورانية وشفافية عوضاً عن الماء والهواء ومتعة الجنس ، وسوف يوهب فيها طمأنينة القلب عوضاً عن الطعام والشراب وتخيل المصريون القدماء إن الجنة بها الحقول والغدران والبرك ، ويوجد بها مكانان يسمى أحدهما : سحت ايارو " حقل الغاب " فيه النباتات والخضرة والعديد من الخيرات التى لا تتضب ، وترتفع فيها سنابل القمح إلى سبعة أذرع . ويسمى الآخر سحت حتب " حقل الطعوم " ^(٣) (حقل العطاء) فيه الطعام والشراب والنذر .

وإما إلى أرض العذاب ، وهى أرض فقر بدون ماء ولا هواء ، عميقة دفيئة ، مظلمة موحشة لا حد لها ولا نهاية ، بها الكثير من صور الحرمان والفزع وعدم الطمأنينة والقلق وأذى الوحوش والحيات والحشرات والمردة الحمر . وهناك

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٠٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

حفر النار ، وحبائل يخشاها الموتى على الصراط فى العالم الآخر ، وتسمى هذه الحفر باسم " حاد ومنها هاد " (١).

وفى نص للملك سيتى الأول نجد حديثا يخاطب به المعبودات قائلا لهم :

" أنا أبذل حياتى فى سبيل الإخلاص لكم (واتباع) سبيل الحسنى معكم " ووصف سبيلهم هذا بقوله : " إن من راعى كلمة المعبود سعد ولن تفشل مشاريعه " ووعظ خلفاءه فقال : " إن من عطل مصالح غيره لقى جزاءه بالمثل ، والمغتصب سوف يغتصب " . ثم خوف خلفاءه من عذاب الآخرة قائلا :

" سيكون (المردة) حمرا مثل لهب الجحيم ، وسوف يشوون لحم من لا يستمعون إلى قولى " (٢).

وكانوا يؤمنون إيمانا قويا بوجود أرض الخلود هذه ، وأرض الجحيم كذلك وإن الإنسان سوف يحاسب فى الآخرة ، وإن الكل وارد على هذه المحكمة وحساب الآخرة ولن يتخلف عنها أحد على أرض مصر ، ولن يقصر أحد فى بلوغها .

وهكذا نرى أن الروح الدينية كانت تسرى فى ثقافة المصرى القديم وقامت عليها كثير من تصوراته حتى نهاية عصوره التاريخية .

ويذكر امنموبت فى نصائحه ان مظهر الإنسان ليس هو كل شئ ، فتجده يقول : " لا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب " (٣).

ونجد فى " القصة الحقيقية لست نى (خع ام واست) وابنه سا اوزير " من العصر البطلمى (٤)، ما يؤكد استمرار هذه الروح وإيمان المصرى إن عمل الإنسان هو الذى يذكىه فى عالم الآخرة ولا يشفع مال أو غنى ، وتسرد لنا هذه البردية قصة الأب (ست نى) وابنه (سا اوزير) اللذان شاهدا فى يوم ما جنازتين واحدة لرجل

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٤) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 115 – 116 .

غنى والأخرى لرجل فقير . وهنا عبر الأب عن رغبته وأمله فى أن تعد له جنازة مثل جنازة هذا الرجل الغنى لما فيها من فخامة وهيبة ومظاهر مادية . ولكن ولده تمنى لنفسه أن تكون جنازته مثل جنازة الرجل الفقير ، بما فيها من بساطة وصمت . فأنزعج الأب من رد فعل الابن ، وحاول الابن أن يخفف من شدة انزعاج أبيه واقترح عليه أن يذهب معا بفضل التعاويذ السحرية إلى العالم السفلى (الآخر) ليريا بعينهما كيف يعامل كل من الغنى والفقير بعد لحظة الحساب وعندما تواجدا هناك ، وجدا رجل حسن المظهر جميل الھندام سعيد اتضح أنه الرجل الفقير ، وعندما بحثا عن الرجل الغنى وجداه فى جهنم يتعذب وأصابه الأذى ، منظره لا يسر .

ولعل أبلغ ما يدل على رسوخ العقيدة هى تلك الكلمات التى جاءت فى أنشودة إخناتون والمسجلة على جدران مقبرة آى فى تلك العمارنة ، ويتحدث فيها عن قدرة الخالق آتون وأفضاله على البشر :

" ما أكثر أعمالك ، إنك تتوارى أحيانا عن الأنظار، أيها المعبود الأوحده ، فلا وجود بجوارك لآخر سواك ، لقد خلقت الأرض حسب رغبتك ، فى حين كنت بمفردك ، والبشر أيضا والأنعام كلها من ماشية وأغنام وكل ما يمشى على الأرض وكل ما يحلق فيطير بأجنحته .. وتعطى كل إنسان مكانته وترزقه باحتياجاته . هكذا ينل كل إنسان وقته ويقدر له زمن حياته ، ولغات البشر متعددة وأشكالها أيضا ، وألوان بشرتهم مختلفة ، لأنك ميزت الأجانب ... " (١).

وتدور الفكرة حول القوة المنعمة للشمس كقوة طبيعية ، وقد جاهد إخناتون بكل ما فى وسعه ليخلص هذه القوة البشرية ولم تحوى كلماته إلا قليلا مما ورد من قبل فى أناشيد معبود الشمس . مما يشير إلى أن الآتونية لم تكن مجرد نظرية طبيعية ولكنها كانت توحيدا أصيلا ، وأن العظمة الحقيقية لهذا المصلح تكمن فى الشجاعة الغير مألوفة التى أراد بها أن يصرف النظر عن أساطير العقائد الموروثة من قبل ، وأن رؤيته لقدرة آتون كانت لها أبعاد كبيرة والدليل على ذلك أن ما جاء فى المزمور

(١) فرنسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجاتى) المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

١٠٤ كان مثابها كثيرا لهذه الأنشودة ^(١) . مما يدل على أن كلماتها لم تكن قاصرة على القوة المفعمة للشمس بل تعدتها إلى قوة أكبر ألا وهي قدرة الخالق .

ثالثا - تجليل واحترام وتقديس الحاكم وطاعته والتفانى فى خدمته مما اصبح حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار والاستمرار وأبعدهم عن مظاهر العنف والنقمة أو التمرد والقلق وتقلب الأهواء وأدى ذلك إلى تركية إحساسهم المتصل بضرورة الاتصياح لحكم مركزى مستقر . وأدى أيضا إلى ثبات دعائم ونظم الحكم والإدارة والوحدة السياسية فى أغلب العصور التاريخية . ولكن هذه النظرة المقدسة للحاكم لم تمنعه من قيامه بواجباته فى تحقيق العدالة ونشر الأمن والطمأنينة بين الناس والعمل على تحقيق السعادة والرفاهية لهم .

ومجمل هذه الفكرة أنه كان يحكم مصر على الدوام ملوك ، وأن الملوك الأوائل كانوا معبودات حقيقية ، قاموا بتنظيم شئون البلاد ، وعملوا المصريين الأوائل فنون الحضارة ، ووضعوا قواعد ديانتهم ثم ارتفعوا إلى السماء وخلفهم على العرش ملوك من البشر ، غير أن هؤلاء الملوك كانوا بشرًا فى المظهر فحسب ، إذ كانوا فى الحقيقة صورة مجسمة للمعبودات . ولما كان آخر ملوك مصر من المعبودات الحقيقية يدعى حورس ، فإن خلفاءه من الملوك البشر الذين تربعوا بعده على عرش البلاد كانوا يحملون هذا اللقب ، الذى أصبح جزءا لا يتجزأ من ألقاب كافة الملوك ، لأنه كان دليلا على طبيعتهم المقدسة ^(٢) . وأن هذه الطبيعة المقدسة والربانية للمعبود حورس تنزل من الابن إلى الابن .

كانت مصر هى الأمة الأولى فى التاريخ القديم التى أجبرتها ظروفها الطبيعية على إيجاد حكومة مركزية قوية تسيطر على شمالها وجنوبها تحت حكم ملك

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد

المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة

الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤ .

واحد هو سيد البلاد المطلق وملك الوجهين القبلى والبحرى . وأغلب الظن أن تقديس الملك جاء نتيجة الصعوبات التى قابلت أبطال الوحدة بين الجنوب والشمال الذين امضوا وقتا طويلا يحاولون تحقيق الوحدة السياسية للبلاد . فخرج الكهنة بفكرة تقديس الملك ويرفع قدره بين الناس حتى يصل إلى المرتبة التى تعلو بمركزه كبشر حتى ينتمى تارة إلى الجنوب وتارة أخرى إلى الشمال ورأوا فى فكرة تقديس الملك الضمان الوحيد لكسب ولاء حكام الأقاليم وعامة الشعب والضمان أيضا لاستقرار الأوضاع السياسية فى البلاد . ولم تتحقق قدسية الملك إلا على يدى الملك جسر أول ملوك الأسرة الثالثة .^(١)

اعتبر المصريون القدماء ملكهم معبودا مقدسا ، وأطلقوا عليه لفظ نثر أى المقدس ، وأحيانا نفر - نثر المقدس الكامل أو المتكامل أو نثر منخ المقدس الخير . وكانت الشخصية المقدسة التى كان يمتلكها الملك ميتافيزيقية وقانونية فى الوقت نفسه . فكان يتمثل بالمعبود حورس ، معبود الملكية ، وكان يطلق عليه انه ابن المعبود أو المعبوده ، وانه من نسل مقدس وبذرة مقدسة وخلف مقدس . ومن بين ألقابه المقدسة العديدة انه المحبوب من المعبود أو المعبودة . وفى تصورهم ان بعض الملوك كانوا كائنات مقدسة ، وكان الملك أمنحتب الأول من عدادهم ويبدو أن رمسيس الثانى كان كذلك حتى فى أثناء حياته . ولكننا نجهل السبب الذى دعا إلى هذه الترقية فى نظام وظائف الكائنات .

ونعرف القصة التى سطرته الملكة حاتشبوت على جدران معبدها فى الدير البحرى ، ومغزاها إنها ابنة المعبود آمون رع من صلبه وسطرت لنا هذه القصة بتفاصيل ميلادها المقدس أيضا وكتبت بمراحلها المتعددة.^(٢) وتحكى هذه القصة إن أباه قد ارتدى ثوب المعبود آمون رع وأن هذا الأخير تمثل بشرا لأمه موت أم ويا وولد من هذا اللقاء ذكر أطلق عليه اسم أمنحتب .^(٣)

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١١٧ .

(٢) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais , p. 338 (Doc. 314) .

(٣) Id., op. cit., p. 338 - 339 (Doc. 315)
وراجع فيما بعد ، ص ٣١٨ حاشية (٢ - ٤) .

وسجل الملك رمسيس الثانى قصة مماثلة على كتلة من الحجر عثر عليها فى معبد مدينة هابو .^(١) والحق بالمعابد البطلمية معبد صغير سمي " معبد الولادة " الماميزى حيث اعتاد المصريون تمثيل مولد الابن المقدس ورعايته على يد مجموعة من المعبودات .^(٢)

وفى قصة الحلم الذى رآه تحوتمس الرابع وسجله على لوحة بين قدمى أبو الهول رأى فيه المعبود حور آختى يتحدث إليه بفمه لما لو كان أب يتحدث إلى ابنه ويقول : " تأملنى وانظر إلى يا بنى تحوتمس ، قال المعبود ، انى ابوك معبود الشمس (حور ام آخت) سوف أعطيك مملكتى على الأرض ، وسوف تصبح على رأس الأحياء " .

ولهذا احيط الملك بصفات التكريم والاحترام ، وقد تملك بعض هؤلاء الملوك هذا المفهوم الدينى بأنهم مقدسين ، فمنهم من كان يعتقد فى نفسه انه كائن مقدس ، وكان يعتكف عن الناس ويتأمل ويفسر دين جديد ويخرج به على الناس كما فعل إخناتون .

وبهذه الصفة المقدسة كان الملك هو الوسيط الأوحد بين الناس وعالم المعبودات والكاهن الأكبر لجميع المعبودات التى قدمها المصريون القدماء . ولما كان من الصعب على الملك ان يشرف ككاهن أكبر على الخدمة اليومية لكل معبود فى كل معبد ، فقد اضطر أن ينيب عنه فى هذه المسئوليات بشرى عاديين ، يعملون بدلا منه وباسمه . وبلغ من تقديسهم للملك أنهم ذكروا اسم " الملك مجردا " بدون ذكر الاسم فى صيغة القرايين الرسمية بجوار اسم المعبود المحلى . وهى تبدأ دائما بالكلمات الآتية :

" قربان يقدمه الملك للمعبود ... لكى يعطى قربان من الخبز والجعة إلى فلان " . وقد أرادوا بذلك أن يشركوا الملك اشتراكا فعليا فى تقديم قربان للمتوفى .

R. el Sayed, op. cit., p. 339 – 340 (2 – 4) .
Daumas, les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958 , (١)
p. 382 – 425 ; R. el Sayed, op. cit., p. 339 (1) . (٢)

وهذا المتوفى ليس إلا أحد رعايا الملك على هذه الأرض . وتدل هذه الصيغة التى كانت تتلى فى المعابد على الأفضال الملكية الممنوحة للأحياء خلال حياتهم على الأرض ، والممنوحة للموتى فى مقابرهم ، وفى حياتهم فى عالم الآخرة . وهى تدل على أن سلطة الملك كانت سائدة فى كل مكان على أرض مصر .

وصورت لنا متون الأهرام صور بعث الملك وخلوده وتمجيده بصفته مقدسا . وذكر فى متون الأهرام بأن الملك سوف يرقى بعد موته إلى ملكوت السماء حيث يعتلى أحد عروشها ويكتب له الخلود فيها ، ويظهر فيها على هيئة النجم المضى الخالد ، ولم يتركوا وسيلة مادية أو معنوية يمكن أن تساعد على الصعود إلى السماء إلا ذكروها فى متونهم وتمنوها من أجله .^(١)

ولم تكن هذه الشخصية المقدسة تنتزع شيئا من صفة الملك البشرية . فكان على الملك تطبيق ماعت أى العدالة بين الناس وكان عليه ألا ينتهكها لأنه كان عرضة للعقاب والحساب فى الآخرة . فكان عليه أن يقدم بيان عن أعماله للمعبود رع وكان عليه نشر الأمانة والصدق والاستقامة بين الناس . وقد صور اييور من نهاية الأسرة السادسة هذا الحاكم على أنه :

" الراع لشعبه الذى لا تشوبه أية خطيئة ، وعندما تتفرق قطعانه ، عليه أن يهتم بجمع شملها " .^(٢)

ويقول خيتى الثالث (أو الرابع) لابنه مريكارع أن الراع مسئول عن رعيته وأن الناس سواسية أمام خالقهم : " البشر رعايا المعبود ، خلق السماء والأرض بما يشتهون ، وأجرى المياه دافقة (من اجلهم) وأرسل لهم النسمات كى يحيوا بها ، هم أشباه له ، صدروا عن بدنه ... وهو الذى تعهد الحاكم منذ الصغر من

(١) د. عبد العزيز ضالع : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .
 (٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٦٠٦ . ولقب راعى أطلق على عدة ملوك : سيتى الأول (الراعى الصالح أو الطيب mn jw nfr الذى يجعل قواته تعيش) رمسيس الثانى (الراعى الصالح للشعب) رمسيس الخامس (راعى مصر) واوسركون الثالث (الراعى الصالح للشعب) راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale, p. 349 p. 350 n. 1160 – 1161.,

أجلهم ورفعهم (درجات) ليكونوا سند لظهورهم ضعفائهم * (١).

ويقول عدة حكم أخرى تخص كسب حب الجماهير وتطبيق العدالة وأن يلتزم القدوة الحسنة قائلاً له :

" قل الحق في قصرك يخشاك عظماء الأرض ، فاستقامة الخلق اليق بالحاكم * .

" الزم العدل تخلد على الأرض * (٢).

" اكسب إلى جانبك الجماهير وابعد عنها اللهيبي ، فالشعب الغني لا يثور ، فلا تفقره حتى لا تدفعه إلى الثورة لأن الفقير هو الذي يخلق المتاعب ... اعمل على غنى الفلاح وأهل المدينة * (٣).

ويقول تحوتمس الثالث في نصائحه لوزير رخمي رع :

" لاحظ أن من يلي منصبا كبيرا يردد الهواء والماء كل ما يفعله ولا يمكن أن تستمر تصرفاته خافية ... تصرف وفقا للعدل ، فالمحابة يمقتها الرب . وإليك نصيحة تتخلق بها : عامل من تعرفه كما تعامل من لا تعرفه ، وانظر إلى المقرب إليك نظرك إلى البعيد عنك ... لا تشح بوجهك عن صاحب شكوى ... ولسوف تتجح في تحقيق الهدف من منصبك إذا نصرت الحق ، فالناس يتوقعون العدل في كل تصرفات الوزير * (٤).

ومما يلاحظ إن الثقة التي وضعها الشعب في حكامه المقدسين لم تفسد

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

١٩٧٩ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦١٩ - ٦٢٠ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، وأيضاً د. رمضان عبده :

ل. مرجع السابق ، الجزء الثاني ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ١٣٠ .

طبيعتهم فقد عمل معظمهم على رعاية هذا الشعب والعطف عليه والاهتمام بمشاكله والتفكير فى أموره .

وهناك نص الملك سيتى الأول يحمل طابع الشفقة والبساطة بعد أن لمس المعاناة التى يقاسى منها المسافر عبر الصحراء ومسالك المناجم فيها ويقول :

" هلم إلى علقى حتى أفكر فى راحتهم (المسافرين) واكفل لهم ما يصون حياتهم ويجعلهم يترحمون على ما فى السنين المقبلة ، وعسانى اعمل عملا يشكرنى عليه أهل الأجيال القادمة ، أنا الشفوق الذى يعيننى الرخاء " . (١)

وتجول فى الصحراء حتى اهتدى إلى مكان ملائم لحفر بئر لجلب المياه .

وعندما تخيل أهل الديانة فى نصوص الأهرام أن روح الملك البشرية سوف تصعد إلى السماء وتخلد هناك ، تخيلوا أيضا انه لابد لهذه الروح أن تحصل على إذن ربها ، وكان هناك عدة شروط لحصول صاحبها على نعيم فى أخراه . (٢)

وجاء فى نصوص سيتى الأول حديثا خاطب به المعبودات قائلا لهم (٣) :

" لا إنما أنا (خادم) خدوم طيب متيقظ لما تشاؤون .. ، مروا ولمسوف يلبي أمركم ، فأنتم السادة ، وأنا ابذل حياتى فى سبيل الإخلاص لكم وسبيل الحسنى معكم ووصف سبيلهم بقول : " إن من راعى كلمة المعبود سعد ولن نقشل مشاريعه " . (٤)

وقيل لمرنبتاح فى نص على الجدار الشرقى لفناء الخبيثة بالكرنك : السطر ١٠ : " عرش حورس وهب له لكى يحافظ على حياة عامة الناس ، وتوج كملك لكى يحمى عامة الشعب ، وتواجدت القوة لكى يحقق هذه (الحماية) ضد من يقول

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) ترجمة المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

ويقول مرنبتاح نفسه :

السطر ١٦ : " أنا الحاكم الذى يرعاكم واقضى نهارى باحثا (عما هو مفيد) " .

السطر ١٧ : " (أننى بالنسبة) لكم مثل الأب الذى يحافظ على حياة أبنائه " .

السطر ٧١ : " أننى مفيد لهم (للناس) اكثر من أب وأم وأولاده " .^(٢)

وعندما ساءت الأوضاع السياسية فى أواخر الأسرة السادسة قامت أول ثورة طبقية ضد الملك ، وصور لنا حكيم مصرى يدعى ايبور ما حدث ن وربما نجح فى مقابلة الملك نفسه ، وحاول ان يحمله هو وحكومته تبعة ما انتهت إليه أحوال البلاد على أيامه من ضعف ودمار . وحين قابل ايبور الملك صور له جهله وحيرة شعبه قائلا :

" كان من الممكن أن يرتاح قلب الملك لو بلغت الحقيقة . ثم تجرأ الرجل على الملك وحاسبه قائلا : " لديك الوعى والبصيرة (وأسباب) العدالة ولكنك بعثت الفوضى فى البلاد مع أهل الفتن " .^(٣)

وقد صورت لنا بعض النصوص تواضع بعض الملوك . فقد عرف الملك سنfro فى الروايات الأدبية اللاحقة على انه " ملك طيب وخير " وتظهره النصوص وهو يتصرف فى بساطة مع الآخرين من حوله ويناديهم بلفظ " صديقى " و " زملائى " ويتمثل ذلك فى بردية وستكار الموجودة الآن فى متحف برلين وترجع إلى عصر الهكسوس وفيها يخاطب سنfro الكاهن المرتل جاجا ام عنخ بلفظ " يا اخى " . وقد جاء فى تعاليم والد كايجمنى ان سنfro كان يسمى " الملك الخير فى كل البلاد " . وفى بردية تيبوات نفررو هو (أو نفرتى) الموجودة الآن فى متحف

Kitchen, RI 1V, p. 2-12 .

(١)

Id ., op . cit ., p. 11 – 12 .

(٢)

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

لينجرا د نرى الملك يخاطب نفر وهو بلفظ " يا صاحبي " (١).

وأمر الملك ساحورع بتشيد باب وهمى لطبييه الخاص بجبانة سقارة .
وتقص علينا النقوش ان هذا الباب الوهمى قد نفذ بأمر الملك بواسطة صناع مهرة
من معبد بتاح .

ومن عهد نفر - اركارع - كاكاى لدينا قصة واشتتاح الذى وافته نوبة أثناء
وجوده مع الملك وحاول الملك إنقاذه عن طريق قراءة ما فى برديات الطب ولكن
واشتتاح توفى بعد قليل وأمر الملك بان يصنع له تابوت من الخشب مغطى بقطع من
المرمر وطلب جلالته أن ينقش هذا الحدث على جدران مقبرته .

وهناك قصة رع ور الذى كان يعمل مديرا للقصر الملكى فى عهد الملك
نفر - اركارع - كاكاى وكان يسير إلى جوار الملك أثناء احتفال رسمى وحدث أن
لمست عصا الملك الذى كان يحركها ساق رع ور ، فاعتذر الملك له وأمر بأن يسجل
هذا الاعتذار على لوحة وضعت فى مقبرة ذلك الموظف (٢).

تصور لنا بعض النصوص استعذاب الملك لفصاحة أحد رعاياه فى قصة
القروى الفصيح . ومن امتع ما وصل إلينا رسالة كتبها الملك جد كارع أسيسى إلى
وزيره شبسس رع يقول له فيها ردا على رسالة منه فى أحد أعياده :

" اطلع جلالتي على الحديث الممتع الذى أرسلته إلى القصر فى هذا اليوم
الجميل .. وسررت به لأنك تعرف كيف تتحدث بما يستحبه جلالتي ، وأن كل ما
تقوله ليروق لى إلى أقصى حد .. وهأنذا أقول الآن وأردد باستمرار يا عزيز مولاه ،
يا من أنعم عليه مولاه ، يا مستشار مولاه الحق ان رع أكرمنى بان وهبنى إياك ،
وبحق حياتى الخالدة لئن أبديت لى أية رغبة بكتاب اليوم لقضيتها لك فى التو " (٣).

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٥٥٦ .

(٣) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ حاشية

(٧٦) .

وفى قصة القروى الفصيح ، نرى مدى إعجاب كبير أمناء القصر الملكى بالأسلوب الذى كتب به هذا القروى شكايته الأولى إلى كبير أمناء القصر . فأسرع هذا الأخير إلى الملك وهو يقول :

" مولاي وجدت واحدا من أولئك القرويين جيد القلم يتحدث بالصواب ، بعد أن نهب متاعه واتانى يتظلم إلى " وقص قصته على الملك فرد الملك عليه بقوله :

" (استحلفك) بحق ما تحب أن ترانى معافى ، أن تؤخره ها هنا ، ولا تغضب على شئ يقوله ، عساه يواصل الحديث ، ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبا فنسمعه ، بشرط أن تتكفل برزق زوجته وأولاده . فالقروى من هؤلاء القرويين يأتينا عادة بعد إملاق ، وعليك كذلك ان تتكفل بمعاشه (طيلة بقائه هنا) بشرط أن تصرف له (رزقه) دون أن تشعره بأنك أنت معطيه " .^(١)

وتصور لنا هذه البردية أيضا استعذاب الملك نفسه بفصاحة قروى من رعاياه ويتمنى ان يستريد منها ثم يأمر بالإحسان إليه فى عاصمته دون ان يعرف من هو المحسن عليه ، فضلا عن الإحسان إلى أسرته فى قريتها .

ومن هذا المنطلق لم نجد أى نص فيه شكوى ضد الملك ، سوى تلك الثورة الاجتماعية فى أواخر الدولة القديمة التى أدت إليها عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية .

وإذا كان بعض الفنانين فى عصر الدولة القديمة قد تعودوا أن يظهروا ملوكهم او يمثلونهم فى سمات ابناء المعبودات ، تكسوهم القداسة ويحف بهم الجلال والوقار حين يعتلون عروشهم كما يظهر ذلك فى تماثيل خفرع الشهير ، أو عندما يظهرن مع أربابهم فى صحبة محببة او بنوة رفيقه كما يظهر فى تماثيل منكاورع ، إلا ان البعض الآخر شعر بأنه يمثل إنسانا قبل كل شئ ، ولهذا مثل الملك عاريا وهو يحن إلى حجر أمه ، وهناك أربعة تماثيل صغيرة للملك بيبي الأول ، مثله أحدها

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٢٢ - ٦٢٦ .

عاريا في سن الرضاعة ، ومثله آخر جالسا على حجر أمه في سن الطفولة ، ومثله ثالث جاثيا على ركبتيه في سن الشباب يقدم قربانا لمعبوده يبتغي منه الرضا ، ومثله رابع كهلا يدفع عصاه بيده ويقف بجواره ولي عهده مري ان رع عاريا في سن الطفولة . ولم يجرأ الفنان على تمثيل هذه الأوضاع للملوك قبل عهد بيبي ^(١) . وحتى إخناتون الذي اعتقد في شخصه نوعا من القداسة ، نجد أن مدارس النحت والنقش في عهده أخذت تصوره كما هو في الطبيعة ، وصورته حين يأكل بشهية ، وحين يلاصق زوجته وتلاصقه ، وحين يمرح معها بعربته ، وحين يضم بناته في شغف ، وحين يندب إحداهن في أسى ، وحين يتعبد لمعبوده في إخلاص وورع ، وحين يجود بالعطايا وحين يتقبل الهدايا ^(٢) .

ومارست مدارس النحت اوج نشاطها في عهد رمسيس الثاني ، فأخرجت له تماثيل تفوق الحصر ، وكما صنعوا له تماثالا كمعبود وضع بين تماثيل بتاح ورع حور آختي وآمون رع في قدس الأقداس في معبد أبو سمبل نجد أن الفنان صنع له تماثيل آخرتين أظهراه في حجم صغير يزحف على الأرض في تواضع وهو يقدم القربان إلى معبوده ^(٣) .

كان الملك هو المهيمن على كل شئون الحكم ، فكانت كلمته هي القانون ، فتوفر له نوع من الحكم المطلق مما أتاح له الإشراف والتحكم في موارد البلاد وإمكانياتها المادية والبشرية وأدى إلى سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج والنشاطات الاقتصادية وتوجيهها في صالح الجماعة . فالملك رأس الحكومة ، كان يعتبر بالتالي رأس الديانة ووريث وخلف الأرباب ، ولهذا أكد هؤلاء الملوك لأنفسهم ، قدرا كبيرا من القداسة الروحية الدينية على رعاياهم .

وقد ساعد الكهنة ملوكهم فيما ادعوه لأنفسهم من قداسة وسيادة ورددوه في

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ حاشية (١٧٣) .

نصوصهم الدنيوية والدينية مرارا وتكرارا . وكان الملك فيما صورته مذاهب الدين يعتبر من المتحكمين فى شئون الآخرة ومن المهيمنين على مصائر أهلها .

ولهذا كان يطلق على الملك لقب " نب " أى السيد المطلق ، وكان هذا اللقب يسبق لقب ملك مصر العليا والوجه البحرى .

واستطاع الملوك فى أغلب أحوالهم أن يستغلوا هذه السيطرة السياسية والاقتصادية والإدارية الواسعة والسيادة الدينية والقداصة الروحية أوسع استغلال واستطاعوا أن يكلفوا من يشاءون من القادرين على العمل من عامة الشعب ، بالعمل فى مشروعاتهم الدنيوية والدينية وإقامة العديد من منشأتهم وليس من المستبعد أن الكهنة كانوا يعتمدون فى طقوسهم أن يشيدوا بقداصة الملك ودفعوا الكادحين من عامة الشعب إلى المشاركة فى مشروعات الملك مهما بلغت الصعوبات فى سبيل تعلقهم بشئ من الأمل فيما ينتظرهم فى الآخرة من الشفاعة والرضا وحسن الجزاء من جانب ملوكهم الذين أوهموهم أنهم سوف يتحكمون فى شئون الآخرة كما يتحكمون فى شئون الحياة الدنيا سواء بسواء .

وتتمثل هذه السيطرة السياسية والدينية للملوك فى تشييد الأهرام . فقد تساءل بعض العلماء عما إذا كان المصريون القدماء قد شادوها وشادوا أمثالها ، راضين أم مجبرين .

نقول أن عوامل الإكبار والقسوة والسخرية لا تدفع الناس على إقامة مثل هذه الأهرام وملحقاتها . فالإمكانات المادية والاقتصادية والسيطرة الإدارية ، وتقديس المصريين لملوكهم وعبادتهم بعد موتهم هى التى دفعتهم إلى التفانى فى بناء أهرامهم ومعابدها . كما حرص بعض أفراد الطبقات الكادحة على أن ينفقوا حول هرم خوفو حتى بعد أربعة قرون من وفاته مما يؤكد بقاء نكراه الطيبة بينهم وتبركهم بمنطقته .^(١)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

ونجد فى النص الذى تركه اميني سنڤ من الأمرة الثامنة عشرة ، وهو الذى اشرف على ترميم معبد اوزير فى أبيدوس . ما يبرر هذه الأعمال طمعاً فى كسب رضى المعبود والملك ، وهو يقول :

“ هكذا حققت أملى ، ورضى المعبود (اوزير) عنى واثى الملك على ” ^(١) وقد يتساءل البعض أيضاً ألم يكن أولى بملوك مصر فى عصر الدولة القديمة أن يعملوا على توجيه الجهود التى بذلها رعاياهم فى تشييد أهرامهم إلى نواح عمرانية أخرى يعم نفعها على الشعب ؟

ليس لنا أن نحكم بمنطق عصرنا الحالى على مثل هذه الأمور . فالواقع أنه كان لكل طائفة من الحكام آفة . وكان من أمر الحكام الرومان الأقدمين حب البطش والجبروت ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى الشرقيين بذل جانب من موارد البلاد فى بناء القصور ، فكان من آفة بعض ملوك مصر القديمة ، أنهم وجهوا جانباً كبيراً من موارد بلادهم إلى بناء الأهرام الضخمة فى منطقة الجيزة وسقارة ودهشور وأبو صير والفيوم ، والمعابد الشاهقة مثل الكرنك والأقصر والرمسيوم ومدينة هابو ، والمعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة وأشهرها معبدى أبو سمبل ، والمقابر المنحوتة فى باطن الصخر مثل المقابر الملكية فى البر الغربى فى طيبة ، كما وجهوا جانباً من هذه الموارد كهبات التى أوقفوها على المعابد مثل ما جاء على بردية هاريس التى يبلغ طولها حوالى أربعين متراً ، من عهد الملك رمسيس الثالث .

وقد ابتغوا من وراء كل هذه العمائر نعيم الآخرة ، وتكريم المعبودات ، واستمالة الكهنة ، وان يظهروا فى سمات التقوى والصلاح ، ولعل هذه آفة محببة بالمقارنة إلى الآفات الأخرى .

وعلى الرغم من إقامة هذه الأهرام والمعابد والهيكل والمقاصير فقد وجدنا من الملوك من يرغب فى المجد المعنوى المتمثل فى حب الشعب للحاكم وربما كان هذا الاتجاه من أفضل ما وصل إليه التفكير الإنسانى على مستوى الملوك فيقول الملك

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

خيتى الثالث (أو الرابع) لولده مريكارع فى نصائحه :

" شيد لنفسك أثرا خالدا بحب رعاياك " و " كن عادلا حتى يظل اسمك خالدا " و " يعيش الإنسان أيضا حتى بعد أن يصل إلى أبواب الموت ، وتوضع أعماله بجواره كأنها ثروته (الوحيدة) ، فالوجود فى العالم الآخر خالد " .^(١)

وهناك من أهل الفكر من يعتقد أن الحكم والتعاليم التى يتركها الكتبة فى مؤلفاتهم البردية هى أفضل الأعمال لتخليد أسمائهم ، ويقولون :

" أن كتب الحكمة هى أهرامهم والعلم ابنهم وإذا كانوا قد ذهبوا فإن أسماءهم ما زالت تذكر فى كتبهم وسوف تبقى ذكراهم إلى الأبد " .^(٢)

وهذا يدل على أن هناك قلة مستتيرة من المصريين ترى أن الخلود يتحقق بفضل الأعمال الصالحة التى قام بها الإنسان على الأرض . وهذا يدل على مرونة العقائد المصرية القديمة وعدم التزامها صفة الجمود التى اعتادت أغلب المؤلفات الحديثة على أن تلصقها بها .

رابعا : وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، فكانت هناك تشريعات مصدرها المعبودات مما زاد احترام الشعب لها وعمل على تطبيقها والالتزام بها وتشريعات مصدرها الإنسان أى الملك الذى كان له حق التشريع وبأن أوامره كانت لها قوة القانون ، ولكنه كان أول الناس التزاما بها ، وكان الملك يظهر فى النقوش ملتزما بالحياد التام تجاه أحكام القضاة الذين كانوا يضعون أحكاما قضائية لها قوة التشريع . وطبقا لما ذكره بلوتارخ كان الملك يطلب من القضاة ألا يطيعوه إذا كانت أوامره إليهم ظالمة أى تتضمن ما يودى إلى خرق التشريعات^(٣) ، ولهذا كان يعتبر

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦١٩ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٣) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٩ - ٢١ .

رمزا للعدالة .

ومما يؤكد هذا الرأي ويدعمه أن اليمين الذي يحلفه القاضي بمناسبة تعيينه كان يتضمن : عدم إطاعة الملك إذا أمره بإتيان أى معصية أو أى ظلم وكان الملك يلح ويصر على أداء القاضي لهذه اليمين عند توليه مهام وظيفته .^(١)

كان المصريون القدماء يفهمون - بفطنتهم وبذكائهم - أن العدالة أساس حماية واستقرار المجتمع ، وأن عدم سلامة جهاز القضاء أو انحرافه يهدد أمن المجتمع^(٢) . بدأت مصر منذ أقدم العصور بنظام قانونى أصيل هو أقدم نظام عرفته الإنسانية وقد استمر هذا النظام قائما أكثر من أربعين قرنا . ولا يوجد له مثيل فى تاريخ الأمم القديمة الأخرى .

وكان من أبرز العادات عند المصريين القدماء حتمية حصول كل ذى حق على حقه ، وهذا أحد اسباب ازدهار حضارتهم ، ومن جهة أخرى أحس المصريون القدماء بأن أكثر ما يهدد استقرار المجتمع هو نفشى الظلم والفساد والرشوة والفساس . ولهذا اختار المصريون أحسن الكفاءات وأكثر الرجال نزاهة فى مدنتهم الرئيسية : ابونو ومنف وطيبة تولى أمور القضاء .^(٣)

ويقول بتاح حتب بشأن توافر العدالة :

" العدالة هى أمر عظيم لا يجب أن تتغير ويجب أن تكون مكفولة للجميع .. أن أى عقبة فى طريق العدالة يعنى فتح الطريق أمام ان حدود العدالة لا تتغير إن معانيها تعاليم يتعلمها الابن من أبيه " .^(٤)

والواقع أن حضارة مصر القديمة اعتبرت حق العقاب أو القضاء به بمثابة

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

تفويض من قبل السلطة الإلهية . ومن ثم فلو كان أساس القضاء أساساً دينياً رغم ما طرأ على الفكر المصرى بوجه عام عبر العصور من تغيرات مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية ^(١) . وفى نهاية الأسرة الثامنة عشرة تولى حور محب الذى سن القوانين الصالحة لمحاربة الرشوة والفساد فى دواوين الحكومة وأصلح المحاكم . وطاف فى أنحاء البلاد باحثاً عن الأشخاص الأكفاء الذين يمكن أن يأتهم على شئون الحكم والعدل والقضاء بين الناس . ثم فرض على من يخالف القانون أشد أنواع العقاب يستوى فى ذلك الكبير والصغير . وقد وضع باك ان رن رف فى الأسرة الرابعة والعشرين قانوناً جديداً عام ٧٤٠ ق.م . أدخل فيه كثيراً من الإصلاحات والتعديلات على القانون القديم . وأخرج قواعد القانون عن دائرتها الدينية وأضفى عليها طابعاً مدنياً . وكان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك صلة وثيقة بين القوانين الدنيوية (المدنية) والقوانين الدينية ^(٢) . وكان مفهوم ماعت (أى العدالة) عند المصريين القدماء يتخلص فى أمرين :

- أن الدولة موجودة لتحقيق الماعت .

- إن الماعت يجب أن تتحقق ليصبح العالم قابلاً للسكنى ^(٣) .

وإذا كانت السلطة القضائية العليا نظرياً فى يد الملك لكنها عملياً كانت تفوض من جانبه إلى السلطة لقضائية الممثلة فى القضاء ورجال الدين وكبار رجال الدولة فأحياناً كان يقتصر دور الملك على إحالة الشكوى إلى القاضى المختص باعتباره الممثل المخلص للقانون فى البلاد أو إلى كبير الكهنة أو إلى الوزير الأول الذى كان تتجمع فى يده كل السلطات وكل الاختصاصات فهو يقضى فى

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) يان أسمان : ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة

د. زكية طبوزاده ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،

١٩٩٦ ، ص ١١٨ .

الأمور المدنية والإدارية والجنائية. (١)

كان الملك يقدم إلى هؤلاء القضاة كل ما هو ضرورى لإعاشتهم . وكانت مخصصات رئيس العدالة أى رئيس المحكمة اكبر بكثير من مخصصات القضاة الأعضاء . وكان رئيس المحكمة يحمل فى عنقه سلسلة من الذهب يتدلى منها ميدالية بها شكل مرصع بالأحجار الكريمة يمثل معبودة العدالة ماعت . وكان يوضع بين يدى القضاة ثمانية مجلدات تضم تشريعات مصر القديمة. (٢)

عرف المجتمع المصرى القديم الأنظمة القضائية والإجرائية التى كانت من أدق الأنظمة - بوجه عام - وذلك للوصول إلى العدالة الحقيقية وتحقيق العدالة لكل إنسان والكل متساوى أمام القانون أى الأخذ بمبدأ المساواة أمام القانون ويذكر ديودور الصقلي :

" فى مصر كان يعاقب الناس على أساس نيتهم أو مقصدهم لا على أساس ثرواتهم " وهذا ما يؤكد خضوع الكل - الغنى والفقير - أفراد الطبقة العليا وأفراد الطبقة الدنيا لقانون واحد بلا تفرقة (٣) . وقامت القوانين المصرية أيضا على مبدأ احترام الإنسان وكرامته فى حياته وبعد وفاته . فلا توجد تفرقة فى المعاملة بين الإنسان الحر والعبد بصدد العقاب على جريمة القتل أيا كانت صورتها . كما يظهر هذا المبدأ فى احترام جثث الموتى إذ كانت كرامة الإنسان مصانة بالقانون بعد وفاته .

وعلى مبدأ احترام المعتقدات الدينية وحرية العقيدة للإنسان فله أن يتعبد لآى معبود فى إقليمه دون الإساءة إلى حرمة المعبودات وعقيدة الغير . وعلى هذه المبادئ الثلاثة قامت فلسفة العدالة والتشريع بوجه عام (٤) . حتى حياة الحيوانات

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠ .

كانت محمية بقانون العقوبات المصري . فالمعاملة السيئة للحيوان كانت جريمة عقوبتها دفع غرامة للكاهن ، وتصل العقوبة إلى حد الإعدام لو كان الاعتداء واقعاً على حيوان مقدس ^(١) وهذا ما أكدته أفلاطون حينما ذكر في كتاباته :

" لقد كان لكل شيء في مصر القديمة قانون حتى الرسم والرقص والنحت " أى من يخرج عن قواعد قانون " الرقص " الذى كان ذا طابع دينى يعاقب قانونياً . ^(٢) ولجأ المجتمع المصرى القديم إلى وضع القوانين لحماية الدين والأخلاق والضمير من الانحراف . ووجد فى تغليظ العقوبة الوسيلة المثلى لتحقيق المجتمع المثالى . فوضع عقوبات للجرائم البسيطة والجنايات .

فهناك عقوبات لجريمة القتل وشهادة الزور أو اليمين الكاذبة والامتناع عن المساعدة فى إنقاذ ضحية من الجرائم وتقديم إقرارات الذمة بصورة مزورة . فوفقاً للقانون المصرى القديم كان من الواجب على كل مصرى أن يقدم إقراراً يتضمن اسمه ومهنته أو حرفته ودخله للسلطة القضائية ، وإذا ما تبين من فحص هذا الإقرار ورود بيانات غير صحيحة فيه كان يعاقب الشخص بالإعدام . وهناك عقوبات للتزييف أو استخدام العملات أو الموازين أو المقاييس أو المعايير المغشوشة أو غير سليمة والسرقة والزنا والبلاغ الكاذب وقتل الحيوانات والهروب من الحرب وعدم إطاعة الأوامر وإفشاء الأسرار العسكرية . ^(٣)

وكان هناك القضاء المدنى والقضاء العسكرى والقضاء التجارى والقضاء الكهنوتى ، ولكل نوع من القضاء اختصاصاته . ^(٤)

ومما يدل على رقى الحضارة المصرية القديمة هو ابتداع أسلوب الدعوى أو البلاغ مما يدل على عدم وجود فوضى فى أسلوب الاتهام . ويعنى ذلك معرفة

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٣ .

المصريين القدماء بقيمة الضرر الاجتماعى للجريمة على أساس أنها فعل أو عمل يهم الكل لا المتضرر من الجريمة فحسب ولكن لأن آثارها تعم على كل أفراد المجتمع وبهذا سبقت مصر القديمة باقى دول العالم المتحضر حينما عرفت أن الجريمة مفهوم اجتماعيا .^(١)

وكان هناك عدة إجراءات بالنسبة للدعاوى المدنية أو الدينية أو الإجراءات الجنائية غير العادية فى بعض الجرائم ، وكان لابد من التحقيق من صحة ما ورد باعتراف المتهم وشهادة الشهود^(٢) . ويذكر على مبارك : أن سعادة مصر مؤسسة على عاملين مهمين : أولهما : بذل هم أهلها ، وطرح أنقال أسباب الكسل والفتور عن كواهلهم ، فبقدر بذل الهم منهم فيها تكون ثروتهم .

ثانيهما هو " اتباع القوانين المنتظمة التى لا يتطرق إليها الخل على حسب الأهواء والأغراض الشخصية ، فإنه بقدر رعايتها يكون الأمن العام ، وبحفظ حرمتها يدوم الملك على أحسن نظام ، وتنتهى بذلك أسباب تقدم الجماعة ، ويصل الخير الخاص والعام لكل من الراعى والرعية " .^(٣)

خامسا : توافر عوامل الأمن والأمان بفضل اتباع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج ولم يتبع الملوك سياسة هجومية . واعتمدت مصر على إمكانياتها الذاتية عند مواجهتها للتحديات والأزمات والأخطار الخارجية . والحق أن الزراعة فرضت على أهل البلاد حرفة مستمرة تستدعى الارتباط بالأرض وعدم تركها فترة من الزمن أو هجرها نهائيا ، وأيضا ظروف البلاد البيئية لم تكن قاسية بحيث تدفع إلى تطور حربى يتسم بالغزو والفتح والإغارة على أراضى الغير . وجاهد ملوك مصر القديمة فى سبيل حماية البلاد من أعدائها من الخارج أو من أخطار الفيضان فى الداخل . وكلفوا بذلك سعادة رعاياهم . ولا غزو فإن غزو

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ - ١٠٣ .

(٣) الأعمال الكاملة لعلى مبارك المجلد الثالث دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨١ ، ص

الهكسوس قد استثار في نفوس المصريين القداماء الشعور القومي والتعلق بالحرية والاستقلال . وحفزهم وملوكهم إلى الجهاد في سبيل الذود عن الاستقلال . وتم لهم ما أرادوا .

ثم انهم فطنوا إلى ان تأمين الاستقلال لمصر لا يكون بتحسين حدودها فحسب . بل لابد لها من بسط نفوذها على البلاد المجاورة لحدودها الشرقية والتي جاء منها الغزو الأجنبي . ولم تكن هذه الحروب حروب هجومية هدفها الفتح والغزو والاستعمار أو احتلال أرض الغير بل كانت حروب قومية دفاعية أي كانت حروباً دفاعياً اقتضاها الدفاع عن الحدود وتأمين حرية البلاد واستقلالها ^(١) . ولذلك وجه ملوك الدولة الحديثة إلى تقوية الجيش المصري ، وإذكاء روح الجهاد في نفوس المصريين ليطمئنوا على سلامة الوطن وحرية .

أساء بعض علماء المصريات من الغرب فهم السياسة الخارجية التي قام بها ملوك مصر القديمة وخاصة في عصر الدولة الحديثة . واطهروا هؤلاء الملوك في صور الغزاة الذين رغبوا في السيطرة وبسط النفوذ على البلاد المجاورة وخاصة في الشرق . وهو مفهوم خاطئ من أساسه إذا القينا نظرة على مظاهر السياسة الخارجية لهؤلاء الملوك . ونقول ان علاقات مصر القديمة بالدول المحيطة بها في الشرق والغرب والجنوب والشمال ، اتخذت صوراً عديدة منها علاقات ود وصداقة أو علاقات ترابط ومصاهرة ، أو علاقات كان يسودها أحياناً طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية .

قامت السياسة الخارجية لملوك مصر القديمة على مبدأ الإشراف ومراقبة وحماية الحدود واستثمار الثروات الطبيعية للبلاد ، على امتداد الحدود الشرقية والجنوبية ومراقبة التحركات على الحدود الغربية مع إيثار مبدأ السلام المسلح القائم على تحصين الحدود في الجهات الثلاث ^(٢) . وعدم اللجوء إلى استخدام القوة على هذه الحدود إلا حين الضرورة الملحة والتهديد المباشر لأمن البلاد .

(١) عبد الرحمن الراقعي : تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

فمنذ عصر الأسرة الأولى كان على ملوك مصر أن يتيقظوا بصفة دائمة لما يحدث على حدود بلادهم من نزوح وتحركات وتسربات فكان هناك أولا العمال الأجانب الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثا عن مصدر رزق دائم وموطن استقرار آمن والعيش في ربوعها في سلام أو يأتي بغرض التجارة والتبادل التجاري أو يأتي لمهمة رسمية ويمكنك داخل البلاد فترة من الزمان وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواسطة رجال شرطة الحدود وكان يدون لكل شخص منهم :

(١) تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود .

(٢) أصل الموطن الأصلي .

(٣) الحالة الاجتماعية واسم الأب .

(٤) الغرض من المجئ .

وكان هؤلاء العمال يقيمون في البلاد ويؤدون أعمالا وخاصة في المشاريع المعمارية التي تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة وكانوا يعيشون في ظل قوانين تكفل لهم الحماية والأمن والعيش في سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها العامل المصري . ومن هؤلاء الأجانب من يتجمع حسب جنسيته في أحياء خاصة بهم فحول معبد الكرنك من أيام تحوتمس الثالث ، كانت تقيم جالية سورية وتجار سوريون . وحول المعبد الجنائزي لأمنحتب الثالث كان يوجد حي سوري تحت إدارة أحد المرء السوريين .

وكان هناك ثانيا الطامع والمعتدى ، وهذا ما كان يحسب له الملوك ألف حساب .

فكانت قبائل البدو في الصحراء الشرقية وبدو سيناء وما وراءها أيضا ، وغيرها من شعوب مهاجرة من فلسطين ومن مواطن أخرى ، تحاول من وقت لآخر أن تثير الاضطرابات وتتسلل عبر حدود مصر الشرقية في أى وقت من الأوقات حتى تحت حكم ملوك مصر الأقوياء ، وعلى الرغم من مجموعة الحصون التي كان

يقيمها الملوك أحيانا على الحدود الشرقية منذ عصر الدولة الوسطى ، فإنهم كانوا يقومون بإثارة القلاقل على الحدود الشرقية ويقومون بأعمال الاعتداء والسلب على مدن الحدود الشرقية والمناطق المتاخمة لها . أو يقومون بتهديد سبل التجارة ومسالك القوافل بين مصر وجيرانها في الشرق . أو يقومون بتهديد بعثات المناجم والمحاجر في شبه جزيرة سيناء بحثا عن مصدر مادي تعوض به حالة الضيق التي كانت تعيش فيها ^(١) فكان الملوك يرسلون بعثات التعدين منذ أقدم العصور إلى شبه جزيرة سيناء التي كانت تعد مصدرا هاما لبعض المواد الخام التي كان من أهمها معدن النحاس والدهنج والفيروز .

وكان الملوك يقودون هذه الحملات بأنفسهم أو انهم يرسلون قوادهم أو رؤساء البعثات بدلا منهم والذين كانوا يتركون نقوشا تحدثنا عما قاموا به من أعمال . وإذا لم تتجح هذه العناصر في الاعتداء على بعثات التعدين ، كانوا يقومون بالدخول في تحالفات وتدبير المؤامرات مع الأسر الحاكمة في فلسطين وسوريا لمناهضة السياسة الدفاعية لمصر وإثارة القلاقل . أو يقومون بالاندماج في موجات الهجرات الكبرى أو الغزوات الكبرى التي كانت تحاول من وقت لآخر تهديد حدود مصر الشرقية واجتيازها .

وكانت القبائل في الجنوب تهدد أيضا حدودها الجنوبية وتحاول أن تعبرها طمعا في البحث عن مناطق استقرار فيها . وكانت هذه القبائل تهدد أيضا البعثات التي كان يرسلها الملك المصري إلى الجنوب لجلب المعادن والأحجار الكريمة .

وفي الغرب كانت قبائل البدو وبعض العناصر الليبية تقوم بتهديد حدود مصر الغربية ، وتحاول التسلل إليها وعبرها بحثا عن أماكن استقرار لها في أرض

(١) يذكرنا ذلك بفقرة جاءت في بردية تبتوات نفرتي الذي يقول : " كل الأشياء الجميلة اختفت ، والبلاد سقطت اسفل في مستوى الأرض بسبب النكبة التي تأتي من خيراتها فالآسيويين انتشروا في أرجاء البلاد " ، راجع : Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 38 – 39 n. 16 et n. 482 .

مصر الخصبة . وخاصة وأن أراضي الواحات الغربية كانت معروفة منذ أقدم العصور بوفرة مراعيها وانعامها .^(١)

ومن الشمال جاءت شعوب البحر من مواطنها في أوروبا لكي تهدد حدود مصر الشمالية طمعا في ثرواتها وخيراتها وذلك خلال الأسرة التاسعة عشرة والعشرين .

وانعكست هذه السياسة الخارجية على الأوضاع السياسية في الداخل وما نسميه بالنتاج الحضارى . ويمكن القول بأن هذه السياسة اليقظة من جانب ملوك مصر حمت البلاد وحضارتها من ويلات الاضطرابات الداخلية التى تنتج من غزو أجنبي . وقد نجحت هذه السياسة طالما كان ملوك مصر يتمتعون بالقوة وتمتع البلاد معهم بالاستقرار السياسى فى الداخل . وعندما أصاب ملوك مصر الضعف فى بعض فتراتهم التاريخية انعكس ذلك على السياسة الخارجية وتهديد حدود البلاد .

ولدينا من نهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية الأسرة الثالثة عشرة ، مجموعة من النصوص كانت عبارة عن دعوات كتبها الكهنة والسحرة ، بالمداد الحمر على أوانى صغيرة من الفخار وتمائيل من الصلصال ، وصبوا اللعنة فيها على مجموعة من الحكام فى الشمال الشرقى وفى الغرب والجنوب للحدود المصرية .^(٢)

وعندما تعرضت مصر لغزو الهكسوس واحتلوا أرضها لأول مرة فى تاريخها فى نهاية العصر الوسيط الثانى ، حاول الهكسوس ان يندمجوا مع المصريين وتقلدوا بالتقاليد المصرية . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبليّة تفتقد إلى الأصالة الحضارية . وبالتالي عجزوا عن إضافة أى مظهر إلى الحضارة المصرية . كما عجزوا عن تبديل تقاليدهم الدينية والفكرية والأدبية والفنية الراسخة ، بل على العكس من ذلك ، نجدهم قد تأثروا وتطبعوا بمظاهر هذه الحضارة العريقة وتأثروا بها .

وخرج حكام مصر بعد كفاح مشرف ، من محنة الهكسوس وقد غلب على

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ١٣ -

تفكيرهم أنه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم ،
 وأنه لا أمان لاقتصادهم من اعتداءات الهكسوس والشعوب المعادية وتهديد سبل
 التجارة مع الشرق إلا إذا أبعدوا هذه العناصر المعادية عن مسالك تجارتهم الخارجية
 . وأنه لا أمان لمستقبل بلادهم وحماية استقلالها من غزو هجرات جديدة مماثلة إلا
 إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل هذه الهجرات في شمال سوريا وأطراف العراق
 وتكوين مناطق نفوذ موالية للملك المصري ، وقد زاد هذا من الطابع العسكري
 للسياسة الخارجية لمصر ، نتيجة لرد الفعل ضد الغزو الأجنبي والاحتلال ، وهذا ما
 تكفل به الملوك الأوائل في الأسرة الثامنة عشرة .

وكان أكثر الملوك نشاطا في تنفيذ هذه السياسة الخارجية هو تحوتمس
 الثالث ، الذي خاض أكثر من ست عشرة حملة ، بعضها كانت من أجل قتال حقيقي
 والبعض الآخر كانت حملات تأديبية والبعض الثالث كانت لإظهار القوة . ومما يدل
 على أن هذه السياسة كانت سياسة دفاعية وأيضا لتكوين مناطق نفوذ في شمال
 وجنوب بلاد الشام ، أن تحوتمس كان يحضر إلى مصر أبناء الأمراء المحليين في
 آسيا ليقوم بتربيتهم في مصر ويغرس في قلوبهم حبها وثقافتها . وقد بلغ عدد من
 أحضرهم من أبناء الأمراء إلى مصر في حملته الأولى ستة وثلاثين طفلا . ونجد
 إشارة إلى هذه السياسة الدفاعية في أقوال تحوتمس الثالث إلى كهنة اوزير وكان
 فخورا بما أداه لمصر : " لقد أطلقت حدود تامرى (أى مصر) إلى ما تحيط الشمس
 به ، وعوضت أهلها بعد خوفهم قوة (وأمنا) وأقصيت الشر عنها ، وجعلتها فوق
 رأس الدنيا كلها " (١) .

وعندما قام بعض الملوك من أمثال سبتي الأول باتباع السياسة نفسها لم يكن
 القصد منها توسيع حدود أو غزو عسكري ، بقدر ما كانت للدفاع عن مناطق كانت
 موالية لمصر .

وفي عهد خليفته رمسيس الثاني قامت حرب كبيرة بينه وبين الحيثيين دارت
 رحاها عند مدينة قادش ، وكان السبب فيها هو حماية الولايات التي موالية لكل من

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

الطرفين . وانتهى الأمر برغبة الطرفين مصر وخيتا في وضع حد لهذه الحروب التي نشبت بينهما ، والسبب الرئيسى وراء هذه الرغبة هو ظهور خطر جديد على مسرح الأحداث وهو ظهور شعوب البحر التي جاءت من أوربا .

وهناك الحملة التي أمر الملك مرنبتاح بإرسالها فى العام الخامس من حكمه ضد بعض المدن الفلسطينية وشعوب اليسير يارو فى جنوب فلسطين وانتصار الملك عليهم وقضى على الأقوام الرجل الخارجين عن طاعته وكانوا يهددون حدود مصر الشرقية .^(١)

وفى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين تعرضت مصر لثلاث غزوات آشورية ، وهذه هى المرة الثانية التى تتعرض فيها لاحتلال أجنبى ، ووصل الآشوريون فى حملتهم الثالثة حتى مدينة طيبة التى تعرضت للتخريب على أيديهم . وفى نهاية الأسرة السادسة والعشرين تعرضت مصر لثالث غزو أجنبى وهو الغزو الفارسى الذين دخلوا البلاد وحكموا خلال الأسرة السابعة والعشرين وغزو مصر للمرة الثانية وكونوا أسرة حاكمة فى نهاية الأسرة الثلاثين .

ولم يحدث أن هاجمت الجيوش المصرية الممالك والإمارات الآسيوية للقضاء عليها وتكوين إمبراطورية كما حدث لها من جانب إمبراطوريات آسيوية وقد أشرنا إلى سياسة تحوتمس الثالث بالنسبة لأبناء الأمراء ، ولدينا نص القائد ونى من فترة سابقة فى الأسرة السادسة الذى يحدثنا عن مسلك جنوده أثناء حملة تأديبية فى جنوب فلسطين . ويقول : " أنه لم يحدث أن أغتصب جندى كسرة خبز من عابر سبيل أو اغتصب نعلة ، ولم يحدث أن نهب أحد جنوده خرقة من قرية ، أو سلب عنزة من عشيرة " ^(٢) ، حتى جاوز بجيشه مناطق الحدود الشمالية الشرقية ويقص ونى أن جنوده بلغوا الآلاف ، مما يدل على ان أهل الحكم فى عصره تعودوا أن

(١) التى جاءت أخبارها على لوحة نصي امنحتب الثالث ومرنبتاح ، راجع د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

يجندوا قطاعا واسعا من إمكانيات البلاد لأغراض الدفاع . ويبدو انه كان يصاحب هذه الحملات بعض رجال الدين الذين كانوا يثيرون حماس الجنود ويذكرونهم الجهاد في سبيل الأرباب وضرورة الولاء للحكام والرؤساء والحرص على تقاليد الدين ^(١) وكان هناك بعض التراجمة الذين يعاونون القادة على التفاهم مع أهل البلاد أو المدن التي تفتح لهم أبوابا من تلقاء نفسها . ومما يدل على أنها كانت سياسة دفاعية أيضا أن الملك أمنمحات الأول من الأسرة الثانية عشرة ، شيد في أيامه عدة تحصينات طويلة امتدت على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية وسميت في مجملها باسم " حائط الأمير أو الحاكم " . ^(٢)

وتأكيدا لهذه السياسة نجد في وصايا الملك خيتي الثالث (أو الرابع) كيفية الحد من أخطار البدو عن طريق إنشاء مدن محصنة على حواف الوادي وتعميرها بخير الرجال يسكنونها ويزرعون ما حلوها ويتحصنون بها حين الشدة ويصدون منها غارات قبائل الصحراء الشرقية وقال له في ذلك :

" لا تتهيب العدو فهو لا يغير إلا على الموطن المنعزل ولا يجراً على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان " ثم شجعه على اتباع سياسته وقال له:

" أقم الحصون في كل المناطق الشمالية ، ولاحظ ان سمعة الرجل فيما يفعله (لحدوده) ليست بالشئ الهين ، والبلدة العامرة بالسكان لن يمساها سوء ، فأبن مدناً " ثم هون عليه شأن أعدائه البدو وضعف حيلتهم في عبارات أخرى تدل على معرفته بعاداتهم وأحوال المناطق التي يعتصمون بها وتتوافد هجراتهم منها ، قائلاً له : " فالعدو اللعين موطنه وعر ، وماؤه أسن سيئة طرقاته بما يكتنفها من المرتفعات ن ولذلك لم يستقر في مكان واحد ، وكان دائم الترحال ، وظل يشاغب منذ عهد (المعبود) (أى منذ أقدم العصور) فلا هو غالب ولا هو مغلوب " . ^(٣)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

ويقول له أيضا :

" قوى حدودك ، لانه من الأفضل أن تكون مستعدا للأحداث المقبلة " .^(١)
 وفي الغرب كانت العلاقة ومع بعض القبائل تمتاز أيضا بالتوتر منذ أقدم العصور
 حتى نهاية الأسرة العشرين . الذين كانوا يحاولون باستمرار مهاجمة غرب الدلتا
 ودخول مصر والاستقرار فيها .

وفي عهد سبتي الأول بدأت عناصر من الهجرات الهند- أوربية تستقر في
 ليبيا وبدأوا يهددون الحدود الغربية لمصر . ولكن تصدى لهم سبتي الأول . وفي
 عهد رمسيس الثاني عاوت هذه العناصر تهديدها للحدود الغربية المصرية . وربما
 كان هذا الخطر هو السبب الرئيسي الذي جعل رمسيس الثاني يبنى سلسلة من
 الحصون على الحدود الغربية من مصر مثل حصن الغربانيات (على مقربة من برج
 العرب) وحصن آخر عن العلمين وحصن عند زاوية أم الرخم إلى الغرب من
 مرسى مطروح .

وفي عهد مرنبتاح قامت قبائل البدو الليبية ومعهم خمس جماعات أرية
 مهاجرة من العناصر الهندوأوربية وهي الايكوواش ، والتورشاش ، والروكي ،
 والشردانه ، والشكرش بالتجمع وأخذت تهاجم حدود مصر الغربية بشدة ، ودفعوا
 بنسائهم وأولادهم وقطعانهم القليلة وطمعوا في أن يعبروا البراري إلى الدلتا ويستقروا
 في أرضها الخصبة ووصفت نصوص معبد الكرنك تحركاتهم بأنهم :

" (جاءوا مع) زعيمهم ، هؤلاء الذين يقضون النهار سعيا (في) الأرض
 ويتقاتلون في سبيل ملئ بطونهم يوميا ، واتجهوا نحو أرض مصر لكي يبحثوا
 (عن) احتياجات أفواههم " .^(٢)

فخرج إليهم الملك مرنبتاح واستمرت المعركة ست ساعات انتهت بهزيمة

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦١٩ .

(٢) نص الجدار الشرقي لفناء الخبيئة بالكرنك ، السطر ٢٢ ، راجع :
 Kitchen, RI IV , p. 2 – 12 .

المهاجمين والمعتدين ، ويقول شيخا منهم لولده :

" وانكبتاه على ليبيا ، حرم أهلها المعيشة والحالة الرغدة (فى مصر) وما عادوا يجرأون على السعى بين المزارع ، وتوقف سعيهم فى يوم واحد " .^(١)

وعادوا الكرة فى عهد رمسيس الثالث فأوقعت بهم الجيوش المصرية هزيمة كبرى على حدود الدلتا الغربية وارتدوا إلى الصحراء فتتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلو مترا .

وفى الجنوب اتبع ملوك مصر القديمة السياسة نفسها ضد القبائل الزنجية منذ الأسرة الأولى ، الذين كانوا يحاولون باستمرار اجتياز حدود مصر الجنوبية عند الجندل الأول . فأرسل أكثر من ملك الحملات التأديبية ضد هذا الخطر المستمر .

وقام بعض الملوك أيضا بتشييد الحصون لحماية هذه الحدود الجنوبية فقام الملك سنوسرت الأول بإقامة عدة تحصينات عند كوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . واتبع السياسة نفسها سنوسرت الثالث فقام بتشييد عدة تحصينات قوية عبارة عن حائط كبير من الطوب اللبن بطول الشاطئ الشرقى للنيل عند الجندل الأول وقام ببناء ثلاثة حصون كبيرة . وترك سنوسرت فى معبد حصن مـمنه لوحيتين من الجرانيت سجل كاتبه على أحدهما سياسته الحدودية . ويذكر أن الملك قام فى العام الثامن من حكمه لتفقد الأوضاع على حدوده الجنوبية عند وادى حلفا ، وأمر بالآلا يتعدى هذه الحدود أى زنجى قط عن طريق البر أو عن طريق النيل ، إلا من ابتغى التجارة ، أو أوفد فى مهمة فأولئك سوف يعاملون بالحنى على حد قوله^(٢) وذكر أيضا :

" أن أيا من ابنائى يحافظ على هذه الحدود التى أقرها جلالتي فإنه ابنى وولد

(١) لوحة نصي أمنحتب الثالث ومرنبتاح بالمتحف المصرى ، رقم ٣٤٠٢٥ ، السطر ١٠ ، راجع : Kitchen, RI IV, p. 12 – 19 ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٤ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

منى . وأما من يدمرها ويفشل في الحفاظ عليها فليس ابننا لى ولم يولد منى^(١) .
وأما كيف نفذت هذه السياسة بحزم فإن هذا تشير إليه الرسائل اليومية التى كانت
تصل إلى العاصمة من رؤساء الحصون فى الجنوب وهى تبين ان كان هناك
تحركات للقبائل أم لا . وتنتهى معظم الرسائل اليومية بالصيغة التقليدية :

" كل الأمور فى أملاك الملك فى أمن وسلام ، كل شئون السيد آمنة
سليمة^(٢) . واتبع ملوك الدولة الحديثة سياسة الدفاع هذه وذهب أكثر من ملك إلى
الجنوب ابتداء من أحمر الأول حتى مرنبتاح . وقامت بين ملوك مصر وحكام
الشعوب المجاورة وخاصة فى الشرق علاقات ود وصداقة وعلاقة ترابط
ومصاهرة ، وعلاقات ثقافية ، ولم تكن صور الحملات السابقة إلا جزءا من سياسة
خارجية قامت على تأمين الحدود .

فإذا كنا تحدثنا عن تهديد بعض القبائل الآسيوية لحملات بعثات تعدين فى
سيناء ، نجد فى بعض النصوص ذكر لعناصر آسيوية كانوا يرافقون البعثات
المصرية وينضمون للعمل ضمن أفراد البعثات المصرية . مما يجعلنا نفترض وجود
نوع من التقارب بين المصريين وبعض العناصر الآسيوية المسالمة .

ومن قصة سنوهى نعلم أن أحد البدو تعرف عليه فمنحه ماء ولبنا مطبوخا
وصحبه إلى قبيلته وعامله بالحسنى حتى وصل إلى جبيل وتعرف على أحد رؤساء
القبائل وحكى لرئيس القبيلة قصته ، فرحب به الرجل وزوجة من كبرى بناته ووهبه
أرضا وقطعانا من الماشية .

ومن ناحية أخرى وجدت علاقات ودية بين ملوك الدولة الوسطى وأمراء
شرق البحر المتوسط ، فكان الملوك المصريون وبعض أفراد أسرهم ، وبعض رجال

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٣١ ؛ سير آلن جاردنر : مصر

الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٥٦ .

(٢) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

البلاط يرسلون الهدايا إلى أمراء سورية . فقد عثر على آثار مصرية في بيسان ومنطقة تل الدوير وقطعه شمالي حمص وفي رأس الشمر وفي جبيل وفي مجدو . كما عثر في مصر على آثار عبارة عن هدايا من بعض أمراء آسيا لمولك مصر مثل ما عثر عليه في معبد الطود .

ومن أشكال العلاقات الدبلوماسية الرسائل التي كانت متبادلة بين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع وملوك وأمراء غرب آسيا ، والتي عثر عليها في تل العمارنة وكتبت بالخط المسماري ، وهو خط اللغة الأكديّة التي كانت مستخدمة كلغة دبلوماسية ويعرفها بعض المصريون في بلاط الملك . ويبلغ مجموع هذه الرسائل ٣٧٩ رسالة .^(١) وتنقسم هذه الرسائل إلى مجموعتين منفصلتين :

خطابات متبادلة بين ملوك مصر وأصدقائهم من ملوك وأمراء شمال وجنوب بلاد الشام .

وخطابات متبادلة بين البلاط المصري والأمراء الموالين لمصر والذين كانوا عرضة للتهديد الحيثي في شمال وجنوب بلاد الشام .

ومن أشكال العلاقات الدولية، المعاهدة التي وقعها تحوتمس الثالث وخوزياس الثاني ملك الحيثيين فيما بين عامي ١٤٧٠ - ١٤٦٠ ق.م . والمعاهدة التي وقعها بعد ذلك رمسيس الثاني وخاتوسيل ملك خيتا ويتضح من بنود هذه المعاهدة أن الطرفين قد سئما الحرب ورغبا في حياة سلام بينهما . وتضمنت بنود المعاهدة الدفاع المشترك والتعاون المشترك . وعادت المراسلات بين البلدين مصر وخيتا وتشير وثائق بوغاز . كوى إلى التهنئة التي كتبتها زوجة رمسيس الثاني نفرتاري إلى بودوهيات ملكة الحيثيين وتقول فيها :

" أننى فى سلام وأرضى فى سلام وأنتى اتمنى لك يا أختى السلام " وكان ابن رمسيس الثاني وفيها لبنود المعاهدة ، وعندما خربت شعوب البحر أرض الحيثيين وأشاعت المجاعة فيها ، أمر الملك مرنبتاح بإرسال شحنات كبيرة من الغلال عن طريق المراكب إلى بلاد خيتا .

Knudtzon, Die El Amarna Tafeln, p. 991 – 996; Helck, LA I, (١) p. 173.

ومن أشكال العلاقات أيضا ، علاقات المصاهرة ، تدعيما للعلاقات بين الدول المتجاورة وحكامها . فقد أرسل الملك ساحورع من الأسرة الخامسة بعثة إلى سوريا لإحضار أميرة سورية لتكون زوجة لملك مصر . وزادت علاقات المصاهرة في الأسرة الثامنة عشرة ويقال أن تحوتمس الثالث قد تزوج من أكثر من أميرة سورية . وامتلا قصر أبنة أمنحتب الثاني بجوار آسيويات ، ربما حضرن مع إحدى الأميرات التي تزوج منها الملك . وتزوج تحوتمس الرابع من أبنة ملك ميثاني ارتاتاما ، وقيل أن أباهما جادله في قيمة مهرها عدة مرات قبل أن يزفها إليه .

وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة الميثانية جيلوهيا ابنة شوتارنا التي وصلت معها ثلثمائة وسبعة عشر من أتباعها اختيروا من بين النساء الأكثر جمالا في الحريم الملكي .

وتزوج إخناتون من زوجات أخريات من بينهن أميرة ميثانية تسمى تادوهيا . وبعد توقيع معاهدة السلام بين رمسيس الثاني وخاتوسيل بحوالى ثلاثة عشر عاما ، جاء الملك الحيثي في زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معه ابنته لتصبح زوجة لملك مصر ولتبدأ بذلك صفحة جديدة من العلاقات .

سادسا : تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم ويزور قدراته في أكثر من مجال حضارى ، ونقصد هنا قدراته الذهنية والجسمانية معا وما حققه بفضلها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والعلمية والفنية وأساليب التربية ونظم التعليم . وتوصله في هذه المظاهر والمجالات إلى العديد من المعارف وأبدع فيها ووضع لبعضها أسسا عملية مما ساعده كثيرا في تحقيق الكثير من مظاهر حضارية عريقة تعد من أقدم الحضارات البشرية . فبالمعرفة والتجارب أنشأ المصرى القديم حضارته وبالعلم تطور بها وبقدراته ازدهر بها .

كان لدى الإنسان المصرى القديم طاقات هائلة ممثلة في استعداد فطرى للعمل والتعلم والبناء والتعمير . فكانت لديه القدرة على العمل ، فهو العامل اليقظ ، الدؤوب ، الصبور ، المتقانى ، صاحب الإرادة القوية . ولنا أن نتذكر ما سجله

تحتوي حنّاب فى نقوش مقبرته عن العمال الذين قاموا بسحب تمثاله الذى يزن أكثر من ستين طنا إلى داخل المقبرة :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .^(١)

كان لديه أيضا الوعي الكافي لى يعرف أغراضه فى الحياة ، وشارك ملوكه وحكامه فى الفهم والإبراك . وأن الملوك من جانبهم تزعّموا وحكموا شعبا واعيا وقادوا شعبا مؤمنا ببعيدته وبما عليه من واجبات وماله من حقوق .

كان لديه كذلك الفكر الأصيل ، فصنع حضارته بفكره الخاص ، ولم يدخله أى تأثير أجنبى ^(٢) . وشعر المصرى بأن هذه الحضارة حضارته ، وهذا ما جعله يسعى دائما إلى المحافظة عليها وعلى مظاهرها والتطور بها ، وكل ما حققه من مظاهر حضارية نجد أنه أسبغه بمصريته الأصيلة وبأفكاره الذاتية ، فكانت الأصالة المصرية فى جوهر الأشياء ، وكان التنظيم فى العمل وكانت الدقة فى التنفيذ ، وكان الإبداع فى الإخراج .

وأخيرا كان لديه فوق كل هذا الإيمان القوى ن فكان قلبه يفيض اعترافا بجميل المعبودات عليه وفضلها عليه وهبته من خيرات وهبات على هذه الأرض ، فبحث بإخلاص عن التقرب إلى المعبودات .

ونحن لا نقصد بهذا الكلام أن نشير إلى تفوق عنصر الجنس المصرى القديم على غيره ، فموضوع تفوق أو نقاء عنصر بشرى على آخر . ما هى إلا مفاهيم عنصرية حديثة ، لم تعرفها الحضارة المصرية القديمة خاصة . ولكن نقصد هنا الإشارة إلى مكونات الإنسان المصرى نفسه وقدراته من خلال النصوص التى

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne , p. 77 – 78 .

(٢) ذهب بعض المؤلفين إلى القول ، بأن بعض المظاهر الحضارية فى مصر كانت وافدة عليها من الخارج بسبب وفود الجانب ، فمثلا تطوير أساليب الرى وتجفيف المستنقعات عرفه المصريون من الخارج منكربن بذلك صفة الإبداع والأصالة المصرية ، راجع : د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٨٤ .

وصلت إلينا فى هذا الصدد . فكانت له عقائده الدينية فى الدنيا وما ترتب على ذلك من ظهور المعبودات والمذاهب الدينية والأساطير الدينية ، وشيد المعابد الرئيسية والمحلية ، وكان يتابع ويشترك فيما يودى فيها من طقوس وشعائر وأعياد دينية .

كما كانت له عقائد فى الآخرة والبعث والخلود وما ترتب على ذلك من عادات جنازية وعادات فى مراسيم الدفن وتقديم القرابين وأخذ يؤمن كل ذلك بالمتون والصيغ الجنازية والفصول الدينية المختلفة .

فى مجال المعارف والعلوم نجد ان المصريين القدماء كانوا من أوائل الشعوب التى اخترعت الكتابة واللغة . ولم يذهب أهل الفكر فى مصر القديمة فى عصورهم العتيقة بعيدا للبحث عن حروف لهذه اللغة ، بل نجد انهم اشتقوا حروفا لها مما هو موود فى بيئتهم من كائنات حية ومظاهر بيئية وكل ما كان يستخدمه الإنسان فى حياته اليومية من أشياء مادية منذ أقدم العصور ، واتخذوا من هذه الأشياء والعناصر رموزا أعطوا لها قيما صوتية وأصبحت تمثل حروفا هجائية . وكل ذلك يدل على حسن تصرف ومقدرة ونكاء ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد . ولكن نجد انه منذ ظهرت العلامات الأولى للكتابة المصرية فى الألف الرابعة ق.م ، نجد أنها مرت بعدة مراحل للتطور حتى استقرت قواعدها وزادت مفرداتها وتطورت أشكال الكتابة بها ، واستمرت هذه اللغة عدة آلاف من السنين وعاشت حتى دخول المسيحية مصر .

وهكذا نجد انه أثناء هذه الفترة الزمنية الطويلة من تاريخ مصر القديم وحضارتها ، كان بداخل هذه الحضارة أناس يتكلمون لغة واحدة ، يعبرون بها ويكتبون بها خطوط أربعة . وترك لنا المصريون القدماء ثروة لغوية ضخمة ممثلة فى تلك النقوش والكتابات التى نجدها على الآثار المختلفة . فنجد أن معظم هذه النقوش والكتابات سجلت بعبارة لغوية دقيقة نشعر من خلالها بقيمة كاتبها فالذى رسمها أو نقشها أو كتبها أو سجلها كان كاتباً فناناً أو كاتباً كان لديه شعور فنان . وبالفعل نجد ان الكاتب فى مصر القديمة ، كان عادة رساما ونقشا فى آن واحد . وكان الفنان سواء اكان رساما أو نقشا كانت تسيطر عليه روح الكاتب . فكان يتحتم

على الفنان أن يكون على علم تام بأصول اللغة وقواعدها ، وأن يلم بكل ما يقوم بتسجيله من أحداث دينية أو تاريخية . ولم تكن كل هذه المعارف بالأمر الهين . وربما كانت لديه أنماط من النصوص كان يقوم باقتباس أفضلها ويسجله كيفما يريد بطريقة متناسقة منظمة . ومما يدل على تمسك المصري القديم بلغته واعتزازه بها أنه على الرغم مما تعرض له تاريخه السياسى من فترات ضعف ودخول اليونان والرومان مصر وحكمهم فيها لمدة عدة قرون ، ألا إننا نجد الخط الهيروغليفى هو الخط الذى سجلت به جميع نصوص المعابد الرئيسية من العصر البطلمى-الرومانى وجميع النصوص الرسمية ، كما تمسك المصري أيضا بخطوطه الثلاثة الأخرى فى جميع كتاباته . ولم ينس مؤرخو وفلاسفة اليونان أن يذكروا أن " الكتابة مصرية النشأة " أى أن أول من اخترعها هو المصري القديم . كما شهد هيرودوت للمصريين بالسبق فى مجال النقش على الأحجار فيقول :

" أنهم أول من حفر الصور على الحجار " أى أنهم أول من عرفوا الكتابة بالنقش على الحجار . فهم لم ينقشوا الصور فقط على الأحجار بل نقشوا أيضا النصوص التى تتناول وصف وتفسير هذه المناظر وتحديد الغرض منها .

ولعل أفضل ما يبين أهمية معرفة اللغة والكتابة فى مصر القديمة هو أن أهل الفكر ربطوا بين هذه المعرفة للكتابة وبين مجموعة من القيم ، فيقول المعلم لتلميذه :

" الكتابة أعز عنده من ميراث فى أرض مصر ، وأعز من ضريح فى عالم الغرب " .

ولأهمية الكتابة أتخذ المصريون القدماء لبها معبودا ومعبودة وقدموا أدوات الكتابة .

كما يبدو أيضا أن اختراع أدوات ووسائل الكتابة قد حدث أيضا منذ أقدم العصور أى قبيل بداية عصر الأسرات . ومما ساعد على تطور الكتابة وتقدمها توافر المواد الصالحة للكتابة والرسم والنقش كالأحجار ، اللخاف ، الشقف ، قطع من شطف الحجر الجيرى الأبيض ، كسر الفخار (الأوستراكا) وأخيرا البردى . الذى

عرف الإنسان المصرى القديم صناعته منذ عصر الأسرة الأولى كما يدل على ذلك البرديات الغير مكتوبة التى عثر عليها داخل جراب فى مقبرة حماكا الذى كان وزيرا فى عهد خامس ملوك الأسرة الأولى (دن) .^(١)

وقد وصف بلينى ، ذلك الجغرافى اليونانى الذى عاش بين علمى ٢٣ - ٧٩ ميلادية ، استخدم البردى فى الكتابة بأنه :

" الأداة الرئيسية فى حفظ تراث الإنسانية والتاريخ " كما استخدموا المداد السود فى التسطير العادى ، وأما المداد الأحمر فكان يستخدم فى تسطير العناوين وأوائل المفردات . واستخدم المصرى القديم كأداة للكتابة قصبه من البوص .

ولهذا كانت الكتابة من أهم المعارف التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم ، وكان تسجيل الفكر بالكتابة فتحا كبيرا فى مجال الحياة الثقافية للحضارة المصرية وبالكتابة سجل ونقل المصرى القديم ما توصل إليه من مظاهر حضارية ، وبالكتابة أيضا سجل المصرى القديم أحداث تاريخه الطويل .

وترجع معرفتنا بالطب المصرى القديم إلى ما جاء فى النصوص الدينية على جدران بعض المقابر والمعابد ، وإلى ما جاء على لفائف البردى ، وإلى ما عثر عليه من الموميائات التى تم دراستها وتحليلها ..

ومن أهم لفائف او قراطيس البردى الطبية عشرة ؛ وهى برديات :

اللاهون ، ادوين سميث ، ابرس ، هرست ، برلين ، لندن ، كارلسبرج ، شستر بيتى ، ليدن ، ولندن - ليدن .^(٢)

وكلها تحتوى على وصفات فى أمراض النساء ومعالجة الجروح والجراحة العامة ، وأمراض القلب والشرابين ووظائف الأعضاء ، ووصفات لأمراض العيون ، وأجزاء عن الطب البيطرى .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٤٨ .

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٩٩ - ٢١٧ .

وهناك برديات طبية أخرى أقل شهرة لمعالجة أمراض الأطراف وتحتوى على تعاويز لحماية المرأة الحامل والطفل المولود .

وكانت هناك بعض المدارس لتعليم الطب ، ومن بينها مدرسة ايونو ومدرسة أنشئت فى سايس للموليدات اللاتى كن يقمن بدورهم بتدريس أمراض النساء للأطباء أنفسهم^(١) ، ومدرسة أيمحوتب بمنف التى اشتهرت مكتبتها الطبية والتى كان يتردد عليها الأطباء .، وكان يطلق على هذه المدارس اسم " بيوت الحياة " يقوم الكتبة المتخصصون فيها والذى كانوا على جانب كبير من العلم ، بنسخ المعلومات والإسعاف الطبية ، ويذكر ديودور الصقلى بان هذا التعليم كان ينقل من الطبيب إلى ابنه شفويا حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ومعارفه وتجاربه .

وكان ينظر إلى طبقة الأطباء فى مصر القديمة نظرة ملؤها التقدير والاحترام وكانوا ينقسمون إلى أربع فئات : الأطباء الكهنة ، الأطباء العاديون بكافة تخصصاتهم، والمساعدون، الأطباء البيطريون . وتوصلوا إلى معرفة أسباب بعض الأمراض المعروفة ، مثل الحمى ، والانكلستوما والذبحة الصدرية ، وشلل الأطفال ، وأمراض المعدة، وضغط الدم . وبلغ مجموع ما وصفوه فى بردياتهم ما يربو على ٢٥٠ مرضا باطنيات . كما عرفوا علاج الأمراض التناسلية وأمراض الرأس . وأمراض الأذن والأسنان والرئة والطحال والكبد والكليتين وأمراض العيون كالرمد والتهاب الجفون والكتراكت . وفى بردية ابرس مئات العقاقير التى خصص عشرها لعلاج أمراض العيون . وهناك نصوص أخرى تحدثنا عن بعض الأمراض وعلاقتها بالدم والإقرازات .^(٢)

ومارسوا الجراحة ، وعالجوا الجروح السطحية والكسور والخلوع والحروق والأورام . وأعدوا العقاقير المختلفة التى تتكون من مواد معدنية ومواد نباتية ومنتجات الحيوان وصفراء بعض الأسماك .^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٤ - ١٧٥ ، ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ - ٣٤٣ .

وعرفوا التحنيط لكي يحتفظوا بجسم الإنسان المتوفى أطول فترة ممكنة وحاولوا بقدر الإمكان المحافظة على الملامح البشرية لهذا الجسم ، وكان ذلك ضروريا لكي تتعرف الروح على هيئة جسم الإنسان الذي خرجت منه . ولهذا كان التحنيط ضرورة من ضروريات تحقيق البعث والخلود في العالم الآخر .^(١)

وعرفوا الكيمياء لصناعة الأدوية والعقاقير وإعداد وتحضير الألوان اللازمة للرسم والتلوين والتصوير والصباغة . كما نجحوا في إعداد الروائح والعطور والزيوت ن مما يدل على معرفتهم الجيدة بخواص المواد المعدنية والنباتات والأعشاب المختلفة .^(٢)

وعرفوا الرياضة (أى الحساب) للانتفاع بها في حياتهم الاقتصادية فتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها وحفر الترع وتحديد مواسم الزراعة والحصاد وعملية التبادل التجاري وجمع الضرائب العينية وتنفيذ المشروعات المعمارية الضخمة كانت كلها أمور تدعو إلى استخدام الرياضة فعرفوا الأعداد الحسابية العشرات والمئات والألوف وألوف الألوف . وكان المصريون ملمين بالنظام العشري في الحساب . كما عرفوا الجمع والطرح والضرب والقسمة وأيضا الكسور البسيطة والمعادلات الجبرية البسيطة .

وعرفوا الهندسة (فن العمارة) كما يظهر ذلك في المنشآت المعمارية الضخمة التي شيدها والتي تدل على أن التنفيذ كان قائما على عمليات حسابية وهندسية درست دراسة وافية . واستغل المصري القديم هذه المعارف فيما أخرجه من فنون وفيما قام به من صناعات وحرف .

وعرفوا الفلك فاهتموا برصد الأجرام السماوية ودراسة حركاتها في السماء وخاصة وأن صفاء سماء البلاد ساعدهم على ذلك . وأطلقوا على الكواكب والنجوم أسماء خاصة ورمزوا لها برموز الأقاليم المصرية . واتخذوا السنة النجمية وحدة

(١) عن التحنيط في مصر القديمة ، راجع : R. el Sayed ، في مجلة كلية الآثار العدد (٢) لعام ١٩٧٦ ، ص ٢٥٧ - ٢٧٠ .
(٢) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٤١ .

أساسية لقياس الزمن والتقويم ومقدارها ٣٦٥ وربع يوما . وابتكروا أيضا السنة المدنية على أساس السنة النجمية ، وهي مكونة من اثني عشر شهرا ويحتوى كل شهر على ثلاثين يوما يضاف إليها خمسة أيام تسمى أيام النسي تقام فيها الأعياد الدينية .

وهكذا نجد أن المصريين القدماء قد استخدموا تقويما فلكيا دقيقا منذ أقدم العصور وابتكروا السنة المدنية . وهذا يدل على أنهم عنوا بدراسة حركة الشمس الظاهرية وسط النجوم الثابتة واستنبطوا من ذلك طول السنة النجمية .

ومن المحتمل ان الذين اشرفوا على بناء الأهرام وآثار أخرى مثل معبد أبى سنبل قد استعانوا بالعاملين فى الأرصاد الفلكية وذلك لتحديد الاتجاهات الأصلية ولهذا نجد أن الأهرام أقيمت عند خط عرض ٣٠ شمالا وإن أضلاع قواعدها تتطبق على الجهات الرئيسية الأربع .

وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة : اثنتا عشرة ساعة للنهار واثنتا عشرة ليل . وكان لكل ساعة اسما معينا . كما استخدموا المزاويل فى قياس الوقت وكذلك الساعات المائية . واعدوا نتائج لتقويم الأيام وللأعياد الدينية والرسمية .

وعرفوا أيضا السحر والتعاويذ . وكان الطب يخلط أحيانا بالسحر . وكانوا يعتقدون أن أسباب بعض الأمراض ترجع إلى تأثير أرواح شريرة مؤذية . ولذلك يمكن أن يبرأ منها الإنسان بواسطة التعاويذ السحرية بعد معرفة طبيعة هذه الروح الشريرة ^(١) . ويعمل الكاهن على طردها بالرجاء مسرة وبالتهديد والوعيد مرة أخرى . وكان الإنسان يستعين بالسحر أيضا عندما يقف أمام مشكلة أو صعوبة ما ولا يمكنه التغلب عليها بالطرق الطبيعية أو بالتصرف الطبيعى . فكان يلجأ إلى تذليلها بطريقة السحر .

أبداع المصريون القدماء فى المجالات الفنية المتعددة ووضعوا لها قواعد

(١) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

صارمة وأنظمة واستعانوا فى بعضها بمعارفهم العلمية والنظرية مع الدقة فى التنفيذ وإخراجها فى صورة متناسقة جميلة . وترك المصريون القدماء من عمال ومهندسين ومشرفين بصماتهم فى مجال العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية عبر العصور المختلفة . فشيدوا المدن والقصور والمنازل ودور الحكومة والسدود والحصون والمعابد والمقاصير والمقابر والمعابد الجنائزية . كما كانت لهم بصماتهم فى فن الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة وفن التطعيم والفنون الأخرى مثل الموسيقى والغناء والرقص . وكانوا أول من اخترع النوتة الموسيقية .

كما اخترع المصريون القدماء فنون أخرى مثل ألعاب الحظ والفكر والتسلية ووسائل ملء أوقات الفراغ ، وعرف كذلك فنون الرياضة .

وأبدع المصريون القدماء أيضا فى مجال أدب وتركوا لنا ثروة أدبية ما زلنا نعجب بها على الرغم من مضى ما يقرب من أربعة آلاف سنة على كتاباتها ومن هذه الثروة الأدبية نرى إبداعهم وبراعتهم فى التعبير والإنسان وجمال الأسلوب وجودته وبلاغته وانتقاء المعانى الجميلة وبداعة التصوير ومساعدتهم على ذلك مرونة اللغة المصرية القديمة وسهولة التعبير بها . وما بلغت هذه اللغة فى مجال المجاز والتشبيه والكناية والتورية والبيان والبديع والتهكم الرائع ، وما شابه ذلك من قواعد اللغة فنجد انهم ألفوا فى الأدب الدينى ، ومالوا إلى كتابة القصة وهو نوع من الأدب كانت تفضله طائفة الملوك وجميع طبقات المجتمع الأخرى ، وكتبوا فى أدب الحوار وأدب النصيحة والتعاليم والحكم أى الأدب التهذيبى واقتبلوا عليه أكثر من إقبالهم على أى نوع من أنواع الأدب الأخرى . ومالوا إلى أدب النقد والتوجهات للتعبير عما فى نفوسهم من أحاسيس وعما كان يصيبهم من مآسى وأحداث نتيجة لتدهور الأوضاع الاجتماعية فى فترات الضعف السياسى . كما اقتبلوا على أدب المديح والشعر والأغاني التى كانت تفيض بالجمال وأرق المعانى . ومالوا كذلك إلى كتابة التراجم الشخصية وأدب المراسلات والخطابات . ومالوا كذلك إلى التعبير عن روح الفكاهة بالرسوم الكاريكاتيرية .

ونتيجة لهذه المعارف والعلوم والخبرات والتجارب والفنون والآداب اعتقد المصريون القدماء فى أهمية العلم أو التعلم الذى يساعد الإنسان على أن يسموا معنويا وروحيا وماديا . وأن الهدف من التعليم أسمى من أن يكون ماديا ، فكان له هدف روحى وهو بلوغ السعادة فى الدنيا ورضى النفس . وكان التعليم عندهم ضرورة من ضروريات الحياة . وعبر المصريون القدماء على لسان أصحاب النصائح والتعاليم والحكم والمعلمين فى المدارس عن تقديرهم وتبجيلهم للعلم والمعرفة .

ولهذا كانت هناك دور للتعليم فى المدن والأقاليم والعواصم ، وإلى جانب هذه المدارس التقليدية كانت توجد المدارس الفنية لتعليم الرسم والنحت والموسيقى والرقص . وهناك مدارس التربية العسكرية ، ومدارس الطب ، والمكتبات الضرورية لدور العلم .

وكان التلميذ يمر بعدة مراحل تعليمية حسب ظروفه وميوله واستعداداته ولهذا كانت تعد المناهج التعليمية يدرس فيها التلميذ الكتابة واللغة وقواعدها ، الأدب ، التربية الدينية ، التربية الخلقية ، الرياضيات ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرسم ، التربية البدنية . وكانت هناك طرق ووسائل للتقويم والتقييم .

سابعاً : احترام العمل وذويان ذاتية الفرد فى الجماعة وأصبح العمل " قيمة " فى حياة الإنسان المصرى القديم ، قيمة يمجدها الحكام أنفسهم وتحت عليها الحكم والتعاليم فكانوا خاضعين لنظام من الحكم يقوم على " التكافل الاجتماعى للجميع " والأيمان الشديد بحق كل إنسان فى المأكل والمأوى والأمن ، مادام يؤدي واجبه كفرد فى جماعة مترابطة محكمة التنظيم لا تخضع للسخرة ^(١) أو لحاكم جائر كما يعتقد البعض . ولم تكن المكافأة المادية تمثل قيمة كبيرة له ، فقد كانت المكافأة الحقيقية هى إحساسه بإجادة العمل والتفانى فى إنجازهِ . مما أصبح حياتهم بطابع التعاون المشترك وتنسيق الجهود وتنظيم الانتفاع بنتائجها . وأدى ذلك كله إلى

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٦ ، ص ٩٤ .

التجانس بين عناصرها البشرية وندرة الفوارق الجنسية بينها ونزع عنها رداء الفردية والأنانية . وكانت أولى الفضائل المعروفة عند العامل المصرى هو طاعة الرئيس والأمانة فى أداء واجبه وحسن التصرف .

حتمت البيئة فى مصر على أهلها أن ينهجوا فى حياتهم نهجا يقوم على التعاون الوثيق يهيمن عليهم النظام الدقيق^(١) . كما كان لدى المصرى القديم نزعة العمل الجماعى والتعاون المشترك . وقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك بين أفراد الجماعة نتيجة لإمكان انتفاع الكل بالمجهودات الجماعية فى عمليات الزراعة مع زيادة التعاون بين جماعة لاستصلاح المزيد من الأرض واستغلالها ازداد الميل إلى التجمع بين الجماعات فى سبيل حماية المناطق المزروعة ودرء أخطار الفيضانات عنها .

وقد أدت روح العمل الجماعى إلى نجاح المصرى القديم فى التغلب على الكثير من الصعوبات التى واجهته وأظهر موهبته ومهارته وإبداعه فيما أخرجته يده . وهذا ما جعله يقطع شوطا كبيرا فى تحقيق الكثير من المظاهر الحضارية فى مختلف العصور بفضل روح التعاون الجماعى . وهذا ما جعله أيضا يحقق الكثير من المعجزات والمنجزات .

لقد أدرك المصرى القديم نعمة البيئة التى وجد فيها فالنيل يسير بانتظام فى الوادى ويفيض كل عام فى وقت محدد ومعه ينتشر الخصب وتكثر المحاصيل وتتمو الماشية وتنتشر القرى والمدن . ونتيجة لإدراكه قيمة هذه النعم التى اعتبرها منحة من المعبودات كرس نفسه للعمل الشاق والمتواصل خلال العام . فجزء منه أعطاه للأرض وجزء آخر أعطاه لخدمة المعبودات والملك فى بناء الأهرام والمعابد وكل المنشآت الملكية وحتى منشآت كبار الشخصيات .

فمنذ أقدم العصور ارتبط أداء المصرى بنوع من النظام . فقد تحولت حياته

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١١٧ .

فى وادى النيل من التجول إلى الاستقرار وتعلم الزراعة منذ العصر الحجرى الحديث . وتعلم الزراعة دفعه إلى مراقبة النيل وارتبطت حياته الزراعية بهذا النهر فبدأ ينظم حياته على أساس أن النيل يفيض فى وقت معين ، وإذا فاضت مياهه ، هجر عمله فى الأرض الزراعية ، وبدأ يفكر فى عمل آخر بديل حتى لا يفقد طاقته هذه ، فكان يذهب للعمل فى مشروعات الدولة .

فطبقا لأسطورة أوزير ، فبعد أن يغطى الفيضان الأراضى الصالحة للزراعة يجب إعداد الأرض حتى يخرج النبات فيحيا ويأتى بالثمار ، على شريطة أن يسود القطر النظام (١).

كما أن تعلم الزراعة دفعه إلى التعاون مع من حوله من الناس . أى أن النيل كان منذ أقدم العصور محور كل شئ فى حياته . ولاشك أن الإنسان المصرى القديم بوعيه قد أدرك منذ البداية الدور الكبير الذى يلعبه هذا النهر فى حياته .

وبفضل النيل تعلم الإنسان المصرى القديم النظام كما ساعد النيل على تجبير الطاقات فى داخله وفرض عليه التجمع والعمل المشترك . فأعد الأرض الزراعية فى وقت منتظم واخذ يراقب ارتفاع منسوب المياه فى النهر ويخترع الوسائل لقياس هذا المنسوب ، كما أخذ يبنى السدود ويحفر الترع ويشق القنوات ويخترع آلات الري لرفع مياه النيل ، واتخذ من طميه مادة لصناعة الطوب ليبنى مسكنه ، ومن طميه صنع أيضا أوانيهِ الفخارية ، ومن النباتات التى تنمو على ضفافه صنع الفلك التى ينتقل بها على صفحاته من مكان إلى مكان .

وأصبح العمل "قيمة" فى حد ذاته فى حياة المصرى القديم ، قيمة يمجدها الحكام أنفسهم وتحت عليها الحكم والتعاليم . وكان المصرى القديم مدركا لهذه القيمة . والعمل بالنسبة له "عطاء ومقدرة وتحمل" فقد أطلق المصريون القدماء على العمل كلمة "كات" وأعطوا لها رمز رجل جالس يحمل فوق رأسه حملا قد يكون وعاءا تحمل فيه الرمال . ويمكن لنا تقريـب كلمة كات من كلمة "كا" بمعنى "طاقة

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

أو فاعلية أو نفس فاعلة أو إرادة حسنة أو نشاط أو فن^(١) ، وكانوا يصنعون تماثم على هيئة علامة " الكا " لهذا نجد انه أثناء محاكمة الإنسان في عالم الآخرة عليه أن يعترف بأنه أدى عمله على وجه الأكمل فيقول :

" لقد أحسنت عملي في (بلدي) مصر " (٢) . ومن هناك كانت الجدية في العمل وقوة العزيمة، وكانوا يؤدونه أيضا بنوع من الحيوية والتقوى الغير مسألوفتين والغير معروفتين عند أهل المجتمعات الأخرى في الحضارات القديمة المجاورة . كما أن العمل في مجموعات متأثرة متعاونة كان السبب في تعارفهم وقوادهم .

ولم يعرف المصري القديم الملل ولم يركن إلى الراحة ، فقد شيد بنشاطه الجرم وقوة عزمته والعمل في جماعة صرحا من الآثار المادية ظهر أن الزمن عجز عن محوه محو تاما . وقد أقام هذا الصرح من العمانر المختلفة بأبسط الوسائل المادية والمعدات مما يصعب تحقيقه في عصر الآلة والإمكانيات المادية والتقدم التكنولوجي في عصرنا الحالي .

وتلك العزيمة والصبر وحب العمل وتقديسه^(٣) والعمل الجماعي كانت من سماتهم منذ أقدم العصور حتى آخر عصور تاريخ مصر القديم ، ولم تكن هذه السمات وليدة عصر معين واختفت بعد ذلك .

وكان يجب أن نركز هناك على هذه النقطة وهي روح العمل الجماعي هذه التي كانت تعتبر ركيزة من ركائز الحضارة المصرية . ومنذ أن أدرك الإنسان أن قوته في قوة الجماعة وأن أمنه مرتبط بها وازدهاره مرهون بغناها وتطورها فنزع من نفسيته رداء الفردية والأنانية والذاتية وأصبح عضوا في الجماعة .

(١) لكل هذه المعاني راجع : Meeks, Alex. I, p. 394 – 395; 11 p. 394 – 395; 111, p. 306 – 307 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

(٣) أن حب العمل وتقديسه نجده مجسدا في التعبير dw? k?t " تقديس العمل " الذي ظهر في نصوص عصر الرعامسة ، راجع : Meeks, Alex. 111, p. 335 – Kitchen, RI 11, 361, 12 . وأيضا التعبير k3t nt hrt ib .f

العمل طبقا لرغبته = Meeks, Alex. 111, p. 307

ومن العوامل التي ساعدت على تقديس العمل والعمل الجماعي ، هو وجود السلطة الحاكمة الواعية التي استشفت الموهبة الكامنة في روح أفراد شعبها وعملت على تفجير الطاقات الحيوية فيها . كما قامت السلطة الحاكمة بتبني العناصر الفذة ذات المواهب المتعددة من أبناء هذا الوطن وأسبغت عليهم كل ألوان التشجيع المادى والمعنوى ، وكان الملك يقوم بنفسه بتفقد الأعمال فى منشآتته المعمارية والتحدث إلى العمال وإسباغ الهبات والهدايا عليهم فى المناسبات . واستجابت بقية أفراد الشعب لهذا التقدير وانسأقت تحت هذه القيادات الفذة الذكية التى أحسنت توجيه أفراد الشعب فكان أحسن توجيه ، كما تكلفت السلطة الحاكمة بحماية الحقوق وفرض القوانين كما رسمتها أنماط مظاهر الحضارة المصرية القديمة فى العصور المختلفة . ويقول عنه شاشنقى :

" أعط الشغال (أو العامل) رغيفا تأخذ رغيفين من كتفيه " (١) هذا إلى جانب توافر مناخ الاستقرار السياسى فى أغلب العصور مما حقق للإنسان والعامل والفنان المصرى القديم نصيب من الأمن والأمان فى مجتمعه مما دفعه إلى العطاء والإبداع فيما اخرج وجعله يسعى ضاربا فى أرجاء الأرض على حد قول إخناتون :

" يستيقظ القطران ويشبان على قدمها ، لأنك أنت بلا شك مانح هذه اليقظة فيهما ، فيبادر أهلها إلى غسل أطرافهم وارتداء ثيابهم ، وأكفهم ممدودة إلى أعلا يقدسون صباحك ، ثم يسعى كل حى إلى عمله ضاربا فى أرجاء الكون " (٢) .

وليس أمامنا إلا نعجب أولا بما اخرجوا من أعداد لا تحصى من الأوانى الجميلة من مختلف أنواع الأحجار وأصلبها فى عصور ما قبل الأسرات وبداية الأسرات ، والتي صنعت بمهارة فائقة ودقة وإتقان بالغين .

وليس أمامنا إلا أن نحنى رؤوسنا ثانيا إجلالا وتقديرا أمام تلك المنشآت المعمارية الضخمة التى أقامها المصريون القدماء منذ عصور الدولة القديمة

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

والوسطى والحديثة والممثلة فى أهرام الجيزة وخاصة إذا علمنا أنهم لم يستخدموا فى إقامتها سوى العقل والزلاقات وبناء الجسور من الطوب اللبن وربما وسائل أخرى نجهل كنهها . والممثلة أيضا فى تلك المقابر الملكية المحفورة فى الصخر وخاصة فى منطقة البر الغربى فى طيبة ، التى تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة وملتوية تارة أخرى ، قد يصل طولها أحيانا إلى أكثر من مائة متر منحوتة فى باطن الصخر ، وتؤدى فى النهاية إلى حجرة الدفن . مثل مقابر تحوتمس الأول ، وتحوتمس الثانى ، وتحوتمس الثالث ، وأمنحتب الثانى وتحوتمس الرابع ، سبتى الأول . والممثلة كذلك بهو الأساطين الكبير فى الكرنك الذى بدأه رمسيس الأول وسبتى الأول ورمسيس الثانى . وهو أضخم بهو من نوعه فى العالم القديم . أراد المهندسون الذين خططوا هذا البهو أن يجعلوا فى وسطه ممرا واسعا تعبده المراكب الدينية والرسمية التى تزور معبد آمون وخلال أعياده الدينية فى هيئة كبيرة . فشيّدوا فى سبيل إظهار هذا الممر الأوسط وفى سبيل تحديده ، صفين هائلين من أساطين حجرية ضخمة شاهقة ، يتجاوز ارتفاع كل اسطوان منها عشرين مترا ويبلغ قطره أكثر من عشرة أمتار .

وأقام الفنانون تماثيل ضخمة هائلة فى معبد الرمسيوم من عهد رمسيس التى كانت تقام أمام المدخل وتمثل الملك جالسا ، ويبلغ ارتفاعها حوالى ثمانية عشر مترا تقريبا . وهى منحوتة فى كتلة واحدة من الجرانيت الذى يستجلب من الجندل الأول ويبلغ وزنها أكثر من ألف طن .

وكل هذه الأعمال كانت تستلزم أعدادا كبيرة من العمال والنحاتين . والممثلة أيضا فى تلك المعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة وأهمها معبدى أبو سمبل ، وخاصة المعبد الكبير الذى حفر بعمق ثلاثة وستين مترا داخل الصخر . ونحتوا فى واجهة المعبد أربعة تماثيل هائلة ضخمة لرمسيس الثانى يزيد ارتفاع كل منها عن تسعة عشر مترا . وجعلوا محور المعبد مستقيما من الشرق إلى الغرب حتى تصافح أشعة الشمس التماثيل المقدسة الأربعة الموجودة فى قدس الأقداس وهو أعرق مكان فى المعبد ولاسيما تماثيل معبود الشمس رع حور آختى والملك نفسه وآمون رع وبتاح ومن القاعة الطولية يدخل ضوء الشمس إلى القاعة العرضية ثم إلى قدس

الأقداس الذى يتعمق مكانه فى قلب الصخر بنحو ١٨٠ قدما . وقد وضع التصميم الهندسى لهذا المكان العميق طبقا لقواعد فلكية دقيقة تتيح لأشعة الشمس أن تدخل إليه مرتين فقط كل عام :

(١) فى اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير (يوم مولد رمسيس الثانى) ؟ .

(٢) وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر أكتوبر (يوم تتويجه) ؟ .^(١)

وعلى الرغم من بعد هذا المعبد ما يقرب من ألف ميل عن عاصمة الملك رمسيس الثانى برعمسيس فى شرق الدلتا ، وحوالى ٢٨٠ كم جنوبى أسوان والبيئة الفقيرة البعيدة القاسية فإن المهندس المعماري الذى أشرف على العمل وكذلك العمال المصريين قد أتموا عملهم بنوع من الإتقان والدقة فى كل ما نحتوه ونقشوه ولونوه بإمكانيات عصرهم وما أتيح لهم من معدات وأدوات .^(٢)

وقد غمرت مياه السد العالى موقع هذين المعبدين كباقي معابد بلاد النوبة حيث تضاعفت جهود العالم لإنقاذ هذه المعابد واشتركت عن طريق منظمة اليونسكو فى دفع نفقات مشروع أساسه تقطيع صخور هذين المعبدين إلى أجزاء يسهل نقلها وقد بدأ التنفيذ فى يونيو ١٩٦٤ وانتهى فى سبتمبر ١٩٦٨ .^(٣)

وكما ذكرنا من قبل أن وراء هذه المنجزات الضخمة سواعد الفنانين والصناع والعمال المصريين والرأس المخطط والمدير من طبقة المهندسين المعماريين من أمثال إيمحوتب الذى أشرف على المجموعة الهرمية الرائعة للملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة بسقارة ، والتي تشمل الهرم المدرج وملحقاته . ولاشك فى أن وراء بناء هرمى سنفرو بدهشور شخصية مهندس مجهول لا نعرفه حتى الآن . أما هرم خوفو فنعرف أن الذى أشرف على بنائه حم ايونو والذى ربما كان يمت بصلة قرابة

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١٦٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، ص ٧٢ .

لخوفو . ومن عصر الدولة الحديثة نعرف المهندس المعماري انيبي الذي أشرف على نحت مقبرة تحوتمس الأول ، وسنموت الذي أشرف على المعبد الجنائزي للملكة حاتشبسوت في الدير البحري . وأمنحتب بن حابو الذي شيد المعبد الجنائزي للملك أمنحتب الثالث في البر الغربي وكذلك معبد الأقصر .

واحتفظت أجيال المصريين بذكرى إيمحوتب قرونا طويلة ، وجعله المتعلمون في الدولة الحديثة على رأس أهل الحكمة والتعاليم ، واعتبروه من رعاة المتقين ، واستحبوا أن يسكبوا قطرات من الماء من الأواني الصغيرة المتصلة بمحابرهم مع التمتعه باسمه ، تبركا به كلما بدأوا بكتابة أمر خطير . ثم زادوا قدسوه في عصورهم المتأخرة واعتبروه ولدا للمعبود بتاح رب الفن والصناعة . وأخيرا ذكره الإغريق المتمصرون باسم ايموتس واعتبروه معبودا للشفاء .^(١)

كما ذاعت أيضا شهرة امنحتب بن حابو مهندس امنحتب الثالث وترتب على سمعته الطيبة أن قدسه المصريون بعد وفاته واعتبروه من المعبودات ثم عبدوه في عصورهم المتأخرة وشاركهم الإغريق في تأليهه ، وقدسوا أمه وصورها على هيئة المعبودة مشات راعية الكتابة والحساب . وأعادوا بناء مقصورة شعائره في غرب طيبة وأحالوها إلى معبد كبير ، وجمعوا بينه وبين إيمحوتب وخصصوا لهما مقصورتين في المسطح العلوي من معبد حاتشبسوت بالدير البحري ، وشادوا بكرماته في قضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم إذا باتوا في معبده ، ثم جمعوا بينه وبين ملكة في أسطورة سموها " تنبؤات الفخراني " .^(٢)

وذلك يبين مدى المكانة التي كانت تحتلها بعض شخصيات كبار الأفراد ، وذلك على عكس الظن الشائع باختفاء شخصية الفرد المصري إلى جانب قدسية

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩١ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٧٨ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، ١٦٤ وعن هذه الشخصيات الشهيرة راجع الدراسات التي قمنا بها عنهم : R. el Sayed في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٤ لعام ١٩٧٧ ، ص ٥٠ - ٥٢ ، ٥٥ ، والعدد ٢٦ لعام ١٩٧٩ ، ص ٢٣ ، وراجع أيضا : Wildung, Imhotep und Amenhotep p. 42 - 64 .

ملكه . ولم تقتصر مجهودات العمال المصريين على المنشآت المعمارية الخاصة بالملوك ، بل نجد أنهم بذلوا المجهودات نفسها بالنسبة للآثار التي كانت تقام لكبار الشخصيات فمن أهم مقابرسقارة وأكبرها حجما واجملها نقوشا مقبرة مري روكا ، فهي فريدة بين مقابرسقارة وغيرها من مقابر الدولة القديمة في فخامتها وعدد حجراتها إذ يبلغ طولها ٤٠ مترا وعرضها ٢٤ مترا ، ولا يقل عدد حجراتها عن ٣٢ ومشيدة كلها من الحجر^(١) . وكذلك مقبرة منتومحات الكاهن الرابع لآمون في عصر الأسرة الخامسة والعشرين ، والتي حفرت في الصخر في البر الغربي في طيبة^(٢) .

ومما يؤكد هذه الروح في العمل والتعاون هي القصة التي سطرها لنا أحد حكام الأقاليم الذي يدعى " تحوتى حتب الثانى " في نقوش مقبرته في البرشا من عصر الدولة الوسطى ، والتي يحكى فيها قصة اشتراك ١٧٢ رجلا من بينهم مأجورين ومجندين ومتطوعين^(٣) . جاءوا من غرب وشرق إقليم الأرنب ، جاءوا بنوع من الرضى ، ولهذا يكرر تحوتى حتب هذه الصيغة أمام كل مجموعة من الأفراد ، وحضروا لى يشتركوا فى سحب تمثال له من المرمر أنن الملك له بإقامته فى مقصورته مقبرته فى الجزء الذى يعلو سطح الأرض ، وقد بلغ ارتفاعه ما يقرب من ستة أمتار وثلاثة أرباع المتر ، وبلغ وزنه حوالى ستين طنا وكان من بين المتطوعين لسحب هذا التمثال رجل هرم كان يستند على كتف طفل ، ويقول تحوتى حتب فى نصوص مقبرته تعقيا على هذا الحدث :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة ، وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٦٥ .

(٢) R. el Sayed مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٢٦ لعام ١٩٧٩ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٣١٩ شكل ٣٢٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٦٦٨ - ٦٦٩ .

ولعل فى الكلمات التى وجهها الملك خيتى الثالث (أو الرابع) لأبنه مريكارع من العصر الالهناسى ما يشير إلى هذه الروح أيضا والحث على العمل بجدية ونشاط ونبذ الكسل والخمول فهو يقول :

" واحترم حياة مملوءة بالنشاط ... ولعل يدك لا تصبح عاطلة ، ولكن اقبل على عملك منشرجا ، فالتراخى يقضى على السماء نفسها " (١).

وتظهر هذه الروح أيضا فى النقوش الى تسجل مراحل البعثة التى أرسلتها الملكة حاتشبسوت إلى بلاد بونت . فكانت هذه الحملة التى ذهبت عن طريق البحر الأحمر مجهزة فيما يبدو بمجموعة من الفنانين الرسامين الذين قاموا بدور " المشاهدين " والذين كتبوا أدق تقرير علمى مصور ناطق ، فى بلاد بونت ، سواء من الناحية الطبيعية أو البيئية ، ومن ناحية جغرافيتها البشرية والأجناس المختلفة التى تسكنها ، وتقاليدها وعادات أهلها الذين يعيشون هناك . وهذا بالإضافة إلى دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والأحياء المائية فى البحر الأحمر (٢).

وقد ذكرنا فيما سبق مقولة على مبارك فى أن سعادة مصر مؤسسة على عاملين مهمين :

الأول : " بذل همم أهلها ، وطرح أنقال أسباب الكسل والفتور عن كواهلهم " .

والثانى : " اتباع القوانين المنتظمة التى لا يتطرق إليها الخلل " .

ثامنا : ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم فتحقق الإلتقان وأعظم المنجزات والمعجزات ، ونرى هذا التخطيط السليم القائم على دراسة وعلم وكذلك التنفيذ الدقيق فى أكثر من مجال وفى مجال العمارة نراه فى بناء الأهرام وحفر مقابر الملكية فى البر الغربى فى طيبة وحفر معابد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة وحفر السراذيب

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦١٩ .

(٢) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١١٢ .

(٣) راجع فيما سبق ، ص ٢٣٨ وحاشية (٣) .

الطويلة تحت سطح الأرض فى سقارة وفى تونا الجبل والممرات أسفل الهرم المدرج والهرم المدفون فى سقارة . وفى مجال اختراع الألوان والتخطيط ووسائل الإضاءة وفى مجال الطب والفلك والرياضة والحساب ، وفى مجالات الفنون المختلفة وأليس العمل (k3t) نوع من أنواع الفن ، وعمل المعبود نفسه هو فنه ، لذا ارتبط مفهوم العمل بالفن والتخطيط السليم .^(١)

تاسعا : قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين أفرادهِ روابط وعادات وتقاليده راسخة مما جعل المجتمع فى منأى عن المشاكل والانحرافات التى تعرفها المجتمعات المعاصرة . فمصر القديمة كانت تعتر بتقاليدها المتوارثة ، التى تنظم حياة المجتمع عاملة والأسرة خاصة ، حتى بدت لنا هذه التقاليد وكأنها تضارع الأهرام فى رسوخها وثباتها^(٢) . ويجب أن ندرك كذلك أن الاحتفاظ بهذه التقاليد يرجع إلى سيطرة الديانة على عقول المصريين القدماء ، فكان لها أثر كبير فى حياتهم ، ووقفت حائلا أمام كل تقليد أو عادة أجنبية قد تتسرب إلى المجتمع المصرى نتيجة لاتصالات مصر بالشعوب الأخرى ، ولا تتفق مع التقاليد المجتمع المتوارثة أو قد تؤثر عليها بطريقة سلبية ، ولهذا ظلت تقاليدهم وعاداتهم الأصيلة المتوارثة هى السائدة طوال فترات تاريخهم وانصهر كل ما هو خارج وغريب عنها فى بوتقة هذه الأصالة المتأصلة .

تدل النصوص على أن الأسرة كانت أساس المجتمع فى مصر القديمة ، وكانت تسود كل أسرة الروابط الأسرية التى تحكمها صلات الرحم والود والاحترام والوفاء وقد أهدت الأسرة المصرية القديمة للمجتمع المصرى خير عناصره . وكان الآباء حريصين على أن يجعلوا من فلذات كبدهم لبنات قوية فى البناء الاجتماعى وأحجار صلبة فى أساسه . فأعطت الأسرة المصرية الأبناء الأوفياء والقادة والحكام الذين بنوا فأحسنوا البناء ، وأعطوا لمجتمعهم ولبلادهم فكان خير عطاء .

(١) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. 111, p. 308

(٢) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٣ .

كان يسود الأسرة الواحدة عدة فضائل . وكان المصريون احرص الناس على إقامة علاقات زوجية ناجحة وموفقة ، فحرص كل مصرى على إسعاد زوجته ومعاملتها بالحسنى ورعايتها والمحافظة عليها . فأغلب المصريين كن زوجات مثاليات صالحات وأمهات طيبات . وعرفت الزوجة المصرية بالطاعة وحسن العشرة والوفاء والحنو الصادق والبر الخالص والسيرة الطيبة الحسنة ، فهي تبذل كل ما فى وسعها لرعاية زوجها وتدير شئون حياته . كما كان المصريون أزواجا أوفياء ذوى طبيعة خيرة . وكان الزوج لا يتوانى فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل إسعاد قلب زوجته وإدخال السرور عليها بكل ما هو طيب . وكان يحرص على توفير سبل الراحة المادية والمعنوية لها . وقد حثت الصيغ والنصوص التى جاءت فى بعض التعاليم على أهمية المحافظة على العلاقات القوية التى تربط بين الزوجين . ويقول بتاح حتب فى سياق حديثه لولده :

" إذا أصبحت رجلا معروفا ، فتزوج وأحب زوجتك كما يليق لها ، قدم لها الطعام واستر ظهرها بالملابس فأفضل دواء لأعضائها هو العطر الطيب ، فاسعد قلبها ما حييت ، إنها حقل خصب لولى أمرها ... ولا تنههما عن سوء ظن ، ... " (١)

ويقول أنى :

" كن كريما مع من فى منزلك ، لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلها إذا كنت تعرف إنها ماهرة فى عملها ... " (٢)

وكان الزوج يحرص دائما على مناداة زوجته ، كما كان الحال قبل الزواج ، بلفظ " يا أختى " وليس " حمت " بمعنى زوجة ، وتتاديه هى أيضا بلفظ " يا أخى " . وكان الآباء ملتزمون بتربية أولادهم تربية فاضلة ، وإذا فحصنا فقرات من التعاليم والنصائح والحكم نجد أن جزء كبير منها يحث على واجبات الأبناء نحو الوالدين ، من حب للوالدين واحترامها وطاعتها والعطف عليهما عند الكبر والبر بهما والإحسان إليهما ، والترحم عليهما بعد الوفاة . فيقول خيتى بن دواواف لابنه :

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٤٨ .

" أحبب الكتب كحبك لأمك ، فليس فى الحياة ما هو أغلى منها " (١) ويقول
أنى أيضا لولده :

" أطع أمك واحترمها ، فإن المعبود هو الذى أعطاهما لك " . " ضاعف
الخبز الذى يجب ان تعطيه لأمك وأحملها كما حملتك . وهى كم من مرة اعتنت بك ،
ولم تتخل عنك . وعندما وضعتك بعد شهر من حملك أعطتك ثدييها فى فمك لمدة
ثلاث سنوات بصبر ووضعتك فى المدرسة وبينما (كانوا) يعلمونك الكتابة كانت
هى تنتظرك أثناء غيابك كل يوم بالطعام والشراب من منزلها . والآن وأنت فى
زهرة العمر واتخذت لك زوجا وصار لك بيتا اتجه بنظرك إلى الطريقة التى تربيته
بها والتى تغذيت عليها ، فإن كل (هذا) من عمل أمك فلا تجعلها تلومك حتى لا
ترفع يديها نحو المعبود (شاكية) فيستجيب لشكوها " (٢).

ونقرأ فى تعاليم بتاح حنن من الأسرة الخامسة ، ما يجب أن يقوم به الابن
نحو أبيه :

" كم هو جميل أن يطيع الابن أباه " " ما أجمل طاعة الابن المطيع فهو يأتى
ويستمع مطيعا ، إن الطاعة هى خير ما فى الوجود . إن المطيع هو رجل كامل فى
نظر الكبار ، فإذا تقبل الابن كلام أبيه بقبول حسن وتبته وأطاع ، فإن الابن سيكون
حكيمًا وتصبح أعماله موافقة " .

ويجب اتخاذ الأب قدوة حسنة يقتدى بها ، وفى هذا المعنى يقول :

" ما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة " (٣) وكما
حث الحكيم أنى ابنه على العناية بأمه فى كبرها وأن يحملها كما حملته نجد أن كبير
كهنة آمون امنمحات الذى عاش فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، يحدثنا عما يفعله
مع أبيه المسن ، فيقول :

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٥٦٣ .

" كنت عصا الشيخوخة لأبى عندما كان حيا . اذهب واجئ طبقا لأوامره ،
لم أخالف كلام فمه قط ، ونفذت بعناية كل ما كلفنى به ، ولم أهمل التعليمات التى
أعطانى إياها ، ولم أنظر إليه بحده ، ولكن كنت اخفض رأسى عندما يتحدث إلى ،
ولم أتفاخر بعمل (شئ) لم يكن على علم به " .^(١)

وبعد وفاة الوالدين كان على الابن الأكبر أن يكون وفيا لذكراهم . وذلك
بإقامة النصب تخليدا لذكراهم أو تقديم القرابين باسمهما فى الجبانة كما تشير بذلك
بعض الصيغ فى نصوص الدولة القديمة ، التى تشير إلى صفة التراحم هذه ، فتقول
بعض هذه الصيغ :

" إلى أبى وأمى ، أنا فعلت هذا لهما بعد أن دخلوا فى الغرب (أى توفيا) "
" أدى الطقوس للمعبود من اجل أبيك وأمك اللذين وضعاك على طريق
الأحياء (أى الحياة) " .

" قدم الماء (المقدس) لأبيك وأمك اللذين يرقدان فى الوادى
(الجبانة) " .^(٢)

عاشرا : التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التى كانت ثابتة الأركان
فى حياة المصريين القدماء وكان لها أثر كبير فى تركية نفوسهم وتمسكهم بالمبادئ
والفضائل . وكان لها تأثيرها المباشر أيضا فى حياتهم وسلوكهم ، حتى انه يمكن
القول بأن حضارتهم من زاوية معينة - تعتبر فى المقام الأول - حضارة أخلاقية .
وكانت أولى الفضائل طاعة الوالدين والرئيس والقدرة على حفظ اللسان فى كل
المناسبات ثم أدب الحديث وحسن التصرف فى المجتمعات والأمانة فى أداء الواجب .
ولما كان شعب مصر القديم يتحلى بهذه الصفات فإن هذا يفسر أسباب ازدهار واحدة
من اقدم الحضارات التى عرفها العالم حتى اليوم .

(١) Gardiner, The tomb of Amenemhat, ZAS 47 (1910), p. 87- 99;
R. el Sayed ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥ لعام
١٩٧٨ ، ص ٥٤ .

(٢) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى ، كما قمنا بدراسة صيغ التراجم هذه فى :
Melanges Gamal Mokhtar, BdE 97 11 (1985), p. 271 – 292 .

اعتمدت حضارة مصر القديمة على القيم الخلقية التي كانت ثابتة ومستقرة في نفوس الناس يعملون بها ويحافظون عليها ويتمسكون بها في صدق وقناعة ، فارتبطت حضارة المصريين القدماء بالديانة والقيم الخلقية يكمل كل منهما الآخر فالتسلح بالديانة والتحلى بالمثل الخلقية السائدة أعطيا للمصرى القديم قوة دفع كبيرة جعلته يقيم سياجا من القيم حول حضارته وبذلك جمع بين ما هو روحانى والسلوك والأخلاق . وحين تتجرد حضارة أمة من سياج الأخلاق فذلك يعنى ان آفة كالسوس بدأت تتخر فى كيانها . فالقيم هى حماية للقوانين وتطبيق لها من الناحية المعنوية بل إنها كذلك من أهم العوامل فى استمرارها وبقائها متماسكة لأطول فترة ممكنة .

كان الآباء يربون أولادهم على مبادئ الرجولة وفضائل الأخلاق وآداب السلوك وحسن المعاملة فى أثناء التربية المنزلية . وليس أدل على ذلك من أن كتب ومؤلفات المصريين فى التربية قد صيغت فى أسلوب النصائح والتعاليم ، يزود بها الآباء أبناءهم ، وفيها ثروة من تجاربهم فى الحياة التى عرکوها وسجلوا هذه النتائج ما ينير سبل الحياة لأبنائهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء التمسك بها كما كانوا يحثون أبنائهم على التسلح بالإيمان والتقوى . وصلات الرحم كالبر بالوالدين وحسن معاملة الزوجة واحترام الغير والتسامح والتواضع والاستقامة واتباع طريق العدل والعطف على الآخرين والمحافظة على الأسرار والأمانة والإخلاص والصبر وحسن اختيار الأصدقاء وغير ذلك من القيم والآداب والسلوكيات . وبمثل هذه القيم والآداب حرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء فى الصغر قبل أن يغادروا المنزل إلى دار الحياة الكبرى حتى يصبحوا مدربين على حسن المعاملة والسلوك ويستطيعوا أن يتكيفوا مع الآخرين فى جو من المحبة والصداقة والنضوج والوعى .

والعقيدة هى الأساس فى قيام نظام أخلاقى متكامل لأن الخوف من العقاب والطمع فى الثواب هما الأساس فى الامتناع عن المحرمات والالتزام بالطاعات والعدالة .

ولا توجد حضارة عبرت عن القيم والعدالة بقدر ما عبرت عنها الحضارة المصرية . وذلك لأن رسوم ونقوش آثارها تعبر عن أعماق ونزعات إنسانية متعددة وكان شعبها أكثر الشعوب إنسانية وأكثرها احتراما لحياة البشر من أي بلد آخر فى

العالم القديم . وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسمها ونقوشها ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لهذه القسوة فكل شئ مصور بطريقة هادئة وملائمة ومناسبة ومحبية إلى النفس . وتصور لنا النصوص الأدبية المعانى والقيم الإنسانية والسلوكيات والآداب التى كان يتبعها المصرى القديم وقد سبق أن أشرنا إلى الروابط التى كانت تربط بين أفراد الأسرة الواحدة الابن نحو والديه ونحو أفراد عائلته ونحو الآخرين فى مدينته ومجتمعه ككل .

وعندما نادوا بالتعاليم والحكم كانوا يطبقونها بحزم ، وكان المصرى القديم فخورا بفضائله . وكان مسئلة يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة ما حثت عليه مبادئ الديانة وما نادى به أهل الفكر والكهنة من تعاليم وحكم ومبادئ وقيم .

ونجد صدى لهذه المعانى فى مختلف النصوص . وقد عبر عنها أكثر من فرد من طبقات المجتمع . فنجد هذه المعانى فى النقوش التى تخص سير كبار الشخصيات من حكام أقاليم وقواد ونبلأ وكبار كهنة ، وكهنة عاديون ، وأيضا فى بعض النصوص التى تخص الأشخاص العاديين .

ركز أهل الفكر وأصحاب التعاليم والحكم فى وصاياهم على عدة فضائل خلقية ، وكان المعلمون يختارون من هذه التعاليم العبارات والجمال التى تحت التلميذ أو الابن على ضرورة اتباع الحق وإقامة العدالة التى هى جزء من القيم الخلقية ، فاتباع العدالة يعنى الاستقامة وفعل الخير تطوعا يعنى رقى النفس ^(١) . وكذلك حثوا على الأخلاق الفاضلة التى هى ثروة الإنسان ، ومساعدة الغير على اعتبار أنها فضيلة ، ومقاومة الالتواء فى النفس ففيه تركية لها ، والابتعاد عما يفضب المعبودات ، والحث على الفضيلة والابتعاد عن الإثم والفجور ، وعدم الطمع فيما يملكه الآخرون ، والتواضع مع الآخرين . ونجد كل هذه المعانى فى النصوص المختلفة .

(١) يان اسمان : ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة د. زكية طبوزاده د. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ٥٢ .

وركز المعلمون في اختيارهم لفقرات من تعاليم أهل الحكم على العبارات التي يحذر التلميذ أو الابن من عدة أمور . فيقول والد كايجمنى " كارس " في تعاليمه ، التي تعتبر أقدم التعاليم التي وصلت إلينا ، وترجع إلى الأسرة الرابعة :

" لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك في السن ، وكن على حذر من كل إنسان حتى من نفسك ، إن الإنسان لا يدري ماذا سيحدث أو ما الذي سيفعله المعبود عندما ينزل عقابه " . (١)

" كل البيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة ، وهناك سيف حاد يوقف من يرغب في أن يظهر أهميته " .
ويقول أحد القضاة الذين عاشوا في عهد الملك نى - اوسررع - أنى من الأسرة الخامسة :

" أنا لم استول على شئ يخص الآخرين على الإطلاق ... أنتى لم ارتكب أى عنف ضد أى إنسان " . (٢)

ولعل التعاليم التي تعتبر أكثر التعاليم شمولاً ، هي تعاليم الوزير بتاح حتب الذى عاش في عهد الملك جد كارع أسيمى من الأسرة الخامسة ، ويقول فيها لابنه :

- " لا يداخلتك الغرور بسبب علمك ، ولا تتعال لأنك رجل عالم " .
- " إذا كنت رئيساً يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظل صفاتك الخلقية دون ثغرة . ما اعظم العدالة فإن قيمتها خالدة ولم ينل منها (أى) إنسان ... " .

- " تمسك باهداب الصدق ولا تتخطه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضى (الآخرين) وأحذر من أن تشوه الحديث ... " . (٣)

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

- " إذا أردت أن يحسن خلقك وتصون نفسك من كطل سوء فأحذر من الطمع ، فهو مرض عضال لا دواء له ، ولا يمكن لإنسان أن يطمئن إلى وجوده معه ، فهو يحيل الصديق حلو المودة إلى عدو مرير ، ويبعد الخادم الموثوق به عن سيده ، ويفصل ما بين الآباء والأمهات والأخوة الذين ولدتهم أم واحدة ، ويفرق بين الزوجة وزوجها " (١).

وحثه على الإيمان والثقة بالنفس ما يكفل له الاتزان السلوكي في عمله ويغنيه عن تملق الرؤساء وذل الرجاء ، قائلا له :

" الرجل من قال اكتسبت بعملى ... ، وليس الرجل من قال اتمنى لنفسى . وقد يقول إنسان لسوف اشبع هنا ، فإذا هو فى غده محروم من خيرات ويقول لسوف أغنى هناك ، ثم ينتهى إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه ... فإن ما أراده المعبود يتحقق ، فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك الأرباب بأكمله ... ، والرزق وفق إرادة الرب ، والجهول هو من يعترض على إرادته " (٢).

" ما أطول حياة الإنسان وما أسعده إذا كان خلقه متحليا بالاستقامة فإن من يلتزم جادتها كون لنفسه ثروة " (٣).

ويذكر حرخوف من الأسرة السادسة الذى كان أصلا من الفنتين ، فى نقوش مقبرته ما قام بعمله :

" لقد كنت إنسانا طيبا ، أثيرا لدى أبيه ، محبوبا من أمه ، ومحبوبا من جميع اخوته ، وقد أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى وعبرت النهر بالذى لا قارب له وكنت أقول الكلمات الطيبة ولم أكرر إلا ما هو مقبول ولم أقل أبدا أية كلمة سيئة لدى رجل فى السلطة ضد أى إنسان ... ولم يحدث أن أكدت شيئا على الإطلاق يمكن أن يحرم أبنا من ميراث أبيه لأننى كنت أرغب فى أن أجيد القبول لدى المعبود

(١) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣١ - ٤٣٤ .

الأكبر " (١) . ويقول ايبي في نقوش مقبرته في دير الجبراوى من الأسرة السادسة :
 " لقد أعطيت الخبز للجائع ، والملبس للعارى " (٢) . ويقول حاكم إقليم من
 العصر الوسيط الأول أنه اعتبر نفسه :
 " زوجا للأرمل وأبا لليتيم ، وأنه آوى من لا عائل له ودفن من لا أهل
 له " (٣) ومن العصر الالهاسي ، نجد الملك خيتي الثالث (أو الرابع) يقول لأبنه
 مريكارع :

" اعمل من أجل أن تكن لك كل البلاد الحب ، فالأخلاق الحميدة ، هي الشيء
 الذي يكون موضعاً للذكرى " (٤) .

ومدح أحد كتبة أسيوط خيتي بن تف ايب حاكم أسيوط في العصر
 الالهاسي : " ما أجمل ما تم في عهدك ، لقد رضيت المدينة بك ، وما كان مستغلقاً
 على الناس جعلته مكشوفاً مباحاً من تلقاء نفسك ، عن رغبة منك في إسعاد أهل
 أسيوط ، ولقد جعلت كل موظف يستقر في منصبه ... " (٥)

ويقول خيتي بن تف ايب في نصوص مقبرته :

" استمعوا إلى أهل الغد ، لقد كنت سخياً مع الناس جميعهم .. سديد الرأي ،
 نافعاً لبلده ، سمحاً مع الشاكي إذ جنى الليل (اطمأن) النائم في الطريق ودعسا لي
 وأصبح شأنه شأن من نام في داره تحرسه هيئة رجل الشرطة " (٦) .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .

(٢) Urk I, p. 145 , 103 – 4 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦١٩ .

(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وقال أيضا :

" بأن الشخص النبيل (من ناحية الخلق) هو الذى يستطيع ان يتفوق بمآثره على مآثر أبيه ، وأن جزاءه على ذلك سوف يكون الرحمة فى الآخرة ... فضلا عن حسن سمعته فى بلده ، وتعظيم الناس لتمثاله بعد موته " .^(١)

وفى قصة القروى القصيح من العصر الالهاسي أيضا ، نقرأ ما يجب عليه أن يكون الإنسان وما يجب أن يتحلى به ، فيقول القروى لرنسي بن مرو :

" أنت أب لليتيم وزوج للأرملة وأخ للمرأة المطلقة ، وأنت ثوب (أى دثار) لمن لا أم له " . " رجل البستان الشرير يروى أرضه بالمساوى فتتحول أرضه إلى أرض للكذب ، وينمو كل ما هو سئ فى ضيعته " . ويقول أيضا :

" أقم العدالة من أجل سيد العدالة لأن عدالته هى العدالة الحقيقية " .

ويذكر القروى القصيح كذلك : " أن العدالة خالدة ابدا وهى تنزل القبر مع من يمارسها ، فإذا توارى هذا الإنسان فى قبره (فإن) اسمه سوف لا يمحي ، وسوف تظل ذكراه (خالدة) بسبب الخير الذى فعله " .^(٢) ويقول موظف فى بيت المال فى الأسرة الحادية عشرة عن نفسه :

" انه مواطن كفاء ، يعمل بساعده ، وأضاف انه كان يعتبر سندا فى إقليم طيبة ، وأنه أحيى منطقة الجبلين فى سنوات قل الخير فيها وتعطل فيها أربعمئة رجل " .^(٣) ويقول حبيبى جفاى من الأسرة الثانية عشرة عن نفسه أيضا :

" أنه اهتدى بعقله إلى سبيل الحسنى ، وعرف دائما كيف يقدر خطواته " .^(٤) ومن عصر الدولة الحديثة لدينا نصوص عديدة : فهناك نص يخص الأمير كارس من عهد أحمر الأول ، وكان رئيسا لديوان الأم الملكة أعح حطب ، وصف فيه بأنه :

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

" حسن الكلمة ، متحفظ الروح ، الذى يدير القصر ، ممسك اللسان عما يسمعه فيه ، لا يمنح لنفسه أى تسلية بالليل أو النهار وأنه الرجل الذى يحب العدالة أمين للغاية ، حكيم فى قراراته ، الذى يحمي الضعيف ، الذى يدافع عن لا حامي له ، ذو الكلمة التى ترضى المتخصصين وتؤدى إلى صلاحهما ، وهو أيضا عادل كالميزان " (١) . ويقول الملك تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع :

" تصرف وفقا للعدل ، فالمحابه يمتتها الرب ، وإليك نصيحة تتخلق بها : عامل من تعرفه كما تعامل من لا تعرفه " ... (٢) . وعمل رخمى رع بنصيحة ملكه وما هو يقول :

" لقد سموت بالعدالة حتى عنان السماء ، وجعلت بهاءها يعم الأرض باتساعها ، فاستقرت فى خياشيم الناس كنسمة الشمال التى تطرد عكوسات البدن ... وأبيت المنكر ولم أفعله وجعلت النمام يلقى على أم رأسه " " لم أضح بحق من أجل مكانة ، ولم أصم اذننى عن صفر اليدين ولم أقبل رشوة إنسان " (٣) ووصف " اوسر " احد وزراء تحوتمس الثالث كما لو كان الرجل : " الذى يفعل ما تحبه كل الطبقات من أعلى وأيضا من أسفل ، الذى يهتم بالأغنياء وأيضا بالفقراء ، الذى يحمى الأراامل دون عائل ، الذى يساعد الشيوخ العجزة ويوفر السعادة لكل إنسان " (٤) ووصف حاجب الملك تحوتمس الثالث ، يدعى انتف بانه : " ليس من أحد لا يعرفه ... خادم للفقير ، أب لليتيم " ثم قال : سيطر على ضميرى ودفعنى إلى أن أفعل ما فعلت ، وهو وازع جليل ، لم اتعد وحيه ، وخشيت ان أخالف صوته ، فنعمت به كثيرا وأصبحت كاملا بما دفعنى إلى عمله ، وذا مقام بفضل توجيهه ... فهو الذى قال الناس عنه أنه معجزة الأرباب ، ذلك الكائن فى كل (جسد) ، هو الوازع ، وهو الهادى إلى خير طريق لبلوغ الكمال " (٥) .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٧٢ .
 (٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
 (٤) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، طبعة عام ١٩٨٤ ، مكتبة نهضة الشرق ، ص ٣٩٤ .
 (٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

ويصور لنا الكتبة المصريون عاقبة الإنسان حميد السيرة في هذه الكلمات الموجهة إلى روح رجل يسمى أمتحات رئيس الأعمال في عهد تحتمس الثالث :

" يا امنحات ، لعل تذكراك تبقى خالدة في منزلك وفي تماثيلك وفي مقاصيرك ، وتبقى روحك حيه وجسدك في أمان وفي مقبرته ، لعل اسمك يعيش إلى البد على لسان أطفالك^(١) . ويقول معلم لتلميذه من عصر الدولة الحديثة أيضا :

" إذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه فسارع إليه وقدم العون إليه واجعل نفسك منقذا له ، فمن أعانه المعبود حق عليه ان يعين كثيرين غيره " .^(٢)

وآخر يقول : " حرر غيرك إن وجدته رهين القيد وكن حاميا للضعيف " .^(٣) ومن عصر الأسرة الحادية والعشرين : ويقول أني :

" إياك ألا تقاوم الالتواء في أعماق نفسك " .^(٤) ويقول امنموبت من عصر الأسرة الثانية والعشرين :

" الرجل النافع أو الحكيم هو الذي يسيطر على مشاعره ويمتاز بالتفكير الصائب الصامت ويقول عنه : " الرجل الصامت مثل الشجرة التي تنمو في بستان وتقف أمام صاحبها مزدهرة مثمرة وإن ثمارها لطيفة وأن ظلها لمنعش " .^(٥)

ويقول عنخ شاشنقي : " لا تكره إنسانا (لمجرد) رؤيته ما دمت لا تعرف حقيقة خلقه " . ويقول أيضا : " لا تكن ساقط الهمة حين الشدة ، وأفعل الخير وأرمله وسط البحر ، وإذا فعلت معروفا لخمسمائة إنسان وراعاها واحد (فقط) فحسبك أن

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ١٢٢ .

(٢) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثاني .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

جزءا منه لم يضع " . (١)

ومن أجمل ما قاله عنخ شاشنقى ، ولا زلنا نرده حتى يومنا هذا بأن الخلق قبل العلم ، وها هو يقول :

" وإنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق " .

" ولا تقل إبنى عالم وتفرغ للعلم " . (٢)

ونجد ان هذه المعانى نفسها يرددها المتوفى بعد بعثه أمام محكمة الآخرة .
وهى خصال على أرفع مستوى خلقى يجب أن يتحلى به كل إنسان على وجه الأرض
فيقول المتوفى الذى بعث :

" لم اكن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بألم ، لم أبعد اللبن عن فم
صغار الأطفال لم أجدف على المعبود ، لم امتلى صلقا " . (٣) وفى نسخ أخرى
يقول :

" أنا لم أكذب ، أنا لم أغش " . (٤) " أنا لم أقتل ، أنا لم أسرق ، أنا لم أسبب
نزاعا ، أنا لم أكذب ، أنا لم اطمع فى أى شئ ، أنا لم أسب ، أنا لم أغضب ، لقد
تجنبت اللغو فى الحديث ، لم أقم بالتسلط على الآخرين ، أنا لم أكن متكبرا ، أنا لم
ألعن اسم المعبود ، أنا لم ارتكب أية خطيئة خلقية ، أنا لم امنع الخبز عن الجائع ،
ولا الماء عن الظمان ، ولا الملبس عن العارى ، ولا أحمل أثر الخطيئة على

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٣) فرانسوا دوما " : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى)

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، ص ٣٦٢ .

جسدى " (١) . وعندما ينتهى من حديثه الطويل يعلن طهارته بقوله :

" إني طاهر ، طاهر ، طاهر ، طاهر " أى طاهر النفس والبدن . وهكذا نجد أن الروح الأخلاقية تسرى فى كل الوصايا الملكية والشعبية التى وصلت إلينا من نصوص مصر القديمة ، حتى انه يمكن القول بان حضارتهم من زاوية معينة - تعتبر فى المقام الأول - حضارة أخلاقية .

حادى عشر : المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سواء اكان تراثا فكريا أو عمليا أو ماديا فقد لازمت خاصية المحافظة ومسايرة الجديد للقديم دون ان يقضى عليه الحضارة المصرية فى كل أطوارها وفى كل مظاهرها ، فقد توارثت مظاهر هذه الحضارة أجيال عديدة من المصريين القدماء ، فحافظت عليها وأحاطتها بسياج من العقيدة الراسخة والقيم والمبادئ (٢) . فعاشت تلك المظاهر عميقة فى داخل نفس كل مصرى قديم ، الذى كان لديه شعورا عميقا بالمحافظة على ما هو قديم لأنه جزء من تراث أجداده ، وبمحافظة على القديم من التراث كان له عظيم الأثر فى الحفاظ على أغلب ما توصل إليه أجداده الأوائل من معارف وعلوم وآداب والحفاظ أيضا على كل من أقاموه من آثار معمارية . (٣)

وخير ما نستشهد به بالنسبة لأهمية المحافظة على التراث هو ما جاء على لسان الوزير بتاح حتب الذى عاش فى القرن الخامس والعشرين ق.م . وهو من أقدم أصحاب التعاليم وفى سياق حديثه عن تراث السلف يقول :

" أن نكراهم لتجرى على ألسنة الناس ، لأن أقوالهم سديدة ، كل كلمة منها

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٦ .

(٢) د. ابراهيم نصحي : تاريخ مصر الفرعونية فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ن القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(تراث) موروث ، لا تذهب واحدة منها سدى على هذه الأرض " .^(١) ويذكر تنفر كابتاح فى بردية ديموطيقية من العصر المتأخر : " انه كان يريد قراءة النصوص الهيروغليفية وأدراك الكلمات الصحيحة للأقسين " .^(٢)

ومما يدل على ان بعض هذه المفاهيم لمقومات الحضارة المصرية كانت راسخة فى عقائد عامة الناس وتفكيرهم ، وإنها مفاهيم ضرورية وشبه مقدسة لأنها جزءا من حياتهم اليومية ، نجد إنهم كانوا يصنعون تماثم تعبر عن بعض هذه المقومات ، كانوا يرجون من ورائها الحماية والتأثير فيما يريدون القيام بهم من أعمال . فالتعبير عن مقومات أو خصائص :

الاستقرار : نجد فى صنع تماثم على هيئة عمود " جد " .

مكونات الإنسان المصري : نجدها فى صنع تماثم تمثل أعضاء الجسم مثل اليد تارة مقبوضة وتارة مبسوطة ، والذراع والعناق والقلب ، وهذا ما نجده ممثلا أيضا فى حروف اللغة المصرية القديمة .

العقائد الدينية : نجدها فى صنع نماذج تمثل معبودات أمثال حورس وبس وإيزيس وانوبيس ونفتيس وبتاح وخنوم ونيت واوزير . وهى كلها معبودات تلعب دورا كبيرا فى حماية البشر أحياء كانوا أو امواتا كما أننا نجد مجموعة من الحيوانات المقدسة مثل البقرة والعجل والتمساح والقرد ورأس الثور ورأس الصقر وطيائر الأييس والعجل المقدس والعين الحامية وجات .^(٣)

تقديس الحاكم : نجده فى صنع تماثم تمثل التيجان الملكية على اختلاف أشكالها .

(١) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) آلن جاردنر : مصر القراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعته د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٥ .

(٣) Baines - Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 211 .

تقديس العمل : نجده فى صنع مجموعة من التماثم تمثل أدوات المهندس المعماري (١).

المحافظة على التراث : نراه فى معظم البقايا المعمارية والأثرية العديدة المتنوعة المنتشرة فى جميع المناطق الأثرية وتدل من نفسها على أن المصرى القديم لم يعبث أو يخربها أو يهمل فى صيانتها على مر آلاف السنين وهى تعبر خير شاهد على روح المحافظة هذه التى كان يؤمن بها المصرى القديم فسلمت آثاره وحافظت على خصائصها .

وتتجلى هذه الروح فيما قام به ملوك الأسرة السادسة والعشرين . فقد انتابت جميع ملوك هذه الأسرة نزعة عارمة لإحياء تراث الحضارة المصرية ومظاهرها المتعددة وبعث تقاليدھا ومثلها العليا . وبدأوا بالفعل حركة تسجيل وتدوين لجميع النصوص الأدبية والدينية والعلوم الرياضية والهندسية وتقليد الفنون التى كانت معروفة فى عصر الدولة القديمة ، وحاولوا أيضا تقليد الأسلوب القديم فى الكتابة وعادوا من جديد إلى إحياء الأسماء القديمة والعادات القديمة وبحثوا عن وثائق وكتابات العصور القديمة وأعادوا ترتيبها وترميمها . وقد تم تقليد ألقاب الشرف القديمة واخذ النحاتون والنقاشون ينسخون فى حرية نقوش الدولة القديمة وزينوا بعض المقابر فى سقارة بمقتطفات نقلت عن متون الأهرام (٢) هذا بالإضافة إلى قيامهم بالعديد من أعمال الصيانة والترميم لمعظم الآثار التى خلفها ملوك الأسرات السابقة (٣) وفى عصر الأسرة الثلاثين قام الملك نختنبو الأول بنشاط معمارى كبير فخلف آثار كثيرة فى أكثر المناطق فى الصعيد والدلتا وقام بترميم العديد من المعابد كما قام الملك نختنبو الثانى ببناء وترميم العديد من المعابد فى أرجاء البلاد وأظهر

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٩١ .

(٢) الن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ود. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٢٨٨ .

(٣) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١٣١ .

المهندس والفنان المصريان أن الجنوة لم تزل متقدة في النفوس فعاد للفن كثير من جماله واخرج المثالون قطعاً فنية تثير الإعجاب (١).

ثاني عشر : ثبات مقومات الحضارة أمام المحن ولم تتغير أو تفقد أصالتها لأنها كانت تعبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد على ذاتهم المصرية الأصلية . لأن الحضارات لا تزدهر إلا إذا كانت معبرة عن خصائص شعبها مسئلة إمكانية وقدراته ومعبرة عن فكرة ومتسقة مع روحه الوطنية . ففي خلال العصور التاريخية الطويلة عانى الشعب المصري من فترات الضعف التي يمكن أن يتعرض لها أي مجتمع إنساني مثل الاضطرابات الاجتماعية والأزمات والثورات والمجاعة والغزوات والاحتلال الأجنبي ولم يسلم من أي من هذه الأمور ، ولكن أي من هذه العوامل لم يؤثر في عمق أو جوهر مقومات حضارته . فظلت الحضارة المصرية محتفظة بكيانها وشخصيتها الوطنية في أعقاب الثورة الاجتماعية في نهاية الدولة القديمة وفي عهود المجاعة في عصر الملك جسر من الأسرة الثالثة . وفي العصر الهناسي كما تشير إلى ذلك نقوش المعلا وفي عصر الدولة الوسطى وفي أوقات احتلال الهكسوس لأرض مصر وفي أثناء الثورة الدينية التي قام بها إخناتون وفي أثناء الاضطرابات الاقتصادية التي وقعت في نهاية حكم الملك رمسيس الثالث وفي أثناء الاحتلال الآشوري لها وفي أثناء الغزو الفارسي وقيام الحكم الفارسي على أرض مصر ، وفي أثناء غزو الإسكندر وقيام حكم البطالمة والرومان من بعدهم ، ونجد أن الحضارة المصرية ظلت أثناء هذه المحن تعبر عن خصائص شعبها ولم تتغير مقوماتها ولم تغلب على أمرها أو تتطوى أو تخمد طاقات الفكر والعمل عند الإنسان المصري القديم إذ ظلت الروح المصرية حية تتبض في صدور أهلها . واستطاعت العصبية الوطنية الشديدة لدى المواطنين المصريين أن تجد متفاساً عن طريق عدة مظاهر سياسية وحضارية .

وتشير الأدلة الأثرية والوثائق من عصر البطالمة والرومان إلى إن

(١) د. احمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٤٤١ -

المصريين بوجه عام استمروا يعيشون كما كان يعيش أجدادهم من قبل ، محتفظين بنظمهم الإدارية التى عرفوها منذ عصر الدولة القديمة ويخضعون لقوانينهم التى توارثوها ، ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم المألوفة ^(١) ، وأن ملايينهم كانوا يفلحون الأرض وألوفهم يشتغلون بالصناعات والحرف والتجارة ، ويعبدون المعبودات التى آمنوا بها ، ومنذ تلك الفترة نلاحظ ازديادا واضحا فى التدين المصرى ، ويتخاطبون ويكتبون بلغتهم الوطنية معتزين بثقافتهم الأدبية والعلمية وخير شاهد على ذلك إشادة كتاب الإغريق بحكمة المصريين القدماء ووفود الكثيرين من أبرز الشخصيات الإغريقية على مصر لينهلوا من مواردها الغنية فقد كان كهنة مصر أوسع أهلها علما ، محافظين على نقاوة فنونهم وروح الإبداع فيها . لذلك عندما غطى الغشاء اليونانى هذه الروح المصرية الأصيلة كان غطاءا رقيقا وازداد رقة حتى لا تبدو ملامحه كلما توغلنا فى جنوب الوادى وبعدنا عن ساحل البحر المتوسط الذى كانت المراكز الإغريقية فى الأغلب منحصرة عليه وخاصة فى الإسكندرية .

لقد عجزت الروح اليونانية عن أن تتغلغل فتسرى فى أعماق العقليّة المصرية ، إذ كان الدين راسخا فى الأعماق ومن ثم يتعذر ان ترزعزعه أو تقتلعه روح عشقت زخرف الحياة الدنيا ولم تتجاوز به دون التفكير فى عالم الآخرة الذى آمن به المصريون القدماء أشد الإيمان . واستسلم اليونانيون للطقوس الدينية المصرية ، وتوج الإسكندر على الطريقة المصرية ، وظهرت صور ملوك البطالمة والأباطرة الرومان على جدران المعابد المصرية وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية . ولم تظهر آلهة المدن الإغريقية على جدران المعابد المصرية لأن آلهة الإغريق تتصرف كالإنسان وليس لها نفس القدسية لهذا وجد الملوك البطالمة البديل لإشباع وجدانهم الدينى فى الظهور على جدران المعابد المصرية وهم يتعبدون إلى المعبودات المصريين ويتقربون إليها ، ويحاولون أن ينهلوا من ذلك ينبوع الدينى العتيق ، وذلك ينبوع الذى نهلت منه حضارة المصريين القدماء أسباب وجودها

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة

الثالثة ، التجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

واستمرارها . وربما كانوا فخورون أن تظهر صورهم على جدران أهم المعابد المصرية .

ولم تكشف لنا الحفائر عن أى معبد للآلهة الإغريقية له أية قيمة دينية أو تاريخية وأن كنا نعرف أنه قد أنشئت معابد كثيرة لهذه المعبودات فى الإسكندرية^(١). وقد قصر البطالمة منشأتهم الدينية فى بداية عهدهم على الدور التقليدى الذى كان ملوك مصر يقومون به فى العصور السابقة ، وهو القيام ببعض الترميمات أو الإضافات الجزئية أو إكمال زخرفة بعض الجدران . ففى معبد الأقصر أقيم فى عهد الإسكندر الأكبر هيكل صغير كان مصريا فى تصميمه وعمارته وزخرفته . وفى معبد الكرنك أنشئ هيكل آخر من الطراز نفسه أيام فيليب ارهيداوس وهو أخ غير شقيق للإسكندر الأكبر^(٢) وتم زخرفة إحدى قاعات هذا المعبد فى عهد الإسكندر الرابع^(٣) ، إلى جانب إضافات فى هذا المعبد من عهدى بطلميوس الثالث والرابع والثامن ، كما نرى إضافات البطالمة فى المعابد الجنائزية فى البر الغربى^(٤).

إلى جانب هذه المنشآت الثانوية ، أنشأ البطالمة معابد مصرية كبيرة للمعبودات المصرية فى أدفو وندرة وكوم أمبو وإسنا وفيلة ودير شلويط ، وهى معابد مصرية فى تصميمها وعمارتها وطرازها وزخرفتها وتخلو من التأثيرات الإغريقية خلوا تماما . فقد استطاعت مصر دائما عقب الغزوات الخارجية التى تعرضت لها أن تقيم ثانية فى كل مرة أسرة ملكية جديدة من أهل البلاد ، تحتفظ

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٦٦ حاشية (١٩) .

(٢) راجع د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٤ .

(٣) الإسكندر الرابع جاء بعد فيليب ارهيداوس ، وحكم مقدونيا ، راجع المرجع السابق ، ص ٧٠ . ولا شك أن فى ماتم باسم فيليب ارهيداوس والإسكندر الرابع كان من عمل بطلميوس الأول عندما كان حاكما على مصر ويحكم باسميهما ، راجع : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٦٥ .

(٤) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

بالتقاليد القومية القديمة فى نظم ومظاهر الحضارة المتوارثة ، ولكن منذ هذه اللحظة لم يرتق عرش مصر ثانية ملك وطنى ، فإنه منذ قدوم الإسكندر خضعت مصر لما يقرب من عشرة قرون لحكام أجانب من البطالمة ثم الرومان . وبعد ذلك أصبحت جزءا من الدولة الإسلامية ، فاكتملت بذلك ديانة جديدة ونظام حكم جديد ونظام اجتماعى جديد وثقافة جديدة (خاصة فى مجال اللغة) وعلوم جديدة وفنون جديدة وأساليب تربوية ونظم تعليم جديدة وبذلك توقفت استمرارية الحضارة المصرية القديمة وبدأت مسيرة الحضارة الإسلامية على ثرى الأرض الطيبة نفسها واستطاعت أن تغطيها تماما الحضارة الإسلامية ذات الروعة والجمال والتي شيدتها الأجيال من المصريين جيلا بعد جيل .

ونجد أن هذه العوامل أو المقومات التي ساعدت على تطور وازدهار الحضارة المصرية ، والتي قمنا باستخلاصها من النصوص ودراسة الآثار التي وصلت إلينا قد جرت الإشارة إليها أو إلى بعضها فى كتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين اليونان والرومان الذين زاروا مصر فيما بين القرن السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد ، وكذلك فى كتابات بعض الفلاسفة وأهل الفكر اليونان كما تتبّه الملوك البطالمة والأباطرة الرومان عند حكمهم لمصر إلى أهمية هذه العوامل وهذه المقومات .

فبالنسبة لعامل البيئة وأثره على استقرار الحضارة نجد أن هيكاتييه الملتى اهتم بالنواحى الجغرافية لطبيعة أرض مصر أكثر من اهتمامه بسكان البلاد وتاريخهم . وتحدث هيروdot أيضا عن جغرافية مصر ومدنها ، فنجد هيكاتييه يذكر :

" أن المصريين الذين يعيشون فى جو فريد ، على حافة نهر يمتاز عن بقية الأنهار الأخرى ، كانت لهم معتقدات فى كل شئ والمجالات تقريبا ، وعادات وتقاليد على اختلاف الشعوب الأخرى " .^(١) وشرح بتفصيل التكوين الطبيعى لأرض مصر

(١) Herodote – Thusydide, Oeuvres Completes, texte presente, traduit et annoté par A.Barguet, Paris (1964), p. 155 (35) .

التي تكونت نتيجة لطمي النيل ، ووصف أيضا بعض الظواهر الجغرافية والنيل :
مصادره ، فيضانه ، المناظر الطبيعية المختلفة ، خصائص الدلتا ، وحياة البحيرات .

وبالنسبة لتدفق عطاء الإنسان المصري القديم نجد انه في عهد البطالمة والرومان أقام المعابد الضخمة في أدفو وندرة وكوم أمبو وإسنا وفيلة ، وهي معابد مصرية في تصميمها وعمارته وطرازها وزخرفتها ونرى بصمات يد الفنان العامل والنقاش المصري في كل مكان ، فعبر عن هذه النقوش والمناظر المتعددة أراد أن يعبر عن روحه المصرية الصميمة وعطائه المستمر فشيدها بنفس الإتقان والمهارة وأخرجها في أحسن صورة كما هي العادة دائما ، وربما بصورة أكثر إتقانا من ذي قبل ليثبت ذاته المصرية وقدرته التي تتحدى الوجود الأجنبي وأراد عبر هذه المنجزات أن يثبت كذلك أن الأصالة المصرية لا تموت ، فعبر هذه الصورة على الجدران إنما هو يقاوم في صمت وأن تراثه حي ولم يمت .

وبالنسبة إلى الجانب الديني نجد أن هيرودوت تحدث عن المعتقدات الدينية الى ارتبطت برموز حيوانية وكان مصدر حيرة له . وزار المعابد الكبرى في سايس وتل بسطة ومنف . ونلمس في كتاباته أن المعتقدات الدينية قد أثرت فيه كثيرا وجذبت انتباهه وقد أراد أن يرى في المعبودات المصرية صورة طبق الأصل من المعبودات اليونانية . وأشار إلى الأعياد الدينية التي كان يحتفى بها في المدن الكبرى ، مثل عيد القناديل الموقدة في سايس ، وعن وحى المعبودات والعادات الجنائزية وكان يتحدث عن المعبود اوزير باحترام بالغ ، وكان يتمتع غالبا عن ذكر بعض التفاصيل التي من شأنها أن تكشف أسرار قد تعتبر انتهاكا للحرمان (١).

وتحدث ديودور الصقلي في كتابه عن معتقدات المصريين والمعبودات المصرية التي كانت تعبد في مختلف المدن (٢).

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول طبعة ٢٠٠١ ، ص ٢٤٨ -

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

واهتم بلوتارخ بالعقائد المصرية^(١) وخاصة أسطورة اوزير وايزه حتى افلاطون تأثر في آخر مؤلفاته بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت ، معبودة مسايس بأثينا (خاصة في الفقرة ٢٣) .^(٢) وشعر الملوك البطالمة والرومان بأهمية هذا العامل في حياة المصريين فشيّدوا من جانبهم المعابد الضخمة في أدفو وندرة وإسنا وكوم أمبو وقيله ومدامود وارمنت وفي دوش بالواحات ، وكلابشه في بلاد النوبة (نقل الآن جنوب أسوان) .

وبالنسبة لجانب تقديس الحاكم وطاعته نجد أن الملوك البطالمة والرومان قد تشبهوا بملوك مصر السابقين فأضفوا على أنفسهم طابع القداسة . فتلقبوا بألقاب ابن المعبود أو المعبودة والمحبوب من المعبود أو المعبودة . وركزوا على فكرة الميلاد المقدس ، حتى يقنعوا الشعب المصري بأنهم مثل حكامهم السابقين من نسل وخلف مقدس ، فكان يلحق بالمعابد البطلمية والرومانية معبد صغير يسمى " معبد الميلاد (المقدس) " .^(٣) ومن هذه المعابد (الماميزى) الباقية حتى الآن ما هو ملحق بمعابد : ندرة ، فيلة ، كوم أمبو ، أدفو ، ارمنت ، كلابشه^(٤) وكان يؤدي في هذه المعابد طقوس يومية وخاصة طقوس تقديم " اللبن " للطفل المولود .^(٥)

وبالنسبة للقوانين فيذكر ديودور الصقلي أن التشريعات كانت دائما موضوعة تحت أعين القضاء . وهذا ما أكده أفلاطون حينما قرر في كتاباته : " لقد كان لكل شيء في مصر القديمة قانون " .^(٦) وبالنسبة لعامل احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد فقد فهم الملوك البطالمة والرومان أهمية هذا العامل وقيّمته عند المصريين القدماء بجميع طبقاتهم فوجهوا الطاقات المعهودة والمعروفة إلى تشييد المعابد الضخمة التي ذكرناها من قبل معابد أدفو وندرة وكوم أمبو وإسنا وقيله .

-
- (١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
 (٣) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ١٢ - ٢٨ : Daumas , les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958 , p 88 - 223 .
 (٤) Daumas, op. cit., p. 79 - 122 .
 (٥) Daumas, op. cit., p. 163 - 232 .
 (٦) د. عبد الرحيم صدقي : القانون الجنائي عند الفراعنة ، ص ٢٨ .

وقد زينت جدران هذه المعابد بزخارف مصرية صميمة ، تمتاز بدقة صنعها وحسن انسجامها وبجمال ما فيها من التوازن بين شخصيات مناظرها وما حولها من النقوش الهيروغليفية التي تفسر هذه المناظر . واكمل هذه المعابد اليوم وأكبرها هي المعابد الثلاثة الأولى : دندرة ، أدفو ، كوم أمبو .

وقد استغرق تشييد معبد أدفو وتزينه حوالي مائة وثمانين عاما ، لنا أن نفهم الدقة التي خرجت عليها صورة هذا المعبد ودقة كل نقش وكل كلمة منقوشة على جدرانه .^(١)

أما بالنسبة لقيام مجتمع متماسك البناء فقد استبدت الدهشة بالرحالة اليونانيين من وضع المرأة في المجتمع المصري القديم . ويروي ديودور الصقلي في شيء من الضيق بأن الرجل على ضفاف النيل كان يفرض عليه عقد الزواج الطاعة لزوجته ، وقد فهم الحرص على مراعاة الزوجة والمحافظة عليها على أنه طاعة لها ، فقد دأب الرحالة اليونان أن يشاهدوا ربط نساءهم بحبل قصير وجرهن وراءهم .^(٢)

أما بالنسبة للتمسك بالقيم الخلقية ، فقد لمس الرحالة اليونان ذلك بأنفسهم ، ويقول سترابون :

" من التقاليد التي كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .

ويقول ديودور الصقلي : " أن مما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقي حظه الكامل من التربية والرعاية " .

وقد شهد هيرودوت للمصريين بعدة فضائل سبقوا بها كافة الشعوب منها :
" انهم أول من راعى السنة أو التقاليد التي تحرم مباشرة النساء في المعابد ودخولها بعد ذلك دون اغتسال " أي دون طهارة .^(٣)

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ ، ص ٢٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

(٣) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ٢٤٥ .

ونعرف بلوتارخ (٤٦ م - ١٢٠ م) ذلك المؤرخ اليونانى الذى درس الفلسفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والذى زار بلاد كثيرة من بينها الإسكندرية ، نجده يتحدث فى مؤلفه " الأخلاقيات " عن عقيدة اوزير وايزه لما فيها من معانى خلقية :
الوفاء والصراع بين الخير والشر الذى هو صراع أبدي .

وبالنسبة لثبات المقومات أمام المحن وأنها لم تتغير أو تفقد أصالتها ، نجده أن ذلك يتمثل فى فن العمارة وفيما أخرجته يد الفنان المصرى الأصيل فى بناء المعابد فى عصر البطالمة والرومان فمعبد أدفو الذى بدأ فيه فى عهد بطلميوس الثالث وانتهى من تزيينه ومن تكملة بقية أجزائه فى عام ٥٧ ق.م . هو معبد مصرى بحث فى تصميمه وعمارته وطرارز زخرفته ، حتى أن علماء الآثار لم يستطيعوا التعرف على تاريخه قبل قراءة نصوصه ، مما يدل على أنه يخلو من التأثيرات الإغريقية خلوا تاما .^(١) ومعبد دندرة الذى بدأه بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) نجد أنه لم يتم بناؤه إلا حوالى منتصف القرن الأول فى عهد الأباطرة الرومان . وهذا المعبد كغيره من معابد البطالمة والرومان ، بالرغم من تأخر عهده وإنشائه بعد زوال عصر الأسرات المصرية السابقة لا نلمس فيه أى أثر للفن الإغريقى ، فهو مصرى خالص فى تخطيطه وعمارته ونقوشه ومواضيع زخرفته .^(٢)

وأخيرا بالنسبة لمعبد كوم أمبو فقد أنشئ فى عهد بطلميوس السادس (فيلومتور) لكن زخرفته لم تتم إلا فى العصر الرومانى . ونرى فى هذا المعبد أيضا الخواص نفسها التى نجدها فى غيره فى المعابد المصرية البطلمية من حيث التصميم والعمارة والزخرفة المصرية الأصيلة .^(٣)

وهناك أيضا معبد فيله الذى بدأ بناؤه فى عهد بطلميوس الثانى (فيلادلفوس)

(١) د. إبراهيم نصحي : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

ويمتاز هذا المعبد ببهائه ورونقه ، إذ بنى جميعه من جرانين اسوان الأحمر ^(١) ، وأكمل هذا المعبد بطلميوس الثالث وبعض الملوك البطالمة . ومعبد إسنا الذى بدأ بناؤه فى عهد الملك بطلميوس السادس (فيلومتور) ^(٢) . ومن المحتمل أن البطالمة أقاموا لإيزيس عدة معابد فى الإسكندرية وما يجاورها ^(٣) وذلك فى طراز مصرى صميم .

وأخيرا فإن هذه العوامل التى ذكرناها وكانت السبب الرئيسى فى تطور وازدهار الحضارة المصرية قد استمرت لفترات طويلة جدا مما يدل على تأصلها العميق فى حياة المصريين القدماء ، ويدل على أهمية طابع الاستمرار فى هذه الحضارة . وبالإضافة إلى تأصل هذه العوامل فى نفوس المصريين القدماء وتأثيرها المباشر فى حياتهم اليومية ، فقد كان لهذه العوامل تأثير أيضا فى حياة الشعوب والحضارات التى اتصلت بالحضارة المصرية وأفادت منها وفى مقدمتها الحضارة اليونانية التى نجح فلاسفتها وأهل الفكر فيها فى امتصاص رحيق ازدهار تلك الحضارة والنهل من معين ثقافتها وعلومها وآدابها . ولا يزال ذلك الرحيق وهذا النهل يجذبان الكثيرين من المتخصصين وغير المتخصصين فى العصر الحديث من شتى بقاع العالم لكى ينهلوا منه ويشيعوه بين الناس فى كتبهم ومؤلفاتهم .

وإذا ساد الاعتقاد عند بعض الزوار الأجانب المبهورين أمام ضخامة الآثار المصرية بأن المصريين القدماء الذين صنعوا تلك الآثار ، أناس غير طبيعيين يتمتعون بقدرة فائقة على الإتيان بالخوارق ، وأنهم قد استعانوا بالسحر فى تنفيذ كل هذه الإنشاءات الهائلة ، فعليهم الرجوع إلى تلك العوامل التى ذكرناها ليدركوا أن وجود هذه العوامل مجتمعة تحقق المعجزات وهى التى منحتهم القدرة على إرساء أقدم وأعظم حضارة عرفها تاريخ البشرية الحضارى . ففى الوقت الذى كان فيه

(١) د. إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة

الثالثة ، ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ حاشية (٧) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

الأسلاف البعيدين لهؤلاء الزوار الأجانب يعيشون على الصيد من أجل الحصول على قوتهم ويسكنون الكهوف ، كان المصريون القدماء يعرفون العديد من مظاهر الحضارة وبفضلهم أصبحت مصر ذلك البلد القديم في حضارته أول بلد عرف أهله الزراعة ، وعرفوا كيف يعيشون في مدن ، وكيف يصنعون الأدوات من الحجارة ومن المعادن ، وكانوا أول من اخترع الكتابة والحروف والرموز ، وأول من أعد قوائم التقويم واختراع مزاويل الشمس ، وكانوا أول من عرف نظم الحكم والإدارة ، وأول من اعتقد في قدرة الأرباب ، وكانت لهم معتقدات في الحياة الدنيا وعالم الآخرة ، وأول من توصل إلى المعارف الدقيقة في العلوم وخاصة العلوم الهندسية والرياضيات ، وأول من عرف الفنون وخاصة العمارة وضخامة البناء وروعته ودقة النحت والنقش والرسم فكان هؤلاء المصريون القدماء فنانين أقدر من فناني العصر الحاضر ، وقوما يحبون الجمال في الفن أكثر من الآن ، ولهذا أقاموا الآثار ضخمة ظلت آلافا من السنين من بعدهم كشاهد للعالم عن قدرتهم ومقدرتهم وكرمهم معبر عن ازدهار حضارتهم . ولا تزال هذه الآثار كالأهرام والمعابد والمقابر المنشورة على طول البلاد تلقى في نفس كل من يراها الإعجاب والدهشة ، فاعجب بها الأجانب سواء من العلماء أو من غير المتخصصين أو من الأشخاص العاديين أكثر من إعجابهم بآثار أي شعب آخر . ويمكن القول في النهاية بأنه لو فرض أنه لم يبق لمصر من مظاهر حضارتها القديمة سوى عمارة هذه الأهرام والمعابد والمقابر لكفى ذلك كدليل مادي خالد على المعارف التي توصل إليها هؤلاء المصريون القدماء في مظاهر حضارتهم العريقة .

الباب الرابع

نظم الحكم والإدارة

كان المصريون القدماء من أوائل شعوب العالم التي عرفت معنى الوحدة السياسية . وبفضل هذه الوحدة أصبح هناك ملك واحد يطيعه الناس عن حب واحترام وتقدير وكان لابد للملوك الأوائل الذين حققوا وحدة البلاد السياسية أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فمنذ عصر بداية الأسرات تكونت الحكومة في مصر القديمة وذلك من مجموعة كبيرة من كبار الموظفين الذين كانوا يقومون بتنفيذ أوامر الملك وتلقى التعليمات منه . هذا إلى جانب عدد معين من صغار الموظفين ، ومن هنا نشأت الإدارات الحكومية المختلفة .

وفي البداية كانت الوظائف محدودة ، ولكن الوظائف محدودة ، ولكن نظرا لتطور النظام الإداري في البلاد بعد ذلك ، أصبح الجهاز الحكومي متعدد الأفراد والوظائف وهكذا كان المصريون القدماء من أقدم شعوب العالم التي وضعت أسس نظم الحكم والإدارة . وكل هذه النظم كان لها أثرها الفعال في توطيد الأوضاع السياسية في مصر القديمة وتثبيت دعائمها . وعلى الرغم من تركيز السلطة في يد الملك إلا أنه لم يكن ينفرد بالرأى . ولهذا خلا تاريخ مصر السياسي القديم في أغلب عصوره من الثورات الكبرى التي تقوم ضد الحاكم في أوقات الضعف السياسي والأزمات الاقتصادية . وبالطبع عرف تاريخ مصر القديم ثورة واحدة كبرى في مكان العاصمة منف نتيجة للضعف السياسي الذي أصاب البلاد في نهاية عصر الدولة القديمة ، كما عرف ثورات أخرى في أماكن محدودة وعلى فترات محدودة نتيجة للأزمات الاقتصادية التي كانت تصيب البلاد أحيانا ، ولكن لم يكن هناك تمرد أو عصيان دائم أو عام ولكن ثروات عنيفة ومستمرة ضد المحتلين الأجانب .

وكان ممالك الشعب المصري القديم يتميز بمجهود حقيقي لإطاعة المعبودات واحترام قوانين الدولة واحترام وتبجيل الملك ، لكي يصبح في علاقة طيبة مع

المعبودات والحكام ، وكان المصريون ، سكانا طبيين ، من السهل حكمهم ، متحفظين إلى درجة كبيرة في عاداتهم ولم يخرجوا عن قواعد السلوك العامة . وكان كل ملك يرغب في أن تسود عدالة حكمه . فكانت كلمته هي القانون ، وكان يحكم بين الناس بالعدل .

مراحل التطور السياسي قبل قيام الأسرة الأولى :

نزحت إلى مصر منذ أقدم العصور قبائل وجماعات ، سكنت الصحارى أولا ، ثم هاجرت إلى ضفاف النيل حيث وجدت سبل الرزق سهلة ميسورة ، وسرعان ما تعلمت الزراعة واستئناس الحيوان وعمدت إلى الاستقرار .

ويمكن القول أن ظروف الحياة في البيئة المصرية هي التي فرضت على الإنسان عامل التعاون المشترك . وذلك لنفع مشترك ، وهو الاستفادة من مياه النيل وتنظيم الري عن طريق شق الترع والقنوات والعمل على توسيعها وتنظيفها كل عام . وإما لدفع خطر مشترك وهو تجنب الأخطار الجانبية التي تنتج عن فيضان النيل وذلك بإقامة الجسور وتقويمها ومراقبتها وصيانتها .

وأخذت تلك الجماعات تتجمع وزادت أعدادها ولجأت إلى إقامة المساكن الدائمة المتجاورة في المناطق البعيدة عن الفيضان وأخطاره . وبدأ يطرأ على هذه الجماعات التغير في حياتهم الاجتماعية ، وبدأت تنتقل من حياة القبيلة إلى حياة القرية ، وأخذت تتجمع في قرى صغيرة ، وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها البعض وأدى ذلك إلى نشأة المدينة . وانتقلوا بعد ذلك من حياة القرية أو المدينة إلى حياة أوسع أفقا هي حياة الإقليم ، الذي تمثل في مملكة صغيرة يحكمها حاكم يقوم على رعاية شئونها وتبدير أمورها الإدارية .^(١)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني - المجلد الأول) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

وكان لابد من قيام حاكم أو رئيس من البداية لتوجيه الناس والاستفادة من جهودهم وتوحيد تلك الجهود في مجال الري والزراعة واستصلاح الأراضي . ومن هنا قامت السلطة المركزية في الأقاليم التي تنظم العمل وتشرف عليه وإلى جانب ظهور الأقاليم المختلفة ظهرت كذلك بعض المدن التي كانت تتمتع بنوع من القداسة الدينية منذ أقدم العصور ، أو المدن التي كانت تتمتع بنوع من القوة السياسية بفضل حكامها ولعبت دورا في التطور السياسي .

ففي العصور التي سبقت قيام الأسرة الأولى ، كانت مصر مقسمة فيما يبدو إلى عدة أقاليم قامت في بعضها بيوت قوية وممالك هامة . وكان لبعض هذه الأقاليم عواصم أو مدن رئيسية . ووصلت إلينا فيما بعد قوائم بعدد هذه الأقاليم ، اختلفت أعدادها عبر العصور ، وفي الواقع أنها قليلة العدد في عصور ما قبل الأسرات . ولكن نعرف من بعض النقوش من العصور التالية أنه نشأ اثنا وعشرون إقليما في الوجه القبلي وعدد يتراوح في العصور المختلفة بين الستة عشر والعشرين إقليما في الوجه البحري .

وكان لكل إقليم رمزه الذي يميزه عن غيره من الأقاليم ، وقد اتخذت هذه الشارات في بعض الحالات أشكال المعبودات المحلية أو الرموز التي تشير إليها ، والتي عبدت في الأقاليم المختلفة منذ أقدم العصور وكانت هذه الرموز تصور فوق أعلام تثبت فوق العلامة الهيروغليفية التي تعبر عن اسم الإقليم . وكان على رأس كل إقليم حاكمه ، وعن هؤلاء الحكام لم يصلنا أي أثر حتى الآن .

ثم أخذت تلك الأقاليم تتحد مع بعضها تارة بدافع المصلحة المشتركة ، وتارة عن طريق الغزو وذلك عندما حاول بعض حكام الأقاليم بدافع الطمع والرغبة في بسط النفوذ ، ضم الأقاليم الأخرى الصغيرة تحت لوائه ، مما أدى إلى تكوين دويلات صغيرة أو ممالك صغيرة تضم كل منها بعض تلك الأقاليم . وظهرت في تلك الأقاليم أيضا بعض المدن الهامة .

ومرت هذه الممالك الصغيرة والمدن الهامة بمراحل سياسية شتى حتى انتهى الأمر بالتوحيد السياسي للبلاد من ممالك صغيرة في الوجه القبلي والوجه

البحرى إلى مملكتين كبيرتين فى كلا الوجهين إلى مملكة واحدة أو أسرة ملكية واحدة هى الأسرة الأولى .

ونعتمد فى تحليلنا لتلك المراحل على نقوش الصلايات ومقامع القتال وبعض الآثار الصغيرة الأخرى . وما جاء فى متون الأهرام من إشارات عن أحداث قديمة . وربما على ضوء بعض العناصر الأثرية التى كشف عنها منذ فترة فى سقارة وحلوان ربما نستطيع أن نحدد تنظيم البلاد إدارياً أكثر فأكثر فى قلب تلك القرون الغامضة من عصور ما قبل الأسرات . ولهذا فنحن نأسف لأننا لم نستطيع أن نتعرف على المشاكل التى كانت تخص النظام الإدارى للبلاد . وكل ما نستطيع أن نقوله أن تلك الأقاليم المصرية وبعض مدنها مرت بمراحل صراع سياسى ، بلغت ثمانية ، فى سبيل تكوين الوحدة السياسية فى عصور ما قبل الأسرات ، وذلك كما بينها فى كتابنا السابق (١) .

وظهرت تبعاً لذلك ممالك صغيرة قوية فى الوجه القبلى والبحرى ودخلت فى صراع فيما بينهما ، وكانت الغلبة لأحدهما على الأخرى وفى كل مرة كانت المملكة فى الوجهين تتخذ عاصمة جديدة وتحاول أن تروج لمعبودها كمعبود رسمى .

وفى المرحلة السابعة من الصراع ، انفصلت مملكة الوجه القبلى عن مملكة الوجه البحرى ، وعادت مصر إلى مملكتين إحداهما فى الشمال واتخذت عاصمتها فيما يبدو فى مدينة " ب او بوتو " ، وهى تل ابطو أو تل الفراعين الحالية فى شمال شرقى دسوق ، وقد اتخذ البيت الحاكم الذى تأسس فى هذه العاصمة ، المعبودة واجبت حامية لهم ، ويرمز إليها بالحية ، كرمز الحماية ، وكانت تعبد فى مدينة مجاورة لمدينة ب .

وأصبح نبات البردى الذى ينمو بكثرة فى المستنقعات المجاورة ، هو الرمز العام للوجه البحرى . واتخذ حكام المملكة النحلة شعاراً ملكياً لهم واتخذوا التاج

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

الأحمر تاجا ملكيا لهم . وظلوا أوفياء لعبادة معبودهم فى مدينة "ب" وهو المعبود حورس حامى الملكية . وقامت مملكة فى الجنوب واتخذت عاصمتها فى مدينة " نخن " التى أطلق عليها الإغريق اسم هيراقونبوليس بمعنى مدينة الصقر ، التى تسمى الآن الكوم الأحمر شمال إدفو بنحو ٢٠ كم ، واتخذ البيت الحاكم الذى تأسس فى هذه العاصمة ،المعبود نخبت التى كان يرمز إليها بأنثى العقاب حامية لمملكتهم . وكانت تعبد فى مدينة نخب على الضفة الشرقية للنيل فى مدينة الكاب الحالية ، وأصبح نبات اللوتس الذى كان ينمو بكثرة فى بعض أراضى الوجه القبلى هو الرمز العام للوجه القبلى . واتخذ حكام المملكة نبات البوص أو الخيزران أو الأثل الذى كان يطلق عليه اسم سوت رمزا ملكيا لهم . واتخذوا التاج الأبيض تاجا ملكيا لهم . وظلوا أوفياء لعبادة معبودهم الرئيسى أو الرسمى حورس الذى وفد عليهم أصلا من الشمال فقدسوه واعتبروا أنفسهم اتباعا له .

ويبدو أن هذه المملكة اقتصرت على الجزء الذى ينحصر بين القصير وإدفو . وفى المرحلة الثامنة والأخيرة قبل قيام الأسرة الأولى بثلاثة قرون ونصف ، قامت سلالة ملكية أو بيت مالك جديد فى مدينة ثينى (طينة) التى تقوم على أطلالها حاليا أو تقع بالقرب منها مدينة جرجا . وكان حكام الوجه القبلى قد انتقلوا إليها وذلك قبل قيامهم بتوحيد البلاد مباشرة نظرا لموقعها الذى يتوسط أراضى الصعيد وقربها من جبانتها ابيدوس وهى العرابة المدفونة حاليا . ومن المحتمل أيضا أن هذه السلالة قد هزمت البيت المالك فى نخن ، وحلت محلها . ومن المحتمل كذلك أن أسرة ثينى ربما كانت فرعا من البيت المالك فى نخن . وكان حكام ثينى يدينون بالولاء للمعبود حورس أيضا . ويلاحظ أن كلا من المملكتين فى الشمال والجنوب اتخذتا المعبود حورس معبودا رسميا وذلك مما يدل على أهمية هذا المعبود فى هذه الفترة .

ولا نعرف حقيقة الظروف التى حاطت بقيام الوحدة السياسية للبلاد على يد أو ملوك الأسرة الأولى نعرمر - منى . ونعلم فقط أن الأسرة الحاكمة القوية فى ثينى بالوجه القبلى اعتزمت محاربة مملكة الوجه البحرى فزحفت إلى الشمال ونجحت فى مهمتها ووحدت الوجهين فى مملكة واحدة فلما تم توحيد الوجهين أصبح الملك يلقب بلقب " ملك مصر العليا والوجه البحرى " ويتحلى بتاجين أحدهما يرمز إلى الوجه

القبلى وهو التاج الأبيض ، والآخر إلى الوجه البحرى وهو التاج الأحمر . ومن هنا اخذ المصرى القديم يعبر عن كل ما يخص نظم الحكم والإدارة فى البلاد بالمثلى . وظلت هذه الثنائية فيما يخص الإدارات التى تتصل بالشئون الإدارية للوجه القبلى وللوجه البحرى ، وظهرت أيضا فى ألقاب الموظفين المحليين بتلك الإدارات .^(١)

وهكذا نجد أن اتحاد البلاد فى ظل حكومة قوية كان ثمرة جهاد وكفاح طويلين .^(٢)

قيام الملكية المصرية وتطور نظم الحكم والإدارة عبر العصور التاريخية :

لم تفصح لنا الآثار ولا الأساطير الدينية عن الطريقة التى نشأت بها الحكومة المصرية والمملكة المصرية التى تكونت عناصرها واكتملت فى العصور التالية على الأسرة الأولى^(٣) . ونحن نعلم انه منذ بداية عصر الأسرة الأولى أخذت معالم الملكية المصرية تتكون شيئا فشيئا وأصبح هناك ملك واحد يحكم على البلاد كلها . وتم تتويجه وتعيينه رسميا ، وهو الذى قام باختيار العاصمة فى المكان الأكثر ملاءمة للظروف السياسية وللأوضاع الداخلية ، وتشييد القصر الملكى فيها والاهتمام بمعبد معبودها المحلى ، وأسبغت على الملك صفة القداسة ، وأطلقت عليه عدة ألقاب وأسماء ، وتم تحديد بعض اختصاصاته والأعباء التى يقوم بها ، وإلى جانب الملك أنشئت الوظائف الحكومية والإدارات المختلفة ، التى كان يشرف عليها عدد كبير من الموظفين ورجال البلاط وكبار الشخصيات ، وذلك لمعاونة الملك فى إدارة دفة الأمور فى البلاد . ومنذ بداية الأسرة الأولى كان موظفو الملك يطبعون أسماءهم وألقابهم على سدادات الأواني الفخارية ، أو ينقشونها على بطاقات صغيرة من العاج

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

طبعة ١٩٧٩ ، ص ٧٣ - ٧٥ .

أو نصب صغيرة . أما في عصر الدولة القديمة فقد عرفنا ألقابهم عن طريق لوحاتهم وتمثيلهم أو نقوش مقابرهم ، أو عن طريق برديات أرشيف المعابد ، مثل بردية أرشيف أبو صير ^(١) التي تمدنا بالألقاب وأسماء الإدارات التي كانت من الكثرة بحيث تكفى لمعرفة تطور نظم الحكم والإدارة في هذه الفترة . وعثر على بردتين تحتويان على قوائم بترتيب الوظائف :

أولهما : بردية بولاق رقم ١٨ وترجع إلى بداية الأسرة الثالثة عشرة أو النصف الأول منها ^(٢) وتذكر لنا بالإضافة إلى الملك الملكة وأخوات الملك ويبدو طبقا للبردية ان هؤلاء كن يقمن بوظائف إدارية في الدولة ولكن لسوء الحظ لا نستطيع أن نحدد طبيعة هذه الوظائف . وهناك قائمة طويلة بالموظفين ، ومما يؤسف له أن التدرج الوظيفي لم يؤخذ به إلا بالنسبة لأربع وظائف هامة هي :

الوزير وكان معه ثلاثة من المستشارين وهم : قائد الجيش ، ورئيس الزراعة ، كاتب السجلات الملكية . وتشمل بقية القائمة مجموعة من ألقاب البلاط سواء أكانت ألقابا شرفية أم فعلية مثل رئيس الديوان الملكى الذى كان مكلفا بنقل الأوامر الملكية الشفهية إلى الكتبة . وكان يشرف أيضا على " مكتب تبرعات الشعب " ومثل " كبير مقاطعة المدنيين " وهى الوظيفة المعروفة حاليا باسم العمدة . ولم تهمل البردية ذكر أبسط الوظائف فى تلك القوائم ، كوظيفة الموسيقيين والمغنيين من ذكور أو إناث وكالمهرجين وكذلك طائفة العمال والصناع والزراع الملحقين بإدارات وممتلكات القصر الملكى .

ثانيهما : وثيقة من عصر الرعامسة تحتوى على قائمتين بالنسبة لترتيب الوظائف على رأس القائمة الأولى أسماء المعبودات تليها أنصاف المعبودات ، والملك الحاكم

(١) Posener - Krieger , les Archives du temple funéraire I, p. 109 – 110 ; 11 , p. 57 – 661 .

(٢) Hayes , Egypt : from the Death of Ammenemes III to Seqenenre II (Cambridge Ancient History) p. 9 – 10 ; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952) p. 304 – 305 .

فالزوجة الملكية ، فوالدة الملك ، وأبناء الملك ، والوزير ، والحاكم الذين كانوا يلقبون بأبناء الملك ، وكبار رؤساء الفرق العسكرية ، والكتبة الملحقين بالمكتبة الملكية ، ورجال المراسيم والتشريعات ، وحامل المظلة ، وحامل المروحة ، وكتبة القصر ، وكبار موظفي البيت الأبيض (بيت المال) وكبير كتبة ملفات المحكمة العليا ، وكتبة الضرائب المقررة . ثم تشمل القائمة الثانية ممثلى الملك فى الأقاليم وفى المدن وفى الخارج والمبعوثين الملكيين فى كل البلاد ، وحاملى أختام الملك فى الموانى النهرية والبحرية .^(١)

وكان لكل موظف كبير عدد من الموظفين المساعدين يعينونه على أداء وظيفته وكان يشغل كل إدارة فرقة حقيقية من الموظفين . وكانت الإدارة المصرية تميل إلى التوسع وإنشاء إدارات وظائف جديدة حسب مقتضيات العصر والأوضاع السياسية فى الداخل والخارج .

اختيار مكان العاصمة الرئيسية للحكم:

يمكن القول بأن مكان العاصمة فى مصر القديمة كان يتغير أحيانا طبقا للظروف السياسية فى الداخل والأوضاع السياسية فى الخارج وذلك طوال العصور التاريخية . فظهرت بعض المدن الكبرى كمواضع نظرا لخروج حكام أو ملوك البلاد من هذه المدن ، وإذا انحسر الدور السياسى عن هذه المدن وآلت الصدارة لمدينة أخرى ، احتفظت تلك المدن بمكانتها المقدسة وتصبح عاصمة دينية أو تحتفظ بنشاطها السياسى وتظهر كعاصمة مرة أخرى ، أو تحتفظ بمكانتها الإدارية أو تؤدى دور العاصمة الثانية .

وكما ذكرنا من قبل فى كتابنا^(٢) ، إن اسم الملك نعرمر لم يرد فى بداية

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ Montet , la Vie Quotidienne en Egypt au temps des Ramses , p. 245 n.(1) .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

القوائم الملكية كأول ملوك الأسرة الأولى ولكن عثر له على آثار تؤكد بأنه أول من حقق وحدة البلاد السياسية . وتنسب بعض الروايات إلى الملك منى أنه رأس الأسرة الأولى ، وبه تبدأ القوائم الملكية . ولكننا رجحنا الرأى القائل بأن نعرمر هو منى وأن اسم منى ليس إلا لقبا له يعنى " المثبت أو المدعم " لأركان حكمه الجديد .

وتركز النشاط السياسى والدينى فى عصر بداية الأسرات ، وفى ثلاث مدن كبيرة ، وهى نخن وثينى والجدار الأبيض :^(١)

- **نخن** : هى العاصمة القديمة وأصبحت عاصمة دينية فقط ، وأقام فيها أوائل الحكام من الأسرة الأولى العديد من الآثار وذلك فى معبد معبودها حورس الذى أصبح معبودا وحاميا للملكية المصرية .

- **ثينى** : أو طينة اتخذتها سلالة نعرمر - منى عاصمة لها وهى تقع على مقربة من ابيدوس ، وأصبحت ثينى أول العواصم السياسية المصرية ، وظلت طيلة أيام حكم ملوك الأسرتين الأولى والثانية عاصمة للبلاد والمقر الرسمى لملوكها . ولو أن بعض ملوك هاتين الأسرتين كانوا يقيمون أحيانا فى مدينة الجدار الأبيض .

وكان (نعرمر) منى هو أول من فكر فى تخطيط مدينة أو قلعة محصنة فى الجدار الأبيض ، تلك القلعة التى سوف تصبح النواة لعاصمة مصر بعد ذلك . ويبدو أن الملك شيد هذه المدينة وسورها بأسوار عالية أحاطتها من كل جانب ، وكان يجئ لكى يستقر فيها من آن لآخر ، لأنه فهم ان استقراره فى الجنوب لن يساعده على حكم الدلتا ، ولذلك أقام فى منف أو مدينة الدار الأبيض .^(٢)

فمن أهم الأحداث السياسية التى تمت فى عهد جسر (نثر رخت) أول

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨٢ ؛ د. أحمد فخري :

مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٧٦ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

ملوك الأسرة الثالثة هو نقل العاصمة الميصرية من ثيني إلى منف ^(١) التي لعبت هذا الدور حتى نهاية الأسرة السابعة ، أما بالنسبة للأسرتين السابعة والثامنة فخرج حكامها من إقليم ققط ومنف . أما ملوك الأسرة التاسعة والعاشرة فخرج حكامها من إقليم هيراقلوبوليس (اهناسيا المدينة) . وفي الدولة الوسطى ظهرت أهمية مدينة طيبة مع بداية الأسرة الحادية عشرة وظهرت أيضا أهمية معبودها آمون . ونقل امنمحات الأول مع بداية الأسرة الثانية عشرة الإدارة من طيبة إلى نقطة أكثر مركزية في ايثت تاوي بالقرب من بها أو اللشت الحالية في الفيوم .

أما ملوك الأسرة الثالثة عشرة فيقال أن أصلهم كان يرجع إلى طيبة . أما ملوك الأسرة الرابعة عشرة فكانوا من إقليم سحا بمحافظة كفر الشيخ . أما ملوك الهكسوس فقد اتخذوا عاصمتهم في افاريس في شرق الدلتا واستمر حكمهم خلال الأسرة الخامسة عشرة حتى العابعة عشرة . وفي الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين أصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها على الرغم من أن أخناتون شيد له عاصمة دينية في تل العمارنة . وشيد رمسيس الثاني مقر إقامة بر رعمسس في شرق الدلتا . وفي عصر الأسرة الحادية والعشرين أصبحت هناك عاصمة ثانية بجوار طيبة هي تانيس في شرق الدلتا .

وخرج ملوك الأسرة الثانية والعشرين من هيراقلوبوليس ، ولكن نجدهم قد تركوا منطقة هيراقلوبوليس لكي يستقروا فيما يبدو في تل بسطة شرق الدلتا . ومع ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ظهرت أهمية بوبات أو تل بسطة كعاصمة للأسرة الجديدة في شرق الدلتا . ومع الأسرة الرابعة والعشرين التي حكم فيها ملكان فقط ، ظهرت أهمية مدينة سايس ومعبودتها نيت ، كعاصمة جديدة في غرب الدلتا . ^(٢) ومع قيام الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية في مصر عادت إلى طيبة أهميتها ، ومع الأسرة السادسة والعشرين أصبحت سايس من جديد عاصمة لمصر .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٠ .

(٢) R. el Sayed , Documents Relatifs à Sais et ses divinités, (٢) BdE 69 (1975) , p. 73 – 286 .

وأصبحت عامرة بالكثير من المباني وكان معبد نيت من أجمل المعابد وأكبرها .^(١)

وفى خلال الأسرة السابعة والعشرين حكم الفرس مصر واستقر بعضهم فى منف . وخرج الملك الوحيد اميرتى فى الأسرة الثامنة والعشرين من سايس ، أما الأسرة التاسعة والعشرين فأصل ملوكها الأربعة كان من مندس (تمى الامديد فى الدلتا) . وأول ملوك الأسرة الثلاثين نختبو الأول كان من مدينة سمنود فى وسط الدلتا .

أولا - نظم الحكم:

الملك:

نتويجه :

لا نملك أية تفاصيل عن كيفية نتويج الملك فى الفترة التى سبقت قيام الأسرة الأولى سواء فى مملكة الوجه القبلى أو مملكة الوجه البحرى . ولا شك أن التتويج كان يتم طبقا لمراسيم معينة لا نعرفها لعدم وجود آثار تشير إلى ذلك وكذلك لعدم التطور فى استخدام الكتابة على الآثار فى هذه الفترة ، فليس هناك نص منقوش يحدثنا عن ذلك . ولكن لدينا بعض الحقائق منها أنه على رأس مقمعة القتال الخاصة بالملك العقرب - التى عثر عليها فى هيراقونبوليس قبل اتحاد الوجهين مباشرة - كان الملك ممثلا يرتدى التاج الأبيض . ولكن الموحد الحقيقى للبلاد كان خليفته نعرمر - منى الذى عثر له على أثرين فى معبد حورس فى هيراقونبوليس يبدو أنهما يسجلان نجاحه فى إتمام الوحدة السياسية التى بدأها الملك العقرب ، وأن الملك بهذه

R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, BdE 86 (1982), p. (١)
267 - 483 .

المناسبة الهامة أهدى هذين الأثرين لمعبد حورس ، ليصبح هذا الانتصار تحت رعايته . فعلى الأثر الأول وهو صلاية من الشست وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى ، صور الملك على وجهها الأمامى متوجا بتاج الوجه القبلى ، وعلى وجهها الخلفى متوجا بتاج الوجه البحرى . وعلى الأثر الثانى وهو رأس مقمعة قتال صور وهو متوجا بتاج الوجه البحرى تأكيداً لشرعية حكمه على الدلتا وقد أراد بذلك أن يؤكد انتصاره على أهل الوجه البحرى ^(١) . ولا شك أنه عقب انتصاراته هذه تم تتويجه ملكاً على الوجهين ، ولاشك أن مثل هذا الحدث الهام فى التاريخ السياسى للبلاد قد سجل على أكثر من أثر لا تزال أرض مصر تحتفظ بأسراره وتفاصيله .

نعلم أن مراسيم التتويج كانت تتم فى البداية على أربع مراحل :

- فى البداية يظهر المرشح للملك على منصة مرتفعة عليها مقصورتان ، وكل مقصورة عرش للوجه القبلى والبحرى . ويصعد الملك على هذه المنصة ويجلس فترة على عرش الشمال مرتدياً التاج الأحمر ، وبعدها يصعد على عرش الجنوب مرتدياً التاج الأبيض .
- يقوم بضم الأرضيين ويتمثل ذلك فى ضم النباتين البردى واللوتس حول العمود " سما " الذى يرمز إلى الوحدة ، وهو يقوم بهذه الحركة الرمزية إشارة إلى التوحيد الوجهين تحت حكمه .
- يقوم بعد ذلك بالطوف حول جدار مدينة منف ، الجدار الأبيض ، ليثبت سيطرته على عاصمة البلاد .
- تسجل الأسماء والألقاب الخمسة التى يجب أن يحملها الملك عند توليه العرش وبعد الانتهاء من احتفالات التتويج تسجل هذه الأحداث فوق بردية وترسل نسخ

(١) Saleh - Sourouzian, Official Catalogue : Egyptian Museum Cairo No. 8a – b .

- منها لكل حكام الأقاليم لأخبارهم بهذا الحدث السياسى . وبعد ذلك تقام الاحتفالات فى جميع أنحاء البلاد بهذه المناسبة .^(١)

ونعلم من النقوش فى المعابد وعلى الآثار المختلفة من العصور التالية بأن مراسيم التتويج تبدأ عامة بإثبات أحقية الملك فى العرش على أساس أن المعبودات قد اختارته منذ أن كان طفلا رضيعا ليكون ملكا على البلاد ، وعلى الكهنة أن يروجوا لهذا الميلاد المقدس بكافة الصور . فإذا ما استكمل الملك هذه الصفة المقدسة اجتمع كبار الكهنة ليختاروا اسم العرش الخاص بهذا الملك^(٢) ولإضافة طابع القداسة على هذا التتويج فإنه بعد أن يتم هذا الاختيار يقوم المعبودان حورس وست بتطهير الملك بالماء المقدس ثم يضعان فوق رأسه التاجين ويقومان بعملية رمزية تمثل توحيد القطرين ويتم بربط ساقين إحداهما من نبات البردى والأخرى من نبات اللوتس بعلامة سما^(٣) (علامة الوحدة) .

وبعد أن تتم هذه المراسيم المقدسة يجلس الملك تحت شجرة مقدسة . شجرة الأشد^(٤) ومن خلف الملك المعبود آتوم ، معبود الخليفة وأقدم المعبودات ويقوم بمراقبة ما يحدث . وأما الملك المعبود تحوتى والمعبودة مشات يقومان بتسجيل اسمه على أوراق هذه الشجرة وهى شجرة الخلود ، متمنين له طول العمر ، ثم يقام بعد ذلك احتفال بإقامة العمود " جد " الذى يرمز إلى الاستقرار والأمن ويتبعه احتفال تطلق فيه أربعة سهام يصوب كل منها نحو ناحية من الجهات الأصلية الأربع . ثم

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٧٠ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٤) المرجع السابق ، شكل ١٤٣ .

يطلق الملك أربعة طيور يتجه كل منها نحو الجهات الأربع . والمقصود بهذه السهام إنها نذير وتحذير للأعداء فى الجهات الأربع ، أما الطيور فهى تطلق لتعلن على العالم أجمع خبر تتويج الملك على عرش البلاد .^(١)

وكما رأينا كانت مراسيم التتويج تتضمن جانباً مدنياً وجانباً دينياً فهى احتفالات شرعية وقانونية ودينية مقدسة . فكان على الملك أن يودى المراسيم المدنية وبما أنه اعتبر شبه مقدس أو صاحب قداسة على الأرض ، فإن المعبودات تشاركه وتباركه وتحميه أثناء احتفالات التتويج فما هو مدنى بالنسبة للملك لا ينفصل عن ما هو دينى أيضاً .

ألقابه الرسمية :

بعد مراسيم التتويج كان يطلق على الملك أسماء أو ألقاب رسمية ثلاثة وذلك منذ عصر بداية الأسرات ، وهى :^(٢)

١- اللقب الحورى :

وهو الذى يربط الملك بالمعبود حورس . فالملك هو الممثل الشرعى للمعبود حورس (الصقر) على الأرض ، وهو معبود الأسرات والملكية المصرية ، فهو لم يكن معبوداً فقط بل كان ملكاً وورث الملك والملكية عن أبيه اوزير (المعبود

(١) المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ وأيضاً : Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 55 , 65 , 68 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩ حاشية (١) ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء : الحضارة المصرية ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

الخير) وجده جب وهو آخر المعبودات التي حكمت على الأرض ، وأصبح الملوك البشر يعتقدون أنهم ورثة حورس والممثلون له ، وأن ملوك الصعيد في عصر ما قبل الأسرات كانوا يتعبدون للمعبود حورس في مدينة نخن ، وعندما نجحوا في توحيد البلاد احتفظوا برمز هذا المعبود وأصبح يعلو السرخ الذى يمثل واجهة القصر الملكى كما نرى على لوحة الملك جت في متحف اللوفر ^(١) ، أى أ، القصر الملكى بمن فيه تحت حماية المعبود وظهر هذا اللقب فى القاب ملوك الأسرة الرابعة وظل مستخدما حتى العصر البطلمى - الرومانى وقد ذكر بكثرة فى مقابر الدولة القديمة. ^(٢) وفى الأسرة الثامنة عشرة أضيفت إلى هذا اللقب صفة " الثور القوى " ^(٣).

٢- اللقب النبتى:

وهو الاسم الذى يربط الملك بالمعبودتين الرسميتين للوجهين القبلى والبحرى ، وهما أيضا المعبودتان الحاميتان منذ الأسرة الأولى ، فعندما كانت مصر مقسمة إلى مملكتين قبل الأسرة الأولى ، كانت المعبودة " نخبت " أنثى العقاب حامية للوجه القبلى ومقر عبادتها فى الكاب ، والمعبودة " واجيت " التى يرمز إليها بالحية ، حامية للوجه البحرى ، مقر عبادتها فى بوتو . وتدل هذه التسمية على ان الملك كان ممثلا لسلطانها ويحكم على مملكة مزدوجة تحت حمايتها المقدسة ^(٤) . وكدلالة على هذه الحماية المقدسة نجد أن الصل المقدس الذى يزين مقدمة التاج الملكى يتكون من

(١) - Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 49 - 50 fig. 22 .

(٢) - Gardiner, Egyptian Grammar, London (1957), p. 71 - 75; Dobrev, BIFAO 93 (1993), p. 184-187 .

(٣) عن هذه الألقاب ، راجع د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ - ٤٦٠ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

رأسين صغيرتين تمثلان هاتين المعبودتين ^(١) . وظهر هذا اللقب في ألقاب ملوك الأسرة الرابعة ^(٢) .

٣- لقب النسوبيتي :

لم تكتف كل من مملكة الوجه القبلي والبحري قبل اتحادهما بمعبودة وحامية فحسب وإنما اتخذت كل منهما شعارا ملكيا مميزا لها ، فاتخذت مملكة الصعيد نبات السوت أو الأثل شعارا ملكيا لها ، واتخذت مملكة الوجه البحري شعارا ملكيا لها وهو النحلة . فلما اتحد الوجهان تعمد ملوك الأسرة الأولى ان يؤكدوا اتخاذهم للشعارين معا في اسم ثالث وهو ما يعبر عنه بالنسوبيتي أي المنتسب إلى نبات السوت وإلى النحلة ، ويحتمل أن أول ملك اتخذ هذا اللقب هو الملك دن (أو وديمو) خامس ملوك الأسرة الأولى ^(٣) . ومنذ عهده أصبح هذا اللقب من أهم الألقاب الملكية التي يتخذها كل ملك عند جلوسه على العرش وبعد تتويجه ^(٤) . وعند تتويج الملك رسميا كان يتخذ لقب " نسوت " فقط ، الذي أصبح يعنى بوجه عام " ملك " ^(٥) . وأضيف إلى هذه الأسماء الثلاثة لقبين آخرين في عصر الدولة القديمة ^(٦) وهما :

٤- لقب حورس الذهبى :

أصبح الملك في الأسرة الرابعة يتلقب بلقب حورس الذهبى ، ويبدو أن سنفرو من الأسرة الرابعة ومران رع من الأسرة السادسة قد حملا هذا اللقب ^(٧) . فنجد

(١) كما نرى على رأس تمثال ملك من الأسرة السادسة والعشرين ، راجع :

Daumas, op. cit., p. 98 fig. 41 .

Dobrev, op. cit., p. 187 – 188 . (٢)

Dobrev, op. cit., p. 195 n. 52. (٣)

Daumas, op. cit., p. 129 . (٤)

Grimal, les Termes de la Propogande Royale, Paris, (٥)
(1986), p. 222.

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛

Daumas, op. cit., p. 45 – 46 .

Dobrev, op. cit., p. 189 – 194. (٧)

رمز الصقر ممثلاً واقفاً على علامة الذهب . وقد أدلى العلماء بعدة آراء بالنسبة لتفسير معنى هذا اللقب ، رأى البعض أنه يعنى " حورس الذهبى " ، والذهب هنا يعبر عن جسد المعبودات ، فالمعبود رع عندما تحدث قال : " جلدى من الذهب الخالص " . وهناك إشارة إلى أن لحوم المعبودات من ذهب وعظامهم من الفضة وشعورهم من اللازورد . ويرى البعض الآخر أن علامة الذهب فى هذا اللقب تعبر عن اسم معبود الشر ست ، الذى كان يطلق عليه اسم نوبتى وعلى مقر عبادته اسم نوبت وبذلك فاللقب يعنى " حورس (المنتصر على) ست " ، وهذا يعنى أيضاً انتصار الخير على الشر .^(١) ويمكننا أن نضيف تفسير آخر وهو أن هذا اللقب يبين الصلة بين المعبودين رع وحورس وارتباطهما معا ، وحورس هو صورة من صور رع المتعددة^(٢) ويقال للمعبود رع فى النصوص البطلمية :

" الذى يتلأأ مثل الذهب "^(٣) أو " قرص الشمس المذهب " .^(٤) وفى رأينا أن هذا اللقب يحوى من ناحية كل هذه التفسيرات ، أى أن الملك وجسده فى نفاسة الذهب ، وهو المنتصر على عنصر الشر دائماً ، وهو الذى يتلأأ كالذهب فى سماء مصر يومياً . ومن ناحية أخرى يربط بين الملك وبين أقوى الطيور فى البيئة المصرية^(٥) ، وهو الصقر ، ويربطه أيضاً بمعدن من أنفس المعادن فى الأراضى المصرية وهو الذهب .

Frankfort, la Royauté et les dieux, Paris (1951), p. 83; (١)
Gunn – Gardiner, JEA 4 (1917), p. 248 ; Daumas, op. cit.,
p. 45 .

Lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 26 et p. (٢)
481 N3.

Daumas, Mammisis de Dendara, p. 106, 103 ; Chassinat, (٣)
Edf. V, p. 342 , l. 12 .

Chassinat, Edf. V, p. 148 , l. 2 ; p. 251 , l. 12 . (٤)

Lalouette, op. cit ., p. 481 n. (3) . (٥)

٥- لقب سارم :

أى ابن معبود الشمس رع ، وكان يسبق الاسم الفعلى للملك . وهو اللقب الذى يحمل الملك منذ صعوده على العرش . وهو يضع الملك تحت حماية المعبود رع الذى ظهر فى السماء يوميا . ويبدو أن هذا اللقب قد ظهر عند جدف رع لأول مرة واستخدم بكثرة على آثار خفرع ومنكاورع فى الأسرة الرابعة وقد وجد مكتوبا فى داخل خانة ملكية .^(١)

٦- لقب بر - عا :

أن الأوصاف التى وصفت بها القرآن الكريم فرعون الذى عاصر سيدنا موسى عليه السلام ، تختلف عن المعنى المعروف لهذا اللقب فى النصوص المصرية القديمة . كان يطلق على القصر الملكى منذ عصر بداية الأسرات ، اسم " برنسوت " بمعنى " البيت الملكى " وأحيانا اسم بر - عا بمعنى " البيت الكبير " . وكان يقصد " بالبيت الكبير " القصر الذى يسكن فيه الحاكم أو الملك ، والذى كان يجب أن يكون مميزا عن بقية البيوت الأخرى لكبار رجال الدولة ^(٢) . والذى كان يتجه الجميع إليه فى حالة رهبة وخشوع ^(٣) . وبمرور الوقت أعطى هذا اللقب مدلولاً أشمل وأكبر ، فأصبح يدل على القصر وساكنه أيضا ، مثل التعبير الذى

(١) Lalouette , op. cit ., p. p . 62; Dobrev, op. cit., p. 196-197 .

(٢) ويرى د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء : الحضارة المصرية ، ص ١٢٩ حاشية (١) ، أن " برنسوت " كان يقصد به بيت الملك أو الإدارة الملكية أما " بر - عا " فتعنى المقر الرئيسى للحكومة .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 629 .

عرف خلال الحكم العثماني بعد بآلاف السنين وهو " الباب العالي " ^(١) أو حاليا " البيت الأبيض " ، " قصر الأليزيه " ، الذى يعبر عن قصر الحاكم وبالتالى عن الحاكم نفسه .

ومنذ عصر بداية الأسرات أطلق على الملك المصرى كما رأينا سابقا ألقاب وأسماء ثلاثة أضيفت إليها فى عصر الدولة القديمة لقبان آخران . ولم يطلق لقب بر - عا إلا على القصر الملكى . وأصبح لكل ملك متوج أسماء وألقاب خمسة تطلق عليه ونجدها على أغلب الآثار التى تركوها لنا . ولم يطلق المصريون القدماء لقب بر - عا على بعض الملوك إلا بعد ذلك بعدة قرون . وعندما أطلقوه على بعض ملوكهم فهذا لا يعنى انه كان حاكما جائزا أو صاحب سلطة غاشمة ، بل كانوا يقصدون من ورائه معنى " ساكن القصر الملكى " أى صاحب السلطة الشرعية أى الملك نفسه .

وعرف هذا اللقب فى القبطية ^(٢) ب - رو و ب - ررو وباليونانية بو - رو وقد حرف العبرانيون اللقب بر - عو إلى فرعو ثم أضيف إليه فى اللغة العربية نون أخيرة ليصبح " فرعون " ^(٣) . ولم يطلق لقب فرعون على أى ملك من ملوك الدولة القديمة والوسطى ^(٤) .

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 629 ;

Drioton – Vandier, L'Égypte (éd. 1946), p. 175 .

(٢) Pestman , Textes démotiques et bilingues I, p.104 n . (12).

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات

تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) ظهر هذا اللقب فى ألقاب بعض الأشخاص الذى كانوا يعملون فى القصر الملكى

وفى وظائف مختلفة تربطهم بالقصر الملكى فى عصر الدولة القديمة ، وكان

يعبر فى هذه الفترة عن " القصر الملكى " فمثلا نجد الوظائف :

وظهر أيضا فى بعض نصوص الأسرة الثامنة عشرة بمعنى " القصر الملكى " ^(١) وبمعنى " فرعون " فى خطاب من عهد أمنحتب الرابع ولكنه يرجع إلى عهد تحوتمس الثالث ^(٢) ولكن فى الأسرة التاسعة عشرة ، أشير فى نصوص قصائد معركة قادش وفى مصادر أخرى إلى الملك رمسيس الثانى بالتسمية " فرعون " أكثر من خمسين مرة ^(٣) وكذلك إلى الملك

=====

== " الملحق بالقصر الملكى ، طبيب القصر الملكى ، معنى القصر الملكى ، كاتب القصر الملكى ، مشرف حدائق القصر الملكى ، حارس القصر الملكى ، مصنف الشعر فى القصر الملكى ، راجع :

Posener- Krieger, les Archives du temple funéraire I, p 109 n. 2 ; t. 11 p. 385 , 103 , 6-8, 386, 1. 12 , 14 , 19 ; 387, 1. 22, 27 – 28 ; 388 1. 44 – 45 ; 389 , 1.1 – 2 ; 391 , 1. 1,2, 4 ; 404 (d2) ; 588 , 607 , 657 – 661 ; Meeks, Alex. I, p. 130 no . 77 . 140 ; 131 no 77. 1410 ; t . p . 137 no 78 . 1459 ; t . 111 , p. 96 no 79 . 0985; Faulkner, Concise Dictionary , p. 89 .

(١) وذلك على لوحة بالمتحف المصرى رقم JE. 72274 الخاصة بأمن ام ستتب

الذى كان يحمل لقب " حارس القصر الملكى " راجع : Chr . Zivie, Giza au Deuxieme Millénaire , p. 222 , 1.2. الدير البحرى التى تمثل حاملى القرابين الذين كانوا يحملون القبائل مثل :

" سمير القصر الملكى " ، " مصنف الشعر فى القصر الملكى " ، راجع : Naville, Deir el Bahari IV , pl. 109 .

(٢) وذلك على بريدية من غراب ، راجع :

Griffith , Hieratic Papyri From kahun and Gurob, pl . 38 , 1 . 10 ; Gurob 1 . 1 . = Gardiner , Egyptian Grammar (third edition) p. 75 , n . 10 .

(٣) Kitchen , Ramesside Inscription II, p. 92 , 1.10 ; 104 , 1. 11 ;

16 – 105 , 1. 11-15 ; 113. 1.5-14 ; 114 , 1.1 – 2 ; 115 , 1.15 – 16 ; 116 , 1.6- 10 ; 117 , 1. 1-2 ; 129 , 1. 1-2 ; 130 , 1.1 – 10 ; 131 , 1.1 – 10 ; 132 , 1.11 , 14 – 15 ; 133 , 1 . 10 , 13 – 14 ; 159 , 1 . 15 ; 174 , 1 . 13 – 14 , 176, 1 . 5 , 8 ; 180 , 1 . 1 – 2 ; 181 , 1 . 1 – 3 ; 182 , 1. 5, 12 ; 222 , 1. 15 ; 226, 1.8, 10 ; 383 , 13.

مرنبتاح اكثر من مرة ^(١) وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة نفسها أطلق لفظ بر - عا على حاكم أرض مصر باعتبار أن ملك مصر هو الحاكم سيد الأرضيين (الوجه القبلى والوجه البحرى) وهى تحت حمايته ولهذا يقال تا - بر - عا بمعنى " أرض الملك أو الحاكم " أو با - تا - ان بر - عا وهى تدل على المعنى نفسه ^(٢).

وظهر هذا اللقب كذلك فى الخطابات التى ترجع إلى نهاية الأسرة العشرين ، وذلك دون ذكر اسم الملك صراحة ، وذلك على أكثر من ثلاثة عشر خطابا ، ولكن من المعروف أن المقصود بهذه التسمية هو الملك رمسيس الحادى عشر ^(٣) . ويضيف شرنى أن هذا اللقب كان يطلق على الملك الحى ^(٤).

وظهر هذا اللقب مرة أخرى فى عصر الأسرة الحادية والعشرين فى ألقاب بعض رجال البلاط الذين كانوا يعملون فى خدمة الملك بسوسينس الأول بمعنى القصر الملكى . وعثر هذه الألقاب على بعض الكتل التى عثر عليها فى مقابرهم فى تانيس ^(٥) ولم يستخدم هذا اللقب أمام أسماء بعض الملوك فى النصوص الرسمية كلقب للملك بمعنى " فرعون " إلا ابتداء من عصر الملك مشنق الثالث من عصر الأسرة

(١) راجع نص فناء الخبيئة بالكرنك السطر ٢٨ - ٢٩ ،

Kitchen , op.cit . IV, p. 5 , 1 . 28 - 29 .

ولوحة اتريب ، السطر ٦ من النص الخلفى ، راجع :

Lefebvre , ASAE 27 (1927) , p. 22.

Meeks, Alex . 111 , p. 318 . (٢)

Wente, late Ramesside letters, p. 4 n . 15 ; 21 ; 32 - 33 ; 37 ; (٣)
42 ; 49 , 52 - 54 ; 61 ; 69 .

Cerny - Peet , JEA 13 (1927) , p. 38 verso 1. 2 . (٤)

Von Kaenel, BSFE 100 (juin 1984) , p. 34 - 35 fig . (1) ; (٥)
(6) . 40 fig . (2) ; 36 fig . وهذه الألقاب هى :

* مدير مراسم القصر الملكى ، * مدير فنائى القصر الملكى ، * مدير ضياع القصر الملكى ، * مدير خزانة القصر الملكى ، * كاتب القصر الملكى .
ويلاحظ أن Von Kaenel ترجمة هذا اللقب بـ " فرعون " ولكن فى رأينا ان المقصود به هنا هو " القصر الملكى " .

الثانية والعشرين^(١) . وظهر بعد ذلك أمام أسماء بعض الملوك من الأسرة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين والثلاثين ، أمثال :

طهرقا ، بسماتيك الأول ، بسماتيك الثانى ، ابريس ، امازيس ، دارا الأول ، نختبو الأول ، تيوس ، نختبو الثانى ، خباباشا . أمام أسماء بعض الحكام اليونان أمثال : الاسكندر الأكبر ، الاسكندر الثانى ، وبعض الملوك البطالمة أمثال : بطلميوس الأول ، بطلميوس العاشر ، بطلميوس الثالث عشر^(٢) ، وبعض أسماء الأباطرة الرومان ، أمثال : اغسطس ، كلوديوس ، نيرون^(٣) . ويذكر لنا شرني أن هذا اللقب أطلق على الملك وعلى الملكة وأن هناك ثلاثة أسماء مركبة ظهرت فى النصوص الديموطيقية والقبطية يظهر فيها لقب برعا بمعنى " ملك أو فرعون " برى - برعا " القصر الملكى " ، بر - عا " قصر الملك " ، برىت - برعا " بلاط الفرعون " .^(٤)

كان الملك يتقلد هذه الألقاب الخمسة أو الستة السابقة عند ارتقائه العرش وتتويجه ملكا . يضاف إليها اسمين لهما دلالة دينية ويربطان الملك بصفة من صفات المعبودات . الاسم الذى حمله الملك منذ مولده ، أى الاسم الأصلى ويستمر فى حمله بعد ارتقائه العرش ، مثل اسم رمسيس (رع ولده) . واسم العرش ، وهو الذى كان يطلق على الملك بعد تتويجه ، مثل وسر - ماعت - رع (أى قوينة عدالة رع)

(١) J. Gordon , Hommages Sauneron I, p. 180 – 182 ; Meeks , Alex . 111, p. 96 n . 79 . p. 985 .

(٢) ظهر هذا اللقب أيضا فى معبد دندرة ، راجع : Chassinat, Dendara VIII, 59 , 5 .

(٣) وقد ذكر هذا اللقب بكثرة فى البرديات الديموطيقية ، راجع : Malinine, Choix de Textes juridiques, 2 partie(1982), p. 5, 7, 9, 11, 14, 17, 20, 22, 29, 30-35, 48-53; Gauthier, LRIV, p. 441 – 442; t. v, p. 244 (index)

(٤) Černý , Coptic Etymological Dictionary, Cambridge 1976 , p. 128 . عن هذا اللقب وتطور معناه عبر العصور راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٠ ؛ المؤلف نفسه : فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب جامعة المنيا ، عدد يناير ١٩٩٩ ، ص ١٠٦ – ١١٤ .

وهو الاسم الذى اتخذه رمسيس الثانى بعد تتويجه . وكان هذان الاسمان يحاطان بشكل بيضاوى وهو ما يطلق عليه اسم خرطوش (ملكى) أو خانة ملكية .^(١)

٧- صفات وألقاب أخرى :

إلى جانب هذه الألقاب الخمسة التى يمكن أن نقول عنها أنها ألقاب رسمية وكانت تطلق أغلبها على كل ملك فى كل مصر ، كان يوجد مجموعة أخرى من الألقاب والنعوت تضاف على الملك صفات عديدة على سبيل الدعاية والمبالغة ، وأهمها هى التى تظهر الصفات الآتية :

- صفاته المقدسة :

كان المصريون ينظرون إلى الحاكم على أنه معبود بكل معانى هذه الكلمة يخشاه الناس ولكنهم فى الوقت نفسه يطيعونه عن احترام وتقديس . وسوف يصبح هذا الطابع المقدس من أهم معالم الملكية المصرية حتى الغزو المقدونى . وطبقا للتقاليد الدينية فقد ورث الملك الملكية عن حورس ، المعبود الشرعى الذى آل إليه حكم مصر من قبل المعبودات بعد صراعه المرير ضد معبود الشر ست . ويعد الملك فى الوقت نفسه الممثل الشخصى للمعبود حورس . وكما رأينا سابقا ، أن مجموعة الأسماء والألقاب الخمسة التى كانت تطلق على الملك منذ بداية الأسرات مدى ارتباط الملك بالمعبودات : حورس ، رع ، نخب وواجيت . وقد أطلق على الملك كذلك ، طوال العصور التاريخية المختلفة ، ألقاب ونعوت أخرى على سبيل المبالغة . وهى تبين نشأته المقدسة وأصله المقدس وطبيعته المقدسة وأنه صاحب الميراث المقدس لحورس ، وارتبط اسمه بصفة دائمة باسم المعبودات الأخرى كمولود منها أو مخلوق منها أو كابن لها أو كمحبوب منها أو هى التى أشرفت على تربيته وأرضعته ، أو هى التى تكفل له الحماية . بل أن هناك ألقابا أخرى تشبهه

(١) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٠٨٩ - ٢٠٩ .

بالمعبودات نفسها . وهناك ألقاب تبين صفاته الجسمانية وارتباطها بأجساد المعبودات الخالدة .^(١)

إلى جانب هذا حاول الملوك من جانبهم أن يروجوا لهذه الأحقية الشرعية المقدسة التي تؤهلهم للحكم . والمثال الأول على ذلك هو أقدم عليه ملوك الأسرة الخامسة في عصر الدولة القديمة ، إذ وصلت بردية تسمى بردية وستكار تحكى لنا قصة ميلاد الملوك الأوائل من الأسرة الخامسة وكيف أنهم أبناء للمعبود رع ومن صلبه ، وأن المعبودات الأخرى هن اللاتي ساعدن في ولادتهم وهيأت لهم التيجان .

وقد تكررت هذه القصة مرة ثانية ، إذ صورت الملكة حاتشبوت على جدران معبدها الجنائزى فى الدير البحرى فى البر الغربى فى طيبة مناضرا تمثل مولدها المقدس وكيف أن أمها حملت من المعبود آمون نفسه . وكيف أنه قد أراد عن قصد أن تتولى ابنته حاتشبوت عرش البلاد .^(٢)

وقد سار الملك أمنحتب الثالث على هذا المنوال من إرجاع نسبه للمعبود آمون مباشرة وصور هذه القصة لميلاده المقدس فى معبد الأقصر^(٣) . وصور الملك رمسيس الثانى القصة نفسها على بقايا كتلة من معبد مدينة هابو .^(٤) وتبنى بعض الملوك البطالمة والرومان هذا التقليد . فالحقوا بالمعابد البطلمية مثل معبد دندرة وادفو وكوم امبو وفيلة ما يسمى " بمعابد الميلاد المقدس " التى تبين نقوش جدرانها أن الملك البطلمى لا يختلف عن بعض الملوك المصريين وأنه كان يعتبر نفسه ابنا للمعبود وأن المعبودات الأخرى هى التى تكلفت بولادته ورعايته لأنه الطفل المقدس من بذرة مقدسة .^(٥)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٩ .
 (٢) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, p. 338 (Doc. 314) .
 (٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ١٥٩ ؛ R. el Sayed, op. cit., p. 338 (Doc. 315) .
 (٤) R. el Sayed, op. cit., p. 339 (1) ، وراجع فيما سبق ، ص ٢١٤ حاشية (٢-٣) .

(٥) Daumas, les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958, (٥) .
 p. 29-64, 79-122; R. el Sayed, op. cit., p. 339- 340 (2-4) .

وقد كلف الكهنة بنقش هذه القصص على جدران المعابد ليراهها الناس ويؤمنوا بأحقية الملك في الحكم وشرعيته المقدسة في الحكم.^(١)

اعتبر الملك الكاهن الأول أو الكاهن الأكبر لكل المعابد ، وذلك لأنه كان يعتبر في الوقت نفسه ابنا لهم جميعا . وصور في جميع المعابد ، حتى المعابد التي شيدت أو حُفرت في الصخر في المناطق البعيدة مثل بلاد النوبة ، وهو يقوم تأدية الطقوس للمعابد ، حتى ولو أنه لم يذهب إلى هذه الأماكن البعيدة ، ولكن صور هكذا تأكيدا لصفته وسلطته المقدسة ، وكان ينوب عنه في تأدية الطقوس الكاهن الأكبر في المعبد . ومن جانبه اهتم الملك بتشييد المعابد والمقاصير والهيكل للمعابد وأوقف عليها الأراضي والضياح المعفاة من الضرائب .

وترتبط اسم الملك باسم المعبود انوبيس ، أو اوزير في جميع صيغ القرايين الرسمية ، وذلك بصفته المقدسة وبصفته الكاهن الأول لكل المعابد ، فكانت القرايين تقدم باسمه في جميع معابد المعابد.^(٢)

ولهذا كله أيضا أصبحت تنظم عبادة للملك باعتباره معبودا وكانت تقام الشعائر الجنائزية له بعد وفاته . وبسبب هذه الصفة والمكانة المقدسة ، اشترك الناس في بناء أثار الملك الضخمة من معابد وحفروا مقبرته في الصخر شديد الصلابة وفي ظروف غاية في الصعوبة ، واحضروا الأحجار الصلبة من المحاجر البعيدة في الصحراء الشاقة الوعرة ، كل ذلك عن طواعية ورضى .

ولتأكيد هذه الصفات المقدسة كان يطلق على الملك مجموعة من الألقاب تعبر عن هذه المعاني وهي عن :

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٠ ، د. بيومي

مهران : دراسة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء : الحضارة المصرية ، ص ٩٩ - ١٠٩ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ - ١١٧ .

نشأة الملك وأصله المقدس :

فكان يطلق عليه ألقاب : " البذرة المقدسة " ^(١) ، " البذرة النشطة " ^(٢) ،
 " النسل المقدس " ^(٣) ، " النسل النشط " ^(٤) ، " البيضة الكاملة " ، " البيضة
 الشرعية " ^(٥) ، الطفل المقدس ، ^(٦) الخلف المقدس . ^(٧)

طبيعته المقدسة :

وكان يطلق عليه أيضا ألقاب : نثر الذى يترجمه أغلب علماء المصريات
 بالإله ولكن نفضل ترجمته " بالمعبود " ^(٨) ، ولكن فى رأينا الشخصى إن لقب نثر
 يقصد به هنا " المقدس أو صاحب القداسة " ^(٩) ، ولا يقصد به المعبود بمعنى معبود

Grimal, les Termes de la Propogande Royale Egyptienne , (١)
 Paris (1986) , p. 96 (232) .

Grimal , op . cit . , p. 100 (249) . (٢)

Id., op . cit . , p . 110 (229) . (٣)

Id . , op . cit . , p. 68 (249) , 71 (129) . (٤)

Id . , op. cit . , p. 97 (236 – 240) . (٥)

Grimal, op. cit., p. 98 n. 243 – 244. (٦)

Meeks, Alex. I, p. 312 . (٧)

Grimal , op. cit . , p. 125 (338) . (٨)

(٩) اعتاد علماء على المصريات من الأجانب والمصريين على ترجمة كلمة نثر
 بمعنى " إله " ونثرت بمعنى " إلهة " ونثرو بمعنى آلهة ونثروت بمعنى آلهات .
 وقد ناقش " بدج " معانى هذه الكلمة وترجمها بمعانى كثيرة : " شبيه الإله ،
 المقدس ، إلهى ، ذو قداسة ، قوة ، قوى ، حماية " وأضاف أنه ليس متأكدا من
 أى معنى من هذه المعانى (راجع Budge, BD : The Papyrus of Ani, vol. 11 (1913) , p. 99 – 121)

ونقل لنا رأى " بروجش " الذى ذكر أن نثر تعنى " القوة النشطة التى تنتج
 وتخلق الأشياء فى انتظام متكرر (Id., op. cit . , p. 99) . وفى

يعبد ، وكان يطلق على المعبود نفسه ثلاثة ألقاب رئيسية : نثر - عا " المعبود الكبير " (مثل أتوم واوزير ورع وخنوم وبتاح وجيب وغيرها) ، ونثر - ور " المعبود العظيم " (مثل خونسو وغيره) ، ونثر - نفر " المعبود الكامل " ^(١) (مثل اوزير) . وكانت هذه الألقاب الثلاثة تطلق أيضا على الملك بمعنى " المقدس الكبير ، المقدس العظيم ، المقدس الكامل " ^(٢) . وأول من حمل لقب نثر - عا هو سنفرو ، وأول من حمل لقب نثر - نفر هو جدف رع ^(٣) . ومثل لقب نثر فى هذه الحالة مثل لقب " نب " الذى يعنى " رب " بالنسبة للمعبود ، ويطلق على الملك بمعنى " سيد (الكل) " . وقد ادخل لقب نثر " المقدس " فى ألقاب أخرى تؤكد على مكانة وطبيعة الملك المقدسة مثل : نسوت - نثرى الملك المقدس ^(٤) ، حقا - نثرى الحاكم

== رأينا أن هذا التفسير مقبول ومنطقي . أما مورنز فيترجم هذه الكلمة بمعنى آله ويذكر إن العلامة التى تتكون منها الكلمة هى عبارة عن فاس يرمز إلى القوة الكامنة فى المعبود نفسه (راجع : Morenz , la Religion Egyptienne , Paris (1962) , p. 41 كما أشار مونز إلى رأى بيسينج الذى كتب مقالا مطولا عن هذه الكلمة وأشار إلى أن نثر ترجع فى اصلها إلى كلمة نثرى بمعنى النظرون الذى يعبر عن فكرة الطهارة والنقاء (راجع . Id., op . cit . , p. 41 n . 2) وفى رأينا أنه يجب التمييز بين لقب نثر بمعنى معبود الذى يعبد ، والذى كان يطلق على المعبودات بوجه عام وعلى المعبودات فى صحبة معبود الشمس وعلى معبودات الشعوب أعداء مصر . ونثر بمعنى مقدس أى له قداسة وكان يطلق على الملك الحى أو المتوفى أو على حاشيته أو على بعض الأشخاص المتوفيين نوى المكانة ، راجع : . Meeks, Alex. I, p. 205 – 206; 11, p. 211; 111, p. 166

(١) Grimal, op . cit . , p. 108 – 110 .

(٢) 125 – 128, 136 (284) , 109 (89) , Grimal, op . cit . , p. 62 (89) لأن كلمة

" معبود لا تحتاج إلى أية تفاصيل أخرى لأن المعبود يتصف أساسا بالكمال .

- عن مفهوم كلمة نثر ومعانيها المتعددة فى فكر المصرى القديم ، راجع الجزء

الثانى ، الباب السابع ، ص ٤٠ - ٧٩

(٣) Dobrev, BIFAO 93 (1993), p. 200 n. 76 – 78.

(٤) Meeks, Alex. 111, p. 161; Grimal, op . cit., p. 125 (340) .

المقدس^(١) ، نثر - نثرى المقدس قداسة^(٢) ، وع - نثر الوحيد المقدس^(٣) ، نثر - ور
المقدس العظيم^(٤) ، نثر - منح المقدس الخير^(٥) .

صاحب الميراث المقدس :

" الوريث النافع أو المفيد مثل حورس " ^(٦)

ارتباطه بالمعبودات :

فيقال له مثلا " المولد من رع أو آتوم " ^(٧) ، " المولد من المعبودة
(X) " ^(٨) ، " المخلوق من رع ، آمون رع ، آتوم ، بتاح " ^(٩) ، " الذى أرضعته
المعبودة (X) " ^(١٠) ، " الذى ربته المعبودة (X) " ^(١١) ، " ابن آمون " أو " ابن
رع " ^(١٢) ، " ابن المعبودة (X) " ^(١٣) ، " المحبوب من المعبود (X) " ^(١٤) ،
" المحبوب من المعبودة (X) .

Grimal, op. cit., p. 126 (341). (١)

Wb11, 363, 1-2; Id., Alex. 11, p. 212; 111, p. 161; Grimal, op. (٢)
cit., p. 125 (339) .

Vikentiev, La Haute crue du Nil, p. 15; Grimal, op. cit., p. 101 (٣)
(253) .

Meeks, Alex. 11, p. 211; 111, p. 71. (٤)

Wb 11, 85, 8-9; 358, 11 . (٥)

Id., op. cit ., p. 178 (531) . (٦)

Id., op. cit ., p . 102 (225 – 257) , 104 (268) . (٧)

Id., op. cit ., p. 62 (89) , 71 (128) , 102 – 103 . (٨)

Id., op. cit ., p . 105 (274 – 276) . (٩)

Id., op. cit ., p. 103 (265) , 1204 – 106 . (١٠)

Id., op. cit ., p. 62 (89) , 115 (91) . (١١)

Id., op. cit ., p. 71 (126 – 127) , 109 (284) , 155 (455) . (١٢)

Id., op. cit ., p . 84 (183) . (١٣)

Meeks, Alex. 11, p. 166; Wb 11, 101, 3; Piankoff, leCoeur, (١٤)
p. 86.

تشبيهه بالمعبودات :

مثل حورس^(١) وست^(٢) ، أنه " رع بالنسبة بمصر وللعامّة " ^(٣) ، أى رع النافع بالنسبة للبلاد وللعامّة التى يسكنون فيها ، " نو الأشعة المساطعة " ^(٤)

صفاته الجسمانية :

" الجميل " ^(٥) ، " جسده من ذهب ، وعظامه من الفضة " ^(٦) ، " الجبل من الذهب " ^(٧)

مؤهنته :

مثل : " الحكيم والعارف والذكى " ^(٨).

تنويه كملك :

" سيد التيجان " ^(٩) ، " مجدد التيجان " ^(١٠).

-
- | | |
|--|------|
| Id., op. cit ., p . 72 (135) , 73 (138) , 76(151, 91(211). | (١) |
| Id., op. cit ., p. 88 (196) , 91 (211) . | (٢) |
| Id., op. cit ., p. 370 (1242) , 371 (1247) . | (٣) |
| Id., op. cit ., p . 382 (1065) . | (٤) |
| Id., op. cit ., p . 72 (135) . | (٥) |
| Id., op. cit ., p . 126 (345) . | (٦) |
| Id., op. cit ., p . 127 (349) (351) . | (٧) |
| Lalouette , L'Empire des Ramsès, p. 370 – 372 . | (٨) |
| Grimal , op. cit ., p. 211 – 228 , 382 (1302) . | (٩) |
| Id., op. cit ., p . 714 (872) . | (١٠) |

كصاحب سلطة :

فهو " الملك " (١) ، " الحاكم " (٢) ، " السيد " (٣) ، " العاهل " (٤) ، ويطلق عليه أيضا " ملك الأرضيين " (٥) ، " سيد الأرضيين " (٦) ، " سيد أرض الجنوب " (٧) ، " سيد الجنوب " (٨) ، " حاكم الضفتين " (٩) ، " حاكم الأرضيين " (١٠) ، " حاكم الأرض السوداء " (١١) .

وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة ذكرت التسمية : تا بر - عا " أرض الحاكم أو الملك " (١٢) أى أن ملك مصر هو الحاكم المطلق وسيد الأرضيين . الذى يتراأس الأرضيين (١٣) ، الذى على رأس الأرضيين (١٤) ، " ملك مصر " (١٥) ، " سيد مصر " (١٦) ، " الحاكم العظيم لمصر " (١٧) ، " حاكم كل ما يحيط بالشمس " (١٨) . وهو أيضا : " ملك عامة الشعب " (١٩) ، " ملك الأحياء " (٢٠) ، " سيد العامة " (٢١) ،

- | | |
|---|------|
| Id., op. cit ., p . 170 (508) . | (١) |
| Id., op. cit ., p . 383 (1307) . | (٢) |
| Id., op. cit ., p . 562 (13) . | (٣) |
| Id., op. cit ., p . 383 (1307) . | (٤) |
| Id ., op . cit ., p. 486 (219) . | (٥) |
| Id ., op . cit ., p. 513 (345) . | (٦) |
| Id ., op . cit ., p. 562 (10) . | (٧) |
| Id ., op . cit ., p. 321 (1038) . | (٨) |
| Id ., op . cit ., p. 574 (83) . | (٩) |
| Id ., op . cit ., p. 339 - 342 , 371 (1250) . 440 (5) . | (١٠) |
| Id ., op . cit ., p. 574 (85) . | (١١) |
| Meeks . Alex . 111 , p. 318 . | (١٢) |
| Grimal , op . cit ., p. 130 (369) . | (١٣) |
| Id ., op . cit ., p. 73 (138) . | (١٤) |
| Id ., op . cit ., p. 242 (24) . | (١٥) |
| Id ., op . cit ., p. 565 (24) . | (١٦) |
| Id ., op . cit ., p. 576 (90) | (١٧) |
| Id ., op . cit ., p. 59 (78) . | (١٨) |
| Id ., op . cit ., p. 237 (749) . | (١٩) |
| Id ., op . cit ., p. 565 (5) . | (٢٠) |
| Id ., op . cit ., p. 561 (5) . | (٢١) |

" الذى على رأس عامة الشعب " (١)

سياسته الداخلية :

ما يجب عليه نحو بلاده وشعبه :

فهو " موحد الأرضيين " (٢)، " منظم الأرضيين " (٣)، " مجمل الأرضيين " (٤)، " الذى يهدئ الأرضيين " (٥)، " الذى يسبب الهدوء للأرضيين " (٦)، " الذى يجعل الأرضيين (فى) سلام " (٧)، " الذى يحافظ على حياة الأرضيين " (٨)، " الذى يمد الأرضيين بالغذاء " (٩)، " (مصدر) الغذاء لمصر " (١٠)، " الذى يحافظ على حياة العامة " (١١)، " الذى يهب نسيم الحياة " (١٢)، " الراعى الطيب للعامة " (١٣)، " الراعى الطيب لعامة الناس " (١٤)، " الراعى الطيب الذى يحافظ على حياة قوائمه " (١٥)، " راعى تا - مرى = مصر " (١٦)

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| Id., op. cit., p. 367 (1224). | (١) |
| Id., op. cit., p. 319 (1027). | (٢) |
| Id., op. cit., p. 321 (1034). | (٣) |
| Id., op. cit., p. 320 (1033). | (٤) |
| Id., op. cit., p. 317 (1018). | (٥) |
| Id., op. cit., p. 316 (1015). | (٦) |
| Id., op. cit., p. 314 (1011). | (٧) |
| Id., op. cit., p. 231 (727). | (٨) |
| Id., op. cit., p. 261 (817), 264 . | (٩) |
| Id., op. cit., p. 263 (823). | (١٠) |
| Id., op. cit., p. 235 (739). | (١١) |
| Id., op. cit., p. 242 (761). | (١٢) |
| Id., op. cit., p. 349 (737). | (١٣) أحد ألقاب رمسيس الثانى = |
| Id., op. cit., p. 349 (1161). | (١٤) أحد ألقاب اوسركون الثالث = |
| Id., op. cit., p. 350 (1162). | (١٥) أحد ألقاب سيتي الأول = |
| Id., op. cit., p. 349 (1160). | (١٦) أحد ألقاب رمسيس الخامس = |
- كتاب البوابات المسجل داخل مقبرة رمسيس السادس مثل حورس " راعى البشر متكئا على عصا فى وضع راعى وهو يقوم على رعاية البشر الممثلين بأربعة من المصريين وأربعة من الفلسطينيين وأربعة من النوبيين وأربعة من الليبيين ، راجع : Sanneron- Yoyotte, la Naissance du monde, p. 76.

"الملك المحبوب" ، "العادل" (١) ، "المرشد للبلاد" (٢) ، فهو الذى يعطى التعاليم وهو الذى يسبب "الرخاء" ، والفيضان والنور " للناس" (٣) ، " راعى تامرى (مصر) (٤) ، " أب وأم لكل" (٥) ، " الذى يطبق العدالة" (٦) ، " الذى يثبت العدالة عبر الضفتين" (٧) ، " سيد القوانين الصالحة" (٨) ، " ذو القوانين النشطة" (٩) ، ذو القرارات الصائبة" (١٠) ، " ذو التصرفات الناجحة" (١١) ، " ذو المعجزات العظيمة" (١٢) ، " سيد الطقوس" (١٣) ، " سيد الأعياد" .

وما يجب عليه نحو المعبودات : " الذى يرضى كل المعبودات" (١٤) ، " الذى يرضى المعبودات بتحقيق العدالة" (١٥) ، " الذى يرضى المعبود بما يحبه" (١٦) ، " الذى يفعل ما تحب المعبودات" (١٧) ، " الذى يعمل ما هو سار لجميع المعبودات" (١٨) ، " الذى يجعل المعبودات راضية بما تحبه" (١٩) ، " الذى يجعل المعبودات راضية فى مقاصيرها" (٢٠).

-
- | | |
|---|------|
| Id., op. cit ., p. 55 (61) , p. 345 – 347 . | (١) |
| Id., op. cit ., p. 348 – 351 . | (٢) |
| Id., op. cit ., p. 229 , 294 – 338 . | (٣) |
| Id., op. cit ., p. 349 (1160) . | (٤) |
| Id., op. cit ., p. 350 (1162) . | (٥) |
| Id., op. cit ., p. 55 (61) . | (٦) |
| Id., op. cit ., p. 54 (57) . | (٧) |
| Id., op. cit ., p. 348 (1149) . | (٨) |
| Id., op. cit ., p. 233 (733) . | (٩) |
| Id., op. cit ., p. 348 (1149) . | (١٠) |
| Id., op. cit ., p. 317 (1018) . | (١١) |
| Id., op. cit ., p. 353 (1178) , 354 . | (١٢) |
| Id., op. cit ., p. 513 (345) . | (١٣) |
| Meeks, Alex. 11, p. 342. | (١٤) |
| Grimal, op. cit., p. 300 n. 943. | (١٥) |
| R. el Sayed, Documents relatifs `a Sais, p. 124 n. (0). | (١٦) |
| Zivie. Hermopolis, p. 124 – 125, 127, 130. | (١٧) |
| Grimal, op. cit., p. 343 n. 1130. | (١٨) |
| Id., op. cit., p. 515 n. 353. | (١٩) |
| Id., op. cit., p. 301. | (٢٠) |

سياسته الخارجية :

نشاطه العربى والدفاع عن البلاد :

" سيد القوة " (١) ، " عظيم وشديد القوة " (٢) ، " الملك القوى " (٣) ، " الملك القوى الذى يحمى مصر " (٤) ، " العامل الذى يحمى مصر " (٥) ، " الذى يحمى مصر " (٦) ، " درع البلاد " (٧) ، " ذو الذراع القوية " (٨) .

وتشبهه بعض الألقاب بالحيوانات والطيور المفترسة وذلك للدفاع عن البلاد: فهو الصقر حورس " الذى يحمى مصر بجناحيه " (٩) ، " الصقر المقدس عندما يتوغل بين الطيور " (١٠) ، فهو أيضا " الفهد أو الأسد أو الثور " (١١) فهو " الثور القوى " (١٢) ، " ثور على حدوده " (١٣) ، " الثور الفتى " (١٤) ، " الثور الفتى لحماية مصر " (١٥) ، " ذئب الوادى " (١٦) ، وعند القتال هو " سيد السيف " (١٧) ، " حامل القوس الماهر " (١٨) ، " ماهر فى القتال " (١٩) ، وهو أيضا : " ذو القوة العظيمة ضد كل

- | | |
|--|------|
| Id., op. cit ., p. 704 (819). | (١) |
| Id., op. cit ., p. 81 (171) , 83 , 703 (814 – 817) , 705 . | (٢) |
| Id., op. cit ., p. 242 (762) . | (٣) |
| Id., op. cit ., p. 326 (1053) . | (٤) |
| Id., op. cit ., p. 231 (725) . | (٥) |
| Id., op. cit ., p. 322 (1040) , 700 (801) . | (٦) |
| Lalouette , L'Empire des Ramsès ,p. 376 . | (٧) |
| Grimal, op. cit ., p. 231 (727) . | (٨) |
| Grimal , op. cit ., p. 75 (147) . | (٩) |
| Id., op. cit ., p. 77 (156) . | (١٠) |
| Lalouette , op. cit ., p. 308 , 380, 382, 392 , 399; Grimal, op. cit ., p. 404 – 430 . | (١١) |
| Grimal , op. cit ., p. 230 (367) . | (١٢) |
| Id., op. cit ., p. 684 (692) . | (١٣) |
| Id., op. cit ., p. 84 (183) , 89 (199) , 155 (455) . | (١٤) |
| Id., op. cit ., p. 328 (1065) . | (١٥) |
| Id., op. cit ., p. 429 (1479) . | (١٦) |
| Id., op. cit ., p. 513 (345) . | (١٧) |
| Id., op. cit ., p. 714 (873) . | (١٨) |
| Id., op. cit ., p. 710 (851) . | (١٩) |

البلاد الأجنبية^(١) ، " الذى يطأ كل البلاد الأجنبية^(٢) ، " (الذى) أخضع البلاد الأجنبية^(٣) ، " ذو الصيت العظيم فى كل البلاد^(٤) ، " الحاكم ذو الانتصارات العظيمة ضد كل البلاد الأجنبية^(٥) .

وكانت كل هذه الألقاب والنعوت التى كانت تطلق على الملك تكتب وتسخ عادة فيما يسمى باسم " بيت الحياة " وهو مكان مخصص لنسخ كل النصوص والمؤلفات الدينية وغيرها . وكان هذا المكان ملحقا بالمعابد الكبرى فى مصر القديمة . أما إذا كان هناك لقب جديد فكان ينشر بواسطة الموظفين ورجال البلاط فى كل أنحاء البلاد .

زينته وملابسه الرسمية :

كان الملك يستيقظ مبكرا فى الصباح ، ثم يستحم ويقوم مصفف الشعر بالقصر الملكى بتصفيف شعره وتقليم أظافر الأيدي والأرجل . وكان الملك لا يظهر مطلقا عارى الرأس أمام الجماهير ، بل كان يضع زيا على رأسه حتى وهو بين خاصته . وكان يضع على رأسه شعرا مستعارا مستدير الشكل يحوطه إكليل معقود من الخلف . ويلتف فوق الإكليل ثعبان الكوبرا المصنوع من الذهب ، انتفخ عنقه فانتصب وسط الجبين وأثناء الاحتفالات أو المقابلات الرسمية يضع التاج المزدوج .

وكان الملك يفضل أن يضع على رأسه أثناء استعراض الجيش وخلال الحروب ، الخوذة الزرقاء ذات الخطوط المتعرجة . وكان يضع أحيانا غطاء الرأس نمس ، المصنوع من القماش الأبيض ومخطط بخطوط حمراء ، وكان يضعه أيضا

(١) Id., op. cit ., p. 703 (814) .

(٢) Id., op. cit ., p. 668 (612) .

(٣) Id., op. cit ., p. 700 (801) .

(٤) Id., op. cit ., p. 696 (774) .

(٥) Id., op. cit ., p. 580 (114) .

أثناء الحفلات .

ومن أزياء الحفلات أيضا اللحية المستعارة ذات الجداول والتي تثبت بمشبكين مع زى الرأس ، مهما كان نوعه ، وكان الملك فى العادة يحلق ذقنه وشاربه ، وأحيانا كان يترك شعر الذقن ينمو قليلا ثم يحلقه فتصبح مربعة الشكل .^(١)

وكانت القطعة الأساسية فى ملابس الملك ، هى النقبة ، وتمتاز النقبة الملكية بأنها ذات ثنيات يشدها حزام عريض تتوسطه انشودة من المعدن نقشت على فتحها كتابة هيرغليفية تعبر عن اسم الملك وبعض ألقابه ، ويعلق ذيل ثور فى الخلف . وأحيانا كانت تعلق فى الحزام من الأمام مئزر على شكل شبه منحرف مستطيل . كانت ترصع من الداخل بعقود من اللؤلؤ . وكان الملك يمتلك مجموعة ضخمة من الصنادل المصنوعة من الجلد والنقش أو من المعدن . أما العقود والقلائد فهى عديدة وذات أشكال جميلة . أما القلادة الرئيسية فكانت تحتوى على عدة صفوف من اللؤلؤ يضمها قفلان على شكل رأس صقر وكانت تعلف على الرقبة بواسطة رباطين . وأحيانا كان يعلق على رقبتة أيضا لوحة مستطيلة للصدر على هيئة واجهة المعبد بواسطة سلسلة مزدوجة . كما كان يتزين بثلاثة أزواج من الأساور ، أحدها فى أعلى الذراع وآخرين عند المعصمين والثالث عند الكعبين .^(٢)

سلطاته وواجباته وأعماله الرسمية :

يذكر ديودور الصقل أن الملك كان يستيقظ فى ساعة مبكرة من الصباح وأن وقته كان موزعا بطريقة دقيقة بين العمل والعبادة والراحة . فبعد أن كان يتزين الملك ويضع الزى الرسمى كان يقدم ذبيحة أو قرابين للمعبودات . ويستمع إلى دعوات وتراويل كبير الكهنة ، وكان يقوم بعد ذلك بتنظيم أوقاته بين الاجتماعات

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٩٤ ، ٢٧١ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

الرسمية والمقابلات والمحاكمات والنتزه والتسلية . يجلس الكتبة القرفصاء من حوله لتسجيل تنظيم أوقاته وتسجيل أوامره وتعليماته .

كان الملك الحاكم المطلق ورأس الدولة التي تتجمع في يده كل الخيوط التي تهيم على شئون الحكم والإدارة في البلاد . وكان الملك حريصا على أن يحاط علما بكل الأحداث الجارية في البلاد ^(١) . ومن الألقاب والصفات التي كانت تطلق عليه يتضح أنه كان صاحب سلطة وسلطان على الوجهين القبلى والبحرى وتظهر هذه الألقاب كما رأينا دوره في السياسة الداخلية والخارجية ومسئوليته تجاه الوجهين وأهلها . كان الملك يشترك في أعمال الحكومة بنصيب وافر .

كان الوزير يعرض عليه صباح كل يوم أحوال البلاد ، وسير العمل فى الحكومة ، والمشكلات التي تتطلب أخذ رأيه فيها .

(١) الإشراف على الميزانية :

بعد ذلك يأتى دور المشرف على بيت المال الذى يقدم للملك تقاريره المالية وأحوال البلاد من الناحية المالية والضرائب المجبأة والجزية ومصروفات الحكومة .^(٢)

وفى بردية بولاق رقم ١٨ والتي ترجع بداية الأسرة الثالثة عشرة أو النصف الأول منها ، نجد جانبا عن كيفية إعداد الميزانية التي تعرض على الملك ، وقد كتبت هذه البردية بيد كاتب من طيبة يدعى نفر حتب ^(٣) ، كان يعيش فى عهد أحد ملوك هذه الأسرة . وكان لهذا الملك وزير يدعى عنخو . وكان الكاتب نفر حتب

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

طبعة ١٩٧٩ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

مكلفا بإعداد ميزانية للبلاط الملكى ، فالدخل كان يأتى أساسا من جمع الضرائب ،
والتي كانت تعد وتجمع فى ثلاثة أقسام يحمل كل قسم اسما عاما ، أى أن تأدية
الضرائب كان موزعا بين ثلاثة مكاتب . وتكشف لنا البردية انه كان هناك ثلاثة
أنواع من الدخول : عادية وغير عادية ويومية ، يمثل بعضها تبرعات الشعب ^(١)
للتاج الملكى . أما المصروفات فكان الكاتب يسجلها يوميا ويحدد الرصيد المقترح
للمصرف منه فى اليوم التالى . وكانت هذه المصروفات تنقسم إلى بندين :

(أ) مصروفات عادية وتشمل مخصصات الدولة ومستحقات العائلة الملكية
ومرتبات الموظفين .

(ب) مصروفات غير عادية وتشمل الهبات التى منحت بواسطة الملك لأفراد حاشيته
أو كبار موظفى الدولة على هيئة مكافآت بمناسبة عيد من الأعياد الدينية .

وكان الكاتب يتبع كل بند من المصروفات بالإيضاحات الآتية :

- " عن طريق أمر مكتوب " من الملك شخصا ، وذلك أشبه بالمنشورات أو
القرارات فى وقتنا الحاضر .

- أو " عن طريق أمر شفهي " من الملك شخصا ، نقل بواسطة موظف سمي
باسمه من موظفى البلاط الملكى ، مثل رئيس الديوان الملكى الذى كان مكلفا
بنقل مثل هذه الأوامر الملكية الشفهية . ^(٢)

وقد جاء فى هذه البردية ذكر قوائم الوظائف التى كانت معروفة فى هذه
الفترة فهناك قائمة طويلة بالموظفين من كبارهم حتى أبسط الوظائف ، وكل هؤلاء
كانوا يعاملون معاملة موظفى الدولة ويصرف لهم مخصصات من بيت المال ، وهى
مدفوعات عينية تحل محل المرتبات لأن البلاد كانت لا تعرف فى ذلك الوقت نظام
العملة وكان يجب ألا تمثل هذه المدفوعات عبئا ثقيلا على الميزانية العامة . فكان

(١) طبقا للبردية كان هناك مسئولون عن مكتب تبرعات الشعب .

(٢) راجع : Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 304 – 305

الملك يتكفل بصغار الموظفين وطبقة العمال والصناع والزراع ويقوم بتغذيتهم وكذا نسايتهم وأطفالهم .

(٢) الإشراف على المشاريع الداخلية :

- نرى على أثر من آثار الأسرة الأولى ، أن من بين أعمال الملك هو القيام بافتتاح مشاريع حفر الترع أو شق القنوات أى هو الذى يعطى إشارة البدء فى مشاريع الري .^(١)

- تفقد سير العمل فى المحاجر والمناجم والطرق الممتدة فى الصحراء لحفر الآبار فيها^(٢) . ونعلم أن الملك سيتى كان مشغولا بتزويد الباحثين عن الذهب بالماء ، وهم أولئك الذين كانوا يعملون فى المنطقة الواقعة شرقى ادفو وكان هذا الأمر يشغله إلى حد أنه انتقل بنفسه ليرى مدى متاعب العمال المحرومين من المياه وهم يعملون تحت أشعة الشمس المحرقة^(٣) .

- تفقد العمل فى بناء معابد ومقاصير المعبودات . وكان لتركيز السلطة والثروة فى يد الملك نتيجة هامة فى عصر الدولة القديمة ، فقد ساعد هذا العامل الملك على إعداد وتنفيذ المشاريع المعمارية الضخمة وأن يجند لها العداة الضخمة من السواد الأعظم .

(٣) سن القوانين وإصدار المراسم :

للقضاء على الفساد الذى يصيب موظفى الإدارة فى بعض الأحيان . مثل المرسوم الذى أصدره حور محب للقضاء على الرشوة واستغلال بعض الكتبة

Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Egypte Ancienne, (١)

p. 67 – 69; Erman- Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 111 .

Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 40 . (٢)

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

ومحصلى الضرائب السلطة للحصول على أموال صغار المزارعين . كما تناول المرسوم الذى أصدره سيتى الأول تحذيرات وجهت بلهجة شديدة إلى الوزراء وكبار الموظفين وحاكم كوش وإلى حملة السهام وإلى حراس الذهب ، وإلى الأمراء ورؤساء القبائل فى الجنوب وفى الشمال وإلى الفرسان ورؤساء الإسطبلات وحملات المظلات وإلى جميع رجال حراس القصر الملكى وجميع المبعوثين . وكان المقصود من هذا التحذير هو منع هؤلاء الموظفين من سوء استغلال أملاك ومخصصات معبد ابيدوس . كما قرر أن كل موظف يضع يده على ممتلكات المعبد يعاقب بضربه مائة ضربة بالهراوة وأن يرد ما سرقه وعليه أن يدفع ما يعادل قيمته مائة مرة على سبيل التعويض . وقد تصل العقوبة فى بعض الحالات إلى جلع الأنف وقطع الأنين وحجز الجاني ويصبح عاملاً زراعياً بين خدم المعبد .^(١)

(٤) تحمل مسئولية الأعمال الحربية :

كانت تقع على الملك مسئولية القيام بالأعمال الحربية وتقع عليه مسئولية حماية البلاد والدفاع عنها وعن حدودها فى الشمال والجنوب والشرق والغرب . وكان يرأس الجيوش وقت الحرب أو يرأسها أحد قواده الكبار . وأحياناً كان يشترك معه الأمراء من أبنائه . وكان عليه إعداد جيش قوى والعمل على وجود جيش ثابت منظم يدافع عن البلاد ، أو يرسل قواته للعمل فى المحاجر والمناجم فى أوقات السلم . وكان يطلب عقد اجتماع لمستشاريه فى البلاط الملكى إذا تعرضت حدود البلاد للخطر أو ليخبرهم بنبأ انتصار الجيش .

(٥) تعيين كبار الموظفين :

كان تعيين الوزير وكبار الموظفين وحكام الأقاليم واختيار رئيس كهنة آمون من اختصاص الملك وحده . وكان هناك وزير واحد لمعاونته الملك منذ بداية

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

الأسرات حتى نهاية الدولة الوسطى ، وأصبح له فى عصر الدولة الحديثة وزيران يتقاسمان الإشراف على الشئون الإدارية للوجهين القبلى والبحرى . وكان اختيار كبير الكهنة مثل اختيار كبير كهنة آمون مثلا كان من سلطة الملك ^(١) . أما تعيين الكهنة من ذوى المناصب الدنيا ، فقد كان يترك للوزير فى غالب الأمر ، وكان من حق الملك ترقية من هو صاحب كفاءة ونشاط من الكهنة ، هذا فضلا عن أنه كان من حق الملك أن ينقل أى كاهن من معبد إلى آخر . وكان من سلطة الملك كذلك تعيين القضاء من ذوى السمعة الحميدة والسيرة الحسنة .

(٦) حق منح العفو عن بعض المذنبين :

كان الملك يصدق فى بعض الأحيان على بعض الأحكام القانونية ^(٢) . وكان يمنح العفو عن بعض المذنبين أو الفارين ^(٣) مثلما حدث فى قصة سنوهى عندما عفا عنه الملك سنوسرت الأول وسمح له بالعودة إلى مصر بعد أن فر منها فى لحظة من لحظات الضعف .

(٧) المشاركة فى الأعياد والاحتفالات الدينية والرسمية :

كان الملك يشترك فى الأعياد التى تخصه مثل عيد السد (أى العيد الثلاثينى) أو الأعياد التى تقام بمناسبة تتويجه واحتفالات النصر والأعياد والاحتفالات الدينية الكبرى ^(٤) .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء : الحضارة المصرية ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٤) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١١٥ .

(٨) منح الهبات والهدايا :

تكشف لنا بردية بولاق رقم ١٨ السابق ذكرها ، أن الملك كان يمنح أفراد العائلة الملكية بعض الهبات العينية بمناسبة الأعياد . وتذكر البردية عيدين كلاهما يخص طقوس المعبود مونتو مدامود . ونعلم أن من بين المستفيدين ، بالعطاءات الملكية ، الملكة وأخوات الملك . وأثناء حرب التحرير ضد الهكسوس كان الملك يوزع الذهب تقديرا لشجاعة عدد من قواد الحرب .

وكان الملك يدعو أحيانا مجموعة من الأفراد لتكريمهم في القصر الملكي . ويرى من الخارج صف القاعات الملكية وقد زودت بالكراسي ذات المساند والصناديق الفاخرة . وقد رصت جميع الهدايا التي ستوزع على موائد وضعت بجانب الملك . وفي فناء القصر يقوم حراس الملك بترتيب صفوف مستحقى الجوائز وإدخالهم ، كل بدوره ، حتى حافة الشرفة عندئذ يحيى مستحق المكافأة الملك ، بذراعيه ، ويلقى كلمة يمتدح فيها الملك ، فيجيبه الملك بالثناء على مهارته وتقانيه في عمله . وعلى الفور تعلق القلائد في أعناق من أنعم بها عليهم ^(١) ورأينا الملك اخناتون وهو يقوم بتوزيع الجوائز بنفسه . وكانت الهدايا ذات قيمة كبرى أحيانا وتتكون من ١٠ دبن ^(٢) من الذهب و ٢٠ من الفضة ، و ٢٠ ارورا من الأراضي الزراعية .

(٩) استقبال السفراء الأجانب :

كان حفل استقبال السفراء الأجانب يفوق بكثير حفل توزيع المكافآت ، لأنه كان مناسبة عظيمة تتيح للملك بان يظهر فيها أبهته . ولإقامة هذه الحفلات كان الملك

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) حوالى ٩٣,٣ جراما ، راجع د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية

في العصر الفرعوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٠ .

يشيد سرادقا كبيرا وسط ميدان ، ويحيط بهذا السرادق الحرس الملكى وحاملوا المظلات والكتبة . ويصطف السفراء من أركان العالم الأربعة فى وقت واحد على جوانب السرادق الأربعة ، تتقدمهم الهدايا الثمينة التى أحضروها معهم ، فيقوم الكتبة بجردها وتسجيلها ثم تحمل بعد ذلك إلى مخازن المعبد المجاور .^(١)

حياته الشخصية :

كان الأمير فى حداثة سنه يقوم بممارسة أنواع مختلفة من الرياضة مثل العدو والفروسية والتجديف والرماية وتصويب الهدف كما فعل أمنتب الثانى . وعندما يصبح ملكا كان يمارس بعض هواياته . فقد ترك لنا أمنتب الثالث مجموعة من الجعارين عليها نقوش تحدثنا عن ذكرى صيد الحيوانات المتوحشة من ثيران واسود بالقرب من قنا^(٢) . وصور الملك رمسيس الثالث على الجدار الداخلى للصرح الثانى وهو يقوم بصيد أسد وثور وحشى ووعل .^(٣)

ولم يعتمد رمسيس الثالث على ضباطه للتأكد من أن خيوله فى حالة طيبة ، فهو الذى كان يتوجه إلى الإسطبل الكبير بالقصر مرتديا ثيابه الرسمية كاملة يحيط به حامل المظلة وحامل المروحة ، يليهما الضباط لخدمته .^(٤)

عندما كان الملك يعود من رحلة صيد بعيدة ، وجد راحته فى قصره فى طيبة فى صحبة الملكة وأبنائه . وكان الملوك يحرصون على مجالسة أهل العلم . فقد استدعى سنفرو إلى البلاط الملكى كاهنا كان يعرف أحداث الماضى ويتنبأ بالمستقبل . وعندما بلغ سمع الملك خوفو ، أنه يعيش فى عهده كاهن يأتى بالمعجزات

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) . (١٩٤٧) ٤٥ ASAE , p. 87-92; Breasted, AR11(865) .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ؛ ص ٢٩٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

كلف أحد أولاده ، بأن يحضره إلى القصر الملكى .^(١)

وكانت إحدى تسليات الملك ان يشاهد المصارعات والمسابقات التى تقام بين الجنود الذين أحسن تدريبهم . وكثيرا ما كان يدعو معه رجال البلاط ليستمتعوا بالمشاهدة .^(٢)

ثقافته وخبرته وإشراك ولى العهد فى الحكم :

كان هناك من الملوك من كان على جانب كبير من الثقافة ونو خبرة فى شئون الحكم والإدارة ، مثل الملك خيتى الثالث (أو الرابع) من العصر الأهناسى الذى ترك لابنه مريكارع بردية جمع فيها كل تجاربه وتحليله للسياسة الداخلية والخارجية التى يجب اتباعها وذلك فى صورة نصائح لولده مريكارع . وكذاك بردية تعاليم أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة . وتعاليم تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع وطاعة سيتى الأول لخدمة الدين والمعبودات^(٣) . كما يحدثنا رمسيس الثالث فى نصوص بردية هاريس رقم ١ عما قام به من أعمال لتجميل معابد المعبودات وعلى الأخص معبد آمون فى اوبت ومعبد آتوم فى إيونو ومعبد بتاح فى منف وما يماثلها دون ان ينسى معابد المعبودات الأقل مرتبة ، إذ أمدها بعدد وافر من الموظفين المدربين وبقطعان من الماشية والملاك العينية وفى مناسبة كل عيد من أعيادها . ولم يهمل ذكر ما قام به للناس من توفير أسباب الراحة والأمن والاستقرار ولهذا يكرر دعاءه لجميع المعبودات من أجل ابنه ومن أجل أن يثبت على العرش من بعده .^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ - ٣١١ .

(٣) راجع فيما بعد ، الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠ .

ثانيا - نظم الإدارة :

الوزير واختصاصاته :

كان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فعلى صلاة الملك نعرمر على الوجه الخلفي ، نجد ان الشخص الذي كان يسبق الملك والمميز عن الآخرين بطولته وملابسه وشعره المستعار ربما انطبقت عليه وظيفة وزير وذلك لأنه يحمل لقب " نِت " ربما كان الأصل لكلمة ثنتى بمعنى وزير . ونقش على بعض الأواني التي عثر عليها تحت هرم جسر على لقب قاضى عال ووزير باسم منكاي ، ولا نعترف هل كان مواليا لأول ملوك الأسرة الثالثة أو لأحد سابقيه ، فقد عثر على هذا الاسم على أواني كثيرة ولكن من الصعب تحديد ذلك .

وظهر لقب وزير فى ألقاب ايمحوتب من بداية الأسرة الثالثة على الرغم من أن بعض العلماء يعتقد أن وظيفة الوزير لم تظهر إلا فى الأسرة الرابعة ^(١) . كانت هذه الوظيفة تسند فى أول الأمر إلى أحد أبناء الملك ، ولكن أصبحت بعد ذلك من حق بعض كبار الشخصيات الذين لم تربطهم بالملك أى روابط قرابة .

وحفظت لنا نقوش مقبرة رخمي رع من الأسرة الثامنة عشرة ، التوجيهات التي وجهها له تحوتمس الثالث عندما نصبه وزيرا ، ولكنها تحذره من التحيز والمحابة وعليه أن يحكم بالعدل والنزاهة والرفق بالناس وأن يعاملهم بالمساواة ^(٢) . وكانت هذه المبادئ التي ينبغي على الوزير أن يطبقها فى دائرته و كان يطبقها أيضا

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 52.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٦ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ : الحضارة المصرية ، ص ١٣٠ - ١٣٦ .

وعن حالة الإدارة وإدارة الأقاليم وإدارة المعبد والنصوص الإدارية ، راجع :
Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 12 – 28.

بقية الموظفين الذين يمارسون القضاء في الأقاليم (١).

ومن واجبات الوزير أنه كان يرأس إدارتي الخزانتين أى بيت المال الأبيض ويشرف عليه مدير أو رئيس ويختص بضرائب الوجه القبلى ، وبيت المال الأحمر ويختص بضرائب الوجه البحرى (٢) . وأنشئت هاتين الإدارتين تحت حكم الملك " برايب من " من الأسرة الثانية .

واندمجت الإدارتان فى عصر الدولة القديمة تحت إدارة واحدة وأصبحت تسمى " بيت المال المزوج الأبيض " (٣) . وكانت هناك إدارات تابعة لبيت المال هذا فى الأقاليم وكان المشرف على بيت المال فى العاصمة يقوم بتقديم تقريره اليومى للوزير ويتدبر الشئون المالية للدولة معه بحيث يمكن توزيع الدخل على أوجه الصرف المطلوبة من الحكومة . وبعد ذلك يأخذ الإن من لكى يبدأ نشاطه اليومى فى مكان عمله . فتفتح بأمره المخازن . وكان الوزير ينتظر من الموظفين المحليين تقريراً فى أول كل فصل من فصول السنة . وتقريراً شهرياً عن سير الأعمال حتى يمكن للوزير بدوره أن يطلع الملك أولاً بأول على الأحوال الاقتصادية فى البلاد .

وكان الوزير يقابل الملك صباح كل يوم ويعرض عليه أحوال البلاد ، وسير العمل الحكومى ، ويعرض عليه المشكلات التى تتطلب رأيه ويتلقى منه التوجيهات الضرورية . وكان الوزير يبلغ بارتفاع منسوب مياه النيل حتى يتسنى تقرير ما يمكن أن يوزع من الأراضى التى تصل إليها المياه ، وبالتالي تقدير الضرائب التى ستفرض عليها . فكان يوجد سجلات فى بيت المال تتضمن قوائم بالأمالك من حقول وحدائق ومنازل . وكان لابد أن يسجل كل تغيير يطرأ على حالة هذه الأملاك (٤) .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٧٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

وكانت خزانة الدولة تشرف على جمع المنتجات التى كان يجب على أهالى البلاد تقديمها للبيت العظيم " بر - عا " أى القصر الملكى . وكانت محاصيل الحقول والبساتين تجمع فى الشونة المزروجة لبيت المال . وكان الوزير يشرف على تلقي الضرائب المفروضة على المهن والحرف الأخرى والتى كانت إما تدفع عينية . وإما بالذهب والفضة . وتسجل كل هذه الضرائب وقيمتها فى سجلات رسمية . وطبقا لنصوص حجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عهد الملك عج ايب من الأسرة الأولى كان هناك إحصاء كل عامين ، وهذا الأمر يجعلنا نعتقد أن هناك ضرائب تدفع عينية ، والإحصاء يسمح أيضا بتحديد الأراضي التى خربت بواسطة الفيضان المرتفع . وكان الوزير يشرف أيضا على تلقي جزى الأقطار الأجنبية التابعة لمصر ، فى حين يتولى معاونوه تسجيل هذه الجزى فى سجلاتهم .

كان الوزير كبيرا للقضاة ويرأس القضاء . وقد سجلت نقوش مقبرة رخمى رع جانبا من قاعة الوزير يصطف الناس فى خارجها مترقبين دورهم ليدخلوا واحدا واحدا أمام الوزير ليعرضوا شكاياتهم . وكان ينبغي أن ترفع الشكاوى للوزير مكتوبة ، وحينئذ يبدأ الوزير فى النظر إليها كلما أراد التأكد من فقرة أو بند .

وكان يجلس من حوله مستشاروه أو الموظفون المختصون بالشئون القانونية ^(١) . وإذا كانت الشكوى المقدمة للوزير تتعلق بنزاع على أرض مثلا ، فقد حدد القانون أن يصدر الوزير حكمه فى خلال ثلاثة أيام . أما إذا كانت الأرض موضع النزاع فى مكان بعيد عن العاصمة ن فقد أباح القانون للوزير مهلة تبلغ شهرين حتى يستطيع أن يبحث الأمر ووضع الأمور فى نصابها . وفى هذه الحالة يقوم بالتصديق على مستندات الحدود بنفسه للفصل بين مالك الأرض وجاره ^(٢) .

أما إذا كانت الشكوى خاصة بحادث سرقة ، فقد سمح القانون للموظفين الإداريين بعقد مجالس أو دوائر قضائية للنظر فيما يعرض عليها من قضايا . وكان

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

مجلسهم هذا ينتقل أحيانا إلى مكان الحادث ليعاين ويناقش المتهمين . وكان يطلب من المتهمين أحيانا أن يعبدوا وصف ما اقترفوه أمام أعضاء المجلس .

وقد جاء فى محضر من محاضر جلسات الدائرة التى عهد إليها بالتحقيق فى سرقات المقابر الملكية فى أواخر عصر الرعامسة ، أن أعضاء الدائرة القضائية قد انتقلوا إلى منطقة المقابر فى البر الغربى مع اللصوص للتحقق من كل سرقة . وكان يترك لكل لص القرصة يشرح فيها كيفية دخوله المقبرة بمفرده أو مع أعوانه ^(١) . وكانت تسجل الأسئلة الموجهة للصوص وإجاباتهم عليها فيما يشبه المحاضر الحالية . وكان وزير الجنوب يرأس بعض جلسات هذه الدوائر القضائية . بالإضافة إلى ذلك كانت المجالس القضائية الكبرى تحت إشراف الوزير ، فهو الذى يشرف على البيوت (أو دور) الستة الكبرى ، ويرأس مجلس عشرة الجنوب العظماء . وكان يقوم أحيانا بإصدار بعض القوانين ، وخاصة القوانين الإدارية .

وكان الوزير يشرف على إدارات أخرى فى الدولة ، فكان يشرف مثلا على أملاك بعض المعابد الكبرى وعلى معابد المعبودات الأخرى . ويشرف على مخزنى الغلال للوجهين القبلى والبحرى ، ويشرف على جميع " أشغال الملك " كما أنه يشرف على السجلات الملكية التى كانت تحفظ فيها الأوراق الهامة كالمراسيم الملكية والعقود والوصايا . ويشرف أيضا على قوات الشرطة والحرس ، وقوات الجيش والبحرية تخضع لأوامره ، وكذلك قوات الحاميات فى القلاع والحصون وملحقاتها على حدود البلاد . وكان رؤساء هذه القوات فى القلاع يرسلون إليه بتقارير بما يروونه من تحركات العدو أو تسربات عبر الحدود ، وينتظرون أوامره ، بعد أن يأخذ الوزير التوجيهات والأوامر من الملك نفسه بما يجب عمله ^(٢) . وكان يقوم بترقية بعض الموظفين فى وظائفهم . بالإضافة إلى أن الوزير كان يجمع فى يده أكثر من سلطة فى مجال الإدارة والقضاء ، وكان من الممكن أن يصبح أيضا كبير الكهنة فى معبد الكرنك فى طيبة أو كبير للرئيسين فى ايونو . ومن الممكن أن يصبح كذلك من

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

رجال الأدب والحكم والأقوال الماثورة ويتناقل الناس عنهم أقوال الحكمة التي وردت على لسانهم أو التي قاموا كتابتها ، ولعل أشهر هؤلاء كان بتاح حتب وزير جد كارع اسيى من الأسرة الخامسة .

وكان المركز الرئيسى الذى يباشر منه الوزير فى عصر الدولة القديمة والوسطى إشرافه على إدارات الحكومة ، هو العاصمة ليكون قريبا من الملك ^(١) . ولتسهيل تنفيذ تعليمات الملك على الإدارات المختلفة . كما كان من حقه الاحتفاظ فى مكتبه بسجلات الدولة الإدارية والقانونية ، وفتح وغلق مصانع القصر ، وفى صحبته حامل الختم الملكى . كما كان يستقبل السفراء والجزى الأجنبية ، والإشراف على البعثات الخاصة بالتعدين أو قطع الأحجار ، وحشد قوات الجيش والتفتيش عليها ^(٢) .

وهناك لوحة بالمتحف المصرى تحمل رقم ١٥٧٨٧ من عصر الأسرة السادسة وعثر عليها فى أبيدوس وعليها نص يخص إحدى السيدات النبيلات وتدعى " نبت " وكانت ذات صلة قرابة بالملك بيبى الأول (والده زوجته) وكانت تحمل من ألقابها الألقاب الآتية : " الأميرة الوراثية ، ابنة جب ، ابنة مرحسو ، ذات السترة ، القاضية ، الوزيرة ، ابنة تحوتى ، سميرة ملك الوجه البحرى ، ابنة حورس ، المبجلة من قبل (اوزير) الذى يترأس الغرب ، سيد ابيدوس ، المبجلة نبت ^(٣) . فهل يشير هذا النص إلى أن هذه المناصب كانت قاصرة على بعض سيدات الأسرة الملكية ؟ وعندما يقال لها إنها ابنة تحوتى فهل هذا يدل على أنها صاحبة ثقافة وعلم ؛ ولو أن البعض يرى أن هذا اللقب كان شرفيا .

(١) المرجع السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) Borchardt, Denkmaler des Alten Reiches II, p. 59 (1); Meeks, Alex Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 455 (3); 11, p. 418; WbV, 344, 2 .

وأىضا جلال أبو بكر : أسبوط حتى نهاية عصر الدولة القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ١٩٨٩ ، ص ٣٠٥ حاشية ، ٢٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٥٧ وراجع أيضا د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٩٦ .

قام فيشر بإحصاء أكثر من خمسة وعشرين لقباً إدارياً حملته السيدات فى عصر الدولة القديمة .^(١) وكانت هناك مشرفة الطبييات ، بعشت التى كانت مسئولة عن علاج سيدات البلاط الملكى . وورد لقبها هذا فى مقبرة ابنها أخت حتب بالجيزة من الأسرة الرابعة .^(٢) وتذكر النصوص سيدة من القرن الحادى والعشرين ق-م حكمت إقليم أسيوط باعتبارها وصية على ابنها .^(٣)

كبار الموظفين :

إلى جانب الوزير كان هناك موظفون آخرون ظهرت أهميتهم عبر العصور التاريخية وطبقاً لتطور نظم الحكم والإدارة ، وكان يعتبرون من كبار رجال الدولة ، ومنهم : " مستشار ملك الوجه البحرى (أو حامل ختم ملك الوجه البحرى) " وظهر هذا اللقب منذ العصر الثينى ، وكان لحامله دور هام وفعال لأنه كان يتحكم فى الجزء الشمالى الأكثر غنى فى البلاد . ولو أننا لا نملك أى دليل على وجود وظيفة مماثلة للوجه القبلى . وكان تحت يد هذا الموظف الكبير موظفون يحملون لقب رؤساء الأعمال .^(٤)

- " المشرف على الزراعة " .

- " المشرف على السجلات والوثائق الملكية " .

وقد أخذ بالتدرج الوظيفى بالنسبة لهذه الوظائف الثلاثة الهامة ، إلى جانب قواد الجيش بقواته البرية والبحرية ، الذين احتلوا مكانة مرموقة فى المجتمع المصرى القديم . وفى أوقات الحرب كان يرأس فيال الجيش كبار القادة . وفى أوقات السلم كان يستعان بعدد من الضباط فى النواحي الإدارية للجهاز الحكومى^(٥) . وعثر على لقب قائد الجيش فى أقدم نقش عثر عليه فى سيناء من الأسرة الثالثة^(٦) . ومن

(١) Fisher, Administrative Titles of woman in the old kingdom, p. 71.

(٢) Hassan, Giza I, p. 83 Fig. 143; Jonckheere, les Medecins de L'Époque Pharaonique, p. 41.

(٣) د. عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، ص ٧٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٦) Erman - Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 111; Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Égypte Ancienne, p. 68 .

الوظائف الكبرى أيضا :

- " ابن الملك حاكم كوش " ، حاكم بلاد النوبة السفلى .
 - " مبعوثو الملك أو مستشار الملك " عبر البلاد ومنهم من كان يحمل لقب " أنسى الملك " و " عيني الملك " ^(١) وبالتحديد في الوجه القبلى أو الوجه البحرى .
 - " رؤساء الكتبة " فى الإدارات الحكومية المختلفة .
 - " رؤساء الأقسام المتعددة " فى الإدارات الحكومية .
- ويمكن القول بأنه بالنسبة لكل هؤلاء الموظفين الكبار فإنهم بدأوا حياتهم الوظيفية فى وظيفة " كاتب " فى إدارة ما ثم ترقوا فيها حتى استطاعوا أن يرأسوا الإدارات أو يحكموا مدنا أو مقاطعات . ^(٢)
- " حامل المروحة على يمين الملك " ، وكان من أرفع الألقاب فى الدولة ويحمله ولى العهد . ^(٣)

موظفو القصر الملكى :

كان القصر الملكى هو مركز الحكومة وفى الوقت نفسه بيت الملك ، والذى يشرف عليه هو بنفسه ، ونعلم أنه منذ عصر بداية الأسرات كان القصر الملكى يتضمن جزءا خاصا بالحريم يشرف عليه أحد الموظفين . وكان هناك مدير للقاعة الوسطى ، يقوم بوظيفة رئيس التشریفات ويقوم بتقديم الموظفين إلى الملك . ^(٤)

ونعرف من نقوش الأختام الأسطوانية أو طبعات الأختام فوق سدادات

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٤) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 53 .

الأواني أسماء وألقاب بعض الأشخاص والإدارات التى ألحقوا بها . وكان حول الملك أيضا بلاط به أصدقاء ومن الصعب معرفة حقيقة هذه الصداقة او مداها . وكانت مخصصات القصر الملكى أكبر من مخصصات رجال الدولة وتكشف لنا بريدية أرشيف ابو صير من الدولة القديمة عن بعض ألقاب موظفى القصر الملكى وكذلك أصحاب المهن والحرف الذين كانوا ملحقين بالقصر الملكى ومن هذه الألقاب نجد :

- " الملحق بالقصر الملكى " ، " رئيس المحققين بالقصر الملكى " ، " كاتب القصر الملكى " . ومن أصحاب المهن والحرف نجد :

- " رئيس مصفى الشعر فى القصر الملكى " ، " مقلم الأظافر فى القصر الملكى " ، " مسئول الأضاحى فى القصر الملكى " ، " طبيب القصر الملكى " ^(١) ، " مغنى القصر الملكى " ، " رئيس المغنيين فى القصر الملكى " ، " المشرف على حدائق القصر الملكى " ، " رئيس المشرفين على حدائق القصر الملكى " ^(٢) ، ونعرف أيضا أن هذا اللقب الأخير كان معروفا من قبل فى عصر بداية الأسرات ، فنعرف :

- " المشرف على حدائق وكروم ملك مصر العليا والوجه البحرى " .

- " كتبة الأرشيف الملكى " .

وإلى جانب وجود من يهتمون بالحدائق الملكية ، كان هناك أيضا طبقة الصناع من نحائين ورسامين والعمال اللازمين لصناعة الأثاث . وأخيرا كان هناك " حارس القصر الملكى " ^(٣) .

Posener – Krieger , les Archives du temple funéraire I , p. (١)
109 ; t. II , p. 385 – 389 .

Id., op. cit . II , p. 657 – 661 . (٢)

Id., op. cit . II , p. 661 . (٣)

موظفو الإدارات الحكومية :

كان أولاد الموظفين يبدأون وظائفهم الإدارية بمجرد تخرجهم من المدرسة وكانت ترقياتهم تبعاً لقدراتهم مواهبهم وتفانيهم في العمل . وكان ينبغي على الطالب أن يكون ملماً بقواعد اللغة ويجيد الكتابة ويعرف أشكالها وتكون لديه معرفة بفنون الدب وخاصة أدب التعاليم والأدب الديني وأن يكون ملماً بمجموعة من العلوم أهمها : الرياضيات والهندسة والتاريخ والجغرافيا والرسم . وبعد أن يتلقى هذه العلوم فيما يسمى بالمدارس الأولية كان عليه أن يلتحق بعدها بإحدى مدارس دواوين الحكومة لكي يجمع فيها بين دراسته الأولية والخبرة العملية فيعهد به إلى موظف كبير أو كاتب قدير لكي يعلمه فن الإدارة ويصبح مدركاً للقوانين والصيغ الإدارية والرسمية المختلفة ، وعندما ينتهي من هذه المرحلة العملية يصبح بعدها مؤهلاً لكي يشغل وظيفة كاتب في إحدى إدارات الدولة أو الجيش أو المعابد أو القصر الملكي وبعد أن يمكث فترة في وظيفة كاتب يصبح بعدها رئيساً للكتابة .

كان هناك مجموعة من الإدارات تخضع لإشراف الوزير . يعمل بها عدد من الموظفين الذي يجمع بينهم نظام وظيفي محدد . وكان عماد الوظائف الحكومية هو " الكاتب " إلى كانت من الوظائف المرموقة في الجهاز الحكومي . وكان من الطبيعي أن ينتشر هؤلاء الكتبة في كل المصالح والإدارات الحكومية في العاصمة وفي مختلف أقاليم البلاد يصرفون الأعمال المختلفة ويراقبون أملاك الدولة ، ويقدرن الضرائب ويسجلونها ويجمعونها ثم يباشرون تنظيمها وتحديد أوجه صرفها .^(١)

وحملت طائفة الموظفين مجموعة من الألقاب التي سجلوها على جدران مقابرهم أو على آثارهم المختلفة التي تركوها ، وعليها تحدد وظائفهم

(١) بيير مونتييه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

واختصاصاتهم^(١) ، وكان كل شخص ذو أهمية يحتل وظيفة في الحكومة أو بين طبقة الكهنة . ولوحظ في عصر الدولة الوسطى كثرة عدد الموظفين ذوي المناصب الصغيرة وازداد انتشارهم في جميع مصالح الحكومة^(٢) . ويمكن للموظف أن يؤدي أعمالا متنوعة وينتقل من عمل إلى آخر في سهولة . فقد كان " ونى " فى بادئ الأمر من رجال الشرطة ثم أصبح قاضيا ، ولما نشبت الحرب ، شغل وظيفة قائد عسكري^(٣) ، وكان الابن يرث الوظيفة عن أبيه مادام أهلا لها وتزول بعد ذلك من وريث إلى آخر . وكانت أمنية الآباء هو حصول الأبناء على مثل وظائفهم . ونجد فى صيغة " نداء إلى الأحياء " التى يسطرها المتوفى على واجهة مقبرته منذ عصر الدولة القديمة ، النص الآتى :

" إذا أردتم أن تؤول وظائفكم لأولادكم فعليكم أن تقولوا صيغة القرابين لصالح فلان " وإذا لم يقم الأحياء أو من يمرون بالمقبرة بما يجب عمله لصالح نكرى فلان ، فإنهم عرضة للتهديد ، ولن يشغل أبناؤهم مكانهم فى الوظائف والموظف العاصى يحرم من وظيفته وتوقع عليه عقوبة شديدة كما يحل العقاب بأولاده الذين تسند إليهم أعمال يدوية شاقة^(٤) . وكان موظفو الملك يكافئون بالكساء والعطايا والهدايا وبالطعام والشراب ولم يكن الملك يتكفل بمكافأة الموظفين وإطعامهم فى حياتهم فقط ، بل أن هباته كانت تشمل أسرهم بعد وفاتهم^(٥) .

ما يجب أن يكون عليه الموظف من سلوكيات :

كان الحكماء يحثون ممثلى السلطة بالعدل والإنصاف فى أداء مهمتهم . وقد ذكر بعض الموظفين فى نقوشهم فى مقابرهم ، أو على تمثال شيد فى المعبد ، أنهم

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

(٤) Garnot, L'Appel aux vivants, p. 25; Wild, l'Adresse aux visiteurs " du tombeau de Ti, dans BIFAO 58 (1959), p. 101-113; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 570 – 571.

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٣ – ١١٤ .

كانوا يعملون وفقا لتلك المبادئ . فقال الوزير بتاح - مس :

" لقد عملت ما يستحق ثناء الناس ويستوجب رضا المعبودات ، لقد أعطيت خبزا للجائع وأشبعته من لا يملك شيئا " . وقال الوزير رخمي رع :

أنه " كان يحمي الضعيف ضد القوى ويدافع عن الأرملة التي لا أقارب لها . وعين الأولاد في مراكز آبائهم " . وقال باك ان خنسو ، كبير كهنة آمون أنه :
 " كان يمد يده للباتسين ويضمن العيش للمعوزين ، ولم يعامل الخدم بقسوة ولكنه كان أبا لهم ووضع اليتيم الذي التجأ إليه تحت حمايته وحرص بنفسه على مصالح الأرملة . ولم يطرد ولدا من مركز كان يشغله أبوه .. ولم ينزع الطفل من بين ذراعي أمه ... " (١)

الإدارات الحكومية المختلفة :

توجد أغلب الإدارات الرسمية في العاصمة مثال ذلك :

إدارة التعداد :

عثر في مدينة اللاهون على مجموعة كبيرة من البردي مؤرخة من نهاية عصر ملوك الأسرة الثانية عشرة وأوائل ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وبعض هذه البرديات تخص التعداد ، وهذا بالطبع عامل أساسي للإدارة في أي بلد ، وقد كتبت بعناية كبيرة جدا ، وكان تعداد السكان يتم في مكتب رئيس التعداد أما موظف كبير ، ويسجل بواسطة كاتب توثيق أمام عدد معين من الشهود من موظفي الإدارة ، أحيانا يكونون ثلاثة . وتحفظ نسخ من بيانات التعداد في إدارة التعداد بالعاصمة ، وكان هناك مكاتب للتعداد في الأقاليم وكان يوجد أيضا مثل هذا التعداد بالنسبة للممتلكات

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

العقارية والمائية ، وتدلنا النصوص أن هذا التعداد كان يجرى فى أول الأمر مرة كل عامين ، وبعد ذلك أصبح يجرى كل عام ، وبحيث تستطيع الحكومة المركزية الإحاطة على وجه التقريب فى كل وقت بعدد السكان ، وحصر ثروة البلاد. وربما كانت العاصمة مقسمة إلى أحياء ، لأننا نعلم من برديات اللاهون أن أقليم الفيوم كان مقسما إلى مقاطعتين شمالية وجنوبية .^(١)

إدارة الشؤون والغلل :

الإشراف على شئون تخزين الغلل التى تسأى من محاصيل الأراضى الملكية ، والتى تأتى من ضرائب الملاك الخاصة . كما كان لكل معبد شؤنته الخاصة به لتخزين الغلل من أراضى أوقاف المعبد . وكان لإدارة الشؤون فروع فى جميع الأقاليم .

إدارة الهبات الملكية :

كانت هناك إدارة تقوم بتقديم القرابين والتقدمات فى مقابر عدد كبير من الموظفين ، وكان يطلق عليها اسم " بر حرى وجب " ^(٢) . وكان ملحقا بهذه الإدارة موظفون وعمال . وتشرف أيضا على الهبات الملكية من طعام وشراب .

إدارة الأشغال والأعمال :

وهى التى تتولى عبء إنشاء المعابد المختلفة وأهرام ومقابر الملوك والملكات وبعض مقابر كبار الموظفين . وكذلك فيما يتعلق بالمشروعات العامة مثل بناء السدود والقلاع والحصون وإدارات الحكومة المختلفة والقصور بكل ملحقاتها

(١) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd . 1952), p. 301 – 308.

(٢) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٤ .

وكان ملحقا بهذه الإدارة من يقومون بتخطيط المدن والقرى العامة والقرى الخاصة بسكن العمال ، وأيضا بتخطيط الميادين العامة والحدائق العامة ، وكان بها عدد من المهندسين والموظفين والعمال .

إدارة المناجم والتعدين :

وهي التي تنظم إرسال البعثات لاستخراج الذهب وغيره من المعادن . وكانت ترسل معها جماعات من قوات الجيش لتأمين الطرق المؤدية إلى المناجم البعيدة في الصحراء ، وكانت تقوم أيضا بإعداد الخرائط اللازمة لمواقع هذه المناجم . ولا شك انه كان يصحب هذه البعثات من لديهم خبرة في معرفة نوعية المعادن الخام في داخل طبقات الصخور ، ومعرفة مدى جودتها والتي تستلزم استخراجها . وكان يصحب هذه البعثات أيضا طبيب لمعالجة العمال إذا تعرضوا لإصابات أثناء عملية استخراج المعادن أو قطع الأحجار ^(١) . وعلى صخور شبه جزيرة سيناء نجد كثيرا من النصوص التي خلفها لنا أعضاء هذه البعثات .

إدارة التسجيل والتوثيق :

لتسجيل الوثائق الخاصة بالأموال في حالة بيعها أو شرائها . ويسجل فيها الظروف والأسباب من وراء الشراء والبيع ويقوم بالتوقيع على هذه الوثائق الشهود الذين تمكن الرجوع إليهم عند وقوع أى خلاف على ملكية شئ ما . وفي بلد زراعى كمصر كانت تكثر المنازعات حول ملكية الحقول والأراضي ، ويتطلب الأمر كثرة الرجوع إلى الوثائق الأصلية التي تحدد حدود الملكيات الزراعية ومساحتها ^(٢) . وتقوم هذه الإدارة بتسجيل الوصايا الخاصة بالأفراد لصالح أشخاص آخرين

(١) المرجع السابق ، ص ١١٤ ؛ Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne , p. 160 – 161 ; Daumas , la Vie dans L'Égypte Ancienne , p. 50 – 55 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .

أو لصالح وقف من الأوقاف .

إدارة الوثائق الملكية :

وهي تختص بتسجيل ونسخ وحفظ كل الأوامر الملكية الخاصة بتعيين الوزراء وكبار الموظفين وحكام الأقاليم . أو الأوامر والتعليمات التي تخص الإدارات الحكومية أو القوانين التي يسنها الملك لإصلاح الإدارة . وبعد أن تنسخ هذه الأوامر ترسل إلى جميع أنحاء البلاد وتوزع على الإدارات المختلفة في العاصمة وفي الأقاليم حتى يسير الموظفون على هديها . ونجد أحيانا في هذه التعليمات توجيهات لمختلف أوجه النشاط الحكومي أو فرض الضرائب أو إعفاء أشخاص أو معابد من أي التزامات أو ضرائب ، أو مراسيم تحدد الأملاك الموقوفة على المعابد وعدم التعرض لها . وفي هذه المراسيم يحرص الملك على أن يأمره وزيره بأن يتولى الإشراف على نشر هذه المراسيم ووضع نسخ منها على أبواب المعابد .

وعثر على ما يمثل مبنى وثائق القصر الملكي في عصر الرعامسة ، وهو يشتمل على قاعة رئيسية تدعم سقفها عشرة أساطين في صفين ، وفيها مقاعد مرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية أمامه على مائدة . وأما القاعتان الجانبيتان فتحتويان على صناديق تحفظ فيها الوثائق ^(١).

ثالثا - النظام المالي :

اعتمدت مصادر الدولة على استغلال الأراضي الصالحة للزراعة ، واستغلال ثروات البلاد الطبيعية . وكان ارتفاع النيل في مواسم الفيضان يسجل أول بأول وذلك لارتباط هذا بتقرير الضرائب المفروضة وكانت الدولة تعتمد على جباية

(١) د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ١٣٥ شكل أ ، ب .

الضرائب وعلى تصدير المنتجات المحلية مثل تصدير لفائف البردى ، والأسماك المملحة . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة عندما أصبحت الدولة دولة عسكرية تعتمد إلى حد كبير على فتوحاتها فى الخارج ، اعتمدت أيضا على الجزية والهدايا التى ترد تباعا من أملاكها فى الشرق .

الضرائب :

كان النظام الاقتصادى يخضع لرقابة الدولة . وكانت الدولة تقوم بتنفيذ مشاريع الري المختلفة اللازمة للمزارعين . وتتكفل بتوفير المواد الخام للصناع وأصحاب الحرف التى يتمكنوا من دفع ما عليهم من ضرائب ، التى تمثل الدخل الرئيسى للدولة ، فهناك ضريبة المحاصيل الزراعية ، وضريبة الحرف والمهن والمنتجات . فطبقة الصناع وأصحاب الحرف والعمال عليهم دفع الضرائب . فهناك رئيس كل مجموعة من الصناع أو العمال عليه أن يسلم إنتاجهم المطلوب منهم حسب كشف أعد لذلك بكل دقة إلى الجهات المسئولة ، وكانت الدولة تصرف له ما يلزم هذه الجماعات من غذاء وشراب ومواد .^(١)

وكانت الضرائب على الأراضى الزراعية تحصل بكميات من الحبوب وتقدر على الأرض الزراعية طبقا لجودة طبيعتها وخصوبتها وإنتاجها . وكان بعض ملاك الأراضى من أصحاب الحرف المختلفة ، مثل ما تخبرنا به رسائل حقا نخست عندما ينصح ابنه بأنه يجب عليه أن يمدح نوع من الأقمشة عندما يقدمها للبيع وأن يقول أنها من أحسن الأنواع .^(٢)

وتحت حكم الملك آمازيس فرضت أول ضريبة على الدخل العام . وأحيانا كان يخصص جزء من هذه الضرائب بنسبة العشر على المنتجات المحلية والصادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

لصالح معبد المعبودة نيت طبقا للوحة نقراطيش من عهد نختنبو الأول ، والمحفوظة في المتحف المصري .

وكان كتبة الحكومة يراقبون أملاك الدولة ويحددون استخدامها ، ويقدرّون الضرائب ويسجلونها ويجمعونها ، ثم يباشرون تنظيمها وتحديد أوجه صرفها .^(١) والأراضي التي يؤجرها الفلاحون من الملك كانوا يدفعون عنها ضرائب تقدر بحوالي عشرين في المائة من المحاصيل .^(٢)

إدارة بيت المال :

وكانت تتولى أمور جمع الضرائب بأنواعها والى كانت تجمع من أنحاء البلاد . وتوضع إما في المخازن الرئيسية بالعاصمة ، وإما بالمخازن الفرعية في الأقاليم . وتذكر لنا لوحة المتحف المصري رقم ٥١٩١١ من عصر الأسرة الثالثة عشرة أسماء ثلاث إدارات كانت تختص بجباية الضرائب ، وكان لمكتب الوزير السلطة العليا في مراقبتها بوجه عام . ومن الصعب تحديد دور الثلاث إدارات بشئ من التفصيل .

- وكانت هذه الضرائب إما عينية كالتي تفرض على المحاصيل والماشية وبقية المنتجات ، وإما من الذهب والفضة وكانت تحتفظ في بيت المال ، أما المحاصيل فكانت تجمع في فروع إدارة الشئون^(٣) . ونرى في أحد المناظر تمثيلا لمكتب حكومي يقوم الكتبة فيه بالعمال الكتابية ، ونرى العمال وهم يكيلون في زكائب محصولا ما ويسجلونه أمام الكاتب^(٤) . وكانت هناك سجلات في بيت المال يسجل

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ٢٣٧ .

فيها كل ما يرد وما ينصرف يوميا مع الإشارة في كل سجل هل تم هذا الصرف بأمر ملكي كتابة أو بأمر ملكي شفاهة . وكان هناك أيضا " مكتب تبرعات الأهالي " وهي دور كانت تنحصر وظيفتها في جمع الهبات التي تؤدي إلى التاج الملكي من المزارعين والأهالي . وكانت أجور العمال تدفع عينا لأن البلاد لم تعرف نظام العملة إلا في العصور المتأخرة . وكانت هذه المدفوعات تستقطع من خزينة بيتي المال . وأحيانا نجد أن مستوى الحياة المعيشية كان عرضة للغلو ، ولدينا أمستراكا عن غلو المعيشة في طيبة في بداية الأسرة الثامنة عشرة .^(١)

رابعا - النظم القضائية :

مفهوم كلمة ماعت :

يترجم علماء المصريات هذه الكلمة بـ " الحقيقة ، العدالة ، النظام " ويذهب البعض إلى أن معنى ماعت يتعدى هذه المعاني إلى معنى أكثر شمولاً ، فماعت تعني أساساً " النظام الكوني " أو " النظام الكوني المتكامل " وهذا النظام الكوني يشمل : الملكية والحكمة والعدالة والطبيعة أو الخصوبة ، والحرب ، أو الانتصار ، والطقس أو التضحية والأشراف على شئون البشر وأصبح لها تأثير في واجبات الحكومة^(٢) لقد عاش آمون نفسه على ماعت وتغذى بها وأخيراً فهي الضمان لوجود آمون نفسه ويقال له " أنك على قيد الوجود لأن ماعت على قيد الوجود "^(٣) ، وأن صلة نظام الحكم بماعت يقوم على أساسين :

(٤)

- أن الدولة موجودة لتحقيق وتطبيق الماعت .
 - الماعت يجب أن تتحقق ليصبح العالم (أو الأرض) قابل للسكنى .
- ويجب على الإنسان الاتحاد بماعت حيث إنه من الضروري أن يكون

(١) Drioton, BSFE 12 (février 1953), p. 11 - 25 .

(٢) د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب في الفكر المصري القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ٤٥ - ٦٢ .

(٣) فرنسوا دوما : آلهي مصر (ترجمة زكي سوس) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ١١٤ .

(٤) Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 564, 613.

ملتزما بالماعت ويمتلى قلبه بالماعت بل ويصبح نفسه ماعت لكى ينتصر على الفشل فى حياته الدنيوية وعلى كل ما هو شائن . وهنا يكمن سر السدوام الشبه إعجازى للحضارة المصرية والذي استمر آلاف السنين .^(١)

القوانين :

كانت هناك مجموعة من القوانين والتشريعات التى يصدرها الملك أو المجالس والدوائر القضائية والتى تنظم حياة أفراد المجتمع والعلاقات بين الأفراد مع بعضهم البعض ، كما تنظم العلاقة بين الناس والسلطة الحاكمة^(٢) . وكانت مواد القانون وأنواع العقوبات تسجل فيما يسمى بالسجلات القانونية . ففى مقبرة رخمى رع وزير تحوتمس الثالث نقش بجوار صورته الوزير أربعين لقافة من الجلد نقشت عليها مواد القانون الذى يسير على هداه رخمى رع . وأشار ديودور الصقلى الذى زار مصر فى القرن الأول ق.م . وإلى وجود قانون مصرى كان مدونا فى ثمانية كتب (أى سجلات)^(٣) كانت توضع بجانب القضاة أثناء عقد المحاكمة .

وكانت القوانين التى يصدرها الملك تنشر فى صورة مراسيم ، وكان من سلطة الملك أن يضيف إلى هذه القوانين ما يراه صالحا من مواد أو يضيف إلى تلك القوانين التى أصدرها من سبقوه من ملوك ، كما كان يحق للملك أن يبطل بعض

(١) يان اسمان : ماعت ، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة د. زكية طبوزاده ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ١٤ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٤٤ .

(٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 91 .

د. احمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ص : ٢٢ - ٢٤ .

(٣) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١١ .

القوانين ويلغى العمل بها ^(١) مثل القوانين والتشريعات التى أصدرها الملك حور محب التى تقضى بمنع الرشوة ومعاقبة الموظفين الذين يتجرون بالرقيق ويستولون على أموال الشعب بدون وجه حق ، وتقضى هذه القوانين بمنع السخرة فى أعمال القصر الملكى . كما تضمنت هذه القوانين عقوبات صارمة ورادعة لمن يعتدى على المراكب الخاصة بنقل المحاصيل ، وحماية هذه المراكب من عدوان قطاع الطرق ^(٢). وكان يعاقب من يتأخر عن توريد الضرائب المستحقة عليه ، وكل موظف يهمل واجبات وظيفته كان عرضة أيضا للعقوبات المختلفة . وكان هناك ما يسمى بقانون الأحوال المدنية وهى خاصة بعقود الزواج والافتصال وأيضا عقود الإيجار والبيع والشراء والعقود الإدارية المختلفة ، وأيضا الإيصالات الكتابية التى تحرر لعقد اتفاق بين شخصين يتفقان فيما بينهما بخصوص أمر ما أو موضوع ما وكانا يدونان البيانات الخاصة بينود الاتفاق على قصاصة من البردى بالخط الديموطيقى ، وفى نهاية بند الاتفاق تكتب أسماء العديد من الشهود على مدى صحة البيانات المذكورة فى الاتفاق . ولدينا العديد من البرديات التى تتضمن كل أنواع هذه العقود وخاصة المكتوب منها على البرديات الديموطيقية .

دور القضاء :

كان رجال القضاء يختارون من بين الأشخاص محمودى السمعة والسيرة ، وكانوا يعينون بأمر ملكى . وكان الملك يصرف للقضاء مساعدات تسد حاجتهم وتكفى لإقامة معيشتهم أما رئيس القضاء فكان نصيبه أضعاف هذا القدر وذلك للقضاء على الرشوة والاختلاس . وكانت دور القضاء تخضع لسلطة الوزير ، الذى كان يحمل لقب رئيس القضاة أو كبير القضاة وبفضل هذا اللقب كان يتمتع باحترام

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء :

الحضارة المصرية ، ص ٢٢٦ .

Posener , op. cit ., p . 227 – 228 .

(٢)

كبير بين الناس ^(١) . وكان يرأس ما يسمى " الدور الست العظيمة " وهي محاكم ذات صبغة معينة ، ربما كانت مثل محاكم الاستئناف الحالية . وربما كانت هذه تنقسم إلى ست دوائر ، يرأس كل منها قاضى . فضلا عن لقب (سب) نجد لقب الكاتب القضائى (سب - مش) وكاتب الشكاوى (مش - سبرو) ومدير الإدارة القضائية (سب ايمى مش) . وكان أعضاء هذه المحكمة يختارون من بين عظماء الصعيد العشرة ، وقد يحمل بعضهم ألقابا أخرى مثل رؤساء الأسرار أو رؤساء الكلام السرى الخاص بالمداولات . أهمهم جميعا هو " القاضى فم نخن " الذى يحمل لقب " رئيس الأسرار " الذى ينطق بأحكام محكمة الستة ، او يحمل لقب " رئيس الأسرار الذى يجلس وحده فى محكمة الستة " ^(٢) . وكان يساعد الوزير ورؤساء الجلسات مستشارون يسمون " خرى ششتا " اى " القائمون على الأسرار " وهم طبقتين : مستشارو التحقيق ، ومستشارو الجلسات . كما كان هناك قضاة تحقيق ، وقضاة تحضير الأحكام التى ينطق بها رئيس الجلسة أو القضاة .

كما أنشئت محكمة قنبت وهي محكمة تتميز بتغير أعضائها وهم عادة من المرء يجتمعون على هيئة محكمة كبرى فى يوم معين عند بوابة أحد المعابد . وهناك محكمة الملك . ولما كان القضاة يتغيرون فقد سميت المحكمة " محكمة ذلك اليوم " . ولم يكن من الضروري أن يكون كل أعضائها من القانونيين ، وإنما كان من بينهم الكهنة ، وكاتب الملك ، وحامل المروحة ، وعمدة المدينة ، وكلهم تحت إمرة الوزير الذى يرأس المحكمة . وفى يوم آخر نرى الأعضاء سبعة من الكهنة والمشرفين على المعبد وكاتب واحد ، وهو المختص بينهم ، وهو الذى يحرر أوراق القضية . ^(٣)

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، سلسلة

الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٩ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٦ ؛ د. بيومى

مهران : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٣٥ .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وكان الملك يوكل عنه بعض الموظفين للفصل فى القضايا بجانب أولئك الذين يمارسون الإدارات القضائية . وفى حالة وجود نزاع أو مشكلة كان بعض الموظفين يجتمعون على شكل دائرة قضائية " جاجات " للنظر فى هذا النزاع . وفى هذه الحالة ينبغى وجود الموظف القضائى الذى يطلق عليه لقب " الكاتب القضائى " (ساب ش) معهم . ويمكن لهذا الموظف ان يسجل القضية المنظورة ويسجل وجهة نظر الطرفين وما يقرره القضاة ، كما أن هؤلاء الموظفين القضائيين هم الذين يعرفون القوانين وطريقة تطبيقها وطريقة متابعة القضايا فى المحاكم وتنفيذ الحكام .

ومن هؤلاء الكتبة القضائيين كانت تتكون الإدارات القضائية المختلفة التى تعقد فى أكثر من مكان طبقا للأحوال والظروف والملايسات وهناك منظر فى مقبرة موسى من عصر الرعامسة نرى فيه انعقاد محكمة : أربعة قضاة جالسون وأمامهم حاجب المحكمة ، وأمامه ثلاثة أشخاص أولهم المتهم أو المدعى عليه منحيا وثانيهم رجل يمثل الإدعاء ويقود المتهم وثالثهم الشاكي رافعا يديه إلى أعلى ^(١) . ولما كان تنفيذ بعض الأحكام يحتاج إلى بعض رجال الشرطة ، فإن من بين اختصاصات المشرفين على الإدارات القضائية ، الإشراف أيضا على بعض تنظيمات الشرطة حتى يضمنوا تنفيذ الأحكام .

أنواع الدعاوى والقضايا :

كان القوم يحرصون على تسجيل القضايا فضلا عن تقديم الشكوى أو الدعوة مكتوبة لمكتب الوزير . وحينئذ يبدأ الوزير مناقشتها مستعينا بالقوانين المكتوبة فى ملفات رتب أمامه يرجع إليها كلما أراد التأكد أو الاستشارة ، ومن حوله يجلس مستشاروه أو الموظفون المتصلون بنواحي القضاء . ويبدو واضحا أن إدارة العدل فى مصر القديمة كانت منظمة تنظيما حسنا . وكانت الناس جميعا أمام القانون مساوية والكل يعامل على قدم المساواة .

أما أنواع القضايا فتشمل القضايا المتعلقة بالعقارات والأراضي والميراث والممتلكات والنزاعات الشخصية والأحوال المدنية والقضايا المتعلقة بالمعاملات من بيع وشراء وعدم الوفاء بالدين . وقضايا التآمر ضد نظام الحكم وإضراب العمال ^(١) . الإخلال بواجبات الوظيفة والمسرقة والاختلاس والسلب والنهب والقتل والزنا ، والبلاغ الكاذب ، والشهادة الزور أو اليمين الكاذب ، الامتناع عن مساعدة أو مد يد العون لإنقاذ ضحية في جريمة من الجرائم ، تقديم إقرارات الذمة المالية بصورة مزورة ، تزيف الموازين أو المقاييس أو المعايير المغشوشة أو غير سليمة وكذا تزيف أختام الأمراء عدم الالتزام بدفع الضرائب المقررة أو قتل الحيوانات واقتلاع الأشجار بدون سبب ، الهروب من الخدمة العسكرية أو عدم إطاعة الأوامر العسكرية وإفشاء الأسرار الحربية . ^(٢)

فإذا كانت الشكوى المقدمة تتعلق بنزاع على قطعة أرض مثلا ، فقد حدد القانون أن يصدر الوزير حكمه فيها خلال ثلاثة أيام . أما إن كانت بعيدة عن العاصمة شمالا أو جنوبا ، فقد سمح القانون للوزير بمهلة شهرين ، حتى يستطيع أن يبحث الأمر ووضع الأمور في نصابها وما كان الوزير أن يستطيع أن يبت في الحالات المعروضة عليه بسرعة إلا إذا كان هناك أرشيف كامل منظم يستطيع الرجوع إليه سريعا ليّمده بالمعلومات المطلوبة ، وللوزير أن يصدر الحكم لصالح أحد المتنازعين بعد عدة تحريات وسماع شهادة الشهود وفي هذه الحالة يقوم بالتصديق على مستندات الحدود بنفسه للفصل بين مالك الأرض وجاره .

وقد سجل بيبي عنخ من وزراء بيبي الأول من الأسرة السادسة على جدران مقبرته في مير ^(٣) أن المحكمة قد برأته من تهم وجهت إليه عندما كان كبيرا لكهنة حتحور في مدينة القوصية ، وإن هذه الاتهامات كانت عقوبتها السجن . وهناك القضية التي اتهمت فيها الملكة ايمتنس زوجة الملك بيبي الأول ونسبت إليها القيام

(١) د. احمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٣٥ - ١٤٠ ، ١٤١ - ١٥٢ ، ١٥٣ - ١٥٥ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٦٨ - ١٧٣ ، ١٧٥ - ١٧٧ .

(٢) د. عبد الرحيم صدقي : القانون الجنائي عند الفراعنة ، ص ٣٦٦ - ٥٤ .

(٣) Blackman, The Rock tomb of Meir, vol. IV, p. 24.

بمؤامرة لا نعرف تفاصيلها على وجه التحديد . وعهد الملك إلى القائد ونى ومعه القاضى حارس نخن ، للتحقيق فى القضية . ومعرفة أن كانت الملكة مذنبه أن هـى براء مما نسب إليها . وهناك قضية زوجة رمسيس الثالث التى دبرت مؤامرة لاغتيال الملك وتتصيب ابنها بنتاؤور مكانه . وفضل الملك رمسيس الثالث أن يعطى سلطات مطلقة للقضاة الذين وثق فيهم . وحكم على بنتاؤور ومعه ثلاثة آخرين بالإعدام وحكم القضاة ببراءة " حامل الراية " والاكتفاء بقرار لومه والحكم على أربعة آخرين بجذع الأنف وصلم الأننين .

ونخرج من هذه الصور الثلاث بأن الملوك كانوا يلتزمون جادة العدالة إزاء رعاياهم ، وهى تثبت مدى حرص الملك على العدالة وإعطاء كل ذى حق حقه وإتاحة الفرصة للمتهم فى أن يثبت براءته ، إن كان بريئا . وهناك قضية سرقات المقابر فى العام السادس عشر والسابع عشر من حكم رمسيس التاسع والعام التاسع عشر والعشرين من حكم رمسيس الحادى عشر الى تشملها إحدى عشر بردية ، منها سبعة فى المتحف البريطانى أرقام ١٠٠٥٢ ، ١٠٠٥٣ ، ١٠٠٥٤ ، ١٠٠٦٨ ، ١٠٢٢١ (بردية ابوت) ، ١٠٣٨٣ ، ١٠٤٠٣ .^(١)

أنواع العقوبات :

تبدأ بالعقوبات الخفيفة كالضرب والسجن والجلد والغرامة ثم التشويه مثل جذع الأنف أو الأذن أو اليدين أو عقوبة الوضع على قطعة خشب (خازوق) ، ثم عقوبة الأشغال العامة (الشاقة) والتعذيب بالحرق حيا فى غرفة الرماد أو الإعدام المصحوب بتعذيب أو الإعدام شنقا^(٢) فى حالات الخيانة العظمى ، كالمؤامرة ضد

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1973), (١) p. 120 .

(٢) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، ص ٣٠ - ٣٣ ؛ د. احمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٥ ، ١٥٩ - ١٦٥ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ١٨٣ - ١٨٦ ، ١٨٩ - ١٩٠ .

الملك . وكان القانون ينص على أن يسأل القاضى المذنب أكثر من مرة حتى تتاح له الفرصة للاعتراف لتخفيف العقوبة عليه ، وكان الملك يقوم فى بعض الأحيان بالتصديق على بعض الحكام ^(١) . أما عن أنواع العقوبات فهى كالآتى :^(٢)

١- الحكم بالإعدام على من يحلف يمين كاذبة ، وعلى شاهد الزور ، وعلى من يزور فى البيان الذى يقدمه للسلطات الحكومية عن مصدر دخله ، وعلى صاحب البلاغ الكاذب ، وعلى من يمتنع عن تقديم العون لمن يتعرض للموت ، وهو قادر على إنقاذه .

٢- الحكم بالإعدام على من يقتل إنسانا ، حرا كان أو عبدا . والنساء المحكوم عليهن بالموت لا ينفذ فيهن الحكم إذا كن حبالى إلا بعد وضع حملهن .

٣- الحكم بقطع اللسان على كل من يفشى الأسرار للأعداء .

٤- الحكم بالجلد بالسياط والحرمان من الطعام ثلاثة أيام على كل من يهمل فى الإبلاغ عن جريمة قتل . والحكم بالعقوبة نفسها على من يتهم بريئا بجريمة لم يرتكبها .

٥- قطع يد الذين يزيفون العملات أو يطففون الموازين والمكاييل أو يزورون الأختام الرسمية . والكتبة الذين يزورون فى متون السجلات أو يحون شيئا من نصوصها أو يزورون عقوا إدارية .

٦- الحكم على من يغتصب امرأة بالخصى حتى يحرم من رجولته التى دفعته إلى هذا العمل الشائن .

٧- أما عقوبة الزنى فكانت ألف جلدة للزانى وجدع أنف الزانية حتى تحرم المرأة من أكبر مقومات جمالها . أو يحكم على المرأة الزانية بالحرق حية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٧ .

(٢) د. بهاء إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٥٩ - ١٦٤ ؛ د. بيومى مهران :

المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .

٨- الحكم على الآباء والأمهات الذين يقتلون أبناءهم بالعرض على ملأ من الناس ،
وهم يحملون جثث أبنائهم لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال متوالية .

٩- أما قتل الوالدين أحدهما أو كليهما ، فعاقبته قطع أجزاء صغيرة من جثة القاتل
بالتدرج ، ثم حرقه حيا فوق الأشواك .

١٠- الإعدام لمن يقوم بمؤامرة ضد نظام الحكم والملك .

١١- هناك عقوبات جدع النف والنقى إلى ثارو والجلد الذى يصل إلى مائة جلدة
والجرح فى خمسة مواضع من الجسم ضد بعض المجرمين .

١٢- الضرب فى الجرائم البسيطة أو إرسال المتهم للعمل فى الأعمال الشاقة فى
المحاجر وقطع الحجار .

وكان المجرمون يحتجزون فى سجون خاصة ما داموا رهن التحقيق فإذا
صدر الحكم عليهم أرسلوا إلى سجون أخرى لينفذوا فيها العقوبة .

كان يوجد بملحق بمعبد الكرنك " سجن أو حجر " جاء ذكره فى نصين
أحدهما من عصر سبتى الأول والثانى من عصر رمسيس الثانى . ويذكر النص أن
الصوص كانوا يسجنون فى سجن عند بوابة الصرح الثانى بمعبد الكرنك . ولكنه
سجن خاص بالذين كانوا يعتدون على حرمة أملاك وأراضى معابد آمون . هذا
خلاف سجون الدولة التى كانت موجودة ، فنعرف مثلا أن الأسرى أيام رمسيس
الثالث كانوا يحجزون فى حصن رمسيس الثالث . وجاء ذكر كلمة " السجن العظيم
فى نقوش مقبرة رخمى رع عند حديث الملك عن واجبات الوزير .^(١)

وعرفت كلمة " سجن " فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة
الوسطى وظلت مستخدمة فى النصوص حتى العصر المتأخر . وكان هناك خمس
كلمات تعبر عن السجن فى اللغة المصرية القديمة وهى :

(١) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، الهيئة

ith تعبر عن " السجن العمومي أو السجن الخاص " في نصوص
عصرى الدولة الوسطى والحديثة. (٢)

mnkb تعبر عن " السجن العمومي " في نص من عصر الأسرة الثانية
والعشرين. (٣)

hnrt تعبر عن " السجن العمومي أو المعتقل أو معسكر الأشغال الشاقة
في بعض نصوص عصر الدولة الوسطى. (٣)

وهي مشتقة أساسا من الفعل hnr بمعنى " يسجن ، يحبس ، أو يحجر وتأتي
أيضا بمعنى " مجرم أو سجين " (٤) .

šcr لابد أن تسبقها أداة التعريف : P3 وتعبر عن " السجن العمومي "
في نصوص عصر الدولة الحديثة. (٥) . أو سجن ملحق بمعبد

(١) Wb. I, 148, 25 ; Meeks, Alex. I, p. 56 ; II, p. 51 ; III, p. 39.
د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب في الفكر المصرى
القديم ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠١ ، ص ٦٥ - ٦٩ (١) ويذكر
المؤلفان عدة وثائق ذكرت فيها هذه الكلمة .

(٢) Wb 11, 95, 21 .

د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٧٢ (٣) .

(٣) Wb 111, 296, 14-18; Meeks, Alex. I, p. 280; II, p. 283;
Faulkner, Concise Dictionary, p. 193. د. أحمد سليم - د. سوزان
عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٢ (٢) .

(٤) Meeks, Alex. I, p. 219 ; Faulkner, op. cit., p. 193 .

(٥) Wb. IV, 421, 15 .

د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٧٢-٧٤ (٤) .

آمون : Scr n pr Imn-RC (١).

ddhw تعبر أيضا عن " السجن العمومي " ولكن فى العصر المتأخر (٢) تحدث د. سليم فى المؤلف السابق عن ١٤ لفظا تعبر عن السجن أو المقبوض عليه والأسير (٣) . كما تحدث عن إدارة السجون ، كالمشرف على السجن imy - r hnrt (٤) وكتبة السجن Sš n hnrt (٥) ومدير أعمال السجن hnrt nt hrp k3wt (٦) وحارس السجن hnrt c3 iry أو S3w hnrt (٧) .

كما تحدث عن طبيعة السجون وأنواعها ، التى كانت أشبه بالحصون ، يوضع فيها المذبذبون فى حجرات ضيقة ، وفى نفس الوقت جهزت بعض السجون لتكون بمثابة معسكرات عمل . تضمنت ثكنات عسكرية ومراكز إدارية للإشراف على إيواء المساجين وتهذيبهم وتعوديدهم على الطاعة والنظام (٨).

وقسم السجون إلى قسمين : سجون مدنية : الى كانت توجد فى المدن الكبرى وعواصم الأقاليم فى طيبة ، وفى ثينى ، وفى الاشمونين ، وفى الفيوم ، وفى منف ، كما شيدت سجون صغيرة أو أماكن للحجر فى بعض الإدارات الهامة للدولة

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ حاشية (٢) .

(٢) د. أحمد سليم - د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥

(٥) : Wb V, 635, 13 .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ - ٨٧ ، ١٠١ - ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٨٨ - ١٠٠ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١١٢ .

وفى الحصون على الحدود .^(١) سجون المعابد ملحقة بالمعابد الكبرى منها معبد آمون فى طيبة ^(٢) .

خامسا النظام العسكرى :

الشرطة وأقسامها :

لعبت العوامل الاجتماعية دورا هاما فى حفظ الأمن فى مصر القديمة . والعوامل النفسية كانت نتيجة للترابط الاجتماعى الذى ساعدت على تكوينه البيئة المصرية منذ نشأتها .

عاش المصريون القدماء فى ظل قوانين موحدة . وكان مسلهم العام يتسم بإطاعة قوانين الدولة حتى يصبحوا فى علاقة طيبة مع الحاكم والدولة . ولهذا كانت نسبة الجرائم فى المجتمع المصرى القديم قليلة جدا ، فيما عدا حوادث متفرقة . ولكن على الرغم من ذلك كان لابد من وجود قوات للشرطة . وكان قوام قوات الأمن فى عصر الدولة الحديثة فرق خاصة من المصريين تحت السلاح دائما . ولم يدخل فى عدادها فرق الجنود المرتقة الذين كان يؤتى بهم من الجنوب . ولكن كان يستعان أحيانا بقوات من قبائل المجاو والبجه (البشارية) الذين كانوا يعملون ككشافة ويقومون ببعض العمليات الخفيفة مع قوات الجيش وحراسة الحدود . كان لرجال لشرطة مكانتهم بين أفراد الشعب . ويقول الحكيم آتى فى هذا المجال لولده :

“ اتخذ من شرطى شارعك صديقا ، ولا تجعله يشور عليك ” . وتتقسم قوات الشرطة إلى ستة أقسام : الحرس الملكى ، الشرطة الخاصة ، الشرطة المحلية ،

(١) المرجع السابق ، ص ١١٢ - ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

الشرطة النهرية ، شرطة المعابد ، شرطة الحدود . وكان لكل قسم رئيس أو لكل مجموعة رئيس . وكان على رأس الشرطة الوزير الذى تقدم إليه التقارير اليومية من رجال الشرطة أو رؤسائها عن إغلاق المخازن وفتحها فى المواعيد المقررة فضلا عن تقديم بيان عن الداخلين والخارجين من حدود البلاد .

أما الحرس الملكى فكان يتبع الملك فى غدواته وروحاته . وكانت مهمة الحرس الملكى حراسة القصر الملكى أيضا وحراسة الملك عند خروجه لأداء مهامه الرسمية أو أداء شعائره الدينية أو المشاركة فى الاحتفالات ، ويبدو أن الملك كان يختار من بيم أفراد حرسه أشد المقربين إليه ، ليكون بمثابة حارسا وبخاصة أثناء خروجه للحملات الحربية .

أما الشرطة الخاصة وهى لحماية الملك أيضا وضمان ولاء أفراد الشعب ولا يستبعد أن يكون من رجال الحرس الخاص الذى كان من واجبهم الإشراف بأنفسهم على شراب الملك ضمانا لسلامته .

أما الشرطة المحلية ، فهى الأكثر عددا ، وكانت العلامة المميزة لجنود الشرطة فى غرب طيبة مثلا علما مصورا عليه غزالة ، أما فى تل العمارنة فكانت درعا مستطيل الشكل رسم عليه عدو يضربه أو يعاقبه الملك . أما عن أماكن مراكز الشرطة فلمسنا نعرف على وجه التحقيق ، ولكن يظهر أنه كان هناك مركز للشرطة بالقرب من معبد الرمسيوم فى البر الغربى فى طيبة . وكان لهذا المركز رئيس ^(١) . وكان من أهم واجبات الشرطة المحلية :

- المحافظة على الأمن العام وتوفير الأمن والأمان للمواطنين فى داخل البلاد .
- تطبيق القوانين فى المناطق المختلفة . فعندما قام العمال بإضرابهم فى نهاية الأسرة العشرين نظرا لتأخر صرف مستحقاتهم الشهرية ، تجمعوا عند مركز الشرطة فلم يجد رئيس الشرطة سوى التسليم بمطالبهم ولكنه طلب منهم عدم

(١) كان يطلق على الشرطى ثلاثة ألقاب : šnc, scš3, md 3j ورئيس الشرطة

لقبين : hry scš3w, mr šnt : راجع : Wb 11, 186, 9; 1V, 55, 14,

18; 1V, 506, 1 = Alex. I, p. 179, 373.

الإخلال بالنظام ووعدهم بأن يعمل على تنفيذ مطالبهم^(١).

- تنفيذ الأحكام اللازمة .
- حماية الإدارات والمؤسسات الحكومية المختلفة والمؤسسات العامة .
- إعداد سجلات للمجرمين^(٢).
- تلقي تقارير موظفي الإدارة .
- التحقيق في الحوادث .
- حماية الجبانات من اعتداءات اللصوص عليها .

وسائل البحث الجنائي:

١- الاستعانة بسجلات تسجيل الجرائم وأسماء المجرمين (محاضر الشرطة في عصرنا الحالى) .

٢- استخدام الكلاب البوليسية .

٣- قفى الأثر .

٤- استخدام المرشدين لمعرفة كيفية ارتكاب الجريمة ومكانها .

وكانت الكلاب البوليسية تستخدم فى أغراض ثلاثة : الحراسة . ومطاردة الهاربين والقبض عليهم وأخيرا اقتفاء الآثار للتدليل على المجرمين^(٣).

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٥٠ .

(٢) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١٢٠ .

(٣) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٥١ .

وسائل التحقيق الجنائي:

- ١- حلف اليمين في البداية . فكان على الشاهد او المتهم ضمانا لذكر الحقيقة أن يحلف اليمين بحياة أحد المعبودات أو الملك .
- ٢- الاستعانة بأهل الخبرة في الكشف عن نوعية المادة المسروقة أو المزيفة أو الاستعانة بأهل الخبرة لمعاينة مكان الجريمة .
- ٣- المواجهة وذلك بمواجهة المتهمين بعضهم البعض .^(١)
- ٤- التحقيق من صحة ما ورد باعتراف المتهم .
- ٥- تفتيس أماكن وقوع الجريمة لإثبات الحالة .
- ٦- التعذيب للاعتراف .^(٢)

وكان هناك نوع من القضاة المتخصصين فهناك القضاة الاستثنائي والقضاء التجاري ، والقضاء لأجانب .^(٣)

واجبات أخرى للشرطة:

- إلى جانب حفظ الأمن ، يقومون بأعمال أخرى :
 - الإشراف على جباية الضرائب المفروضة على البضائع الخارجية . ويبدو أن قوات الشرطة كانت توضع عند فوهات الترع لضمان جباية الضرائب .
 - جمع المجندين وفرزهم من جميع أنحاء البلاد في الأقاليم المختلفة .
-

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٨ .

(٢) د. عبد الرحيم صدقي : القانون الجنائي عند الفراعنة ، ص ٩٨ - ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠ - ٨٤ .

- مرافقة بعثات التعدين وقطع الأحجار .^(١)

أما الشرطة النهرية فكانت لحماية تنقلات الأفراد أو شحن التجارة عبر النيل والحماية ضد قراصنة البحار في البحر الأحمر والبحر المتوسط .

أما شرطة المعابد فكانت لحراسة المعابد وموظفيها وممتلكات المعبد في الخارج .^(٢)

أما شرطة الحدود فكانت مهمتها مراقبة تحركات القبائل والبدو في الصحراوات المتاخمة لحدود البلاد في الشرق والغرب والجنوب . فلم تتوقف عناصر البدو في أى وقت من الأوقات حتى تحت حكم الملوك الأقوياء ، من التسرب عبر الحدود الشرقية ، التى كانت محمية بمجموعة من الحصون منذ عصر الدولة الوسطى ، وكان يقوم بحراسة هذه الحصون قوات من شرطة الحدود . وكان من الصعب على أى إنسان المرور خفية ولكن كان لابد أن يدون له فى بطاقة خاصة بمركز شرطة الحدود : تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود ، واسم المار واسم أبيه ، والحالة الاجتماعية ، وأصل الموطن ، ومهنته والغرض من دخوله إلى داخل البلاد ^(٣) وهل لديه خطابات توصية أو خطابات رسمية يحملها إلى أحد رجال البلاط . وكان هناك نقاط للحراسة أيضا على الحدود الغربية والجنوبية . وقد وصلت من الحصون التى كانت مقامة فى قمة وسمنة فى الجنوب من عهد منوسرت الثالث بعض أوراق البردى التى كان الموظفون المقيمون بها يسجلون فيها يوميا عدد النوبيين الذين اجتازوا الحدود شمالا بغرض التجارة أو لأغراض أخرى . وكانت هذه السجلات تنسخ لترسل إلى العاصمة حيث يتعرف الملك أو الوزير على ما يجرى من تحركات على حدود البلاد . وهناك نص فى معبد الكرنك من عهد الملك

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٣٣ - ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ،

ص ١٨٣ - ١٨٨ .

(٣) Erman - Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 723 - 724 ; lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 259 .

مرنبتاح يحدثنا فيه رئيس الحصون الغربية عن حالة الزعيم الليبي بعد هزيمته على الحدود الغربية . وكل ذلك يدل على مدى اهتمام الدولة بمراقبة الحدود ووضع الموظفين المدنيين والعسكريين بالحصون البعيدة .^(١)

الجيش :

فضل الشعب المصرى القديم حياة السلم ومال إلى السلم بوحى طبيعته الطيبة ، وطبيعة بلاده المستقرة الخيرة ، ولم يكن ينبغى إثارة الحرب من أجل الحرب والغنيمة إلا فى حالات قليلة نادرة^(٢) . وكانوا على استعداد للقتال إذا دعت ظروف السياسة الخارجية إلى ذلك ، وكانوا يتجاوبون مع ملوكهم فى محاربة أعداء البلاد والطامعين فى خيراتها . وكان الملك هو قائد الجيش الأعلى . وكان الوزير غالبا ما يقوم بوظيفة وزير الحرب ، فقد كان يرأس عامة الموظفين فى الجيش فى عصر الدولة الوسطى . وكان يكلف جماعات كثيرة من الكتبة العسكريين بأعمال التجنيد والإمدادات وحفظ سجلات المعارك الحربية .^(٣)

فوق الجيش :

لم تحدثنا النصوص المصرية عن سن محدد للجندية ، وربما كان يجند أبناء العشرين ، وفى حالة التعبئة العامة للحروب كان أنفار الجيش يجمعون من الأقاليم^(٤) . وكان التجنيد وراثيا فكان أبناء المجندين لهم الأفضلية فى الالتحاق

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٩ - ١٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٤) فى نصائح خيتى الثالث (أو الرابع) لأبنة مريكارع ، يقول : " لاحظ أن بلدك عامر بنشئ غرض فى سن العشرين " ، راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٥ - ٢٠٠ .

بقوات الجيش عن غيرهم ^(١) . كان المجند يلحق في البداية بجماعة من سنه ، يطلق عليها اسم " جامو ان خردو " بمعنى " جماعة الناشئين " ، ويسمى أفرادها باسم " نفرو " أى الناضجين أو الصالحين للتجنيد صحيا ، وكان يطلق عليهم أيضا أسماء " حور نفرو " بمعنى " الصغار الناضجين " و " إيدو " بمعنى " الغلمان " ^(٢) . وتعهدت الدولة أفراد هذه الجماعات بالمتونة والكساء . وكان يشرف عليهم رؤساء ذو رتب محدودة . ثم يسلك المجند طريقه إلى ما يسمى بالسرية . وقد اختلفت أعداد السرايا من عصر إلى عصر . وتألفت كل منها خلال عصر الدولة الحديثة من مائتي جندي أو مائتين وخمسين . وتعدد المشرفون على السرايا بين رتب كبيرة وصغيرة ، وكانوا يسمونهم رؤساء الخمسة ، ورؤساء العشرة ، ورؤساء المائة . وامتازت كل جماعة أو سرية بلواء خاص أو شعار خاص يميزها . ويعلو السرية عادة رمز يصور حيوانا كاسرا أو غير كاسر ، أو يصور جنديين يتصارعان ، أو صورة معبود معين ، أو فرسين متقابلين ، أو شارة من شارات البلاط الملكي . وذلك تبعا لاختلاف تكوين الجماعة ، إن كانت من المشاة أو الرماة أو حرس المعابد والقصور والإدارات والحدود ^(٣) . وتقلبت كل جماعة أو سرية باسم خاص يدل عليها . وقد ينسبها إلى ملك أو معبود .

يلي السرايا كتائب كبيرة ، تألفت في عصر الدولة الحديثة من مشاة ورماة ، وتضمن بعضها إلى جانب مشاته نحو خمسين عربة حربية بفرسانها . ويمكن ان تندمج الكتائب في فيالق ، تراوحت أعدادها الضاربة خلال الدولة الحديثة بين فيلقين وثلاثة وأربعة ، وتألف كل منها من خمسة آلاف راكب وراجل . وجرى العرف على تسمية بعض هذه الفيالق بأسماء معبودات الدولة الرسمية . تيمنا بهم واعترافا

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ٢١٠ .

(٢) Schulman , Military Rank, title and Organization in the Egyptian New Kingdom (MAS6) (1964) , p. 33 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨ أ - ب .

بفضلهم وأملا في كسب حمايتهم ومناصرتهم في أوقات الحرب ^(١) . وتشير نصوص من عهد الملك سيتي إلى فرقة آمون ، وكانت تعرف باسم " الأقواس الباسلة " ، وفرقة رع وتعرف باسم " الأذرع العديدة " ، وفرقة ست وتعرف باسم " الأقواس القوية " وفرقة بتاح التي ظهرت لأول مرة ، في عهد رمسيس الثاني ^(٢) . ولدينا مناظر من عصر الدولة الحديثة ، تمثل مجموعات رمزية من فرق الجيش المختلفة ^(٣) . إلى جانب هذه القوات الوطنية العاملة ، كان هناك الرماة النوبيون والمجاو لحراسة الحدود . وبعد ذلك القوات المرتقة التي كانت تأتي من الشرق أو الغرب أو الشمال . وهناك الفرق الخاصة ببناء المعسكرات والتحصينات العسكرية اللازمة لتأمين الحدود . فقد اهتم المصريون القدماء ببناء الحصون وإقامتها على الحدود الشرقية والغربية والجنوبية .

التدريب :

حظى التدريب بعناية كبيرة بغية الوصول بالجيش إلى مستوى رفيع . واهتمت تدريبات الجيش بالعدو والسباق والرمية والمصارعة والفروسية ^(٤) وذلك لبث روح النظام وتقوية البدن والتعود على الخشونة وتحمل المشاق . كانت أولى تدريبات الجيش تستهدف تنظيم الخطوة ومشية الصف . كان على الجندي المصري أن يلتزم بالخطوة المنتظمة . فيسير الجندي تلو زميله في الدوريات المحدودة ،

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠١ ؛

Daumas, la Vie dans L'Egypte Ancienne, p. 106 – 110 .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ص ٣١٢ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٨ شكل ١٢ ؛ تاريخ

مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الثاني ،

شكل ١٦٦ ، ١٦٨ – ١٦٩ ، ١٧١ – ١٧٢ ، ١٧٧ .

(٤) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

ويسير الجنود فى صفوف يتكون كل منها من أربعة جنود فى الفصائل والسرايا ، ويسير أكثر من أربعة جنود فى تشكيلات الكتائب والفرق الكبيرة ^(١) فى صفوف متوازية وتبلغ سبعة أو ثمانية صفوف . وكان يعاون الجماعة على تنظيم مشيتها الرتيبة ، نافع البوق الذى كان مصنوعا من النحاس أو من الفضة ، وطوله لا يتجاوز ذراعا واحدا ، مستقيم الشكل ولا تصدر عنه إلا بعض النغمات الموسيقية العادية . أو ضارب الطبله ولكن وجوده كان نادرا ولكنه صور فى اللوحات التى تمثل التجنيد وفى الأعياد مثل عيد اوبت المصور فى معبد الأقصر . وكان نافع البوق يتقدم الجماعة ويكون دائما فى مقدمة الصف ، أو يلتزم نهايته أحيانا أخرى . ^(٢)

وكما ذكرنا شملت تدريبات الجيش العدو ومباريات السباق . وشارك أبناء الملوك العسكريون زملاءهم فى السباق . ومارس العسكريون تدريبات المصارعة . وخضع بعض صغار العسكر لتمرين شائكة تطلبت من الخفة وحفظ التوازن أكثر مما تطلبت من صلابة البدن . ومن هذه التمارين تمرين يتسلق الغلمان فيه صواري طويلة ملساء من الغاب الغليظ أو الخشب أو المعدن ، فى وضع راى ما أمكن ، ثم ينزلون عليها فى وضع مائل ^(٣) . وكانت هذه الصواري مثبتة فى صاري غليظ مرتفع . ومن تمارين التدريبات ، المبارزة بالعصى ، وكانت تتطلب خفة ومهارة وقوة مساعد . وقد ينزل الجندي إلى التمرين بعصايتين ، عصا يضرب بها ، وأخرى يرد بها ضربات خصمه ، ثم يحاول أن يلمس وجه خصمه أو رأسه بعصاه . ^(٤)

وكان هناك أيضا تسديد الحراب والمزاريق ، واستخدام البلط والخناجر والسيوف المقوسة ، ومهاجمة الحصون واختراقها ، مع التستر خلف التروس

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٣ شكل أ - ب ، ص ١٩٤ ، شكل ١١ ، ص ٢٠١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٣ شكل ١٠ ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨ شكل ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٩ شكل ١٤ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الضخمة ، أو تحت مظلة الوقاية . وكذلك ركوب الخيل والعربات الحربية التى تشدها الخيل . وكانت فرق الخيالة أو فرق العجلات الحربية من أرقى وحدات الجيش . هذا فضلا عن التدريب على أسلحة العصر ، على الرغم من أن القادة لم يسجلوا وسائل التدريب والتعليم التى تلقوها أو تكفلوا بها فى حياتهم العسكرية .

وتركزت فى منف معسكرات الخيالة وبعض المصانع الحربية . وكان الغلمان يقضون فيها عدة سنوات لمعرفة طباع الخيل والتدريب على امتطاء ظهورها . وربما كانت توجد حاميات فى جرجا التى كانت تشرف على طرق الواحات وحماية أمنها .

التدريبات العسكرية لأبناء الأمراء:

سجل بعض الملوك مناظر صورت تربيتهم العسكرية فى صباهم ، كما صورت تربية أبنائهم (١).

تتلمذ الأمير أمنحنب فى جرجا على يد القائد " مين " ، وتدريب معه على رماية المشاه . وكان مين قد اشترك مع تحوتمس الثالث فى معاركه الحربية . وصور مين فى جانب من مناظر مقبرته درسا فى الرماية ، ظهر خلاله يعلم الأمير أمنحنب كيف يستغل قوة ساعده فى شد القوس إلى ناهية مداه ، وكيف يثبت السهم فيه ، وكيف يطلقه . واستمر أمنحنب يتلقى تدريباته فى جرجا ، حتى اشتد عوده ، ثم انتقل إلى منف وانضم إلى معسكراتها الكبيرة ، والتحق بفرقة الخيالة ، وقضى مع الخيالة والخيل فترة طويلة ، فخبّر طباع الخيل خبرة عملية . وتعلم أمنحنب الرماية راكبا فى منف ، كما تعلمها رجالا فى جرجا . واستكمل أمنحنب تدريباته مع البحارة العسكريين ، بتعلم التجديف ، وقطع فيه شوطا كبيرا من التقدم .

تطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من ثقافة القلم والفكر فمنذ عصر الدولة القديمة كان بعض القواد يجمعون بين لقب قائد ولقب كاتب ، وأحيانا

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٢ .

لقب كاهن ومن عصر الرعامسة نعرف حوري الذى كان يحمل لقب " الضابط مربى أفراس (خيول) الملك " ولقب " معلم المساعدين فى ديوان الكتابة " (١) وكان حريصا على الاختيار بتفانيه العسكرية والفكرية . وتلقب زميل له يدعى امنموبى (أو امنموبت) بلقب " كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر " ولقب ماهر . وهو لقب كان يطلق على الكاتب ويطلق على معبود الكتابة تحوتى .

وكان لابد للضابط ان يتعلم الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب ، وطريقة تقدير أنصبة الجنود من المؤن وكيفية توزيعها ، ولابد أن يعلم جغرافية البلاد وأسماء المدن الداخلية ، وما تشتهر به . وان يكون على معرفة أيضا بجغرافية البلاد الخارجية ، التى من المحتمل أن يذهب إليها كرسول أو يكلف بمهام رسمية فى أراضيها (٢) . كل ذلك يمثل جانبا من الثقافة الضرورية لكل ضابط ركب عربة حربية وأمسك القوس .

وكان هناك كتبة الجيش الذين يكتبون أخبار الحملات الحربية على ملفات من الجلد أثناء مرافقتهم للجيش فى حملاته الحربية وبعد ذلك تسجيل هذه الأخبار على جدران المعابد واللوحات ، وكان هؤلاء الكتبة على جانب كبير من الثقافة الدينية ولهم دراية بشئون الحرب .

إدارة الأسلحة والمعدات :

نرى فى بعض المناظر صفا من الرماة المصريين من عصر الدولة الحديثة وهم يحملون القواس والأسهم وجراب الأسهم (٣) ، وأحيانا يمسون بأقواس ضخمة

(١) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩ - ٤٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠١ شكل ١٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٩ شكل (١) .

وبأقواس صغيرة^(١) ، أو يحملون الدروع والحرايب^(٢) ، أو الدروع ومقموعة القتال^(٣) . ونرى سرية صغيرة من حملة الأقواس يتقدمهم حامل العلم^(٤) .

وهناك تنظيمات ثنائية من حملة العصي الطويلة^(٥) . وهناك مجموعات رمزية تحمل الدروع ومقارع القتال والبلط والحرايب والأقواس^(٦) والسيوف المعكوفة القصيرة . ونرى أيضا بعض المناظر الجنود وهم يقومون بإعداد أقواسهم^(٧) أو الرماة النوبيون وهم يحملون الأقواس والأسهم^(٨) . هذا بالإضافة إلى المركبات الحربية التي تشدها الخيل^(٩) .

وعثر على قفاز من الجلد كان يرتديه فارس المركبة الحربية ليشد بها لجام الخيل دون التأثير على أصابعه^(١٠) . وعثر على رداء قصير واقى من عصر الدولة الحديثة كان يرتديه الفرسان^(١١) . هذا أيضا إلى جانب المعدات الخفيفة من أعلام وألوية وسرايا والفرق^(١٢) والأبواق^(١٣) وكان للجنود الزي الخاص بهم .

(١) المرجع السابق ، ص ١٩١ شكل (٥) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ٩ب ، ص ١٩٤ شكل (١١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٢ شكل ٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ٩أ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩٨ شكل ١٢ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠١ شكل ١٦ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ شكل ١٧ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ شكل ١٩ ؛ عن أنواع الأسلحة ، راجع :

Wolf, Die Bewaffnung des altaegyptischen Heeres, leipzig 1926.

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٩٠ شكل ٤ .

(١١) المرجع السابق ، ص ١٩٠ شكل (٢) .

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ شكل ١٨ - ب .

(١٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ١٠ .

كل ذلك كان يتم إعداده فى بيت الأسلحة والمعدات اللازمة لقوات الجيش ، وكان يشرف عليها قائد عسكرى . وكانت تهتم بإمدادات الجيش من معدات وأسلحة متنوعة ثقيلة وخفيفة .^(١)

تجهيم الأسلحة وتوزيعها :

قبل أن يعلن الملك الحرب ضد قوات أجنبية كان يرجع عادة إلى رأى مستشاريه . وكان توزيع الأسلحة والمهمات يتم فى حفل رائع يحضره الملك شخصيا . وكان الملك يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية وقد اتكأ بذراعه على وسادة يتقبل التحيات ويسمع خطب ضباطه . وكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها^(٢) . ويتقدم الجنود الواحد تلو الآخر فى صف طويل ، ولا يلبسون إلا مئزرا تغطيه قطعة قماش مثلثة الشكل وبأيديهم الخالية يتسلمون الأسلحة ومن ثم يتحركون بينما يقيد كتبة كثيرون الأسماء والأسلحة من خوذات وسيوف وأقواس وجعاب سهام ودروع حديدية ذات مقابض قصيرة تحمى جسم المحارب ، وخناجر .

أما العربات الحربية ، فكانت تتسلم من الإسطبلات الملكية أو المخازن الجيش ويتكون طاقم العربات من رجلين ن السائس والمحارب ، ويكون الأخير ضابطا . وتعتمد المصريون ألا يذكرها فى أغلب الأحيان خسائرهم من رجال ومعدات فى النقوش المختلفة .^(٣)

مخازن الغلال والمؤن :

وهى خاصة بتخزين الغلال اللازمة لأعداد المؤن الضرورية من طعام وشراب والتي كانت تصرف للجنود فى أوقات السلم وأوقات الحرب حتى لا يلجأ

(١) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الجنود إلى النهب والسلب . وكان كتبة الملك وكتبة التجنيد يبذلون مجهودات شاقة في إطعام الجنود . ويتكون الطعام العادى للجنود من الخبز واللحم وخاصة لحم البقر والجعة وفطائر وخضروات . ويسير الجنود فى نظام تحت إشراف ضباط صف ، ويحمل كل منهم وعائه ويعبرون أحد الأبواب إلى فناء توجد فيه جرار وموائد ملأى بالفطائر وقطع مستدير من اللحم المفروم وشرائح اللحوم . ويسجل الكتبة أولا بأول عدد الرجال وكمية التموين التى أعطت لهم .^(١)

البحرية والأسطول :

تتكون من أربع فئات من المراكب وهى : فئة لخوض المعارك ، وفئة لنقل الجنود والمعدات الحربية ، وفئة لنقل الملك وحرسه وحاشيته ، وفئة لنقل البضائع التجارية والصناعية .

عرف المصريون القدماء صناعة المراكب منذ فجر تاريخهم ، فيخبرنا حجر بالرمو بأن سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد أرسل أسطولا بحريا مكونا من أربعين مركب لإحضار كتل أخشاب الأرز من جبيل^(٢) . وهناك أخشاب مركب خوفو التى كشف عنها عام ١٩٥٤ ، وهى من المراكب الخاصة للملك^(٣) . وفى معبد ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة منظرًا لمركب عائدة من سورية . وأول إشارة لمعركة بحرية كانت من الأسرة السادسة فيحدثنا القائد ونى أنه ذهب إلى آسيا للقضاء على تمرد هناك . وأنه عبر البحر بجيشه الضخم ونزل إلى الشاطئ فى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٨٦ .

(٣) عثر فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ على أماكن مركبين فى الناحية الجنوبية من الهرم الأكبر ، وتم إخراج إحداها وأعيد بناءها وتركيبها ، راجع د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

شمال أرض سكان الرمال .

ويفهم من هذا أنه كان هناك مراكب تستخدم فى الأسطول التجارى لأغراض النقل والبعثات الخاصة بالمعابد ، والمراكب الخاصة بالملوك ، ومراكب الأسطول البحرى . واعتمد المصريون القدماء فى عصر الدولة الحديثة على الأسطول الحربى اعتمادا كبيرا ، واشتهرت مدينة منف بأحواضها الكبيرة التى شيدت فيها مراكب الأسطول المصرى القديم ^(١) . فهناك بردية فى المتحف البريطانى تسجل نشاط بناء المراكب فى منف (برونفر) أيام تحوتمس الثالث وقد سجل فيها أنواع الخشب التى صرفت لرئيس بنائى المراكب لمدة ثمانية أشهر ، وعين فيها أنواع المراكب والقوارب التى كانوا يقومون ببنائها . وهناك إشارة إلى معركة بحرية بين تف يب أمير أسيوط الموالى للأمناسيين ضد الطيبين فى عرض نهر النيل .

وكانت اكبر معاركهم البحرية على نهر النيل وهى معركتهم مع الهكسوس فى أوائل القرن السادس عشر ق.م ، كما كانت أكبر معاركهم فى البحر المتوسط هى معركة رمسيس الثالث ضد أساطيل شعوب البحر وانتصار أسطول رمسيس الثالث مما يدل على قوة أسطوله الحربى المعد للقتال ^(٢) . ويرى بعض العلماء أن المعركة حدثت عند مصبات النيل ، فى مكان ما إلى الشرق من بورسعيد الحالية قريبا من مخرج الفرع البيلوزى . وهناك معارك بحرية وقعت بين تف نخت وبعنخى عند هرموبوليس وذلك خلال الأسرة الخامسة والعشرين .

وفى الأسرة السادسة والعشرين أرسل نكاو أسطولا حربيا أخضع به بعض المدن الساحلية مثل عسقلون واشدود وغزة ، وجاء بسماتيك الثانى ونشأ أسطولا كبيرا فى البحر الأبيض وفى عصر الأسرة التاسعة والعشرين كان الأسطول المصرى قوة يحسب حسابها ، فاشترك فى النزاع بين الإغريق والفرس .

وقد أمد الملك نفريتس الأول ملك اسبرطة اجيلاوس بأسطول من مائة

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

مركب من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف عليها ما يقرب من ٨٠٠ مكيال من الحبوب . وعندما عقد الصلح بين فارس وأسبرطة عقد اخوريس (هكر) حلفا مع ايفا جوراس ملك سلاميس في قبرص ، وأمده بخمسين مركب بحرية وشحنة من الحبوب .

تمرس الجنود المصريون على النشاط البحرى فى النيل والبحرين المتوسط والأحمر . ويبدو أن السباحة والتجديف كانتا من أهم التدريبات البحرية . وقد صور البحارة والجنود على البر فى تنظيمات وتشكيلات تشبه تشكيلات الجيش البرى . وكان هناك سرية أو فصيلة لأعداد البحارة المصريين من عصر الدولة الحديثة كان يشرف على تدريبها ضابط بحرى كبير وقد سميت باسم " سرية تربية البحارة " ونعلم من ناحية أخرى أن الأمير أمنتب بعد أن أتم تدريبه على الرماية وركوب الخيل استكمل تدريباته مع البحارة . واعتاد وان يسابقهم ويتحداهم فى التجديف . ويتكون طاقم المركب المقاتلة من بحارة يبلغ عددهم فى المركب الكبيرة حوالى مائتى جنديا ومدربا على رأسهم حامل العلم وضابط من رتبة قائد بحارة . وكان من ضباط البحرية هم المشرفون على المراكب^(١) . وكانت لمراكب الحربية تبحر من ميناء فى منف أو من أحد الموانئ على الساحل الشمالى .

أما رحلات المصريون البحرية للكشف والتبادل التجارى مع الشواطئ الأفريقية وبلاد بونت فقد بدأت منذ عصر الدولة القديمة . وكان المصريون ينقلون مراكبهم مفككة من مدينة فقط بطريق البر إلى شاطئ البحر الأحمر ، ثم يشيدونها هناك فى ميناء يقع على مقربة من القصير الحالية .

قامت بعثة مشتركة من جامعة الإسكندرية وهيئة الآثار المصرية فى عام ١٩٧٦ بالكشف عن موقع ميناء من الأسرة الثانية عشر لتبحر منه السفن المصرية إلى جنوب البحر الأحمر ، وخاصة بلاد بونت - ويقع هذا الميناء عند مدخل وادى جواسيس ، جنوبى مدينة سفاجه بحوالى ٢٢ كم . وقد عثرت البعثة فى هذا الموقع

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٢ .

على لوحات منقوشة تحتوى على مرسوم أصدره الملك منوسرت الأول لبناء السفن لإرسالها إلى بلاد بونت^(١) . ونعرف من نقوش معبد الدير البحرى تفاصيل نوعية هذه المراكب إلى أرسلتها الملكة حاتشبسوت إلى بلاد بونت^(٢) . ونعرف أيضا تفاصيل الأسطول الذى شيده الملك نكاو وأرسله إلى البحر الأحمر لكشف سواحل أفريقيا وعاد الأسطول عن طريق مضيق جبل طارق محملا بجميع خيرات أفريقيا من الموائى التى مر بها^(٣) . كما تكونت أيضا الأساطيل الخاصة بالمعابد الكبرى لنقل المنتجات من اراضى المعابد والبضائع المختلفة ، وفى طيبة وأمام معابد الكرنك كان يوجد مرفأ لأسطول المعبد ، وربما كانت توجد مثل المرافئ فى هليوبوليس وفى قنطير وفى منطقة نزلة السيسى على بعد ٥٠٠ كم من مكان معبد الوادى للملك خوفو^(٤) . وكان هذا المرفأ مزودا برصيف على عمق مترين فى الأرض الطينية .

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٣٩٦ ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر ، نشر فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيرة فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣ ، ص ٧٣ - ٧٦ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) اكتشف مكان هذا المرفأ حديثا ولكن ضاعت معالمه بسبب المباني الحديثة التى أقيمت عليه ، وكان مخصصا لاستقبال المراكب التى تحمل الأحجار الخاصة بالمجموعات الهرمية للملك خوفو ، راجع : د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

التقاليد العسكرية :

كان على القائد أن ينظم مسيرة جنوده على خير وجه ، وأن على الجنود أن يلتزموا جادة الصواب فى كل صغيرة وكبيرة ، وقد نجح أغلب القادة فى نشر روح الطاعة فى الجيش والتقليل من أسباب الشقاق بين الجنود ، ومحاولة تغليب روح التراحم بينهم وبين مواطنى المدن التى غزوها أو وهم فى طريقهم إلى مواطن القتال ، محاولة تزويد الجنود بمؤونة مناسبة تصرف الجنود عن النهب والعدوان . وكان القائد مسئولاً أمام الملك وأمام أهل بلده عن سلامة جنوده ، وعن عدم إصابة أحد جنوده أو تعرضه للمرض . واستن بعض الملوك العسكريين تقليداً مستحباً فى مجالس الحرب ، وهو تقليد تبادل الرأى مع القادة عند مواجهة مفاجآت الحروب وقبل دخول المعارك الكبيرة . وكان القادة يحاولون تبرير رأيهم فى خطط الهجوم وكانوا يفضلون تأمين جيشهم ضد المفاجآت المتوقعة أثناء الهجوم . وفى حالة خروج الجيش للقتال ، كان الملك يخرج بنفسه فى طليعة جيشه ، وكان على رأس الجنود فى مركبته الحربية ، وكان أبناء الملك يتبعونه فى مركباتهم الحربية ، ومن ورائهم بقية القوات .

وتمتع أفراد الجيش العاديين والضباط ببعض النعم والمنح التى كفلها لهم الحكام مثل منح الأراضى ، والخدم والعبيد والأمرى ، والإعفاء من الضرائب ، وإعفاءهم من القيام بالمهام الشاقة ، وكل من له شكوى كانت تبحث أسبابها فى الحال .

وقد رت القيادة المصرية بسالة المحاربين خلال المعارك . وكان اسم الجندى الشجاع يقيد فى السجلات الملكية وعبرت عن تقديرها بالإنعام عليهم بالألقاب التشريفية ، والأوسمة والأنواط ، والمكافآت السخية ، والترقى إلى أرقى مناصب الضباط . فشاع من الألقاب التشريفية لقب " عحاوتى " أى المقاتل ، و " قن " أى الجسور أو الشجاع ، و " كفعو " أى القناص ، و " كفعو قن " أى القناص الشجاع .

وسجل كثير من القواد في نقوشهم انهم منحوا مكافآت تشجيعية عبروا عنها باسم ذهب التقدير وذهب البطولة . وكان في صورة نياحة أو أسد تتجلى من شريط . فالذبابة كناية عن خفة المنعم عليه وإلحاحه في مطاردة عدوه ^(١) . والأسد رمزا إلى شجاعة وجرأة المنعم عليه . وكان البعض الآخر يمنح أسلحة مذهب مطعمة بالأحجار الكريمة أو يمنح قطعة أرض في بلده أو يمنح عبيدا من الجنسين . ولدينا مثال حامل العلم أثناء المعارك الحربية ، نب آمون والذي عين فيما بعد ، قائدا للسفينة الحربية " مري آمون " وعندما بلغ سن الشيخوخة وهو في خدمة الملك ، قضاها في إخلاص وتفان صمم جلالتة أن يكرمه فمنحه منزلا جميلا ، كما أمده بخدم وقطعان من الماشية وأراضى عبيد ، مع ضمانات حتى ألا يتمكن موظفو القصر من استردادها ، ولم يشأ الملك أن يعفيه كلية من الخدمة العاملة لذلك عينه رئيسا للشرطة في البر الغربي في طيبة . وقد منحت له كل هذه الخيرات والألقاب في حفل كبير ^(٢) .

كان الجيش المصري أخف الجيوش كلها في المجتمعات القديمة في حب البطش والانتقام والتكيل بالأعداء ، فيما عدا عهد رمسيس الثالث ، فلم يعمد ملوك مصر في غالبيتهم أن ينزلوا أشد ألوان العذاب والتكيل بالأسرى . كما فعل السومريون والآشوريون والبابليون ^(٣) فمن هؤلاء الأسرى من كان يعمل في خدمة المعابد أو يعمل في مشروعات مختلفة ، أو يستخدم كعامل زراعية أو في البناء وصناعة النسيج ^(٤) .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ن ص ١٨٩ - ١٩١ شكل ٦ ، ص ١٩٥ - ١٩٨ ، ص ٢٠٤ شكل ٩١ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٠٧ ؛ د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية ، ص ٦٣ - ٦٨ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٤) Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 127.

لم تخذل سلوكيات العسكرية المصرية من طابع التدين ، فحرص الملوك على أن يسجلوا فضل أربابهم عليهم فيما أحرزوه من نصر ، واعتادوا على أن يصوروا رموز أربابهم تتقدمهم إلى الحرب وتشاركهم المعارك ، لحمايتهم ولتشل قوى العداء . كما كفل الملوك العسكريون لجنودهم أداء شعائرتهم الدينية خارج حدود أرضهم فزودوا حصونهم ومعسكراتهم بالمقاصير الصغيرة لتأدية الطقوس لأربابهم فيها . وكانوا يرسلون مع جيوشهم نفرا من الكهنة ليثيروا حماس الجنود . ويذكرونهم بفضل الأرباب ويحثونهم على الجهاد .

وكانت الدولة تستعين بأفراد الجيش في وقت السلم في الأعمال المدنية ونواحي النشاط الإداري ^(١) . وكانت الجيوش تذهب إلى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة اللازمة لإعداد المتاع الجنائزي والمنشآت المعمارية للملك . وكان الضباط العسكريون يتولون المناصب الخاصة بالإشراف على عمليات التجارة الخارجية التي ظلت حكرا على الملك وحده ، وكانوا يتولون أيضا أمور البعثات الخارجية والإشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر ^(٢) .

سادسا - نظم الحكم والإدارة في الأقاليم :

كانت هناك عدة أقاليم في مصر منذ بداية عصر الأسرات ، وبدأت أسماء بعض هذه الأقاليم في الظهور في النقوش منذ عصر الأسرة الرابعة ، على جدران معبد الوادي لهرم سنفرو الجنوبي ^(٣) . وعثر على أسماء لأقاليم مختلفة على تماثيل الملك منكورع وعلى بعض الحجار من عهد ني أوسر رع وساحورع من الأسرة

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٠٧ .

(٢) د. أحمد قدرى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

الخامسة . وعثر على قائمة لبعض أقاليم الصعيد من الأسرة الثامنة . وعلى الجدران الخارجية للمقصورة البيضاء للملك سنوسرت الأول والتي أعيد تشييدها فى معبد الكرنك ^(١) ، نجد ذكر اثنين وعشرين إقليما للوجه القبلى وستة عشر للوجه البحرى . وعلى جدران المقصورة الحمراء التى شيدها حاشبسوت فى مكان ما بالكرنك أيضا نجد قائمة تذكر اثنين وعشرين إقليما من أقاليم الوجه القبلى وسبعة عشر إقليما من أقاليم الوجه البحرى . ^(٢)

وفى معبد سيتى فى ابيدوس وردت قائمة ذكر فيها اثنان وعشرون إقليما للوجه القبلى وخمسة عشر إقليما للوجه البحرى . وفى معبد هيبس من عصر الأسرة السادسة والعشرين ، نجد على جدرانه ذكر اثنين وعشرين إقليما للوجه القبلى وسبعة عشر للوجه البحرى . ونجد فى المعابد البطلمية مثل دندره وادفو وكوم امبو وابوت فى الكرنك ومدامود وغيرها ، قوائم عديدة بها تفاصيل أكثر عن عاصمة الإقليم والمعبود المحلى فيه وكبير الكهنة وما يؤديه من طقوس ، وكبيرة الكاهنات والرمز المقدس فى الإقليم ، وفروع النيل التى تمر به والأراضى الصحراوية فيه . ولعل أكثر هذ القوائم تفصيلا هى قوائم معبد ادفو التى اعتمد عليها مونتيه فى كتابه عن " جغرافية مصر القديمة " . ^(٣)

والرأى السائد الآن هو أنه كان يوجد فى الوجه القبلى اثنان وعشرون إقليما وفى الوجه البحرى عشرون إقليما . وظهرت الثنائية فيما يخص الإدارات التى تتصل بالشئون الإدارية للوجه القبلى وللوجه البحرى . وكان كل إقليم مقسم إلى مقاطعتين : مقاطعة الشمال ومقاطعة الجنوب . ويمكن القول بأن صفات شمال وجنوب التى تتصل بالاسم لا يجب الأخذ بها حرفيا بل إلى حد ما . وكان يوجد

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٥٤ حاشية (٥) .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١١٣ حاشية (٤) .

(٣) Montet, la Géographie de L'Égypte Ancienne , p. 5. (٣)

مكتب للتعداد فى الأقاليم ، وكان هذا التعداد مثمما يحدث فى العاصمة ، يسجل بواسطة كاتب توثيق أمام عدد معين من الشهود . وتكشف لنا برديات اللاهون من الأسرة الثالثة عشر أن هذا التعداد يحدث فى مقاطعتى إقليم الفيوم الشمالية والجنوبية . وكان هناك أيضا تعداد للممتلكات والماشية .

وكان يوجد فى كل إقليم إدارات مماثلة لما هو موجود فى العاصمة وهى إدارات مصغرة تقوم بنسخ القوانين المعمول بها فى إدارات العاصمة وكانت هناك مكاتب حكومية لإدارة الإقليم ، وعثر على نموذج مصور من عصر الدولة الوسطى يمثل مكتبين من مكاتب إدارة الإقليم السادس عشر من أقاليم الوجه القبلى ، أحدهما بيت المال وتوزن فيه الأشياء الثمينة ويقوم بتسجيلها أحد الكتبة ، والآخر هو بيت المؤن وتكال فيه الغلال ثم تخون فى مخازنها .^(١)

كان يحكم كل إقليم حاكم يعين من قبل الملك ويكون مسئولاً أمامه ويتلقى أوامره منه ، ويتولى هو بنفسه العمل على تنفيذها فى إقليمه ، وإذاعتها على الناس فى إقليمه ، وكان يساعده عدد كبير من الموظفين المحليين بالإدارات المختلفة فى الإقليم ، وهم موظفون ملكيون . وبفضل هذا النظام الإدارى أصبح هناك مملكة قوية متحدة سياسياً ومنظمة إدارياً .

وكان حكام الأقاليم يرأسون مختلف نواحي النشاط الإدارى فى أقاليمهم فكان عليهم الإشراف على جمع الضرائب كاملة ، والعمل على زيادة الدخل ، وتأدية التزامات بيت المال^(٢) . فكان عليهم العناية بتحسين أحوال الإقليم الزراعية وذلك بحفر الترعى وإقامة الجسور وإعداد وسائل الرى^(٣) . وكان هناك أحد كبار الموظفين

(١) د. أنور شكري : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٣٤ شكل ٢٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٧ ؛ د. بيومى

مهران : المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٥٥ .

(٣) Yoyotte, BSFE 60 (Fevrier 1971), p. 24 .

الذى يحمل لقب " عج - مر " أى الإدارى ^(١) وهو أيضا أحد الألقاب الهامة لحكام الأقاليم ، وكان هناك موظف يحمل لقب مرخاسوت الذى يشرف على جباله وصحاريه وما فيهما من موارد . ويخضع لأشراف حاكم الإقليم كل الشئون القانونية، فهو الذى يرأس المحاكم والدوائر القضائية المحلية . كما أن حاكم الإقليم كان يشرف على الأنشطة الدينية فى الإقليم ، ومن الممكن أن يصبح الكاهن الأول للمعبود المحلى الذى يعبد فى الإقليم . وكان يشرف أيضا على جمع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم فى حملات .

وكان حاكم الإقليم يحرص كما يذكر بعضهم فى نقوشه مثل امينى من عهد الملك سنوسرت الأول ، على جدران مقبرته فى بنى حسن أنه لم يستعمل القوة مع الأهالى ولم يظلم الأراامل ولم يقبض على أى عامل ولم يطرد راع من حقله ولم يكن هناك جائع فى زمنه ، وأنه عمل على تطبيق العدالة . وكانت بعض الأقاليم تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى عن السلطة المركزية فى العاصمة . وكان حكام الأقاليم يشيدون فى بعض الأحيان مقابرهم فى جبانة العاصمة الرئيسية على الرغم من عدم إقامتهم بها وبعد إقليمهم عنها ، ولكنهم حرصوا على تشييد مقابرهم بجوار مقبرة الملك مما يدل على مدى ارتباطهم بشخصية الملك ^(٢) وكان كل إقليم يقدم المواد الغذائية ، وعدد المراكب اللازمة للأسطول وإعداد الرجال للجيش الم رابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى كل إقليم وخارجه ^(٣) . ويمكن التنازل عن وظيفة حاكم الإقليم فى نظير قيمة من الذهب . فقد عثر على لوحة فى الكرنك موجودة الآن

(١) Meeks, Alex. I, p. 76; II, p. 82; III, p. 57; WbI, 240, 7 - 12 . وكان لهذا الموظف الكبير صلة بالبعثات المرسلة إلى البحر الأحمر .

وكان هناك ألقاب أخرى مثل : cd mr ntr (إدارى المعبود) cd mr smjt (إدارى الصحراء بوجع عام) cd mr tnw (إدارى الأعداد أو الأرقام - أى الميزانية) cd mr Dp (إدارى مدينة دب) وكان له صلة بمشروعات الري وحفر الترعة ومراقبة ارتفاع مياه الفيضان والمسئول عن نظام توزيع أنصبه المزارع من المياه وصيانة الجسور والسدود ، وكان امنحتب بن حابو يحمل هذا

اللقب ، راجع : Varille, Amenhotep fils de Hapou, p. 92 (A)

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٧ - ١١٩ .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

بالمتحف المصرى تحت رقم ٥٢٤٥٣ وهى من الاسرة الثالثة عشرة ، وتحتوى على نص يحكى لنا أن شخصا يدعى كبسى أراد أن يدفع له ما قيمته ستون دينا من الذهب (حوالى خمسة كيلو جرام ونصف)^(١) ، ولكى يتنازل للشاكي سبك نخت عن وظيفة كحاكم للمنطقة الكاب^(٢) . وكان الأول قد ورث هذه الوظيفة عن أبيه الوزير آى - مرو ، وقد تم عمل بحث إدارى بواسطة مكتب الوزير والمشراف على المقاطعة الشمالية للإقليم ، وعلى الرغم من أن هذا النص لم يفحص حتى الآن بواسطة متخصص فى القانون المصرى القديم بالنسبة لما جاء فيه من بنود قانونية إلا أنه يمكن ان نستقى منه معلومات لا بأس بها بالنسبة لأوضاع الإدارة .^(٣)

وفهم من هذا النص أنه كان يمكن التنازل عن وظيفة حاكم الإقليم نظير قدر من الذهب ، ويمكننا القول بأن هذا كان يحدث كاستثناء فقط وليس بصفة دائمة ، ويبدو أنه عندما تشتري وظيفة مثل هذا فإنها تنتقل فيما بعد إلى الورثة من عائلة الحاكم . ويمكن إضافة أن إقليم الكاب كان يتمتع بوضع متميز ، ففى الواقع كان هو الإقليم الوحيد فى الوجه القبلى الذى نشأت فيه - خلال العصر الوسيط الثانى - عائلة إقطاعية بلغ نفوذها حجا كبيرا ، ومن الطبيعى ان حكام الأقاليم عندما كانوا يتولسون هذا المنصب كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين عن الإدارة المركزية .

وكان يمكن للملك أن يتنازل عن وظيفة كهنوتية لصالح الملكة . مثلما حدث بين الملك أحمس والملكة نفرتارى ، عندما تنازل الأول عن وظيفة كهنوتية لصالح الملكة طبقا لنص عثر عليه فى معبد الكرنك .^(٤)

(١) الدين حوالى ٩٣,٣ جرام ، راجع د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٣٨ .

(٣) Drioton- Vandier, op. cit ., p. 302 – 308 ; Kees, ZAS 70 (١٩٣٤), p. 88 – 100 .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 103 .

العدالة في قرية مصرية :

وهي قرية دير المدينة في البر الغربي في طيبة فتحدثنا بقايا الاوستراكا وبعض البرديات عن حياة طبقة العمال من القرن الرابع عشر حتى بداية القرن الحادى عشر ق.م في هذه القرية ^(١) . ونعلم من هذه الوثائق انه كان يوجد مجلس يسمى كنبت ، وهو أشبه بالمجلس المحلى ، وكان يوجد في قرى أخرى . ويتكون هذا المجلس من الشخصيات البارزة من سكان القرية ، بعضهم من الموظفين المحليين ، وكان هذا المجلس مسئولاً عن إدارة وتنظيم الأعمال بين سكان القرية والنظر في قضاياهم ، وكان هذا المجلس يتكون من ثمانية أعضاء وأثناء نظر الدعاوى يصبح العدد اثنا عشر ، وأثناء نظر دعاوى الوصايا العامة يصبح العدد أربعة عشر .

والقضاة طبقاً لألقابهم كانوا من السكان المحترمين مثل رئيس العمال ، الكتبة النواب ، حراس المقابر ، ورجال الشرطة . وأهم هذه الشخصيات رئيس كل قسم من العمال والكتبة . ومن كانوا لا يحملون ألقاباً مميزة في المجلس يبدو أنهم كانوا مجرد سكان عاديين . وكان من بين أعضاء المجلس أحياناً قاضيتان من الحرير ^(٢) . وكان هناك شمسوان كنبت " المجلس التابع " وكان دوره الرئيسى ينحصر في القيام بتفتيش المنازل واحراز البضائع . وطبقاً لتقرير رسمى فإن لهذا المجلس الحق في القبض على شخص ما واستخدام القيوم معه .

أى أن هذا المجلس التابع كانوا أشخاصاً مساعدين للمجلس العلى . وتدل سجلات المجلس على أن القضاة يختارون من بين الذين يسكنون القرية وكان هناك موظفون آخرون جاءوا من مناطق أخرى . وذلك لفترة معينة لعقد المجلس في دير

Id., op. cit ., p. 59,

(١)

Id., op. cit ., p. 63-64 .

(٢)

المدينة ^(١) . وكان من حق المجلس ان يقر الدعوة بعد ثلاث جلسات مخصصة للموضوع نفسه . وكان هناك سجلات للمجلس التى تحتوى على قوائم بأسماء القضاة وكان القضاة هم الذين يعلنون بأنفسهم الحكم . وكان هناك تمثال للملك أمنتب الأول موجود فى قاعة المجلس وكان يطلب رأيه فى بعض الأحكام . وكان يبدى رأيه بطريقتين :

الأولى : أثناء بعض الأعياد يخرج تمثال هذا الملك فوق نموذج لقارب صغير وأثناء سير الموكب يسأل أحدهم المعبود عن رأيه فى الخلاف القائم بين متخاصمين وعندئذ يجيب المعبود بعلامة واحدة أو أكثر .

والثانية : عن طريق خطاب مكتوب يقوم بتحريره كاتب يؤدى دور الوسيط ، وهو الذى يسأل المعبود وإليه يكشف المعبود عن إدارته فى بعض الحالات .

وكان ينظر فى الدعوى بعد ثلاثة ايام من رفعها من قبل الشاكي مصحوبة بالأدلة والبراهين ^(٢) . أما عن أنواع النزاعات والخلافات التى كانت تقوم بين سكان القرية أو بين أفراد طبقة العمال ، فهى إما خلافات شخصية ونزاعات بين الأفراد بسبب المعاملات بيع أو شراء بضائع وعقارات ومعدات وأدوات وحيوانات ، أو قرض أشياء أو تأجير أرض أو سرقة معدات أو بضائع تخص الأفراد أو المعابد أو المقابر ، ويمكن للمجلس النظر فى دعوى القذف ضد رئيس العمال أو سرقة بضائع من النحاس . ومن يقوم بالكذب أو الوشاية يعرض على المحكمة ، أما سرقات المقابر الكبرى فكانت تعرض على المحكمة العليا فى عاصمة البلاد ، أما حالات الاغتصاب فكانت نادرة ^(٣) . وهناك قضايا الأحوال الشخصية وهناك الاوسترাকা رقم ٥٦٣١ بالمتحف البريطانى من الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين يذكر صاحبها أنه

Id., op. cit ., p. 65 . (١)

Id., op. cit ., p. 66 - 69 . (٢)

Id., op. cit ., p. 63 - 70 . (٣)

حكم عليه بعمل شاق بسبب اختلاس ، ولكن والده كتب التماسا للملك فخفف عنه .^(١)

وهناك بردية سالت رقم ١٢٤ (١٠٠٥٥) بالمتحف البريطاني تصف لنا مجموعة من الاتهامات ساقها أمن نخت ضد ملاحظ العمال في المقبرة الملكية بنسب وذلك أمام الوزير الذى يعد رئيسا للعدالة . ومن بين الاتهامات أشياء سرقت من مقبرة الملك سبتى الثانى . ولم تذكر لنا البردية نتيجة شكوى أمن نخت وما هو مصير بنسب^(٢) . وكانت المحكمة تعلن الحكم بالطريقة الآتية :

" فلان محق او على حق " أو " فلان مخطئ " .^(٣)

أما انواع العقوبات فكانت الضرب ، الأعمال الشاقة فى المحاجر ، المناجم او النفى إلى بلاد النوبة فى حالات الجرائم البسيطة ، فيعاقب بالضرب مثلا من يقلق راحة المتوفى . وفى حالات الكذب أو الوشاية أو التزوير يجرد الأنف أو الأذن ، وفى حالات الزنا يعاقب بالعقوبة السابقة .^(٤)

مسئولية الدولة :

كانت الدولة مسئولة عن زيادة الدخل القومى الذى كان من أهم أهداف الحكومة وذلك باستصلاح الأراضى الزراعية ، وإقامة المشاريع الكبرى للرى فى الأقاليم مثلما فعل بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة للتحكم فى مياه الفيضان عند منخفض القيوم ، حتى جاء الملك أمنمحات الثالث فأكمل هذه المشاريع بإقامة حائط ليحجز الماء بلغ طوله سبعة وعشرين ميلا ، وبذلك هيا مساحات شاسعة للزراعة

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1973), p. 120 .

(٢) James, op. cit ., p. 120 .

(٣) Id., op. cit ., p. 72 .

(٤) Id., op. cit ., p. 73 .

انظر حديثا: منال محمود: الجريمة والعقاب ، مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٤ لعام ٢٠٠٣ ، ص ٩٩ - ٢٣١ تناولت فى هذه الصفحات انواع الجرائم وانواع العقوبات: الإعدام والاحراق والاغراق والبتير والكى بالنار والضرب والسجن والنفى والغرامة ومصادرة الأملاك .

زانت من ثراء البلاد فى ذلك الوقت^(١) وكانت مسئولة كذلك عن توفير المواد الخام للصناع والحرفيين ، ومسئولة عن وسائل النقل البحرى وحمايته وتأمين الملاحة فى النيل أو فى البحر الأحمر والبحر المتوسط^(٢) . ومسئولة أيضا عن إعداد الطرق ، ونقل البريد والمراسلات^(٣) وكانت مسئولة عن صحة وسلامة العمال الذين يعملون فى محاجر الدولة . ومسئولة عن تخطيط المدن والقرى العامة والقرى الخاصة بسكنى العمال ومسئولة عن تخطيط الميادين العامة وتزويدها بالحدائق والأشجار فى الطرقات . كما أن الدولة مسئولة عن المحافظة على النظام والمن والعام فى الداخل وحماية الإنسان وممتلكاته والمعابد والمقاصير والقصور وإدارات الدولة ضد عصابات تنهب المعابد والمقابر التى كانت تحوى ثروات ضخمة^(٤) . كما أن تأمين حدود مصر كان عملا من أهم أعمال الحكومة . وقد شيد ملوك الأسرة الثانية عشرة الحصون والقلاع وكانت من أشهرها القنعتان اللتان بناهما سنوسرت الثالث على ضفتى النيل عند قمة وسمنة إلى الجنوب من الجندل الثانى . كما كان فى شرق الدلتا نقطة غير محصنة كان يخشى ان يتعرب منها العدو ، وهى وادى الطميلات ، وهناك شيد جدار أو سور كبير من عهد أمنمحات الأول هو حائط الأمير أو الحاكم^(٥) الذى شيد لرد الآسيويين . وكان الجنود يقيمون فيه ويراقبون العدو من على أبراجه .

كما كانت الدولة مسئولة عن إطعام الموظفين والعمال وإعطاء مستحقات لهم ومكافآت . كما كانت الدولة تهتم بالنهوض بالفنون ورعاية الفنانين وخاصة فى

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٠ .

(٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 33 – 34 , 183 – 184, 255 .

(٣) Posener, op . cit . , p. 229 .

(٤) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .

(٥) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٤٥ .

عهد أمنحتب الأول ، وكذلك العناية بالنواحي الأخرى المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية .

سابعاً - مظاهر الأوضاع السياسية في الداخل عبر الأسرات الحاكمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات المصرية :

تحدثنا في البداية عن الظروف ومراحل التطور السياسي التي مرت بها البلاد والممالك المصرية في عصور ما قبل الأسرات ، حتى انتهت مراحل التطور والصراع إلى اتحاد البلاد أو القطرين الوجه القبلي والبحري وقيام الأسرة الأولى على يد نعرمر - منى الذي يعد أول ملوك الأسرة الأولى ، وهكذا كان الشعب المصري من أوائل شعوب العالم القديم الذي عرف معنى الوحدة السياسية . وعاشت البلاد خلال عصور وفترات الثلاثين أسرة أوضاعاً سياسية شتى :

عصر التأسيس والبناء : (١)

ويشمل الأسرتين الأولى والثانية ، وبذل الملوك خلاله جهداً كبيراً في سبيل تنسيق النظام الإداري للبلاد ن على ضوء ما كان يسود البلاد قبل الوحدة السياسية من نظم وأوضاع . وكانت هناك إدارة للجنوب وأخرى للشمال ، ومستشار للوجه البحري ، ويعلو الجميع سلطان الملك ، حاكم القطرين وحامل التاج أو التاج المزوج (٢) . وأنشئت في هذا العصر بعض الإدارات الحكومية . وتطورت نظم الحكم والإدارة نتيجة لاختراع الكتابة ومعرفة حروف اللغة المصرية . وطبقاً لنقوش حجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عهد عج ايب (سادس ملوك الأسرة الأولى) كان هناك إحصاء يتم كل عامين .

ويعقب الأفريقى على بعض أعمال ملوك الأسرة الثانية بقوله بأنه تقرر في

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

عهد نى نثر (ثاثهم) أحقية النساء فى تولى الحكم . وسجل ارتفاع منسوب مياه الفيضان فى عهد خع سخم (سابعهم) .^(١)

عصر الاستقرار :

ويشمل عصر الدولة القديمة من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة . وتم فى هذا العصر التقسيم الإدارى للبلاد وأصبح هناك عدة أقاليم للوجه القبلى ومجموعة أخرى للوجه البحرى . وأصبح هناك حاكم لكل إقليم^(٢) . وكان حكام الأقاليم يتولون مختلف الأنشطة الإدارية فى أقاليمهم ، من تحسين أحوال الزراعة فى أقاليمهم وحفر الترعى وإقامة الجسور وتيسير وسائل الرى^(٣) . وكان حاكم الإقليم يتلقى أوامره من الملك مباشرة . وكان فى العاصمة فى هذه الفترة الإدارات الرئيسية وفى الأقاليم إدارات فرعية ملحق بها عدد كبير من الموظفين .

وكانت السلطة والثروة مركزة فى يد الملك ، وكان لها نتيجة هامة ، فقد ساعد ذلك على إقامة المشاريع المعمارية الضخمة . وظلت البلاد قوية متحدة متماسكة سياسيا ، وكانت أيام الدولة القديمة فى مجموعها أيام سلام وأمن واستقرار ، ومع ذلك لم يخل الأمر بين حين وآخر من كفاح ضد بدو الصحراء فى الجنوب والشرق والغرب ومع ذلك فلك يكن هناك جيش نظامى قائم فى عهد الدولة القديمة ، بل كان الملوك يدعون حكام الأقاليم إلى معاونتهم بجنودهم وقت الحرب ، ومن هؤلاء الجنود كان يتكون جيش موحد تحت قيادة قائد يعينه الملك . وكانت لمصر فى معظم أيام الدولة القديمة حكومة منظمة ، وطيدة الدعائم قادرة على تسيير دفة الأمور . وقد ازدهرت فى كنفها بعض المظاهر الحضارية ، وليس أدل على ذلك من آثار العمارة وروائع الفن وبديع المصنوعات من هذه الفترة ، وهى تدل على

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 40 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

وفرة الموارد الاقتصادية للبلاد في هذه الفترة . وأصبحت الملكية في تلك الفترة قوية بما فيه الكفاية لكي ترسل البعثات خارج مصر ، فالجيوش المصرية ذهبت حتى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة وتوغلت في الصحراء الشرقية ، كما تدخلت بعمق في بلاد النوبة .

وكان يحكم مصر كلها ملك ، يحكمها من قصره حكما مطلقا مقدسا ، يساعده في ذلك من يختارهم من الوزراء وحكام الأقاليم وكبار الموظفين .

عصر الثورة الطبقيّة وحكم الأقليات :

تشهد مرحلتين ، عصر الأسرتين السابعة والثامنة ، اللتين ساد خلال عصرهما الفقر والبؤس نتيجة للثورة الاجتماعية الى قامت في نهاية الأسرة السادسة وعادت البلاد إلى ما كانت عليه من أوضاع سياسية قبل عصر الوحدة ^(١) من انقسام في الداخل واختلال للأمن ، وانتشار الفوضى ، وتلاشي للسلطة المركزية واختفى سلطان العرش ، كما أغار بدو الصحراء الشرقية على الدلتا ، وعاثوا فيها فسادا .

وانقسمت البلاد إلى أقاليم منفصلة ومستقلة تماما عن سلطة ونفوذ حكومة منف . وقد بدأ هذا الانهيار نظرا لطول مدة حكم الملك بيبي الثاني في نهاية الأسرة السادسة . وساعد على عوامل الانهيار في الداخل هو ازدياد سلطة حكام الأقاليم ، وقل ارتباطهم بالملك ، واعتمادهم عليه . وساعد ذلك على تقوية جانبهم السياسي ، وزيادة ثرواتهم ، وأصبح كل حاكم مستقلا عن السلطة المركزية ولا يحرص على أن يدفن بجوار أو بالقرب من مقبرة الملك في العاصمة ، بل أخذ يهيئ لنفسه مقبرة في اقليمه ، يدفن فيها هو وعائلته ^(٢) . ويبدأ مع هذه الفترة ما نسميه بالعصر الوسيط الأول حتى نهاية الأسرة العاشرة . وعصر الأسرتين التاسعة والعاشرة ، وكان

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ملوكهما من أهناسيا ، الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء مباشرين وشرعيين لملوك منف وحاولوا نشر سلطتهم على بقية أجزاء الوادي كله من مدينة أهناسيا ، وقد حاولوا طرد بدو الصحراء من الدلتا . وفي هذه الفترة نشأ في طيبة بيت قوى أخذ ينافس أهل أهناسيا على الزعامة . ودخل الاثنان معا في صراع طويل ، حتى انتهى الأمر بانتصار ملوك طيبة . وكان ذلك بشير بزوال عصر القوضى والإقطاع ودخول البلاد في دور جديد من أنوار ازدهارها . وهناك ثلاث مقابر من أسيوط مؤرخة من العصر الاهناسي ، أهمها مقبرة حاكم أسيوط خيتي الذي يذكر لنا في نقوش مقبرته كيف أنه تربي صغيرا في بلاط أهناسيا مع أبناء الملك ، ونعلم من نقوش مقبرته أيضا أنه كان مهتما بالزراعة وإصلاح قنوات الري وإصلاح الأراضي الصحراوية وقام بتوزيع الحبوب على أهالي إقليمه في وقت المجاعة .^(١)

ولاشك في أن الصراع بين أهناسيا وطيبة قد أثر على الأوضاع السياسية ونظرة الناس للحكام صاحب السلطة المطلقة في الدولة القديمة ، نرى في بردية القروي الفصيح من هذا العصر ، وجود نوع من الإدراك لدى عامة الناس عندما يتعرضون لظلم أحد كبار الموظفين .

عصر إعادة الوحدة السياسية والازدهار :

ويشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، أو ما يسمى بالدولة الوسطى . عاد الاستقرار إلى البلاد وأصبحت أكثر نظاما وترتيباً من الناحية الإدارية بفضل مجهودات ملوكها . فيرجع الفضل إلى ملوك الأسرة الحادية عشرة في توحيد البلاد من جديد وإعادة أسباب الأمن وتوطيد النظام .

فعندما تولى أمنمحات الأول حاول أن يبسط نفوذه على الأقاليم التي كانت قد استقلت بعد سقوط الحكومة المركزية في نهاية الدولة القديمة . وحاول أن يحسم

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

النزاع بين هذه الأقاليم. ويرسم حدودها من جديد وقد استخدم أمنمحات العنف تارة ، والتساهل تارة أخرى حتى أخضع أمراء الأقاليم لسلطانه . وقرب بعض حكام الأقاليم إليه وحاول أن يكسبهم إلى صفه . كما أنه طهر حدود البلاد من البدو فى الشرق والغرب والجنوب ، وسيطر بذلك على البلاد فى الداخل والخارج^(١) . وتحت حكم الملك سنوسرت الثالث أصبحت السلطة الملكية مطلقة من جديد ، لدرجة أن مسئوليات حكام الأقاليم قد ألغيت^(٢) . وأصبح توريث الإمارة أيام الدولة الوسطى من حق القصر وأصبح الأمراء يتوددون إلى الملك بأسلوب يدل على الخضوع التام وكان القصر يمنحهم الأراضي لاستغلالها ولم يكن لهم حق توريثها إلا بأذن من الملك ، وهكذا عادت إلى الملك سلطته القوية^(٣) .

اهتم ملوك الدولة الوسطى بالنظم الإدارية التى ارتكزت عليها حكومة الدولة القديمة . واهتموا بالجيش وأصبح هناك جيش عامل يحافظ على حدود البلاد . وقد تميز عصر الدولة الوسطى بالرخاء الاقتصادى إذا اهتمت الدولة بتنظيم مياه النيل وتوفيرها للرى ، وعُنيَت بالزراعة وعملت على النهوض بها ومن أشهر مشروعاتهم فى هذا السبيل ذلك السد الذى أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة فى منطقة الفيوم^(٤) . وذلك لاستغلال مياه لرى مساحات كبيرة من الأرض الزراعية فى أوقات التحريق ، تلك المياه التى كانت تتجمع فى بحيرة ميرس (بدلا من بحيرة موريس) لأن الاسم الأول مشتق أساسا من كلمة مر-ور أى " البحر العظيم " التى عرفت منذ عصر الدولة الحديثة^(٥) . وكانت هذه البحيرة موجودة منذ أقدم العصور وتمتاز بمساحة كبيرة واتساع كبير بحيث بلغت مساحتها أكثر من ألف كم^٢ وانكشفت هذه المساحة على مر العصور إلى مساحة بحيرة قارون الحالية .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٠ .

(٢) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 70 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٠٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٨ حاشية (٣٦) .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٥) Wb 11, 97, 13.

وليس لدينا أدلة على قيام ملوك تلك الأسرة بأى مشروعات أخرى لاستصلاح الأراضى فى غير منطقة الفيوم ، ولكن اهتمامهم بمقاييس النيل عند الجندل الثانى عند حصن سمنا يجعلنا نعتقد أن جهودهم فى تنمية الثروة الزراعية لم تقف عند حد إقليم الفيوم ^(١) . وفى كل عصر ، كانت مصر بلدا غنيا بفضل خصوبة أرضها من ناحية وبفضل المواد الخام والمصادر الأخرى من المناجم والمحاجر فى الصحراء الشرقية ، وقد زاد الاهتمام بإظهار قيمة هذه الثروات بوجه خاص فى هذه الفترة . وتم فى عصر الدولة الوسطى إعادة فتح المناجم والمحاجر التى ظلت شبه مغلقة فترة العصر الوسيط الأول . وكثر إرسال البعثات إلى هذه المناجم فى الصحراء الشرقية وسيناء ، فتقدمت نتيجة لذلك الصناعات والفنون ونهضت العمارة وأعمال البناء ، وعمل أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ربما سنوسرت الأول أو الثالث (٢) ^(٢) على حفر قناة شرق الدلتا تصل ما بين النيل وخليج السويس عن طريق وادى الطميلات والبحيرات المرة ، ويعد مشروع هذه القناة أقدم مشروع أو طريق مائى يصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر ^(٣) .

عصر التدهور والاحتلال الأجنبى :

ويشمل فترتين : الأولى عصر الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وهو

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne , p. 83 .

(٣) يرى د. عبد المنعم أن الاسم سيزوستريس المذكور فى روايات الكتاب الكلاسيكيين لا ينطبق على أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة المسمى سنوسرت ولم يرد من عصر هذه الأسرة إشارة واحدة إلى وجود هذه القناة ، راجع : د. عبد المنعم عبد الحليم : قناة النيل - البحر الأحمر المسماة " قناة سيزوستريس " وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى ، فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ .

عصر المحن الداخلية ، الثانية عصر الأسرة الخامسة عشرة حتى السابعة عشرة ، وهو عصر محنة الهكسوس ومراحل الجهاد الوطنى والتحرير ويبدأ معها فترة العصر الوسيط الثانى .

فى الفترة الأولى : أصبح العرش محل أطماع عدد من حكام الأقاليم وكبار الموظفين وقواد الجيش ، الذين ادعوا لأنفسهم الحق فى حكم البلاد . وبالفعل نجد أسماء عدد كبير من الحكام الذين لم يستطيعوا مجابهة الفوضى التى عمت البلاد من جديد^(١) . فاشتد الصراع بين حكام الأقاليم بعضهم من بعض من جهة ، وبين حكام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى ، فاضطرب الأمن واختل النظام ، وتشرّب الفساد إلى كل مرافق الدولة ، وعادت الحال إلى مثل ما كانت عليه عقب نهاية الدولة القديمة .

ولا نعرف الكثير عن ملوك الأسرتين الثالثة عشرة ، التى أرجع مانيتون أصلها إلى طيبة ، وقدر عدد ملوكها بستين ، والرابعة عشرة التى أرجعها إلى مدينة سخا فى شرق الدلتا ، وقدر عدد ملوكها بستة وسبعين . ولا نعرف أيضا عن أحداث عهدهم أى شئ إلا بعض الآثار القليلة التى تركوها لنا .

وفى الفترة الثانية : نجد ان التفكك الذى شمل البلاد فى الفترة السابقة وعدم وجود حاكم قوى يجمع البلاد كلها تحت سيطرته ، قد أدى إلى وقوع البلاد فريسة فى يد عدو متربص بها ، وتعرضت البلاد للاحتلال الأجنبى لأول مرة فى تاريخها . وغزاها الهكسوس ، وهم شعوب وجماعات مهاجرة من الشرق واستقرت فى أغلب مدن شرق الدلتا تاركين الجزء الغربى منها لأسر مصر تحكمه . كما أنهم لم يستطيعوا أن يحتلوا الوجه القبلى كله ، وإنما وصل نفوذهم حتى مصر الوسطى ، واضطروا إلى ترك الجزء الأعلى من الوجه القبلى لأمرأء وحكام مصريين . وسيطر النوبيون على الجزء الجنوبى للبلاد . ولم يبق من المناطق المستقلة فى البلاد

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢١ .

سوى رقعة ضيقة فى غرب الدلتا وفى صعيد مصر يحكم أمراء طيبة ^(١).

وقد ظل حكم ملوك الهكسوس قائما طوال أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجزءا من حكم الأسرة السابعة عشرة . وأساء الهكسوس فى بادئ الأمر معاملة المصريين ، ولم يحترموا معبوداتهم ومقدساتهم ، واحتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم ولكنهم لم يلبثوا على ذلك الحال طويلا ، إذ سرعان ما جرفهم تيار الحضارة المصرية ، فتمصروا ، وقلد ملوكهم الملوك المصريين فى أزيائهم وألقابهم وتقاليدهم المصرية .

ولم يستطع الهكسوس القضاء على الروح الوطنية فى البلاد ، بل كانت تلك الروح تقوى مع الأيام . لأن حكم الهكسوس لم يترك فى نفوس المصريين إلا البغض والكراهية لهؤلاء الدخلاء الذين احتلوا البلاد وفرضوا الجزية عليهم . وتزعم حركة التحرير أمراء طيبة فى أواخر الأسرة السابعة عشرة ، واستطاعوا ان يزحفوا نحو الشمال فحرروا مصر الوسطى ، وسار الجيش المنتصر بقيادة أحمس وحاصر الهكسوس فى عاصمتهم فى شرق الدلتا فى آفارس وانتصر عليهم . وكانت نشوة النصر دافعة للملك أحمس ومن معه أن يتعقب الهكسوس خارج حدود مصر ويحاصره فى عقر دارهم فى شاروهم فى جنوب فلسطين لمدة ثلاثة أعوام حتى استولى عليها ^(٢).

عصر القوة العسكرية والتوسع الخارجى وتكوين مناطق نفوذ فى الخارج :

ويشمل هذا العصر الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . وكان لغزو الهكسوس واحتلالهم للبلاد عظة كبيرة للمصريين ، إذ أدركوا ما للقوة العسكرية من أهمية كبرى فى حماية الوطن والزود عنه . كما نتج عن اشتراكهم فى

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢١ .

حرب التحرير ، تذوقهم لذة النصر . ومن ثم بدأوا يهتمون بإنشاء جيش قوى ، عامل ، منظم ، سلحوه بأفضل الأسلحة المعروفة فى ذلك الوقت وزوده بالعربات الحربية التى عرفوها عن الهكسوس . وكان يتقدم هذا الجيش العظيم ، الملك . وتكونت ما جرى بعض المؤرخين على تسميتها بالإمبراطورية المصرية .^(١)

وغلبت الصبغة العسكرية على الحكومة فى الأسرة الثامنة عشرة ، والأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين . ويمثل عصر الأسرة الثامنة عشرة عصر الانطلاق فى السياسة الداخلية والخارجية ، وعصر الأسرة التاسعة عشرة عودة الكفاح ، وعصر الأسرة العشرين آخر مراحل القوة . وأصبح للجندية شأن كبير فى الأسرة الثامنة عشرة ، وكان الملك رأس الدولة ، كما كان هو قائد الجيش ، وهو الذى يتقدم الجيوش ، وهو الذى يرأس مجال الحرب . وساعد هذا الاتجاه الملك على إعداد جيش قوى منظم ، ولم تكون الجيش العامل بمعناه المعروف إلا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة واستطاع الملك أن يوسع أملاك مصر ويجعلها ذات صيت فى الشرق . وساعد على ذلك أيضا استقرار الأوضاع السياسية فى الأقاليم ، وسيطرت على البلاد حكومة مركزية قوية وعسكرية تتبع نظاما ثابتا ، وتخضع البلاد جميعا لقوانينها . وزاد تبعا لذلك ثراء طبقة الموظفين الملكيين الذين وصلوا إلى درجات عالية فى السلم الإدارى أو فى طبقة الضباط العسكريين الذين كافأهم الملك بالهدايا وأغدق عليهم المنح المتعددة .

ونتيجة من إغفال أختاتون لشئون الحكم أن فسدت بعض إدارات الحكومة وأساء الموظفين استخدام سلطة وظائفهم . وتأثر الوضع فى الخارج بهذه السياسة الداخلية حتى اعتلى حور محب العرش واصدر مجموعة من القوانين الصارمة

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٢ ؛ د. احمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣ - ١٠ .

لإصلاح الإدارة ، والضرب على أيدي العابثين . وحكمت البلاد بعد ذلك أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة عشرة ، التي أخذت مصر في عهدا تسترجع ما فقدته من قوة ونفوذ ، وتجدد بفضل ملكها رمسيس الثاني ، نفوذ مصر في آسيا وانتهى به الأمر إلى عقد معاهدة سلام بينه وبين الحيثيين .

وظهرت شخصية الملك رمسيس الثالث في الأسرة العشرين ، الذي تمكن من وضع حد لغارات الليبيين وشعوب البحر على حدود مصر الغربية والشمالية . وذلك بفضل الجيش والأسطول المصريين . وبعد حكم هذا الملك بدأت البلاد تقع مرة أخرى فريسة للفساد واختلال الأمن . وقد ختمت الدولة الحديثة أيامها في أواخر الأسرة العشرين حين تلاشت سلطة الملك تماما ازدادت قوة كهنة آمون حتى تمكن كبيرهم حريحور من الاستيلاء على العرش وقد تميز عصر الدولة الحديثة برخاء وثروة ، والدليل على ذلك تشييد معبد الأقصر ومعبد الكرنك في البر الشرقي ومعابد الدير البحري والرمسيوم ومدينة هابو في البر الغربي ومعبد سيتي الأول في أبيدوس ومعابد رمسيس الثاني المنحوتة في الصخر في بلاد النوبة .

أدت زيادة ثروات المعابد في عصر الدولة الحديثة إلى ازدياد نفوذ الكهنة ، فكان الملك يهب المعابد أملاكا كثيرة وهبات بعد كل غزوة انتصر فيها ، اعترافا منه بفضل المعبود آمون الذي وهب له النصر . ولما زادت ثروة وأملاك المعابد زاد دور الكهنة في شئون الحكم السياسية . على أن قوة الكهنة وتأثيرهم في الحكم ، كان يتفاوت من وقت إلى آخر تبعا لقوة الملك الحاكم ووزرائه . ففي عهد تحوتمس الثالث مثلا كان الأشراف على معابد آمون وأملاكه تحت سلطة وزيره رخمى رع بالرغم من وجود الكاهن الأول ^(١) . ولكن إشراف الحكومة على المعابد والكهنة أخذ يتضاءل شيئا فشيئا بعد ذلك ، وليس أدل على خضوع الملك لنفوذ كهنة آمون من القوائم التي حفظتها لنا بردية هاريس رقم ١ والتي تذكر هبات رمسيس الثالث للمعابد ، مما يجعلنا نقدر أملاكها بحوالى ٧/١ الأراضى المنزرعة ، فضلا عن ١٠٧ آلاف من العبيد ونصف مليون رأس من الماشية وحوالى ٨٨ مركبا كبيرة

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٠ .

وكان لهذه الأملاك الكتبة والموظفين والعمال القائمين على إدارتها ومباشرة الخدمات المختلفة بها ^(١) . وظل نفوذ كهنة آمون في ازدياد حتى استطاعوا ان يصلوا إلى العرش في عصر السرة الحادية والعشرين والتي بدأت بتولى حريحور كبير كهنة آمون مقاليد الحكم . وحدث أن اضطربت الأحوال الاقتصادية في أواخر الأسرة العشرين واشتدت الضائقة المالية بطبقة العمال في البر الغربي . واضرب العمال عن العمل في حفر المقابر الملكية وغيرها في البر الغربي واضربوا أكثر من مرة لتأخر صرف مستحقاتهم الشهرية .

عصور الضعف والنكسات والتحرر :

وامتدت من السرة الحادية والعشرين حتى نهاية الأسرة الثلاثين . عاشت مصر خلال هذه العصور كل أنواع الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية من فترات فتور وتخبط ونكسات وتحرر واحتلال أجنبي .

عصور الفتور: ^(٢) ويشمل الأسرة الحادية والعشرين وتولى الحكم ملوك من كبار كهنة آمون ، وانقسمت البلاد إلى مملكتين ، أحدهما جنوبية عاصمتها طيبة ، حيث كان يحكم كبير كهنة آمون حريحور ، وأخرى شمالية عاصمتها تانيس حيث يحكم الملك سمندس . ونسبى الفترة ابتداء من عصر الأسرة الحادية والعشرين حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين بفترة العصر الوسيط الثالث .

عصر التخبط والضعف : ويشمل الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وتولى الحكم فيها ملوك من أصول ليبية استقرت منذ زمن في اهناسيا المدينة وزاد نفوذهم بعد ذلك . وبدأ الأسرة الثانية والعشرين بنشاط في الشرق وقام ملوكها بحملة على فلسطين . وقامت بيوت قوية في الوجه البحري وانقسمت البلاد إلى عدة إمارات .

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

وانفصلت النوبة عن مصر . واستمرت البلاد على هذا الحال من التفكك والانقسام والضعف طوال العصر الليبي .^(١)

عصر الكفاح : ويشمل الأسرة الرابعة والعشرين ، التى تتكون من ملكين فقط لم ينجحوا فى تحقيق وحدة البلاد السياسية ، وحكم ملوكها فى سايس فى غرب الدلتا .

عصر المحنة : ويشمل الأسرة الخامسة والعشرين وحكم فيها ملوك من كوش وكانت سلطنة هذه الأسرة ضعيفة فى الدلتا لأن عددا من الأمراء المحليين الأقوياء كانوا ينازعون ملوكها السلطة . ولم يحكم الكوشيون مصر إلا حوالى أربعة وثمانين عاما ، وفى أثناء ذلك الوقت أخذت قوة آشور فى الازدياد ، ونجحوا فى غزو مصر ودخلوها وطردها الكوشيين .

عصر النهضة : وتشمل الأسرة السادسة والعشرين وحكم فيها ملوك من سايس مرة أخرى . وبعد حكمهم من فترات القوة . ونجحوا فى طرد الآشوريين . وحاولوا النهوض بالوضع السياسى فى البلاد عن طريق إعادة تنظيم الجيش وحاولوا إحياء مجد مصر الحربى ، واهتموا بالتجارة فحاول الملك نكاو إعادة حفر القناة بين النيل والبحر الأحمر ولكنه فشل فى ذلك . وحاولوا أحياء التراث القديم وخاصة الدولة القديمة فى الفن والعمارة .

وشجع ملوك هذه الأسرة الإغريق على الاستيطان فى مصر ، الذين عملوا فى الجيش المصرى ، وعملوا أيضا بالتجارة ، وابتداء من الأسرة السادسة والعشرين حتى نهاية الأسرة الحادية والثلاثين تدخل البلاد فيما يسمى بالعصر المتأخر .

عصر النكسة : ويشمل الأسرة السابعة والعشرين وتعرضت فيه البلاد للغزو الفارسمى . فقد غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م . وضمها إلى الإمبراطورية الفارسية دون عناء كبير وعامل المصريين بقسوة ، وحاول خليفته دارا أن يسلك مسلكا فيه رفق ، ولكن المصريين ثاروا أكثر من مرة ضد الاحتلال الفارسمى ، الذى يعد عصرهم من عصور الضعف التى مرت بها البلاد .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

عصر البقظة والتحرر : ويشمل الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين ، وهما آخر الأسرات الوطنية . فقد ترغم الثورة ضد الفرس آمون حر ونجح في حرب التحرر ضد الفرس الذين خرجوا من مصر ، واعتلى بعدها عرش البلاد مؤسساً الأسرة الثامنة والعشرين . ثم تلتها الأسرة التاسعة والعشرون الوطنية التي اتصفت باعتمادها على صداقة ومساعدة اليونانيين في توطيد سلطانتها ، وحكم فيها أربعة ملوك أضلا من مندى (تمى الامديد) . ونجحوا فى صد هجوم الفرس مرة أخرى ، أما الأسرة الثلاثين فقد بذل ملوكها أثناء حكمهم جهداً كبيراً فى البناء والتشييد ، وعقدوا معاهدات مع أثينا وأسبرطة .

عصر الأفول : لم تمكن المصريون من الاحتفاظ باستقلالهم طويلاً ، إذا لم يلبث الفرس أن عادوا مرة أخرى إليها عام ٢٤١ ق.م . ليحكموها لعدة سنوات ثم يدخلها الإسكندر الكبير عام ٣٣٢ ق.م . ويضمها إلى مملكته الواسعة ويتولى من بعده بطلميوس أحد قواده ومن بعده خلفاؤه فيما يعرف بعصر البطالمة أو العصر البطلمي الذى استمر قرابة ثلاثة قرون من ٣٣٢ إلى عام ٣٠ ق.م ، وجاء من بعده العصر الرومانى الذى استمر أكثر من ثلاثة قرون ونصف من ٣٠ ق.م . إلى ٣٩٥ ميلادية ، وحل بعد ذلك العصر البيزنطى الذى استمر قرابة قرنين ونصف من ٣٩٥ إلى ٦٢٨ ميلادية ، وأخيراً حل الفتح العربى عام ٦٤٠ ميلادية .

ثامنا - السياسة الخارجية عبر الأسرات الحاكمة :

تقع مصر فى الركن الشمالى الشرقى من القارة الأفريقية ، وبحكم هذا الموقع الجغرافى فهى تطل على قارة آسيا من ناحية وحرّض البحر المتوسط من ناحية أخرى . وذلك مما ساعد على قيام علاقات بينها وبين العديد من الدول والشعوب المجاورة والبعيدة . ونظراً لموقعها الجغرافى الفريد فى أقصى الشرق للقارة الأفريقية ، فهى بذلك تعتبر نقطة اتصال التقاء بين حضارات بلاد وشعوب أفريقيا والشرق القديم وحضارات البلاد المطلة على البحر المتوسط .

وقد اختلفت طبيعة العلاقات مع كل بلد ، فمنها ما أخذ صور علاقات تجارية ، أو ثقافية ، أو تحالفات عسكرية ، أو معاهدات ، أو علاقات دبلوماسية بكل ما فيها من مظاهر أو علاقات مصاهرة وزواج ، أو زيارات متبادلة ، أو صور الصراع العسكرى والحملات الحربية ونظرا لخيرات أرض مصر وثرواتها الطبيعية، فإنها كانت مقصد كل طامع فى جميع البلاد . وتعرضت حدودها لعدة هجمات أجنبية وعدة تسربات أجنبية ، وتعرضت لأكثر من غزو أجنبى ، فاضطرت أن تغير من سياستها الخارجية وتعتمد على القوة العسكرية ولكن هذه السياسة لم تنجح كثيرا .

وكان الوضع السياسى فى الداخل سواء فى فترات القوة أم الضعف له تأثيرا كبيرا على تطور العلاقات الخارجية . ولهذا تأثر تاريخ مصر القديم وحضارتها بتلك الشعوب وحضارتها ، كما أثرت مصر بتقلها الحضارى فى هذه الشعوب . ولهذا كان لزاما على المصريين الذين يعملون فى البلاط الملكى ان يعرفوا لغة الدبلوماسية الدولية ولغات المراسلات الأجنبية . ونشأت علاقات متعددة الأغراض ومتعددة المظاهر بالشعوب التى تقع إلى شرق مصر وغربها وشمالها وجنوبها ، وذلك منذ أقدم العصور .

سوريا العليا وفلسطين (شمال وجنوب بلاد الشام) :

يقال أن هناك دلائل على وجود علاقات بين مصر وجيرانها فى الشمال الشرقى منذ بداية التاريخ المصرى القديم . فى العصر الذى عاشت فيه المعبودات على الأرض كان تابوت اوزير ، الذى ألقاه ست فى النيل ، قد عبر الفرع الثانيسى ودفعته مياه البحر إلى جبيل حيث ابتلعه إحدى الأشجار . واتجهت أيزيس بدورها إلى هذا المكان العجيب . وتأثرت ملكة جبيل تأثرا بالغا بما أبدته أيزيس بدورها إلى هذا المكان العجيب . وتأثرت ملكة جبيل تأثرا بالغا بما أبدته أيزيس من طبيعة خالصة . ولهذا أعطتها الشجرة المقدسة التى كانت تضم جثة زوجها . وهكذا بدأت

العلاقات الطيبة (١).

وكان المصريون يبحرون إلى هذه الميناء الصغيرة التي تسمى كبن ، وهو الاسم المصرى لجبيل . وكانوا يذهبون إلى هناك فى مراكب تسخر البحار يحملون هدايا الملك المصرى من أوان من المرمر وحليا وتمائم . وكان المصريون يعودون إلى بلادهم محملين بالبخور والأواح من أخشاب الأرز (الصنوبر) (٢) . وكان الطريق البرى إلى هذه البلاد أكثر خطورة ، لأن القوافل والحملات كانت عرضة لهجوم البدو الذين يرتادون المناطق الصحراوية وكانت العلاقات مع سوريا العليا وفلسطين تخضع لاتجاهات السياسة الخارجية لمصر وما كان يقوم به بدو الصحراء الذين يترصدون دائما لمصر ويغذرون بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ولكن كان هناك مكان واحد فى سوريا يحتفى بالمصريين فيه : وهو جبيل . وترجع العلاقة مع هذا الميناء إلى بداية الأسرات المصرية .

وقد عثر على آثار من الأسرة الثانية والرابعة فى بيلوس ، وهى تحمل أسماء ملكية منها ما يخص الملك خع سخموى والملك خوفو والملكة مريت ايت اس ، وخفرع وبقايا آنية باسم منكاورع (٣) ، وفى الأسرة الرابعة ، نعلم أيضا أن الملك سنفرى قد أرسل إلى بيلوس أربعين سفينة ، لإحضار الأخشاب اللازمة من

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٢٤١ .

(٢) يطلق عليه فى النصوص المصرية اسم " CS " — عش " وكانت تصنع فيه المراكب المقدسة وصواري الأعلام التى كانت توضع فى واجهة المعابد ، وتوابيت الكهنة والصمغ اللازم لتعطير تلك التوابيت ، وأنواعا أخرى من الأثاث ، راجع : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

Montet, La Vie quotidienne en Egypte au temps de (٣) Ramsès, Paris (1946) , p. 68 (45) .

غابات الأرز . وعثر أيضا على أواني بأسماء بعض ملوك الأسرة الخامسة ، منها
آنية من المرمر بأسم الملك ساحورع وجد كارع اسمي ، وونيس .^(١)

وعثر في أساسات معبد سيده بيلوس ، على عدد كبير من الجعارين التي
ترجع إلى الدولة القديمة وربما إلى عصر الملك بيبى الثاني^(٢) . وعثر على معبد
مصرى في بيلوس من عصر الدولة القديمة .^(٣)

ولدينا من الأسرة الثانية عشرة ، قصة سنوهى ، ذلك المصرى الذى لجأ
إلى بيلوس وتزوج هناك وعاش لفترة من الزمان ، مما يدل على أنه كانت هناك
رسل مصريين يذهبون باستمرار إلى سوريا العليا وفلسطين ، كما يدل على وجود
بعض المصريين الذين استقروا بصفة دائمة بالقرب من أمراء تلك البلاد . وعندما
رحب أمير رتنو بسنوهى أغراه بأنه سيجد لديه كل راحة وسيستمع إلى لغة مصر أن
كثيرين من المصريين يقيمون معه .^(٤)

وكان المبعوثون المصريون فى الدولة الوسطى يترددون على بيروت وقطنه
(موقعها الحالى قريب من حمص - مشريفة) واوجاريت (رأس شمرا شمال
اللاذقية) ويتركون آثار تدل على مرورهم بهذه الأماكن ، كما جاء بعض الآسيويين
إلى مصر لأغراض مختلفة . وهناك المنظر الشهير الذى يمثل وصول ٣٧ آسيوى
فى مقبرة خنوم حتب الثالث ، فى بنى حسن ، الذى عاصر الملك سنوسرت الثانى ،

(١) Montet, Byblos et L'Egypte , p. 74 ; Id., Quelques objets
provenant de Byblos (Revue Syria) (1929) , p. 69 (46) ;
Gardiner , Egypt of the Pharaohs, p. 89 .

(٢) Montet, Un Roi Egyptien, roi de Byblos sous la XII^e
dynastie (Revue Syria 1927) , p. 86 .

(٣) Montet, Byblos et L'Égypte , p. 36 , 62 . 70 – 7 (45 – 50) .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى - المجلد
الأول ، ص ٣٨٦ .

مما يعطينا فكرة عن أشكال وزى الأسويين في هذا العصر .

وقد عثر من الدولة الوسطى ، على نصوص عديدة أيضا كتبت بالهيروغليفية ، وكانت مسجلة على بعض الآثار ، التي هي عبارة عن مجموعة من الهدايا التي أرسلت من مصر لتكريم سيدة بيلوس ، وتكريما لأمرأ تلك المدينة كهدايا . وفي مجموعة أخرى من الآثار نرى أن أمرأ بيلوس قد قلدوا ملوك مصر في الألقاب واستخدموا الكتابة الهيروغليفية في كتاباتهم وألقابهم . كما اقتبس الفينيقيون في أبجديتهم الكثير من الأبجدية المصرية القديمة ^(١) . وقد تساءل بعض العلماء عما إذا كانت فينيقيا قد أديرت في عصر الدولة الوسطى بواسطة حاكم مصري ^(٢) . ولكن نعرف أن العلاقات زادت في هذه الفترة وكانت نشطة وقائمة على الصداقة . وتوالت أهداءات ملوك مصر إلى أمرأ سوريا الموالين لهم ^(٣) ، ومنها أوان ، وآثار صغيرة لأميرات مصريات ، ومن أطرفها تمثال صغير على هيئة أبو الهول للأميرة " إنا " ابنة امنمحات الثاني وعثر عليه في قطنه شمالي حمص ، وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصرية في هيئة أبو الهول في هذه الفترة ، ثم تمثال صغير آخر للأميرة " خنمت نفرت حدج " أخت سنوسرت الثاني ^(٤) وعثر على تماثيل صغيرة لمعبودات مصرية في شمال الشام ، كما ظهر في أسماء بعض النساء المصريات اسم معبودة جبيل عنات التي اعتبرها المصريون صورة من صور المعبودة حتحور . وذلك مما يدل على التسامح الديني وتبادل العقائد .

كانت اوجاريت وجهة لزيارة المصريين في عصر الأسرة الثانية عشرة ،

(١) Montet, Quelques objets, p. 12 – 13 .

(٢) د. احمد فخري : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ ،

Vercoutter , op. cit ., p. 70 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

١٩٧٩ ، ص ١٧٨ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٨٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٨٦ .

وحدثت في القرون الأولى من ألف الثانية ق.م موجة كبيرة من الهجرات التي قلبت الأوضاع في الشرق ، وهي التي قادت الهكسوس إلى مصر ، وانقطعت الرحلات البحرية بين مصر والشاطئ السوري أثناء فترة احتلال الهكسوس لمصر ، وفي عصر الدولة الحديثة اتبعت مصر سياسة الغزو والفتح بعد طرد الهكسوس ونظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى موارد البلاد الآسيوية ، وأرادوا أن يؤلفوا وحدة قوية تربط مصر بجيرانها في الشرق . وقد اضطر أغلب ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى استخدام القوة لإقامة هذه الوحدة السياسية والمحافظة عليها . وساعدهم على ذلك ضعف حكام وأمراء البلاد الآسيوية في ذلك الحين . وقد اضطر الملوك الكبار في الأسرة إلى الخروج أكثر من مرة في حملة حربية لتحقيق الاستقرار والهدوء في هذه البلاد البعيدة ولضمان ولائهم لمصر وحكامها ولإبعادهم عن جو المؤامرات والدسائس وتكوين مناطق خاضعة للنفوذ المصري . فقام أحسن بحملة ضد قدمي وميتاني ، وكذلك تحوتمس الأول وتحوتمس الثاني وتحوتمس الثالث الذي قام بمعركته الشهيرة في مجدو وقيامه بأكثر من خمسة عشرة حملة أخرى . ولم ينس تحوتمس الثالث الوقوف في جبيل أثناء حملاته المضطربة وحصل من حليفته جبيل على كمية من الأخشاب . وقام أمنحتب الثاني وتحوتمس الرابع وأمنحتب الثالث بحملات في آسيا . وفي الواقع ان المصريين قد انتهجوا سياسة حكمة في البلاد الآسيوية ، فهم لم يمسوا عقائدها أو قوانينها ، ولم يتدخلوا في شئونها الداخلية إلا بمقدار ، كما تركوا حكامها الأصليين يباشرون سلطاتهم وقد حفظ معظم هؤلاء الحكام الود لمصر .

وكان لتحوتمس الثالث سياسة بعيدة النظر ، وهي أن يصطحب معه عند عودته من حروبه بعض أبناء الأمراء الصغار الذين تخيرهم حكاما على الولايات الخاضعة له وتدين للولاء لمصر . وعمل على تربيتهم في بيئة مصرية وسط الحضارة المصرية إلى أن يبلغوا السن التي يمكن لهم فيها أن يخلقوا آباءهم وحينئذ يضمن ولائهم له .

وفي الواقع بدأ النفوذ المصري في آسيا في التراجع في نهاية الأسرة الثامنة

عشرة نتيجة لعاملين :

- عامل داخلي : وهو الثورة الدينية التي أشعلها أخناتون ، عندما انهمك في عبادته الجديدة وانصرف عن أمور الحكم والسياسة .

- عامل خارجي : وهو السياسة التي اتبعتها الحيثيون والمؤامرات التي قاموا بها ضد النفوذ المصري في آسيا .

وتعد مقابر طيبة في الدولة الحديثة سجلا جامعا لشعوب بلاد الشرق القديم ، إذا سجلوا الفنانون المصريون ما رأوه من وفود كانت تأتي إلى طيبة بسبب العلاقات التجارية والدبلوماسية لتقديم الهدايا والجزية لملك مصر ، فنجد ان الفنانين رسموا وفود هذه البلاد بملابسهم وحليهم ، وما كانوا يحملونه من مصنوعات بلادهم ومنتجاتها ^(١) . وكانت مصر تستورد من سوريا الكثير من المنتجات ، ونجد في مقابر النبلاء في البر الغربي في طيبة تمثيل البضائع المستوردة من سوريا منها أواني للزينة من الفضة والذهب وأخشاب الصنوبر والحجار الكريمة والخيول وبعض الحيوانات الأخرى مثل الدب والفيل . وكان ملوك الدولة الحديثة يصرون على أن يمر رسلهم بجميع أرجاء سوريا دون أن تعترضهم أية مضايقات ، وكان هؤلاء الرسل يستقبلون استقبالا طيبا في جيبيل ويذكر لنا نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة او العشرين ، انه لم يكن شئ إلا واستوردته مصر من سوريا . وفي مقبرة قن آمون من الأسرة الثامنة عشرة نرى منظرا يمثل مراكب تجارية سورية تفرغ بضائعها في ميناء مصري على الشاطئ الشمالي ^(٢) .

كان من نتيجة اتصال مصر بشعوب سوريا العليا وفلسطين أن بدأت الهجرات إلى مصر ، أولا في صورة استيراد العبيد ومنهم من جاء إلى مصر كأسرى حرب ، ومنهم من حضر لغرض التجارة ، وكان منهم من يصل إلى المراكز الهامة في الدولة ، ومنهم من حاول أن يتمصر وقد نجح بالفعل في التخلص من

(١) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt , p . 91 .

أصله الأجنبي . ونجد أيضا أبان حكم الملك أمنحتب الثالث والرابع ، أشخاصا يحملون أسماء سامية .

وضح هذا التأثير كذلك فى مجئ بعض العمال والموظفين الأجانب الذين تولوا مناصب عالية وأخذ يعتمد عليهم الملك . ولعل خير مثال لهؤلاء كان المدعو " دودو " ذو المكانة المعروفة فى بلاط اخناتون والذي كان يعمل لصالح أبناء جنسه ^(١) . ومن العمال الأجانب من كان يأتى إلى مصر مبالما بحثا عن موارد الرزق والعيش فى بروعها فى سلام أو يأتى للتجارة والتبادل التجارى . وكانوا يجيئون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية . ومنهم من كان يأتى كأسرى حرب ويعملون فى المعابد والمشروعات المختلفة فى الزراعة والبناء والنسيج . وكان هناك بعض البدو من شرق الدلتا يعملون فى مشروعات الملك فى تانيس . ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بهم . فحول معبد الكرنك من عهد تحوتمس الثالث ، استقرت جالية سورية وتجار سوريون . وحول المعبد الجنائزى الخاص بأمنحتب الثالث فى البر الغربى فى طيبة كان يوجد حى سوري ، تحت إدارة أحد الأمراء الذين احضروا من سوريا . وفى محاجر طره كان يعمل بعض الهكسوس . كما أن بعض الفينيقيين كانوا يعملون فى بناء معبد المعبود بتاح ^(١) . ولكن معظم هذه الجماعات عاشت فى سلام ولم تؤثر فى تغير الأوضاع السياسية فى البلاد ولكن يمكن القول بان وجودهم أضاف دما جديدا إلى نشاط مجهود العامل المصرى لتحقيق المشروعات المعمارية لبعض الملوك ، وعلى الرغم من صمت الآثار بالنسبة لما تعرض له بنو إسرائيل على يد المسئول - فرعون ودور سيدنا موسى فى تبليغ رسالة ربه إلى فرعون ، فإنه يمكن القول بان هذا الحدث قد أثر فى عقيدة بعض المصريين .

كان إخناتون يفضل هؤلاء الجانب ن وكأنه من بين حرسه الخاص عدد من الأجانب السوريين والليبيين والزنوج يفوق عدد المصريين . وعثر على لوحة لأحد

الجنود المرتزقة الآسيويين من الدولة الحديثة يقوم بشرب النبيذ من خلال بوصة طويلة وأمامه زوجته المصرية ، وتوجد هذه اللوحة في متحف برلين .^(١)

وعاود سيتي الأول سياسة الدفاع عن الحدود الشرقية وتأمينها فقام بحملة ضد قبائل الشاسو في جنوب فلسطين ، كما قام رمسيس الثاني بحملته الشهيرة في قانص ضد الحيثيين والأمراء المواليين لهم من سوريا العليا . وقد حفر رمسيس الثاني لوحات تذكارية على شاطئ نهر الكلب بين بيروت وجبيل وفي وادي عسر^(٢) ، ووضع لوحات تذكارية في معبد جبيل وكان ملك جبيل في وقته يدعى احيرام وكان مثل كل رعيته يتكلم اللغة المصرية ويكتبها . وقام الملك مرنبتاح بحملة على بعض المدن الفلسطينية كما قام بمعاقبة قبائل " اليسيريرو " في جنوب فلسطين ، التي تعنى الشعوب التي تسكن جنوب بلاد الشام .^(٣)

وفي نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، في الأيام المضطربة العصبية تمكن احد الأشخاص من أصل سوري اسمه ارسو من الوصول إلى العرش وتنصيب نفسه ملكا على عرش مصر . وقام رمسيس الثالث في الأسرة العشرين بحملة إلى آسيا بعد العام الثامن من حكمه وفي أواخر الأسرة العشرين وبداية الأسرة الحادية والعشرين ذهب المبعوث المصري ون آمون إلى جبيل لإحضار أخشاب الأرز اللازمة لترميم المركب المقدس المسمى " آمون ومراحت " التي كانت تمخر عباب النيل أثناء فصل الفيضان ، بين الكرنك والأقصر^(٤) . ورحل ون آمون من تانيس في مركب

(١) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 34 .

(٢) Montet, Byblos et L'Égypte, p. 48 ;

بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقص) ، ص ٢٤٣ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثاني ، طبعة ٢٠٠١ ، ص

٢٥٥ - ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .

أعدت له تحت قيادة شخص يدعى منجابوتى . وبعد أسبوعين وصل إلى جبيل وتعرض لحادث سرقة ومكث فترة هناك وقابل بعض الصعوبات حتى وافق أمير جبيل على اعطائه الأخشاب اللازمة .^(١)

وجاء فى سفر الملوك الجزء الأول ، الأصحاح التاسع : ١٦ ، ان الملك المصرى سا امون من الأسرة الحادية والعشرين منح ابنته كزوجة لسليمان ، وتعاهد الملك سليمان مع ملك مصر عن طريق المصاهرة . واصطحب ابنة الملك المصرية إلى فلسطين . ويقال أن هذا الأميرة قد أعطيت مدينة جزر كصداق . ولكن من الصعب معرفة أن كان هذا وقع أثناء حكم سا امون أو أبان حكم خليفته بسوسينس الثانى .

ومن أحداث حكم الملك ششنق الأول فى عصر الأسرة الثانية والعشرين هو غزو فلسطين والاستيلاء على المدن المحصنة التى كانت ملكا ليهوذا ووصل حتى اورشليم واستولى على خزائن بين الأبدية وخزائن بيت الملك (؟) وذلك طبقا لما جاء فى سفر الملوك الأول : الفصل الرابع عشر^(٢) . وعثر فى جبيل على تمثال للملك ششنق الأول اوسركون الأول .^(٣)

أرسل الملك شاباكا فى الأسرة الخامسة والعشرين ابن أخيه طهرقا على رأس حملة إلى فلسطين لى يحد من تقدم الآشوريين ، ولكن طهرقا لم يحقق الهدف المطلوب .

آسيا الصغرى:

فى الألف الثانية ق.م . عمل الحيثيون على توطيد قوتهم . وفى رسائل تل العمارنة ، نجد رسالة من ملك الحيثيين الذى يعرض على اخناتون نوعا من

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٥٣ .

Montet, Egypte et Syrie, p. 34 .

(٣)

التحالف . وعندما بدأ ملوك الحيثيين فى التوسع فى سوريا على حساب النفوذ المصرى ، نجحوا فى الاستيلاء على النصف الشمالى من فلسطين . ونعترف من أرشيف (رسائل) تل العمارنة ، كيف أن ملوك سوريا العليا الصغار وحكام الأقاليم ، بدأوا يشعرون بخطر الحيثيين ، وطلبوا العون من مصر ، ولكنهم لم يتلقوا العون المطلوب . وقد حاول المصريون إنقاذ الموقف ، وحدثت معركة قادش ، وكانت نتيجتها غير معروفة ، وبعد ذلك رأى الطرفان أنه من الأفضل الوقوف عند هذا الحد وعقد معاهدة سلام بينهما فى العام الحادى والعشرين من حكم الملك رمسيس الثانى . وأتخذ الملك رمسيس الثانى كزوجة له ابنة ملك الحيثيين خاتوسيل الثالث . وبالفعل نجد أن ملك الحيثيين جاء بنفسه فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معه ابنته لتصبح زوجة للملك المصرى كما هو مصور فى أعلى اللوحة التى كانت مقامة أمام معبد أبو سمبل . وكانت من أولى نتائج السلام أن أرسلت مصر إلى حيثما مركبا محملة بالقمح على أثر المجاعة أو أزمة اقتصادية ، تعرضت لها حيثما فى عهد الملك مرتباتاح^(١).

دولة ميتانى:

كانت تربط ملوك دولة ميتانى بملوك مصر علاقات مصاهرة وذلك منذ عصر الملك تحوتمس الرابع الذى تزوج من أميرة ميتانية^(٢) التى كانت تحمل الاسم المصرى موت ام ويا^(٣) . وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة جيلوهيا الميتانية ، والملك أمنحتب الرابع من تادوهيا ولدينا خطاب طويل من ملك ميتانى - توشراتا ، قد أرسله بعد وفاة الملك أمنحتب الثالث ، يطلب فيه أن تستمر الصداقة بين البلدين ونلمس فى الخطابات التى أرسلها توشراتا إلى أمنحتب الرابع نفسه ، مدى حرصه

(١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 266 .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٣٦ حاشية (٢) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ وأيضا : Montet, Melanges Syrien (1939), p. 195 .

على كسب ود وصداقة مصر . وكانت هؤلاء الأميرات يأتين للبلاط المصرى
ومعهن جواريهن وحاشيتهن .

وفى عهد رمسيس الثانى قام المصريون برحلة تحدث عنها الرواة
الكلاسيكيون فالمصريون قد استعملوا منذ أقدم العصور حجر اللازورد الأزرق الذى
لا يوجد فى صحراء أفريقيا . وكان مصدره الوحيد المعروف فى العالم القديم هى
بلاد باكتريان التى يربطها الطريق البرى بسوريا ومصر . ولم يذهب المصريون
رأسا إلى البلاد التى تنتج اللازورد بحثا عنه ، بل اكتفوا بشرائه من بلد كانت تسمى
تغريز وهى سيار التى تقع على قناة تربط نهر دجلة بالفرات عندما يقتربان جدا فى
تلك المنطقة .

وحدث فى إحدى السنوات عندما كان رمسيس الثانى فى بلاد نهارينا وكان
مشغولا بتلقى فروض الطاعة من الأمراء الأجانب ، حضر إليه ملك باختان وملك
باكتريان وعرضا عليه صداقتهما ، وقدم له الأخير ابنته وهدايا قيمة والتمس منه أن
يتحالف معه . فقبل رمسيس العرض وعاد معه الأميرة إلى طيبة وبعد زمن قليل
جاء رسول من قبل ملك باختان ليخبر رمسيس أن أخت الأميرة مريضة . فبعث
الملك إلى بلاد باختان بأشهر أطبائه . ولكن الأميرة لم تشف من مرضها . ذهب
مبعوث آخر ، ونظرا لأن الطبيب لم ينجح فلم يكن ثمة بد من إرسال تمثال شافى إلى
بلاد باختان ، ووقع الاختيار على تمثال خونسو . وقد بقى تمثال المعبود ثلاث
سنوات وتسعة أشهر فى حوزة ملك باختان . وبعد ذلك سمح الملك وهو شديد الأسف
بأن يعود إلى مصر وهو محمل بالهدايا . وسجلت هذه القصة على لوحة فى متحف
اللوفر .^(١)

دولة بابل وآشور :

عثر تحت أرضية معبد مصرى فى بلدة الطود جنوبى الأقصر على أربعة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

صناديق صغيرة تضمنت تماث من اللازورد وأختاما أسطوانية عراقية ذات أسلوب يرجع إلى عصر أسرة أور الثالثة السومرية ، وتمثيل ذات طراز بابلي (١) . وكان ملوك بابل وآشور يتبادلون أيضا المراسلات المطولة مع ملوك مصر في الدولة الحديثة . ولكن يبدو أن الأمر كان قاصرا في كل هذه المراسلات على لغة وأدب المجاملة الدبلوماسية فقط . ونلاحظ من جهة أخرى أن أجناس هذه الإمبراطوريات البعيدة ظلت غريبة على الشعب المصري ، ولم يحدث أن ظهرت على الآثار المصرية أشكال أو تماثيل للبابليين والآشوريين أو سكان بلاد ميسانى ، فيما عدا الصور أو التماثيل التي تخص الأمراء والأميرات . ونعلم أن تحوتمس الأول ، قد أقام لوحات الحدود على نهر الفرات ، وهذا جزء من العلاقات ذات الطابع العسكرى ، وحارب تحوتمس الثالث الميتانيين وانتصر عليهم .

ومن بين رسائل تل العمارنة ، رسالة من ملك بابل الذي كتب إلى أمنحتب الثالث أن ابنته التي طلبها الملك للزواج ، قد بلغت سن الرشد ، وأنه سوف يرسلها له ، ويعلن أن كمية الذهب التي أرسلت إليه كانت ضئيلة .

وفي أثناء حكم الأسرة الخامسة والعشرين في مصر ، غزت آشور مصر للمرة الأولى في حوالى عام ٦٧١ ق.م . وأعادوا غزوها مرة ثانية عام ٦٦٦ ق.م . وفي المرة الثالثة عام ٦٦٤ ق.م . ولكن بسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، نجح في طردهم بمساعدة المرتزقة اليونانيين .

بلاد فارس :

لم تتحدث الوثائق المصرية في عصر الدولة الحديثة عن الفرس ، على الرغم من تحوتمس الأول والثالث وصلا حتى حدود العراق . وفي الواقع لم تكن

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص

١٨٧ حاشية (٢) .

هناك علاقة مباشرة بين مصر وبلاد فارس . وقد حاول قمبيز عام ٥٢٥ ق.م . غزو مصر ونجح فى ذلك ، وأصبحت مصر للمرة الأولى تحت السيطرة الفارسية ، وتعرضت معابدها للنهب والسلب . وتعرضت مصر للغزو الفارسى مرة أخرى عام ٣٤١ ق.م . وقد عثر فى عام ١٩٧٢ على تمثال مغطى بكتابة هيروغليفية ، فى منطقة سوس ، وتحدثنا النقوش عن حكم الملك دارا لمصر وبلاد الشرق القديم التى غزاها .^(١)

الغرب :

كانت هناك شعوب التخنو ، وكانوا شديدة الصلة بمصر ، والتمحو الذين كانوا من جنس يختلف عن التخنو ، وكانوا بيض البشرة ذوى عيون زرقاء أو رمادية اللون ، ومن المحتمل أن البعض منهم كان يهاجم حدود مصر الغربية . وكان هناك الليبيون . فمنذ أقدم العصور أى منذ الأسرة الأولى عثر فى مقبرة فى سقارة على لوحة من المرمر للملك جرسور عليها منظر للملك وهو يقوم بتأديب أحد الأسرى الليبيين . ومن الأسرة الثانية ، عثر على اسم الملك نب رع على صخرة فى واحات الصحراء الغربية . وفى عصر الدولة القديمة ، أرسل الملك سنفرى حملة تأديبية إلى ليبيا ، ونرى فى معبد ساحورع تمثيل لأسرى ليبيين . وفى نقوش معبد نى اوسر رع أنى نرى خضوع الأعداء من الليبيين .

وفى الدولة الوسطى أرسل الملك سنوسرت الأول حملة على الحدود الغربية . وفى عصر الدولة الحديثة ، قام سيتى الأول بحملة صد التخنو . وأقام رمسيس الثانى سلسلة من التحصينات على الحدود الغربية لمنع تسربات قبائل البدو وهجرات شعوب الهندوأوربية التى استقرت فى ليبيا . وقام مرنبتاح بمعركة كبيرة على الحدود الغربية ضد الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر . كما ظهرت بعض

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٣٧
حاشية (٥) .

عناصر من شعوب البحر فى عهد سبتى الأول . وكان كل حرس رمسيس الثانى من شعوب الشرادنة ^(١) . وبعد أن فشلت بعض العناصر الليبية وشعوب البحر فى دخول مصر عن طريق القوة فى عهد مرنبتاح بعد مهاجمة حدود مصر الغربية أخذت هذه العناصر تتسرب إلى مصر سلميا وتستقر فيها .

وقام رمسيس الثالث بحملة ضد الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر على حدود الدلتا الغربية فى الخامس من حكمه . وهو أول صدام بين مصر وشعوب البحر المتوسط . وأجاد الفنان المصرى فى رسم تفاصيل زيهم وأسلحتهم ومراكبهم ^(٢) . وقد أتاحت انتصارات رمسيس الثالث فى حروبه ضد الليبيين وشعوب البحر الفرصة لبعض من هذه العناصر الاستقرار فى مصر . وتذكر بردية من أواخر عهد رمسيس الثالث أن الشرادنة والكهك من ليبيا استقروا فى مدن خصصت لهم ، وأقام بعضهم فى حصون ، وأقام بعضهم الآخر وسط المزارع التى سمح لهم بزراعتها . وأخذ بعضهم الآخر ينخرط فى خدمة الجيش ويخضع لأوامر الملك طبقا للنظام المعمول به فى الجيش المصرى . وأخذت قوتهم تزداد شيئا فشيئا ، ويتولى بعضهم المناصب الإدارية العليا فى الجهاز الحكومى حتى استطاعوا أن يكونوا عائلات قوية ذات نفوذ قوى .

ويرجع أصل الأسرة الثانية والعشرين إلى أصل ليبي وكان ملوكها أصلا من المرتزقة الليبيين الذين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين . وفى خلال القرون حاولوا أن يتمصروا وتزوجوا من مصريات واعتنقوا بعض من مظاهر الحضارة المصرية ، واللغة الديانة المصرية ، ولم يعد لهم التاريخ أجنبى بقدر ما عدوهم مقتصبين للعرش ، كما أنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا فى الحضارة المصرية بقدر ما تأثروا بها ، وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين أرسل ابريس حملة بقيادة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٥ .

أمازيں لتهنئة الأوضاع المضطربة فى إيبيا .

الشمال :

نقصد بذلك جزر بحر إيجة وكريت وقبرص واليونان . العلاقات مع جزر بحر إيجة كانت معروفة منذ الدولة القديمة ، فقد عثر على اسم الملك وسر كاف على أنية بالقرب من جزيرة سريجو بالقرب من اليونان مما يدل على وجود علاقات تجارية مع الشاطئ الشمالى للبحر المتوسط . أما عن العلاقة مع جزر كريت التى اعتقد بعض العلماء أنها كانت علاقات مؤكدة فيبدو أنها كانت قائمة منذ الدولة الوسطى ، وربما كانت هذه العلاقة قائمة فى الواقع ولكن عن طريق فينيقيا وليس عن طريق السواحل المصرية مباشرة ، فقد عثر على آثار فى طود تحمل الطابع الفينيقي والكريتي منها حلى ذات طراز إيجي . وعثر أيضا فى هواره على اختام وأوان ذات زخارف تشبه زخارف حضارة كريت وعثر أيضا على مصنوعات متنوعة وتمائيل بنقوش مصرية فى عواصم كريت ^(١) . ويرى بعض العلماء أن مصر كانت على صلة وثيقة بجزر كريت فى عصر الدولة الوسطى ، ونقل أهل كريت عن الحضارة المصرية الكثير من المعارف ، كما أن المصريين كانوا يعجبون أيضا بمصنوعات أهل كريت بخاصة فى الحلى والزخارف الفنية ، وأن الحضارة المصرية قد أثرت فى حضارة جزر كريت منذ أواخر الألف الثالثة ، وأثرت فى حضارة جزر بحر إيجة وقبرص منذ منتصف الألف الثانية ^(٢) .

وهناك منظر فى مقبرة سنموت يمثل مجئ السفراء من كريت يقدموا الهدايا

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،

١٩٨٢ ، ص ١٧٨ حاشية (٤) ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة

المصرية ، ص ٦٠٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق : ص ٦١٩ .

للملك المصرى . ومن بداية الأسرة الثانية والعشرين وصلت إلينا قصة مغامرات ون آمون ، الذى دفعت الرياح بمركبته فى آخر القصة إلى بلاد آسيا (قبرص) فخرج عليه أهل الجزيرة وقبضوا عليه ومثل أمام ملكة الجزيرة ووجد هناك من يتكلم اللغة المصرية القديمة وقد أنقذته من يد رجالها الذين أرادوا أن يقتكوا به ، وللأسف نتقصنا نهاية القصة لأن البردية غير كاملة . وجاء اليونانيون فى عصر الأسرة السادسة والعشرين كغيرهم من بقية الأجناس الى جاءت إلى مصر للعمل فى جيشها ، أو الاستقرار فى غرب الدلتا والعمل بالتجارة . وقد بلغ عدد هؤلاء المرتزقة فى الجيوش المصرية ذات مرة ٣١٠٠ جندى .^(١)

الجنوب :

اتبعت مصر سياسة تأمين الحدود الجنوبية ضد هجمات بعض القبائل الزنجية منذ الأسرة الأولى واصطدمت بأعدائها من العناصر الزنجية فى الجنوب والذين حاربهم الملك عحا وبسط حدوده حتى الجندل الأول . أما جر فقد عثر له على نقش محفور فى قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الجندل الثانى (١٥ كم جنوبى وادى حلفا) يقض علينا حملته إلى بلاد النوبة التى وصل فيها إلى الجندل الثانى . ونعلم من مصادر أخرى أن جسر من الأسرة الثالثة قد استمر فى تحقيق أهداف الأسرة . فأرسل الحملات الحربية إلى بلاد النوبة . وتابع بذلك سياسة كان يجب أن تستمر خلال فترة قيام الدولة القديمة . لأن المصريين فى هذا العصر كانوا يبدون أكثر انشغالا بجيرانهم فى الجنوب أكثر من هؤلاء فى الشمال الشرقى . وهناك نص ولو أنه يرجع إلى العصر المتأخر ، يجعل حدوث أول تسرب مصرى فى بلاد النوبة السفلى فيما وراء الجندل الأول ، قد حدث فى عهد جسر . وأرسل سنفرو حملة تأديبية إلى بلاد النوبة السفلى . وكذلك الملك ساحورع من الأسرة الخامسة وببى الأول من الأسرة السادسة وأرسل المصريون البعثات التجارية إلى بلاد بونت . وكانت هذه البلاد هى هدف السفر فى البحر الأحمر ، وتقع طبقا لأحداث الآراء فى

(١) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

المنطقة التي تزرع البخور على مقربة من باب المنذب أى تشمل جنوب الجزيرة العربية وساحل الصومال وارتيريا^(١) . وكان المصريون يترددون على هذه البلاد من أجل أشجار البخور وبعض الأحجار ونصف الكريمة^(٢).

واقدم ما ورد فى الآثار عن بلاد بونت هى تلك البعثة التى أمر بإرسالها الملك جد كارع - اسيسى من الأسرة الخامسة ، وكان يقود هذه الحملة قائد يسمى باور جدت . وكان من بين ما أحضرته من أدوات ثمينة ، حوالى ثلاثة آلاف عصا من البنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود . وزادت الصلات فى الأسرة السادسة ، وفى إحدى مقابر أسوان يذكر أحد الموظفين أنه ذهب مع سيدة إحدى عشرة مرة إلى بلاد بونت . وزاد اهتمام ملوك الأسرة الخامسة والسادسة بشئون الجنوب بوجه عام ، فأوكلوا إلى أمراء وحكام جزيرة الفنتين مهمة القيام برحلات وبعثات إلى الجنوب ليعودوا بخيرات تلك البلاد . وكان المصريون يعرفون الطرق والدروب فى هذه المناطق البعيدة . وكانوا يحضرون البخور والأبنوس والعطور وجلود الفهد وأنياب الفيلة وبذر السمسم وغير ذلك^(٣).

فقام حرخوف بحملاته الثلاث الأولى فى عهد الملك مري ان رع أما رحلته الرابعة فقد كانت فى عهد الملك بيبى الثانى ، والتى أحضر فيها قرما من الجنوب . لم يستمر نشاط حرخوف فى قيامه بتلك الحملات أكثر من سبعة أعوام قام خلالها بالحملات الأربع ثم تلاه فى هذا العمل حاكم آخر أمتاز بشدة البأس وكان اسمه " بيبى نخت " . ونعلم من قصة حياته أن هذه الحملات كانت تتم بطريق البر تارة

(١) د. احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٢ - ١٤٥ .

(٢) راجع الدراسة التى قمنا بها عن بلاد بونت فى النصوص المصرية القديمة فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة المنيا العدد يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ - ١٠٣ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٥٣ .

وبطريق البحر تارة أخرى ^(١) . ولم تمنع أعمال بيبي نخت في بلاد النوبة السفلى من استمرار حملات الاستكشاف والتجارة من آن لآخر ، ونعرف من مقابر أسوان أيضا قصة اثنين من أولئك الرحالة وهما ميخو وابنه سابني تركا لنا نقوشا في مقبرتهما بأسوان ^(٢) .

وفي عصر الأسرة الحادية عشرة زاد اهتمام الملوك بالتجارة مع بونت ، وأرسل الملك منتوحتب الثالث مديرا خزانته واسمه حننو إلى بلاد بونت . وعاد منها متخذًا الطريق البرى أحيانا ، وكان معه ثلاثة آلاف رجل . وقد وصلوا إلى بونت وزاروا شاطئ أرض المعبود (أى بلاد بونت) . واشترى حننو البخور وكل منتجات هذه البلاد ^(٣) . وفي العودة وصل بالطريق البحرى إلى ميناء القصير حيث اخترق وادى روهانو وتوقف لا يستريح ، ولكن لإعداد شحنة مركب من أحجار تصلح لمصانع النقش والنحت الملكية .

وفي عصر الأسرة الثانية عشرة ، يبدو أن أمنحات الأول قد توغل حتى كورسكو وربما حتى سمنة عند الجندل الثانى إلى الجنوب عند كرما . وفى عهد سنوسرت الأول أرسل حملة حربية كبيرة إلى بلاد النوبة السفلى فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، وذلك بغرض إخضاع القبائل التى تعيش فى تلك المنطقة ، وقد نجح فى بسط نفوذه حتى الجندل الثالث . وقد نفذت هذه الحملة بنجاح كبير . وعين أمير مصرى يسمى حعبى جفاى حاكما لتلك المناطق الجديدة فى كرما . وقد توفى هناك ودفن فى احتفال كبير . ولكى يؤمن سلامة البعثات ، لجأ سنوسرت إلى إقامة التحصينات عند طوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . وعند هذا الجندل أنشأ طريقا

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥ ؛

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣١ . راجع عن بلاد بونت الباب الثانى

عشر : مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية .

تجاريا يؤدى إلى كرما تحميهِ الحصون . وأرسل سنوسرت الثالث الحملات إلى الجنوب لتأديب البدو وإقامة الحصون هناك . وحرّم على جميع الزنوج اجتياز ذلك الحد وكتب فى لوحات الحدود جنوبى الجندل الثانى ، أنه برئ من أى ابن يأتى بعده ولا يحافظ على تلك الحدود ، ويحارب من أجلها . وبعد موت هذا الملك بخمس مائة عام تقريبا نرى ملكا عظيما آخر يقدر أعماله وجهوده فى المحافظة على حدود مصر الجنوبية^(١) . وامتدت حدود مصر الجنوبية حتى سمنة (على بعد ٧ كم من وادى حلفا) حيث وجد هناك منطقة محصنة تحصينا قويا ، ضد غارات الزنوج ، وأهمها تحصينات سمنة وقمة وبوهن وأقيم حصنا سمنة وقمة على ضفتى نهر النيل عند أضيق موضع فيه . وكانت تلك الحصون مشيدة من الطوب اللبن فوق قواعد متينة من الحجر ، وبداخلها تكتات الجنود ومستودعات ودور عبادة . وأصبحت تلك التحصينات القوية إلى حد ما تحمى الآن فصاعدا المدخل الجنوبى لمصر ضد القبائل الزنجية المشاغبة بصفة دائمة .

وبالاعتماد على التحصينات القوية عند الجندل الثانى نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة فى إرسال البعثات التجارية حتى قلب السودان ، وكان المركز التجارى لهذه البعثات يقع فى ذلك الوقت فى كرما فى جنوب الجندل الثالث . وانفصلت النوبة السفلى عن مصر فى عصر الهكسوس ، واستمرت العلاقات بين مصر والنوبة السفلى تأخذ شكل الحملات الحربية التى كان يقوم بها بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وذلك للقضاء على بعض القبائل الجنوبية التى كانت تقوم بعمليات تمرد ضد النفوذ المصرى هناك ، او تحاول الاعتداء على الحدود الجنوبية وانتهاكها . وكان أحمر الأول هو الذى أعاد ربط بلاد النوبة السفلى بمصر . ويبدو أنه أثناء فترة حكم هذا الملك أخذ الثوار يتوالون على بلاد كوش واضطر لمواجهة هذا الخطر بالقيام بثلاث حملات ، وهى ثورات أشعلها المتعاونون مع الهكسوس ، ويبدو أنه وصل إلى جزيرة ساءى التى تقع بين الجندلين الثانى والثالث .

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وقام أمنحتب الأول بحملة أو اثنتين إلى بلاد النوبة السفلى ، وقام تحوتمس الأول بحملة إلى الجنوب ، وأيضا تحوتمس الثانى قام بحملة إلى الجنوب . وبدأت البعثات التجارية تعود إلى ما كانت عليه . فأرسلت الملكة حاتشبسوت بعثتها التجارية الشهيرة إلى بلاد بونت بقيادة الوزير نحسى وكان يصطحب ممثل الملكة بعض الكتبة والجنود . وقام الحمالون بشحن المراكب بالمحاصيل المصرية الطبية التى يقدرها أهالى بونت مثل الملابس وأدوات الزينة والمرايا والأسلحة . وسافرت المراكب المصرية وأعلن عن وصولها إلى بلاد بونت ، فخرج حاكم بونت وزوجته والرؤساء من الأكواخ المقامة فوق أعمدة على سطح البحيرة واعتلوا ظهور الحمير ليروا المصريين . وأهل بونت ضخام الأجسام ، عراض الأكتاف ، ورؤوسهم مستديرة وثقونهم مضمفورة ^(١) . وقد لاحظ الرسامون المصريون كل هذه التفاصيل ، وسجلوها بدقة ، فهل سجلوا لمستقبليهم خلسة رسما كروكيا على قطعة من ورق البردى ، أما أنهم ثبتوا المنظر فى ذاكرتهم ورسموه بعد أنت عادوا مطمئنين إلى المراكب . وعلى كل حال ، فقد رسموا لهم لوحة رائعة وسجلوا بكل دقة الحاكم وزوجته والقرية والأهالى والأسماك والكائنات البحرية التى كانت تعيش فى عمق البحر الأحمر . وسرعان ما أقيمت خيمة تبودلت فيها تحيات الوصول . وقدم المصريون للحاكم خبزا وجعة ونبذا ولحما وفاكهة وكل الأشياء الطيبة . واعد المصريون قائمة بما سوف يشحن على مراكب المصريين منها : أجمل أشجار بونت ، وكميات وافرة من بذور أشجار البخور ، وشتلات خضراء من أشجار البخور ، وعددها واحد وثلاثون وكانت مغلفة كما لو كان قد قام بتجهيزها أمهر بستانى ، وخشب الأبنوس والعاج ، وذهب خام وثلاثة أنواع من الروائح العطرية ، وكحل أسود ونوعان من النمنائيس ، وكلاب الصيد ، وجلود فهد ، وخدم أو عمال .

واستقبل أعضاء البعثة بكل حماس وترحاب لدى وصولهم إلى رصيف إيبت سوت (الكرنك) وقام الحمالون بتفريغ الشحنة ^(٢) واستؤنفت الحملات الحربية بعد

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

هذا العهد وقام تحوتمس الثالث بحملة حربية إلى الجنوب . كما اتنا نجد أن تحوتمس الرابع أمر بتجهيز حملة تفتيشية على الجنوب وكذلك أمنحتب الثالث وحور محب الذى ذهب إلى البلاد ارم للقضاء على تمرد هناك . وقام رمسيس الثانى بحملة ضد بلاد ارم فى الجنوب وكان معه أربعة من أبنائه . ومرتبّاح ذهب إلى هناك للقضاء على تمرد قبائل كوش . وأرسل رمسيس الثالث حملة إلى الجنوب لتهدئة الأوضاع هناك كما أرسل أسطولا إلى بلاد بونت ، ولم يسافر هذا الأسطول من البحر الأحمر ولكن من بحر " موقيدى " وربما لم يكن غير الخليج العربى لأن هذا الاسم أطلقه المصريون على نهر الفرات .

وربما قام رمسيس الثالث بجلب خشب الأرز من جبيل ونقله إلى الفرات كما سبق أن فعل تحوتمس الثالث . وشيد أسطولا على شواطئ هذا النهر . وربما اتفق مع ملك بابل وأبرم معه معاهدة تقضى بأن يسمح لأفراد قواته وموظفيه بمجرد أن تصل إلى نهر الفرات أن تعبره ^(١) . ومهما يكن من أمر ، فإن الأسطول كان يتكون من مراكب كبيرة ، كثيرة العدد ومراكب للحراسة يتكون أفرادها من بحارة وحملة الأقواس ورؤسائهم وأفراد للإمدادات ، وقد شحنوا معهم كميات وفيرة من الطعام والماشية والبضائع لأجل إطعام رجال الحملة ، ولغرض التبادل فى المعاملة .

وكان على الأسطول أن يمر عبر عباب نهر الفرات ويدور حول شاطئ شبه الجزيرة العربية حتى يصل إلى بلاد بونت دون أن يتعرض لأية أحداث . وعادت البعثة بالنفائس والمنتجات التى كانت توجد فى جبال بلاد بونت ، وخاصة حبات البخور الجافة . وقد عادت البعثة عن طريق البحر الأحمر حتى خليج السويس ووصلت إلى وادى النيل عن طريق ميناء القصير ومعهم منتجاتهم ، وساروا على هيئة قافلة حاملين بضائعهم على ظهور الحمير وعلى أكتاف الحمالين ، ووصلوا فى حالة جيدة إلى منطقة قفط ومنها استخدموا القوارب النهرية حتى وصلوا إلى طيبة فى حالة معنوية جيدة ^(٢) .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

وقبيل الأسرة الخامسة والعشرين تكونت مملكة متحدة قوية في بلاد النوبة السفلى وكوش ، واعتنق ملوكها الديانة المصرية ، ونجح هؤلاء الملوك فيما بعد في تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين في مصر باسم " الأسرة الكوشية (او ملوك نباتا) " وبعد انتهاء حكم ملوك هذه الأسرة لمصر عادوا إلى بلاد كوش ، ولكن في عصر الأسرة السادسة والعشرين ، في عهد الملك بسماتيك الثاني أخذت كوش تعد العدة من جديد للهجوم على مصر ، وأحس بسماتيك الثاني بذلك الخطر فأرسل جيشه الذي كان يشمل مصريين بقيادة امازيس وكاريين ودورنيين وفينيقيين بقيادة بوتاسيمنتو ، ووصلت الحملة إلى نباتا وتبعوا العدو حتى الجندل الرابع وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين في تانيس وفي الكرنك ^(١) . وقام بعض المرتزقة بنقش أخبار هذه الحملة على ركبة أحد تماثيل رمسيس الثاني التي نحتت في واجهة معبد أبو سمبل . وقد ارسل الملك نكاو بعثة حول شواطئ القرن الأفريقي وذلك بغرض الكشف الجغرافي لطبيعة الساحل الأفريقي ومعرفة السكان والبيئة والطبيعة في هذه المناطق البعيدة . وخرج الأسطول من البحر الأحمر وعاد من مضيق جبل طارق إلى البحر المتوسط بعد ثلاث سنوات قضاها في رحلته ^(٢) .

(١) Sauneron - Yoyotte, BIFAO 50 (1950), p. 157.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ .

الباب الخامس

مظاهر

الحياة الاجتماعية

ساعدت عوامل تأثر الإنسان المصرى القديم بعناصر البيئة المصرية منذ أقدم العصور على نشأت ما يسمى بالترابط الاجتماعى بين أفراد الجماعات الذين كانت تجمعهم مصالح مشتركة وهدف واحد هو استغلال ما فى البيئة من مظاهر وفى أرض البلاد من خيرات . فاصبح كل فرد يسعد بنصيب من هذا الرخاء المادى الذى تخرجه أرض مصر الطيبة . لهذا عاشوا حياة اجتماعية سهلة بسيطة يسودها التعاون المشترك والاخلاص فى العمل .

كما أثرت العقائد الدينية بفاعلية فى تطور هذا التعاون ، وغرست فى قلوب الناس الوازع الدينى القوى الذى أضفى على حياتهم ومجتمعهم طابع التدين والتمسك بما هو مقدس ومعرفه ما هو صالح ومفيد وما هو ضار ومسيئ فى نظر المعبودات . واطمأن الناس إلى قدرة معبوداتهم ، وسرت فيهم روح الإيمان بالمعبود وبفضله عليهم .

كما أن اهتمام الدولة بعوامل الأمن والأمان والعمل على سيادة القانون المؤسس جميعه على معنى واضح للعدالة والحق ، قد طبع الحياة الاجتماعية بطابع الاستقرار ، وشعر كل أفراد المجتمع بأنهم يعاملون معاملة واحدة على قدم المساواة بصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها كل فرد .

كما أدت المبادئ والقيم وقواعد الآداب والسلوك التى نادى بها رجال الدين وأهل الفكر من أصحاب الحكم والتعاليم إلى تقوية العلاقات الاجتماعية وتماسكها والحفظ عليها فى المجتمع معظم فترات تاريخ مصر القديم وأصبح يسود الناس تقاليد وعادات وقيم ومبادئ حافظت على كيان المجتمع المصرى القديم وجعلت منه مجتمعا

متماسكا إلى درجة كبيرة وكان الغرض من التعاليم والحكم الى نادوا بسها أن يتمتع عدد كبير من أفراد المجتمع الواحد بحياة أفضل يسودها الوئام والعلاقات الحميدة .

وقد أثرت كل هذه العوامل على طبيعة الإنسان المصرى القديم وانعكست على نفسيته من الداخل (١) . فقد أدت هذه العوامل إلى اتباع الناس للسلوك القويم داخل المجتمع ، وعملت على تعميق روح التفاؤل بين الناس فاحبوا الحياة على هذه الأرض وزاد حبهم وانتمائهم لهذه الأرض . كما ساعدت هذه العوامل على انتشار روح التسامح والمحبة بين الناس ، وصبغت حياتهم بالنشاط الدائم والعطاء المستمر ولم يركنوا إلى الراحة أو الخمول .

وكان المجتمع المصرى القديم يتكون من ثلاث طبقات ، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن هناك حدود فاصلة بين هذه الطبقات . وكانت الأسرة أساس المجتمع وكانت تسود كل أسرة الروابط العائلية التى تحكمها صلات الرحم والود والاحترام والوفاء . وقد أهنت الأسرة المصرية القديمة للمجتمع المصرى القديم خير عناصره . وكان الآباء حريصين على أن يجعلوا من فلذات كبدهم لبنات قوية فى بناء المجتمع واحجار صلبة فى أساسه فأعطت الأسرة المصرية الأبناء الأوفياء والقادة والحكام الذين بنو فأحسنوا البناء ، وأعطوا لمجتمعهم ولبلائهم فكان خير عطاء وكان لهذا المجتمع بعض مشاكله المحدودة ولكنها تختلف فى نوعيتها عن مشكلات المجتمعات الحديثة ، فهى مشاكل اقتصادية فى المقام الأول ، والتى كان تتعرض لها البلاد أحيانا خلال العصور التاريخية الطويلة ، ولكنها لم تكن مشاكل تمس العقيدة أو المعتقد أو تمس السلوك العام والعلاقات بين افراد المجتمع ، ذلك المجتمع الذى لم يعرف معانى العنصرية أو التعصب الدينى ، بل عرف التسامح والمحبة بين أفراداه .

(١) راجع دراسة د. اسحق يعقوب عن :

" الآثار الاجتماعية والنفسية للتحضر " فى حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر ، العدد السابع ١٩٨٤ ، ص ٢٣٧ - ٢٩١ .

أولاً : المجتمع وطبقاته :

لدينا بعض البرديات التى تتحدث عن الطبقات المختلفة التى كان يتكون منها المجتمع المصرى القديم ، وكان المجتمع يتكون من ثلاث طبقات رئيسية ^(١) . الطبقة العليا ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا .

(أ) الطبقة العليا :

كان الملك على رأس هذه الطبقة ، وهو حلقة الاتصال الوحيدة بين المعبودات والبشر والممثل الوحيد لهذه المعبودات فى بعض الأحيان . ولهذا كان محل تكريم كبير من أفراد الشعب وطبقاً للتقاليد أنه جاء ليحكم الناس بمقتضى الحق المقدس الموروث ، وليدير أمورهم وفقاً لمشئته ورغبات المعبودات . لذلك كان يدعونه أحياناً المقدس الطيب فى حياته وبعد مماته ^(٢) . وكان يلى الملك الأمراء وأفراد الأسرة الملكية والحاشية والأغنياء من حكام الأقاليم والوزراء وكبار الكهنة وكبار ملاك الأرض وكبار الموظفين وكبار قواد الجيش والشرطة ^(٣) . وكان بعضهم

(١) يذكر لنا هيرودوت أن المصريين كانوا ينقسمون إلى سبع طبقات طبقاً لأعمال كل طبقة يضاف إليها ثلاث أخرى وهى : طبقة الكهنة ، المفسرون ، طبقة الموظفين ، طبقة الجند ، طبقة الصناع ، طبقة التجار ، طبقة الفلاحين ، طبقة رعاة البقر ، طبقة رعاة الخنازير ^٤ ، رجال القنوارب ، راجع د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١١٤ .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٧٧ .

(٣) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٤٧ .

ينوب عن الملك فى تأدية المهام الخاصة به مثل كبير الكهنة الذى ينوب عن الملك فى تأدية الشعائر الدينية أو الأمير الذى ينوب عن الملك فى قيادة الجيش .

وتحدثنا بعض النصوص فى عصر الدولة الحديثة عن تنشئة هؤلاء الأمراء وتربيتهم ، مثل الأميرة نفرو رع ابنة حاتشبسوت التى كان يشرف على تربيتها سنموت ، ولكنها توفيت وهى صغيرة السن . وامنحتب الثانى الذى أسلمه أبوه تحوتمس الثالث إلى أحد ضباطه ليشرف على تربيته ، التربية الرياضية والعسكرية اللازمة ، ونرى الأمير الصغير مصورا فى مقبرة مربيه فى البر الغربى فى طيبة وقد اخذ يتلقى دروسا فى فنون الرماية .^(١)

ومن الطبقة العليا حكام الأقاليم الذين كانوا يعيشون فى أقاليمهم ومقاطعاتهم . وكان كل واحد منهم يحيط نفسه ببلاط صغير ، وله جيش لحماية الأقليم من اعتداء سكان أى إقليم مجاور ولنشر الأمن والطمأنينة بين السكان . ويكفى أن نزرع بعض مقابر هؤلاء الحكام فى بنى حسن أو البرشا أو أسيوط أو أسوان من عصر الدولتين القديمة والوسطى لنذكر أن كل واحد منهم كان ملكا صغيرا فى إقليمه . ولما ندهش لثرائهم فقد كانت الضرائب كلها تقدم إلى خزائنتهم ، ثم يقدمون بأنفسهم بعد ذلك إلى الملك مما يكونون قد اتفقوا عليه .

وإذا صدقنا ما ذكره بعض هؤلاء الحكام فى نقوش مقابرهم أو فى اللوحات أو على التماثيل التى خلفوها وراءهم ، فإنهم كانوا مهتمين بنشر الأمن والعدالة فى أقاليمهم^(٢) . وكان منهم من يفتخر بما يمتلك من مال وغنى إلى حد المبالغة^(٣) . وكان النبلاء يعيشون حياة مترفة ، وتزخر بيوتهم بالخدم والمشرفين على المخازن والمخابز ومعاصر الجعة . وتمتاز منازلهم بمظاهر الغنى وكان ملحقا بها المطابخ

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، مكتبة الانجلو ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٨٩ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٤ .

(٣) عن هذه الطبقة ، راجع الدراسة التى قام بها :

Vernus, BSFE 59 (octobre 1970) , p. 31 – 45 .

وعن الحياة الاجتماعية ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt ، 111 , p. 152, 301 – 305 .

وغرف للخدم وحظائر وحدائق وبحيرات وتحتوى أيضا على أفخم أنواع الأثاث ، مثل مقابرهم التى انعكست عليها مظاهر الثراء وتعدد النقوش وموضوعات المناظر فيها . وتفرقت هذه المقابر بين جبانات العاصمة وبين جبانات حواضر الأقاليم . ومن أفخم هذه المقابر فى الأسرة الخامسة مقابر رجال البلاط قرب العاصمة أى فى سقارة والجيزة . وأشهر ما يستشهد به منها مقبرتان : مقبرة مري روكا ، ومقبرة كايجمنى . وتضمنت أولهما ثلاثة وثلاثين حجرة فوق سطح الأرض .^(١)

أما الوزراء فكانوا يتباهون بسلطاتهم وبثرائهم أمثال منتوحتب وزير الملك سنوسرت الأول ، ورخمى رع وزير تحوتمس الثالث ، وسمح لكبار شخصيات الأسرة الخامسة بان يتقلدوا منصب الوزير بعد أن كان هذا المنصب قاصرا فى عهد الملك سنفرو على كبار الأمراء . وكان بعض هؤلاء الوزراء يمتلك أراضى وضيعات مثل الوزير ايبى فى عصر الأسرة الحادية عشرة ، والذى كان يمتلك ضيعتين أحدهما على مقربة من منف والأخرى فى الجنوب . اما عن ثراء كبار الكهنة وتأثير نفوذهم فكان يتفاوت من وقت لآخر تبعا لمكانة الملك وشخصيته . وقد ادى ازدياد ثروات المعابد فى عصر الدولة الحديثة إلى ازدياد نفوذ الكهنة . وكان الكاهن الأكبر هو رئيس الطقوس الدينية وله وظائف إدارية كذلك . وكان كبار الكهنة على جانب كبير من الثراء وبخاصة كهنة آمون وكانت لهم هبة وتأثير على أفراد الشعب .

وتحدثنا بعض النصوص عن ثراء بعض ملاك الأراضى من أمثال حقا نخت الذى كان يعيش فى عصر الأسرة الحادية عشرة ، الذى كانت لديه حقوله ويشرف عليها أحد المشرفين على الزراعة ، ويكلف ابنه فى أحد الرسائل التى كتبها إليه بان يستأجر حقلين وينصح به بأن يتأكد من أن الأرض جيدة وريها ميسور ، وذلك بعرض إنما ثروته^(٢) . ومن كبار الموظفين من كان يملك أيضا الأراضى مثل رنسى بن مرو الذى كان رئيس مديرى القصر الملكى فى عهد أحد ملوك العصر

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

الأهناسى . وكان رنسى بن مرو يمتلك ضيعة يشرف عليها شخص يسمى تحوتى نخت ، كما تخبرنا بذلك بردية القروى الفصيح .

وكان كبار قواد الجيش يمتلكون كذلك الأراضى التى تمنح لهم من قبل الملك يرزقون منها ، وتقع أغلب هذه الأراضى فى الدلتا ذات الحدود المترامية والتى كانت فى حاجة إلى الدفاع عنها ، وهذا بالإضافة إلى الهدايا والمنح التى كان يسبغها عليهم الملك وكذلك الهدايا من الذهب . ونعرف أحمس ابن ابانا الذى عمل كضابط على إحدى السفن الحربية . واشترك مع الملك أحمس فى حرب التحرير ضد الهكسوس ، وأظهر شجاعة فائقة فقدم الملك له ذهباً كمكافأة على شجاعته . ومن سلسلة الألقاب التى جملها هؤلاء القواد يتضح لنا المكانة التى كانوا يحتلونها . على أن الدولة كانت تستعين بقواد وقوات الجيش فى وقت السلم فى الأعمال المدنية ونواحى النشاط الإدارى . ^(١) فمنهم من كان يتولى المناصب الخاصة بالإشراف على البعثات التجارية والإشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر ^(٢) . وكانت هناك بعض القواعد لاختيار رؤساء الشرطة وكبار قوادها . فكان هناك رؤساء شرطة العاصمة . ورؤساء شرطة الأقاليم والمقاطعات ، ورؤساء شرطة الصحراء والحدود ، ورؤساء الشرطة النهرية ، ورؤساء المعابد ورؤساء شرطة الحرس الملكى ، ورؤساء الشرطة الخاصة ^(٣) .

وتحدثنا برديات سرقات المقابر فى نهاية الأسرة العشرين عن رئيس الشرطة فى البر الغربى فى طيبة فى نهاية حكم رمسيس الثالث ، الذى تدخل لتهدئة ثورة العمال فى نهاية حكم هذا الملك ، ووعدهم بأن ينضم إليهم إذا لم يتسلموا

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطور ، ص ٦٦ .

(٣) د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، ص ١١٣ - ١٢٢ ، ١٢٣ - ١٣٥ .

مستحقاتهم المادية ^(١) . وكان هؤلاء الحاكم ومن حولهم حاشيتهم من كبار الموظفين يعيشون عيشة ترف ورفاهية ، فيسكنون الدور الفخمة ، ويملكون الضياع الواسعة ويقيمون الولائم المترفة وينقلون في محفات تحمل على أكتاف الرجال . وعندما عرفت مصر الخيل والعجلات استبدلوا بها المحفات وأصبحوا يتنقلون عليها .

وامتازت الحياة اليومية في عصر الدولة الحديثة بروح الثراء ، وكان يسود العصر نوع من الترف ، فكان أهل الطبقة العليا ينامون في أسرة ، ويستخدمون الأغذية والوسائد من الريش التي تشبه تماما تلك التي تستخدم في العصر الحالي ، وكانوا يجلسون على مقاعد وثيرة ، وتضاء منازلهم بمصابيح توقد بالزيت ، ومن خلال المرمر الشفاف ينبعث الضوء الخافت الهادئ . وكانت النساء تضعن المساحيق على خدودهن ، وأيضا اللون الأسود على الرموش ، ويصبغن شعورهن ، وكان الرجال يستخدمون شفرات من المعادن لقص شعرهم ، وكلا الجنسين كانا يقومان بالعناية بأظافر اليد والقدمين ، وعندما يخرج بعض منهم إلى الخارج فإنهم يضعون القفاز من الجلد ، وعند عودتهم إلى المنازل ، كانوا يستخدمون مادة زيتية لغسل الأيدي على الأحواض أو من أواني من نوع معين . وعندما ترتفع حرارة الطقس ، كانوا يتناولون المرطبات عن طريق رشها بالبوص الأجوف .

وفي مجال الاحتفالات ، نجد أن الهواة كانوا يستخدمون الآلات الموسيقية الطويلة من الفضة . وفي أثناء المناسبات ، كان يسرى عن المدعوين بواسطة الراقصين والراقصات والمغنيين والموسيقيين بالآتهم المختلفة من القيثارة والعود والغاب والدف والرق ، وفي أثناء الحفلات العائلية وبين الأصدقاء المقربين كان الرجال والنساء يتسلون بلعبة النرد والشطرنج والعباب التسلية الأخرى ^(٢) . ولم تقتصر حفلات الطرب والرقص على القصور او منازل كبار الشخصيات بل أيضا منازل جميع الطبقات .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٥٠ .

(٢) سوف نتناول الحياة المنزلية بالتفصيل عند الحديث عن الأسرة وكيفية معيشتها

في الجزء الثاني من هذا الباب .

كل هذه الأمثلة عرفناها عن طريق النصوص والمناظر المختلفة في المقابر ، وتدل على أن المصريين كانوا يعيشون خلال عصر الدولة الحديثة ، حياة مترفة وبأسلوب يناسب روح العصر أكثر مما نعتقد . وقد نال أفراد الطبقة العليا حظهم من التربية والتعليم في أفضل دور العلم المعروفة في مصر القديمة ، بل أن بعض أبنائها كانوا يرسلون إلى مدارس القصر الملكي ليتربوا ويتقنوا بين أمراء القصر من أبناء الملك ، بحيث يصبحون أهلاً لتولى مناصب الدولة العليا وجميع وظائفها الهامة .^(١) وقال حفيد أحد حكام أسبوت في العصر الأناسي في هذا الصدد :

" سمح الملك لي بأن أتولى الحكم ولم أكن قد تعديت الذراع طولا ، ورفع منزلتى في شبابى ، وسمح لي بأن أتعلم السباحة مع المراء ، ولهذا أصبحت صادق الراى براء مما يعنى إلى مولاه الذى رباه طفلا . ونعمت أسبوت بحكمى وأثنت على أناسيا (نفسها) ، وقال عنى أهل مصر الوسطى والدلتا : تربية ملك " .^(٢)

الطبقة الوسطى :

وتشمل الموظفين والكتبة والمهندسين المعماريين والكهنة والضباط والأطباء ورؤساء الأعمال . ويدخل فى نطاق هذه الطبقة أصحاب الحرف من الصناعات المهرة وكبار الفنانين والتجار^(٣) . كان صغار الموظفين والكتبة يعملون فى إدارات الدولة

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٤٧ ، ص ٤٩ - ٥٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٨٤ .

فى العاصمة وفى الإدارات المحلية او الضياع الكبيرة . وكانوا من أسعد أفراد الطبقة الوسطى حالا منهم اهل معرفة وخبرة وأصحاب علم وثقافة . وبين أيدينا طائفة من التعاليم التى كان يوجهها الآباء إلى الأبناء ، ويوضحون لهم فيها أن الكاتب مهنته راقية تفوق جميع المهن الأخرى . ومنها تعاليم خيتى بن دواواف إلى ولده بثهايايه حين صاحبه ليلحقه بالمدرسة ، فبين له قيمة التعليم والتعلم وقد دأب أهل الطبقة الوسطى على إرسال أولادهم فى سن مبكرة إلى المدارس التابعة للمصالح والإدارات الحكومية وغيرها من مدارس إعداد الموظفين لتأهيل أنفسهم لمهنة الكاتب .

وكان الملك يتكفل بمكافأة الموظفين والكتبة وإطعامهم فى حياتهم وكذلك كانت هباته تشملهم أيضا بعد وفاتهم . أما طبقة المهندسين المعماريين فكان عليهم عبء تخطيط وتنفيذ المشروعات المعمارية سواء اكانت عمارة دنيوية من قصور وإدارات حكومية وكذلك فيما يتعلق بالأعمال العامة المطلوبة مثل بناء السدود والقلاع والحصون ^(١) . او كانت دينية من معابد جنائزية . وكذلك تنفيذ بعض مقابر للملوك والملكات ومعابد جنائزية . وكذلك بعض مقابر كبار الموظفين . ونعرف من هؤلاء المهندسين ، ايمحوتب أول مهندس معمارى مشهور ، الذى أشرف على المجموعة المعمارية للملك جسر ، وحـم ايونو الذى أشرف على بناء هرم خوفو وملحقاته ، وانينى الذى قام بحفر مقبرة تحوتمس الأول وبعض مباني الكرنك ، وسنموت الذى شيد معبد الدير البحرى للملكة حاتشبسوت، وأمون مس من عهد الملك تحوتمس الثالث الذى يذكر لنا فى نقوش أحد تماثيله انه أقام ما لا يقل عن عشرين معبدا فى الوجه القبلى والبحرى ، وأمنحتب بن جابو من عهد الملك أمنحتب الثالث ، الذى قام بتشييد معبد الملك الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة ^(٢) وأشرف على مبان

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٤ .

(٢) Robichon- Varille, le Temple du scribe royal Amenhotep Fils de Hapou, le Caire, 1939 .

الملك في معبدى الأقصر والكرنك (١).

وكان هؤلاء المهندسون المعماريون يتمتعون بمركز ممتاز فى المجتمع المصرى القديم حتى أن منهم من كان كبيرا للكهنة ، ومنهم من كان من الأسرة الملكية ، ومنهم من كان صديق للملك ومستشاره . وكان المصريون يعتبرونهم مهبط الحكمة (٢) . أما الكهنة فكان بعضهم على جانب من الثراء والنفوذ . ولدينا مثال منتومحات الذى كان كاهنا رابع لآمون ومع ذلك كان حاكما لمدينة طيبة فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين . وظهرت أهمية الطبقة العسكرية فى عصر الأسرة الثامنة عشرة . وكان صغار الضباط يتلقون إلى جانب فنون الحرب والتدريب على أنواع الأسلحة جزء من الثقافة العامة وكان يقوم بهذه المهام ضباط معلمين . وكانت هناك ممتلكات عقارية لطبقة العسكريين وبعض الامتيازات ، وكان بعضهم يتولى المناصب المدنية .

أما الأطباء فكانت لهم مكانة كبيرة فى المجتمع ابتداء من عصر الدولة القديمة وكان ينظر إليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام فى المجتمع ، وكانوا ينقسمون إلى أربع فئات : الأطباء الكهنة ، الأطباء الرسميون الملحقين بالقصر ودور الحكومة ومن الأطباء من كان يزاول مهنته حرا من أجل معالجة أفراد الشعب نظير أجر بسيط ، وكان هناك الأخصائيون ، والأطباء البيطريون . أما رؤساء الأعمال وكبار الفنانين والصناع المهرة فكانوا محل تكريم من كافة الملوك والأمراء وكبار الشخصيات والكهنة وكانوا يقدون عليهم الهدايا ، والمنح ، كما أن بعض الملوك كان يذهب لينتقد ما يقوم به العمال من أعمال معمارية له وكثيرا ما يعبر عن شكره

(١) وقد حصل امنحتب ابن جابو من الملك على حق تشييد معبدا له بجوار معبد

الملك فى البر الغربى . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا التكريم

لمهندس معمارى راجع : Vandier, Manuel d'archéologie II, p.

688 - 689 .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٦١ - ٦٣ .

وامتتانه لهم . وكانت معظم مهنتهم وراثية ، ويفضلون العمل الجماعى . أما كبار التجار فكانوا يزاولون مهنتهم فى كبريات المدن حيث الحياة السهلة الميسرة .

الطبقة الدنيا :

وتشمل صغار الموظفين والترجمة وصغار الكهنة وصغار رجال القوات المسلحة والشرطة والبحرية . وتشمل كذلك الكتلة من المزارعين والرعاة والصيادين والملاحين وجميع عمال الحرف والمهن والصناع والفنانين والمثالين والنحاتين الذين كانوا يعملون فى الخدمات العامة أو الخاصة ، كما كان لحرفتهم من بناء وحفر ونحت وصقل ونقش ورسم وتلوين من أهمية فى مجال العمارة المصرية القديمة بأنواعها . وبفضل مجهوداتهم أخرجت روائع الأعمال المعمارية التى تعد من أهم خصائص عمارة الحضارة المصرية القديمة ، وبفضل نشاطهم شيد ذلك الصرح الضخم من العماثر الدينية والجنائزية التى عجز الزمن عن محوه محو تاما .^(١)

وكان هناك كذلك أصحاب الحرف الصغيرة من صانعين وحدادين ونجارين ونساجين وصانعى الخزف والأواني والجلود والدباغة والعطارة والسهم ، وبنائين وحلاقين وخبازين وقصابين وطوافى بريد . ومن المهن البسيطة أيضا حاملى الماء (السقائين) ومن يعملون فى البساتين^(٢) . ومن أصحاب المهن الهامة صغار التجار وأيضا صغار أهل الفن من موسيقيين وراقصين ومغنيين من رجال ونساء ، وأخيرا طبقة الخدم من رجال ونساء والأقليات الأجنبية والعبيد . وسوف نتحدث بشئ من التفصيل عن طبقة المزارعين والعمال لأنهم كانوا يمثلون الكتلة الساحقة من الشعب . وكانت طبقة المزارعين هى أكبر الطبقات عددا فى المجتمع المصرى القديم ، وكان المزارع العنصر الأساسى فى اقتصاد البلاد . وتنقسم طبقة المزارعين

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ ؛

د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ حاشية (٢) .

إلى فرقتين :

طبقة تمتلك الأرض ، والأخرى تعمل أجيرة عند الملك أى الملك أو الأمير أو حاكم الإقليم أو كبار الملاك . والطبقة الأولى تمتلك ملكيات صغيرة وما على أفرادها إلا دفع الضرائب المقررة على محاصيلهم من قبل الدولة ، أما الطبقة الأخرى فهي الأكثر عددا فكانت مرتبطة بالأرض لا ينفكون منها ، بحيث إذا انتقلت ملكيتها انتقلوا هم أيضا من تبعية المالك الأول إلى المالك الثانى ، ولكنه انتقل للزمة وليس للملكية ، وذلك لأن القوم كانوا جميعا أحرارا . فالمزارع يعمل بأجر ، وفى ساعات معينة من النهار ، فهو ليس مملوكا لملك الأرض ، وإنما هو يعمل معه بمقتضى عقد رسمى ، فإذا كان هذا المزارع قد أجر الأرض من الأراضى الملكية كان عليه أن يدفع ضريبة تقدر بحوالى عشرين فى المائة من المحاصيل لشونة الملك ^(١) . وإذا أجرها من مالك كبير كان عليه أن يدفع جزءا أو نسبة من المحصول لهذا المالك ، ويحتفظ هو بالجزء الباقى كأجر له ^(٢) . أو أنه يعمل كمزارع أجير يتقاضى أجره شهريا ، فى رسالة من رسائل حقا نخت لأبنة نجد أنه ينصحه عند الحديث عن المشرف على الزراعة الذى كان يدعى حتى بن نخت أن يعطيه أجرا شهريا مقداره خمس وبيات من الشعير وأن يعطى عائلته فى أول كل شهر وبيتين ونصف زيادة على ذلك ^(٣) .

وكان بعض المزارعين يعيش على ما يقوم ببيعه من منتجات حقله كما تخبرنا بذلك بردية القروى الفصيح . وكان المزارع يعمل بالإضافة إلى فلاحه الأرض فى الأراضى الملكية وضياع الأمراء وحكام الأقاليم وكبار الملاك ، فى حفر الترع والقنوات وإقامة السدود والمشاريع العامة فى أوقات الفيضان وتعطل العمل

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٣ ، ٤٩٨ . كان النظام الضريبى ينطبق أيضا كما يتضح من بعض النصوص على طائفة الصنائع وأصحاب الحرف منه الدباغين وصابغى الجلود والنساجين .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

بالزراعة . مثل مشروع بناء الأهرام . وكانت هذه الطبقة من حقوق بمثل ما كان عليها من واجبات . فكان على الدولة ان تهيب لهم مشاريع الري حتى يمكن للمزارع أن يزرع ويحصد ويؤدى فى النهاية الضريبة التى يحددها له الكتبة . وإذا كان المزارع مالكا للأرض فإن الدولة كانت تعوضه عن أية خسارة تتعرض لها الأرض نتيجة لكوارث طبيعية . ويروى هيرودوت أنه إذا أتلقت مياه الفيضان جزءا من أرض المزارعين (نهر النيل) فغن المزارع يتقدم إلى الملك بطلب يشرح له ما تعرض له ، عندئذ يأمر الملك بإرسال لجنة تقدر مقدار الجزء الضائع من الأرض ، حتى يدفع الضرائب على الجزء الصالح والمتبقى من الأرض وليس على الأرض كلها .

وكان كتبة الضرائب يطوفون الأقاليم دائما ومعهم الحرس والمعاونين لتقدير الضرائب على المحاصيل وبعد فترة يعوبون لجمع المحاصيل والمنتجات فإذا رفض المزارع دفع ما عليه ، فإنه كان يتعرض للعقاب والضرب أيضا ، وإذا أهمل المزارع فى زراعة الأرض التى أجرها من الأراضى الملكية ، فإن استغلال الأرض يعطى لغيره .

أما بقية أفراد الطبقة الدنيا من رعاة الأغنام ورعاة الخنازير وصيادين وملاحين فلم يكن أحد منهم يمتلك أرضا زراعية بل يعيشون بحثا عن الكأ والصيد . وكانوا يعيشون مثل المزارعين فى القرى المتناثرة على طول الوادى وفروع النيل فى شمال الدلتا . ويعيشون حياتهم البسيطة يمارسون فيها حرفهم التقليدية من زراعة ورعى وصيد وملاحة . وكانوا يسكنون مساكن بسيطة لا تعدو الحجرة أو الحجرتين ، وليس بها من الأثاث والرياش ما يجاوز الحصير ، وبعض المقاعد الخشبية والصناديق وأوانى من الفخار . كذلك كان طعام تلك الطبقة لا يعدو الخبز والخضر ، أما لباسهم فكان نقبة من نسيج الكتان ، يستتر بها الرجال فيغطى بها وسطه إلى الركبتين كما كان رداء المرأة بسيطا أيضا ، فهو عبارة عن ثوب ضيق غير مكتم مصنوع من الكتان الأبيض يصل من الكتف إلى العقبين ، ويثبت فوق

الكتف بشرطين من النسيج نفسه .^(١)

حالة طبقة العمال والصناع والحرفيين والفنانين والتجار والأقليات الأجنبية :

جاء فى نصائح خيتى بن دواواف لأبنه بيبى ليقبل على العلم ويحب الكتابة ، أن خير المهن وأفضلها جميعا هى مهنة الكاتب ، وكيف أن الفرص تتفتح أمامه أكثر من أصحاب المهن الأخرى ، ويذكر له ما يعانى به أصحاب المهن الصغيرة من متاعب فى سبيل تحصيل أقواتهم^(٢) . فيحدثه عن معاناة : الحداد ، النجار ، عامل البناء ، الحلاق ، التاجر ، ضارب الطوب ، البستاني ، الفلاح ، النساج ، صانع العهام ، ساعى البريد ، الدباغ ، الإسكافى ، غاسل الثياب ، صائد الطيور ، حامل المياه (السقى) ، الخباز ، كاهن المعبد الذى يعمل كمطهر ، والجندى الذى عليه إطاعة الأوامر فى كل لحظة . ولكن على الرغم مما جاء فى البردية من هجاء للمهن والحرف فإن العمال كانوا محل عناية وتكريم فى مصر القديمة . فكان هناك العمال والصناع والفنانين ورؤساء الأعمال الذين يعملون فى القصر الملكى نفسه ، وفى المصانع والورش التابعة للقصر الملكى ، وفى المصانع التابعة للإدارات والمصالح الحكومية ، وفى المصانع التابعة لملحقات المعابد الكبرى ، وفى مزارع وضياع كبار الشخصيات وكبار الملاك وفى المصانع الملحقة بضياعهم^(٣) . وفى الجبانة الملكية فى بناء وحفر ونحت ورسم وتلوين المقابر الملكية ومقابر كبار

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٥٢ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) بيبى مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٢١٥ ؛ وسوف نتحدث عن هذه النصائح فى باب الحياة الثقافية .

(٣) كانت هناك المنازل الكبيرة ، وبخاصة منازل النبلاء التى تحتاج إلى عدد كبير من الخدم ، فضلا عن أولئك الذين يعملون فى المزارع والضياع الخاصة بهؤلاء النبلاء ، وكانت مثل هذه المنازل تضم أيضا عمال فى مخازن الحبوب ومخازن المنازل ، وفى المخابز ومعاصر الجعة والمطابخ ومخازن المشروبات ، فضلا عن القصاب وزراع الزهور والبستاني والتسك والصياد والنجار والنساج والحارس (راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ : الحضارة المصرية ، ص ٧٤) . وهناك نماذج من الخشب عثر عليها فى مقبرة مكت رع من الأسرة الحادية عشرة ===

الشخصيات المقربين من الملك ومعابد المعبودات والمعابد الجنائزية . وقد قام العالم شرني بعمل دراسة قيمة عن أحوال طبقة عمال وفنانى البر الغربى فى طيبة ^(١) . وكان هناك أيضا العمال والصناع الذين يعملون فى مهن مختلفة لحسابهم الخاص فيما يعرف حاليا باسم المهن الحرة ، مثل الحداد والصائغ والإسكافى والنجار .

كان الملك أمنحتب الأول هو أول من فكر فى تكوين طائفة خاصة من العمال والنحاتين والفنانين ولهذا أصبح محل تقديس بعد وفاته ^(٢) ، الذين استقروا فى

== وهى تمثل مجموعة من أصحاب الحرف والمهن الذين كانوا يعملون فى ضياع مكت رع ، منها ما يمثل صيد الأسماك بالشباك ، وما يمثل حصر الماشية أمام سيد الضياع ، ما يمثل مجموعة من الورش الصغيرة فنرى مجموعة النساء فى مغزل ، وما يمثل مجموعة من الرجال فى ورشة نجارة بآلاتهم ومعداتهم البسيطة، وكل هذه النماذج موجودة الآن بالمتحف المصرى تحت أرقام : JE 46715, 46722, 46723, 46724. Saleh- Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum Cairo, no 75 – 78 .

(١) قام شرني فى دراسته هذه بدراسة طبقة العمال ورؤساء العمال وحراس المقابر الملكية والخبراء والخدم والكتبة والقواد وإدارى المقابر ورجال شرطة الجبانة ، راجع :

Cerny, A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (BdE 50) (1973) p. 99 – 261 .

كما قامت " فالبل " بدراسة مماثلة فى رسالة لنيل درجة دكتوراة الدولة ،
والتي نشرت تحت عنوان :

Valbelle , les Ouvriers de la tombe, Deir el Medineh 'a l'époque Ramesside (BdE 96) (1985) , p. 62 – 155 .

وذكرت فى هذه الدراسة اجور العمال والمخصصات التى يحصلون عليها من ملابس ومواد غذاء من الإدارات الملكية (Id., p. 148 – 153) كما كان هناك طبيب لمعالجة العمال والعناية بهم (Id., p. 127 – 128) . وهناك أيضا قوائم تحدد اجور العمال (Id., p. 62 – 64) .

Černy, le Culte d'Amenophis I er , dans BIFAO 27 (1927), (٢)
p. 159 - 203 .

قرية خاصة بهم ، وهى قرية دير المدينة . وكانت محاطة بسور سميك وكان بها سبعين منزلا بملحقاتها ^(١) . وكانت منازل العمال بسيطة ، وتضم أثاثا بسيطا أيضا وعدد محدود من الحجرات وتضاء بمصابيح تعمل بالزيت ^(٢) . وكان يفصل فى العلاقات بين أهالى القرية محكمة أعضائها من القرية . وبنى خارج القرية إلى الغرب والشمال مقاصير صغيرة للمعبودات ، وخاصة حتحور ، وكان هناك على الأقل أربع وخمسين مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى البر الغربى فى طيبة تخص هؤلاء العمال ^(٣) . وقد عثر فى قرية العمال فى دير المدينة على آلاف الاوستراكا التى كتبت بالخط الهيراطيقى . وقام بدراسة هذه الاوستراكا كلا من العالمين شرنى وبوزنر . منها ما هو أدبى ومنها ما هو غير أدبى وتعكس لنا جانبا من الحياة اليومية لهؤلاء العمال . وتحدثنا هذه الوثائق الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى المعلومات عن مرتبات العمال ومعداتهم وطريقة عملهم ، وأسباب غيابهم عن العمل ، وترجع هذه الوثائق عن حياة العمال إلى القرن الرابع عشر حتى بداية القرن الحادى عشر ق.م .

ونعرف من الوثائق ان هؤلاء العمال كانوا يعملون تحت مراقبة سلطة الوزير ، وكان مكتب الوزير مكلفا بمدهم بالمعدات والأدوات اللازمة للعمل ، كما كانت الدولة مكلفة بمدهم بالمواد الغذائية ^(٤) وكانت طائفة العمال تتكون من ستين إلى مائة وعشرين عاملا يقسمون إلى قسمين : قسم اليمين وقسم اليسار ، وكان كل قسم يخضع لسلطة رئيس للعمال . وكان العمال ينظمون تنظيمًا دقيقًا ، تحت سلطة

(١) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne , p. 208 – 209, 213 – 215 , 270 – 271 ; Daumas, la Vie dans L'Égypte Ancienne, Paris (1968), p. 78 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٤ .

(٣) د. احمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ،

ص ٣٦١ .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985), p. 59 – 64 .

رؤسائهم ، وكان كل منهم يحمل لقب " كبير الفرقة أو المجموعة " .

وهناك الاوسترাকা مؤرخة من العام الأربعين من حكم زمسيس الثانى ومحفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم ٥٦٤٣ ، وكتبت عليها رئيس العمال أسماء عماله الثلاثة والأربعين ، وأمام كل اسم عدد أيام الشهر التى غابها عن العمل ، بينما كتبت أعذار التخلف بالمداد الأحمر أمام كل تأخير أو غياب . ومن الأسباب التى سجلت : المرض الذى نقله عامل آخر الذى كان مريضا ، أو لدغته عقرب ، أو بسبب الذهاب لتقديم القرابين للمعبودات ، كما أن انحراف مزاج الزوجة أو الابنة كان سببا كافيا للتخلف عن العمل ، وإنه كان يقوم ببعض الأعباء المنزلية مثل إعداد تخمير الجعة ^(١) وبجوار رئيس العمال كان يوجد نائبه أو وكيله ربما كان يحل محله إذا غاب ، وكان لكل قسم كاتب وظيفته هى القيام بعمل الحسابات والاتصال مباشرة بالسلطة المركزية أى مكتب الوزير . وكان بعض العمال يوصفون بالألقاب التى تدل على مهنتهم الرئيسية فمثلا نجد من بينهم قاطع الأحجار والحفار والنحات والنقاش والرسام . وإلى جانب العمال الحرفيين كان يوجد فريق من العمالة المساعدة من الأيدى العاملة والممولين الذين يأتون من المناطق الأخرى القريبة ، وكانوا أساسا من المزارعين ، ومنهم زارعوا البساتين وقاطعوا الأخشاب ، وحاملوا المياه (السقاعون) والصيادون ، والحمالون . وكانوا مسئولين عن نقل المواد الغذائية ومعدات العمل . وتذكر النصوص أيضا حراس المقابر الملكية التى كانت تحت التشطيب ، وكانت هناك قوة من الشرطة مهمتها المحافظة على الأمن والنظام فى البر الغربى .^(٢)

وكانت الدولة تمد هؤلاء العمال بالجرايات هم وأسرتهم . وكان أجرهم يدفع

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ د. بها الدين إبراهيم :

المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ ، وأيضا :

Allam, op. cit ., p . 59 ; lalouette , L'Empire des Ramsès, Paris (1985) , p. 252 - 253 .

Allam, op. cit ., p. 60 - 64 .

عينيا فى شكل مواد غذائية تصرف من الصوامع او من المخازن الملكية إما مرة واحدة أو مرتين أو أربع مرات فى الشهر ويقوم بتسليم هذه المقررات مجموعة من الموظفين . وكانت عبارة عن :

كميات كبيرة من السمك الذى كان فيما يبدوا طعامهم الرئيسى ، وفى كل شهر كانوا يتسلمون أيضا قدرا من البقول ، وعددا من القدور التى تحتوى على زيوت ودهون وجعة ، وخشب الوقود الضرورى ، والحبوب من قمح وشعير وحنطة ، وأخيرا كميات من الخضروات ، وكان نصيب رئيس العمال ١٧٠ حزمة من الخضار ، والكاتب ٨٥ حزمة ، والعامل ١٥ حزمة . أما عن كميات الحبوب فكان نصيب رئيس العمال منها ٧,٥ غرارة ، الكاتب ٣,٧٥ ، العمال ٥,٥^(١) . وكان يصرف لكل عامل من وقت لآخر الدهون والزيوت والملابس^(٢) . وتصرف له أيضا كمية من الماء الصالح للشرب . وكانوا يمنحون فى مناسبات مختلفة مكافآت تشجيعية من الملك مثل الجعة المستوردة والنبذ واللحوم والملح من النطرون . وأيضا قطع من القماش أو قطع نحاسية بديلة عن العملة . وكانوا يتمتعون بالإجازات وعطلات الأعياد الكثيرة ، فكانوا يمنحون ثلاثة أيام عطلة كل شهر ، كانت تقع فى اليوم العاشر والعشرين والثلاثين من كل شهر^(٣) .

وكان هناك مكتب لإدارة شئون طائفة العمال . ونعرف مدى أهميته من عدد الكتب التى الذين الحقوا به . وكان هذا المكتب يحتوى بدون شك على أرشيف الذى

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) كانت الملابس تصرف من القصر الملكى ، وهناك نص بالمتحف المصرى كتبة أحد الضباط المكلفين بملاحظة عمال المحاجر فى طره ، عثر عليه فى سقارة من الأسرة السادسة ن يستعجل فيه إحضار الملابس للعمال حتى لا يعوق ذلك سير العمل ، راجع : دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٦٠ (٢٥٠٥) .

(٣) James, An Introduction to Ancient Egypt, london 1973, p.

يقوم الكتبة بوضع التقارير فيه عن حياة العمال الجماعية ومشاكلهم في القرية . ولا تعرف مكان هذا الأرشيف . ولكن نعلم أن الكتبة كانوا يضعون فيه برديات واستركا . وكانت الاوتراكا مرتبة مثل البرديات تماما حتى يمكن للكاتب الرجوع إليها عند الضرورة .

ونعلم من نصوص الوثائق أنه كان يوجد مؤسسة تسمى " قنبت " عبارة عن مجلس محلي مثلما ما كان يوجد في القرى الأخرى . وكان هذا المجلس مسئولا عن إدارة وتنظيم الأعمال بيم أفراد الطائفة . وكان من بين أعضاء هذا المجلس رئيس العمال ، والكتبة ، والنواب ، وحراس المقابر ، ورجال الشرطة ، وقضاة ، وكان من بين القضاة أحيانا قاضيتين من الحريم . وذلك للنظر في الدعاوى والمنازعات بين أفراد الطائفة ^(١) ونعتقد أنه لولا العثور على هذه الاوتراكا بالآلاف لم عرفنا كل هذه المعلومات عن عمال دير المدينة وحياتهم في نهاية الدولة الحديثة . لأنه تنقصنا المعلومات المشابهة عن عمال المجموعة الهرمية في نهاية الدولة الحديثة . وأهمرام دهشور واللشت وعمال مدينة أخت آتون في تل العمارنة وغيرها في الفترات السابقة على عصر الرعامسة . وبالنسبة لطائفة العمال والصناع في أماكن أخرى ، فكان رئيس العمال يقوم بتسليم إنتاجهم الذي طلب منهم ، طبقا لكشوف أعدت بكل دقة ، للجهات المسئولة ، وكانت القاعدة العامة المتبعة في كافة المصانع ان تعرض المصنوعات التي تمت صنعها أما على موائد أو ترص فوق رفوف ن ويقوم رئيس العمال بالتحقيق من دقة صنعها واثقانها وأنها صالحة لأن توضع ضمن مقتنيات المعبد والمعبود أو الملك ^(٢).

فنعلم من النصوص أن بوى أم رع الكاهن الثاني لآمون ومدير أعمال معبد الكرنك ، وقام بتفقد الأشغال أو الأعمال التي تمت في المصانع الملحقة بالمعبد . وقابل هناك رئيس العمال ورئيس الفنانين وتحدث معهما . وظهر لنا رخمى رع ، وزير تحوتمس الثالث ، وهو يزور مصانع معبد آمون وكمدير أعمال كان عليه أن

Allam, op. cit ., p. 64 .

(١)

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

يحدد لكل عامل طريقة في العمل . وكان المشرف على العمل يخاطب العمال والصناع ويحثهم على العمل قائلا : " هيا أيها الرفاق ن حركوا سواعدكم ، لنعمل ما يستوجب ثناء الحاكم " .^(١)

وكان الملك يذهب أحيانا ليتفقد العمل في المحاجر القريبة ، مثل الزيارة التي قام بها رمسيس الثاني لزيارة محجر من محاجر الجبل الأحمر في العام الثامن من حكمه . وهناك ترك لوحة في معبد ايونو أعرب فيها عن شكره لكل الذين ساهموا في صناعة تماثيل أبو الهول ن وهو يقول : " أن حبكم لي هو الذي يدفعكم إلى العمل من أجل .. إن تحياتكم لي تشد من أزرى " .^(٢)

كان العمال يفضلون العمل الجماعي عن العمل الفردي ، وللوصول إلى نتائج طيبة يستوجب الحال استخدام عدد كبير من رؤساء العمال ذوي البصر الحاد ، والشخصية القوية بالإضافة إلى استعمال الحدة في الكلام . وعندما يرى رئيس العمال إهمالا ما في العمل فإنه يوجه انتباه العامل . فقد حدث أن ذهب أحد رؤساء العمال ليتفقد العمل في إعداد هيكل خشبي لمعبد الملك أمنحتب الأول في إحدى الورش . وصور الفنان في داخل الورشة عامل يجلس على أعلى درجات السلم دون أن يبدى اهتماما باستعمال أدواته ، بينما تسلق عامل آخر الأعمدة الصغيرة هاربا بسرعة من رئيس العمال ، وفي الجانب الآخر نرى رساما يقوم بتلطيف وجه زميله بالألوان . ويمر رئيس العمال دون أن يلحظهما إذ كان اهتمامه موجها إلى عامل واحد قد تمدد على الأرض وراح في سبات عميق بجانب عمله الذي لم ينجزه بعد ، فيصيح فيه رئيس العمال صيحة ترعج أحد العمال المعلقين بالدور الثاني فيفقد توازنه . وعلى السطح يسرع رجلان باستعمال أدواتهم ، فيتقرب أحدهما تقبا ويطلق الآخر الخشب ، بينما يهز رجل ثالث العامل النائم ليقظه .^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

كان الملوك والأمراء وكبار الشخصيات والكهنة يقدرون أولئك الفنانين والعمال الذين عملوا وضحوا من أجل إقامة أثر لهم أو ساهموا في زخرفته ونقشه . لقد دفعوا لهم المكافآت وقدموا لهم الشكر . ولم يجبر أصحاب العمل أو رؤساء العمال على عمل أكثر مما هو مطلوب . فيحدثنا الملك سيتي عن بعض عماله أن كلا منهم كان يتقاضى أربعة أوزان من الخبز ، وحزمتين من الخضروات ، وقطعة من اللحم المشوى كل يوم ، وثوبا من الكتان النظيف مرتين كل شهر ^(١) . ويذكر رمسيس الثاني على اللوحة التذكارية التي أقامها في معبد ايونو ماحقه لعمال المحاجر الذين قاموا بنحت تماثيل أبو الهول والتماثيل المختلفة التي ملأت معابد مصر ، وهو يقول مخاطبا هؤلاء العمال :

" لقد ملأت لكم المخازن بكل الأنواع من الفطائر واللحوم والكمك لكي تأكلوها ، وأنواع العطور المختلفة لتعطروا رؤوسكم كل عشرة أيام ، وصناديل لتتعلوها كل يوم ، وملابس لترتدوها طوال العام ولقد عينت رجالا من سكان المستنقعات ليحضروا لكم الطيور والأسماك وآخرين من عمال البساتين ليحصوا ما هو مستحق لكم ، لقد أمرت بتشييد فاخورة لتصنع فيها الأواني الفخارية ليظل ماؤكم سلسبيلا في فصل الصيف ، ولأجل مصلحتكم تقلع المراكب دوما من الجنوب إلى الشمال وم الشمال إلى الجنوب محملة بالشعير والحبوب والقمح والملح والخبز ... إني أعمل كل هذا مرددا القول : " طالما كنتم على قيد الحياة فإنكم تعملون من أجلى رجلا واحدا " ويذكر في وسط الكلام لماذا فعل كل هذا :

" لقد حققت كل هذه الأشياء لكم حتى لا يقضى أحدكم ليلة خائفا مترقباً ذل الحاجة والشقاء " ، " لقد عينت رجالا كثيرين من مختلف الطبقات لإطعامكم حتى في سنوات المجاعة " ^(٢) وكان تكريم العمال معروفا أيضا عند كبار الشخصيات منذ عصر الدولة القديمة فيقول مدير ضيعة يدعى " منى " من الأسرة الرابعة بأنه كافأ بسخاء كل من ساعد في بناء وزخرفة مقبرته وهو يقول :

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

" لن يندم أبداً أى شخص قد ساهم فى بنائها ن سواء كان فناناً أم قاطع أحجار ، لقد أعطيت كل واحد مكافأته " .^(١) ويقول آخر :

" لقد طلبت إلى المثال أن ينحت لى هذه التماثيل وكان راضياً عن الأجر الذى دفعته له " .^(٢) ويقول ثالث ، وهو أحد القضاة من الأسرة الخامسة :

" أن جميع من عملوا فى هذه المقبرة قد نالوا أجرهم كاملاً ، من خبز وجعة وملابس وزيت وقمح بكميات وافرة ، كما أننى لم أكره أحد على العمل " .^(٣) هذا فضلاً عن أن الملك منكورع كان قد أمر ببناء مقبرة لأحد رجال بلاطه ، وقد عمل فيها خمسين عاملاً ، وجاء فى النص الذى يروى هذا الحدث أن الملك أمر بالأسير أحد فى هذا العمل فضلاً عن عدم إكراه العمال فى أى عمل (آخر) .^(٤)

ونذكر أيضاً ما جاء فى نصين من عصر الدولة الوسطى ، ويدلان على مدى التقدير الذى كان يناله العمال فى مصر القديمة دائماً وفى كل العصور ، وأحدهما عبارة عن نقش لقائد حملة ، ويقول فيه : " لقد عملت فى المحاجر وكان عدد عمالى من الشباب لا ينقص أبداً ، ولم يتوقف أحد منهم " ، والثانى يخص أيضاً قائد آخر ، فبعد أن أكد أنه لم تحدث أية وفاة أثناء العمل ، يضيف هذه الجملة المعبرة : " لقد عاملت جميع رجالى بكثير من الطيبة ، ولم أناد على العمال صائحين على الإطلاق " .^(٥)

ومن الدولة الحديثة ، نذكر نصاً يخص أحد الأشخاص ويدعى أمنمحات الذى يذكر فيه أنه دعى أربعة رجال للجلوس معه ليشاركوه طعامه وأحد هؤلاء

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٨٧ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٥) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 82 .

الرجال الأربعة هو الرسام أحسن أما الثاني فهو نحّات تماثيل لا نعرف اسمه ^(١).

وكانت طبقة العمال العاديين تختلف وفقا لمهارة كل منها . ولم يكن من الصعب أن يصل أكثر العمال مهارة إلى درجة مراقب أو رئيس عمال . وأن يجمع من المال ما يجعله في أواخر أيامه من صغار الملاك أو من أصحاب الأعمال والمهن الكبيرة ^(٢) . ونعرف الفنانين تحوتمس وحوى اللذين عاشا في عهد الملك اخناتون ، وكانا على درجة كبيرة من الثراء والمكانة الاجتماعية ^(٣) . ومن كان من هؤلاء العمال أو الفنانين على جانب من الكفاءة أو المهارة كان يطلعنا ، فيقول أحدهم الذي عاش في عصر الدولة الوسطى عل لوحته التذكارية :

« إننى أعرف سر الكلمات المقدسة ^(٤) وإدارة المراسيم الدينية ، لقد مارست كل أنواع السحر دون أن أترك منها شيئا وليس ثمة سر يتعلق بهذه الأشياء ويخفى على ... » ^(٥) ويقول آخر :

« بالإضافة إلى أننى فنان موهوب فى فنى ، فإننى على قدر من العلم يفوق المستوى المألوف ، أننى أعرف تماما الأوضاع النموذجية لتمثال الرجل ، ووقفة المرأة ... » ^(٦) . ويقول عن ابنه :

« لقد شاهدت براعته فى اشغاله كمدير أعمال فى كافة أنواع الأحجار الكريمة ، من الذهب والفضة والعاج والأبنوس » ^(٧) . وقيل عن الفنان مري رع الذى عاش فى عهد رمسيس التاسع أنه :

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٤) أى اللغة المصرية القديمة .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٦) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

" كاتب الكتب المقدسة (أى النصوص ؟) فهو ليس مجرد ناسخ ، أن الوحي يأتيه من قلبه ، لا يقدم إليه معلما ما أنموذجا وإلا نسخة ، ذلك لأنه كاتب ذو أصابع ماهرة ، شديد الذكاء واسع المعرفة " . (١)

أما عن التجارة فقد قامت على نظام التبادل أو المقايضة ، وكانت كل بضاعة تقيم حسب جودتها ، وتقيم وحدة وزن من النحاس أو الذهب أو الفضة ، لتحديد قيمة البضاعة ، ويمكن حدوث نوع من الفصل بين المشتري والبائع . أما عن نوعية البضائع فكانت عبارة عن منتجات يدوية ومنتجات غذائية من خضروات وفواكه وأسماك وطيور وخبز وحبوب وزيت ودهون ، ومنتجات أخرى من أخشاب وأثاث وتوابيت وأدوات مصنوعة من مواد مختلفة وكذلك أنواع من الحيوانات والمائية مثل الحمار ، والبقر ، والعجل ، والثور ، والجدى .

ولم يكن البيع قاصرا على مثل هذه الأشياء بل كان يمتد إلى الملكيات من عقار وأراضى . وكان يمكن نقل الملكية من شخص لآخر نظير تعويض مادي أو تشتري أو تباع دون تحرير أية وثيقة أو اتفاق مكتوب . وأما الصفقات الكبرى فكانت تستلزم تحرير وثيقة رسمية وتوقيع شهود عليها . فكان هناك ما يسمى بالعقود التجارية ، ويمكن أن يكون الاتفاق بين مشتري واحد وبائع واحد أو يمكن أن يكون بين مجموعة من الأشخاص أى صفقات كبيرة من قبل تجار كبار ، يأخذ نظام السداد في مثل هذه الصفقات أشكالا عديدة أما بالدفع المباشر أو أن يدفع المشتري ثلث الثمن ويقوم بالتفسيط الباقي أون يتعهد بتوريد بضاعة نظير الثمن ويقسم المشتري أو يوعد بالوفاء بدفع دينه أو يعطى وعدا بالدفع فى فترة محدودة ، فإذا لم يحترم البائع والمشتري صيغة الاتفاق بينهما فيمكن لأحد الطرفين أن يلغى عقد البيع وقد يتعرض البائع للإفلاس ، فيمكن عرض الأمر على المحكمة للبت فى الأمر بين الدائن والمدين . (٢)

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985) p. 110

أما عن أماكن البيع فكانت هناك الأسواق اليومية فى القرى والأقاليم وعواصم المدن ، ونجد فى بعض مناظر التى توجد على جدران بعض مقابر سقارة من الدولة القديمة ، مقابر البر الغربى فى طيبة فى الدولة الحديثة ، مناظر تمثل هذه الأسواق حيث يتم البيع والشراء فيها عن طريق المقايضة ، ولاشك انها كانت تعقد فى عاصمتى الإقليمين فى منف وفى طيبة ، وكانت هناك الأسواق القريبة من الموانى المحلية والتى تقع على ضفاف النيل حيث تجئ المراكب التجارية محملة بالبضائع والمنتجات . أو الأسواق القريبة من الموانى الكبرى فى شمال البلاد حيث ترسو فيها المراكب التجارية القادمة من الخارج والمحملة بالبضائع المستوردة من الشاطئ السورى مثلا .

أما عن طبقة التجار فكان هناك البائع البسيط الذى يعرض بضاعته فى الأسواق أو يعرضها فى محل ، وكان هناك التاجر الكبير الذى يعقد الصفقات الهامة . وكان هناك مندوبون يعتمد عليهم فى إتمام عملية البيع والشراء ويقومون بتسليم البضاعة إلى المشتري وتسلم الثمن منه أو عقد المقايضة اللازمة . وكان هؤلاء المندوبون يحملون أيضا البضائع من قرية إلى أخرى ويرحلون إلى الجنوب والدلتا عبر النيل . ولا تستطيع أن نتجاهل عند حديثنا عن الطبقة الدنيا وخاصة عن طبقة الصناع والعمال والتجار أن نتحدث عن الأقليات الأجنبية ، فكان التكوين الاجتماعى يشمل أيضا هذه الأقليات والأسرى الأجانب . وكان منهم العمال الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثا عن مصدر رزق ، وهم أيد عاملة ضرورية لمساعدة العمال المصريين . وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواسطة رجال شرطة الحدود وكان يدون لكل شخص منهم : تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود ، وأصل الموطن ، والحالة الاجتماعية واسم الأب ، والغرض من المجئ ^(١) . وكان هؤلاء العمال يقيمون فى البلاد ويؤدون مختلف الأعمال وخاصة المعمارية فى ظل قوانين اجتماعية تكفل لهم الحماية والأمن

Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 723 – 724; (١) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 258 .

والعيش في سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها العامل المصري ^(١) .
وبالمتحف المصري لوحة عليها منظر يمثل كتلة من الحجر محمولة على زحافة
يجرها ثلاثة أزواج من الثيران ، ويرجح أن السائقين كانوا من الأجانب ، وهي من
محاجر المعصرة ، من الأسرة السادسة والعشرين ^(٢) .

ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته في أحياء خاصة بهم ن
فحول معبد الكرنك من عهد الملك تحوتمس الثالث ، كان يوجد جالية سورية وتجار
سوريون وحول المعبد الجنائزي للملك أمنحتب الثالث في البر الغربي بطيبة كان
يوجد حي سوري تحت إدارة أحد الأمراء السوريين الذي أحضروا من سورية ^(٣) .
وفي محاجر طره كان يعمل بعض الأجانب من الهكسوس . وكان هناك بعض
الفينيقيين الذين كانوا يعملون في بناء معبد المعبود بتاح في منف . وكان هناك أيضا
بعض البدو من شرق الدلتا الذين كانوا في مشروعات الملك رمسيس الثاني المختلفة
في منطقة تانيس ^(٤) . إلى جانب هؤلاء العمال الأجانب كان يوجد أسرى الحرب
الأجانب الذين كانوا يعملون في مشروعات مختلفة ، واستخدموا كعمال في الزراعة
والبناء والنسيج ^(٥) .

وفي عصر الدولة الحديثة استخدم الأسرى من السوريين كعمال بناء ^(٦) .

(١) Lalouette, op. cit ., p. 258 .

(٢) دليل المتحف المصري - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ،
ص ١٧٤ (٦٢٤٦) .

(٣) Lalouette, op. cit., p. 259 ; Mayani, les Hyksos et le Monde
de la Bible, p. 127 - 128 .

(٤) Lalouette, op. cit., p. 259 .

(٥) Mayani, op. cit ., p. 127 .

(٦) Posener, Syria 18 (1937)p. 183 - 197 ; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd . 1946), p. 430 (3); Petrie, Six temples at Thebes
1, 7 , Breasted, AR 11 (821) .

وهناك منظر فى مقبرة حور محب ، التى عثر عليها فى منف ، نرى فيه كاتباً يسجل عدد الأسرى ويقوم أحد القواد بتنظيمهم ^(١) . ومن هؤلاء الأسرى من كل يعمل كعبد . ولم يكن هناك مصرى واحد عبد . وقد تفاوت عدد العبيد وفقاً لعلاقات مصر بالخارج . وكان الملك يمتلك عدداً كبيراً من العبيد . ولا شك فى أن بعض البارزين منهم كان عرضة للتحرر والتعيين فى فرق المرتزقة وكان البعض الآخر يعين فى وظائف إدارية بعد أن تسند إليهم فى بداية الأمر أعمال الترجمة .

وكان الملك يمنح بعض محاربيه بعض العبيد . وكان امتلاك العبيد دليل على الغنى وكان من المباح بيع وشراء وتأجير العبيد من الجنسين ^(٢) . وهناك نص من العام الخامس من حكم اخناتون عبارة عن عقد بين رجل وامرأة اتفقا بخصوص تأجير عبد ، فالرجل استأذن المرأة فى استخدام العبد لمدة عشرة أيام ودفع لها عشرة وحدات من الفضة كإيجار واعطته المرأة ايضاً بما استلمت من فضة ^(٣) .

وهناك بردية فى المتحف المصرى تخبرنا أن امرأة حضرت أمام المحكمة لأن عامل (شوتى) جاء إليها وقدم لها عبدة آسيوية صغيرة السن . وإنها قبلت هذه العبدة وأعطت العامل فى المقابل كتان وأوانى من النحاس وأشياء أخرى قدرت بوحداث من الفضة . وبعد ذلك شرحت المرأة أمام المحكمة من أين حصلت على كل هذه الأشياء لكى تؤكد أمانتها وفى الوقت نفسه تثبت قانونياً ما لديها . وكانت الطرف الآخر البائع قد أعلن أن المرأة قد حصلت على العبدة نظير بضائع لا يمتلكها فى الحقيقة . واضطرت المحكمة إلى اللجوء إلى سماع شهادة الشهود ^(٤) . وهناك بردية كتبت بالهيراطيقية من القرن الحادى عشرة ق.م موجودة الآن بمتحف اكسفورد يقص علينا نصها قصة أرملة تقدم بها السن وكان لديها ثلاثة عبيد ، فأرادت أن تحررهم

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، شكل ١٤٤ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 95 – 96, 101, 112.

(٣) Allam, op. cit ., p. 18 .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p., 112 .

وأن تتبناهم وتوهب لهم ثروتها بعد وفاتها ^(١) . وهناك نص على تمثال صغير فى متحف اللوفر يشرح الشخص فيه أنه حرر عبد لديه ووهب ميراثا لكى يزوجه ابنة أخيه ^(٢) .

وهناك نص آخر على بردية فى متحف اكسفورد ، يشير إلى أن رجل أراد أن يتزوج إحدى العبيد التى كانت ملكا لأخته التى اعتقها وأعطتها بعض الإرث ^(٣) . وعلى بردية أخرى كتبت بالهيراطيقية من عصر الرعامسة بالمتحف المصرى ، يتحدث نصها عن توثيق بيع مجموعة من العبيد ^(٤) . وفى نهاية حديثنا عن طبقات المجتمع نستطيع أن نقول أنه على الرغم من التباين الظاهر بين طبقات المجتمع المصرى القديم ولكنه تباين غير واقعى أحيانا ، ولم يجبر شخصا على أن يظل أبدا الدهر فى طبقته التى توارثها إذا واثته الفرصة للتغير ^(٥) . ففى العصور التى نمت فيها موارد الدولة وتقدمت معالم حضارتها كانت فى حاجة إلى خدمات الرجال نوى المقدرة والمهارة الذين تعتمد عليهم لمواصلة عملية البناء .

كان الابن يزاوُل مهنة أبيه فى أغلب الأحوال ، وكان من الممكن لأى شاب يمتلك مواهب مناسبة أن يحتل مكانا أرفع مما وصل إليه أبوه ، وقد يصعد إلى أعلى الوظائف . ومن الممكن أن نجد مزارعا أصبح صائغا او خادما أصبح عاملا ماهرا . وكانوا يكافأون بالامتلاكات والوظائف . ومن ثم يتغير وضعهم الاجتماعى .

وهناك الكثير من نصوص الأسرة الثامنة عشرة يفاخر أصحابها بعصاميتهم وبأن الواحد منهم إنما قد بدأ وظيفته " دون أى تأثير من أقاربه " أو أنه " من أسرة

(١) Id., op. cit ., p. 18 , 37 .

(٢) Id., op. cit ., p. 30 .

(٣) Id., op. cit ., p. 30 .

(٤) Id., op. cit ., p. 97 .

(٥) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ،

ص ٥٣ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨١ - ٩٥ .

غير ميسر عليها فى الرزق ، كما أنه لم يكن من أصحاب الجاه فى مدينته^(١) . كما أن العواطف لم تكن تعرف أيض الفرق بين الطبقات . ولم تتردد أميرة من البيت المالك فى الأسرة الخامسة فى أن تتزوج من قزم يدعى سنب كان يعمل فى البلاط الملكى وتتجب من طفلين^(٢) .

وهناك من الأسرة الحادية عشرة من يدعى خنوا اردو ، الذى خدم فى بلاط إحدى زوجات الملك منتوحتب الأول ، وقد حدثنا فى لوحته التى عثر عليها فى دندره ، عن سيدته ، وما كان لها من مركز أدبى ، وكيف أنه كان محل ثقها ، وكيف انها رفعتة إلى طبقة المختارين من رجال القصر بعد أن كان فقيرا معداما وكيف أنه اخلص لها^(٣) . وأنه قد قام بناء على أمرها بتدبير مكتبة ثقافية فى دندرة .

الرعاية الصحية وسن الشيفوخة :

كان هناك بعض الأطباء ملحقين بالمصانع أو محل العمل ، كما يظهر ذلك فى منظر وجد على جدار حجر حاتتوب يمثل طبيبا ملحقا بالمحجر^(٤) . وفى نقوش مقبرة ايبى المعمارى نرى شخصا ربما كان طبيبا يعدل كتفا مخلوعا لعامل . وآخر ينتزع من عين أحد العمال جسما غريبا ، بينما يتألم ثالث من مطرقة وقعت على قدمه^(٥) . وكما ذكرنا من قبل كان يوجد طبيب لمعالجة طبقة العمال فى دير المدينة

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨١ ، ١٥٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٩ ؛ وأيضا :

Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p. 57 .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ شكل ٤٢٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

بالبر الغربى فى طيبة .^(١)

كان المصريون جميعا يتمنون أن يبلغوا سن الشيخوخة . وكان الرجل الذى يحتفظ بمظاهر القوة بفضل العناية بصحته كان يثير إعجاب الجميع . وعندما قيل للملك خوفو أن هناك ساحر يعيش فى عهده يدعى جدى ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا . وان هذا الساحر العجوز يأكل يوميا خمسمائة رغيف من الخبز وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة إناء أو جرة من الجعة فأمر الملك باستدعائه ليقيم بجواره ، ووعد به بأن يطعمه بأفضل أنواع الطعام . واعترف كبير كهنة آمون " رومى روى " بأنه بلغ من الشيخوخة وهو فى خدمة آمون الذى غمره بعطفه .^(٢)

كان عدد الخدم والموظفين كبيرا لدى حكام الأقاليم وقواد الجيش وكبار الكهنة ، وكل من بلغ من هؤلاء الخدم والموظفين سن الشيخوخة كان السيد يلحقهم بوظيفة بسيطة تتناسب وقواهم . وبذلك يكفل لهم العيش والمساوى إلى أن تحين ساعتهم . وكانت البلاد تعنى بالمعمرين فى حياتهم . فعندما وصل سنوهى إلى سن الشيخوخة نسمح له بالعودة إلى مصر وأعد منزلا جديدا ، وكان يؤتى إليه بالطعام من القصر الملكى ثلاث مرات واربعاء كل يوم ، علاوة على ما كان يمدده به دائما أولاد الملك .^(٣)

المشكلات الاجتماعية :

من نماذج المشكلات الاجتماعية الفقر أو البطالة أو سوء الحالة الاقتصادية . فهناك مشكلة البطالة المؤقتة ، وهى أن عامة المزارعين لم يكن لديهم

(١) Valbelle , les Ouvriers de la tombe, p. 127 – 128 .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ص ٤٠٦ – ٤٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة

المصرية ، ص ٣٩٩ .

عمل يشغلهم إبان الفيضان منذ ان تغمر مياه الفيضان أراضيهم حتى تبدأ في الجفاف وتعد للبذر . وفترة فراغ أخرى بعد نمو النبات وجمع الحصاد .

وقد عرف ملوك مصر القديمة كيف يستغلون ذلك الفراغ المؤقت ، في استثمار الأيدي العاملة طوال فترة البطالة المؤقتة وخاصة وقت الفيضان لنقل الأحجار من محاجر طره إلى حافة الصحراء الغربية . وكان العمال يؤجرون على هذه الأعمال ولا يسخرون ، يتناول أجرهم طعاما وكساء ومأوى^(١) . وكان يحدث أحيانا ثورة عامة أو إضراب عام عند تأخير تسليم مقررات التعيين الواجبة للعمال . فهناك بردية ترجع إلى العام التاسع والعشرين من حكم رمسيس الثالث ، تذكر لنا إضراب عمال البر الغربي عدة مرات لتأخير صرف مستحقاتهم الشهرية لمدة شهرين . استمر إضرابهم في إحدى المرات لمدة ثلاث أيام ، خرجوا فيها من قريتهم دير المدينة واعتصموا خلف أحد المعابد ، ثم اتجهوا بعدها إلى معبد الرمسيوم الذي كان مركز الإدارة في المنطقة ويضم مخازن الغلال . وهناك شرحوا أسباب إضرابهم لحراس المعبد وكهنته وقالوا :

" ساقنا إلى هنا الجوع والعطش ، فليس لدينا كساء ولا دهون ولا سمك ولا خضر ، فأخطروا مولانا الملك واكتبوا إلى الوزير المسئول عن حالتنا يعطينا ما يقيم أودنا^(٢) . وفتحت لهم المخازن وصرفت لهم مخصصات شهر سابق ، وتجمعوا عند مركز الشرطة ليطلبوا مخصصات الشهر الذي اضربوا فيه ، فطلب منهم رئيس الشرطة عدم الإخلال بالنظام ووعدهم بان ينضم إلى اعتصامهم في اليوم التالي إذا لك تحقق مطالبهم . وتجراً العمال في إضراب ثالث واستمروا في شكواهم فأرسل إليهم وزير الجنوب من يقول لهم باسمه :

" تقولون لا تهضم حقوقنا ، فهل تظنون اننى عينت لأغتصب وأنهب ؟ ان

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ،

واجبى هو أن أعطى ...فلو كانت اهراء الغلال خاوية فلسوف أرسل إليكم ما
أستطيع أن أدبره " (١).

واشتدت الضائقة المالية بطبقة العمال فى أواخر أيام الأسرة العشرين
وارتفعت أسعار الغلال وبقية الأقوات إلى ثلاثة أمثالها (٢). وتكررت إضرابات
العمال فى غرب طيبة وحدث أن عطف عليهم عمدة البر الغربى فصرف لهم خمسين
غرارة من الحبوب من مخازن معبد الرمسيوم حتى يتعيشوا بها إلى أن يصرف لهم
مخصصاتهم من ثون الملك .

وبالإضافة إلى حالة إضراب العمال فهناك حالات تدمر فردية من أوضاع
الظلم . مثل ما جاء على بردية القروى الفصيح الذى لم يخضع لظلم تعرض له أصر
على أسمع صوته إلى مسئول القصر الملكى حتى نال حقه (٣) . وكان الملك يتدخل
بنفسه لرفع هذا الظلم واصلاح الفساد ويسن مجموعة من القوانين الرادعة . فمثلا
اصدر الملك حور محب مجموعة من القوانين لمحاربة الفساد الذى ساد بين طبقة
الموظفين ولرفع ما يقع على صغار المزارعين من ظلم واستغلال والاستيلاء على ما
يخصهم . وإذا نظرنا إلى هذه التشريعات نجد أن بنودها واضحة فيما يخص محاربة

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ؛ تاريخ مصر القديمة
وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣١٢ -
٣١٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ :
الحضارة المصرية ، ص ٩٠ - ٩١ ؛ د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن
الداخلى فى مصر القديمة ، ص ١٩٩ - ٢٠٩ .

(٢) هناك وثيقة تبين ارتفاع السعار فى طيبة فى بداية الأسرة الثامنة عشرة ،
راجع :

Drioton, BSFE 12 (Fevrier 1953) , p. 12 - 18 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٩٤ ؛ بيير مونتييه :
الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ،
ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

هذا الفساد فنجد في :

القسم الرابع : العقوبات التي يتعرض لها الموظفون الملحقين بمكتب قرابين الملك الذين كانوا يذهبون إلى القرى لأخذ نبات " كث " (نبات مقدس) ويجعلون العبيد الذين يعملون عند بعض الخاصة يعملون لصالحهم دون رضا سادتهم .

القسم الخامس : خاص بمعاقبة الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للاستيلاء على جلود الحيوانات دون وجه حق .

القسم السادس : خاص بمعاقبة موظفي الضرائب الذين يتلاعبون بالمخصصات المستحقة على بعض الفلاحين .

القسم السابع : خاص بمعاقبة الموظفين الذين يأخذون من الفلاحين نبات " سم " والذي كان ضروريا لعمل الجعة بحجة انه يؤخذ من أجل ضرائب الملك .

القسم الثامن : يتناول العقوبات التي تقع على بعض الموظفين لأخذهم بعض الحبوب أو الخضروات من الفلاحين دون وجه حق باسم الملك .^(١)

ثانيا : الأسرة :

كانت الأسرة عماد المجتمع في مصر القديمة ، وكان الزواج من أهم العوامل التي تقوم عليها سلامة بناء المجتمع المصري والترابط الاجتماعي ، واعتقد المصريون القدماء أن الزواج المبكر فيه حماية للشباب ، وأنه خير حل لمشاكل المراهقة وما ينتج عنها من عقد وانحرافات في المجتمع . ولهذا حثت الحكمة والتعاليم الشباب على الزواج المبكر وتكوين أسرة^(٢) فتكوين الأسرة عند المصريين القدماء كان أمرا بالغ الأهمية وكان لابد من المحافظة على تماسكها وعدم تفككها . وكما حثت

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٣٧ (٤-٨) .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٣ ؛ د. أحمد

بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ١١٨ .

عن الأسرة ، راجع : p. , Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I , 501 - 504.

التعاليم على الزواج المبكر فإنها حثت أيضا على الاستقامة والبعد عن الإثم والخطيئة ففقيها إساءة إلى المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان وهو أمر يخالف آداب السلوك التى يجب ان يتحلى بها المصرى داخل مجتمعه .

وكانت الأسرة تتكون من الأب والأم والأولاد والأخوة والأخوات والأقارب والأصهار والخدم والجميع الأفراد الذين يعاونون رب الأسرة فى إدارة شئون ضياعه إذا كان من طبقة الأثرياء او على جانب من الثراء .

الزواج :

إذا ما كبر الشاب واشتد عوده ، وكان له مصدر رزق يقات منه ، فكان أول ما يفكر فيه هو الزواج . وكان الزواج يتم فى سن مبكرة فالفتاة كانت تتزوج ابتداء من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ^(١) . أما الفتى فكان يتزوج عادة ابتداء من سن الخامسة عشر . ويذكر د. علام أن الزواج فى العصر البطلمى كان فى سن العشرين . ونعرف من نص العصر البطلمى أن هناك فتاة تزوجت وهى فى سن الرابعة عشرة ^(٢) . وهذا السن المبكر للزواج كان معروفا أيضا فى العصر الرومانى . وربما كان هذا التقليد سائدا كذلك فى العصور السابقة على العصر اليونانى - الرومانى ، لأن النصوص من قبل هذه الفترة لم تذكر لنا السن الفعلية الذى كان يتزوج فيها المصريون ^(٣) . وكان الغرض من الزواج المبكر هو ان ينجب

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٠٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٦ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985), p. 33 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

الشباب ابنا يقوم على تربيته ورعايته وهو في سن الشباب . ويقول الحكيم أنسى من الأسرة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين في تعاليمه لأبنه :

" اتخذ لك زوجة وأنت في شبابك حتى تتجب لك ابنا وأنت شاب علمه ليصبح رجلا ، فما أسعد الإنسان الذي يكثر أهله ويحييه الناس باحترام بسبب أولاده " (١) . ويقول عنخ شاشنقى من عام ١٠٠ ق.م (العصر البطلمى) فى نصائحه لأبنه : " من أفضل النعم زوجة حكيمة " .

" لا تهجر امرأة فى دارك لأنها عقيم :

" تخير زوجا عاقلا لأبنتك ، ولا تتخير لها زوجا ثريا " . (٢)

الشروط الصحية للزواج :

كان الزواج بين أفراد الأسرة الواحدة معروفا فى العصور المتأخرة . ولكن الزواج بين الأخ والأخت بالمعنى المفهوم فلم يكن معروفا فى تاريخ مصر القديم ولا حتى فى العصر البطلمى ، ولكن بالنسبة للقب أخ وأخت الذى أوردته بعض النصوص بين الزوجين ، فهو يعبر عن الترابط الأسرى وقوة العلاقة بين الزوجين . (٣)

وقد رأى بعض الرحالة اليونان أولا وتبعهم كثيرون من علماء الدراسات المصرية القديمة بعد ذلك ، أن الزواج بين الأخوة كان معروفا أو مباحا فى مصر القديمة . إذ يوجد ملوك تزوجا من أخواتهم أو بناتهم أيضا ، ولكن هذا أمر مشكوك فيه إلى حد كبير ، ولم نعثر فى النصوص حتى الآن على نص واحد يذكر أن شخصا

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ ، ٤٤٤ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص

٣٥٤ - ٣٥٥ ، ص ٢٦٧ حاشية (٥٢) .

Allam, op. cit ., p. 33 - 38 .

(٣)

مصريا واحدا من الطبقة العليا أو من الوسطى أو من الدنيا قد تزوج أخته من أمه وأبيه . ولم يكن هناك قانون يسمح لمن يشاء بالزواج من أخته . وعندما سأل قمبيز القضاة الملكيون إذا كان هناك قانون يسمح لأي شخص بأن يتزوج من أخته ، أجابوه بأنه لا يوجد قانون يسمح بذلك في مصر ، ولكن يوجد قانون آخر يعطى الملك الحق في أن يفعل ما يشاء ^(١) . ولاشك في أنهم أدركوا مدى خطورة زواج الأخ من أخته على عامل الوراثة .

كان الزواج في مصر القديمة يتم بمجرد البلوغ . وكما حثت الحكم والتعاليم الشباب على الزواج وتكوين أسرة ، حثته كذلك على البعد عن الإثم والفجور ، لما في هذا من حماية للشباب والمحافظة على صحته . وكانت تجرى عملية الختان للذكور بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم في المعابد . وكانت تمارس أيضا بالنسبة للملوك والكهنة وكل من يقوم بأية طقوس دينية .

ونرى في مقبرة عنخ - ما - حور بسقارة من عصر الأسرة السادسة ، الكاهن المختن ، وهو يقوم بعملية الختان بآلة مستطيلة . وهناك منظر آخر لعملية الختان في معبد آمون بالكرنك وكانت تمارس بآلة أشبه بمشرط . ويذكر هيرودوت أن المصريين القدماء كانوا أول من عرف الختان من شعوب الشرق القديم ^(٢) ، ويرى سترابون أن الختان كان يزاوَل أيضا بالنسبة للإناث ^(٣) ولكن لا يوجد أى دليل على ذلك .

ومن نصوص عقود الزواج نعرف أن ما يعرف بالفوارق بين الطبقات لم

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 587 .

د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ١٣٩ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ، شكل

(٦) Pillet, les Scènes de naissance et de circoncision, dans ASAE 52 (1952), p. 77 .

يكن له أثر كبير في التفرقة بين الرجل والمرأة . ولا يشترط لأتمام الزواج أن يكون الشاب في المستوى الاجتماعي نفسه للفتاة . فقد تتزوج الفتاة أحد اتباع ولي أمرها إذا أعجبه وأعجبها ، مثل القزم الذي تزوج من أميرة في عصر الأسرة الخامسة ، أو يتزوج الفتى خادمة تعمل في أسرته إذا وجدها تروق له ^(١) . وهناك وثيقة تخبرنا أن الزوج كان مجرد جندي بسيط بينما عروسه كانت على درجة كبيرة من الثراء وجلبت له إرثا كبيرا في المنزل ^(٢) .

ولكن كان يأخذ في الاعتبار أحيانا صغر سن الشاب المتقدم للزواج ودرجة ثقافته وأن كان يحتل وظيفة مرموقة أو يمتلك ثروة ، أو من عائلة ذات اسم معروف ومشهور . فهناك وثيقة من القرن السادس عشر أو الخامس عشر ق.م . تشير إلى زواج ضابط كان حاصلا على شهادة دراسية ^(٣) .

كان هناك الزواج الدائم المستقر الذي يكتفى فيه الزوج بالزواج من زوجة واحدة شرعية ، لأن العادات والتقاليد والظروف الاقتصادية كانت تحتم عليه الاكتفاء بزوجة واحدة ^(٤) . ولكن تعدد الزوجات كان مباحا عند الملوك وبقية أفراد الطبقة العليا وكان له ما يبرره ، ولكنه نادرا عند أفراد الطبقة الدنيا . ولدينا عدة أمثلة عن تعدد الزوجات فمن الأسرة السادسة هناك الأمير مري رع الذي تصوره النقوش محاطا بست زوجات . وتذكر لنا النصوص أن أحد نبلاء الدولة الوسطى ويدعى امينى كانت له زوجتان ، كانتا تعيشان في ونام ومحبة ، حتى أن الأولى قد أنجبت ثلاث بنات وولد واحد ، وأنجبت الثانية ولدين وخمس بنات ، واسمت الأولى بناتها باسم ضررتها وسمت الثانية بناتها باسم ضررتها أيضا ^(٥) .

(١) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) Allam , op . cit . , p. 33 .

(٣) Id., op . cit . , p. 30 .

(٤) Id., op. cit . , p. 27 .

(٥) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ د. أحمد بدوي -

د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

ونعلم من بردية سرقات المقابر من نهاية عصر الرعامسة ان أحد الأشخاص الذى اشترك فى نهب المقابر كانت له أربع زوجات ، اثنتان كانتا على قيد الحياة حينما كانت قضيته معروضة أمام المحكمة وكانتا على وفاق تام ^(١) . ومن أسباب تعدد الزوجات هو أن تكون الزوجة عاقرا ، فهذه زوجة عاقر تطلب من زوجها الزواج عليها ، وتلك تلعن ضرائرها ، وثالثة تفضل لزوجها أن يتزوج عليها ، بدلا من أن يغرق فى علاقات غير مشروعة مع نساء أخريات ، يتفق عليهن فى بذخ ، ويجلب لها ولأولادها العار .

وجاء فى نص آخر أن عجوز ينست من عقمها فأشارت على زوجها ان يتزوج من جارتها ابتغاء الأنجاب ، فأطاعها الزوج وتزوج من الجارة فأنجبت له البنين والبنات وقرت عينه بهم ، وتقبلت الزوجة العجوز الأمر الواقع وتبنست أبناء جارتها ، وخصصت لهم جزءا من ثروتها المتواضعة ، وزوجت بنتا منهم وتكلفت بكل شئ ^(٢) .

وهناك نص كتب بالديموطيقية على اوستراكا محفوظة فى ستراسبورج (مؤرخة من العصر البلطمي) يقص علينا أن شخص كان يعمل مربيا للوز وقع عقدا للزواج من فتاة لمدة تسعة أشهر ، وفى مقابل ذلك قدم إليها كمية من المال ، واشترط عليها أنها ستفقد هذا المال إذ هى طلقته قبل هذا التاريخ المتفق عليها ^(٣) . وكان الزواج بين رجل حر وإحدى العبيد كان مباحا ، فهناك نص على بردية فى متحف اكسفورد يقص علينا ان رجل حر أراد أن يتزوج من إحدى العبيد التى كانت تمتلكها أخته . فاضطرت الأخت إلى عتق العبد ووهبته إياها مع بعض الإرث ^(٤) .

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٧٢ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥ ، ٢٠ .

(٣) Allam , op. cit ., p. 36 .

(٤) Id., op. cit ., p. 30 , 34 .

وترجع هذه البردية إلى القرن الحادى عشر ق.م .

ويمكن ان يتزوج مصرية من عبد عتقه ، فهناك نص على تمثال صغير فى متحف اللوفر ينص علينا ان شخص أراد أن يزوج ابنة أخيه من أحد عبيه ، فأعتقه أولاً ثم وهبه بعد ذلك ميراثاً ^(١) . كما كان من حق المصرى ان يتزوج من أجنبية ، ومن أسيوية أو نوبية ، ففى بردية فى متحف تورينو ، نجد نص بهذا المعنى ^(٢) . كما كان يمكن للمصرية ان يتزوج من أجنبى ، فهناك لوحة فى متحف برلين صور عليها أحد المرتزقة الأسيويين ومعه زوجته المصرية ^(٣) .

خطوات الزواج ومراسيمه :

كان الزواج يتم بناء على رغبة متبادلة بين الفتى والفتاة ، وقد وصلت إلينا من عصر الدولة الحديثة ، مجموعة من أرق الأشعار الغزلية التى تفيض عذوبة ^(٤) . والتى نلمس فيها حبا تشع فيه العفة والحنان ، وهى مجموعة من الأغاني الغرامية المدونة على أوراق البردى المحفوظة فى متحف لندن وتورينو . وكان الشاب يخاطب فيها حبيبته بلفظ " اختى " وهى تخاطبه باللفظ نفسه " أخى " ^(٥) . وهناك أيضا الأغنيات التى يغنيها رجل وهو يضرب على إحدى الآلات الموسيقية ثم ترد عليه حبيبته وقد أخذتايتاجيان فى رقة وعفة وهى تقول له يا أخى وهو يناديها يا اختى ، ويقص كل منها للآخر ما يحمل فى نفسه من شوق وحنان حتى يحين موعد الزواج .

وكل ذلك يبين أن الشاب كان يتمتع بحرية كبيرة فى اختيار شريكه حياته .

(١) Id ., op . cit ., p. 30 .

(٢) Id ., op . cit ., p. 30 .

(٣) Id ., op . cit ., p. 34 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ؛ بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

وقد يتقابل المحبان ويتفاهما ، ولكن كلمات الارتباط لم ينطقا بها وبعد ذلك يذهب الشاب إلى منزل الفتاة ليطلب يدها ، واخذ رأى أبيها . وكانت هذه الخطوة من التقاليد المتفق عليها في العائلات المصرية . وفي حالة عدم وجود الأب ، فيمكن لعم الفتاة أو أمها بالتبني ان تحل محل الأب . وبعد ذلك يأتي دور والدي الشاب اللذين يباركان هذه العلاقة وهذا الارتباط ويتفق الآباء على عقد الزواج . وفي كثير من الحالات كان الآباء أو كبار السن في العائلتين هم الذين يقررون ميعاد عقد القران .^(١)

وكان من حق الفتاة الحصول على هدايا الخطوبة قبل الزواج ، وهدايا الزواج بعد ذلك فهدية الخطوبة عبارة عن سوار من الذهب أو الفضة . وهي التي تذكرها بعض الوثائق تحت اسم " هدية البكارة " .^(٢) وبعد ذلك يتم الاتفاق على تحديد يوم الزفاف وانتقال العروس من بيت أبيها إلى بيت خطيبها ، كل على العروسين وأقاربهما والشهود ان يتواجد أمام موظف حكومي لقيد أسماءهما مع تسجيل عقد الزواج ، وبعد أن يتم الكاتب مهمته يذهب العروسان وأقاربهم إلى معبد المعبود المحلي حيث يقومون بتقديم القرابين وتلقى البركة من كهنة المعبد . مما يسبغ على الزواج صبغة دينية ، ويبدوا أن مراسيم عقد الزواج إنما كانت تتم في المعبد بحضور أقرباء العروسين . وفي عصر الدولة الحديثة كان الزواج تتم مراسيمه عن طريق كاهن آمون^(٣) وتشير قصة خع أن واست من العصر البطلمي والتي كتبت بالديموطيقية إلى أنه كان من المتبع عقد حفل للزواج^(٤) . وبعد هذه الاحتفالات يعود العروسان إلى منزلهما . إما أن يكون منزلا قد أسسه الزوج نفسه . أو يكون منزلا

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) Allam , op. cit ., p. 36 .

(٣) د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٧ .

(٤) Allam , op. cit ., p. 29 .

وقد سجل الملك أمنحتب الثالث احتفالات زواجه من الملكة تي على جدارين كبيرة الحجم ، راجع : Fraser, PSBA 21 (1899) , p. 155 - 156 .

للزوجة بناء لها والديها أو أنها هي التي شيدته بنفسها أى على نفقتها^(١) . وبالمتحف المصرى صندوق من الخشب الملون لجهاز عروس عثر عليه فى كوم اوشيم (كارنس القديمة) من أواخر القرن الثالث الميلادى .^(٢) كما يوجد بالمتحف سلة تحتوى على أدوات زينة لامرأة ، ضمنها إبرة فى صندوق من البردى وخيوط ومشطان ومكاحل ومرآود . والكحل الموجودة من مادة سلفات الرصاص .^(٣)

عقود الزواج وأهم بنودها :

يكاد مركز المرأة يرقى إلى ما تتمتع به فى الوقت الحالى . ولعل شعبا قديما آخر لم يكرم المرأة ويرفع من شأنها مثلما فعل المصريون القدماء . وفى شئ من الضيق يروى ديودور الصقلى ، وهو يونانى عاش فى النصف الأخير من القرن الأول الميلادى ، بأن الرجل على ضفاف النيل هو الذى يفرض عليه عقد الزواج الطاعة لزوجته . وكان من رأى ديودور أن المرأة هي التى كانت تطلب يد الرجل وتعرض الزواج منه فى بعض الأحيان . ولقد استببت الدهشة بالرحالة اليونانيين من هذا الوضع فقد دأبو على مشاهدة ربط نسائهم بحبل قصير وجرهن وراءهم^(٤) . وصلت إلينا وثائق عديدة عن الزواج ترجع إلى العصر المتأخر (من القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع ق.م) ، وهذه الوثائق عبارة عن عقود زواج كتبت بالخط الهيراطيقى المختصر أو غير العادى . وعثر على بردية هي عقد زواج فى جزيرة الفنتين من عصر الملك نختنبو الثانى (٣٥٩ - ٣٤١ ق.م) وهذه البردية بالمتحف المصرى الآن .^(٥) كما عثر فى الفنتين على عقد زواج كتب باليونانية ويرجع إلى عام ٣١١ - ٣١٠ ق.م وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى^(٦) ويوجد بالمتحف نفسه عقد زواج يرجع تاريخه إلى عام ٢٣١ ق.م بين

- (١) Allam, op. cit., p. 35 .
 (٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٦٣ (٦١٧٩) .
 (٣) المرجع السابق ، ص ١٧٣ (٦٢٣٢) .
 (٤) د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة (ترجمة شاكر إبراهيم) ص ٨٥ .
 عن الزواج والانفصال ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 340 - 345 .
 Farid, MDAIK 46 (1990), p. 251 - 261 .
 (٥) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٧ (١) .
 (٦)

راجع بنود عقد الزواج المسجل على بردية بالمتحف المصرى من العصر

البطلمى قام بترجمتها : Allam, RdE 35 (1985), p. 1 - 21

ايمحوتب وتاحتر^(١)، ولنا أن نعتقد أن مثل هذه العقود كانت معروفة أيضا في العصور السابقة على هذه القرون ، وأن العقد الذى وصل من القرن الرابع (أو الثالث ق.م) إنما هو صيغة متطورة من عقود حررت قبل ذلك من عصور سابقة ، ويرى بعض العلماء أن أقدم وثيقة للزواج ترجع إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين وترجع أقدم وثيقة للانفصال إلى الأسرة السادسة والعشرين^(٢) أما بخصوص نماذج عقود الزواج فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

- (١) عقود يذكر فيها تقديم المهر فى بداية الوثيقة .
 - (٢) عقود تدل على حصول الزوج على قيمة من المال من الزواج بمناسبة عقد الزواج .
 - (٣) عقود تسمى وثائق الإعاشة أو الإعالة والتي تضمن للزوجة حصولها على حقوقها فى الغذاء والرعاية .
- وما جاء فى هذه الوثائق من بنود يدل على مدى المحافظة على حقوق المرأة وحمايتها^(٣) . والعقد مقسم إلى أكثر من عشرين بندا هي :

١ - التاريخ :

ويبدأ العقد عادة بتاريخ تحرير عقد الزواج ويشمل سنة حكم الملك الحاكم الذى تم فى عصره هذا العقد ويتم أولا ذكر : اسم الشهر ، اسم الفصل ، السنة ، اليوم ، اسم الملك الحاكم . وفى العصر البطلمي كان يكتب أسماء الكهنة البطالمة على النحو التالى :

- أ - كاهن الإسكندر الأكبر .
- ب - كاهنة ارسينوى فيلادلفوس حاملة السلة الذهبية .
- ج - كاهنة برتيقيا يورجيتيس الأول حاملة وسام الشجاعة .
- د - كاهنة ارسينوى فيلو باتور .

٢ - الإعلان أو الإشهار :

عن طريق فعل " جد " أى " يقول ، يتحدث ، يعلن ، يشهد " .

(١) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٦٤ (٢٥٠٦) .

(٢) Seidl , Einführung in die agyptische Rechts geschichte bis zum Ende des Neun Reichs AF 10, 1951 , p. 56;

عن عقود الزواج راجع مؤلف لولدكنز الذى ظهر عام ١٩٦٠ luddeckens , Agyptische Eheverträge, AA I, Wiesbaden 1960.

Allam , op. cit ., p. 29 .

٣ - طرفى العقد :

 الزوج : يذكر اسمه واسم أبيه واسم أمه وأصله وإن كان مصرياً
 أم أجنبياً أو لود فى مصر من جنسيات أو عائلات ليست من أصل مصرى ، مثل إذا كان
 من أصل نوبى أو سورى أو آسيوى أو فارسى أو اغريقى ، ثم يذكر بعد ذلك وظيفته .
 الزوجة : يذكر اسمها ، واسم أبيها واسم أمها .

٤ - بند الزواج :

 هناك أكثر من طريقة للتعبير عن هذا البند يقول : " لقد اتخذتك
 زوجة ، وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وكل ما تلدينهم من أطفال هم أطفال
 لى ... ولن يكون فى مقدورى ان أسلب منهم أى شئ مطلقاً لأعطيه لابن
 آخر ، أو إلى أى شخص فى الدنيا .

٥ - بند المهر أو هدية الزوج :

 وهى هبة يعطيها الزوج لزوجته . وهى هدية نقدية
 أى وزن من الذهب وتكون مصحوبة أحياناً بكميات من الحبوب . ومع مرور الوقت
 أصبحت مثل هذه الهدية صورية أى ان الزوجة لا تحصل عليها إلا فى حالة الانفصال
 وتعتبر مساعدة مادية لها .^(١)

٦ - بند المعيشة :

 وسأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك
 كل عام . وستضمنين طعامك وشرابك الذى سأخصصه لك شهرياً وسنوياً . وسأعطيه لك
 أينما أردت ، وإذا تركتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة . وإذا اتخذت لك ضرة
 أعطيك مائة قطعة من الفضة .^(٢)

٧ - بند الضمان :

 أى يمنح الزوج زوجته سلطة كاملة وتفويض وتوكيل شامل فى كل
 ما يخص حقوقها كزوجة مع توفير الطعام والكساء لها ويقول أبى " تناولى عقد الزواج
 من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ، إنى موافق على ذلك " . ويوقع الزوج ويقر بأن
 سوف يعمل بكل كلمة جاءت فى هذا العقد ، وأنه موافق على كل بنود
 العقد .

٨ - بند الانفصال :

الاول : ويذكر فيه . أسباب الانفصال فيقول الزوج : " إذا طلقتك وكرهتك وأحببت امرأة أخرى فأنتى سأدفع لك أوزان من الذهب أو الفضة المتفق عليها بالإضافة إلى المهر المذكور أعلاه أما إذا كان الانفصال من جانب الزوجة فيقول الزوج :

الثاني : ويذكر فيه للزوجة " إذا كنت أنت التى ترغبين فى الرحيل أو ترك المنزل أى أنت التى تطلقيننى أى تهجرينى كزوج . فلك الحرية فى الانفصال " ويقول الزوج فى إحدى الوثائق : " لقد طلقتك كزوجة وأنتى مبتعد عنك طبقا لقانون الزواج أنه أنا الذى قال لك اتخذى لنفسك زوجا . وليس الا أى ادعاءات قانونية على الأرض ضدك بصفتك زوجة من اليوم فصاعدا مع الالتزام وبدون تقاضى وبدون أى خداع .^(١)

٩ - بند حماية الأولاد :

----- إذا كان الانفصال من جانب الرجل فإنه يعطى الزوجة باسم الأطفال الصغار (أو الذين سيولدون فى المستقبل أى إذ ترك زوجته حاملا) كل ما يملك من أوزان ذهب وفضة ومواد وموارد غذائية وأموال أخرى يكون قد حصل عليها أثناء زواجه . وفى هذه الحالة لا تكون الزوجة مالكة لهذه الأملاك ولكن تعتبر مديرة أو مشرفة أو وصية عليها لصالح الأولاد . وبالنسبة للأولاد يتعهد الزوج بين الأولاد المولودين له من صلبه هم سادة كل شئ يمتلكه وكذلك كل ممتلكات الأم والأب . ويقرر بأن ابنه الأكبر هو سيد كل شئ يملكه وكل شئ سوف يمتلكه من قطعة أرض زراعية أو منزل . ويقول : " ابنك الأكبر ابنى بين الأولاد الذين سوف تتجيبهن لى . والأولاد الذين ستلدنهم لى سادة كل شئ . وكان هناك ثلاث صيغ مختلفة لتوفير أسباب العيشة الكريمة للأولاد .

١٠ - بند القسم :

----- أى يقسم بأنه لن يقوم بأى إدعاء ضدها ويقول : " لن أتمكن من تأدية قسمى ضدك أمام المعبود أو أمام الفرعون ابتداء من هذا اليوم وما بعده " أو " القسم الذى سيؤديه شخص ضدك أو ضدى فى المحكمة لكى تؤديه أنت أو أوديه أنا بسبب قانونية كل الكلمات المذكورة أعلاه " .

(١) - Reich , A Demotic Divorce , MIZRAIMI (1933) p. 135

١١- بعد الأشياء والممتلكات التي تحضرها الزوجة إلى منزل الزوجية :

كان

يدخل ضمن ممتلكات الزوجة الأثاث من أسرة ومقاعد ومرايا ، وكذلك ملابسها وحليها من الذهب ، وهذا بالإضافة إلى المقتنيات الأخرى مثل الأواني النحاسية الخاصة بالمطبخ ، وأدوات الزينة والحلى من الذهب أو الفضة وأحجار كريمة ، أو أوزان من الذهب أو الفضة ، أدوات زراعية ، آلات موسيقية ، أو حيوان مستأنس (القطط) ، وهى أشياء كانت الزوجة تحضرها معها من منزل والديها ، ويمكن للزوج ان يستخدمها ولكن تبقى طوال فترة الزواج من ممتلكاتها . ولا بد أن تدرج مثل هذه الأشياء فى قائمة ويذكر فى نهايتها الثمن الإجمالى لهذه الأشياء أما أحضرت الزوجة معها كمية من الحبوب فأنها لا تدرج فى هذه القائمة .^(١)

١٢- الممتلكات المشتركة :

فكما للزوجة ممتلكات ، كان للزوج أيضا بعض الممتلكات التى كان يشتريها أو يديرها بنفسه ، وكانت هذه الممتلكات مشتركة بينهما . وكان الزوج يأتى بالثلثين ، والزوجة بالثلث الباقي (من مساعدة من الوالدين فى حياتهما أو من ميراث ورثته من والديها بعد مماتهما) . وقد يكون للزوجة ملكية خاصة ورثتها من زوج سابق ، فمن حق الزوج الثانى أن يشاركها فيها . فإذا توفى أحدهما كان من حق الآخر الانتفاع بنصيب المتوفى وإذا تزوج الرجل من امرأة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى ، عليه أن يخصص ثلثى الأموال التى كان يشارك فيها زوجته لأولاده من زوجته الأولى وأن يستبقى لنفسه الثلث الباقي . كما كان من حق الزوجة ثلث هذه الأموال إذا توفى زوجها والثلثين الباقيين لأولادهما من زوجها .^(٢)

١٣- ممتلكات الوالدين :

وهى ممتلكات كان يرثها الزوج من والديه ويحضرها إلى منزل الزوجية وكان من حق الزوجة أن ترث هى وأولادها من هذه الثروة .^(٣)

(١) عن الممتلكات الزوجية فى مصر القديمة راجع مؤلف بستان الذى ظهر عام ١٩٦١ .
Allam, op. cit ., p. 42

Pestman, Marriage and Matrimonial Property in Ancient Egypt,
Leiden , p. 196.

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧-٨ حاشية (٣) ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
Allam , op. cit ., p. 43 .

Allam , op. cit ., p. 44 .

(٣)

١٤ - بند النقدية اللازمة لتصبح الفتاة زوجة :

وهي عبارة عن مدفوعات نقدية تدفعها الزوجة لزوجها ، وهي غير محددة وهذا يعنى أن الزوجة كانت تحضر إلى منزل زوجها ومعها قدر من المال أى الفضة .^(١)

١٥ - بند الرهن :

أى كل ما يمتلكه الزوج وما سيمتلكه هو موضع رهن لصالح الزوجة .

١٦ - بند التعويض فى حالة الانفصال وتحدد قيمة من المال تسمى " نفقة " :

فى حالة الانفصال من جانب الزوج أو الزوجة تمنح الأخيرة التعويض الذى تريده . وفى حالة عدم إنجاب الزوجة فإنها تمنح تعويض بسيط وهى قيمة غير محدودة أيضا ، وجاء ذكرها فى العديد من وثائق الزواج ، وهى تعطى للزوج بواسطة زوجته أو بواسطة أبيها ، ويقوم الزوج باستثمارها أثناء الزواج ، ولكن إذا حدث انفصال فمن حق الزوجة أن تستردها . وفى عقد زواج موجود الآن فى متحف اللوفر يعرب الزوج عن غرضه فى إلغاء الوثيقة التى حررها لزوجته منذ سبع سنوات مضت ، ويبدو أن زوجته قد توفيت فأراد إدخال تعديل بعض الممتلكات وأراد أن يثبت حقوقه فى ثروة زوجته وميراث أولاده .^(٢)

١٧ - بند التأمين ضد الادعاءات غير القانونية :

فقد يدعى شخص ما أحقية ملكيته للاستيلاء على الأرض أو ممتلكات الزوجة ، فيقول الزوج : " لن يستطيع أى إنسان على الأرض وكذلك أنا أن يتصرف فى الأرض غيرك . والشخص الذى سيأتى إليك بخصوصها فإننى سوف أبعده عنك فأنت تمتلكين كل الوثائق التى حررها الرجل لصالحك . والمقصود هنا ممتلكات الزوج .

١٨ - بند تأمين الزوجة من ناحية الوثائق القانونية :

ويقال للزوجة انتى تمتلكين كل الوثائق التى حررها الزوج بخصوصك والمقصود هنا - بممتلكات الزوج

Id., op. cit., p. 41

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨ ؛

Id., op. cit., p. 47.

(٢)

١٩- الوعد الفخامى بإعطائنا وثيقة بما دفعته :

ويقال للزوجة " وسوف أحرر

لك وثيقة محدد فيها ما قمت بدفعه وما هو مذكور عليه .

٢٠- كاتب العقد :

يحرر هذا العقد كاتب رسمى يقوم بكتابة اسمه واسم أبيه ..

٢١- الشهود :

يقوم كل شاهد أو شاهدة بذكر اسمه واسم أبيه ومهنته وأحيانا لقبه . وكان يشهد على العقد ستة عشر شاهدا من رجال القرية أو الحى . وتسجل أسمائهم يتلوها أسماء آبائهم وأمهاتهم مع ذكر وظائفهم ومهنتهم . وهناك ما يشير إلى أن ولى أمر العروس كان ينوب عنها فى التوقيع على العقد حتى القرن السابع ق. م . ثم أباح القانون بعد ذلك أن تحضر كتابة العقد بنفسها .^(١)

ويوقع الشاهد تحت كلمة " سا " أى " الحافظ أو الراعى " لهذه البنود وكان عددهم يتراوح بين ثلاثة وستة وثلاثون . وأصبح عددهم فى العصر البطلمى ستة عشر . وبعد التوقيعات يحفظ عقد الزواج فى الأرشيف تحت مسئولية مشرف عام على السجلات الرسمية للدولة .^(٢)

الحياة الزوجية :

العلاقات الزوجية :

بعد مراسيم الزواج وعقد القران ، وتبدأ الحياة الزوجية ويسكن الرجل إلى زوجه فى المنزل ، ويسدهما جو من الود وعواطف الحب . كما كان يسود الحياة العائلية عدة فضائل . وكان المصريون احرص الناس على إقامة علاقات زوجية ناجحة وموفقة ، فحرص كل مصرى على إسعاد زوجته ومعاملتهم بالحسنى ورعايتها والمحافظة عليها . فأغلب المصريات كن زوجات مثاليات صالحات ، وأمهات طيبات . وعرفت الزوجة المصرية بالطاعة وحسن العشر والوفاء والحنو الصادق والبر الخالص والسيرة الطيبة الحسنة ، فهى تبذل كل ما فى

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٦ .

EL Amir, A Family Archiv From Thebes, p. 50.

(٢)

وسعها لرعاية زوجها وتدبير شئون حياته ^(١) . وأكثر المصريين كانوا أزواج أوفياء ذوى طبيعة خيرة ، وكان الزوج لا يتوانى فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل إسعاد قلب زوجته وإدخال السرور عليها بكل ما هو طيب ، وكان يحرص على توفير سبل الراحة المادية والمعنوية لها . وكان يمنحها الحرية لأنه كان يثق بها ، فهمى تروح وتغدو كما تريد ، فلم يمنع المصرى زوجته من ان تخرج او تتحدث مع من تشاء وتفعل ما تريد ، ولكن كل ذلك فى حدود آداب السلوك المعترف بها وعدم إخلالها بواجباتها الزوجية .

وقد حثت الصيغ والنصوص التى جاءت فى بعض التعاليم على أهمية المحافظة على العلاقات القوية التى تربط بين الزوجين ودور الزوج نحو زوجته . وتشير تعاليم بتاح حتب من الأسرة الخامسة إلى مسئوليات الرجل الأسرية وواجباته نحو زوجته . وفى سياق حديثه صور لولده سبل الاستقرار فى الأسرة قائلا له :

" إذا أصبحت رجلا معروفا ، فتزوج ، وأحبب زوجتك كما يليق بها ، قدم لها الطعام واستر ظهرها بالملابس فأفضل دواء لأعضائها هو العطر الطيب ، اسعد قلبها ما حييت ، إنها حقل خصب لولى أمرها ولا تتهمها عن سوء ظن ، وامتنحسها يقل شرها ، فإن نفرت راقبها ، واستمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك ، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى منزلها " ^(٢) .

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٢٢ . وتطلق بعض النصوص على الزوجة لفظ " حبسيت " أى لبست أى لباس (راجع : د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٥٦) مصدقا لقوله تعالى فى سورة البقرة : آية ١٨٧ " هن لباس لكم وانتم لباس لهن " .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 391 .
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ظن مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٣٥٩ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٣ - ٤٣٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨-٩ .

يفهم من كلمات بتاح حتب أنه كان خبيراً بطبائع النفوس ، فالزوج مكلف بأن يطعم زوجته ويكسوها ، وقد بلغ الحكيم الذروة في فلسفة الحياة ، عندما قال له :
 " أنها حقل خصب لولى أمرها ^(١) . أى ان العلاقة الطيبة تؤتى بثمارها وتعود بالخير على صاحبها وتأكيد عاطفة الحب بالبراهين العملية عن طريق تقديم أحسن الطعام وأفخر الثياب وأفضل العطور وسائر ما تحتاج إليه . ^(٢) ويؤكد أنى هذه المعانى عندما يقول لأبنه : " كن كريماً مع من فى منزلك " . ^(٣)

" لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلك إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ولا تسألها عن شئ أين وضعه ؟ احضره لى ، إذا كانت قد وضعت فى مكانه المعهود . لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها ، يالها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها ^(٤) . تعلم كيف تمنع أسباب الشقاق فى بيتك ، إذ لا مبرر لخلق النزاعات فى البيت ، وكل رجل قادر على ان يتجنب إثارة الشقاق فى بيته ، إذا تحكم سريعاً فى نزعات نفسه ^(٥) نرى أن أنى يوصى بأن

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ حاشية (٢) . فى سورة البقرة آية ٢٢٣ نقراً : " نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم " وذلك على سبيل التشبيه فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان كما أن بالأرض زرع ما به بقاء الإنسان أيضاً، راجع : الراغب الأصفهاني : المفردات فى غريب القرآن ، ص ١١٢ .

(٢) فقد شيد الملك أمنحتب الثالث فى البر الغربى ازوجته الملكة تى وحفر فى حديقته بركة كبيرة ، وذلك تكريماً لها . وقد جاء ذكر هذه البركة على مجموعة من الجعارين .

(٣) Suys , la Sagessed'Ani (An. Orient. 11) (1935) , p. xv, L.17 .

(٤) Suys, op . cit . , p. xix , L.5 .

ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ٤٤٥ ؛
 د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ ؛ د. أحمد بدوى -
 د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

يعامل الزوج زوجته معاملة حسنة ، وألا يتحكم فيها وفيما تفعله ولا يصدر الأوامر إليها ، وأن يحاول أن يدرك مزايا الزوجة ويتجنب أسباب الشقاق في المنزل ، وأن يرعاها في صمت . والمصري القديم لم يكن في حاجة إلى حكيم يوصيه بحسب زوجته ، إذ كان هذا الحب في طبعه والعطف شريعته . ولكي يعبر الزوج عن تقديره لزوجته فإنه كان يطلق عليها لقب " نبت بر " أي " سيدة المنزل " أو مست الدار ^(١) ويفهم من هذا اللقب الذي نجده تقريبا في جميع النصوص في كل العصور ، أنها كانت تقوم برعاية المنزل وتدير كل شئونه والمسئولة عن كل شئ فيه وكل ما يخص شئون زوجها وأولادها .

ونعرف مدى أهمية هذا اللقب ، ومن خطاب أرسله أحد الملاك إلى مستأجر عنده يخبره فيه بأنه قرر فسخ عقد الإيجار بينهما . ولكن بعد أن ناقش الأمر مع زوجته غير رأيه ، وعلى ذلك كتبت خطابا إلى المستأجر يخبره فيه بين أمور أخرى : " لقد رجعت إلى بلدي ، وقبل أن أنهى معك موضوع استغلال الأرض ، أخبرك ان زوجتي ، سيدة منزلي ، قالت لي : لا تنزع منه الأرض واعد لها إليه ودعه يستغلها " ^(٢) . وكان الزوج يحرص دائما على مناداة زوجته ، كما كان الحال قبل الزواج ، بلفظ " يا أختي " وليس " حمت " بمعنى زوجه ، وتتاديه هي أيضا بلفظ " يا أخي " ^(٣) . وقد استقر هذا التقليد في نهاية الأسرة الثامنة عشرة تقريبا . وأمام

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٠ ؛ وأيضا :

د. أحمد بدوي - هرمن كيس : المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية

القديم ، ص ١١٨ . Allam , op. cit., p. 12 .

(٢) Id., op. cit ., p. 12-13 .

(٣) كان الزوج هو الحبيب والأخ والقريب والصديق ، وقد جاءت هذه المعاني على لسان بعض الزوجات في بعض النصوص . فهذه واحدة تقول في وداع زوجها : " يا أخي ... يا وجي ... يا حبيبي " (راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ ، ٣٧) الثانية تقول : " يا أخي يا قريبي يا صديقي " راجع لوحة المتحف البريطاني رقم ١٤٧ من العصر البطلمي : ==

المحاكم كانوا يستخدمون كلمات : سنت " أخت " وحت " زوجة " ^(١) للزوجة ،
وسن " أخ " وهاى " زوج " للزوج . وعندما استخدم لفظ " حت " بمعنى زوجة فى
النصوص فإنه كان يتبع دائما بالصفة " مريت اف " أى محبوبته ^(٢) . ونعرف أيضا
أن الملك اخناتون كان يقسم بحبه لزوجته وبناته ^(٣) . فإذا ما مرت شهور حملت
خلالها الزوجة ، وأن أوان الوضع ، فإن هذه البشرى ترف إلى والدى العروسين ،
وهنا ينتشون بالسعادة والفرح ويرسلون إلى ابنتهم فى الحال جميع لوازم الوضع ،
والهدايا الثمينة ^(٤) وكانت الزوجة تزرق بالأولاد فى سن الخامسة عشرة ، وتصبح
جدة فى سن صغيرة ^(٥) .

واهتم المصريون بعملية الولادة التى كانت تباركها معبودة الحمل والولادة
مسخت وتقوم بها قابلات متخصصات . وكذلك استعان المصريون بكرسى الولادة

== James An Introduction to Ancient Egypt, p. 103 , ومما يدل

على سمو هذا المعنى فى مفهوم المصرى القديم ، نجد فى بردية اليانوس من
الحياة أن الرجل يخاطب روحه بلفظ " يا أختى " وترد عليه روحه بلفظ " يا
رفيقى ويا أخى " راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(١) أطلق المصرى القديم على الزوجة عدة ألقاب : إىر حمت " يتخذ زوجة
(يتزوج) ، ست = " امرأة ، ست حمت = امرأة متزوجة = سيدة ، راجع
د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية
القديمة ، ص ١٥٧ ، ١٩٦ .

(٢) وذلك منذ عصر الدولة القديمة ، راجع :

R.el Sayed, Formules de Pieté filiale, Melanges G.Mokhtar
BdE XC 11/1 1985 , p. 272 (10) .

(٣) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ،
ص ١٢٨ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وكانوا يصنعونه من اللبن أو الحجر . وكما رأينا من قبل كان الحكيم أنى قد نصح ولده بأن يتزوج فى سن مبكرة حتى ينجب الكثير من الأولاد . وقصة ملاح السفينة الغارقة ، عندما تحدث الثعبان المسحور إلى الملاح الذى ألقت به موجة من البحر على جزيرة هذه الثعبان . وقال الثعبان للبحار " انك ستحضر أولادك " . (١) ولم يكن رمسيس الثانى أقل فخرا بأولاده المائة والستين وأكثر .

وكانت هذه الكثرة فى إنجاب الأطفال معروفة فى العائلات المصرية القديمة عكس ما اعتاد عليه الإغريق نتيجة لخصوبة الأرض واعتدال المناخ . وكان انجاب الذكور هو المفضل . وفى قصة الأمير المسحور نرى كيف أن أباه الملك ظل فترة طويلة يتمنى الولد ويتحرق شوقا إليه (٢) . ولدينا من عهد الملك بطلميوس الثالث عشر قصة زوجة كاهن كبير حز فى قلبها ان أنجبت له ثلاث بنات دون أن تتجب له ولدا ، فتضرعت إلى المعبودات حتى حملت وأنجبت ولدا (٣) . كما خصص جزء فى المعابد البطلمية لعقيدة " الميلاد المقدس " وأطلق على هذه الأجزاء حوالى ٤٨ إسما . (٤)

وكان المصريون شغوفين بمعرفة المستقبل بالنسبة للمولود . فكانوا يعتمدون فى هذا على مجموعة من سبع معبودات معروفة باسم " الحتحورات " (٥) لمعرفة ما قدر للمولود الجديد . وكانوا يعتقدون فيما جاء بتقويم أيام التفاؤل وأيام التشاؤم لمعرفة مستقبل الطفل الذى سيولد فى يوم معين . فمثلا جاء التقويم : " ان كل من

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٤) Daumas, les Mammisis des temples égyptiens , Paris (1958), (٤) p.513 - 519 .

(٥) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٥ حاشية (١)

وهى أخت ، حسات ، إهت ، موت - مين ، محت ورت ، اوريرت ،

سختات - حور ، راجع : Daumas, op . cit ., p. 529 .

ولد فى اليوم الرابع من الشهر الأول لفصل الشتاء (برت) سيموت أكبر سنا من كل أقاربه وسيبلغ من العمر أكثر من عمر أبيه ، فكان هذا اليوم ، يوما سعيدا . ومن يولد فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من فصل الخريف (أخت) فإنه سوف يموت بسبب الشيخوخة ، وأكثر من ذلك من كان يولد فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه فإنه سيكون محترما حين يلقى منتهى " وعلى العكس من ذلك لم تكن الأيام الرابع والخامس والسادس من هذا الشهر تبشر بما هو حسن إطلاقا ، فإن مواليد هذه الأيام سوف يموتون بسبب الحمى أو بتأثير الخمر والحب . ومن يولد فى الثالث والعشرين من هذا الشهر أيضا فيخشى عليه من بأس التماسح . والظروف التى يولد فيها الطفل ذات أهمية أيضا بالمنسبة لمستقبله . فقد جاء فى بردية ابرس الطبية أنه إذا نطق المولد بكلمة هى Hii عاش ، وإذا قال مبي Mbi فسوف يموت . وإذا أدار وجهه تجاه الأرض فسوف يموت . وكانت تسمية المولد أمر ضروريا وهى أسماء مقيدة جدا فى بعض الأحيان وكان معظم الآباء يؤثرون أن يضعوا أطفالهم تحت رعاية إحدى المعبودات وقد يدل معنى الاسم على رضى المعبود وحمايته .^(١)

وبعد أن يطلق الوالدان اسما على مولودهما ، لم يكن عليهما بعد ذلك إلا أن يسجلاه فى بيت الحياة^(٢) ، الذى كان يعمل به بعض صغار الكتبة الذين كانوا يقومون بتسجيل عقود الزواج والمواليد والوفيات^(٣) . ولاشك أن السلطات المدنية كان لديها نسخ من هذه السجلات . وكان المتهمون والشهود يذكرون فى الوثائق القانونية باسمائهم ، يتلوها أسماء آبائهم وأمهاتهم مع ذكر مهنهم ، لأن الأسماء التى كانت تطلق على كل طفل كانت عديدة جدا إلى حد أن التشابه بين الأسماء كان شائعا .

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٣٢ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٧٧ - ٨٠ .

واجبات الوالدين نحو الأبناء:

كان البيت - ولا يزال - هو مهد التربية ومدرستها الأولى ، ففي البيت يتعلم الطفل المشي ، والكلام ، والأكل ، والشرب ، والملبس ، ومنه يقتبس العادات وقواعد السلوك والآداب وأسلوب التعامل . ويكتسب فيه الكثير من سلوكه واتجاهاته في الحياة ، لهذا كان يجب أن يسود الحياة العائلية الصفو والود والسلام ويتمسك أفرادها وخاصة الأبوين بالفضائل وقواعد السلوك حتى يتأثر الطفل بمدرسته الأولى . فالطفولة أولى مراحل الحياة واجدوها بالرعاية ، وهي ادق مراحل التربية التي يجتازها الناشئ .

وليس أدل على مدى اهتمام المصريين بالتربية الأولى للطفل من شهادة المؤرخين اليونان ، فهذا ديودور الصقلي يقول : ^(١)

" ان ما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقي حظه الكامل من التربية " . ويذكر سترابون بدهشة تقليدا خاصا كان يتمسك به المصريون كثيرا وهو أن يتولوا تربية كل الأولاد الذين كانوا يرزقون بهم ^(٢) . ويقول :

" من التقاليد التي كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " اي ان الآباء كانوا ملزمون بتربية أولادهم جميعا حتى لو كان الابن ابن أمة مشتراه .

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ١١٧ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

واجبات الزوجة :

كانت رعاية الأطفال والأعمال المنزلية ومساعدة الزوج من أهم أعمال المرأة في الأسرة . وكانت الأم تهتم بأطفالها في سنواتهم الأولى وتقوم بإرضاعهم ورعايتهم . فبعد الولادة تهتم الأم بصحة الطفل من حيث بول الطفل وسعاله والوعكات التي تصحب ظهور الأسنان . وكانت تقوم بإرضاع طفلها نحو ثلاث أعوام . وإذا كانت الأسرة غنية فأنها تستأجر مرضعة أو مربية لتربية أطفالها ورعايتهم .

وكان القصر الملكي يموج بالمراضع . وحظيت المراضع بمكانة اجتماعية طيبة ، وتمتع بعضهن بحقوق الأمهات على من أرضعن وربين ولاسيما من أبناء الملوك والأمراء . فنعرف مثلا أن قن آمون كان اخا للملك أمنحتب الثاني في الرضاعة ^(١) . ونعرف ان كان ببلاط ملك مصر المراضع ، كما جاء في سورة القصص بالنسبة لطفولة سيدنا موسى ، وتحريم المراضع عليه وإرجاعه إلى أمه ^(٢) .

ويذكر الحكيم أنى أبنة بما قامت به أمه ، فيقول :

" لقد ولدت لها بعد شهر تسعة ، ولكنها ظلت مغولة بك وكان ثديها في فمك مدى ثلاث سنوات كاملة . وبالرغم من أوساخك شئ يتقرز منه النفس منه النفس فإن قلبها لم يتقرز ولم تقل ماذا أفعل ؟ إنها أدخلتك المدرسة عندما ذهبت لتتعلم الكتابة وظلت تذهب من أجلك كل يوم يحمل إليك الخبز والشراب من منزلها . ^(٣)

فمنذ ولادة الطفل تعكف الأم على رعايته وإرضاعه . وقد صور الفنان

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ؛ وعن ألقابه ،

راجع : Wild, BIFAO 56 (1957), p. 203- 237

(٢) سورة القصص : آية ١١ - ١٢ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ ؛ د. بيومى

مهران : المرجع السابق ، ص ٤٩ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨١ ؛

د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

المصري هذه الرعاية فى نقوشه وتمائيله . فى متحف موسكو ، يوجد إناء من المعدن من عصر الدولة الحديثة ، على هيئة امرأة تمسك ثديها اليسر وممسكة باليد الأخرى طفلا على ركبتيها ، وكان هذا الإناء معدا لوضع أو خزن لبن الأم فيه ^(١)

وعلى أوستركا من دير المدينة ، من الدولة الحديثة أيضا ، نرى امرأة ترضع طفلها من ثديها الأيمن ^(٢) . وبالإضافة إلى ذلك يوجد تماثيل عديدة للمعبودة إيزيس وهى تحمل طفلها حورس على ركبتيها لإرضاعه ^(٣) . وكانت الأم تقوم بإرضاع طفلها لمدة ثلاث أعوام ، وتحرص خلال هذه المدة على التأكد من سلامة لبنها ^(٤) . وكان الطفل الحديث السن يبقى فى حضانة أمه ، تحمله على صدرها غالبا فى كيس يعلق فى رقبته ^(٥) .

أما أولاد الأمراء والأمراء الصغار كان يعهد بهم إلى مرضعة أو مربية أو إلى إحدى الشخصيات الكبرى التى كانت تعمل فى خدمة الملك . فبأحرى حاكم إقليم الكاب كان المربى لطفل الملك واج مس ، وأحمس بن نخبت كان مربيا لأبنة حاشبوت الكبرى الأميرة نفرو رع ، كما كان لها مربيا آخر هو سنموت . وعهد تحوتمس الثالث بولده أمنحتب إلى أحد القواد المهرة وهو المدعو مين حاكم إقليم ثينى .

وكانت الأم تقوم بإطعام طفلها فى يسر واقتصاد ، وقد استرعت هذه الأوضاع نظر ديودور الصقلى فقال :

" يربى عامة المصريين أولادهم فى يسر واقتصاد ، فيطعمونه عصيدة

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 18 .

(٢) Id ., op. cit ., p. 13 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٧ .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٥) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

يطبخونها من مواد رخيصة واقرة ، ومن سيقان البردى بعد شيها على النار ، وجذور نباتية مائية يستسيفون طعمها نينة ومطبوخة ومشواه^(١) .

وكانت تلقنه اللغة الأولى ، وتداعبه بألفاظ الحب والحنان ، وتظل عاكفة على ذلك مدة قد تبلغ ثلاث سنوات . كما كانت تسهر على رعاية صحته ، وتهتم بمعالجة الأمراض البسيطة التي تتصل بتبول الطفل ، وسعاله ، والوعكات التي تصحب ظهور الأسنان^(٢) وكانت لها بمعالجة مثل هذه الأمراض^(٣) . وكان نصيب الأم في الأعمال المنزلية كبيرا . وكانت لديها دراية تامة بكل ما يقع على عاتقها من أعمال المنزل ومسئوليات البيت ، مع ذلك لم تهمل في شئون نفسها او مظهرها وملبسها^(٤) . فكانت الأم في العائلة البسيطة تستيقظ في الصباح الباكر ، وتعد طعام الإقطار لزوجها وأولادها ، وينصرف الزوج وأكبر أبنائها إلى أعمالهم في الحقل . أما الأبناء الصغار فكانت الأم تكلفهم بمهام بسيطة ، فكانوا يجمعون لها الأحطاب ، أو ترسلهم ليرعوا الأوز في الخارج ، أو تعهد إليهم بأخذ الماشية لترعى وتستقى من الترع القريبة فإذا اشتد عودهم أرسلتهم إلى المدينة ليتعلموا القراءة والكتابة ، أو عهدت بهم إلى صانع أو حرفي أو تاجر ليتدربوا ويصبحوا أصحاب مهنة أو حرف^(٥) . وأثناء غياب الزوج في عمله ، كان عليها ان تنظف الملابس وتعد الخبز والطعام وتنتهز أوقات الفراغ لتغزل فيها اون تنسج او تحيك الملابس أو ترتقها لزوجها ولأولادها .

كما كانت تذهب إلى الأسواق لتبيع طيورها وزبدها^(٦) وما نسجته من أقمشة ، أو لشراء الخضروات والأسماك أو أشياء أخرى متنوعة لزوم المنزل .

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٣) Allam , op. cit ., p. 13 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٦) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٠ .

فكانت هناك أسواق للمواد الغذائية والملابس وغيرها من منتجات تقام فى القرى والمدن ، كما تبين لنا بعض المناظر فى مقابر سقارة من الدولة القديمة ^(١) . وهناك منظر على كتلة حجرية ، ربما جاءت من جدران مقبرة منتومحات من الأسرة الخامسة والعشرين فى البر الغربى فى طيبة ، وهى موجودة الآن بمتحف بروكلين بنيويورك . ويمثل امرأة مع طفلها المغطى برداء على قدميها وأمامها سلة مملوءة بالفواكه موضوعة على حامل تقوم ببيعها ، ربما كانت تبيع فاكهة الأشجار التى صورت من حولها ^(٢) . وفى العائلات الغنية ، كانت المرأة تصحب زوجها حين يقوم بجولاته فى ضياعه ، وتراقب الصناع أثناء عملهم ، وتشهد عملية تعداد الماشية ، وتشرف على أعمال الحصاد فى الحقول ، وترافقه فى رحلات الصيد فى البحيرات ^(٣) . وفى المآدب كانت بجوار زوجها ، وكان الضيوف إذا وفدوا على الوليمة يجلسون على مقاعد بعد أن يغسلوا أيديهم ، وتقوم على خدمتهم فتيات صغيرات يقدمن لهم المشروبات المنعشة . وكانت الزوجة تراقب كل ذلك مع زوجها . على أن سيدة المنزل ، وبخاصة فى المنازل الكبيرة ؛ كانت تستعين عادة بالخدمات اللاتى يقمن بطحن الحبوب ، وإعداد الطعام والولائم ^(٤) ، وأعمال الغزل والنسج ويذهبن إلى السوق لشراء أو لبيع بعض المنتجات ^(٥) .

وهكذا كانت الزوجة بجانب زوجها دائما أينما وجد ، تلازمه فى المنزل وفى الحقل وتشاركه جادة العمل ومتعة اللهو وتقاسمه أعباء الحياة ومسئولياتها ^(٦) . وعندما كان الزوج ينوى الحج أو الزيارة إلى المدن المقدسة ، إلى ابيدوس مثلا كانت

(١) Allam , op . cit . , p. 88 , 100 .

(٢) Id., op. cit . , p. 106 .

(٣) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق . شكل ٢٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٦) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٧) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

تصحبه دائما زوجته .^(١)

وكانت الزوجة تشارك أحيانا زوجها مسئولية العمل خارج المنزل ففى بردية فى متحف جنيف نجد نصا يرينا أن بعض النسوة الموظفين كن مسئولات عن مستحقات أزواجهن . وتقص علينا البردية قصة موظف مالى ذهب فى مأمورية وسمح لزوجته أن تتوب عنه فى تحصيل الضرائب العينية وترك لها كل التوجيهات والبيانات بالنسبة لهذا الموضوع . وعندئذ كتبت الزوجة خطابا لزوجها تخبره فيه من بين أشياء أخرى إنها سارت طبقا لتعليماته ووصفت له تفاصيل كل ما حدث . فمثلا كان عليها أن تصرف كمية من القمح إلى موظف فاستخدم هذا الموظف مكيالا أكبر حجما ولهذا أصبح وزن القمح ١٤٦ بدلا من ١٦٢ وحدة بالفعل ، فاحتجت المرأة قبل هذا الموظف . وتكمل القصة أنه كان عليها أن تتلقى ثمانين وحدة وزن من القمح من أحد جامعى الضرائب ، واكتشفت أنه أعطاها ٧٢,٥ فقط ، وطلبت منه أن يعطيها الكمية الناقصة .^(٢)

واجبات الزوج :

تبين لنا أقوال الحكماء وتعاليمهم مسئوليات الآباء وواجباتهم نحو أبنائهم ، فيقول بتاح حنن لابنه :

” إذا كنت رجلا ناضجا وأصبح لك ولدا تقوم على تربيته وتنشئته ، فذاك شئ يسر له المعبود ، فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ، وإذا هو نظم من شئونك ورعاها ، فأعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك وقطعة من نفسك وروحك ، ولا تجعل قلبك يجافيه . فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى وتكلم بالأكف والبهتان فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه (أى حاله) ويستقيم قوله . وباعد

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

Allam , op . cit . , p. 21 – 22 .

(٢)

بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد ، فإن من يسير على دليل لا يضل (أبدا) .^(١)

فكان الأب يشرف على تربية أولاده في دور التنشئة وبخاصة بعد سن الرابعة ، وكان عليه كسب قوته اليومي لتوفير الطعام لهم . فإذا كان مزارعا أو عاملا فإنه يخرج في الصباح إلى عمله حاملا معه طعامه البسيط الذي يتألف من قليل من الخبز وبعض البصل وقطعة من السمك المقدد . وعند الظهيرة يتوقف العمل بعض الوقت لتناول طعام الغذاء وإغفاءة قصيرة^(٢) . يستمر بعدها في العمل حتى يحين وقت الغروب ، وعندئذ يتوقف عن العمل تماما^(٣) . ومن بردية القروي الفصيح نعلم أن بعض القرويين كانوا يذهبون ببعض محاصيل الواحات ومنتجاتها لبيعها في أسواق العاصمة ، وشراء غلال بقيمتها ويعودون بها إلى أهل بيوتهم .

وكان من عادة المزارعين والعمال والصناع أن يبقى الولد في المنزل يتدرب على رعى القطيع واستعمال الأدوات ، حتى يمكنه أن يمارس بدوره الحرفة التي مارسها أبوه من قبله^(٤) . وإذا ما لاحظ الأب أن في ولده شيئا من الذكاء كان يسرع بإرساله في سن السادسة أو السابعة إلى المدرسة حيث يلقيه مبادئ القراءة والكتابة والحساب . وبعد أن يتقن القراءة والكتابة ويكتسب الخبرة الكافية وبعدها يلتحق بوظيفة مهما قل شأنها .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ ؛ د. بيومي

مهران : المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٢) ففي مقبرة مننا من الأسرة الثامنة عشرة في البر الغربي في طيبة ، نرى منظرا

يمثل مزارعين يجلسان على مقعدين قصيرين تحت ظل شجرة عريضة .

أحدهما ينفخ في عود من الغاب ، والآخر في غفوة سائدا رأسه على ذراعه

اليسرى الموضوعة على ركبتيه ، راجع :

Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 128 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٢ .

(٤) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ص ٨٣ .

وحاول بعض الآباء من الموظفين والكتبة تربية أبناءهم تربية فيها حسن التغذية لتقوية أجسامهم منذ الصغر ، وفيها الكثير من آداب السلوك لتقويم نفوسهم . وكان الأب يتحمل جميع نفقات الابن في جميع المراحل التعليمية حتى يبلغ أشده أى حتى سن العشرين ، حتى يسير على منهاج أبيه حتى يصبح كاتباً مثله . لأن مهنة الكتابة في اعتقادهم كانت خير المهن جميعاً . ولهذا نرى في بعض الإدارات والمصالح الحكومية تعاقب سلسلة من الكتبة ينتسبون جميعاً إلى أسرة واحدة ، كان فيها الولد يخلف أباه ، والأب كان خلفاً للجد وهكذا أجيالاً متعاقبة .

وكان على الآباء أن يربوا أولادهم على مبادئ الرجولة وفضائل الأخلاق وآداب السلوك وحسن المعاملة في أثناء التربية المنزلية . وليس أدل على ذلك من أن كتب ومؤلفات المصريين في التربية صيغت في أسلوب النصائح والتعاليم ، يزود بها الأبناء أبناءهم ، وفيها ثروة من تجاربهم في الحياة التي عرکوها وسجلوها في هذه النصائح ما ينير سبل الحياة لأبنائهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء التمسك بها كما كانوا يحثون أبناءهم على التسليح بالإيمان والتقوى ، وصلات التراحم كالبر بالوالدين وحسن معاملة الزوجة واحترام الغير والتسامح والتواضع والاستقامة واتباع طريق العدل والعطف على الآخرين وحفظ السر والأمانة والإخلاص والصبر وحسن اختيار الأصدقاء وغير ذلك من القيم والآداب والسلوكيات مثل آداب المائدة واحترام الشيوخ والحذر من شرب الخمر والبعد عن النساء وشهادة الزور والنميمة والكذب والاعتداء على حقوق الغير وآداب الحديث والتريث والتروى وضبط العواطف وعدم الإسراف في الحديث والرد في انفعال .

ونجد كل هذه التعاليم والنصائح على ألسنة كل من الحكماء كإرس والد كايجمنى وبتاح حتب وآنى وامنمؤبت^(١). وبهذه المثل والآداب والسلوكيات حرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء في الصغر قبل أن يغادروا المنزل إلى دار الحياة الكبرى

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص

حتى يصبحوا مدربين على حسن المعاملة والسلوك ويستطيعوا ان يتكيفوا مع الآخرين فى جو من المحبة والصداقة والتضوج والوعى والإدراك بين الناس .

وسوف نتحدث عن هذه الآداب عند حديثنا عن التربية والتعليم فى الباب الحادى عشر ، ولكن نذكر هنا ما يخص منها المحافظة على الترابط الأسرى ، من السلوك القويم للإنسان واحترام حرمة بيوت الآخرين . فكما حثت الحكم والتعاليم الشاب على الزواج وتكوين أسرة والمحافظة على كيانها وحسن معاملته لزوجته ، حثته كذلك على البعد عن الإثم والفجور ، وتذكر له أيضا العواقب التى يتعرض لها كل من ينحرف عن قواعد السلوك والآداب العامة ، ودعته أيضا إلى احترام حرمة البيوت لأن التقاليد لا تبيح زيارة المنزل فى غيبة صاحبه أو دخوله دون استئذان أو الاختلاط بنسائه ..

وفى هذا الصدد يقول بتاح حنن من الأسرة الخامسة لأبنة : " ما أطول حياة الإنسان وما أسعده إذا كان خلقه متحليا بالاستقامة ، فإن من يلتزم جادتها يكون لنفسه ثروة " (١) ويقول أيضا محذرا أبنة من التورط مع النساء فى الخطيئة ويدعوه أيضا إلى احترام بيوت الغير بالإبقاء على كرامة من فيها :

" إذا كنت ترغب فى المحافظة على سلام منزل تقوم بزيارته ، سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق أم أى منزل تدخله فتجنب أن تتقرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه لا يصلح ، فآلاف من الرجال قد تتبعوا تلك المخلوقات الجميلة ، ولكنهم حطموا بواسطتها ن وخذعوا بأجسادهن الرقيقة التى أصبحت فيما بعد أكثر صلابة من الحجر ، أن الرغبة لا تستمر إلا لحظة ن وتمر كأنها حلم " (٢).

ويذكر الحكيم أنى من الأسرة الثانية والعشرين المعانى نفسها فى قوله :

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٤ .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ :

الحضارة المصرية ، ص ١٠ .

" لا تذهبن وراء امرأة حتى لا تتمكن من سلب لبك " .^(١) ويقول أيضا :

" كن على حذر من امرأة تأتي من مكان بعيد ، وليست معروفة في بلدها ، لا تطل النظر إليها عندما تمر بك ، ولا تتصل بها اتصالا جسديا ، إنها ماء عميق الغور لا يعرف الإنسان حناياه . إن المرأة التي غاب عنها زوجها تقول لك كل يوم " أنى حسناء وليس هناك من يشاهدها وهي تحاول إيقاعك في فخها ، أن ذلك (أى الزنا) لجرم عظيم يستحق (صاحبه) الإعدام عندما يرتكبه ، ثم يعلم بذلك الملائكة ، لأن الإنسان بعد أن يرتكب تلك الخطيئة ليسهل عليه ارتكاب أى ذنب (آخر) " .^(٢) ويحذر عنخ شاشنقى ، كاهن ايونو ، الذى عاش فى العصر البلطمى ، ابنه فى نصائحه من ارتكاب الأثم والفحشاء .^(٣)

ودعى أنى إلى احترام بيوت الآخرين وها هو يقول له : " لا تدخلن بيت غيرك حتى يأذن لك ويؤدى لك التكريم (الواجب) ولا تنتظر باستغراب فى بيته (ولكن) انظر والزم الصمت " .^(٤) وتبين لنا رسائل حقا نخت من الدولة الوسطى ، مدى اعتماد الأسرة على ربها . فكان حقا نخت كاهنا لروح الوزير ايبي ويدخل فى اختصاصه إدارة الأملاك التى اوقفها ذلك الوزير على مقبرته ، وكان من بيته ضيعتان واحدة منهما كانت فى الشمال والأخرى فى الجنوب . وكان حقا نخت يسافر

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٦ ، ٤٣٤ ؛ د. عبد

العزیز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ،

١٩٧٩ ، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ ؛ وأيضا :

Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p. 390 .

(٢) Suys , la Sagesse d'Ani (An . Orient . II) (1935) p.xv , L.9

وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٦ ،

٤٤٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ،

ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

Suys , op . cit . , p. xv , l.8.

(٤)

من أن لآخر إلى الشمال . وهو يقول فى إحدى رسائله لابنه الأكبر :

" أن جميع من فى المنزل وكذلك الأطفال يعتمدون على وكل شئ هو ملكى ^(١) . وكان من نتيجة الحرص على تربية الأبناء تربية حسنة ، والحرص على رعايتهم من الناحية الغذائية والصحية والتعليمية ، أن أصبحت مصر بلدا يمتاز بوفرة عدد سكانها ^(٢) . ولضمان حياة كريمة للزوجة فإن الزوج كان يقوم بكتابة بعض الوثائق أو المستندات يتنازل فيها عن ثروته الخاصة لزوجته مع الاحتفاظ بكافة حقوق الورثة وحقوق أسلافه من بعده ^(٣) . وإن لم يكن هناك ورثة فكل ميراث الزوج يؤل إلى الزوجة بمفردها كما تبين لنا ذلك بربية محفوظة فى متحف اكسفورد ^(٤) .

واجبات الأبناء:

كان من أهم هذه الواجبات طاعة الأب لأبيه واحترامه ومساعدته وبخاصة إذا كان العمل فى الحقل ، فالأعمال الزراعية فى حاجة دائمة إلى الأيدى العاملة ^(٥) . وإذا كان الأب يعمل كعامل أو رئيس عمال فى المحاجر فى مناطق بعيدة عن موطن سكنه أو ذهب فى مهمة بعيدا عن مدينته أو قريته فكان على الابن الأكبر رعاية شئون المنزل ورعاية أمه وأخوته ، ويحرص على طاعتها وعدم إغضاها . فإذا كان الأب موظفا كان على الابن أن يسير على منواله ، ويحرص دائما على طاعته والوفاء لذكراه .

أما البنت فكان من واجبها مساعدة أمها فى أعمال المنزل . ومن رسائل

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) ألفه عدد من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ .

(٣) Allam , op . cit . , p. 44 .

(٤) Id . , op . cit . , p . 15 .

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ .

حقاً نخت التى ذكرناها من قبل من الدولة الوسطى ، ونعرف أن حقاً نخت كان يسافر من آن لآخر إلى الشمال بعد أن يترك لأبنة الأكبر واسمه مرسو إدارة بيته وأملكه على مقربة من طيبة ، كما كان ينوب عنه فى القيام بوظيفة الكاهن عن غيابه ويرسل حقاً نخت لأبنة أكثر من رسالة يستحثه فيها دائماً على العمل ويحاسبه حساباً عسيراً على دخل كل حقل من الحقول . ويسدى إليه النصيح لأنماء ثروته من دخل الحقول ^(١) . وفى الخطاب نفسه يعطى حقاً نخت تعليماته إلى ابنه وإلى " حتى " المشرف على زراعته فيخاطبهما معا :

" احرثوا الأرض ولا تكفوا عن العمل ، واعلموا أنكم إذا كنتم مجتهدين فسادعو لكم بالخير ، وما أسعدكم لأنى أعولكم ^(٢) ويكلف أبنة بأن يرسل أحد الأعوان لاستتجار حقلين ، ولكنه يوصيه إلا يعطى الإيجار إلا من ثمن الأقمشة التى كان قد أرسلها من الشمال ، وينصح أبنة بأنه يجب عليه أن يمدح نوع الأقمشة عندما يقدمها للبيع وان يقول أنها من أحسن الأنواع . ويفهم من هذه الرسائل أنه كان لحقاً نخت ولدان آخران يساعدان مرسو فى العمل . وكانوا جميعاً متزوجين . وكان له ابنان آخران صغيران أحدهما يساعد أخوته فى أعمالهم فى الزراعة ، اما الثانى فكان مازال طفلاً وكان يتمتع بحب أبيه وعطفه . ويأمر حقاً نخت ابنه الأكبر مرسو بأن يعطيه ما يريد من مؤن . لقد فقد حقاً نخت زوجته وأصبح أصغر أطفاله موضع حبه وحنانه . ونستشف من رسائله أيضاً أن ذلك الكاهن كان مملوءاً بأبنائه وزوجاتهم وبالأقارب وأطفالهم وبالخدم والجوار . وترينا هذه الرسائل الكثير من الحياة الداخلية لإحدى العائلات الميسرة الحال التى عاشت على مقربة من الأقصر قبل أربعة آلاف عام .

وتبين لنا الرسائل التى كشف عنها فى قرية دير المدينة ويطلق عليها اسم " رسائل الرعامسة " من الأسرة العشرين ، صوراً من الحياة العائلية لطبقة العمال

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

التي كانت تعيش في القرية في نهاية الأسرة العشرين^(١).

صيغ البر بالوالدين في حياتهما وبعد مماتهما :

فكما حثت الصيغ والنصوص التي جاءت في بعض التعاليم على أهمية الحفاظ على علاقة الترابط بين الزوجين ودور الأب كرب للأسرة ، وطبيعة العلاقة بين الزوجين ، نجد أنها تشير أيضا إلى أهمية المحافظة على صلوات الرحم والترابط الأسرة والبر بالوالدين ، وواجب الأبناء نحو بعضهم البعض ، ونحو الآخرين من أفراد العائلة والأقربين ، وحثت النصوص كذلك على الوفاء بذكرى الوالدين بعد وفاتهما والترحم عليهما وزيارة مقبرتهما^(٢) . وكان ينظر للأبن الأكبر على أنه هو الذي يحيى ذكرى والده ويجعل اسمه حيا في أفواه الناس . فواجب الأبن كما تذكر النقوش وردت على الآثار المتعددة هو دفن الأب ، بما يليق بمقامه من مراسم ، والسهر على رعايته في المسكن الأبدى أي المقبرة ، والقيام بالطقوس الجنائزية اللازمة نحوه في المواسم والأعياد الدينية المختلفة^(٣) . وإقامة التماثيل باسمه في المعبد ورعاية ما يقدم له من قوانين أو تقديم القرابين بأنفسهم ترحما على أرواح آبائهم^(٤) .

ولهذا كان المصريون يميلون إلى أنجاب الذكور ويرحبون بمولد المولود الذكر لأن الفتى كان أكثر حفاظا على روابط الأسرة من الفتاة ، وأكثر قدرة على أن

(١) Wente , late Ramesside letters , p. 4-5 .

(٢) R.el Sayed , Formules de Pieté Filiale, dans Melanges

Mokhtar, BdE XC 11/1 (1985) , p. 271 – 272 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٠ .

(٤) نقرأ عن قصة سابني الذي علم بنبا وفاة أبيه محو في بلاد النوبة السفلى ، فسار

على الفور موغلا في تلك الأقطار الخطرة مع عدد من الجنود ليحضر جثمان أبيه ليدفنه في ارض مصر .

يحمل أسم أسرته ^(١) وكان الأبناء يسجلون هذه الواجبات على جدران مقابرهم فى النصوص التى تتناول تاريخ حياتهم . وفى الصورة التى ترسمها لنا قصة ملاح السفينة الغارقة ، عندما يتحدث الثعبان إلى الملاح الذى ألقت به موجة من البحر على جزيرة الثعبان ، فيقول : " لكنك إذا ثابرت وتمسكت بالصبر فإنك ستحتضن أولادك ، وتقبل زوجتك وترى بيتك مرة أخرى ، وهذا أجمل وأفضل من كل شئ آخر " ^(٢) . ما يعبر عن قوة الترابط الأسرى . وان تعويض الملاح عما لاقاه من أهوال ، هو الرجوع إلى بيته ورؤية أولاده الأعزاء وزوجته .

وإذا فحصنا فقرات من التعاليم والنصائح والحكم نجد أن جزء كبير منها يحث على واجبات الأبناء نحو الوالدين ، وحب الوالدين واحترامها وطاعتها والعطف عليهما عند الكبر والبر بهما والإحسان إليهما ، وتذكر الأبناء بفضل الأم عليهم وبأهمية رضاها عنهم ، وما يجب ان يقوموا به نحوهما فى حياتهما وبعد مماتهما .

نحو الأم :

فى تعاليم خيتى بن دواواف التى ترجع إلى عصر يقع بين أواخر الدولة القديمة والدولة الوسطى ، يوصى أبنة قائلاً :

" أحبب الكتب كحبك أمك ، فليس فى الحياة ما هو أغلى منها " ^(٣) .

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ : الحضارة المصرية ، ص ٤٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٩ .

(٣) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٣٠ .

« لا تقل الكذب ضد أمك ، لأن القضاة ^(١) يكرهون ذلك ، والأبن البار هو الذى يعمل الطبيب ^(٢) ومن تعاليم أنى من الأسرة الثانية والعشرين نقرأ :

« أطمع والدتك واحترمها ، فإن المعبود هو الذى أعطاها لك » ^(٣)

« ضاعف الخبز الذى يجب أن تعطيه لأمك وأحملها كما حملتك . وهى كم مرة اعتنت بك ، ولم تتخل عنك . وعندما وضعتك بعد شهر من حملك اعطتك ثديها فى فمك لمدة ثلاث سنوات بصبر » « ووضعتك فى المدرسة وبينما كانوا يعلمونك الكتابة إذ كانت تنتظرك أثناء غيابك كل يوم ، بالطعام (حرفيا بالخبز) والشراب من منزلها . والآن وأنت فى زهرة العمر واتخذت لك زوجا وصار لك بيت اتجه بنظرك إلى الطريقة التى تربيت بها والتى تغذيت عليها كل (هذا) من عمل أمك فلا تجعلها تلومك حتى لا ترفع يديها نحو المعبود (شاكية) فيستجيب المعبود لشكواها » ^(٤)

وبعد وفاتها كان على الأبن أن يكون وفيا لذكرى أمه ، وذلك بإقامة النص تخليدا لذكراها أو تقديم القرابين باسمهما فى الجبانة وتشير بعض نصوص الدولة القديمة إلى صفة التراحم هذه ، ومن هذه الصيغ نجد الآتى :

« أنه أبناها الأكبر فلان ، الذى فعل هذا لها ، وعندما كانت حية على

(١) القضاة فى عالم الدنيا والآخرة .

(٢) R. el Sayed , op. cit., p. 292 n. (51) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال

مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ، وأيضا :

R. el Sayed , op . cit . , p. 292 (52) ; Suys , op . cit . , p. XVIII l. 38 - 39 ; lichtheim, Ancient Egyptian literature II , p. 141 Daumas , la Civilisation de L'Égypte Pharaonique , p. 413 ; Weigall , Histiore de L'Égypte Ancienne , p. 47 .

قدميها ، المخلص نحو أمه " (١).

" انه أبنها الأكبر فلان الذى يقدم القرابين إليها ولصالحها فى هذا المكان " (٢)

نحو الأب :

فنقرأ فى تعاليم بتاح حنن من الدولة القديمة النصائح الآتية :

" كم هو جميل أن يطيع الابن أباه ، فيصبح بسبب ذلك فى فرح شديد ، ويغدو هذا الابن عطوفا وحنونا عندما يصبح سيذا ، فإن كل من يستمع إليه بطبعه ، فيصح جسده ، ويوقره أبوه وتكون ذكراه خالدة فى أفواه الأحياء الذين يعيشون على الأرض طوال حياتهم " . ويقول أيضا :

" ما أجمل طاعة الابن المطيع فهو يأتى ويستمتع مطيعا ، ان الطاعة هى خير ما فى الوجود " ويدعو الابن إلى أن يتقبل كلام أبيه فيقول :

" أن المطيع هو رجل كامل فى نظر الكبار ، فإذا تقبل الابن كلام أبيه بقبول حسن وتبته وأطاع ، فإن الابن سيكون حكيما وتصبح أعماله موفقة " (٣) . ويجب اتخاذ الأب قدوة حسنة يقتدى بها ، وفى هذا المعنى يقول :

" ما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة "

وكما حث الحكيم أنى ابنه على العناية بأمه فى كبرها وأن يحملها كما حملته نجد ان كبير كهنة آمون امنمحات الذى عاش فى عصر الدولة الحديثة ، فيحدثنا عما كان يفعله مع أبيه المسن ، فيقول :

(١) R . el Sayed , op. cit ., p. 272 n . 22 .

(٢) Id ., op . cit ., p. 275 n . (9) .

(٣) Zaba , les Maximes de Ptah-Hotep, p. 101 , l . 556 – 557 , (٣) 561 – 563 , R. el Sayed , op . cit ., p. 291 (47) .

وأیضا ألفه نخبة من العلماء : تاریخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٠ .

" كنت عصا الشيخوخة لأبى عندما كان حيا . أذهب وأجى طبقا لأوامره ، ولم أخالف كلا فمه قط ، ونفذت بعناية كل ما كلفنى به ، ولم أهمل التعليمات التى اعطانى أياها ، ولم انظر إليه بحدة ، ولكن كنت أخفض راسى عندما يتحدث إلى ، ولم أتفاخر بعمل (شئ) لم يكن على علم به ^(١) . وبعد وفاته تظهر صلة الرحم هذه فى أكثر من نص يحدثنا عما فعله البن الأكبر لإحياء ذكرى أبيه بإقامة لوحة او تمثال فى المقبرة أو فى المعبد المحلى أو تقديم قرابين باسمه ، او احياء اسمه عن طريق نثر الماء على مقبرته . ولدينا اكثر من عشرين صيغة تبدأ بالأسلوب الآتى :

- " انه ابنه (أو ابنه الأكبر فلان) الذى فعل هذا له (اى للأب) .

- أو " انه ابنه الذى يعمل على إحياء اسمه فى هذا المعبد " .

- أو " انه ابنه الأكبر فلان الذى فعل هذا له ، بعد ان دفن فى الغرب الجميل ، طبقا لما قاله هناك (فى هذا المكان) عندما كان حيا على قدميه " ^(٢) .

وبعد وفاة الأب كان الابن أو الابن الأكبر هو المسئول عن استمرار بيته مفتوحا ، والمسئول عن تزويده بكل ما يلزمه . وكان هو المسئول أيضا عن تقديم القرابين على روح أبيه فى المقبرة ومراقبة كل ما يقوم فى المقبرة . ونجد كل هذه المعانى فى الصيغ الآتية :

- " لعل ابنك يفتح منزلك كما (حافظت) على فتح منزل أبيك (من قبل) " ^(٣) .

- " لقد (حافظت) على فتح منزل أبى وملأته بالأشياء الثمينة " ^(٤) .

(١) R. el Sayed , op . cit . , p. 291 (49) .

وأيضا : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) لهذه الصيغ المختلفة ، راجع :

R . el Sayed , op . cit . , p. 271 - 281 .

Id., op. cit . , p. 287 (105). (٣)

Id., op. cit . , p. 287 (107). (٤)

• " (أنه) أبنة الذى يحبه ، فلان ، الذى يراقب المنتجات التى احضرت للأب ، لأنه المحبوب من أبيه " (١)

• " (أنه) أبنة الأكبر الذى يحبه ن الذى يفعل ما يستحق المديح كواجب يومى " (٢)

• " لقد خرجت من منزلى ونزلت فى المقبرة ، وظل منزلى مفتوحا (لأن) ذراع وريثى قوية " (٣) . بل ذهب بعض الأبناء إلى أبعد من ذلك فى اختيار مقابرهم فى المكان نفسه فيه أبؤكم ليكونوا معهم وبجواره بصفة دائمة ، دلالة على الوفاء والاخلاص :

• " لقد أعددت حجرة دفن لنفسى فى المقبرة نفسها مع جاو هذا (والده) حتى أبقى فى مكان واحد . بالتأكيد ليس لأننى لا أملك الإمكانيات لكى أقيم مقبرة ثانية ، ولكن فعلت هذا لكى أرى جاو هذا كل يوم ، ولكى أبقى معه فى المكان نفسه " (٤)

ولم يقتصر الوفاء على الأبن فقط ، ولكن أبنة المتوفى كان لها دور فى العمل على إحياء ذكرى أبيها وذلك فى عدم وجود أبناء ذكور :

• " إنها أبنته التى أحبها ، فلانة ، التى فعلت هذا له " (٥)

• " أنها ابنته التى تعمل على إحياء اسمه " (٦)

(١) Id., op. cit ., p. 278 (47) .

(٢) Id., op. cit ., p. 278 (48) .

(٣) Id., op. cit ., p. 278 (106) .

(٤) Id., op. cit ., p. 291 (46) .

(٥) Id., op. cit ., p. 275 (15) .

(٦) Id., op. cit ., p. 280 (61) (b) .

تصرف الابن والابنة والأخت معا تجاه الأب بعد وفاته :

- " (أنهما) ابنته وابنة اللذان فعلا هذا له ، وفقا لإخلاصهم نحوه " .^(١)
- " (هذا) ما قام به ابنه محبوبه ، فلان ، وأخته محبوبته ، فلانه ، وابنته محبوبته ، فلانه " .^(٢)

تصرف الابن وبقية أفراد العائلة نحو الوالدين معا :

يقول نفر ششم - رع المسمى بشيشي من الأسرة السادسة " كنت أخشى أبى وكنت فاضلا تجاه أمى وربيت صغارهما " ^(٣) بالإضافة إلى النصائح فى آداب السلوك واحترام الوالدين فى حياتهما فهناك أيضا النصائح الخاصة بالترحم عليهما وتأدية الطقوس وتقديم القرابين من أجلهما وعمل ما هو مفيد لهما ولروحهما ونثر الماء المقدس على مقبرتهما فنجد فى صيغ التراحم الفقرات الآتية :

- " إلى أبى وأمى ، أنا فعلت هذا لهما بعد أن دخلوا فى الغرب (أى توفيا) " ^(٤)
 - " فلان الذى فعل ما هو مفيد لأبيه ولأمه ، العطوف نحو اخوته " ^(٥)
 - " انه فلان الذى يعمل على إحياء اسم أبيه وأمه " .^(٦)
 - " أد الطقوس للمعبود من أجل أبيك وأمك اللذين وضعاك على طريق الأحياء (أى طريق الحياة) " ^(٧)
-

Id., op . cit ., p. 273 (14) . (١)

Id., op . cit ., p. 281 (65) . (٢)

Id., op . cit ., p. 291 (41) . = Urk I, 199 , L. 6-7 . (٣)

Id., op . cit ., p. 273 (15) . (٤)

Id., op . cit ., p. 285 (97) . (c) . (٥)

Id., op . cit ., p. 280 (60) . (٦)

Id., op . cit ., p. 292 (51) . (٧)

- " قدم الماء (المقدس) لأبيك وأمك اللذين يرقدان فى الوادى (الجبانة) . وهذا ما يجب ان تثبته أمام المعبودات ، الذين سيشهدون بقبول هذا العمل (الطيب) . ولا تنسى المجاور (لهما) الذى قام (بهذا العمل من قبل) أملا فى أن يقوم أبناك بعمل مثيل لعملك تجاهك فى المستقبل " .^(١)

وبقية أفراد العائلة يشتركون فى تبجيل الأب والأم بعد وفاتهما :

فيقال فى صيغ التراحم الآتية :

- " انه أبن ، فلان ، الذى فعل (هذا) له " .^(٢)
- " (أنه) ابن ابنتها ، الذى فعل هذا لها " .^(٣)
- " (أنه) ابنى وحفيدى اللذان يعملان على فاعلية اسمى فى المعبد " .^(٤)
- " أنه أخيه الذى يعمل على إحياء اسمه " .^(٥)
- " إنها أخته التى تعمل على إحياء اسمه " .^(٦)
- " إنه ابن أخته الذى يعمل على إحياء اسمه " .^(٧)
- " إن أولادك يجتمعون فى مظهر واحد ، ويكون بقلب متأثر " .^(٨)

Id., op . cit ., p. 292 (53) . (١)

Id., op . cit ., p. 271 (3) . (٢)

Id., op . cit ., p. 272 (4) . (٣)

Id., op . cit ., p. 279 (49) . (٤)

Id., op . cit ., p. 277 (41) , 280 (59) , 283 (84) . (٥)

R. el Sayed , op . cit ., p. 276 (33) . (٦)

Id., op . cit ., p. 279 (55) . (٧)

Id., op . cit ., p. 288 (112) . (٨)

صيغ الترابط الأسري بين الأبناء داخل الأسرة الواحدة :

تبين نصوص التراحم روح المحبة التي كانت تسود بين أبناء الأسرة الواحدة ، وحرص صاحب النص على إظهار أنه كان محبوبا من أبيه ومن أمه وعطوفا نحو أخوته ، مثال ذلك :

" المحبوب من أبيه ، المحبوب من أمه ، المحترم نحو هؤلاء الذين معه ، اللطيف نحو أخوته وأخواته " (١)

- " أنتى (إنسان) ممدوح من أبيه ومن أمه " (٢)

- " إننى محبوب من أبى ، وممدوح من أمى ... وممدوح أيضا من أخوتى " (٣) .
وهناك نصوص عديدة بهذا المعنى وهى : (٤)

- " الممدوح من أبيه ، محل تقدير من أمه ، اللطيف نحو أخوته " (٥)

- " محبوب من أخوته وأخواته يوميا ودائما " (٦)

- " أنا المكرم من أبيه ، الممدوح من أمه ، ومحل ثقة أخوته " (٧)

(١) Id., op . cit ., p. 273 (13) .

(٢) Id., op . cit ., p. 274 (18) (b) .

(٣) Id., op . cit ., p. 274 (18) (a) .

(٤) Id., op . cit ., p. 274 (19) .

(٥) Id., op . cit ., p. 285 (93) ; 286 (100) .

(٦) Id., op . cit ., p. 280 (57) .

(٧) Id., op . cit ., p. 284 (86) .

صيغ البر بالآخرين من أفراد الأسرة :

هناك صيغ عديدة منها :

- " (هذا) ما قام به كواجب نحو أخوته ، لكي يجعل اسمهم مزدهرا على الأرض " (١)
- " كنت (إنسانا) ممدوحا من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، ولطيفا نحو أخوته ، ومخلصا نحو أقاربه " (٢)
- " كنت (إنسانا) ممدوحا من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، ولطيفا نحو أخوته ، وملخصا نحو أقاربه " (٣)
- " أنا إنسان يستحق أن يكرم ، محبوب من أبيه وممدوحا من أمه ، لطيفا نحو أخوته ، ودودا مع أقاربه " (٤)
- " محبوب من أبيه ، محل رعاية من أمه ، لطيفا نحو أقاربه " (٥)
- " أنا (إنسان) محل تقدير من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، اللطيف نحو أخوته ، اجتماعي نحو أهل مدينته " (٥)
- " محل تقدير من أبيه ، ومحل رعاية من أمه ، اللطيف نحو أخوته ، الذي دفن أجداده في جباتته ، وأعد جنازة أمه في داخل أسوارها (أى سور الجبائنة) " (٦)

(١) R. el Sayed, op . cit ., p. 279 (52) .

(٢) Id., op . cit ., p. 286 (104) .

(٣) Id., op . cit ., p. 283 (85) .

(٤) Id., op . cit ., p. 285 (96) .

(٥) Id., op . cit ., p. 285 (95) .

(٦) Id., op . cit ., p. 286 (101) .

- " أنا فعلت هذا من أجل حمايتي " (١)

صور ومناظر وأوضاع بعض التماثيل التي تعبر عن الترابط الأسري :

نجد الكثير من المناظر التي نشاهدها على جدران المقابر وكذلك أوضاع بعض التماثيل تعبر عن روح الترابط الأسري ، ومرافقة الزوجة والأولاد لرب الأسرة والتفافهم حوله في مختلف مناظر الحياة اليومية . ونجد هذه الروح الأسرية في المناظر التي تمثل مختلف الطبقات من غنيها إلى فقيرها ، في المناظر التي تمثل الملك وأفراد العائلة الملكية أو التي تمثل كبار الشخصيات وزوجاتهم وأولادهم .

كما تتجلى روح المحبة والتعاطف والتماسك التي تسود أفراد العائلة المصرية القديمة في أوضاع بعض التماثيل للملوك والأفراد منذ عصر الدولة القديمة . ولعل الملك الأكثر تمثيلا هو وأفراد أسرته ، هو الملك اخناتون ، نظرا للاتجاهات الواقعية التي سارت فيها الفنون في عهده ، ولهذا نجح الفنان في تصوير هذا الترابط أصدق تصوير ، وهي مناظر عديدة ومتنوعة . ومن أجمل هذه الصور التي تمثل العواطف في الحياة العائلية ، صور تمثل إحدى الأميرات من بنات اخناتون وهي تقف بين أختيها وتلف ذراعيها برقبتيهما ، وتميل إلى أختها على يمينها تضمها على حين تخاصرها أختها ، كأنما هي تهم بتقبيلها ، ويوجد هذا المنظر على لوحة في المتحف المصري . وصورة أخرى بالمتحف المصري أيضا نرى عليها الملك والملكة جالسين متقابلين تحت أشعة الشمس يدلان بناتهما ، ويعد هذا المنظر من أروع المناظر العائلية التي وصلت إلينا (٢) . وصورة ثالثة نقش على لوحة محفوظة الآن بمتحف برلين تمثل اخناتون جالسا على مقعد ، يحمل بين يديه طفله الصغيره مقبلا إياها ، على حين تشير الطفلة بأصبعها نحو أمها الجالسة على الجانب

Id., op . cit ., p. 275 (24) (b) .

(١)

(٢) Saleh – Sourouzian , Official Catalogue, The Egyptian Museum Cairo , no 168 .

الآخر من المقعد ^(١) . فكانت بنات أخناتون يظهرون دائما إلى جوار أبيهم وأُمهم .
ويوجد منظر رابع في المتحف المصري يمثل اخناتون وزوجته وابنته يتعبدون إلى
آتون ويقدمون الآنية نمس ^(٢) . أو الملك والملكة وبناتهم في الشرفة الملكية يعطون
الهدايا لموظف من ورائه وزوجته ، وهو منظر موجود في مقبرة في تل
العمارنة ^(٣) . أو أخناتون مع زوجته وإحدى بناته على عربته الحربية في منظر من
مناظر مقبرة محو بتل العمارنة ^(٤) . وعلى لوحة أخرى بالمتحف المصري نرى
اخناتون وعائلته يقدمون باقات اللوتس إلى المعبود آتون ^(٥) .

وهناك منظر في إحدى مقابر تل العمارنة يمثل أخناتون وزوجته يندبان
إحدى بناتهما ، ويرفعان أيديهما على الجبهة علامة الأسى ويمسك الملك بيد الملكة
مواسيا ^(٦) . وهناك منظر أخير نرى فيه أميرة تجلس على ركبتى أمها ، على حين
تقف أميرة ثانية تداعب أمها بوضع يدها تحت ثفن الأم ^(٧) ونجد هذه الأوضاع نفسها
في التماثيل :

ففي متحف اللوفر يوجد تماثيل أخناتون وزوجته يسيران وقد اشتبكت

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ ؛ تاريخ مصر
القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل
١٣٢ - ١٣٦ .

(٢) Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 23 .

وأیضا : د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : التربية والتعليم في مصر ،
شكل ٢ . Saleh - Sourouzan, op . cit ., no 164 .

(٣) Allam, op . cit ., p. 26 .

(٤) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، شكل ٨ .

(٥) Saleh - Sourouzan, op . cit ., no 166 .

(٦) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، شكل ١٢٤ .

(٧) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ .

راحتاهما^(١) . وعلى تمثال آخر بالمتحف المصرى نرى اخناتون يقبل إحدى بناته^(٢) . وفى متحف المتروبوليتان بنيويورك نجد تمثال يمثل مربى عند الملك امنحتب الثالث ، وهو يحمل أطفال الملك الأربعة على حجره^(٣) . أو التمثال الذى يجمع بين امنحتب الثالث وزوجته الملكة تى .

وثمة أوضاع أخرى نراها على ظهر كرسى عرش الملك توت عنخ آمون ، نرى فيها منظرا يمثل الملك جالسا وأمامه الملكة مائلة وفى إحدى يديها إناء صغير للعطر تأخذ منه باليد الأخرى عطرا وتمس به كتف زوجها برقة لطف تعطره به^(٤) . وهناك منظر آخر يمثل توت عنخ آمون جالسا على كرسى ، وبجوار سبع مروض ، وهو يرمى الطيور بالسهم ، على حين جلست الملكة أمامه تتاوله سهما وتشير بإصبعها إلى بعض الطيور وتوجه نظر زوجها إليها^(٥) أو منظر فى متحف برلين يمثل زوجة توت عنخ آمون وهى تقدم له الزهور^(٦) . حتى فى المناظر التى تمثل الملك وهو يؤدب الأعداء نجد الملكة حاضرة ، مثل المناظر الذى يمثل الملك رمسيس الثانى وهو يؤدب أحد الأعداء فى معبد أبى سنبل الصغير ، ونسراه وهو يهوى بمقعدة قتاله أو أداة الحرب على رأس العدو ومن خلفه زوجته نفرتارى^(٧) .

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، شكل ؛ Saleh - Sourouzan, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo , no 168 .

(٣) المرجع السابق ، شكل ٤٥ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، شكل ١٢٠ .

(٤) Saleh - Sourouzan , op . cit . , no 179 .

(٥) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٢٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٦ - ١٢٨ ؛ بيير مونتييه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ٦٩ .

(٦) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٢٣ .

(٧) Le Petit temple d'Abou Simbel, pl . 35 - 36 .

وهناك منظر يمثل رمسيس الثالث وهو يداعب إحدى زوجاته في نقش من نقوش حجرات معبد مدينة هابو .^(١)

أما بالنسبة لمناظر كبار الشخصيات التي مشاهدتها على جدران المقابر . وتعتبر عن روح الترابط الأسرى ، فنقول أنه يوجد مناظر عديدة أيضا . فقد حرص الفنانون فيما رسموه أو نقشوه من صور على جدران المقابر على تصوير الأب وإلى جواره زوجته يجلسان أو يقفان متجاورين يحيط بهما أولادهما ، فحرص الفنان على تصوير الأب برفقة زوجته وأولاده في مناظر الحياة اليومية من عمل أو خروج للصيد أو مناظر تمثل وسائل التسلية .

ففي مناظر الحياة اليومية نجد المرأة تصاحب زوجها حين يقوم بجولاته في ضياعه ، وتراقب الصنّاع أثناء عملهم ، وتشهد عملية تعداد الماشية ، وتشرف على عمال الحصاد في الحقول^(٢) . وفي مناظر الخروج لصيد الطيور والأسماك نرى الزوجة والأولاد يرافقون الزوج وهو واقفا في قاربه ويقوم برشق الأسماك بالحرايب وصيد الطيور بعصى الرماية ومن خلفه زوجته وابنته يساعده . أو نراه واقفا في القارب ممسكا بعصا الرماية ومعه زوجته ، كما نرى ذلك في مقبرة نب آمون (منظر موجود الآن بالمتحف البريطاني) ومقبرة نخت^(٣) . وفي كثير من المناظر التي تمثل المآدب أو وسائل التسلية أو سماع الموسيقى نرى الزوجة مصورة خلف زوجها وهي تلف ذراعها حول الجزء الأعلى لذراع زوجها أو تلف ذراعها حول الجزء الأعلى من جسم زوجها ، في رقة ولطف كناية عن إخلاصها له وارتباطها

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، شكل ٣١٦ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، وأيضا :

Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 118 , 120

Allam , op . cit . , p. 24 , 119 , 121 .

به (١).

أما التماثيل الأسرية التي تمثل الزوج والزوجة وحلوهما أولادهما ، فهي عديدة أيضا ، وتمتلى متاحف العالم بالتماثيل من هذا النوع ، ونرى فيها عادة الزوجة وهي واقفة بجوار زوجها وهي تلف ذراعها حول الجزء الأعلى من جسم زوجها . فنرى في تمثال بالمتحف المصرى القزم سنب من الأسرة الخامسة ، الزوجة تجلس إلى جوار زوجها ، وتلف ذراعها فى رفق حول خصره دليلا على المحبة ن على حين وقف الأولاد بجانب والديهم فى أدب واحترام (٢) . وتمثال مرس عنخ مع ابنتيه من نهاية الأسرة الخامسة (٣) . وتمثال سن نفر حاكم طيبة مع زوجته وابنتيهما بالمتحف المصرى .

صور من انفصال الترابط الأسرى :

وكما توجد ، كما رأينا ، صيغ وصور تؤكد على الترابط الأسرة والود والحب والعواطف التى كانت تجمع بين أفراد الأسرة الواحدة . نجد أنه هناك بعض الصور التى تمثل انفصال هذا الترابط ، وقد ينتهى الزواج بالانفصال إما بسبب الطلاق أو بسبب وفاة الزوج أو الزوجة . وكان من أسباب الطلاق التى تحدثنا عنها الوثائق ، ما يأتى :

١- الشقاق المستمر والكراهية أو النفور المتبادل .

٢- الحب لشخص ثالث .

٣- زنا المرأة .

(١) Saleh - Sourouzian , Official catalogue : Egyptian Museum , no 39 .

(٢) Id . , op . cit . , no 51 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، شكل ١٢٨ - ١٢٩ .

٤- عدم إنجاب المرأة .^(١)

كان للزوج الحق في تأديب زوجته ، على شرط إلا يؤذيها أو يسبها وكان الزوج يتعهد أمام القضاة بعدم إهانة زوجته وإلا عوقب بمائة ضربة أو جلده وحرم من الانتفاع بأي عقار مشترك بينهما . وكان والد الزوجة هو الذي يطالب السلطات بحمايتها في حالة إساءة الزوج لها ^(٢) . وعلى أوستراكا في متحف براغ ، يوجد نص عبارة عن خطاب كتب بواسطة زوجة عذبتها زوجها ، وفي هذا الخطاب تطلب مساعدة أختها قائلة :

" سوف أرسل لك بعض الشعير لطحنها وأضيفي إليها بعض الحنطة ثم أرسلها إلي . فقد حدث خلاف بيني وبين زوجي ، وقال أنه سوف ينفصل عني ، وتشاجر مع امي على تمن كمية من الخبز نحتاجها وقال لي :

" أمك جعلت منك إنسانة عديمة الفائدة ، وأخوتك وأخواتك لا يهتمون بك " وهذا ما يردده باستمرار ، ويتشاجر معي يوميا ويقول : " ماذا فعلت لي منذ أن جئت لتعيشي معي هنا ، كل الناس الآخرين يرسلون إلى أقاربهم خبزا وجعة وسمكا فإذا لم تفعل ... عليك ان تقومي ... " ^(٣) .

وكان من المعتاد إذا واجه الزوج بعض الصعوبات المادية فكانا والدي الزوجة يتدخلان للمساهمة في المصاريف . وفي نص على أوستراكا في متحف برلين ، يخبرنا أن والد العروس أعطاهم أدوات عديدة ووعد الزوج بأن يدفع له في شكل حبوب لمدة سبع سنوات .^(٤) وفي حالة الانفصال كان من حق الزوجة استرداد الممتلكات الآتية :

١- هدية البكارة .

(١) Allam , op . cit . , p. 48 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) Allam , op . cit . , p. 46 .

(٤) Id , op . cit . , p. 46 .

٢- النقدية اللازمة لكي تصبح زوجة .

٣- جميع ممتلكاتها الخاصة .

وبالطبع فإن قيمة هذه الأشياء كانت تختلف من حيث المستوى المادى لكل زوج . أما فى حالة انفصال الزوجة من نفسها عن زوجها فيصبح من حق الزوج نصف هدية البكارة . وثلاث الممتلكات المشتركة فى بعض الحالات . ويبدو أن الزوج كان يؤدى قسما أثناء توقيع عقد الزواج ، وكان هذا القسم يؤدى فى حضور والد الزوجة ونبلاء القرية ، ويتعهد بأنه إذا طلق زوجته فإنه سيخسر مائة قوس ، ويفقد كل الممتلكات المشتركة .^(١)

وكان الأب هو الذى يعتنى بابنته الطلقة . ولهذا نجد فى وثيقة أخرى أن الأب يمنح ابنته المتزوجة الحق فى أن تعيش فى منزله إذا طلقها زوجها . وهذا الوعد حرر بالصيغة الآتية :

" أنت يا ابنتى الطيبة ، إذا العامل باكى طلقك من منزل الزوجية ، فإنك تستطيعين العيش فى منزلى ، الذى شيدته ولا أحد يستطيع طردك منه " .^(٢) وفى الوثائق الخاصة بسرقات المقابر ، اتهم أحد الأزواج باشتراكه فى عملية السرقة ، فمنعه حماه من العيش معه فى منزله^(٣) . وعندما يتم الطلاق يعطى الزوج زوجته وثيقة الطلاق وفيها يعلن عن تخليه عن كافة حقوقه فى الترابط الزوجى . ويؤكد فى الوقت نفسه حق زوجته فى الزواج مرة أخرى . وكانت صيغة الانفصال كما تحدثنا عنها بعض النصوص كالآتى :

" لقد هجرتك كزوجة لى ، وأننى أفارقك وليس لى مطلب على الانفصال ، كما أبلغك أنه يحل لك أن تتخذى لنفسك زوجا آخر متى شئت " .^(٤)

Allam , op . cit . , p . 49 – 50 .

(١)

Id . , op . cit . , p . 52 .

(٢)

Id . , op . cit . , p . 52 .

(٣)

Id . , op . cit . , p . 49 .

(٤)

وفاء الزوج لذكرى زوجته :

كان الزوج لا يتوان فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل علاج زوجته إذا هى مرضت ويستدعى لها الطبيب بالمنزل ، وإذا توفيت حزن عليها حزنا شديدا ويحيط جنازتها ومدفنها بكل تكريم ويستمر هذا الحزن فترة طويلة وقد يصاب بالمرض نتيجة ذلك الفراق . فهناك قصة رجل فقد زوجته أثناء غيابه عنها لظروف عمله ووظيفته فحزن عليها حزنا شديدا حتى أصابه المرض ، وقيل له أن مرضه قد تسببت فيه روح زوجته المتوفاة . فكتب خطابا إلى روح زوجته ووضعها فى مقبرتها ، ويستعطفها ويسترضيها . ويذكرها بكل ما قام به نحوها عندما كانت تعيش معه وأنه لم يدخل على قلبها أى هم أو حزن وعندما مرضت استحضر لها كبير الأطباء ، وكيف أنه قضى ثمانية شهور دون أن يأكل أو يشرب بسبب التفكير فيها أثناء غيابه فى مأمورية فى الجنوب ، وعندما عاد إلى منف حيث منزله ، عرف بوفاتها فبكى كثيرا مع أهله أمام منزله ، واستحضر أحسن الملابس والأقمشة لكى يلفونها فيها ، ولم يدع شيئا حسنا إلا فعله من أجل تكريم نهايتها . وقد كتب هذا الخطاب على بردية موجودة الآن بمتحف لندن .^(١)

وهناك بردية بالمكتبة الأهلية فى فيينا عثر عليها فى منف ، من أقدم البرديات اليونانية إذ يرجع تاريخها إلى أيام الإسكندر الكبير على ما يرجح ، وتحمل دعاء لسيدة يونانية أسمها ارتيميسيا إلى المعبود سراييس لينزل اللعنة على زوجها الذى هجرها بعد أن أنجبت منه طفلة توفيت فلم تحظ منه بهدايا أو شعائر دفن لائقة .^(٢)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ؛ بيير

مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ،

بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ حاشية (١) .

هناك نصوص وصلتنا ابتداء من الدولة قديمة تبين وفاء الزوج لذكرى زوجته وكذلك وفاء الزوجة لزوجها بعد وفاته ، وذلك بإقامة لوحة أو تمثال أو بناء مقبرة له وتقديم القرابين باسمه ، وأحياء ذكره بكافة الوسائل ، مما يدل على روح الترابط التي تجمع بينهما . فهذا زوج أقام لوحة باب وهي لزوجته فى مقبرتها ، وهذا الباب هام بالنسبة لدخول الروح إلى المقبرة ، ويقول النص :

" انه فلان (أى الزوج) الذى فعل هذا لزوجته فلانه التى دفنت فى هذه المقبرة الجميلة " (١) .

وإذا توفى الزوج حزنّت عليه الزوجة حزنا شديدا هي وأولادها ، ومظاهر حزنها مصورة فى سوم بعض المقابر ، حيث نرى الزوجة باكية نادمة وقد أخذت تصرخ وتلطم خديها رافعة يدها إلى السماء فى أسى كبير . ويحكى نص على لسان متوفى سجله فى مقبرته ، مدى حزن الأسرة والجيران على فقدانه ، فيقول :

" (وعندما) خرجت من منزلى ، ونزلت نحو المقبرة فى مدفن جميل صنعته بقوتى (أى بقوة ساعديه) . كان أهل منزلى يبكون ، (وأهل) مدينتى من وراء أولادى ، يبكون خلفى بدون استثناء " (٢) . وعندما الفراق الأبدى على باب المقبرة كانت الزوجة تودع زوجها بالألفاظ نفسها التى كانت تتأديه بها عندما التقى بها لأول مرة وفى حياتهما الزوجية معا التى كانت يملؤها الحب ، فتقول :

" يا أخى ... يا زوجى ... يا حبيبى ... ابق ... " (٣) .

وقد تظل الزوجة بدون زواج بعد وفاة زوجها . فهناك نص آخر على بردية يقص علينا قصة أرملة توفى زوجها وهي صغيرة ، وعندما تقدمت بها السن أرادت

(١) R. el Sayed , op . cit . , p. 273 (16) (a) .

(٢) Id., op . cit . , p. 288 (111) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٧ ،

وأيضا : . 4656 , 467 n.25 . Lalouette , L'Empire des Ramsès ,

أن تحرر ثلاثة عبيد لديها ، وإن تتبأنهم وتوهب لهم ثروتها بعد وفاتها .^(١) وتبقى بعض الزوجات مخلصات لذكرى أزواجهن ، وتصفن النصوص بلفظ : " المخلصة (أو الوفية) نحو زوجها " .^(٢) وتعمل على إقامة الآثار تخليدا لهذه الذكرى ، وتقول النصوص عنها :

- " إنها زوجته فلانه التى أحبها ، وشرفته ، التى فعلت هذا له وفقا لخلاصها نحوه ، بعد أن دفن فى مقبرته فى الغرب (الجبانة) " .^(٣)

- " إنها زوجته التى تعمل على إحياء اسمه (أى ذكراه) " .^(٤)

أو تتحدث هى نفسها عما فعلته لزوجها فتقول :

" أقمت هذا لزوجى ، محبوبى ، الذى أحببى " .^(٥)

ثالثا - بعض مظاهر وأنشطة الحياة الأسرية :

(١) أماكن معيشة الأسرة :

كان المنزل - ولا يزال - هو المكان الذى يعيش فيه الإنسان أغلب سنوات عمره ، وهو المكان الذى يشهد ميلاد الأسرة والى ينمو فيه أفراد الأسرة الصغار ، وهو الشاهد على الحياة الأسرية بكل ما فيها من علاقات وكل ما فيها من حركة ونشاط . وكان المصرى حريصا على أن يكون هذا المكان مزودا بكل وسائل الراحة .

(١) Allam , op . cit ., p. 18 .

(٢) R. el Sayed , op . cit ., p. 274 (17) (b) .

(٣) R. el Sayed , op . cit ., p. 273 (10) .

(٤) Id . op . cit ., p. 280 (61) (c) .

(٥) Id . op . cit ., p. 273 (11) .

وتختلف أشكال هذه المنازل ومحتوياتها طبقاً لِنوعية مستوى الأفراد التى تسكنها والطبقات التى ينتمون إليها . فهناك بالطبع القصور والبيوت التى تخص الأشراف وكبار رجال الدولة والكهنة وبيوت الفنانين والصناع والعمال وبيوت المزارعين أو الفلاحين .

كان المصرى القديم يعيش فى منزل بسيط حرص فيه من بنائه أن يكون ملائماً للجو الذى يعيش فيه ، فبناه من اللبن والخشب ، وجعله فسيحاً ، وأكثر من الفتحات كالأبواب والنوافذ والملاقف ، وكانت تتخلله الأبهاء وقاعات الطعام والاستقبال . وفى الجزء الخلفى من المنزل ، كانت توجد غرف النوم ، ويوجد إلى جانب غرف النوم غرفة تتخذ حماماً ، وإلى جوار الحمام يوجد عادة مرحاض .

وكان المنزل يضم أثاثاً يمتاز بالبساطة ^(١) ، ويعد السرير من أهم قطع الأثاث المنزلى ، ويوضع عليه وسائد مترفة ، ويوضع فى باقى الغرف الكراسى والمقاعد ، ومنها البسيط ومنها الفخم . هذا إلى جانب الموائد المصنوعة من الخشب أو المرمر المصرى أو حجر الشست ، ويوضع عليها أوانى فخارية أو حجرية أو معدنية تمتاز ببساطتها وجمال شكلها ، وهى أوانى من أشكال شتى لوضع الفاكهة والأطعمة ولحفظ أصناف الشراب وكذلك العطور والحبوب . وتمتاز جميعها بدقة صنعها وجمال نسبها وتناسقها .

أما أرضية حجرات المنزل فكانت مغطاة بالحصير ، فمثلاً أرضية غرف الجلوس كانت تغطى بقطع من الحصير الملون . كما كانت جدران المنزل تحلى بالحصير الملون . وهناك الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والحلى وأدوات الزينة كالعطور والأمشاط وما إليها .

وكانت المنازل تضاء بقناديل تملأ بالزيت وتطفو فيها الفتيلة ، وكانت

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٦ - ١٤٨ ؛ د.

بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء هـ ، الحضارة المصرية ، ص ٥٧ - ٥٨ ، ٧١ - ٧٣ .

توضع أحيانا على قواعد عالية للانتفاع بضوئها الضعيف إلى أقصى حد ممكن . وإذا نظرنا إلى تكوين منازل الطبقة الغنية في تل العمارنة ، فنجد أن المنزل كان يتكون من طابق واحد ، ويحيط به حائط مرتفع ، به غرف للبواب قرب المدخل . وبعد ذلك نجد فناء يؤدي إلى الجزء الرئيسى فى المنزل وهو مستطيل الشكل بحيث يحتوى على أجزاء ثلاثة رئيسية فى كل مسكن ، والأول عبارة عن قاعة فسيحة مخصصة لاستقبال الزوار ، والثانى الجزء الأوسط معد للسكنى وله يقف مرفوع على أعمدة خشبية ، والجزء الثالث كان مخصصا للحياة العائلية ويشمل قاعة المعيشة الخاصة وغرف النوم . وملحق بهذا الجزء المرافق الصحية منها مقاعد يجلس عليها المرء عند قضاء حاجته وحجرة للرشاش (دش) وحجرة للتدليك واستعمال الدهانات ، وكان يتم تصريف المياه إلى الخارج بواسطة قناة من الفخار .

أما المطبخ فلم يكن بالمبنى الرئيسى للمنزل ، وإنما كان المطبخ فى الخارج فى فناء المنزل فى مكان منعزل عن الضوضاء واثربة الطريق ، كما كان يوجد فى هذا الفناء مساكن للخدم وبئر لجلب المياه وفرن ، فضلا عن صوامع للفلل وإسطبلات للخيل وحظائر للماشية وورش صغيرة للصناعات المختلفة ، كما يوجد أحيانا بركة صناعية وكشكا للموسيقى ، هذا فضلا عن أشجار زرعت فى حفر مليئة بطمي النيل .^(١)

(٢) الخدم والعبيد فى المنزل :

كان يعبر عن كلمة خدم بعدة ألفاظ مصرية قديمة ، سجم " المستمع " أى من يسمع النداء ، وعب " الساقى " ويعبر عن كتابة برسم أناء ، وشمسو " التابع " أى التابع لسيده كلما خرج . وكان الخدم يقومون بخدمة سيدهم فى السقاية والطعام ، وخدمة المقربين من مائدة سيدهم . وكانوا يقومون بالعناية بنظافة المنزل والاهتمام بملابس سيدهم . وكان فى استطاعتهم استماع الأسرار وتذكير سيدهم بأمر هام فى

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٦ .

الوقت المناسب .

وهؤلاء الخدم كانوا من الطبقة الفقيرة ، وهم خدم أحرار بمعنى أنه كان في مقدورهم ترك خدمة سيدهم إذا ما أرادوا ذلك ، أو يحترفون حرفة أخرى ، أو يشترون أملاكاً إذا توفرت لديهم الإمكانيات المادية ^(١) . وكان في استطاعة المخدم أن يطرد خادمه بسهولة تامة إذا أخل في واجباته .

أما الذين يسمون حمو أو باكو كانوا يعتبرون عبيدا حقيقيين وخاصة في عصر الدولة الحديثة . وكانوا يعاملون معاملة شديدة في بعض الأحيان ويقتفى أثرهم إذا ما هربوا من الخدمة . وفي مقبرة نفر حتب نرى كاتباً يقوم بحصر أسماء العبيد أمام سيده ، فأحد العبيد مقيد اليدين ومربوط بحبل يجر منه ، وعبدان آخران يؤدبهما أحد رجال الشرطة وقد قيدت أرجلها . وفي أغلب الأحيان كان هؤلاء العبيد من أصل أجنبي وقعوا في الأسر نتيجة حملة انتصر فيها الملك في الصحراء الشرقية أو غرب آسيا أو في الصحراء الغربية أو في الجنوب . وكان يوزع بعضهم على الرجال المحاربين الذين اشتركوا مع الملك . وكان بعضهم يحتفظ بأسمه الأصلي ، أو يغير أسمه ويحمل أسماء مصرية . وكان في إمكان السيد أن يؤجر عبده أو يبيعه ، ولدينا أكثر من بردية في المتحف المصري تشير إلى بعض المعلومات عن طريقة شراء العبيد . وعندما اتهم بعض العبيد في سرقات المقابر لم تخفف المحكمة العقوبة عليهم بالعكس ضاعفت جلدتهم . وكان السيد يضرب عبده ^(٢) .

ومن العبيد من أوتوا بعض المهارة فكانوا يعرفون كيف يتخلصون من نير عبوديتهم . مثل ذلك العبد الذي كان يعمل عند حلاق وحصل منه على عقد تحرره ، وخلفه في مهنته وتزوج بابنة أخته .

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٧ .

(٣) العناية بالنظافة بوجه عام :

كان المصريون القدماء يعنون عناية كبيرة بالنظافة ، ويهتمون بنظافة أبدانهم وملابسهم ومسكنهم . فكانوا يغتسلون عدة مرات فى اليوم فى الصباح عند الاستيقاظ من النوم وقبل تناول الوجبات الرئيسية وبعد الفراغ منها .

ويذكر هيرودوت انهم كانوا أكثر الشعوب مراعاة للنظافة ويقول : " وهم يغتسلون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين كل ليل " (١) . فمن الأمور التى أهتم بها المصريون اهتماما كبيرا نظافة البدن . فقد كانت النظافة عندهم من الطهارة ، يستوى فى ذلك الغنى منهم ومن كان فقيرا . وقد شهد هيرودوت للمصريين بعدة فضائل سبقوا بها كافة الشعوب منها :

" أنهم أول من راعى السنة التى تحرم مباشرة النساء فى المعابد ودخولها بعد ذلك دون اغتسال " (٢) أى دون طهارة .

كانت أدوات الاغتسال تتكون من أناء متسع وأبريق ذى صنبر . وكان يوضع فى الإناء المتسع رمال ، أما الإبريق فتوضع فيه المياه معقمة بالنظرون أما مياه مضمضة الفم فكانت تعقم بنوع من الملح او بمعجون جاف يحتوى على مادة للتطهير والتنظيف وإزالة الشحم والدهون . (٣)

(٤) الملابس والزينة :

فى الطبقات العليا نجد بعد أول اغتسال يتوجه الرجال إلى الحلاقين وإلى

(١) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ .

مقلّمى أظافر الأيدى والأرجل ، كذلك يتجه النساء إلى محلات التزين ويتولى الحلاق حلاقة الذقن ويقوم بقص الشعر مستعملا موسى منحني السلاح وكانت هذه الأمواس تحفظ فى أجربة من الجلد . ويصبح الوزير أو حاكم الإقليم نظيفا منتعشا .

وتأتى بعد ذلك دور اخصائى الروائح العطرية والطيب ويحضر ما قام بتحضيره فى أوان مختومة من اللبلور أو المرمر أو الزجاج الطبيعى ، كما كان يحمل مساحيق سوداء وخضراء لتجميل العيون داخل أكياس صغيرة . ولتفادى الرائحة الكريهة التى تبعث من الجسم حين تشد درجة الحرارة . كانوا يداونون أنفسهم عدة أيام متتالية بعطر أساسه من زيت وبخور الذى كان يخلط بحبوب وبمادة عطرية أخرى .

وكانت لديهم منتجات للتجميل ولتجديد البشرة ولتقوية الجسم ، وأخرى لإزالة البقع وحبوب الوجه . فكانوا يستعملون مثلا لتقوية البشرة مسحوق المرمر أو مسحوق النطرون أو ملح الشمال ممزوجا بالعسل . كما توجد وصفات أخرى أساس تركيبها لبن أنثى الحمار وزيت الخروع لتلقى الصلع أو إعادة نمو الشعر وانتزاع الشعر الأشيب وبالمتحف المصرى تماثيل صغيرة لنساء ، يتضح لنا منها الطرق المختلفة المتبعة فى تصفيف الشعر ، ولبس الشعر المستعار .^(١)

فضل بعض العامة من الناس فى مصر القديمة رسم حيوان أو طائر يرمز إلى إحدى المعبودات وذلك بطريقة الوشم كنوع من الزينة ورغبة منهم فى كسب حماية هذا المعبود أو هذه المعبودة . أما زينة المرأة الغنية فكانت حدثا هاما مثل زينة زوجها ، ويبين لنا نقش بارز كيف كان يتم تزيين إحدى الأميرات ، كما يظهر على تابوت الأميرة كاويت من الدير البحرى ، من الأسرة الحادية عشرة ، ومحفوظ الآن بالمتحف المصرى ، وعليه نرى الأميرة كاويت أثناء إعداد زينتها ومن خلفها فتاة

(١) دليل المتحف المصرى - القاهرة - وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ،

ص ١٤٣ (٦٠٦٥) ، عن تصفيف الشعر وأشكاله راجع : Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p. 587 – 88 .

تصف شعرها وهى ممسكة بمرآة وتشرب اللبن ^(١) . أما زوجة العامل البسيط أو الفلاح فتقوم زينتها بنفسها . وكانت زينة الآن تمثل جزءا هاما من زينة الأفراد ، وكانت عبارة عن أقراط مستديرة بسيطة . ^(٢)

أما بالنسبة للملابس فيضع الرجل الأزرار ، ويزين معصمه بزواج أو أكثر من الأساور ، ويضع خاتما فى أصبعه ، وكان يحتذى نعل فى رجليه . وكان بعض المصريين يرتدون ثيابا لا زخرف فيها ، ذات حمالات . وكانوا يرتدون أحيانا ملابس ذات ثنيات من القماش نفسه . وكانت ملابس سيدة المجتمع لا تختلف كثيرا عن ملابس زوجها فكانت تشمل قميصا شفافا ، وفوقه ثوب أبيض شفاف ذو ثنيات مثل ملابس الرجال ، يعقد على النهد الأيسر بينما يكشف النهد الأيمن . وكانت هذه الملابس للطبقة العليا وكبار الشخصيات . أما طبقة العمال فكان أفرادها يرتدون ملابس أكثر بساطة وأكثر فائدة . ^(٣)

(٥) أعداد الطعام والوجبات :

كان المصريون دائما من أكثر الناس أكلا للحوم . فنرى مناظر القصابين وأفواج الحيوانات المخصصة للذبيح تغطى جدران المقابر منذ عصر الدولة القديمة ، كان العجل أكبر مصدر للحوم ، وكان يعرف باسم الثور الأفريقى ، وبعد أن يرعى فترة فى المراعى يساق إلى المجزر . وعندئذ يبدأ دور الجزارين ، وهؤلاء كان يتراوح عددهم بين أربعة أو خمسة رجال . يقوم رئيس الجزارين الضحية بسكين يزيد قليلا عن طوال اليد الواحدة . ويجمع الدم فى أناء يتم فحصها بواسطة

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء

الأول ، شكل ٣٠٤ : : official catalogue , Saleh - Sourouzian

The Egyptian Museum Cairo , no 68 b .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، دار المعارف

١٩٨٤ ، ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٦ ، ٩٨ - ٩٩ .

الأخصائى البيطرى (١).

وكانوا يأكلون أيضا الطيور ومنها طيور الكركى والسمان والأوز والبط والحمام وبط الماء . ويأكلون كذلك أنواع عديدة من الأسماك منها البياض والبورى والقراميط والشال والبلطى الكبير الحجم . وأما أنواع الخضر فهى الكرات والبصل والثوم والخيار والفول والبازله والحمص والخس . أما الفواكه فكانوا يأكلون خلال الصيف العنب والتين والبلح والجميز والبطيخ والشمام . أما جوز الهند فكان فاكهة غريبة مفضلة لدى بعض الخاصة . اما الكمثرى والخوخ واللوز والكريز فلم تظهر على الموائد إلا فى عهد الرومان . وكانوا يزرعون أشجار الرمان والزيتون والتفاح التى أدخلت فى عهد الهكسوس . وكان زيت الزيتون يستعمل فى الإضاءة كما يستعمل فى إعدادا الطعام (٢).

ولا يمكن حصر موارد المصريين القدماء من الفاكهة والخضر بكل دقة . وكانت الطبقات الفقيرة تكتفى فى بعض الأحيان بمص سيقان نبات البردى كما يصنون الآن عيدان القصب وبعض عصير النباتات المائية التى وجدت أكواب مملوءة منها فى المقابر . وكانوا يستعملون مسحوق الخروب والعسل فى تحلية الأطعمة والمشروبات .

وكانوا يربون النحل فى الحدائق وكانت جرار الفخار تستعمل كخلايا للنحل . ويحفظ العسل فى جرار حجرية كبيرة مختومة . أما اللبن فكان طعاما لذيذا ، وكانوا يضعونه فى اوان من الفخار بيضاوية الشكل ، يسدون فوئها بأعشاب لحمايتها من الحشرات وحتى لا يكون إغلاقا محكما . ولمنتجات الألبان أسماء كثيرة منها : القشدة ، الزبد ، الجبن . وكانوا يضعون الملح فى بعض الأدوية والأطعمة . ولم يجهلوا أن الزبد والقشدة وسم الأوز ودهن لحوم العجول الصغيرة كانت صالحة جدا

(١) Chr . Wagnair , la Cuisine et la préparation des aliments
d'apres les Scenes Figurées des Ancien et Moyen
Empires, lille 1966 , p. 10 – 126 .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ – ١١١ .

فى تحضير الأطعمة .

وكان المصريون يأكلون وهم جالسون إما فرادى أو اثنين سويا على مائدة صغيرة يضعون عليها مختلف أنواع الأطعمة من لحوم وطيور وخضر وفاكهة وشرائح خبز صفت بشكل قمى . ويجلس الأطفال على مساند أو على الحصر . ولا يجتمع أفراد الأسرة صباحا عند تناول طعام الإفطار ، وكان الطعام يقدم لرب الأسرة حينما يفرغ من الاغتسال وارتداء ملابسه . كان يأكل قطعة من الخبز وكوب من الجعة وشريحة من لحم الفخذ وقطعة من الفطائر شنس . أما الأم فكانت تتناول وجبة الإفطار وقت زينتها أو بعد ذلك مباشرة .

كانت وجبات الطعام ثلاثا ، الوجبة الرئيسية كانت عند الظهر وفى المساء أما قائمة طعام الوجبتين الأساسيتين ، فكانت تحتوى على لحوم وطيور وخضر وفاكهة الموسم وخبز وفطائر والجعة التى تلازمها دائما . وليس من المؤكد أن المصريين حتى الأغنياء منهم ، كانوا يتناولون اللحوم فى كل الوجبات . أما فترة بعد الظهر فكانت تتخللها وجبة خفيفة من الطعام بين الرابعة والخامسة .^(١)

واستخدم أهل الطبقة الوسطى الموائد المرتفعة محل الحصير . وفى الطبقات الدنيا كانوا يتناولون الطعام وهم جلوس على الأرض على الحصير .

(٦) الطهى :

يطهى الطعام على موقد متقل من الفخار . اسطوانى الشكل يكاد يبلغ ارتفاعه مترا تقريبا ، فى أسفله فتحة يدخل منها الهواء ويخرج منها الرماد ، وفى داخله قضيب أو جملة أسياخ يوضع عليها الوقود . وكان يوضع فوق الموقد إناء له مقبضان . وكان الطاهى لا يكف عن تحريك مروحة حتى تستمر النيران متوهجة لا تخبو طيلة قيامه بالطهى .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢٧ ؛ د. بيومى مهران : المرجع

ولتشغيل الأفران استخدم الطهارة أو الطباخون الفحم الخشبي أو الحطب أو الخشب . ولأجل إيقاد النيران استخدموا ما يعرف باسم " خشب الشراقي " . إلى جانب المواقد كانت هناك الأفران من الطين ، والمعروفة منذ أقدم العصور . فقد عثر بالقرب من قرية بلاص على كثير من الأفران التي تحتوى على حبوب الشعير والحنطة المجففة مما يدل على أن هذه الأفران كانت تستخدم لتجفيف هذه الحبوب لاستخراج الجعة . وأن هذه الأفران كانت تستخدم أيضا في طهي الطعام .

وكانت أدوات الطبخ الجرار والأواني الفخارية والأباريق ، وأدوات المائدة التي تشمل الأطباق المختلفة الأشكال والمتعددة الأنواع . وأيضا السكاكين لتقطيع المأكولات والملاعق والشوك والسلال التي كانت تستعمل في نقل المواد التموينية والموائد ذات القوائم الثلاث أو الأربع لتقطيع اللحوم وإعدادا الأسماك ، والخطاطيف التي يعلقون عليها اللحوم والطيور . والموائد الصغيرة المنخفضة التي يفرزون عليها الخضر والتوابل . ولم يترك المصريون القدماء كتباً عن الطهي ولكن يمكن اخذ فكرة عن مهارتهم في هذا لمجال من أوراق البردي الطبية حيث وصفت وصفات ضد الأمراض كان لابد إعداد عقاقيرها عن طريق الطهي^(١).

ويبدأ الطباخ بوضع الدهن داخل القدر ظن ومن المحتمل أيضا أن تكون محتويات القدر من الخضار المتبل ، وبعد ذلك يحرك ما بداخل القدر بواسطة مغرفة كبيرة . أما اللحم فكان يشوى على هيئة شرائح مبططة بعد تنظيفه . وبالنسبة للدواجن كان الطباخ يقوم بنزع الريش وتنظيف الأوزة أو البطة . وبعد ذلك يقطع رأسها وأطراف أجنحتها وأرجلها ويضعها في سيخ يمسكه بيده ماداً ذراعاًه فوق موقد ينبعث منه نار هادئة . أما باقى الطيور فكانت تؤكل مسلوقة أو مشوية . وتؤكل الأسماك مسلوقة أو مشوية أو مجففة بعد تمليحها أو محفوظة فى اوانى مملوءة بالتوابل .

وكان الخبازون وصانعوا الحلوى والطباخون وصانعوا الجعة يعملون فى

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٢ - ١١٥ .

خدمة الملك ^(١) ، او عند كبار الشخصيات مثل مكت رع او فى ملحقات المعابد الكبرى مثل معبد الكرنك . ويذكر لنا كبير كهنة آمون رومى - روى أنه " شيد مصنعا صغيرا فى المعبد يعمل فيه الخبازون وصانعوا الجعة على السواء " ^(٢) وكانت توضع بعد إعدادها فى جرار صغيرة تسع الواحدة منها لترا او لترين ^(٣) .

(٧) وجود الحيوانات الأليفة فى المنازل :

كان الكلب رفيق الرجل ومساعدته فى الصيد ، فكان يسمح له بدخول المنازل واحتلال مكانه بهدوء تحت مقعد سيده . وبلغ من تكريم المصريين للكلاب أن عثر فى العرابية المدفونة على مدفن للكلاب بين مدافن النساء ورماء السهام والأقزام . وفى أسيوط كانت توجد مقبرة أخرى للكلاب . وسمح للقط بأن يصبح ضيف البيت . وكان يجلس تحت مقعد سيده . وكان يقفز أحيانا على ركبة سيده ويعمل مخالفه فى ردائه الفاخر المصنوع من الكتان . وبلغ القرد مكانة قريبة من قلب الرجل ، فمنذ عصر الدولة القديمة كان له مطلق الحرية فى دخول المنزل . وعثر على لوريه فى مقبرة تحوتمس الثالث على مومياء قرد دفن معه لأنه أدخل البهجة فى نفس الملك خلال حياته ، وهناك منظر يمثل توت عنخ آمون جالسا على كرسي وبجواره أسد مروض ^(٤) . وبالمتحف المصرى ، لوح من العصر العتيق ،

(١) هناك تمثال بالمتحف المصرى تحت رقم 66624 . JE من نهاية الأسرة الخامسة عثر عليه فى مقبرة فى الجيزة ، من الحجر الجيري الملون ، يمثل امرأة تقوم بإعداد خميرة لشراب ما ، راجع :

Saleh - Sourouzian , official catalogue : The Egyptian Museum Cairo (1987) , no 52 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٨ .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٩١ .

نصب تذكارا لكلب محبوب ، عثر عليه في أبيدوس ^(١) وهناك أيضا غزالة ، يرجح أنها كانت تعتز بها إحدى أميرات الأسرة الحادية والعشرين . وقد حنطت ثم وضعت في تابوت على صورة الحيوان نفسه .^(٢)

رابعاً - أساليب شغل أوقات الفراغ :

(١) الرياضة بأنواعها :

كان الغرض منها تنمية البدن والرشاقة ، فضلا عن أغراض اللهو والمتعة وفي الواقع ان الرياضة لم تكن ميسرة لغير القلة من الناشئين ، مثل أبناء الأثرياء والمحترفين . وبعض العسكريين ، ومن تسمح لهم ظروف معيشتهم بأوقات فراغ استمتع ، وكان هناك نوعان من الرياضة :

(أ) ألعاب يسيرة الأداء والأوضاع :

وتشمل التمارين البسيطة باعتبارها من ألعاب اللهو والتسلية ، وكانت تشمل تمارين أخرى ، اتصفت بنصيب من البراعة والنضج ، سجلتها مناظر ترجع إلى القرن العشرين ق.م . وتتألف من تمرين للف الجذع الأعلى في شدة . وتمرين صور حركة سريعة ينقلب فيها غلام على ناحية رأسه ، ويحفظ توازنه في استقامة كاملة ، دون ان يركز على يديه أو كفيه . وتمرين آخر جلس اثنان فيه متظاهرين على الأرض ، وحاولا الوقوف دون الاستعانة باليدين . وتمرين رابع لمرونة الظهر وتقوية الأطراف ومحاولة الإنثناء إلى الخلف في قوس كامل . وتمرين خامس اشترك فيه خمسة غلمان جمعهم زى موحد ، يؤدي كل منهم وضع من أوضاع مرونة الحركة ، والرغبة في إظهار الرشاقة . وقد

(١) دليل المتحف المصري - القاهرة ، وزارة الثقافة ، مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص

٧٢ (٣٠٧٥) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ (٣٧٨٠) .

شهدت عرضهم أربع فتيات ، وذلك مما يعنى أن رياضتهم كانت تجرى فى أحد بيوت الأغنياء . ثم تقدمت فتاة من الفتيات بقلادة معدنية وبين يديها كانت فيما يبدو جائزة من الجوائز الرمزية أفضل اللاعبين . ولم تخل أوضاع الغلمان الخمسة من يسر وبساطة . وكانت مثل هذه الألعاب اليسيرة تؤدى أيضا فى أماكن التعليم أو دور مخصصة للرياضة .

ومن الألعاب اليسيرة أيضا رياضة العدو والقفز الطويل والسباحة والتجديف والفروسية التى مارسها المصريون فى الجيش وخارج الجيش ^(١) . وكان معظم المصريين يعرفون السباحة وأهالى دندرة كانوا يغطسون فى مياه النيل ويعبرونه بكل سهولة دون خوف من التماسيح ^(٢) . وقد ورد رسم سباحين على جدران مقبرة مري روكا ^(٣) .

أما الفتيات فكن يفضلن الألعاب التى تحتاج إلى مهارة فكن يعلبن لعبة رمى الكور فى الهواء بسرعة ولقفها تباعا . وكانت تتركب صغارهن ظهور الكبيرات ويتقافزن الكور ، وكن يتماسكن من الخصور ويتصارعن ، ولكن لعبتهن المفضلة كانت الرقص ^(٤) .

(ب) ألعاب عنيفة وشاقة :

نوع آخر من الألعاب ، استلزم اداؤها نصيبا كبيرا
من الجهود والمهارة والتمرين الشاق ، وأداها الشبيبة : هواة ومحترفين ، ومارسها

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٣ شكل ١ ، ص ١٧٤ شكل ٢-٥ ، ص ١٨٨ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٥٢ ؛ بيير مونتيه : الحياة فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ حاشية (٦) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

العسكريون ومنها :

المصارعة : وقد صورت على جدران بعض المقابر فى الدولة القديمة ، اشترك فى أوضاعها صبية صغار . فهناك منظر فى مقبرة بتاح حتب ، من القرن الخامس والعشرين ق.م . وسجلت فيه ستة أوضاع للمصارعة ، يؤديها صبية عراه ، يبلغون الستة أو أكثر ، ويشاركهم فى لعبهم أبى الوزير نفسه .

وعثر من الدولة القديمة على اوستراكا عليها شابان يتصارعان . ومن الدولة الوسطى عثر على لوحات من القرن العشرين ق.م فيها أوضاع مختلفة للمصارعة كانت تقام فى ساحات عامة ، وكانت هذه الساحة تحدد جوانبها بعلامات ، وتفرش برمل أو حصير . وفى مقابر بنى حسن ، رسم الرسامون ٢١٩ وضعاً للمصارعة . وكان الهدف من هذه الأوضاع هو الرغبة فى التغلب على الخصم بعد الاشتراك معه فى مباراة منظمة مجهزة فى الوقت نفسه . وشغلت مناظر المصارعة لوحات كبيرة فى عصر الدولة الحديثة ، اشترك فيها العسكريون ، وشاهدهم الملوك فى مناسبات النصر الحربى واحتفالاته .

وتبدأ مباراة المصارعة بأن يشد كل لاعب يد منافسه بيسراه ، ويجذب عنقه بيميناه ، وهو تقليد لازال سارياً حتى اليوم . وكان يشترط للفوز ، أن يجبر المغلوب على أن يلمس الأرض فى أوضاع مختلفة ^(١).

أن يتمدد المغلوب فى أولهما على جنبه ، أو يتمدد على ظهره ، أو يرفع الغالب ذارعيه فى الحالتين علامة انتصاره . أو ينكأ المغلوب فيها على وجهه وركبته وكفه . أو يمس المغلوب فيها الأرض بركبتيه ويديه . ولم تخل المباريات كذلك من عبارات يوجهها الحكم إلى اللاعبين أو المتفرجون إلى اللاعبين ، ويناصرون بها فريقاً على آخر . فإذا انتهت المباراة واجه المنتصر الحاضرين

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ، شكل ٦-٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٥٤ - ٣٥٥ .

ويرفع يديه إلى أعلى تعبيراً عن فرحة النصر .

الملاكمة :

----- هناك منظر يمثل اثنين فى وضع يشبه أوضاع الملاكمة فى نقش من مقابر بنى حسن . وهناك صورة باقية من القرن الرابع عشر ق.م تصور مباراة ملاكمة بين خصمين .

حمل الأثقال :

----- وهى محاولة رفع غرارة مليئة بالرمل حتى ثلاثة أرباعها يساعد واحد إلى أعلى ، مع الاحتفاظ بها فى وضع قائم ما أمكن . ويوجد هذا لمنظر فى أحد مقابر بنى حسن .

المبارزة :

----- ومن الألعاب الشاقة المبارزة مثل المنظر الموجود فى مقبرة بتاح حتب بمقبرة الذى يمثل مبارزة بين فريقين ، يركب كل فريق قوارب من البردى .^(١) وظلت المبارزة بالعصى ، رياضة مستحبة شائعة . مارسها المصريون للرياضة والتسلية أحياناً ، ومارسوها خلال التدريبات العسكرية أحياناً أخرى . وتطلب من لاعبيها المهارة وقوة المساعد .

ومارس الرياضون المبارزة بالخنجر . ومن عهد رمسيس الثالث لدينا منظر لجولة فى مبارزة بالعصى ، حضرها أميران من أبناء رمسيس الثالث . وهناك منظر من عصر الدولة الوسطى ، يمثل شاب يقفز قفزة جريئة واسعة بطول ثور واقف ، أى فيما بين مؤخرته وبين قرنيه ، بينما أمسك قرنى الثور وسيقانه وذيله خمسة فتيان أشداء ، لإجباره على الوقوف دون تحرك حتى لا يضر باللاعب حين يقفز من فوقه .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٦ - ١٨٧ ،

وفى منظر من مقابر بنى حسن نرى رجلا يقف على راسه بما يشبه
رياضة اليوجا .^(١)

(٢) مشاهدة ألعاب الأطفال :

----- مشاهدة ألعاب الأطفال وهو يلعبون ويمرحون كان
باعثا للبهجة والسرور فى أفئدة الآباء . وكان اللعب بالكرة من أحب الألعاب إلى
قلوب الفتيات ، وقد صورن وهن يتقافن الكرة فى رشاقة ومهارة دون أن تسقط على
الأرض . ومن ألعاب الأطفال أيضا ، لعبة إخفاء الوجه ، وتتخلص فى أن يجلس أحد
الأولاد ويخفى وجهه عن زميله ويتناوب زملاؤه ضربه ، وعليه أن يكتشف من
ضاربه ، ومن ألعابهم أيضا ، أن يجلس طفلان على الأرض ظهرا لظهر ، وقد
تشابكت أذرعهما ، ويحاول كل من هما أن ينهض قبل الآخر ، دون الاستعانة
بذراعية .

كذلك أغرم الأطفال الصغار بالصعود فوق الأطفال الكبار ومارس الغلمان
أيضا لعبة الطوق ، وألعاب القفز المتنوعة ^(٢) وهناك مناظر عديدة تعبر عن ألعاب
الأطفال منها :

منظر يمثل بعض الأطفال من بينهما غلامان يتبارزان بسيوف قصيرة
وغلام يحمل طفلين فوق ظهره ، ويوجد فى مقبرة من مقابر الدولة القديمة فى سقارة

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٨ شكل ١٢ - ١٣ ؛
تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء
الأول ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، شكل ٢٦١ ، وأيضا :

Daumas , la Vie dans L'Egypte Ancienne , p. 100 - 105 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٢ - ١٦٤ ، ١٧٢ ؛
تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء
الأول ، ص ٢٥٤ .

يمثل بعض ألعاب الأطفال من بينها لعبة الدوران والمرح ، ولم نجد بعض الأطفال يحملون طفلاً فوق أكتافهم ، ويوجد هذا المنظر في مقبرة في سقارة ، ويوجد منظر آخر يمثل بعض الأطفال يتصارعون في أوضاع متنوعة ، ويوجد هذا المنظر أيضاً في أحد مقابر سقارة ، ويوجد منظر ثالث للأطفال يتصارعون ، يلعبون ويوجد هذا المنظر في مقبرة بتاح حتب بسقارة .^(١)

ويوجد رسم فوق أوستراكا من الدولة الحديثة يمثل فتاة صغيرة تسبح .^(٢) وعثر في اللشت على لعبة ميكانيكية من العاج تمثل أقزاماً ثلاثة يرقصون من الدولة الوسطى .^(٣)

(١) وسائل التسلية وألعاب الحظ والفكر :

تعد جانباً من الجوانب الحضارة ، فاختراع وسائل التسلية والترفيه يعبر موقف حضارى وهو الجانب المادى ، واستخدام هذه الوسائل والتصرف فيها ومحاولة حسن استغلال أوقات الفراغ فى هوايات متعددة مفيدة ، هذا هو الجانب الفكرى للحضارة . أن وجود مثل هذه الألعاب المنزلية للتسلية عند شعب لهو دليل على مقدار المضى فى ممارسة رياضة فكرية يسرى بها عن نفسه ويحدد بها نشاطه .

وكانت هناك ألعاب كثيرة ومتنوعة . وكان الأزواج والأصدقاء يلعبون ألعاب التسلية لتمضية الوقت . فمثلاً كان بيتوزيريس يلعب مع أصدقائه بعد تناول طعام الغذاء إلى أن يحين وقت تناول شراب الجعة فى قاعة الشراب . وكان من عادة

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٥٠ - ٣٥٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٣٥ - ٣٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

أهالى طيبة تناول الجعة وهم يلعبون ^(١) . أغرم المصريون القدماء بالعباب منزلية شتى تحتاج إلى فكر فقد لعبها الملوك والأمراء ، فقد ظهرت حضارة نقادة الثانية من العصر الحجري الحديث وسائل لشغل وقت الفراغ . وقد عثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على لعبة كاملة وهى سبع قطع مخروطية الشكل وسبع قطع أخرى اسطوانية كنصف دائرة ، وجميعها من حجر الألبستر ، وكان بجوار هذه الأربع عشرة قطعة ستون حبة من مختلف الأحجار والألوان والأشكال ، ومنها المستديرة والبيضاوية والمخروطية ، وتختلف مادة الأحجار التى صنعت منها فبعضها من الألبستر وبعضها من الأردواز وبعضها من الحجر الجيرى الأصفر ^(٢) .

أما طريقة اللعب بهذه القطع فلم نستطيع التوصل إليها . وقد عثر أيضا على كثير من قطع اللعب مصنوعة من سن الفيل ، وهى مختلفة الأشكال ، إلا أنها لنفس اللعبة الكاملة ^(٣) وكان لدى المصريين لعبة تشبه لعبة " الضاما " تمارس على رقاع مقسمة إلى مربعات تختلف عددها ، ولو أن أغلبها كان يتكون من ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين مربعا صغيرا مقسمة إلى ثلاثة صفوف ^(٤) . وكان المتنافسان يجلسان فى مواجهة بعضهما . وكانا يجلسان فوق مقاعد قصيرة لا مساند لها وأرجلهم ممتدة فوق وسائل صغيرة ، ويلعب الزوجان غالبا الواحد منها ضد الآخر . وكانت الأبنة تساعد أباهما فى اللعب وهى تلف ذراعها حول رقبته .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٧ ، صورة ٨٩ - ٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) مثل ما هة ممثل على سطح صندوق اللعب الخشبى والمرصع بالأبنوس والعاج والذى عثر عليه كارتر فى مقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، ويبلغ ارتفاعه ٢٠,٢ سم وهو معروض ضمن آثار توت عنخ آمون بالمتحف المصرى ، راجع :

وفى مقبرة بيتوزيريس نراه يلعب مع أصدقائه بعد تناول طعام الغذاء إلى أن يحين وقت تناول الجعة فى القاعة المخصصة لذلك . وكان أهل طيبة يتناولون الجعة وهم يلعبون ^(١) . ويقوم المتنافسان بتحريك قطع اللعب وفقا لقواعد خاصة لا يزال الكثير منها ^(٢) . وأحيانا يلعبها الشخص بمفرده ، مثل المنظر الموجود فى مقبرة سنجم فى دير المدينة . ^(٣)

وكان يطلق على هذه اللعبة اسم " سنت " ^(٤) وتعنى الكلمة أو التسمية " مرور ، عبور ، اجتياز " ^(٥) وكانت هناك لعبة أخرى تشبه لعبة الشطرنج يجرى فيها اللعب بدبابيس من العاج خمسة منها تتوجها رؤوس كلاب بينما تتوج الخمسة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٢ ، ١٧١ .

(٣) وفى الواقع أن هذا المنظر موجود على لوحة من الخشب الملون ، موجود الآن بالمتحف المصرى . Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 121 ; Saleh- Sourouzian, op. cit ., no . 215 .

(٤) قام بدراسة هذه اللعبة بوش منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر المتأخر ، راجع : Puschi , Das Senst-Brett spiel (MAS 38) (1979) p. 6- 373.

(٥) وفى الواقع أن لعبة السنت كان يمارسها كافة طبقات الشعوب . وفى مقبرة الكاتب حسى رع من الأسرة الثالثة ، مثلت على جدران مقبرته بسقارة لعبة السنت . وعثر فى القائمة الخاصة بالمتاع الجنائزى للأمير رع حتب التى عثر عليها فى ميدوم على بقايا أجزاء من لعبة السنت . وكان العمال الذين اشتركوا فى بناء الأهرام يلعبون لعبة السنت فى أوقات فراغهم وعثر على بقايا هذه اللعبة مرسومة على بعض الكتل الحجرية بالجيزة . وفى مدينة هابو من عصر رمسيس الثالث نرى الملك يلعب السنت مع بناته .

الأخرى رؤوس بنات آوى ، ويغلب الظن أن كل لاعب كان يحاول الوصول إلى الهدف المرسوم فى رأس الرقعة قبل الفريق الآخر ، مستوحين فى ذلك ما تمليه عليهم قطع الإلقاء (الزهر) وهناك كذلك لعبة الثعبان ن تستخدم فيها قطع لعب على شكل كرات صغيرة . وكان الهدف منها هو إدخال الكرات إلى مركز الدائرة فى الوسط . وبالمتحف المصرى مجموعة من ألعاب ولعب ، رقعات للعبة الضامة وأنواع من لعبة المنفرد ، عرائس من الخشب وكرات من الجلد والقش والخيط ولعب للأولاد .^(١)

(٤) المآدب والولائم :

----- كانت المنازل تضاء بمصابيح بها زيت الخروع وزيت الزيتون . وكانت هناك مجموعة متنوعة الأشكال من هذه المصابيح . وكان من أكبر دواعى السرور عند المصريين أن يجمعوا عددا كبيرا من الأقارب والأصدقاء حول الموائد لتناول طعام الغذاء أو العشاء ولاسيما عند الطبقات الغنية وكان يسبق الوليمة حركة كبيرة فى المخازن والمطبخ وفى كافة أرجاء المنزل . فيذبح ثورا ثم يسلخ ويقطع إلى أجزاء وفق أصنافها المختلفة ثم تجهز قطع الشى والتوابل ويشوى الأوز على الفحم وتعد جرار الجعة والنبيذ والمشروبات الروحية وتوضع الفاكهة على شكل هرمى فى الأطباق والسلال . وتستخرج الكؤوس والأطباق ويبرد الماء فى الأزيار . من الفخار وبالمتحف المصرى مجموعة من تماثيل عثر عليها فى كقبرة نى - عنخ - بيبى من مير عبارة عن رجل يشوى أوزة ، نساء يطحن غلالا بين حجرين ، خبازون يعجنون ، خادم يحمل متاعا ، تحضير الجعة^(٢) وتغسل أرجاء المنزل

(١) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٩ (٦٠٩٩) .

(٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ، ١٩٦٩ ن ص ١٥٤ (٦١٣٣) .

وتدعك جيدا ثم تلمع قطع الأثاث . وتنظف ممرات الحدائق من الأوراق المتساقطة من الأشجار ويستدعى بعض الموسيقيين والمغنيين والراقصين من الجنسين ، ويستعد كل شخص في المنزل ولا يقفى سوى حضور المدعوين .

وإذا كان من المتوقع حضور شخصية كبيرة ، وقف رب المنزل على مقربة من المدخل ، مخترقا الحديقة مع ضيوفه . وعند حضور الضيف يتم الترحيب به بعبارات مديح ، وبعد أن تستنفذ عبارات التمنيات والتحيات ، وبعد أن يتم العناق الطويل ن يتوجه المدعون إلى أماكنهم ، فيجلس صاحب المنزل على مقعد مرتفع وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين . أما الطبقات المتواضعة فتجلس على الحصر في بساطة تامة ، وتفضل الفتيات الجلوس على وسائد من الجلد جيدة الصنع ^(١) . وكان الرجال حريصون في هذه المناسبات على حسن المظهر في الملابس وتصفيف الشعر ، وكانوا يستخدمون سفرات مصنوعة من المعادن لقص الشعر ، كما حرصت النساء أيضا على وضع أنواع الزينة والتواليف من مساحيق وأصباغ وملابس فخمة ومشارات وأيضا أدوات لتصفيف الشعر وتقليم الأظافر ^(٢) .

وكانت النساء يحضرون تلك الحفلات مع الرجال ، إلا أن الرجال العُزب ، لم يختلطوا بالنساء في تلك الحفلات بحرية ، فقد مثل الأزواج جالسين بجانب زوجاتهم ، في حين يجلس غير المتزوجين من الرجال والنساء في صفوف خاصة لكل جنس ^(٣) . وبعد ذلك يأتي الخدم والخادمت ويطوفون بالمدعوين والمدعوات يوزعون عليهم الزهور والروائح العطرية من وقت لآخر ، في حين تقبع الحيوانات

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٤ - ١٢٧ .

(٢) عن مستحضرات التجميل في مصر القديمة ، راجع : د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة في العصر الفرعوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٤٧ - ٢٥٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ١٦٤ ، وأيضا : Allam , op . cit . , p. 24 , 53 , 118 .

الأليفة تحت المقاعد ، ونرى الخادمت يشرفن على خدمة المدعوات ، منها خادمة صغيرة تقوم بتثبيت قرط إحدى المدعوات فى أحد مناظر مقبرة نخت . وبعد ذلك تقدم الأطعمة والمشروبات وفى الوقت الذى يجلس فيه المدعوون فى أماكنهم لتناول الطعام ، وكان الموسيقيون يدخلون معهم آلاتهم مثل المزمار والقيثارة والقانون . وكانت هناك آلات أخرى لإحداث الصوت مثل الصاجات والصلاصل . وكان للمغنيات من الوسائل ما يمكنهن من مساعدة أنفسهن بالتصفيق بأيديهن أثناء الغناء . وكان الرقص يكمل الاستعراض . وقد يشرك أحيانا الرقص مع إحدى الأوركبات التى تميل إلى الخلف فيتدلى شعرها حتى يلامس الأرض . وبعد أن ينتهى الجميع من إشباع بطونهم بالطعام ، يطول الاجتماع وتستمر الأغاني والموسيقى والرقص وتناول الحلوى مرة أخرى . وهنا يشدو عازف القيثارة بأغانيه ويخص المدعوين على انتهاز الفرص للاستمتاع بمظاهر الحياة وبهجتها .

وفى كثير من الأحيان كان المدعوون يتبعون نصيحة عازف القيثارة فى الكل والشراب ، ولكن كان يراعى الاعتدال فى كل شئ . وأحيانا نجد ضمن مناظر المآدب المدعوين وقد أفرط فى الطعام أو الشراب حتى لعبت الخمر برأسه . فينقل إلى سرير مجاور ويمددونه بعض الوقت .^(١)

(٥) الخروج للصيد :

----- كان الصيد البرى رياضة لعلية القوم ، فقد اولع هواة الصيد بالخروج إلى أودية الصحراء ، يطاردون فيها الحيوانات البرية مستخدمين القوس والسهم . وكانوا يصيدون الثيران الوحشية والماعز والغزلان والوعول والأرانب والثعالب والنموس والضباع والأسود والزراف والنعام والفيلة . وقد صور ساحوررع على جدران معبد الجنائزى بأبى صير وهو يصطاد حيوانات الصحراء وقد وجهها اتباعه إلى رقعة محدودة ، ليسهل عليه اصطياد أكبر عدد منها . كما روى عن تحوتمس الثالث أنه أخذ فى إحدى غزواته الآسيوية يسلى نفسه بصيد الفيلة التى كانت

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣١ - ١٣٣ .

ترتاد تلك البقاع فى تلك الأزمنة ، حتى بلغ عدد ما اصطاده منها مائة وعشرين فيلا . وقد اشتهر الملك أمنحتب الثانى بحس الرماية والقدرة على إصابة الهدف بعد أن دربه على ذلك أحد قواد أبيه البارعين فى ذلك المضمار وكان يدعى " مين " ^(١) وقد اهتم أيضا بالصيد وقد جاء ذكر ذلك على لوحة عثر عليها فى ميت رهينة . وعلى خاتم يوجد الآن فى متحف اللوفر نرى منظرا يمثل أمنحتب الثانى واقفا يمسك بيده اليسرى ذيل أسد وقد رفعه من الأرض بينما يهوى بيده الأخرى على الحيوان بسلاح فى يمينه . ^(٢)

وكان تحوتمس الرابع من أكثر الملوك ولعا بالصيد فى الصحراء ، وكان يخرج للصيد فى صحراء الجيزة بالقرب من أبى الهول . وقد أقام بين قدمى أبى الهول لوحة من الجرانيت المعروفة بلوحة الحلم ، ودون عليها حلما لحم به وهو نائم بجوار ذلك التمثال بعد أن أجهد الصيـد .

وكان أبنة تحوتمس الثالث من أكثر الملوك هواية للصيد ، فقد ورد على بعض الآثار أنه ولع بالخروج إلى الصحراء لصيد الأسود . كما أنه روى أنه قام بصيد قطيع من الثيران الوحشية فى إحدى المناطق الصحراوية ^(٣) . وقد صور الملك توت عنخ آمون على غطاء أحد صناديقه الموجودة بالمتحف المصرى وهو فى عربته يصيد الأسود بينما اندفعت السود اثر أصابتها بالسهام ^(٤) . كما صور أيضا وهو يصوب سهامه على بعض النعام وقد أطلق كلابه من ورائها . فقد استعانوا فى الصيد بالكلاب التى اقتتوا منها أنواعا ذات قدرة على مهاجمة الفريسة وصور على محرابه الذهبى الصغير رياضة الصيد وهو يحمل قوسه وسهامه لصيد الأوز البرى . ^(٥)

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٠ ، ١٦٧ .

(٢) Drioton – Vandier , L'Égypte (éd . 1952) , p. 407 .

(٣) Weigall , Histoire de L'Égypte Ancienne , p. 127 .

(٤) Saleh – Sourouzian , op. cit . , no 186 .

(٥) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٠ .

أما الملك سبتى الأول فقد مثلته بعض النقوش ، قد غادر عربته وأنطلق يصيد السباع وهو راجل ، ولا يصحبه سوى كلبه ، مستخدما فى ذلك رمحه ، وصور على الجدران الخلفية للصرح الثانى فى معبد مدينة هابو بالبر الغربى لطبيعة منظر رائع لرمسيس الثالث ممطيا عربته ، يصرع الثيران الوحشية . بينما مثل الملك فى منظر آخر وقد صرع أسدين واستدار ليواجه أسدا ثالثا هاجمه من الخلف . اما هواة صيد الأسماك ، الذين يمارسونه كرياضة ووسيلة من وسائل التسلية ، فكانوا يلهمون بمحاولة إصابة السمك بحرابهم وأحيانا يستخدمون حرابا ذات حدين ، ويستخدمون الشعى المفرد .

وهوى عليه القوم أيضا صيد فرس النهر ، مستخدمين فى ذلك حرابا خاصة طويلة ذات اتصال معدنية مدببة فى نهايتها . وكان صيد فرس النهر مثيرا ، ولكنه فى الوقت نفسه شديد الخطورة ، ولذا فكثيرا ما كان يقوم به الأتباع والخدم تحت إشراف سيدهم .^(١)

من أهم طيور الصيد عند قدماء المصريين الوز والبط والجمع والسمان والعصافير وقد حرم صيد بعض الطيور المقدسة كالصقر رمز المعبود حورس وطائر أبو منجل رمز المعبود تحوتى . وكانت الطريقة المتبعة فى ذلك النوع من الصيد أن ينزوى الصياد بقاربه فى منطقة يتكاثر فيها ورق البردى ويقف هناك ممسكا بيسراه عصا الرماية ، وهى عبارة عن قطعة رقيقة من الخشب منحنية عند ثلثها الأخير فى شكل زاوية منفرجة ، تشبه عصا البوميرانج التى استخدمها الامستراليون . وتتطلق العصى فى حركة دائرية وتصيب الكثير من الطيور :

وكان النبلاء يشتركون فعلا فى إيقاع الطيور فى الفخاخ ، أو فى قنصها بشبائط طويلة تنشر ويمسك بحبالها المبنوز فيها يشير رجل مختبئ إلى بقية الرجال بشد حبال الشباك التى تقفل على ما تحتويه من طيور .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٠ - ١٦٢ ، ١٦٨ -

(٦) الخروج للتنزه :

وتذكر بعض النصوص أن المصريين كانوا يخرجون للتنزه ، ونرى بعض المناظر الموجودة على جدران بعض المقابر ، مناظر تمثل الحدائق التي كانوا يفضلونها ويتزهون فيها ، وأنواع الأشجار والأزهار التي كانت تروى لهم ، وما كنوا يرونه في البحيرات ومستنقعات البردى من بط و فراشات بألوانها الجميلة المتعددة . ونرى أيضا مناظر القطيع الذي يرعى كلاًه والأسماك تحت الماء بألوانها الجميلة المتعددة .

(٧) تفسير الأحلام وسرد القصص :

كان تفسير الأحلام من الأمور المحببة وتقص علينا بعض النصوص ما يراه الإنسان في منامه وما يجب عليه تحقيقه من رغبات للمعبودات التي تحدثت إليه في منامه . وكذلك سرد القصص كان من الأشياء المفضلة ، فبردية وستكار في متحف برلين تظهر لنا خوفو مهتما بقصص السحرة التي يرويها له أولاده كل بدوره ^(١) . ويبدو أن هذا اللون من التسلية كان شائعا عند جميع الطبقات . وبالمتحف المصري لوح غريب على شكل ناووس ، منقوش عليه أبيات من الشعر اليوناني ، ملئت بالمداد الأسود ، وكان لعراف كريتي يحترف تفسير الأحلام لزائري السرابيوم بسقارة ، من عصر البطالمة ^(٢) .

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٣٨ .

(٢) دليل المتحف المصري - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٥٠ (١٠١٣) .

خامسا - الاحتفال بالأعياد والمناسبات والمشاركة في المواكب :

تعددت أعياد المصريين ، وخاصة في عصر الدولة الحديثة ، وتزداد هذه الأعياد خاصة في فصل آخت (الفيضان) حين تتوقف العمال الزراعيّة . فهناك الأعياد الدينية الكبرى ، ومن أهم هذه الأعياد عيد أوبت في طيبة ، الذي كان يحتفل به الشعب المصري كله ، وكان يقع خلال الشهرين الثاني والثالث من فصل الفيضان ، وقت فراغ المزارعين من أي عمل ، ومن معبد أوبت بالكرنك تبدأ احتفالات العيد ، وكان يشترك فيه حشود كثيرة بهذا العيد فترة تقرب من شهر كامل ^(١) . وكان المصريون يتركون بسرور بالغ أعمالهم ليشتتركوا في أعياد المعبودة باستت في تل بسطة في شرق الدلتا والمعبودة نيت في سايس في غرب الدلتا وفي معبد اسنا ، وخنوم في اسنا وفيلة ، ومين في قفط ، وعيد القناديل الموقدة لأوزير في سايس ، وحتحور في دندرة ، وحورس في أدفو . وكان يوجد في المعابد الكبرى مثل معبد أدفو واسنا ودندرة بيان بمواعيد هذه الأعياد والمراسيم والطقوس التي تؤدي في المعبد خلال فترة الأعياد التي تمتد أحيانا إلى عدة أيام .

وهناك عيد الوادي الذي يقوم فيه المعبود آمون بزيارة معابد الضفة الغربية ويستقبل زيارة معبودات الجبانة وعندما يجتمع شمل المعبودات كلها تقام الاحتفالات لصالح الموتى الذين يرقدون في مقابرهم . ويستمر الاحتفال بهذا العيد عشرة أيام . وكان من الواجب أن يحتفل كل إقليم وكل مدينة مرة في السنة على الأقل بعيد المعبود المحلي الذي كان سيدهم وحاميهم ، وإن كان هناك في المعبد أكثر من معبود ، فالأهالي الذين لم يكن في مقدورهم التخلي عن واجب الاحتفال بمعبودهم المحلي كانوا لا يستطيعون أن يهملوا الاحتفال بالمعبودات الأخرى . فكانوا يتعطرون ويتزينون بالملابس الجديدة ثم يتوجهون للمعبد لتقديم القرابين أو يذهبون إلى المعبد في مواكب كبيرة ويشترك النساء مع الرجال ويحملن الصاجات، والرجال لا يكفون

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ،

عن الغناء طوال الطريق وكذلك الرقص وتبادل الدعابات مع من يصادفونهم فى الطريق . وكانت بعض الأعياد متأصلة فى النفوس ومحترمة إلى حد كبير ، حتى أنه إذا لم يكن للمعبود المختص به هيكل فى المعبد المجاور كان يحتفى فى البيوت ذاتها .^(١)

وكان هناك أيضا الجبانة ، واعياد الزراعة كعيد راس السنة أو العام الجديد وعيد الحصاد وعيد الفيضان . ويذكر هيرودوت أن المصريين هم أسبق الناس إلى إقامة الأعياد العامة والمواكب^(٢) . وكان المصرى حريصا على المساهمة فى تلك الأعياد ، يستقبلها بمظاهر البهجة والسرور ، وتميزت بما شاع فيها من ألوان الترف والمرح وما فيها من مباحج .

وكان هناك أعياد الملك الرسمية ، وكان من أهم هذه الأعياد هو عيد الاختقال بتتويج الملك وجلوسه على العرش . وكانت تتلى فى هذا العيد نطقوس خاصة ، وتجرى طقوس دينية متوارثة . فإلى جانب كونها احتفالا بارتقاء الملك لعرش البلاد كانت بمثابة تخليدا لذكرى قيام وحدة البلاد السياسية تحت تاج واحد^(٣) . ونعلم من نقوش معبد مدينة هابو أن احتفالات عيد التتويج كانت تستمر عشرين يوما .

ومن أعياد الملك الهامة " العيد الثلاثيني " أو " حب سد " على حد تعبير المصريين القدماء ربما بمعنى " عيد النهاية "^(٤) ولم يكن من الضروري ليحتفل بهذا العيد أن يحكم الملك ثلاثين عاما ، بل هو عيد يقام بعد مرور فترة من الزمن على جلوس الملك على العرش ، ويحتفل فيه بتجديد حيوية الملك ونشاطه ، حتى يمكن أن

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٥ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٩٧٩ ص ٧٤ .

يحكم مرة أخرى بنفس القوة والقدرة . وما كان يصاحب هذه الاحتفالات من مظاهر ، فهناك منظر فى مقبرة خرواف يمثل رقص فتاتين أجنبيتين بمناسبة العيد الثلاثينى للملك امنحتب الثالث . (١)

وقد اهتم ملوك الدولة الحديثة بتنظيم مواكب النصر بعد عودتهم من حملاتهم المظفرة فى آسيا أو فى الجنوب ن فتعقد المواكب فى طيبة تحت شرفة القصر الملكى فى البر الشرقى ، وتتقدمها المركبات الحربية ، وتسير فى مؤخرتها جيوش الأسرى من العداء ، والغنائم المتعددة وقد هرع لإستقبال الموكب رؤساء الكهنة وكبار رجال الدولة بينما أخذت جموع الشعب المصطف على جانبى الطريق تصيح نشوة النصر ومن خير الأمثلة لهذه المواكب تلك الاحتفالات التى أقيمت ابتهاجا بانتصار تحوتمس الثالث فى معركة مجدو ، ورمسيس الثانى فى معركة قادش ومرنبتاح بعد انتصار جيشه على الحدود الغربية ، ورمسيس الثالث على شعوب البحر . علاوة على الرياضة بأنواعها ، مشاهدة ألعاب الأطفال ، ووسائل التسلية وألعاب الحظ والفكر ، وإقامة الحفلات والمآدب والولائم ، والخروج للصيد ، مثل الصيد فى الصحراء وصيد الأسماك وفرس النهر وقنص الطيور فى المستنقعات ، والخروج للتنزه فى الحدائق أو الحقول ، الاشتراك فى الأعياد والمواسم الدينية والمواكب والاحتفالات بالمناسبات الخاصة مثل انتصار الملك أو ميلاد طفل ، أو قيام رب البيت أو ربة البيت أو كلاهما معا بالذهاب إلى السواق أو زيارة المعابد والمقاصير المقدسة فى المدن الكبرى أو فى الأقاليم ، إلا أن المصرى القديم أو رب البيت وزوجته كانا يفضلان أحيانا الجلوس معا فى الحديقة المنزلية فى كشك صغير تحت ظلال الأشجار يشربان ويستشقان عبير ريح الشمال المنعش ، أو يقومان بجولة فى قارب صغير يجوسان فيها بحيرة منزلهم الكبيرة ، ويتسليان بصيد الأسماك بالشص .

سادسا - بعض السلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية :

نجد معانى التكامل الاجتماعى فى صيغ ونصوص أدب التراجم الشخصية حيث نقرأ على لسان حاكم الإقليم أو احد كبار الشخصيات مثل الوزير أو كبير الكهنة قائد كبير ، انه أعطى الخبز للجائع ، واشبع من لا يملك شيئا ، والملابس للعارى ، وعبر النهر بمن لا قارب له ، ولم يحرم ابنا من ميراث أبيه ، او كيف انه ساعد أهالى الإقليم الذى كان يحكمه بتوزيع الحبوب عليهم فى وقت الشدة او المجاعة ، او انه حمى الضعفاء من بطش الأقوياء ، ووضع اليتيم الذى لجأ إليه تحت حمايته . وآخر يذكر أنه لم يسن إلى ابنة مواطن قط ، ولم يزجر أرملة ، ولم يقس على مزارع ، ولم يبعد راعيا ، ولم يحجر على أعمال رئيس العمال فى مقابل الضرائب المستحقة عليه ، ولم يكن بين رعاياه بائس أو جوعان . وآخر يقول انه ساعد الشيوخ وكبار السن ، او أنه مد يده للبائسين وضمن العيش للمعوزين . ويقال ثالث " أنه اجتماعى نحو أهل مدينته " (١) أى أنه تعاون معهم فى مشاريعهم وشاركهم مشاكلهم الاجتماعية وأفراحهم وأحزانهم . وهذه المعانى حث عليها بعض الحكماء فى تعاليمهم إذ يقول أحدهم : " لا تغل يدك عن الغريب الذى يأتى إليك فى بؤس مميت " . (٢)

ونعلم أيضا أن بناء الأهرام والمعابد الضخمة وإقامة المسلات من أصلب أنواع الأحجار بعد قطعها ونحتها وصقلها ، وحفر المقابر الممتدة على عمق كبير فى باطن الصخر ، وحفر بعض المعابد الممتدة فى باطن الصخر أيضا وخاصة معابد بلاد النوبة ، كل هذه الأعمال تتطلب أن يعمل فيها العمال والصناع والفنانين والآخرين فى مجموعات متأثرة متعاونة مترابطة وكان هذا هو السبب فى نجاحهم ودقة ما أقاموه وشيدوه ، هذا إلى جانب أن العمل فى مثل هذه المشروعات يساعد على توادهم وتعارفهم وتربطهم اجتماعيا .

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

وسوف نتحدث في الباب السابع عند الحديث عن الحياة الدينية ، عن عاداتهم الجنائزية ومراسيم الدفن . وعندما لا يكون للمتوفى وريث يحيى ذكره أو يقيم له الآثار باسمه ، فإن هذا التكريم يأتي أحيانا من جانب أعوان المتوفى الذين عملوا معه في حياته الدنيا وترك بينهم ذكرى طيبة . ونجد صيغ التراحم هذه في بعض النصوص في مقابر الدولة القديمة ، فنقرأ مثلا :

" انه نائبه الذي يعمل على إحياء اسمه " (١)

" انهم عماله الذين يحبونه الذين أقاموا هذا (الأثر) له " (٢)

" إنه شريكه في الضيعة الجنائزية الذي أقام هذا له ، وكان قد دفن في الغرب الجميل بين المرحومين " (٣)

" إنه شريكه في الضيعة الجنائزية الذي أقام (هذا) له ، في حين أنه قد دفن في الجبانة (منذ) سنوات عديدة " (٤)

" إنه شريكها في الضيعة الجنائزية ن فلان ، الذي أعد لها هذه المقبرة بينما هي كانت لا تزال في الحريم الملكي ، وذلك بسبب إخلاصها التام نحو الملك كل يوم " (٥)

R. el Sayed, Formules de Piete Filiale , Melanges (١)
Mokhtar , BdE XCVII II (1985) , p. 279 (56) .

Id ., op. cit ., p. 276 (27) . (٢)

Id ., op. cit ., p. 273 (12) . (٣)

Id ., op. cit ., p. 275 (21) . (٤)

Id ., op. cit ., p. 274 (17) (a) . (٥)

الباب السادس

مظاهر الحياة الاقتصادية

ترتبط الحياة الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالزراعة ومنتجاتها ، والثورة الحيوانية ، والصناعات والحرف المختلفة ، والتجارة ومصادر الدخل القومي . ويقول ديودور الصقلي : " بينما تتطلب الزراعة جهدا شاقا في بلاد كثيرة بصفة عامة ونفقات باهظة وعناية فائقة فإنها في مصر لا تتطلب إلا مالا قليلا ومجهودا محدودا " . (١) وذلك بفضل وجود الأرض الخصبة وتوفر مياه النيل . وعرف المصريون القدماء تسمين الماشية منذ نحو خمسة آلاف عام ، كما كان تهجين الماشية معروفا عندهم . وأنهم كانوا يختمون الماشية بعلامة خاصة لتمييزها عن غيرها عند اختلاطها بالآخرى . كما كانوا يحظرون ذبح إناث البقر حفظا للنسل وحتى لا ينقرض نوعها . وكانوا أول من برع في صيد الحيوانات والطيور ، وكانت مصر غنية بالأسماك ، كما اهتم المصريون القدماء بالمنتجات الحيوانية . (٢)

وكانت طائفة العمال الحرفيين تشكل العامل الرئيسي في بناء الصناعة المصرية القديمة إلى جانب وجود المزارعين . فلو أن المجتمع المصري القديم كان يضم المزارعين فقط ما وجدت الأهرام ولا المعابد الضخمة والمقابر المنحوتة في الصخر وما قطعت وأقيمت المسلات الضخمة ، مما يدل على ما اتسم العامل أو الصانع المصري من صفات الدقة والمهارة فيما أنجزه . وهكذا بفضل نشاط المهندسين وقوة سواعد ومثابرة العمال المهرة نوى الخبرة امتلأت خزائن مصر بكميات وافرة من المواد الخام الذي كانت تستخدم في الصناعة من الأحجار والمعادن

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ١٩٦٥ ، ص ١٣٩ ، ٤٧٥ ، حاشية (٢) .

(٢) وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ١٩٦٥ ، ص ١٩ -

والأخشاب . (١) وكان يوجد التجار من صغار الملاك الذين يتاجرون في منتجات مزارعهم . كما كان يوجد التجار الذين لا ينتجون شيئا ويكتفون بشراء وبيع السلع المتداولة في أنحاء البلاد وكان كل هؤلاء المشترون أو البائعون أو التجار الوسطاء يتلاقون في الأسواق . كما أن التجارة الخارجية كانت معروفة على مستوى الدولة وكان هناك مصدر دخل ثابت من الضرائب . كما كان هناك وحدات وأوزان للتعامل التجارى .

كل هذه العوامل جعلت من الحياة الاقتصادية في مصر " أشبه بخلية النحل " . ويكفى أن نلقى نظرة على الرسوم والنقوش الكثيرة المدونة على جدران المقابر منذ عصر الدولة القديمة لنرى كيف كان يعمل الزراع في حقولهم وما كانوا يبذلونه من جهد لتربية الماشية . وكيف كان يعمل العمال وأصحاب الحرف في مصانعهم وبأدوات بسيطة . وكان عمال كل مصنع يعملون متكئين لتمجيد المعبود أو تخليد الملك أو الوزير أو كبير الكهنة بجهد كبير مشترك ، ولم تذكر النقوش أسماء الذين أتموا كل هذه الأعمال المجيدة .

أولا - تقسيم الأراضي :

في منتصف القرن الثالث ق . م . كانت أرض مصر تنقسم إلى ستة أنواع : أرض الملك ، أرض المعابد ، إقطاعات كبار الموظفين ، إقطاعات كبار العسكريين ، الملكية الشخصية ، أراضي الهبات . (٢)

ثانيا - الثروة الزراعية :

كانت الزراعة العامل الأساسي الذي ساعد على استقرار وارتباط الإنسان المصرى القديم بالأرض وبالتالي ساعد هذا العامل على التعمير ، وعمل الإنسان على

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٦ ، ٢١٣ .
(٢) د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١٢٩ - ١٣٧ .

وضع الأسس الحضارية الأولى وتطور بها عبر العصور مما أكسب مصر حضارة عريقة في القدم . ومن المعروف أن التعمير هو أساس كل بناء اجتماعي ، وأول تعمير قام به المزارع المصري القديم حدث في العصر الحجري الحديث ، أى في حوالى الألف الخامسة قبل الميلاد . كما أن توصل المصري القديم إلى اكتشاف الزراعة يعد فى رأينا ، أول مراحل التطور فى الحياة الاقتصادية فى الحضارة المصرية ، ويدل على مدى نجاحه فى استثمار الموارد الطبيعية فى البيئة المصرية من حوله . وقد ارتبطت الحياة الزراعية بعاملين :

توافر مياه نهر النيل وفيضانه ، والتربة الصالحة للزراعة . فبعد العصر الحجري القديم تحول المصري القديم من مجرد إنسان يقوم بجمع نباتات وثمار أشجار البيئة من حوله وصيد ما يوجد فيها من حيوان وطيور وأسماك كمصادر غذائية رئيسية غاية فى الأهمية بالنسبة له وللجماعة التى يعيش فيها ، إلى راع ومزارع . حاول تطوير آلاته وعمد إلى شق القنوات وحفر الترع التى يسهر على صيانتها ومراقبة منسوب المياه فيها لتقاء من شر الفيضان المرتفع الذى كان يهدد حياته فى بعض الأحيان ، وعمد أيضا إلى تدبير آلات لرفع الماء إلى مستويات لا يستطيع ماء النهر أن يصل إليها .

ويشير ما كشف عنه من مخلفات وبقايا أثرية من أوائل العصر الحجري الحديث فى مناطق مرمدة بنى سلامة والفيوم ودير تاسا إلى أن أهلها كانوا يعتمدون على الزراعة والصيد معا . وعرف سكان هذه المناطق زراعة الحنطة والشعير والكتان. (١) وعثر على بعض أدواتهم التى استخدموها فى الزراعة منها المحراث من الحجر ، والمناجل من الصوان . وكانت الحبوب تحفظ فى مطامير مصنوعة من السلال أو من الطين أو من الفخار حتى لا تتسرب إليها المياه . وعثر فى حضارة قحطوان على صوامع مبنية من الطوب اللبن بجوار المقابر . (٢) ومن المؤكد

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني - المجلد الأول) ، ١٩٦٢ ، ص ٤٩١ ، ٤٩٤ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بقحطوان ١٩٥٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ ، صور ٢٢ - ٢٣ ، ٨٧ .

أن أهل العصر الحجري الحديث قد عرفوا كيفية تحويل هذه الحبوب إلى دقيق ، وذلك لأنه عثر على رحي مسطحة من كتل حجرية كانت تستخدم فى سحقها ، والجدير بالذكر هنا ، هو أن المناجل والرحى كانت من هذا النوع نفسه خلال العصور التاريخية التى تلت . وعثر فى المناطق السابق ذكرها على بقايا هياكل حيوانية ، هى التى سمحت لنا بالتعرف على بعض الحيوانات التى قاموا بتربيتها واستئناسها مثل الأغنام والثيران والأبقار حتى الكلب كان مستأنسا ، وربما كان يساعد فى حماية القطيع أثناء الرعى .

الملكية الزراعية :

فى بداية العصر الثينى أى عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت مصر مقسمة إلى عدة أقاليم . وكان من أهم الأدوار التى قام بها الملوك ، هو محاولة تجميع الأقاليم فى البداية تحت سلطة حكومتين مستقلتين ، إحداهما فى الشمال ومصر الوسطى ، والأخرى فى الجنوب فى أعالي الوادى ، ثم بعد ذلك تحت سلطة حكومة واحدة فى أعقاب اندماج الجنوب والشمال فى مملكة متحدة . ولكن الأسس نفسها التى قامت عليها الاتحادات المحلية الأولى أى فكرة الإقليم ، كانت أولا وقبل كل شئ ، هى تجميع الأراضى الزراعية حول عاصمة صغيرة . والاعتماد على الزراعة كان يتطلب تنظيم عملية الري ، فحفر الترع والقنوات وإقامة الجسور كان يتطلب وجود موظف إدارى ، وهو الذى أطلق عليه لقب " عدج مر " ويعنى المشرف على القنوات أو حفر القنوات . (١)

وكانت الأرض ملكا للملك ، لأن الملك كان يملك كل شئ . وكان يقع على عاتق حاكم الإقليم عبء تنظيم التعداد وإحصاء الماشية بنوعيتها الكبيرة والصغيرة ، كما أن تنظيم الضرائب وجبايتها كانت تقع تحت مسؤوليته . ولهذا كانوا يعنون منذ أقدم العصور بتدوين ارتفاع منسوبالفيضان لتجنب المجاعة . وكان على الملك زيادة الرقعة الزراعية أو تأمين إقامة الجسور ، وحفر الترع . وعلى رأس مقمعة قتال

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

الملك العقرب نرى نقشا يمثل الملك وهو يشق قناة وأمامه رجل يحمل سلة يتلقى فيها بعض التراب وآخر يحمل سنابل رمزا للخصب الناجم عن جهود الملك . ونرى في هذا المنظر ما يكشف عن جهود الملك في أهم مجالات الحياة الاقتصادية عند المصريين وهي الزراعة . (١) وفي عصر الدولة القديمة اتسعت أملاك التاج ، وأصبح الملك ينعم بإقطاعات كهبات . وكانت محاصيل الحقول والبساتين تجمع في الشونة المزروجة . وكانت هناك بالقرب من الصحراء أراضى لا تصل إليها مياه الفيضان إلا في القليل النادر وبكميات ضئيلة ، وكانت أيضا من أملاك التاج وتعرف باسم " خنتيو - ش " يشرف عليها موظف له مكانة إدارية في الدولة القديمة . وكانت تستغل كمراع أو حدائق للخضر وكانت معفاة من الضرائب . أما الحقول الزراعية فيطلق عليها اسم " سخت " . وكان يشرف على حقول الملك ما يسمى برؤساء الحقول يعاونهم كتبة يشرفون على جمع الضرائب المستحقة . أما حاكم الإقليم فكان عليه الإشراف على شئون الزراعة في إقليمه وتنفيذ مشروعات الري واستصلاح الأراضي ويساعده عدد من الموظفين وأيضا الكتبة .

وكانت هناك أراضى مملوكة للأمراء وحكام الأقاليم وكبار الموظفين . وكان يعمل في كل هذه الأراضي سواء المملوكة للملك أو للأمراء أو حكام الأقاليم عدد كبير من المزارعين . وكان كل حاكم إقليم حريص أن يذكر لنا في نقوشه عن حسن معاملته لأتباعه . (٢) ويذكر أحد حكام اسيوط من العصر الأهناسى " أنه ساهم في حفر الترعة وزيادة أنصبه المزارع من المياه مع إشرافه على تنظيمها وتعيين سقاعين لتوزيع المياه على البيوت في المدينة ، وتموين أهلها في أوقات الشدة وتخفيف الضرائب عنهم . (٣)

وكان الفلاح يقوم بزراعة الأرض ويقدم جزءا كبيرا من المحصول ضريبة

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ شكل (٢)

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٣) د. عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ،

لمالك الأرض . ويحتفظ بجزء آخر أجرا له عن عمله فى الأرض ، وبالنسبة لأراضى الملك كان المزارع يحصل على عشرين فى المائة من المحاصيل . (١) وفى العصر الوسيط الأول توالى المنح على حكام الأقاليم بعد أن سمح لهم بتوريث إدارة الإقليم لأبنائهم ، فأخذ الملك يقدق عليهم مساحات من الأراضى المعفاة من الضرائب . ولم يقتصر أمر الإعفاءات على حكام الأقاليم بل تجاوزهم إلى كبار الموظفين والنبل الذين يستمتعون بالحظوة لدى الملك .

وكان دخل هذه الأراضى يخصص للإنفاق منه على الطقوس الجنائزية لمقبرة المتوفى من هؤلاء الموظفين ، أى تصبح كأراضى أوقاف . وتأثرت أملاك التاج بهذا التقليد الجديد إلا أن ضياع الأمراء وحكام الأقاليم بدأت تزدهر . وأدى نظام الملكية الخاصة والتوريث إلى ظهور طبقة جديدة زاد أصحابها من ارهاق المزارع واستغلال الفلاحين وانتشر الإقطاع فى صورته البشعة وساد الفقر والبؤس ولم يعد أحد يعنى بالزراعة ما دام الأمن غير مستقر فى البلاد . (٢)

وفى عصر الدولة الوسطى ، فى عهد امنمحات الثالث نجده يعنى أشد العناية بتنظيم أمر مياه الفيضان الزائدة عن الحاجة . وأمر أولا بتسجيل ارتفاع النهر عند سمته وقمة وقد وصلتنا هذه المستويات مسجلة من العام الرابع حتى العام الحادى والأربعين من سنى حكمه . ثم اتجه إلى استصلاح أراضى منخفض الفيوم . وفى الدولة القديمة كان يشغل أراضى منخفض الفيوم بحيرة كبيرة كان يطلق عليها اسم " مر - ور " أى البحر الكبير وحرفها اليونانى إلى " موريس " . وكانت الفيوم الحالية تقع على شاطئ البحيرة المذكورة ، وكان بحر يوسف - ولا يزال - يصب فيها وهو يخرج من شمال اسيوط كفرع من فروع النيل . (٣)

ورأى امنمحات الثالث خزن مياه الفيضان الزائدة فى منخفض الفيوم ثم تصريفها عند الحاجة لرى مساحات كبيرة من شمال الفيوم وقت الجفاف . وقد دعاه ذلك إلى إقامة سد كبير عند مدخل الفيوم زوده بفتحات قنوات لتصريف ما تدعو

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٣ ، ٤٩٩ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٠ .

الحاجة إلى تصريفه من مائه المخزون . وبذلك أمكن اكتساب مساحة قدرها سبعة وعشرون ألف فدان من غمر الفيضان . ويذكر سترابون أنه شهد الطريقة التي تتم بها عملية خزن المياه مما يدل على أن العملية ظلت قائمة حتى عام ٢٤ ق . م . وقد استطاع ذلك المشروع الزراعى أن يحول إقليم الفيوم إلى بقعة من أخصب بقاع مصر . وقد أقام امنمحلات على الشاطئ الشمالى من البقعة التي كسبها من الغمر - عند مكان يدعى - بياهمو - حاجزين ضخمين أقام فوقهما تمثالين كبيرين يمثلانه جالسا .

وكانت أملاك حكام الأقاليم فى هذا العصر من نوعين :

- يتضمن النوع الأول املاكا يتوارثها الابن عن الأب . وأما النوع الثانى فعبارة عن إقطاعية ملكية مشروطة بموافقة الملك للمخلصين من الأعوان . ونشأت فى هذا العصر إدارة جديدة هى إدارة الأعمال العامة وكان من ضمن مهامها حفر الترعى وتنظيم توزيع الماء والعمل على صيانة ما تتطلبه الحياة الاقتصادية . (١) ومنذ عصر الأسرة الثانية عشرة كان من حق الملك مصادرة الملكيات الخاصة ويعطى حدودا جديدة للمقاطعات . (٢)

أما فى عصر الدولة الحديثة فقد استمر توارث الأبناء لملكية آبائهم . وفى نقش من مقبرة " مس " الذى عاش فى عهد رمسيس الثانى يقول صاحب المقبرة أن أملاكه الزراعية قد ورثها عن أبيه ، وأن هذه الأراضى كانت قد منحت لأجداده منذ عهد الملك أحمس الأول أى منذ حوالى ٣٠٠ سنة مضت .

وظهرت فى هذا العصر طبقة جديدة وهى طبقة العسكريين من ملاك الأرض ، فكان من يبلى بلاء حسنا فى الحروب كان يكافأ بمنحه قطعة من الأرض بالإضافة إلى عدد من الأسرى الذين يعملون فى الضيعة الصغيرة الجديدة . ويمتاز عهد مرنبتاح بوفرة المحاصيل . ومما يدل على ذلك تصديره الحبوب إلى خيتا فى

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص

آسيا الصغرى التى تعرضت لمجاعة . واتجه المصريون إلى غرس أنواع نباتات جديدة ، وأشجار ولكن ذلك كان قاصرا على نطاق المعابد أو الحدائق أو المزارع الملحقة بالمعابد . مثل ما أحضره تحوتمس الثالث من أرض رتنو وحاشبست من بونت . وكان هناك الأوقاف من الأراضى الزراعية التى كان يمنحها الملوك للمعابد . ونعرف من بردية هاريس أن الملك رمسيس الثالث منح حوالى عشر الأراضى المزروعة فى مصر كلها أوقافا للمعابد . وفى معبد أدفو من عهد الملك نختمبو الثانى ، قائمة بأوقاف المعبد التى كانت تبلغ حوالى ٣٦ كم ٢ من الأراضى جنوبى طيبة . (١)

حياة الفلاح :

تصور لنا بردية هجاء المهن بأن حياة الفلاح كانت سيئة ، وأحقر المهن جميعا كانت مهنة الزراعة ، وما كان يتعرض الفلاح فيها من إرهاق وما يتعرض له محصوله من سطو اللصوص وتقلبات الجو وتعرضه للجراد والقوارض وماشيته تموت من كثرة التعب ، وما يتعرض له من أذى عندما يعجز عن دفع الضرائب . ولكن مثل هذه الصورة لا تعبر عن الواقع ، لأنها كانت تكتب عادة للطلاب لتزهدهم فى حياة الزراعة وترغبهم فى حياة العلم . (٢) فمثلا فى قصة القروى الفصيح نجد صورة أخرى للفلاح ، فلم يظهر فى صورة الرجل البائس الفقير ، بل على العكس نجده يحمل حميره بالمنتجات الطيبة لأرضه وذهب لبيعها فى سوق العاصمة . ولولا أن ما تحمله حميره من بضائع كان يجذب النظر لكثرتها لما تعرض لطمع مشرف الضيعة تحوتى نخت .

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ؛

Meeks , le Grand texte des donations au temple d' Edfou (B dE 29) (1972) p. 4 - 52 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ د. محمد بكر : المرجع

السابق ، ص ١٥٣ .

هذا إلى جانب إلى أنه كان على قدر من العلم والفصاحة وحسن التعبير . ولم يشر في شكواه التسعة التي أرسلها أنه كان يعاني من حالة فقر أو بؤس بل كان

يشكو من الظلم الذي تعرض له . وفي قصة الأخوين ، كان الأخ الأكبر يعمل مزارعا وكان يملك بيتا وأرضا زراعية ومواشى وآلات زراعية وغلل . (١) وهناك مرسوم حور محب الذي أصدره الملك لحماية الفلاح مما يقع عليه أحيانا من ظلم . فالقسم الخامس من هذا المرسوم يحدد العقوبة التي يتعرض لها الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للإستيلاء على جلود حيواناتهم دون وجه حق . والقسم السادس خاص بالإجراءات ضد ما يقع من ظلم على بعض الفلاحين وما يحدث من تلاعب من محصلي الضرائب . والقسم السابع هو عقاب من يأخذ من الفلاحين النبات المسمى " سم " والذي كان ضروريا لعمل الجعة بحجة أنه يؤخذ لأجل ضرائب الملك . ثم تأتي بعد ذلك العقوبات التي توقع على من يظلم الفلاحين بأخذ بعض الحبوب أو الخضروات دون وجه حق باسم الملك . (٢)

وعند بيتوزيريس يقول عمال الحصاد الذين كانوا يعملون في خدمته : " أنا المزارع الطيب الذي يجلب الحبوب ويملا لسيدته بمجهود ساعديه الشونتئين في السنين العجاف ، ويأتي بكل ما تجود به الحقول إلى أن يجئ فصل الربيع (أخت) " ويصرخ فوج آخر من المزارعين بأن الأجور ضئيلة ولكنها مع ذلك جديرة بأن يحصل عليها ولو اقتصر الأمر على حزمة صغيرة فإنه سيعمل ليحصل عليها " . (٣)

الأدوات الزراعية :

كان العمل يبدأ بشق الأرض وغمرها بالمياه ثم حرثها بالمحراث فتفتت كتل الطمي بهذا المحراث أحيانا أو بالفأس أحيانا أخرى . وكانت الفأس عبارة عن قطعة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٣٧ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

خشبية عريضة ذات طرف مدبب أحيانا منساب تدريجيا أحيانا أخرى ويثبت في طرفها الآخر في عصا خشبية متينة تستعمل كمقبض للفأس ثم يشد المقبض إلى القطعة العريضة في منتصفهما تقريبا بواسطة حبل يساعد على تقليل المسافة بينهما أو توسيعها حسب الاستخدام. (١) أما المحراث الذي استخدم من أقدم العصور فكان يتكون من سكين خشبية يثبت إليها مقبضان خشبيان يمتازان في أول الأمر بقصرهما ثم العريش الطويل الذي يتصل بالمحراث من طرفه الآخر بقطعة خشبية كبيرة تربط إلى قرون الدابتين اللذين يجران المحراث . وقد زاد طول المقبضين في عهد الدولة الحديثة .

وهذا النوع من المحاريث لا يقلب الأرض ولكن يشقها فقط . وكان يتولى القيام بالحراث رجلان يضغط أحدهما على مقبضى المحراث ويتولى الآخر توجيه الدابتين وحثهما على السير وعدم التوقف . وفي وقت الظهيرة يلجأ الرجال إلى الراحة في ظل شجرة مثلما نجد في المنظر الموجود في مقبرة مننا (رقم ٦٩) من عصر الملك تحوتمس الرابع، يمثل رجلان يستريحان في ظل شجرة أحدهما يعزف على الغاب والآخر ينام قليلا . (٢)

وكانت الأبقار ، وليست الثيران ، هي التي تستخدم في جر المحراث . أما الثيران فقد خصصت لجر توابيت الموتى في اثناء موكب الجنازة وفي جر الكتل الثقيلة من الأحجار . (٣) وكانت البذور توضع في سلة ذات مقبضين يبلغ ارتفاعها نحو ذراع وكان عمال الحصاد يقطعون سنابل القمح بالمنجل ، ذي اليد القصيرة . ومن أجل تنقية الحبوب يستعمل الغربال وهو أداة تشبه المصفاة ، ويستخدمون أداة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ؛ ألفه نخبة من

العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٣ - ٥٠٥ شكل ٣ - ٤ ؛

Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p . 104 ;
Hartmann, L' Agriculture dans L' Ancienne Égypte , Paris
(1923) , p . 71 .

Allam , op . cit . , p . 128 . (٢)

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

تشبه المكنسة لتذرية الحبوب .

مراحل الزراعة :

كانت الأرض الصالحة لزراعة القمح والشعير تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا حتى الشلال . وطالما كانت مياه الفيضان تغمر الأراضي خلال شهور فصل الربيع (آخت) ، لم يكن لديهم الكثير ليعملوه ، ولكن لا تكاد المياه تعود إلى مجرى النهر حتى كان عليهم أن ينتهزوا فرصة الوقت التي لا تزال الأرض خلاله لينه من أثر الفيضان فيسهل العمل فيها . وتبين لنا النقوش أن بذر الحبوب وحرث الأرض يسيران جنباً إلى جنب إذ تبذر الحبوب أولاً ثم تحرث الأرض لتغطي تربتها الحبوب التي بذرت . (١) وكان يشرف على توزيع البذور موظف خاص يدعى " كاتب الحبوب " يسجل ما يصرف من بذور وما يوزع على العمال الزراعيين في سلالهم التي يبلغ ارتفاعها نحو ذراع والتي كانوا يحملونها في أيديهم أو يطلقونها في رقابهم . (٢) وكانت زوجة المزارع في بعض الأحيان هي التي تقوم ببذر البذور على الأرض .

وبعد عملية البذر السطحي كانت تبدأ عملية أخرى هي عملية دفن البذور في الأرض لئلا تلتقطها الطيور . فكانوا يطلقون على الحقول خرافاً وماشية تسير في الحقل ويتقدم القطيع راع يحمل بعض الحبوب ليغري الماشية على اتباعه وقد استبدلت الماشية أحياناً في عصر الدولة الحديثة بالخنازير كما يشير إلى ذلك هيرودوت . (٣) وبعد ذلك يقوم الفلاح برى الأرض . وعمد المصري القديم منذ أقدم العصور إلى شق القنوات وحفر الترعة ، وتطهيرها وتعميقها وتخليصها من الطمي

(١) بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥ شكل

(٥) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ شكل ٦ - ٧ ؛ بيير مونتييه : المرجع

السابق ، ص ١٥١ .

الذى يسد مسالكها من وقت لآخر . أما بالنسبة للمناطق الصالحة للزراعة والتي لا تصل إليها المياه ، فاخترع المصري لها وسائل أخرى مثل الشادوف ، وهو عبارة عن عرق من الخشب يتحرك من وسطه على قائم خشبي كذلك . وفي أحد طرفيه ثقل من الحجر وفي الطرف الآخر دلو من الجلد يغوص في ماء الترعة أو القناة ثم يرفع ليصب ما يحويه في مستوى أعلى . (١)

وعرف المصري أيضا الساقية في العصر البطلمي - الروماني مثل ساقية تونا الجبل التي كانت تستجلب الماء من عمق ٣٦ مترا على مرحلتين . (٢) أو نقل الماء بطريقة أسهل وأيسر وهي حمل الماء في أنيتين كبيرتين معلقتين بحبل في طرفي عصا طويلة ممتدة على الكتف ، وذلك بعد ملئها من قناة أو ترعة (٣) ، أو من بئر ، فقد عثر على آبار في مدينة انطونيوبوليس (قرب ملوى) وفي معبد تانيس (٤). وكان الفلاح دائم المرور على حقله لينقى المحصول من الشوائب وليعنى به ويرعاه ويحدد نموه حتى تبدأ سنابل القمح في الاصفرار .

وعندما تبدأ سنابل القمح في الاصفرار يحضر ملاك الأراضي أو ممثلوهم ومعهم عدد كبير من الكتبة والمساحين والموظفين ورجال الشرطة الذين يبدأون عملهم أولا بمسح الحقل . وبعد ذلك يقدرون كمية الحبوب بالكيل فيكونون فكرة دقيقة عما يستطيع الفلاح أن يقدم إلى مندوبي الضرائب أو كبار موظفي دوائر المعابد ، مثل معبد الكرنك الذى كان يملك أجود أراضي البلاد . (٥)

يتم الحصاد بمنجل مصنوع من قطعة خشبية مصقولة ومقوسة تثبت في جانبها المعد للقطع شظايا من الصوان (الظران) رفيعة ذات أسنان . وكان العمل

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٠ شكل ١٤ ؛

وأیضا : Allam , op . cit ., p . 132

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٢ ؛ بيير مونتیه : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) Allam , op . cit ., p . 76 .

(٤) بيير مونتیه : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

فى هذه المرحلة شاقا لارتفاع درجة الحرارة أثناء موسم الحصاد فكانوا يستعينون عليه برى ظمأهم بجرعات من الجعة والماء من إناء كانوا يحملونه معهم . (١) وينشغل العمال الزراعيون مدة أسابيع عديدة فى الحصد والدرس . ولذلك كانت دوائر أملاك الدولة وأملاك المعابد تحتاج دوما إلى عمال تراحيل يبدأون العمل فى مقاطعات الجنوب وبعد الإنتهاء منها يتجهون إلى الشمال ليجدوا الحقول معدة للحصاد . (٢)

وكان المحصول بعد حصاده يربط فى حزم ، وتكون الحزم معا فى المكان المزمع أن تدرس فيه ، وكان الحمار يحمل هذه الحزم ويقوم بنقلها وتتبعه النساء والأطفال الذين يجمعون ما يتساقط من حبوب فى سلال يحملونها . (٣) وكانت الحبوب توضع فوق الحمار فى جنبتين ، ثم فوق ظهره حتى يصل إلى الجرن فترفع عنه الحزم وتكوم معا فى كومة عالية .

وكان الجرن عبارة عن أرض خلاء تسوى على سطحها سيقان الحبوب بما تحمل من سنابل ممثلة وتطلق الثيران للمرور فوقها عدة مرات حتى تفصل الحبوب عن القش . (٤) وهذه العملية هى العملية الأولى من عمليات الدرس . أما العملية الثانية فتتم بواسطة المذراه ذات الشعب الثلاث التى يقوم بها عادة رجلان بقصد تنقية الحبوب من التبن . أما العملية الأخيرة من عمليات التنزير تقوم بها مجموعة من النساء وهن يمسكن فى أيديهن كفوفا خشبية يدفعن بها الحبوب إلى أعلى فى الهواء فتتساقط على الأرض لتقلها ويحمل الهواء التبن الخفيف بعيدا . ثم يقمن بعد ذلك

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ شكل

. ٨

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٨ - ١٦٢ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ

الحضارة المصرية ، ص ٥٠٦ - ٥٠٧ شكل ٩ - ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

بغريلة الحبوب فى غربال مربع حتى تتقى من التبن تماما . وبذلك تصبح نظيفة. (١)
وهنا يأتى دور الكتبة فيحضرون ومعهم أدوات الكيل ، وويل للفلاح الذى
يخفى جزءا من محصوله أو الذى لا يستطيع تسليم رجال السلطة الرسميين كمية
المحصول التى أظهرت علمية المساحة قدرة حقله على تقديمها . عندئذ يلقى أرضا
ويضرب ضربات متوالية بالعصا كما نرى فى مقبرة متنا ، وكانت الحبوب تنقل بعد
ذلك إلى الصوامع بعد أن يكيل موظف خاص من الضيعة المحصول ويعطى للعمال
نصيبتهم ، ثم يتولى بنفسه نقل باقى المحصول إلى صوامع صاحب الضيعة . وكانت
الصوامع مخروطية مصنوعة من الطين ترتفع عادة إلى خمسة أمتار وقطرها متران
وفى أعلاها فتحة صغيرة وبأسفلها باب صغير وتستعمل الفتحة العلوية لملء
الصومعة بالحبوب ويصعدون إليها عن طريق سلم خارجى من الخشب وتغلق هذه
الفتحة بعد امتلاء الصومعة ، أما الباب السفلى فلاخذ الحبوب منه حين تدعو الحاجة
إلى ذلك. (٢)

وتعبر نقوش المقابر عن عدة مناظر تمثل مراحل الزراعة المختلفة من عزق
وحرث وادخال البذور فى ثلأيا الأرض بعد أن تدوسها الماشية فى مقبرة تى نفسها
سقارة من الدولة القديمة. (٣) وصورة الحصاد ونقل المحاصيل فى مقبرة تى
بسقارة (٤) ، ومنظر نقل المحاصيل إلى الأجران فى مقبرة من عصر الدولة القديمة

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ شكل ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ شكل ١٣ ؛ Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 195 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ، شكل ١٩٥ ؛ وأيضا :
Hartmann , L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte , Paris (1923), p . 87 .

فى طيبة . (١) ومنظر قطع الأشجار والعزق والحرث فى مقبرة نخت (رقم ٥٢) بجبانة طيبة من عصر الملك تحوتمس الرابع وكان كاتبا للمخازن . (٢) ومنظر يمثل كافة مراحل الزراعة من عزق وحرث وكذلك نقل ودرس وتثريه الحبوب وخلافه فى مقبرة مننا (رقم ٦٩) بجبانة طيبة من عصر تحوتمس الرابع وكان كاتبا للضياع الملكية فى الشمال ، وفى الجنوب . (٣) ومنظر عملية الكيل ، وقد انحنى مجموعة من العمال يغترفون الحبوب بمكايلهم ثم يحملونها لى تسجل أمام الكتبة . (٤) ومناظر الحصاد وقياس الحقل فى المقبرة نفسها ، وكان مننا يشرف على كل هذه الأعمال الزراعية بنفسه (٥) . ومناظر الحصاد فى مقبرة سنجم من الأسرة التاسعة عشرة فى دير المدينة . (٦) وبالمتحف المصرى جزء من ذراع طولى ، عليه تفاصيل فلكية عثر عليه فى الحجر من الأسرة السادسة والعشرين . وكان متوسط طول الذراع حوالى ٢٠,٦٢ بوصة (٠,٥٢٤ من المتر) وكان الذراع مقسم إلى سبع قبضات ، والقبضة إلى أربع أصابع . ويتضح من هذا المقياس أن الأصبع كان ينقسم إلى عدة أقسام (٧)

المحاصيل الزراعية :

عرف المصريون القدماء أنواعا من المحاصيل الزراعية منها الشعير وذلك منذ عصور ما قبل الأسرات . وكانوا يصنعون منه الجعة ، فقد عرف أهل حضارة مرمدة بنى سلامة والفيوم كأول زراع فى الحضارة المصرية فقد زرعوا القمح

- (١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : المرجع السابق ، شكل ١٩٧ .
- (٢) المرجع السابق ، شكل ١٩٢ .
- (٣) المرجع السابق ، شكل ١٩٤ .
- (٤) المرجع السابق ، شكل ١٩٦ ؛ د. صبحى بكري : دليل آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ، ص ٨٥-٨٦ .
- (٥) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 161 fig 50 .
- (٦) Id ., op . cit ., p . 224 fig . 63 .
- (٧) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٧ (٥٥١٩) .

والشعير والكتان . (١) كما عرفوا زراعة الذرة الرفيعة منذ عصر الدولة القديمة وكانوا يصنعون منها أنواعا متعددة من الخبز . (٢) أما البقول فقد عرف المصريون منها الفول والعدس والحمص والترمس واللوبياء . وقد ذكر هيرودوت أن العدس كان من أهم أطعمة بناء الأهرام . وكان المصريون يأكلون الفول ويصنعون منه الببصاره ، واستعملوه كذلك طعاما لماشيته مع الجلبان والبرسيم . أما البذور الزيتية فقد عرفوا منها بذور الكتان والخروع والقرطم والخس وثمار الزيتون . وقد أفادوا من عصر بذور الزيوت واستخدموا الزيت في طعامهم وفي الإضاءة وفي صناعة الألوان والطور وفي التلييك .

وعثر في بعض المقابر على ثمار القرع والبصل والثوم وقد استخدمت جميعا كأنواع من الخضر . كما استخدم بعضها في أغراض طبية كالثوم . وعرفوا كذلك اللفت ثم الملوخية منذ العصر الروماني على الأقل . (٣) وعرفوا الفجل والكرات والبقدونس والكرفس والشبث والكزبرة وكانوا يقدمونها ضمن القرابين . وكانت أوراق الكرفس وقشر البطيخ تستخدم في تزيين المومياءات كما كان البصل يستعمل لإعاش الموتى .

لم تكن مصر غنية بالأشجار ، ولكن المصري القديم عرف أنواعا منها كالسنط والنخيل (للبلح والدوم) ، واستخدمت ثمار النخيل للأكل وكانت الجذوع تقطع إلى ألواح أو تستخدم كدعامات لأسقف المنازل والقاعات والأبهاء . وعرف أيضا شجر الجميز ، والنبق والطرفاء والصفصاف . وعرف النبق منذ فجر التاريخ وزادت الاستفادة منه في الأسرة الثانية عشرة .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٨ . عن زراعة

الكتان وحصاده، راجع : بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٦ . عن

المحاصيل الزراعية ، راجع : Hartmann , L'Agriculture dans L' Ancienne Égypte , Paris (1923) , p . 21 - 64 .

أما خشب الجميز فقد عثر عليه في بعض مقابر الأسرة الخامسة أما الطرفاء فقد عرف منذ أقدم العصور . ومن المعروف أنه استتبت في خلال الأسرة الحادية عشرة في الدير البحري . وأما الصنصاف فقد عرفه المصريون في عصور ما قبل الأسرات ، وكانوا يصنعون منه مقابض السكاكين . واستخدموا كذلك أخشاب الأشجار المستوردة مثل البرساء منذ الأسرة الثانية عشرة وزاد استخدامه في عصر الدولة الحديثة . والزان والبس من غرب آسيا منذ القرن الرابع الميلادي ، والأرز من لبنان منذ عصور ما قبل الأسرات والسرو من سوريا منذ الأسرة الثامنة عشرة ، والصنوبر من سوريا وآسيا الصغرى وقد عثر عليه في مقابر من عصر الأسرة الثالثة . والشربين من جبال طوروس منذ الأسرة السادسة والأبنوس من كوش وبونت منذ الأسرة الأولى . (١)

كما عرفوا صناعة خشب الأبلكاج حيث عثر في أحد ممرات هرم سقارة على قطعة خشبية مكونة من ست طبقات لايزيد سمكها عن سنتيمتر واحد من شجر السرو والصنوبر والجونيير (وهو شجر كان يؤتى به من سوريا ومن آسيا الصغرى ، ولونه أحمر وله رائحة ذكية . ونظرا لندرة الأخشاب المحلية لذلك كان لايسمح بقطع الأشجار إلا بإذن الوزير . (٢) واشتهرت مصر بزراعة البطيخ والشمام والقرع والقثاء والفقوس . وكان البطيخ يزرع في مصر العليا والواحات ، أما الشمام فقد عثر على أوراقه وأزهاره وبذوره في المقابر . (٣) وكانت ثمار البرساء تؤكل كفاكهة وقيل أنه كانت لها فائدة طبية في علاج أمراض الأسنان . كما عرفوا زراعة العنب والدوم (٤) والبلح والجميز والتين (٥) والنبق والرمان ، وحب العزيز وكانوا

(١) المرجع السابق ، ص ٥١٥ - ٥١٦ .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٥ .

(٣) الفه نخبة من الطعام : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٦ .

(٤) أنظر منظر على أوستراكا من دير المدينة يمثل ثلاثة من القرودة يتسلقون شجرة للدوم ، راجع : Allam , op . cit ., p . 117 .

(٥) راجع رسم على بربية من الدولة الحديثة محفوظة في متحف تورين ، يمثل فرس النهر يأكل التين من فوق شجرة ، راجع : Id., op . cit ., p . 68 .

يقدمونه تحية للضيوف فى الحفلات ويتسلون بأكله (١) وكانوا يستوردون من الفاكهة الأجنبية اللوز والبندق والجوز والخوخ والمشمش والصنوبر والخرنوب وكان يؤتى بها على الأغلب من سوريا ومن آسيا الصغرى (٢) وبالقسم المصرى بالمتحف الزراعى جزء كبير من العناصر النباتية والحبوب وغيرها التى كانت معروفة فى مصر القديمة . وعثر فى مقبرة توت عنخ آمون على جرار للنبيذ من الفخار عليه نقوش مذكور فيها سنة قطف الكرم ومصدر ما تحويه الجرة من النبيذ ونوعه ، وكذا اسم رئيس الكرم (٣) كما عثر على عشرين صندوقا تحتوى على أنواع نباتية مأخوذة من سلال متعددة وغيرها وكتب أسماء بعضها (٤) كما عثر فى المقبرة نفسها على باقات صغيرة من أوراق مأخوذة من نوع من الشجر يسمى برسيا (٥).

أعداء الزراعة :

كانت المحصولات الزراعية مهددة أحيانا بعدة كوارث ، منها الأمطار الغزيرة فى بعض المواسم . الجراد الذى يجرد الحقل من كل خضرة . وضيغان كان يزوران الحدائق فى الربيع والخريف وهما عصفور جنو وعصفور سوروت وهذان العصفوران كانا يلتهمان الفاكهة بشراهة . وهناك أيضا خطر الدودة وفرس النهر والفئران التى تلتهم جزء من المحصول (٦) وكانت الضباع تسبب أضرارا للفلاحين فى محاصيلهم وماشيتهم إذا أحست بالجوع كما يظهر ذلك فى بعض مقابر طيبة .

- (١) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٧ .
- (٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .
- (٣) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٢٥٨ (٥٠٢ - ٥٠٤) .
- (٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ (١٥٨٠)
- (٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ (٥٠٧ - ٥٠٩)
- (٦) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٣ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ٧٨ - ٢٧٩ ، ١١٠ ، ١٢١ - ١٢٣ .

أعياد الزراعة :

كانت هناك أعياد تقام بمناسبة موسم الحصاد ولتقديم الشكر للمعبودات مثل المعبودة رننوت ، معبودة الحصاد . وكانت تلقب بلقب " سيدة الحقول التي تمد الناس بالغذاء الطيب وتغمرهم بالمؤن " وهي تعتبر أيضا سيدة الشون ، وقد صورها المصريون في هيئة حية كبيرة أو هيئة امرأة لها رأس حية ، وكثيرا ما صوروها وهي ترضع المعبود نبرى الذى يرمز إلى سنابل القمح . وتقع أهم أعيادها فى منتصف الشهر الثامن (برمودة) وهو الشهر الذى سمي باسمها والذى يتم فيه قياس الأرض الزراعية استعدادا لحصادها وفى السابع والعشرين من برمودة ، يقع عيد وزن الدقيق ، ثم فى منتصف الشهر التاسع (بشنس) يتم احتفال الناس برننوت كمعبودة (١) وهناك أيضا أعياد المعبود أوزير معبود القمح والبعث . والاحتفال به كان شائعا فى البلاد كلها . وكانوا يصنعون من الطين تماثيل له يدفنون فيها الحبوب لتزيد المحصول وفرة (٢). وكان المصريون يحتفلون كذلك بعيد بداية سنتهم الزراعية

وهو عيد قومى عام . وعيد الربيع الذى يعد من الأعياد الزراعية ، وعيد القناديل الموقدة ويقع فى فترة بذر الحبوب وكانت له صلة بالمعبود أوزير وبعثه (٣)

البساتين والحدائق :

شيدت بيوت الأغنياء بحيث تحيط بها الحدائق والبساتين التى تتوسطها عادة بركة من الماء (٤) وتشير بعض آثار بيوت تل العمارنة إلى المنزل الذى

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية، المجلد الاول - الجزء الاول ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) Blackman, Osiris as the Maker of Corn in a Text of the Ptolemaic Period, An. Orien . 17, Studia Aegypt. I Rome 1938, P. 60.

(٣) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٩ - ٥١٠ .
(٤) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١١ - ٥١٢ شكل
Hartmann ,op .cit ., p . 67 . ؛ ١٥ - ١٦

يختفى تماما وراء حديقة هائلة ويحيط بقطعة الأرض المربعة تقريبا من جميع جوانبها سور مرتفع بأعلاه فتحات وتظليله صفوف من الأشجار ويؤدي الباب الرئيسى إلى حديقة الكروم حيث يظهر الكروم بعناقيد العنب الكبيرة الزرقاء . وترخرف جدران بعض المقابر مناظر تمثل عصر العنب وصناعة النبيذ . فنرى الكرم والأعناق وتقطف منه ثم تنقل إلى المعاصر حيث تداس بالأقدام ، ويجرى العصير عن طريق فتحة صغيرة إلى حوض تملأ منه جرار النبيذ . وعندما تتم هذه العملية يوضع فى أوان أعدت خصيصا لنقله فى الأسفار ، وهى جرار طويلة مدببة ولها أنثان وغنق ضيق ، وكانت تختتم بالجص فى إحكام شديد . وكانت هذه الأواني تحمل عادة على الكتف . وكما هى العادة ، كان الكاتب يقوم بحصر المقاطف التى أتى بها العصارون وقد سجل على كل أنية كافة التفاصيل مثل تاريخ العام الذى صنعت فيه والنوع واسم المنتج وقد سجل هذه البيانات فى سجلاته الخاصة . وفى بعض الأحيان كان يصر المالك على أن يشرف بنفسه على جمع العنب وعصره ، فيكون حضوره تشريفا للعمال كما نرى فى مقبرة بيتوزيريس . (١)

عرفت زراعة الكروم فى حقول ايميت الواقعة فى شمالى فاقوس وفى بعض المناطق الأخرى فى الدلتا . ويقول رمسيس الثالث لآمون فى بردية هاريس رقم ١ : " لقد زرعت لك كروما فى واحات الجنوب والشمال بجانب كثير غيرها فى الإقليم الجنوبى ، أما فى الدلتا فقد زاد عددها مئات الألوف " . (٢) وكانت توجد بالحدائق عادة برك مستطيلة للماء تحيط بها أشجار النخيل أو أشجار أخرى أقل ارتفاعا . وإلى جانب البركة كانت توجد عادة مقصورة محاطة بالأشجار يأوى إليها رب المنزل عند المساء يراقب الطيور والأشجار .

ويذكر متن من الدولة القديمة فى نص قطعة أرض اشتراها وأنه غرس بها أشجارا طيبة من بينها التين والكروم كما حفر بها بحيرة كبيرة . (٣) ويقول خرخوف

-
- (١) تاريخ الحضارة المصرية : المرجع السابق ، ص ٥١٣ شكل ١٧ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٦ ؛ ١٠٥ ، p. cit. , Allam
 (٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ٤٧٥ حاشية (٦)
 (٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٤ .

من الأسرة السادسة فى مقدمة نقوش مقبرته فى أسوان : " منذ ولادتى وأنا انتمى إلى هذه المدينة ، وهنا أقمت منزلى ، وحفرت بحيرة فى حديقتى واحطتها بالأشجار " (١). وقد سجلت سيدة عاشت فى عهد سنوسرت الأول ، على لوحة حجرية ، أنها أحبت الأشجار كثيرا (٢) وفى مقبرة انينى (رقم ٨١) بالبر الغربى من عصر امنحتب الأول حتى عصر تحوتمس الثالث ، وكان يشغل عدة وظائف هامة منها رئيس كل الأعمال فى الكرنك ورئيس شون آمون ، منظر يمثل صاحب المقبرة جالسا مع زوجته فى مقصورة وقد ذكرت أسماء الأشجار بحديقته وعددها ، وهى تضم عشرين نوعا مختلفا ومن بينها ثلاث وسبعون شجرة جميز واحدى وثلاثون شجرة برساء ومائة وسبعون شجرة نخيل ومائة وعشرون شجرة دوم وخمس شجرات تين واثنتا عشرة كرمة وخمس شجرات رمان وتسع شجرات صفصاف وعشر شجرات اثل وجملتها ٤٣٥ شجرة . (٣) واعداد الحدائق لم يكن مقصورا على بيوت الأغنياء ، بل كان أيضا من المنشآت العامة . ونرى رمسيس الثالث يشير فى نص له إلى اهتمامه برعاية الحدائق والمشاتل والإكثار منها ، قائلا : " لقد أخصبت الأرض كلها بزراعة الأشجار وغرس النباتات ، بحيث أصبح فى استطاعة الناس الجلوس تحت ظلالها " وقد شيد حدائق كثيرة فى قصر آمون ، وفى معبد أيونو جدد غرس الأشجار والنباتات فى كل مكان وزرع البساتين اللبانة بالكروم ، كما زرع فيه أشجار الزيتون . وزرع أشجار الأخشاب المقدسة فى داخل أسوار معبد حورس . (٤)

الزهور :

كان من بين ما يزين مائدة القرايين الأزهار . وكانت تقدم للمعبود آمون أكاليل

- (١) المرجع السابق ، ص ٥١٤ ، بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣ .
 (٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 52 .
 (٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣ ; Montet, la Vie Quotidienne en Egypte au temps des Ramsès , p. 28; Urk IV, 1046 - 1047 .
 (٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ ; Weigall , op . cit . , p . 174 .

من الأزهار يطلق عليها اسم " عنخو " . كما كانت التوابيت تحاط بأكاليل الزهور وأوراقها ، ولم تكن الاحتفالات الدينية والولائم تخلو من الأزاهير والورود . كما كانت المرأة تتجمل دائما بوضع زهرة أو زهرتين من زهور اللوتس فوق جبهتها ، أو تمثل ممسكة بزهرة في يدها تتشممها أحيانا أو تقربها إلى أنفها أو تهديها إلى جارتها . (١) فهناك منظر موجود في متحف فرانكفورت من الدولة الحديثة ، يمثل سيدة من الطبقة الراقية تستشق عبير زهرة اللوتس . (٢) وهناك أيضا منظر في مقبرة باحرى في الكاب يمثل هو وزوجته ، ونراه جالسا وهم يستشق عبير زهرة ذات غصن طويل .

تربية النحل :

عرف المصريون القدماء تربية النحل وطريقة جمع العسل وتخزينه . واهتموا بتربية النحل منذ الأسرة الخامسة على الأقل إذ يوجد منظر بمعبد نى اوسررع فى أبو صير يوضح جمع العسل وإعداده . (٣) كما نشاهد استخراج عسل النحل فى مقبرة مري روكا . (٤) كما نشاهد منظر خلايا النحل فى مقبرة رخمى رع وفى مقبرة باباسا من عصر الأسرة السادسة والعشرين فى البر الغربى فى طيبة . وكانت خلايا النحل تتألف من مجموعة من الأواني الفخارية موضوعة على الأرض ، ليجمع النحل عليها أقراص شمعه وشهده . وقد ميز المصريون بين درجتين من العسل : درجة أولى عرفت باسم " ستف " أى الرائق ، ودرجة ثانية باسم " شسرت " أى الأحمر . وقد لعب عسل النحل دورا هاما فى حياة المصريين ، وذلك لعدم

- (١) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٤ .
 (٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية - المجلد الاول، الجزء الاول ، شكل ٣٢٤ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ - ٣٨٧ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين، ص ١٢٥ شكل ٦٤ .
 (٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية - المجلد الاول، الجزء الاول شكل ٢٠٠ .

معرفتهم السكر، هذا إلى جانب استخدامه فى الأغراض الطبية والطقوس الدينية .
كما توصل المصريون إلى معرفة المواد المستخرجة منه وفوائدها .

ثالثا : الثورة الحيوانية :

المراعى :

----- كانت المراعى منتشرة فى مستنقعات الدلتا حيث تنمو بها الأعشاب والحشائش البرية فترسل إليها الماشية لتبقى فيها فترة من العام . وكانت الدلتا تحوى مساحات شاسعة من هذه المراعى . ولا توجد مراعى طبيعية فى مصر غير بعض المناطق فى شمال الدلتا المعروفة بالبرارى . وكان الرعاة يطلقون قطعانهم فى المروج الخضراء والمراعى الخصبة لترعى وتأكّل من الأعشاب التى تنبت فيها بكثرة بينما هم يستريحون فى ظلال الأشجار . ونرى فى منظر فى مقبرة تى بسقارة من الأسرة الخامسة ، عجولا ترعى فى أماكنها وهى موقفة فى أوتاد . (١) وكان الراعى يحمل عادة عصا يعلق فى طرفها حصيرا يستخدمه غطاء حين يريد النوم . وكانت الكلاب تصحب الرعاة للحراسة . وكانت مهمة الراعى فى المراعى الشمالية عسيرة .

استئناس الحيوان منذ اقدم العصور :

----- عثر فى منطقة المساكن لحضارات عصور ما قبل التاريخ على بقايا عظام حيوانية ، سهلت لنا التعرف على الحيوانات التى كانت تعيش فى تلك الفترة البعيدة . (٢) وكما رأينا فى دراستنا لبعض المراكز الحضارية ، أنها كانت حيوانات أليفة مثل الخراف والماعز والثيران والأبقار كما رأينا فى حضارة دير تاسا والتى تدلنا على أن تربية الحيوان واستئناسه كانا معروفين ، فحتى الكلب كان مستأنسا ، وربما كان يساعد فى حماية القطيع (٣) .

- (١) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ٢٨ - ٢٩ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٢ .
(٢) وليم نظير ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، دار الجامعة للطباعة والنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ ، ص ٣٨١ - ٣٩٢ .

وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على بقايا الحيوانات الأليفة مثل الحمار .
فقد عثر فى ثلاث مقابر كبيرة على جثث لحمير كانت تستخدم لحمل الأثقال
وكوسيلة للإنتقال . وعثر على كثير من جثث الكلاب مدفونة فى توابيت من
الخشب . (١)

الحيوانات الزراعية : (٢)

تزخر نقوش المقابر منذ عصر الدولة القديمة حتى بداية
العصر البطلمي بمناظر متنوعة تمثل حياة الماشية وتربيتها . وكانوا يقسمون الماشية
إلى نوعين : الماشية الكبيرة وتشمل الثيران والأبقار والماشية الصغيرة وتشمل
التيوس والكباش والماعز ، أما قطعان الخنازير فلم تمثل على جدران المقابر إلا
نادرًا . وقد عرف المصري القديم عدة أنواع من الحيوانات الزراعية : (٣)
البقرة : عرف سكان الوادى البقر الاقريقى ذى القرون الطويلة منذ أوائل
العصر الحجري الحديث ، ولابد أن استئناس هذا الحيوان قد بدأ فى
شرق أفريقيا . كما جئ بالأبقار من قبرص ومن بلاد الحثيين .
وينقصنا معرفة طريقة جلب مثل هذه الحيوانات . وعرف المصريون
القدماء عدة أنواع من الأبقار . وكانت البقرة رمزا لعدة معبودات .

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٨٣ ، ٩٦ صور ٦٤ -
٦٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

(٢) عرف المصري القديم انواع الحيوانات الأخرى منها ما كان يعيش فى بيئته
ومنها ما كان يجلبه من الخارج ، مثل الاسد ، الخرتيت ، الفهد ، النمر ،
الضبع ، الفيل ، فرس النهر ، الإيل ، الغزال ، الوعل ، أبو حراب ، المهاة ،
التيتل ، الزراف ، الذئب المصرى ، الثعلب ، ابن آوى ، النمى ، القرد ،
القط ، الكلب ، الخفاش ، راجع : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٧٣ -
٩٥ ، أيضا : Hartmann , op . cit . , p . 178 - 230 .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٧٠ ؛ الفه نخبة من العلماء :
تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧ ، ٥١٧ .

الثور : أستأنس منذ عصور ما قبل التاريخ . وكان الثور من أهم الحيوانات التي عني بها المصري القديم . وكان يغلب على الأبقار والثيران اللون الأبيض أو اللون الأبيض المرقط ببقع كبيرة سوداء أو حمراء أو صفراء أو ذات لون بني . وفي الدولة الحديثة استقدمت أنواع من الثيران ذات القرون القصيرة جئ بها من النوبة ومن سوريا . ويرمز الثور إلى القوة . وكان المصري يعطي لأبقاره وثيرانه أسماء ويدلها ويتحدث إليها ويزينها أحياناً بجلاجل أو قلائد . وكان يطلق عليها صفات مثل اللامعة والجميلة والمحبوبة والطاهرة .

الجاموس: أدخل إلى مصر بعد الفتح العربي بزمان طويل أي نحو القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) .

الحمار : عرف منذ أقدم العصور ، وأصله من بلاد النوبة .

الحصان : أدخل من سوريا وفلسطين عند غزو الهكسوس لمصر واستخدموها في جر العجلات الحربية ، وذلك في القرن السابع عشر قبل الميلاد .

البغل : نرى في منظر في مقبرة نب آمون بطيبة من عصر الأسرة الثامنة عشرة عجلتين تجرهما الخيل والبغال ويسوقهما صبي .

الجمال : كان معروفاً عن المصريين منذ أقدم العصور ، فقد عثر على تمثال من الفخار شكل على هيئة جمل بارك في بلدة نقادة من عصر ما قبل الأسرات . وعثر في حفائر حلوان على أجزاء من هيكل عظمي لجمال .

الأغنام : عرف أولئك السكان البعيدون الأغنام بأنواعها المختلفة في العصر الحجري الحديث ، وهي الأغنام ذات القرن الذي يبرز ملتويًا وخارجاً من الرأس في اتجاه أفقى من الجانبين .

الماعز : عثر على بقايا وأجزاء من هياكل الماعز من العصر الحجري الحديث . وكان يوجد في مصر منذ أقدم العصور نوعان من الماعز الأول فقد كانت قرونها حلزونية طويلة ، والثاني جسمه صغير وأرجله قصيرة وأذناه طويلتان متدلّيتان .

الخنزير : عرف منذ أقدم العصور . وقد ذكر هيرودوت أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون الخنازير فى الأغراض الزراعية فيطلقون قطيعا منها على الأراضى لتدوس الحبوب بعد بذرها. وذكر أيضا أنهم كانوا يعدون هذا الحيوان غير نظيف وإذا لمس إنسان خنزيرا وجب عليه الاستحمام وغسل ملابسه ليتطهر مما لحقه من رجس.

تربية وتسمين الماشية :

تعد مقبرة مري روكا بسقارة من الأسرة السادسة من أغنى المصادر التى تحوى مناظر تمثل تربية الماشية وتسمينها وحلبها وتوليدها وإرضاعها وعلاج الحيوانات المريضة . وكان المصرى يعنى بتحسين سلالاتها ، فيرسلها إلى المراعى فى الشمال أو يقوم بتقديم طعام لها من عجين الخبز . وعثر فى كوم أوشيم (الفيوم) من العصر الرومانى على أقراص من الكسب كان يستخدم علفا للماشية وهو عبارة عن بقايا الزيتون بعد عصره (١) ، ونرى فى بعض مناظر المقابر رجل يساعد على توليد بقرة وآخر يربط العجل فى رقبتها ليتمكن من القيام باستدراار لبنها وهذا ثالث يسوقها إلى المرعى فى رفق (٢) وهذه عملية تلقيح بين ثور قوى وبقرة ولود فى مقبرة فى دشاشة . وهناك منظر على تابوت إحدى ملكات الدولة الوسطى ، يمثل حلب بقرة وقد ربط صغيرها فى إحدى ساقىها الأماميتين ، ليزداد ادراها للبن ولكن البقرة تبكى لإدراكها أن اللبن لن يكون من نصيب صغيرها (٣). وكانت الماشية الصغيرة تربي أحيانا فى المنازل وتسمن للاستهلاك اليومى . وكانوا يصيدون الايائل والوعول التى تستأنس أحيانا وتضم إلى فصائل الماشية الصغيرة بعد أن تسمن بإطعامها عجين الخبز (٤).

- (١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .
- (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٨ شكل ١٩ - ٢٠ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- (٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية، المجلد الاول - الجزء الاول ، شكل ٣٠٤ .
- (٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٢٠ شكل ٢٣ .

العناية بالحيوان والرفق به :

يذكر ديودور الصقلي أن المصريين القدماء كانوا يجزون صوف الغنم ثلاث مرات ويذكر ماسبيرو أن الثيران كانت تغسل مرة كل يوم في وقت الظهيرة . وكان الفلاح يقود ماشيته إلى الحقل أو المراعى وهى حرة طليقة فى معظم الأحيان وأحيانا يربطها بحبل ويقودها . وفى طريق عودته من الحقل تصادفه بعض العقبات ، فإذا اضطر إلى عبور قناة غير عميقة فإنه يستخدم قاربين لنقل الماشية من شاطئ إلى آخر وعندما تكون القناة قليلة الماء فإن الراعى يحوّص الماء ببطء بجانب قطيعه حاملا على كتفيه عجلا رضيعا خوفا عليه وشفقة به . أما البقرة فتسير خلفه ، وهى تخور وقد جحظت عينها من القلق على ولدها . وإذا كان الماء عميقا على مقربة من النباتات المائية فقد كان يخشى دائما من التمساح . ويعرف الراعى ما يقوله لأجل تحويل هذا العدو الرهيب إلى كائن لا ضرر منه . (١) ومن مظاهر عناية المصريين بالحيوان مانراه على أحد جدران مقابر ميدوم حيث مثل ثوران مغطيان بغطاء حماية لهما من شدة البرد فى الشتاء . ويبدو أنه حصير من القش . وعندما يحضر المصرى جرار الماء النقى ويضعه أمام ماشيته كان يلاطفها ثم يستحثها على الشرب . (٢)

الحظائر :

تقام من أغصان الأشجار لحماية الماشية من الحيوانات الضارية . وكشفت لنا حفائر تل العمارنة عن بقايا حظائر كانت الماشية تقضى الليل فيها . كانت حظيرة الثيران تقع داخل الأسوار غير بعيدة عن منزل السيد وعن مخازن الغلال . وكان الخدم يعيشون داخل الأسوار لحماية الماشية ضد اللصوص . وكانت حظيرة الخيل منفصلة عن حظيرة الثيران ومكان الحمير . (٣)

- (١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
 (٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣١-٣٣ .
 (٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

ذبح الماشية :

كثيرا ما نرى على جدران مقابر الدولة القديمة مناظر تمثل احضار الثيران للذبح وتقديم لحومها قربانا لصاحب المقبرة . ولا تكاد مقبرة من المقابر تخلو من منظر يمثل ذبح ثيران التضحية . وفى متحف متروبوليتان بنيويورك نجد منظرا يمثل الثيران وهى تساق إلى قاعة ذات أعمدة بينما يشرف رئيس القصابين على عملية الذبح وقطع اللحوم وتعليقها لى تجف . وكانوا يحظرون ذبح إناث البقر لما يؤدى إليه ذبحها من القضاء على الثروة الحيوانية . (١)

الكشف على اللحوم :

كانت المعابد ترسل كهنة بمثابة مفتشين عند مربى الماشية ويفحصون كل حيوان فحصا دقيقا فى حالة وقوفه ورقاده ويسحبون لسانه لمعرفة سلامته وخلوه من علامات المرض . وينظرون إن كان شعر الذيل ناميا نموا صحيحا . بعد ذلك يعلنون أنه حيوان صالح للذبح وذلك بوضع حبل حول قرنيه ويضعون على الحبل ختم من الطين . (٢)

ختم الماشية :

كان المصريون القدماء يخافون على ماشيتهم من الضياع لذا فقد ميزوها عن غيرها عند اختلاطها بالماشية الأخرى بعلامة خاصة وذلك بكيها بخاتم من الحديد محمى فى النار على الكتف الأيمن أو على أحد قرنيها أو على إحدى

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٩٤ ؛ وليم نظير : المرجع

السابق ، ص ٣٧ .

فخذيها الأماميين . ويوجد هذا المنظر فى مقبرة نب آمون (رقم ٦٠) فى البر الغربى فى طيبة من عهد تحوتمس الرابع .

الأطباء البيطريون :

نشاهد على أحد جدران معبد أبيدوس منظرا يمثل أحد الأطباء البيطريين وهو يلقى على الطلبة درسا فى تشريح البقرة . وقد ظهرت جميع الأحشاء الداخلية بالألوان . ونرى على أحد جدران مقبرة خنوم حتب بينى حسن من عصر الدولة الوسطى منظرا يمثل الأطباء البيطريين وهم يقومون بعلاج بعض الحيوانات المريضة . وبعد فحص الحيوانات المريضة كان الأطباء البيطريون يعطونها الدواء بأيديهم . ويذكر ديودور الصقلى فى هذا الصدد : " أن الإرشادات التى توصلوا إليها بشأن الطرق النافعة لعلاج الماشية المريضة والغذاء اللازم لها فى الصحة والمرض لم توصلهم إلى معرفة حقيقة المرض بل المنافسة التى وجدت بينهم وبين سائر الأمم جعلتهم يتوصلوا إلى عدة طرق لعلاج الماشية " . (١)

إحصاء الماشية :

كانت الحيوانات تحصى كل عامين وذلك أمام ممثلين للإدارة الملكية يرسلون إلى الأرياف لتقدير الضرائب الحكومية . وأحسن مثل لدينا عن إحصاء الماشية وأهميته ما عثر عليه فى مقبرة البرشا من عصر الدولة الوسطى إذ نرى على أحد جدران مقبرة تحوتى حتب مناظر تمثل إحصاء كل نوع من الحيوان . وكان المصريون القدماء يصورون على جدران مقابرهم قطعان الماشية موضحة بالأرقام الدالة على عدد ما يملكه صاحب كل مقبرة . (٢)

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ

الحضارة المصرية ، ص ٥١٩ ، شكل ٢١ .

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .

المنتجات الحيوانية :

بلغت عناية المصريين القدماء بالحيوانات وتربيتها وتسمينها حدا كبيرا ، وذلك لسد حاجتهم من منتجات الحيوان . ومن أهم ما استخرجه المصريون من الحيوانات اللحوم ، ويبدو أن المصريين القدماء كانوا يفضلون اللحم المشفى ، وقد عثر فى حفائر المعادى من عصر ما قبل التاريخ على ضأن وماعز مجفف كما عثر فى مقبرة امنحتب الثانى بالبر الغربى بطيبة على لحوم بقرية مختلفة مجففة . وكانت الدهون من زبد وسمن ولبن وجبن ، والصوف والفراء والشعر والجلود والقرون والعظام والعاج والفراء والأمعاء والسماد من فضلات المواشى . (١)

ترويض الحيوانات :

عنى المصريون القدماء بالحيوانات عامة والمتوحشة منها خاصة فى جميع حقب التاريخ . ولم تكن عادة ترويض الحيوانات البرية غريبة على المصريين . فنرى على أحد جدران مقبرة بتاح حتب بسقارة من الأسرة الخامسة منظرا يمثل سبعا وليؤة فى قفصين كبيرين نوى قضبان يجرهما بعض الخدم أمام صاحبهما . (٢) وكثيرا ما كانت الحيوانات الغريبة ترد من البلاد الأجنبية إلى مصر مثل الفيل والدب من سوريا والزراف من اثيوبيا مما يجعلنا نعتقد أن مثل هذه الحيوانات كانت تحفظ فيما يشبه حدائق الحيوان . وعندما عادت البعثة التجارية التى أرسلتها حاشبسوت إلى بلاد بونت أحضرت معها فهدين وأمرت الملكة بترويض هذين الفهدين لتستخدمهما فى رحلات الصيد . (٣) وقد اشتهر امنحتب الرابع بأنه من أكثر هواة الحيوانات والنباتات النادرة . وكانت حدائقه فى تل العمارنة تغص بالوعول والظباء . وعثر على نقوش فى مقابر هذا العصر تبين أن اقفاصا بها حيوانات مختلفة يظهر بينها أحد السباع فى قفصه .

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٨١ - ١٩٧ .
 (٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ شكل ٥١ .
 (٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

ويبدو أن عددا كبيرا من الملوك كانوا يصطحبون معهم فى معاركهم الحربية سباعهم المفضلة بعد تدريبها على الصيد ومقاتلة الأعداء . ونرى فى أحد مقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى منظرا يمثل استخدام السباع فى الصيد فترى الصياد يصطاد وعلا والسبع يقبض عليه . (١) وهناك المنظر المصور على أحد آثار توت عنخ آمون ونرى فيه أحد السباع برفقة الملك . وهناك منظر فى معبد كوم أمبو من العصر البطلمى يمثل سباعا فى صحبة الملك - الذى لا تظهر إلا ساقه - يلتهم يد أحد أسرى الحرب الراكعين أمام الملك . (٢)

وقد عثر على منظر فى مقبرة مري روكا بسقارة يمثل الكلايين وهم يطعمون الضباع بأيديهم ويسمنونها ، ويرى مونتييه أنها درست على الصيد . (٣) ومن المرجح أن البطالمة قد أنشأوا فى الإسكندرية حديقة للحيوان كانت ملحقة بالمتحف . (٤)

رابعاً : تربية الدواجن :

تربيتها وتسميتها :

كان أصحاب الدواجن على طائفتين : الأولى وتقوم بتربيتها وتعيش فى القرى ، والثانية وهم بائعو الدواجن فى الأسواق وتقوم بإطعامها وتسميتها وتعيش فى المدن . (٥) ونرى فى بعض رسوم المقابر أصحاب الدواجن وهم يطعمونها باليد لتسميتها ، كما نرى الدواجن وهى " تتعثر فى مشيتها بعد إطعامها " من كثرة

(١) المرجع السابق ، ص ٩٨ شكل ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ٧٤ شكل ٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ بيير مونتييه : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٤) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٨١ - ١٩٧ .

تسمينها . وكان طعام التسمين يعد من عجينة الخبز ويبل في وعاء به ماء حتى يسهل بلعه . وكان هذا التسمين شيئا إضافيا إلى جانب الطعام العادى وهو الخبواب . (١)

الأوز :

كان الأوز شائعا فى مصر وكان من أحب الدواجن عند المصريين القدماء ويتحدثون عنه كثيرا . وعثر على أسماء مختلفة للأوز ، وهى حوالى خمسة أسماء (٢) ، وفى مقبرة مري روكا بسقارة نرى منظرا يمثل تربية الأوز فى حظائر مسورة وفى وسط كل حظيرة بركة ماء صغيرة ، ونرى فيها المشرف على تربيتها وهو يحضر الحبوب لنثرها لكى يطعمم الأوز . (٣) ونرى فى مقبرة تى بسقارة ومقبرة خنوم حتب الثانى بنى حسن مناظر تسمين الأوز باليد . ومن الطريف أن نرى أصحاب الدواجن وهم يحضرون الأوز المراد ذبحه ، فيقوم أحدهم بذبحه ، والآخر ينزع ريشه وينظفه بينما يقوم شخص ثالث بتمليحه ووضعه فى القدور لحفظه ، أو يعلق بعضه على صار من الخشب ويعرض للبيع . ويوجد هذا المنظر فى مقبرة بح سوخر - ثتنو (رقم ٨٨) من عصر تحوتمس الثالث أو امنحتب الثانى . (٤)

وكانت الأوزة ترمز لأصل المعبود آمون . ونرى على إحدى جدران مقابر دراع أبو النجا بطيبة لموظف يدعى بيكى عاش فى عصر الدولة الحديثة منظرا يمثل زوجته التى اتخذت لنفسها أوزة لتدللها .

- (١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .
- (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦٠ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ١٩٩ .
- (٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٠ شكل ٨١ - ٨٢ .
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٥١ شكل ٨٣ ؛

Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 106.

البط :

يبدو أن البط لم يلعب دورا بين الطيور المقدسة في مصر . وعثر على منظر يمثل بطا عاتما بين زهور اللوتس على قطعة من أرضية قصر امنحتب الثالث . وعثر على أربعة أسماء للبط في النصوص المصرية وكان لحم الأوز والبط من أحب الأطعمة لدى المصريين ، يقدمونه للملوك والكهنة ويأكلونه شواء أو مسلوقا ، ويزين موائدهم . وكان الأوز يشوى عادة على نار الفحم .

الدجاج :

يبدو أن الدجاج لم يكن معروفا عند المصريين القدماء . والواقع أن الدجاجة والديك لم يظهرأ على الآثار إلا في عصر البطالمة والرومان على أحد جدران مقبرة بيتوزيريس . كما نرى الديك مرسوما على أحد جدران المنزل الجنائزي رقم ١٦ بتونا الجبل .

الحمام :

لم يعتبره المصريون القدماء ضمن الطيور المقدسة كما لم يعثر على موميאות له في المقابر . وتظهر صور الحمام على جدران المقابر كأنه من الطيور المهاجرة التي استوطنت في أفنية الدواجن . (١)

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٥ شكل ٨٤ - ٨٧ . عرف المصريون القدماء كثيرا من الطيور البرية كالنسر والرخمة المصرية والصقر وأبو منجل والنعام والكركي والسمان والبجع ومالك الحزين وعصفور الجنة وأبو فصاده والهدهد والحدأة والبومة والغراب والزقزاق ، راجع : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، ١٥٧ - ١٦٨ .

التفريخ :

عنى المصريون القدماء بالتفريخ الصناعى . وكان لهذا التفريخ وقت معين ويقوم به اخصائيون لهم معامل فى كثير من القرى . وتحدث ديسودور عن ذلك فقال : " مما يثير دهشتنا ويستحق عظيم الشاء ما كان يشتغل به مربو الدواجن والأوز فهم لم يكتفوا بالتفريخ الطبيعى المعروف فى سائر البلاد بل كانوا يحصلون على عدد لا يحصى من الطيور بالطرق الصناعية " (١) وكانوا يستخدمون لذلك أفرانا أعدت خصيصا لهذه العملية .

منتجات الدواجن :

كانت لحوم الدواجن كالأوز والبط والحمائم من أحب الأطعمة عند المصريين القدماء . واستخدم البيض فى الأكل منذ العصر الحجري الحديث . وكان أصحاب الدواجن فى مصر يجمعون البيض ويحصونه بعناية تامة ، ويسجل الكتبة عدده . وقد شوهدت سلال البيض ضمن القرايين التى قدمت للموتى . ومما يلفت النظر أن بيض الأوز والبط لم يذكر مطلقا ضمن طعام المصريين القدماء . أما بيض النعام فكان ذا قيمة كبيرة . واستعمل فى بعض أغراض الزينة وقد عثر فى جبانة الجيزة على أوان وقدر من الفخار مليئة بالبيض المختلف الأشكال . وعرف المصريون فائدة ريش الطيور منذ عصر ما قبل الأسرات ، وعثر فى المقابر على ريش غراب أسود اللون كان يستعمل فى حشو الوسائد المصنوعة من الجلد المنقوش . ومن أحسن الأمثلة على ذلك الوسادة التى عثر عليها فى مقبرة يويا وتويا . وعثر على حالة واحدة من ريش الحمام . أما ريش النعام فكان يستعمل بكثرة فى صنع المراوح كما استعمل حلية للرأس (٢)

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٨ .

خامسا : الثروة السمكية :

تعد الأسماك من أهم مصادر الثروة المائية منذ العصر الحجري الحديث . وكانت مصر غنية بالأسماك التي تعيش في مياهها ، ويستهلك المصريون كثيرا من أنواعها المختلفة كما هو واضح من نقوش المقابر منها : قشر البياض وفтил البياض والبنى وثعبان الماء والقنوم والبلطى والبورى والقرموط والशल والشلبة واللبيس والفهة والبسارية . (١)

حفظ الأسماك وتجفيفها :

برع المصريون القدماء فى حفظ الأسماك وتجفيفها واستخراج البطارخ من بعض أنواعها كما نرى فى رسوم مقبرة نب كاوحر بسقارة . وذكر هيروتوت أن المصريين كانوا يرسلون الأسماك بعد صيدها إلى الأسواق ، ويأكلون الأنواع المفضلة عندهم طازجة مثل قشر البياض والبلطى . أما الأنواع الأخرى فكانوا يشقون بعضها من منتصفها ويملحونها ويتركونها فى تيار الهواء الجارى لتجف تماما ، كما نرى فى إحدى مقابر الجيزة من الدولة القديمة . (٢) وقد ذكر بلوتارخ بعض أنواع الأسماك المقدسة التى كانوا يتجنبونها ويحرمون صيدها أو لمسها أو أكلها مثل قشر البياض وفтил البياض وثعبان الماء والبنى والقنوم وكان السمك محرما فى بعض أيام خاصة من السنة وعثر على أسماك كثيرة محنطة ومجففة من عصور مختلفة . وعثر على موميאות للأسماك فى جبانة امنا الأثرية . (٣)

الأصداف ومخار البحر :

كثيرا ما وجدت الأصداف فى مقابر المصريين القدماء منذ العصر الحجري الحديث ، وكان البحر الأحمر يمدهم بالكثير من هذه القواقع ، كما كانوا يستعملون

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٦ شكل ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) R. el Sayed , La Deesse Neith de Sais , BdE 86/11

(3) . t. I , p. 27 - 28 (1982) .

وعن صيد الأسماك ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11 ,
p. 130, 132, 253, 501, 547 - 548 .

قواقع النيل والبحر الأبيض . وقد عثر على كمية كبيرة من هذه الأصداغ فى ميت رهينة . وكان للصدف قيمة كبيرة فى صناعة بعض الأدوات كالأساور والخواتم والأزرار والدلايات والأمشاط والأطباق . (١)

سادسا : الصيد وأنواعه :

كان الصيد أول ما احترفه المصريون القدماء منذ العصر الحجري القديم . وكان الصيد يمارس فى الصحارى وفى البرارى وفى النيل وفى الترع وفى القنوات وفى البرك وفى المستنقعات وفى البحار . واصطادوا الحيوانات والطيور والأسماك . وقد سجل المصريون على جدران مقابرهم مناظر كثيرة للصيد والأدوات التى استخدموها والطرق التى اتبعوها .

وكان الصيد فى الصحراء ومستنقعات البردى الهوائية المفضلة عند الملوك وكبار رجال الدولة والنبلاء . كما كان حرفة أيضا لأن بعض المصريين القدماء كان يعتمد فى طعامه على الصيد والقنص . وقد سجل المصريون على جدران مقابرهم مناظر كثيرة للصيد البرى والبحرى والأدوات التى استخدموها والطرق التى اتبعوها . وكان الصيادون المحترفين والهواة يتحاشون الاستمرار فى مطاردة الفريسة إلى أبعد مدى ، لأن الفريسة قد سلحتها الطبيعة بأرجل قوية ، وإذا استمر الصيادون فى مطاردتها ضلوا الطريق فى الصحراء وأصبحوا بدورهم فريسة للحيوانات المتوحشة كالضباع والطيور الجارحة . (٢)

وكان يلزم شرطى الصحراء المكلف بحراسة جبل الذهب فى قفط خبير فى الصيد ، كان يقوم بصيد النعام والغزلان . وقد كون رمسيس الثالث فرق شرطة من حملة الحراب وفرق صيادين محترفين يكلفون فى الوقت نفسه بمراقبة جامعى العسل البرى والشمع ويعودون بالماعز البرى لتقديمها للمعبود رع فى جميع حفلاته .

وكانت القوارب الخفيفة تنساب على صفحة الماء بين نباتات البردى

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) وعن الصيد بوجه عام ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 130 – 133 .

واللوتس المتمايلة ويقطف الملك أو للنبل الزهور المحببة ويفزع الطيور البرية ثم يضربها بعصا الرماية ويصطاد الأسماك بحريته وكان يرافقه زوجته وأولاده . وكان الصياد على علم بطبائع الحيوانات والأماكن التي ترتادها للشرب وكانوا يختارون سفح واد حيث توجد رطوبة في الأرض تسمح بإنبات بعض الأعشاب . (١)

صيد الحيوانات البرية :

من أهم حيوانات الصيد التي كثيرا ما رسمت على الآثار منذ فجر التاريخ هي التمساح وفرس النهر والسباع والفيلة والضباع والغزلان والوعول والظباء والأيتل والزراف والثعالب والفهود والنموس والقناقد والأرانب البرية . ويلاحظ أن معظمها كان متوطنا ولا يوجد بكثرة في جنوب الوادي . (٢)

أدوات الصيد :

كانت أكثر الأسلحة استعمالا الأقواس والسهام والخية (الحبال ذى الأنشودة) والفخاخ والحراب . واستخدمت السكاكين من النحاس في ذبح الفريسة وسلخها وتقطيعها . (٣) وكان الصيادون فيما مضى يذهبون إلى الصيد سيرا على الأقدام ، بينما يقوم الحرس بحمل الطعام والأقواس والسهام والأقفاص والحبال وزنايل الصيد . ومنذ عرف استعمال العرب كان السيد يذهب للصيد ممتطيا العربة كأنه ذاهب إلى ميدان القتال ومعه القوس والسهم ، أما الأتباع فيسيرون خلفه على الأقدام يحملون بواسطة عصي غليظة جرارا وقريا ملئت بالمياه ، ومقاطف وأكياسا وحبالا .

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرقس) ، ص ١٧٦ - ١٧٩ .

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٩٥ ، ٩٨ - ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٨ .

وعندما تصل القافلة الصغيرة إلى مكان الصيد يترك السيد عربته ومعه أسلحته ويمسك أحد الخدم مقاوذ كلاب الصيد التي أطعمت طعاما كثيرا من قبل ودربت على الصيد ومطاردة الحيوانات ومهاجمة الفريسة والقبض عليها بأنيابها دون إصابتها بضرر . كما استعانوا بالسباع المدربة فى الصيد.(١)

وفى مقبرة مري روكا بسقارة نرى مناظر صيد الحيوانات (٢) ، ونرى فى مقبرة بتاح حتب بسقارة أيضا منظر صيد الحيوانات المفترسة بالشباك الكبيرة ، وفى المقبرة نفسها منظر ثالث يمثل صيد الحيوانات المختلفة بالحبال .(٣) وفى إحدى المقابر بالقرب من أهرام الجيزة نرى منظرا يمثل صيادين أحدهما يحمل غزالنا صغيرة والآخر يحمل أرنباً برياً وقنفداً وفى الوسط غزال صغير يرضع من غزالة كبيرة.(٤)

وهناك منظر للصيد البرى فى مقبرة من مقابر مير من الدولة الوسطى (٥) ، ومنظر آخر يمثل رجلا يعود بالصيد البرى ويحمل غزالا وأرنبا برياً ويصطحبه كلبه .(٦) وفى مقبرة من مقابر البر الغربى فى طيبة نرى منظر صيد فرس النهر (٧) ، وكان أوزير حات يتوغل فى الصحراء الشاسعة وهو يقود عربته بنفسه مصوباً السهام بيديه وسائقاً أمامه قطيعاً من الغزلان تجر وراءها أرائب برية وضبعاً وذئباً ، ثم

-
- (١) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
 - (٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية - المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٣٥ .
 - (٣) المرجع السابق ، شكل ٣٤٧ - ٣٤٩ .
 - (٤) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٢ شكل ٤٩ .
 - (٥) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٤٤ .
 - (٦) المرجع السابق ، شكل ٣٤٦ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٢ شكل ٤٨ .
 - (٧) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٠ شكل ٤٧ .

يعود مزودا بالغنائم . (١) وعلى اوستراكا نرى منظر يمثل الملك سيتى يهاجم سبعا . (٢) ولدينا المنظر الشهير لرمسيس الثالث وهو يقوم بصيد الثيران الوحشية على الوجه الخلفى للصرح الثانى فى معبد مدينة هابو .

صيد الطيور :

سجل المصريون على جدران مقابرهم الطيور المختلفة بألوانها الطبيعية وطرق صيدها من المستنقعات أو من البرارى والأدوات التى استعملوها فى الصيد . ومما يدل على أن صيد الطيور كانت من الرياضة المحببة هو أن الصيادين كانوا يصطحبون منهم زوجاتهم وأولادهم . ومن بين طيور الصيد البط والإوز والسمان والبجع ، وكانت الطيور التى يقومون بصيدها تصل إلى أيديهم وهى على قيد الحياة تماما وكانوا يقومون بذبحها وتنظيفها ثم نقلها إلى بيوتهم لتزين موائد الطعام .

أدوات الصيد :

وقد استخدم المصريون عدة طرق لصيد الطيور أهمها : عصا الرماية المعروفة باسم " البوميرانج " (٣) وقد عرفت منذ عصر ما قبل التاريخ ، وهى سلاح بسيط لكنه قوى ، ولا تزال هذه العصا تستعمل فى استراليا حتى الآن . واستعمل أيضا الشبكة الكبيرة ، وكانت تصنع من جريدة النخيل أو الخشب والألياف وخيوط الكتان المحبوكة . ويبلغ طول هذه الشبكة نحو ثلاثة أمتار أو أربعة وعرضها نحو متر ونصف متر . وكذلك فخاخ الصيد كما نرى فى مقبرتى باكت وخيتى ببنى

- (١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .
- (٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٣ شكل ٥٠ .
- (٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية - المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٢٠ - ٥٢٢ ، شكل ٢٤ - ٢٥ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٢ ؛ Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 207 .

حسن . (١) ففي مقبرة شيشى بسقارة من الدولة القديمة نرى منظرا لصيد البط البرى بالشباك . (٢) وفي مقبرة خنوم حتب ببنى حسن من عصر الدولة الوسطى ، نرى على أحد جدرانها منظرا لصيد الطيور بعصا الرماية . ونرى على أحد جدران مقبرة نخت بطيبة من عصر الدولة الحديثة منظرا يمثل صاحب المقبرة وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية وصور وهو واقف فى قارب خفيف مصنوع من تبات البردى شد بعضه إلى بعض شدا وثيقا ويشق طريقه خلال المستنقعات وكانت تصطحبه فى الغالب زوجته وأولاده وحاشيته يقطفون زهور اللوتس ويحملون له الطيور التى اصطادها . (٣)

وعن الصيد على البر لدينا منظر فى مقبرة خنوم حتب ببنى حسن من عصر الدولة الوسطى يبين صاحب المقبرة وهو جالس ويقوم باصطياد البط بشبكة سداسية الشكل . وفى أحد مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة نرى صيد الإوز بشبكة ، وفى مقبرة أخرى من الفترة نفسها نرى صيد السمان بالشباك فى حقول القمح . (٤)

صيد الأسماك :

كان صيد الأسماك هو المتعة الرئيسية لأغلب المصريين القدماء على اختلاف طبقاتهم على مر العصور . وهم لم يكتفوا بما يمدهم به نهر النيل من أسماك وفيرة وخاصة فى فصل الفيضان بل أنشأوا بركللأسماك فى أراضيهم الواسعة .

-
- (١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٧ شكل ١٠٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٤١ .
 - (٢) المرجع السابق ، شكل ٣٤٠ .
 - (٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٤ شكل ٩٨ - ٩٩ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٧ شكل ١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٣ .

وكانوا يقومون بالصيد أيضا فى القنوات والبحيرات والمستنقعات ، وتشمل المستنقعات جزءا كبيرا من وادى النيل .وعندما تعود مياه النيل إلى مجراها بعد الفيضان تترك كل عام ، على حدود الأراضى الزراعية مساحات واسعة تحتفظ بالمياه إلى أن ينتهى موسم الفيضان .وتتبت فى مياه هذه المستنقعات زهور مائية عريضة الأوراق ، وعلى أطراف المستنقعات تنمو الورود والبردى وبعض النباتات المائية الأخرى . وكلما اتجهنا شمالا اتسعت رقعة المستنقعات واشتدت كثافة نباتات البردى.(١) كانت هذه المستنقعات بمثابة فردوس صيادى الطيور وصائدى الأسماك.

أدوات صيد الأسماك :

استخدم المصرى القديم الشص منذ أقدم العصور فى حضارة حلوان عثر على سنابير عديدة (٢) ، وكان عبارة عن عصا قصيرة بها عادة خيط أو خيطان مثبت فى كل منهما شص مصنوع من البرونز . واستخدم أيضا الحربة وتتميز الحربة بطولها ورقتها ولها طرفان مدببان فى معظم الأحيان . كان الصياد يفضل استعمال الشبكة.(٣) ويحدث أحيانا أن يستعمل نوعا صغيرا من شباك الأيدى فى الماء الضحل مثبتة فى قائم من الخشب على كلا الجانبين ويصبح شكل الشبكة مثل السلة . أما الشباك العادية فقد ظهرت رسومها على جدران كثير من المقابر فى عصر الدولة القديمة . وكان لها قطع من العوامات كالفلين فى أعلاها وأتقال من الرصاص فى أدناها .(٤) أما فى المستنقعات الضحلة فيضعون فى الماء مصائد من أقفاص على هيئة الزجاجاة أو مصائد من أقفاص مزبوجة .(٥) وهى المعروفة باسم البجمة .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٥ صورة ٣٦ .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤١ شكل ٧٦ .

(٥) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

وذكر هيرودوت أن الصيادين كانوا يصطادون كميات وفيرة من الأسماك سنويا من بحيرة مورييس "قارون" وتمد أسواق الفيوم بأجود الأنواع. (١) وعقب الانتهاء من الصيد ، يضعون السمك الصغير فى سلال بينما يعلقون الأنواع الكبيرة فى قائم من الخشب أو عصا يحملها رجل أو أكثر على أكتافهم . ونرى على أحد جدران مقبرة "تى" بسقارة منظر يمثل اثنين وعشرين صيادا يسحبون شبكة كبيرة من الماء بعد أن امتلأت بالسمك وقد وقف رئيسهم يراقبهم ويحثهم على العمل. (٢) وفى أحد المقابر القريبة من أهرام الجيزة من عصر الدولة القديمة نرى صيد الأسماك بالشبكة التى يشدها الصيادون مع رئيسهم ونلاحظ فى الشبكة وجود العومات والرصاص. (٣) ومناظر صيد السمك نجدها أيضا فى مقابر مري روكا وبتاح حتب وإدوت. (٤) وفى مقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى نرى رجلين يصطاد بالشص سمك الشلبة. (٥) وفى إحدى مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة ، نرى أحد النبلاء يصطاد السمك من بحيرته (٦) وفى مقبرة مننا من العصر نفسه نرى أحد النبلاء فى قاربه من البردى وخلفه زوجته وأحد أبنائه وهو يصيد السمك بالحربة ، وفى مقبرة قن آمون منظر يمثل صيادين عائدان من صيد سمك البلطى يحملون الحراب وباقة من زهور اللوتس . ومن مقبرة مكت رع نموذج من الخشب لقوارب صيد السمك مصنوعة من سيقان البردى ويقوم رجال بجذب الشبكة المليئة بالسمك

-
- (١) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ١٤٢ شكل ٧٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٦ .
- (٣) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ١٤١ شكل ٧٦ .
- (٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، وأيضا :
Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 225 fig.
75.
- (٥) ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ١٣٨ شكل ٧١ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ١٣٩ شكل ٧٢ .

بين القارين (١).

سابعاً : إعداد المواد التموينية :

وبفضل الثورة الزراعية والحيوانية والدواجن والأسماك أصبح هناك نوع من الاكتفاء الذاتى فى مصر القديمة ، ولم يحدث أن استوردت مصر أى نوع من المواد الغذائية من الخارج . ولهذا كان المصريون يقدرّون دائماً قيمة أراضيهم الزراعية ولا يرضون عليها بجهودهم ، ومع ذلك كانوا يخشون شر المجاعة . ولذلك كانوا يتخذون الاحتياطات التموينية اللازمة ، لأنهم يعلمون جيداً أن فيضاناتاً منخفضة جداً أو جفافاً يستتبعهما محصول ضئيل وقلة فى الموارد الغذائية . ولكن الخيرات كانت عميمة بوجه عام . وكان المصريون يميلون إلى الطعام الجيد والشراب الحسن . وسمحت هذه الثروة الغذائية بأن يعدوا مختلف أنواع الأطعمة والمشروبات وذلك منذ أقدم العصور .

الخبز :

فقد صنعوا الخبز بمختلف أنواعه ، ومنه ما خبز من دقيق أبيض ، وكانت أشكاله عديدة : فهناك الرغيف المستدير ، والمثلث ، والمخروطى الشكل ، والمستطيل . ويمكن عد خمسة عشر اسماً لأنواع الخبز والفطائر الواردة فى نقوش الدولة القديمة . فضلاً عن ألفاظ وأسماء أخرى يمكن العثور عليها فى بعض النصوص . ومصدر الدقيق ثلاثة أنواع من الحبوب وهى الشعير (ابوت) ، الذرة (بوتى) ، والقمح (سوت) . وكان الفلاحون والأغنياء يختزنون متونتهم من الحبوب فى منازلهم بعد موسم الحصاد . ويضعون الحبوب فى شون مبنية من الطين بالقرب من المنازل أو فوق سطوحها . (٢) وبعد أخذ كمية من الحبوب يقومون

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ - ١٤٢ شكل ٧٣ - ٧٤ ، ٧٨ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٧ .

(٢) بدير مونتيه : الحياة اليومية فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١١٥ .

بتنقيتها من كافة الشوائب ويقوم بهذه العملية مجموعة من النساء فى الريف . ويقوم الرجال بالعمل الأول فيضعون قليلا من الحبوب فى مدق من الحجر الصلب ويتولى بالتأوب شخصان أو ثلاثة أشخاص أقوياء طحنها بواسطة مدقة ثقيلة يبلغ طولها ذراعين . وبعد ذلك تقوم المغربلات بأخذ الطحين وغربلته بفصل النخالة عن الدقيق ويضعن النخالة جانبا لتكون علف للحيوانات وللطيور وبعد الباقي للطحن ليصبح ناعما . ويوضع الدقيق الخشن داخل طاحونة ذات شكل مخروطي ، وتتكون من مدق من جزئين وحجر كبير . ويوضع الدقيق الخشن فى الجزء الأعلى وعندما تضغط الطاحونة على الحبوب تطرد الدقيق إلى الجزء الأسفل ثم ينخل ويعيدون الكرة حتى يأخذ الدقيق النعومة المطلوبة . (١) وهناك منظر من مقبرة من عصر الدولة الوسطى نشاهد فيه رجالا ونساء يقومون بطحن الحبوب فى مهراس تمهيدا لعمل الخبز . (٢) وهناك مناظر أخرى تمثل الرحى البسيطة من حجرين مستديرين ويستخدمان لسحق الحبوب . وكانوا لا يعدون يوميا إلا كمية محدودة من الدقيق التى تكفى لعمل الخبز للاستهلاك اليومي . ونرى فى بعض المناظر أن الخبازين كانوا يعملون جنبا إلى جنب مع الطحانين . وتقوم المرأة فى الريف بعمل العجين من الدقيق ورصه وتبطينه بكلتا يديها وتتركه حتى يختمر . وبعدها تقوم بأعداد الفرن وتشعل النار فيها وتمسك بيد مروحة تزيد النيران اشتعالا ، وتحمي بيدها الأخرى عينيها ، وعندما تصل الحرارة إلى الدرجة المطلوبة تضع العجين المختمر على لوحة ذات ثقوب مستديرة فى الجزء الأعلى من الفرن ، وتنتظر حتى ينضج الخبز ثم تقوم بسحبه بعد ذلك وتضعه فى سلة بجوارها . (٣) وفى عصر الدولة الحديثة كانت توجد أفران عثر عليها فى تل العمارنة يمكن خبز عدد وفير من الأرغفة فيها فى آن واحد . ووصلت إلينا مناظر من عصر الدولة القديمة عن صناعة الخبز ، فنرى عاملا يعجن

(١) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٩٤ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

العجينة ، وهناك تمثال من الحجر الجيري بالمتحف المصرى يمثل سيده تطحن الحبوب ^(١) وعثر فى مقبرة مكت رع من الدولة الوسطى على نموذج لمخبز ومعجن يعمل فيه رجال ونساء . ^(٢)

ولصناعة الفطائر كان يقدم صانع الحلوى بمزج الدقيق بالعسل واللبن والفاكهة والبيض والزبد . وكانوا يعرفون أيضا كيف يخبزون الفطائر بوضعها وسط رمال ملتهبة كما يفعل البدو الآن .

الأطعمة :

لطهى الطعام كان لابد من تحضير المادة الدهنية . ولما كان المصريون القدماء يربون الأبقار والأغنام والماعز فمن الطبيعى ان يكون لهم دراية بدهون هذه الحيوانات بما فى ذلك دهن اللبن (المسلى) والدهون التى ذكرت فى النصوص المصرية فى مختلف العصور مثل دهن لحوم العجول (فى نصوص ومناظر من عصر الدولة الحديثة) ، والزبد والقشدة (فى نصوص من الأسرة العشرين) ، والدهن الأبيض (فى نصوص من الأسرة العشرين) وسم الاوز (فى نصوص من عصر الدولة الحديثة والأسرة العشرين) ^(٣) . واستخدموا الزيت فى طعامهم . وكان يستخرج من بذر الكتان وثمار الزيتون .

وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على كثير من بقايا الأطعمة الجافة، كانت تحفظ فى مخازن المقابر بعضها وجد مطهيا والبعض الآخر وضع بدون طهى. ومن فحص البقايا المتبقية نعرف أنهم كانوا يأكلون لحم العجول والبقر والماعز والغزلان ^(٤). ونعرف أيضا أنهم كانوا يستهلكون من الدواجن على رأسها البط

-
- (١) تاريخ مصر القديمة وآثارها الموسوعة المصرية ، شكل ٢٣٤ ، ٢٩٦ .
 (٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .
 (٣) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
 (٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٦٩ - ٧٠ .

والأوز والحمام والسمان . وكذلك كمية من الأسماك منها البورى والقرموط والشال والبلطى والبياض . ومن الخضر البصل والكراث والثوم والفجل والخس . ومن البقول العدس والفل والحمص واللوبياء . ومن الفواكه العنب والتين والنبق والجميز والرمان والبلح والدوم والخروب والزبيب . وعرفوا منتجات الألبان : القشدة ، الزبد ، الجبن وكانوا يستعملون مسحوق الخروب وعسل النحل فى تحلية الأطعمة والمشروبات . (١) وهكذا كان يوضع على الموائد مختلف أنواع الأطعمة من لحوم وطيور وأسماك وخضر وما تم إعداده من البقول وفاكهه وشرائح خبز صفت بشكل قمعى .

المشروبات :

كانت الجعة هى المشروب الوطنى لقدماء المصريين ، وكانوا يشربونها فى كل مكان . وكانت الجعة تصنع من حبوب الشعير والحنطة والبلح وتذق فى هاون حجرى بمطارق خشبية ثم تبلل بالماء وتعجن ، لتصنع منها أرغفة غير منتظمة الشكل تخبز خبزا غير كامل ، ثم تكسر هذه الأرغفة وتوضع فى قدر كبير تعجن فيه مرة أخرى ، ويضاف إليها الماء أو تخلط بالسائل السكرى الناتج من نقيع البلح وتترك لتخمّر وتصفى العجينة المختمرة بعد ذلك من خلال سلال فى أوان كبيرة ثم تعبأ فى قدور فخارية . (٢) وعثر فى مقبرة مکت رع على نموذج كرار لتخمير الجعة وتصفيته . (٣) ومن المشروبات أيضا النبيذ . وكانت كل الكروم تقريبا موجودة فى الدلتا ولاسيما فى المنطقة الشرقية . ورأينا فى بعض مناظر مقابر الدولة الحديثة كيفية جمع عناقيد العنب ذات الحبات الزرقاء الحلوة المذاق وهرسها بالأقدام وتجميع السائل فى قدور لتصفيته مرات عديدة وكان يقرأ : " نبيذ جيد من ثامن تصفيه " أو " نبيذ من ثالث تصفيه " ثم يوضع فى قدور أو جرار من الفخار ويسجل

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٩٥ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

عليها من الخارج تاريخ حكم الملك الذى صنع فى عهده هذا النبيذ وكذا النوع واسم المنتج . فلم يكن النبيذ يستخرج من العنب فقط ولكنه كان يستخرج أيضا من التين . وفى قصر اخناتون فى تل العمارنة عثر على عدة قدور من النبيذ مختومة بتاريخ حكم هذا الملك . (١)

ثامنا : الصناعات والحرف والمهن المختلفة :

استغل العامل المصرى القديم المواد التى قدمتها له البيئة ، فعرف خصائصها ومميزاتها وفوائدها . واستطاع بكده واجتهاده أن يصل إلى أفضل الطرق لاستخدام هذه المواد فى صناعة أدواته المختلفة . (٢) وأن يبرع فى عدة صناعات ويكتسب مهارة فائقة ، يعجز عن صنعها أو يخرجها بهذا الاتقان العامل فى العصر الحديث بما يملك من وسائل التقدم وآلات متطورة . ولم يقدر الكتبة فى مصر القديمة هؤلاء الصناع المهرة حق قدرهم وعدوهم أقل منهم مرتبة ، كما تذكر بردية " هجاء المهن " . وإذا رجعنا إلى الرسوم والنقوش الكثيرة المدونة فوق جدران المقابر نجد أن العامل المصرى قام بمختلف أنواع الحرف فى صناعة الأحجار والمعادن والأخشاب . وذلك بفضل عمال المناجم والمحاجر الذين أمدوه بكميات وفيرة من المواد الخام التى تستخدم فى الصناعة . وكان يشرف على هذه الأعمال المختلفة بعين ساهرة ، رئيس عام . وكان الصانع المصرى يرث غالبا خبرة المهنة عن أبيه وجده . ويمكن القول بأن الصانع المصرى كان فنانا فى عمله . ومن يطلق عليه لقب فنان مثل النحات أو الرسام أو النقاش كان ماهرا فى عمله . وفى الواقع أن هؤلاء

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ١٤٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وأثارها ، ص ٢٩٥ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٦ .

(٢) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne , p . 59

أيضا : ١٩٦ - ١٩٥ ، ٨٥ - ٨٣ ، ٦٠

ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٤ .

الصناع البارعون ، ومن بينهم الكثيرون من الفنانين ، كانوا يجازون بما تنتجه أيديهم ومواهبهم . وكانت هناك مهن وحرف عديدة مارسها الصناع المصري وأبرز فيها مهارة فائقة وذوق فنى ملموس .

ويتضح من القاب طوائف العمال أنهم كانوا يتبعون الملك شخصيا أو القصر الملكى ، أو الجبانة الملكية ، أو إحدى إدارات الدولة المتعددة ، أو المعابد المختلفة وملحقاتها ، أو كبار رجال الدولة أو كبار الشخصيات ، ومنهم من كان يمارس مهنته لحسابه الخاص ، أى يصبح من أصحاب المهن الحرة .

المحاجر وتصنيع الأحجار :

ذكرنا فى الباب الأول أماكن تواجد المحاجر فى أنحاء الوادى والمناطق الصحراوية . (١) فالحجر الجيرى يوجد على طول الوادى بين منف وأرمنت جنوبى طيبة ، وأجمل هذه الأحجار وانصعها بياضا كانت تستخرج من محاجر طره . والحجر الجيرى الذى يوجد فى تلال طيبة هو بدوره من النوع الجيد . ويجلب حجر الصوان الأحمر من الجبل الأحمر وتوجد الأحجار الرملية فى الجنوب ومحاجر الجرانيت فى أسوان ومن أطرافها يمكن الحصول على أنواع الجرانيت الثلاثة الوردى والأشهب والأسود . وفى مصر الوسطى توجد محاجر المرمر . وإلى الجنوب من قفط محاجر وادى الحمامات . ومحاجر الشست الأسود فى بخن (فى الجنوب) . (٢) ولم يكن العمل فى هذه المحاجر ممكنا لبعده ولما يتطلبه من جهد وتضحيات كبيرة . وقبل إرسال الحملة ترسل حملة استطلاعية لاكتشاف المكان ومعرفة مدى صلاحيته . وكانت كل حملة تتكون من مئات العمال المصريين وأحيانا أسرى الحرب أو من المحكوم عليهم وجنود وخدم المعابد والمرتقة الأجانب وبعض الموظفين ، ورؤساء عمال وخبراء على رأسهم رئيس الفنانين ومعه مجموعة من

(١) راجع فيما سبق ، الباب الأول ، ص ٥٧ - ٦٣ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز

مرفس) ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

الحجارين والنحاتين والرسامين والحفارين وأحيانا كان يرافق البعثة قوات من الجيش ورجال الشرطة بمختلف رتبهم . أو إحدى الشخصيات الكبرى منها كبير الكهنة ، وخبراء من الجيش وهؤلاء الخبراء كانوا يعاونون في حل المشاكل التي تعترض الحجارين مثل قطع مسلة أو تشكيل تمثال ضخم .

وكانت وسائل العمل في المحاجر بدائية إلى أبعد الحدود . ولم يحاولوا استخلاص الأحجار من صميم المحجر وكسرها إلى أحجار ذات أحجام متماثلة بل كانوا يختارون الشقوق التي قد توجد في المحجر والتي يسهل كسر أحجارها التي تصلح لتشكيل مسلة أو تمثال أو تابوت أو غطاء تابوت . أما القسم الأكبر من العمال فكان يعمل في وضع الأحجار على زحافات وجرها . وكان مع الحملة أحيانا عربات تجرها ثيران كثيرة العدد .

وكانت هناك مجموعة من العمال تصل قبل الآخرين ، تقوم برفع الأحجار الموجودة فوق الطريق ، ومن يأتون بعدهم كان عليهم أن يتسلقوا المنحدرات لعمل طريق منحدر على حافة الجبل تنزلق منه الكتل الحجرية إلى حافة الطريق . (١) وكانت المشكلة الكبرى التي تواجه الرؤساء هي إطعام آلاف العمال في وسط الصحراء وتوزيع القليل من المياه على كل واحد منهم ، مع القليل من الجعة والخبز . وعلى الرغم من هذه القلة فإن العمال كانوا يؤدون عملهم وهم مغتبطون لأنهم يعملون لخدمة الملك أو المعبد أو السيد (أى النبيل) ، استغل المعماريون والمثالون كل هذه المواد الحجرية في مشروعاتهم وأعمالهم الكبرى والصغرى الخاصة بالملك وبالدولة وبالمعابد وكبار الشخصيات وكافة طوائف الشعب . وتشمل الصناعة الحجرية قطع هذه الأحجار وإعدادها واستخدامها في البناء وصناعة الأبواب والأعتاب والأعمدة ، وصناعة التماثيل والأواني والأدوات والآلات المتنوعة والتوابيت .

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

فني العمارة :

يقوم الحجارون بإعداد الكتل الكبيرة والصغيرة وصقلها لاستخدامها في البناء . وفي مقبرة نواو نجح في البر الغربي في طيبة ، نراهم وهم يهيئون بابا من قطعة واحدة من الحجر ، وعمودا من قطعة واحدة من الحجر له تاج على هيئة جريد النخل ، وواجهة مبنى مفرغ . ويعمل الحجارون بالمطارق بينما يعمل البعض الآخر بالأزاميل ، ويشغل آخرون بأدوات الصقل ، فيستخدم بعض العمال مطرقة خشبية ومقراضا بينما ينهك البعض الآخر في صقل سطح الجرانيت ؛ يعملون وهم وقوف أو جالسون على مقاعد بدون مساند أو على قطعة الحجر نفسها التي يقومون بتصنيعها أو من فوق سقالة خشبية متحركة حتى يمكنهم مباشرة العمل بسهولة . وأثناء عمل الحجارون يقوم الرسامون وهم قابضون على قلم من البوص في يد ومحبرة في اليد الأخرى بتخطيط الكتابة بالخط الهيروغليفى التي سوف تنقش على الحجر بواسطة الحفار أو النحات . وتلون فيما بعد بالأزرق أو بالأخضر بواسطة النقاش الذي نراه يغمس فرشاته في إناء استعدادا للتلوين . وعملية الصقل لا يمكن أن تتم إلا بعد أن ينتهى كل من الحفار والنقاش من عملهما ، ثم تأتى فى النهاية عملية التلوين . (١)

نحت التماثيل :

فى مقبرة رخمى رع نرى منظر يمثل صناعة التماثيل ، فنجد تمثالا ضخما يمثل الملك جالسا على أريكة مربعة ذات مسند للظهر وتمثالا ضخما آخر ، منتصب القامة يستند إلى عمود وجواره تمثال لأبى الهول . ويجلس النحاتون جلسة مريحة سواء فوق مقدمة أبو الهول أو فوق ظهره أو فوق سقائه خشبية متحركة حتى يمكنهم العمل فى وجوه التماثيل الضخمة أو فى رؤوسها . وبعد ذلك يأتى دور الرسام الذى يخطط بقلمه على العمود الخلفى للتمثال النصوص المراد حفرها . وبعد

أن تتم عملية التلوين يصبح التمثال معدا للنقل إلى قصر الملك أو إلى المعبد أو إلى المقبرة . وكان نقل هذه التماثيل يتم في احتفال كبير بحضور حشد عظيم من الأهالى . وفي مقابر تل العمارنة نجد مناظر تمثل النحاتين أثناء عملهم . ويقوم كل نحّات بأعداد التمثال أو رؤوس التماثيل . وأطلق على النحات في هذا المنظر لقب " سعتح " أى " الخلاق " (١) أى " المبدع " .

الأواني الحجرية :

اكتسبت هذه الصناعة تقدما كبيرا ، اذ استطاع المصري القديم منذ العصر الحجري الحديث أن ينحت من مختلف أنواع الأحجار الصلبة واللينة أنواعا مختلفة من الأواني . ومن أهم الأدوات التى عثر عليها فى المراكز الحضارية لهذا العصر ، هى أواني من البازلت التى عثر عليها فى حضارة المعادى والتى تتل على مدى تقدم صناعة صقل الأحجار الصلبة ، وقد عثر على الواح صغيرة من الحجارة الصلبة ، كانت تستخدم لصحن الكحل وتحمل بقايا آثار اللون الأحمر والأخضر ، مما يدل على استخدامها فى أغراض الزينة وفى الواقع أن حضارات عصر ما قبل الأسرات اشتهرت بصناعة الأواني والأدوات الحجرية وقد برزت هذه الصناعة فى البرارى حيث صنعت آنية من حجر البازلت ، ثم تطورت فى حضارة العمرة وجرزه حيث استخدمت أنواع شتى من الأحجار النارية والمتحولة ، مثل الجرانيت والديوريت والنيس وغيرها . وهى جميعا أحجار صلبة تحتاج إلى جهد كبير فى صنعها ، وإلى دقة ومهارة فى إعدادها . (٢) وتعد هذه الفترة من أكبر العصور لصناعة الأواني من الأحجار الصلبة التى أعدت وصقلت بعناية شديدة ودقة متناهية

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الاول -

الجزء الاول ، شكل ١٣٦ ، ٣١٩ ، وأيضا : Baines - Malek , Atlas of ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 194 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٤ - ٦٥ شكل

وتدل على ذوق فنى رفيع . ولعل أفضل ما يستشهد به فى ذلك هو ما عثر عليه فى الممرات السفلى تحت هرم جسر من آلاف من الأوانى مختلفة الأشكال والأحجام ، أحيانا يبلغ ارتفاع بعضها المتر طولا . (١) وكانت مصنوعة من أحجار مختلفة منها المرمر المصرى ، والديوريت ، والجرانيت ، والشمست ، والبرفير ، والبرشيا ، والحجر الرملى وغيره . (٢) ومثل هذه الأوانى كان يستخدم فى صقلها قطع من الأحجار أشد صلابة حتى يغدو سطحها ناعما مستويا . أما الأوانى التى تطلبت متقابا أبسط لعمل الفتحات الصغيرة فيها ، فقد استخدم الصانع معها أداة أخرى مشابهة ، عبارة عن ساق رفيعة من المعدن يحركها حبل ملفوف عليها يشده قوس يدفعها إلى الأمام أو إلى الخلف فى حين يثبت الإناء على منضدة صغيرة يجلس أمامها . (٣) وكان يستخدم أيضا متقاب له مقبض من الخشب مكسو فى نهايته العليا بالجلد ، ويمسك الصانع المتقاب بين يديه ويلفه على قطعة الحجر التى يضغطها بين ركبتيه .

وفى شمال شرقى سقارة كشف عن كثير من المقابر الملكية من عصر الأسرة الأولى ، ومنها ما تحتوى فى داخلها على عدد كبير من المخازن عثر فيها على أوانى من المرمر والشمست والصخر البلورى . (٤) وعثر فى المقابر الملكية فى أبيدوس من الفترة نفسها على العديد من الأوانى . وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على أوان مصنوعة من الإردواز والمرمر والبازلت والالبستر الشفاف

-
- (١) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .
- (٢) يتراوح عدد هذه الأوانى بين ثلاثين ألف وستة وثلاثين ألف أناء ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٥٣ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٩٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٩٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٨٧ - ٢٩٣ .
- (٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٩ شكل ٢٠ .
- (٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٧٠ .

والديوريت والبروفير والبرشا والبللور الصخرى. (١) وعثر أيضا على أطباق من الإردواز مثلثة الشكل: (٢) وتدل الأواني الجميلة التي خرجت من حفائر سقارة وأبيدوس وحلوان عن مدى تقدم صناعة الأواني الحجرية ومدى التقدم الذي أحرزه الصانع المصري في هذه الفترة المبكرة. (٣)

صناعات أخرى من الحجارة :

فقد كان الإنسان الصائد في حاجة إلى آلات لقتل الحيوان وبتر أجزائه وسلخ جلوده ، وآلات أخرى لتسوية قطع العظم وإعداد عصا الرمح ولأغراض أخرى كثيرة مثل استخراج الجذور من الأرض ، وإعداد حفرات كمصايد يوقع فيها الحيوان أو الفريسة . فكانت هناك الفأس اليدوية ، بنهايتها المدببة ، وحدها القاطع ، وكانت تستخدم في شتى الأغراض التي تتطلبها حياة ذلك الصائد. (٤) واستخدم الأحجار لصنع بعض هذه الآلات وقد بقي حجر الصوان منذ العصر الحديث من أهم الأحجار المستخدمة نظرا للصفات التي يمتاز بها ، من صلابة في الاستعمال ، وسهولة في نزع الشظايا ، وتشكيل الآلة وتهذيبها . واستمرت أيضا صناعة بعض الآلات من الصوان مثل المناجل والمدى والمكاشط والمثاقب ورؤوس السهام والحرايب التي تتميز بإمكانية تهذيبها من وجهيها . وبلغت صناعة الآلات من الصوان إلى ذروتها ، من ناحية الإتقان في حضارة جرزة . وهي تعد من أروع ما عرفه العالم في عصر ما قبل التاريخ. (٥) وأحيانا كانت الآلة تصنع من النواة الصخرية ، أو من الشظايا نفسها .

-
- (١) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٤٢ - ٥٢ صور ٢٩ - ٣٥ .
 - (٢) المرجع السابق ، صورة ٢٨ .
 - (٣) د. احمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٨٧ .
 - (٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤ - ٤٥ .
 - (٥) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

وعثر في حضارة الفيوم من العصر الحجري الحديث على فؤوس من الصوان والظران والحجر الجيري ، ومجموعة من الصلايات من الحجر الجيري . وكانت هناك بعض أجزاء الأثاث المنزلى من مناضد تصنع من الحجارة من المرمر المصرى أو حجر الشست وأوعية من أشكال شتى ومن أنواع مختلفة من الحجر ، منها المرمر المصرى أيضا ، والشست والديوريت والبازلت والبورفير والصخر البلورى . (١) وكان يقدم فى هذه الأوعية المنزلية الخبز والفاكهة والأطعمة الباردة وتحفظ فيها العطور والحبوب وأنواع أخرى من الأطعمة الجافة . وهناك ملاعق العطر وأوانيه ما نحت من الحجر فى أشكال رشيقة . وعثر فى حفائر حلوان على ملاعق من الأحجار وتفننوا فى صنع أيديها . (٢) وكان هناك أدوات من المرمر غاية فى الدقة . (٣)

وفى مقبرة رخمى رع نرى صناعة موائد القرايين من الحجارة . (٤) كما صنعت التوابيت من الحجارة المتنوعة ومن أشدها صلابة ، واللوحات والأبواب الوهمية . وكانت الطريقة التى اتبعها الصانع المصرى فى استخراج معدن النحاس هى أن يستخدم أدوات من الصوان ، إذا ما كانت طبقات الخليط الذى يستخرج منه المعدن طبقات سطحية ، أما إذا امتدت طبقاته تحت سطح الأرض فقد كان يستخدم أزاميل من النحاس يحفر بها الصخر حتى يبلغ مجارى هذه الطبقات . (٥) وقد عثر بالفعل على عدد كبير من هذه الأزاميل النحاسية فى مناطق التعدين بشبه جزيرة سيناء . وبعد ذلك يقدم بصحن الخليط وتنظيفه . أما الخطوة الثالثة فهى وضع كميات من الفحم مع الخليط ، وتكوينها جميعا فى كومة على سطح الأرض أو فى

-
- (١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٩ .
 - (٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٥٣ ، صور ٥٢ - ٥٦ .
 - (٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٠٢ - ٢٠٣ .
 - (٤) بيبير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .
 - (٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩ .

حفرة غير عميقة ، ثم إشعال النار فى هذه الكومة مع تمرير تيار من الهواء ، عن طريق أنابيب ينفخ فيها . وبهذه الطريقة يصل إلى إذابة الخليط بدرجة الحرارة المطلوبة . وربما استغرقت هذه العملية وقتا طويلا وبعد هذه الخطوة تترك الأكوام حتى تبرد ، ويبدأ العمال فى فصل الفحم المحترق عن النحاس الذى يرسب فى القاع . وبعد ذلك يقوم بقطع كمية النحاس إلى أجزاء صغيرة سهلة الحمل والتداول ، ليبدأ استخدامها فى أغراضه المختلفة . (١) وكان الصانع المصرى يستخدم مطارق من الخشب أو غيره ليحول هذه القطع من المعدن إلى صفائح مطروقة ، يستطيع أن يشكل منها مايشاء ويقول ديودور عن طريقة استخراج المعدن :

" ولتكسير الصخور كانت تحمى بالنار ثم يطرقتها بالمطارق المعدنية فى اتجاه عروق المعدن . وتقل القطع المكسورة إلى خارج المنجم حيث تصحن وتغسل إلى أن تصبح نرات المعدن نقية ولامعة ، ثم يعالج الخام كيماويا حتى يصبح الذهب نقياً جداً " (٢)

المناجم وتصنيع المعادن :

كان عمال المناجم يعملون فى الظروف الصعبة نفسها التى كان يعمل فيها عمال المحاجر . ومن حيث وجودها فى المناطق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر وبلاد النوبة شرقى الجندل الثانى وشبه جزيرة سيناء فكان لابد من حفر الآبار لتوفير المياه اللازمة للعمال ، وكان العمل فى المناجم نفسها شاقا ، هذا بالإضافة أن عمال المناجم أو حراسها كانوا عرضة لهجوم بدوا الصحراء عليهم طمعا فيما استخرجوه من معادن ثمينة . وكانت حملة المناجم تتكون من اعداد كبيرة من العمال والخبراء والفنيين والحراس وحملة السهام والجنود . وكانت المناجم تعد من ضمن أملاك المعبد ، وكان الذهب المستخرج من الجبل ينقل إلى المعبد ، بعد أن يذهب

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

جزء منه للمخصصات الملكية. (١)

النحاس : هو أول معدن دقق الصانع المصري في العثور عليه ، وقد استخرجه من شبه جزيرة سيناء كما استخرجه من الصحراء الشرقية . وكان النحاس يستخرج من ركام النحاس المسمى ملاخيت والسشميت . (٢) ولنا أن نذكر هنا أن هذه المعادن كانت تستخرج من الصحراء والمناطق الوعرة في ظروف قاسية تحت وهج الشمس ، أو في لفح البرد بعيدا ن العمران دون ماء عذب إلا مايوجد في الآبار والينابيع . (٣) وقد استخدم النحاس أول ما استخدم منذ العصر الحجري الحديث في حضارة البداري واقتصر استعماله على القطع الصغيرة . أما في حضارة العمرة فقد عثر على مخارز ودبابيس وادوات صغيرة مصنوعة من النحاس وأخرى من الذهب والفضة . وعثر في حضارة جرزه على أول عينة للنحاس المصهور وأول عينة لاستخدام القصدير والحديد . وعثر كذلك على ادوات عديدة مصنوعة من الذهب والفضة ومقابض سكاكين من الظران المغطاه بصفائح الذهب أو بخيوط رفيعة من الذهب ، منقوش عليها مناظر اسطورية وتاريخية مختلفة وعثر في حضارة المعادي على دبابيس من النحاس . كل ذلك يدل على أن استخدام المعادن كان معروفا منذ اقدم العصور كما عرف أهل حلوان النحاس فصنعوا منه أواني دقيقة وازاميل وابرا ومخارز وسنانير للصيد . (٤) كما عثر في حلوان على سيوف كبيرة من النحاس لها مقابض من الخشب أو العاج . (٥) وبمرور الوقت اهتدى المصري إلى عملية أخرى ، وهي صهر النحاس ثم صبه في قوالب مهيأه الشكل المطلوب ، وكانت هذه القوالب تصنع من الطين الذي يشكل في البداية على الصورة المطلوبة ، ويحرق بعد ذلك ليحول الشكل إلى شكل متجمد كالقنار يصب فيه النحاس

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٤٧ ، صور ٣٦ - ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

المصهور. أو أن هذه القوالب كانت تصنع من الأحجار أيضا .

وبمرور الزمن أيضا استطاع الصانع المصري أن يجيد هذه الطريقة ، حتى توصل في نهاية الأمر إلى صنع مصاريح الأبواب الضخمة من النحاس المصهور الذى يصب فى قالب كبير من الصلصال ، زوده من أعلى بفتحات متعددة ثبتت عليها أقماع يصب فيها المعدن المنصهر . وهذا مائراة فى نقوش مقبرة الوزير رخمى رع (١) إذا نرى العمال يقفون على منافيخ من الجلد ثبت فى مقدمتها أنابيب تتجه فتحاتها إلى النار ، ويقف العامل وأحدى قدميه على منفاخ ، بينما القدم الأخرى على منفاخ آخر وقد أمسك بكل من يديه جبلا متصلا بالمنفاخ ، ليسمح بدخول الهواء وخروجه .

وصنع من النحاس السكاكين والأسلحة ، التى كانت مقابضها من الخشب والعاج أو غيرهما من المواد . والأواني ما كان منها أيضا من النحاس ، ومنها صحاف وطاسات وأباريق .

البرونز : إذا ما خلط النحاس بالقصدير نتج عنه البرونز ، الذى استخدمه المصري منذ عصر الدولة الوسطى ، ثم زاد استخدامه على نطاق أوسع من عصر الدولة الحديثة . وصنعت منه التماثيل الصغيرة والأسلحة . (٢) كان الصانع المصري يقوم بأعداد شكل من شمع العسل كما يود صبه . ثم يغطى التمثال من الشمع بطبقة من الطين أو خليط من الطين ومادة أخرى . ويوضع تمثال الشمع مع القالب من الطين المحيط به وسط كمية من الرمل تحيط به من جميع الجهات ماعدا أعلاه ، فإذا ما ذاب الشمع بتأثير الحرارة وتسرب من داخل القالب الطين ، يصب البرونز من أعلاه ويأخذ الشكل المطلوب ، وبعد ذلك يكسر القالب الطين ويستخرج التمثال . (٣)

(١) بييرمونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ ألفه نخبة من العلماء :

تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٦ شكل (١)

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الاول -

الجزء الاول ، شكل ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٧ .

الحديد : على الرغم من العثور على خاماته ، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى طريقه استخلاصه إلا في الدولة الحديثة ، حين بدأ استعماله واستيراده من آسيا الصغرى والمنطقة المجاورة لها . غير أن استعماله ظل محدودا ولم ينتشر إلا في العصر المتأخر ، حيث عثر بجوار نقراتيس في غرب الدلتا على مخلفات حرق ركام الحديد . وقد استخدم في عصر الأسرة السادسة والعشرين في كثير من الأغراض التي كان النحاس والبرونز يستعملان بها . وقد استعمل الحديد في عمل الأسلحة والأدوات المختلفة التي تتطلب الصلابة وقد عثر في مقبرة توت عنخ آمون على خنجر من الحديد ومئة عشر سكيناً صغيرة .

الذهب : أظهر الصانع المصري براعة منقطعة النظير في استعمال الذهب وذلك لسهولة استخلاصه من الشوائب . ولهذا كان الذهب من المعادن الأولى التي عرفها المصري في فجر حضارته ، وقد عثر بالفعل في مقابر عصر ما قبل الأسرات على بعض الحلى الذهبية . ويوجد الذهب فيما بين وادي النيل وبين البحر الأحمر ، وخاصة في المنطقة التي يحدها شمالا طريق فنار القصير وتحدها جنوبا حدود السودان ، وخصصها مناطق كوش القديمة . (١) وعادة ما يوجد الذهب ، إما في عروق من حجر الكوارتز أو مختلطا بالرمال والحصى التي نحتتها المياه من الصخور ، وتجمعت بفعل التيار في مناطق بعينها ، وفي هذه الحالة كان المصري يحصل على الذهب بغسل هذه الرمال والحصى وغيرها ، ثم يجمع الذهب ويصهره . أما عن استخراج الذهب من صخور الكوارتز ، فكان المصري يعتمد فيه إلى قطع عروق الذهب مع قطعة الصخر المحيطة بها من الجبل ، وذلك بوسائل متعددة منها النار مثلا ، وبعد أن يخرج قطع الصخر الضخمة من المناجم يعمل على تكسيرها إلى قطع صغيرة ، ثم يصحن هذه القطع ليحولها إلى مسحوق ناعم يوضع على سطح مائل ، ويمرر فوقه تيار من الماء بحيث يمكن فصل ذرات الذهب منه . الذي يجمع ويصهر . وكان هناك أنواع مختلفة من الذهب مثل : " ذهب صحراء ققط " ، " ذهب النوبة " ، " الذهب الأبيض " ، " الذهب الجيد " ،

"الذهب الجيد مرتين"، و"الذهب الجيد ثلاث مرات" (١). أما عن صياغة الذهب، فقد امتاز فيها المصري بمهارة كبيرة. وكان الذهب يصاغ إما بالطرق أو بطريقة القوالب. وكان الصناع يحولونه إلى صفائح رقيقة وذلك لتكسية الأثاث والتوابيت والموائد والعصى وغيرها. وكانت هذه الصفائح تثبت مباشرة على الأثاث بواسطة مسامير من الذهب، أو أن سطح الأثاث نفسه يغطى بمادة لاصقة تثبت عليها الذهب الرقيق، من بين هذه المواد اللاصقة "بياض البيض" أو تصنع الأقنعة من رقائق الذهب الخالص، مثل القناع الخاص بتوت عنخ آمون. وكان بالقصر الملكي من يعملون بالصياغة مثل: "المشرف على صهر الذهب" أو "المشرف على الصياغ". ويحدثنا أحد "المشرفين على صياغ الملك" في عصر الدولة الحديثة أنه كان يعرف "الأسرار في بيوت الذهب" أي الأسرار التي تخص صناعة تماثيل المعبودات من الذهب (٢).

وإلى جوار الصياغ التابعين للدولة، كان هناك في عصر الدولة الحديثة فريق من الصياغ يعملون في أملاك معبد المعبود آمون، ويقومون بصياغة ما تتطلبه لوازم الطقوس من أدوات مصنوعة من الذهب من مباخر وأواني وأوعية وأدوات وكان هؤلاء يتبعون في بعض الأحيان المشرف على خزينة المعبد أو الكاهن الأكبر للمعبود آمون. وسجل المصري لنا في بعض مقابر صياغة الذهب، ففي مقبرة تى ومرى روكا نرى عمليات وزن الذهب وحصره وتسجيله، ثم تسليمه إلى العمال ورؤسائهم، حيث يصوغونه في قلائد وحلى متنوعة. ويلاحظ أن بعض هؤلاء الصياغ كانوا أقزاما. وصور لنا مقبرة رخمى رع من الدولة الحديثة تفاصيل هذه الصناعة تفصيلا واضحا. وفي مقبرة مرى روكا بسقارة منظر يمثل صناعة الحلى (٣). وكثيرا ما كان الصائغ المصري يعمل على تلقين خبرته لابنه الصغير أو

(١) المرجع السابق، ٤٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦٠ - ٤٦٢.

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية، المجلد الأول - الجزء الأول، شكل ٢٤٥.

أخواته . وكان هذا شأنهم فى بقية للصناعات والحرف الأخرى .

وكان الذهب يصاغ للأغراض التجارية على شكل حلقات يبلغ قطرها حوالى ١٢ سم ، ولكنها كانت تختلف فى الوزن تبعاً لاختلاف سمكها . ويتطلب الاشتغال بالمعادن عدداً كبيراً من العمال . وإذا رجعنا إلى بربية هاريس التى أشارت إلى هبات الملك رمسيس الثالث السخية للمعبودات نجد أنها تشير إلى مصنوعات من الذهب والفضة والنحاس واللازورد والفيروز الحقيقى . وكانت أبواب الممرات بمعابد طيبة مغطاه إما بالذهب أو النحاس الذى له بريق الذهب . وكانت التماثيل مكسوة بالذهب ، والكثير من موائد القرايين وأوانى الماء المقدس كانت من الفضة . وكان بمعبد آتوم فى مدينة ايونو ميزان من الذهب ، كان فريداً فى نوعه لا مثيل له . (١) كان يستخدم فى وزن الذهب قبل تسليمه إلى العمال المهره لصياغته . ووجوده بالمعبد يدل على ثقته .

الفضة : لم توجد فى الأراضى المصرية ، على الرغم من ذلك فقد برع الصياغ فى صناعتها ، وبرعوا كذلك فى صناعة خليط من الذهب والفضة ، تسمى عادة الذهب الأبيض : Electrum . واستخدمه فى صناعة الحلى والتطعيم . (٢) وكانت هناك أوانى فاخرة تصنع من الذهب والفضة ، مثل أوانى العطر والزيوت . وكانت هناك المرايا من معدن مذهب أو مفضض ، ومقابضها فى شكل غصن بردى أو فى صورة حتحور ، وكانت المرايا تحفظ فى أغلفة فاخرة . (٣) وتقن الصناع المصرى فى صناعة الأوانى من المعدن ، فلدينا أنية من أجل حفظ لبن الأم شكلت على هيئة امرأة جالسة تمسك بيدها اليمين ثديها الأيمن وتمسك بطفلها باليد اليسرى ، وشكلت فتحة الإناء فوق رأس التمثال . وتوجد هذه الأنية فى متحف موسكو ويرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة . (٤) وهناك أنية أخرى من الفضة مقبضها على هيئة غزال من الذهب وكأنه يتسلق الإناء ليتزود بالماء ، وتوجد هذه الأنية بالمتحف المصرى ، وهى من الدولة الحديثة أيضاً . (٥)

- (١) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٤٦١ .
- (٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٩ .
- (٤) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p . 18 .
- (٥) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٣٤ .

الأشغال الخشبية ومجالاتها :

لم تكن أخشاب الأشجار المتوافرة في البيئة المصرية من الجودة أو المتانة بحيث تساعد الصانع أن يخرج منها ما يريد من قطع لتشكيلها أو صناعتها . ومن هذه الأشجار : الجميز والأثل والسنت والصفصاف واللبخ وربما الدوم الذي كان يفرز عصارة تمنع تأكل الخشب . ولذا استورد المصري القديم أخشاب الأرز والصنوبر والسرو والبلوط والسنديان والعرعر من غابات جبال جيبيل التي كان يقوم بدهنها بمادة تحافظ عليها من التآكل أو التسوس ^(١) . وظهرت مهارته وإبداعه فيما أخرجه من أشغال خشبية في صناعة الأثاث من أسرة ومقاعد وصناديق ولوازم المطبخ وغيرها . وفي العمارة الدينية والجنائزية في صناعة الأبواب والنوافذ والأسقف والشرفات والأرضيات والسلالم وأقفال ومزالج القصور والمنازل وملحقاتها والقوارب المقدسة والمحفات وأبواب النواويس والجواسق والهيكل والمقاصير والتوابيت بأنواعها والتماثيل بأنواعها والأبواب الوهمية واللوحات والصوراري والمراكب والعربات والزحافات وأدوات الرفع والشدادات والأعمدة الخشبية بأنواعها وغيرها .

أدوات النجارة :

المنشار المزود بمقبض من الخشب والمثبت من ناحية وكان النصل من النحاس ، ثم بعد ذلك من البرونز وكان طوله حوالى متر تقريبا ، وعرضه من ٢٠ إلى ٢٥ سم ، أما الأداة الثانية المستخدمة فهو القدوم ، الذي يتكون من فأس يتقابل ضلعاه معا في زاوية حادة ، ويستعمل الضلع الطويل كمقبض وكان النصل من النحاس أيضا . وكان هناك فتوس مختلفة الأشكال تثبت فيها النصل بسيور من الجلد . وهذا إلى جانب البلط و الأزاميل التي استخدم منها المصري أنواعا مختلفة الأحجام والصنع . إلى جانب هذا كان لديه المثاقيب ، ذات المقبض الخشبي التي تشبه إلى حد كبير المثاقيب العادية . واستعمل المصري أداة لصقل الخشب وإكسابه

(١) كما نلاحظ ذلك في عدد كبير من عروق كبيرة من خشب الأرز ملتصقة بجدران الحجرة العليا لهرم سنفرو الجنوبي بدهشور ، التي ربما كانت جزءا من مظلة لحماية التابوت ، ولا يزال الكثير منها باقيا في حالة جيدة وصلابة على الرغم من مرور أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عام على وضعها في هذا المكان ، راجع : د. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، ص ١١٢ ، ١٣٤ — ١٣٦ شكل ٥٤ .

سطحا أملس ، وكان يستعمل فى ذلك قطعة من الحجر الأملس تساعده فى غرضه . (١)

كان المصرى القديم يسقف مبانيه بفلوق النخيل وذلك بأن يشطر جذوع النخيل بالطول إلى قسمين ، ويرصها بحيث تكون السفوح المستديرة لأسفل . وقد استخدم المصرى أعمدة من الخشب لحمل السقوف ، وفى احيان كثيرة كانت هذه الأعمدة تظهر كأنها حزمة من سيقان البردى ، وبشكل يدل على براعة النجارين فى صنعها . إلى جانب هذا كانت الأبواب غالبا ماتصنع من الخشب ، أما بصفة واحدة ، أو من ضلقتين ، ويستخدم فيهما مزلاج من الخشب أو البرونز لقفله . ولأكساب هذه الأبواب قوة وصلابة كانت تسند الألواح الأمامية بعوارض خشبية من الخلف وتستعمل فى ذلك مسامير من الخشب ، ونادرا من المعدن . أما النوافذ فكانت تصنع من الخشب أيضا ، وتتكون من ألواح قطعت فيها فتحات طويلة متجاورة لادخال الهواء .

وأمد النجار المصرى المنازل المصرية القديمة بكثير من عناصر خشبية أخرى ، مثل الأكشاك التى تشيد على الأسطح أو فى حديقة المنزل . (٢)

الأثاث : كان تأثيث المنازل يحتاج إلى كثير من جهد النجارين الذين أمدوا المنازل المصرية بقطع فنية رائعة . ولعل أهم هذه القطع هى الأسرة التى كانت تصنع قوائمها واطاراتها من الخشب ، أما الجزء الأوسط منها فيضفر من الحبال . وغالبا ما كانت قوائم الأسرة تصنع على شكل أرجل الحيوانات . وقد أبدع النجارون فى صنع أثاث الملوك والنبلاء من الأسرة . وعلى هذه الأسرة كانت توضع الحشايا ومساند الرأس . وصلت إلينا مجموعة من آثار توت عنخ آمون . وقد تعددت أشكال هذه المساند من النوع البسيط من الخشب المكون من قطعتين متقاطعتين ، إلى النوع

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ

الحضارة المصرية ، ص ٤٦٢ - ٤٦٤ شكل ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ شكل ١١ - ١٢ .

المزخرف المكون من قاعدة وجزء مستدير أعلى . (١) وكانت الأسرة واطئة ولايزيد ارتفاعها عن الأرض على ثلاثين سنتيمتر ، ومنها ما كانت أطراف جوانبه مصفحة برقائق النحاس . (٢) وفي مقبرة تى منظر يمثل صناعة الأسرة (٣) . وأبداع النجار المصرى فى صناعة الكراسى على أشكال متنوعة وأحجام مختلفة ، منها الضخم مثل كراسى العرش المصنوعة بالأحجار الكريمة المختلفة ، والكراسى بدون مساند أو جزء خلفى (ظهر) ، وهناك المقاعد ذات الذراعين التى كانت تتجد وتكسى أسطحها بالقماش أو الجلد . وهناك أيضا المقاعد الأخرى التى يستعملها عامة الناس فى منازلهم ، وهى البسيطة ذات الظهر البسيط . إلى جانب تلك التى جعل لها ثلاث أرجل فقط ، ويستعملها الصناع والخدم . وكان هناك مواطئ الأقدام للمقاعد أو الكراسى المرتفعة ، وكان بعضها بسيط وبعضها الآخر مصفح برقائق الذهب .

وعثر فى بعض المقابر فى أبيدوس على أسرة وكراسى وصناديق وعصى ، وكانت أرجل الأسرة تقلد أرجل الثيران وكانت من العاج أو الأبنوس مما يدل على تقدم صناعة الأثاث فى بداية عصر الأسرات . وعثر فى حفائر حلوان على كراسى متعددة الأشكال من الخشب وأرجلها على هيئة رجلي الثور الخلفية والأمامية ، كما عثر على أسرة لها أرجل من سن الفيل على هيئة حوافر الحيوانات . (٤) وفى بعض المقابر الملكية فى سقارة من عصر الأسرة الأولى ، عثر على ألواح خشبية كانت تغطى الأرضية أو تغطى الجدران الجانبية . (٥)

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٣ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢١٠ .

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٤٢ ، ٧٢ شكل ٩ - ١٣ ، صورة ٤٥ .

(٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦٩ .

ويدل ماعثر عليه فى مقابر حسى رع من الأسرة الثالثة على أن قطع الأثاث من كراسى وأسرة مريحة كانت محل عناية صناعها ، فمنها ماتحلى طرفى جانبيه زهرة بردى ، وقوائمه من خشب وأحياناً من عاج فى هيئة أسير راكع . ووصل إلينا كرسي مصفح بالذهب وقوائمه على شكل أرجل الأسد للملكة حتب حرس . (١) وقد احتفظ كثير من أثاث توت عنخ آمون بالأشكال والزخارف التقليدية من قطع أثاث وكراسى وأسرة ومساند رأس ومواطئ أقدام وصناديق وخزانات من أشكال ومواد مختلفة ، تحليها زخارف ورصائع جميلة . (٢) وعلى رأسها كرسي العرش المطعم . وفى مجموعة توت عنخ آمون مجموعة من المقاعد الخفيفة التى كانت تطوى ويستعملها الناس على شاطئ البحر .

هذا بالإضافة إلى الاراتك التى كانت تزود بها المنازل ، أو توضع فى الأكشاك والحدائق . واستعاض المصري عن الدواليب بصناديق مختلفة الحجم ، تفتح من أعلى بغطاء له مقبض وفيها تحفظ الملابس وبقية اللوازم مثل أغطية الأسرة من الكتان والأشياء الثمينة . ومنها ما كان مطعماً بالأحجار الكريمة والمصنف من الخارج . ومثل عليها الفنان مناظر متعددة . وفى الدواوين الحكومية كانت تستعمل صناديق مشابهة لحفظ الوثائق ولفائف البردى . (٣) وعثر فى حفائر حلوان منذ الأسرة الأولى على بعض هذه الصناديق الصغيرة . (٤) أما المناضد فقد أعد النجارون عدداً منها مختلف الأحجام والأغراض ، واستعملت بعض هذه المناضد لحمل أواني الطعام والشراب ، وخاصة أواني الجعة الكبيرة مثل هذه المناضد كان

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ تاريخ مصر وآثارها - الموسوعة

المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ تاريخ مصر القديمة

وآثارها ، شكل ٢١٦ - ٢٢٣ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء :

تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٤) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٥٣ - ٥٤ .

لها أرجل ثلاثة أو أربعة . (١) إلى جانب هذا هناك مناضد صغيرة الحجم ، كان يستخدمها الصناع في عملهم مثل الصياغ وصانعي الجلود والأواني . وكان هناك من يقوم بتلميع الأثاث . أما الأثاث الجنائزي فكان يشبه إلى حد كبير ما يستعمله المصري في حياته العادية ، بإستثناء التوابيت . وكانت هذه التوابيت تصنع أولا من الخشب على هيئة الشكل المستطيل البسيط ، وانتهى هذا التطور في التوابيت إلى الشكل الآدمي " انثرو بويد " وفيه يكون التابوت على شكل مومياء بشرية .

وكانت الألواح المكونة لهذه التوابيت تثبت معا ، إما بمسامير من الخشب أو بطريقة التعشيق . وترسم أو ينقش عليها من الخارج مناظر ونصوص دينية . وإلى جانب التوابيت كان المصري يضع في المقابر عددا من الصناديق ، بالإضافة إلى الصناديق الخشبية المعدة لحفظ التماثيل ، والمقاصير الخشبية الكبيرة المكسوة بصفائح الذهب والتي كانت تغطي تابوت الملك توت عنخ آمون . (٢)

وكانت الأبواب الخشبية التي يصنعها المصري في المقبرة تحظى بنصيب كبير من العناية ، مثل ما عثر عليه في مقبرة حسي رع . وكذلك صنع الفنان المصري نماذج لأشياء أخرى من الخشب كانت توضع في المقبرة ، كنماذج القرايين أو نماذج القوارب والمراكب الجنائزية لنقل المومياء . (٣) وصنع الفنان التماثيل الخشبية ، ونلمس مدى الحرية التي استغلها الفنان في نحت تماثيله الخشبية ، والتي سمحت له بابرار تفاصيل معينة لم تكن يتيسر له في تماثيله الحجرية ، كما يتضح من تماثيل " شيخ البلد " وغيره . (٤)

أما الأثاث الديني فالمقصود به أثاث المعابد من الخشب ، فهناك الصناديق والنواويس والتماثيل والقوارب المقدسة وغيرها ، مما ابداع الصانع المصري في تنفيذه كل الابداع . ومنها كرمى الاحتفالات الدينية وهو من أبنوس وعاج وبعضه

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٢١٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٥ .

مصنوع بذهب ورصع بأحجار كريمة وقاشاني وزجاج ملون . (١) وقد أمر أبوي بعمل هيكلين من الخشب لمعبد الملك أمنحتب الأول ويبلغ طول هاتين القطعتين ١٢ ، قدما طولا ، ويقوم سقف أحدهما على أعمدة على هيئة سيقان البردى . أما السقف ، فهو على الشكل المقرب . ويتكون الهيكل الآخر من ثلاث طبقات يحمل كل منها على صف من أعمدة صغيرة . (٢)

ومنذ عصر الدولة الحديثة راجت تجارة جديدة هي صناعة العربات . وأصبحت واسعة الانتشار . وكانت هذه العربات تصنع عادة من الخشب . (٣) وثمة نوع آخر من التخصص في صناعة التجارة هي صناعة الأقواس والسهام والنبال والعصى والصولجانات من كافة الأنواع ، ليستعملها الملك وكبار رجال الدولة والعسكريين . وكانت الآلات الموسيقية تصنع من الخشب ، وكانت تزخرف في معظم الأحوال على غرار قطع الأثاث ذاتها إما بالتطعيم أو تغطيتها برفائف من الذهب . (٤) كما صنعت لعب الأطفال وقطع ألعاب التسلية من الخشب . وهناك بعض أدوات البناء في المتحف المصري ، وهي مصنوعة من الخشب ، منها ميزان ، وجزء من مقياس معماري وهو مقسم إلى كفوف وهي بدورها مقسمة إلى وحدات أصغر . (٥)

وعثر في مقبرة مكت رع على نموذج لمصنع للتجارة يعمل فيه صناعة

-
- (١) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .
 - (٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
 - (٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٠٦ ، Daumas , la Vie dans L'Egypte , Ancienne, p. 79 88 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p. 149 , 213 , 297 - 298 .
 - (٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .
 - (٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

ويستخدمون المناشير والازاميل والدقاميقي (١) كما عثر في بيوت اللاهون على أدوات للنجارة . وكان المصريون القدماء يصنعون الغراء من حوافر الحيوانات واستعملوه في أغراض شتى مثل لصق الخشب وربطه معا وتثبيت قشرة خشب الأبنوس والعاج . وقد عثر على عينة من الغراء في المعبد الجنائزي للملكة حتشبسوت بالدير البحري من عصر الدولة الحديثة . وظهر استعمال الغراء في أحد مناظر جدران مقبرة رخمى رع بطيبة كما استعمل في تثبيت كثير من أثاث توت عنخ آمون المحفوظ بالمتحف المصري (٢).

بناء المراكب والقوارب :

بدأت صناعة المراكب الصغيرة منذ أقدم العصور في مصر ، كما يتضح ذلك من رسوم فخار نقادة الأولى والثانية من العصر الحجري الحديث ، وكما يظهر ذلك أيضا من المنظر الذي رسم على جدران مقبرة في مدينة الكاب (إلى الشمال من ادفو) والتي ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، ويغلب على الظن أنها كانت مشيدة من الخشب . وعثر بجوار مقابر أبيدوس وحلوان من عصر بداية الأسرات على حفر لمراكب ضخمة من الخشب كانت تستخدم لرحلات الملك أو لزيارة المدن المقدسة في عصر بداية الأسرات .

ثم أخذت صناعة المراكب تتطور على مر العصور حتى نرى منها عددا كبيرا وكانت المراكب تستخدم للتنقل والسفر ونقل البضائع أو الماشية أو تماثيل المعبودات أو المسلات عبر النيل أو الترع (٣) ونعلم من نقوش حجر بالرمو أن الملك سنfro أرسل اسطول بحري لاستيراد خشب الارز من الساحل الفينيقي ، كما

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ،

ص ١٧٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٩ .

(٢) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٦٤ ؛ Baines ، Malek , Atlas of ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 68 -69 .

عثر على مركب إلى الجنوب من الهرم الأكبر عام ١٩٥٤ ويبلغ طولها ٤٣,٥٥ مترا ، وارتفاعها عند المقدمة خمسة أمتار وعند المؤخرة سبعة أمتار . وتتكون أجزاؤها من ٦٥١ قطعة من الخشب غالبيتها العظمى من خشب الأرز تضاف إليها قطع صغيرة من الحبال والمسامير والحصير . وهناك مقصورة كبيرة تحتل وسط المركب ويحمل سقفها ثلاثة أعمدة من الخشب تيجانها من النوع المعروف باسم الطراز النخيلي . (١) وعلى جدران معبد الجنائزى للملك ساحو رع من الأسرة الخامسة ، نجد تمثيل مراكب بحرية من الأسطول المصرى عائدة من آسيا . أما الشراع فإن استخدامه فى السفن فى عصر الدولة القديمة لم يتقدم كثيرا ، إذ أنه كان يستخدم فى المراكب عدد كبير من المجاديف مع شراع واحد فحسب يصنع من الكتان . يثبت فى قطعة مستعرضة من الخشب ، تربط من منتصفها بالسارية ولحفظ توازن السارية كانت تربط أعلاها فى حبل متين بمقدم المركب ، وحبل آخر بمؤخر المركب وعدد من الحبال التى تصل بين الجزء الأعلى من السارية والشراع عند الرسو . أما المجاديف فكانت من الخشب . وتربط فى جانب المركب بحبل . وعادة ماتحمل المركب من طائفة البحارة . بحيث يبلغون أحيانا أكثر من عشرين واستعان المصرى من الدفة كبيرة يستعملها بحار أو أكثر عند المؤخرة . (٢)

وبمرور الزمن تطورت صناعة المراكب فى مصر القديمة . وكان أهم هذه التغيرات هو استخدام الدفة التى تدار بواسطة مقبض من الخشب وذلك بدلا عن المجاديف التى يحركها البحارة فى المؤخرة . (٣) وكان هناك عدة أنواع من المراكب : للنقل والتجارة والأسطول الحربى . أما مراكب النقل التى تستخدم لنقل كتل

(١) د. احمد فخرى : الاهرامات المصرية ، ص ١٦٠ - ١٦٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٦٥ - ٤٦٨ شكل ٥ ، ٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٨ - ٤٧٠ شكل ١٠ ؛ موسوعة المجالس المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحة ، ص ٣٩٢ - ٣٩٥ .

الأحجار الصلدة كالجرانيت والديوريت والبازلت وغيره كان يتطلب باستمرار مراكب ضخمة لنقلها من المحاجر إلى موطن بناء الأهرام والمقابر والمعابد ، وإذا علمنا أن بعض الكتل كان يتراوح ثقله بين مائة طن وألف طن ، لأيقنا صلابة هذه المراكب . واختلفت أطوال المراكب ، من ٥٧ مترا في عصر الدولة القديمة إلى ٦٩ مترا في عصر تحوتمس الأول في الأسرة الثامنة عشرة . وهناك المنظر الذي يبين نوعية هذه المراكب في معبد الدير البحرى وهو يمثل مركبا كبيرة تحمل مسلتين من حجر الجرانيت . وكانت هذه المراكب مجهزة بثلاثة صفوف من الفوارق الخشبية وفى المؤخرة على كل جانب مجدافان كبيران ، يؤديان وظيفة الدفة ، ولم تكن هذه المراكب مزودة بمجاديف لتسييرها ، بل كانت تسحب بواسطة تسعين قاربا كبيرا زود كل قارب بمجاديف عديدة .

إلى جانب مراكب النقل هذه كانت توجد المراكب الجنائزية لنقل تابوت ومتاع المتوفى الجنائزى من الضفة الشرقية للنيل إلى الضفة الغربية .^(١) والمراكب الخاصة بنزهة الملك ورحلاته الخاصة مثل المركب الذى كان فى ملكية سنفرو ويوجد فى مقبرة تى بسقارة منظر تمثل صناعة المراكب .^(٢) وكان يطلق على النجار لقب *mdh*^(٣) والنجار الماهر لقب *Fnḥ*^(٤).

صناعة الزجاج :

نعلم أن التركيب الكيماوى لمادة الزجاج الآن كان هو التركيب نفسه للزجاج المصرى القديم . وكانت صناعة الزجاج معروفة للمصرى منذ أول عصور تاريخه ، وكانت المواد التى يصنع منها الزجاج الرملى السليكى أو رمل الكوارتز ، وتحتوى على عنصر كربونات الكالسيوم ، ويضاف إلى الرمل النطرون أو رماد بعض النباتات فى أحيان قليلة ، ثم مواد الألوان ، ويوضع هذا الخليط فى بوتقة صغيرة حتى تتصهر هذه المواد كلها بفعل الحرارة ، وتندمج معا وتكون جسما متجانسا ذا لون واحد . وعندما يتأكد الصانع من اتحاد هذه المواد معا ، وذلك بأن

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢١١ - ٢١٣ ، ٢١٥ .

(٢) المرجع السابق ، شكل ٢١٠ .

Wb 11, 190, 8.

Wb I, 576, 15.

Oxford Encyclopedia of Ancient: وعن النجارة بوجه عام راجع: Egypt I, p. 685 - 707; 111, p. 516 - 519.

يرفع عنه من الخليط بواسطة قضيب لفحصها ، ثم يبعد البوتقة عن النار ويتركها حتى تبرد ، حينئذ يكسر البوتقة ويزيل الطبقة السطحية من عجينة الزجاج بعد أن تبرد . وبذلك يحصل الصانع على كتلة الزجاج النقى بالحجم المناسب ، ثم يجزئها إلى قطع صغيرة حسبما يريد أن يشكل منها أوان .

ويبدأ الصانع بعد ذلك في تحويل هذه القطع الزجاجية إلى قضبان رفيعة ، وذلك بتسخين هذه القطع وسحبها حتى تتحول إلى القضبان الاسطوانية الدقيقة . وبذلك يصبح لدى الصانع المواد الخام التي يستعملها في عمل الأواني ، وكانت طريقته في هذا أن يشكل من الطين والرمل جسما يطابق الشكل المراد عمله . ويدخل في هذه الكتلة الطينية الرملية طرف قضيب من النحاس يقبض عليه بيده . ويبدأ الصانع في وضع قضبان الزجاج اللينة بفعل الحرارة حول الجسم الطيني ، حتى يغطيه ويضع الجسم مرة أخرى في الحرارة لتتدمج قضبان الزجاج ، وتكون جسما واحدا يغطي الكتلة الداخلية من الطين والرمل وهي الكتلة التي يسهل تفتيتها وإخراجها من باطن الآنية بعد الانتهاء من صنعها .

ومن الزجاج صنع الصانع خرزا وتمائم وأوان صغيرة . أما زخرفة الأواني الزجاجية فكانت عن طريق وضع قضبان من الزجاج المختلف الألوان على الجسم الزجاجي تلين بفعل الحرارة وتتدمج فيه . وبعد أن تطورت صناعة الزجاج كان الصانع يستخدم طريقة أخرى في عمل الأواني الزجاجية بدل قضبان الزجاج ، وذلك بأن يغمس كتلة الطين والرمل في مصهور الزجاج فتكسى بطبقة من الزجاج . (١) ولم تعرف مصر طريقة عمل الأواني الزجاجية بالنفخ إلا في العصر الروماني (٢) . وأصبحت مدينة الإسكندرية واحدة من أكبر مراكز إنتاج الزجاج في العالم القديم أما الخزف فكانت صناعته تتلخص في لف القضبان الزجاجية على سلك من النحاس يسحب بعد أن يبرد الزجاج ويصير صلبا .

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٨ - ٤٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

وأهم ألوان الزجاج في مصر هي الأسود والأخضر والأبيض والأحمر والأزرق والأصفر ، وترجع هذه الألوان إلى مركبات بعض المعادن التي تدخل في العجينة الزجاجية ، وتكسبها ألوانها متباينة .^(١)

صناعة القيشاني :

عرف المصري القديم صناعة القيشاني منذ عصور ما قبل الأسرات . فقد عثر في حضارة البراري على خرز مطلي بالميناء الذي تطورت صناعته في حضارة العمرة . وفي بعض المقابر الملكية التي عثر عليها في مقبرة من الأسرة الأولى ما كانت جدرانه مغطاة بقراميد من القيشاني تمثل شكل الحصير^(٢) . وعثر في حفائر حلوان من الفترة نفسها ما يدل على أن صناعة القيشاني (أو الطلاء بالمينا) قد تقدمت وتعددت ألوانها . فقد عثر على خرز من القيشاني (الأخضر والأبيض) وقد تطورت هذه الصناعة ووصلت إلى درجة كبيرة من الرقي في أوائل عصر الأسرات .

وتتكون المادة التي يطلق عليها اسم القيشاني من الجسم الداخلي ، وعليه طبقة لامعة ذات لون أزرق أو أخضر أو خليط منهما . والجسم الداخلي كان يحصل عليه عادة من حجر الوارتر - وهو حجر صلب - يصحن حتى يصير مسحوقا ناعما ، يمكن عجنه واستعمال عجنته كمادة تشكل منها الأشكال المطلوبة . وكان يخلط بالعجينة رمل سليكي . وكانت العجينة المكونة من الكوارتز والرمل السليكي تتماسك معا بواسطة النطرون ، وكذلك المادة الزجاجية المسحوقة التي تخلط بالعجينة . وكانت الطبقة الزجاجية اللامعة تتكون من خليط العجينة بمسحوق العجينة وتغطي بهذه الطبقة اللامعة الخضراء أو الزرقاء^(٣) . وقد استعمل الصانع طريقة القوالب في هذا المجال ، وعثر علماء الآثار على عدد كبير من هذه القوالب المصنوعة من الفخار ، والتي ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، وعثر عليها أيضا

(١) د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ٢٦٩ .
 (٢) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ .
 (٣) عن مواد التلوين ، راجع ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، رقم ٢٧ ، ١٩٩٨ ، ١٨٥ - ١٨٧ .

فى تل العمارنة ومنف ونقراطيس .

وكان يصنع من القيشانى قوالب أو مربعات صغيرة تستخدم فى تكسية الجدران والأبواب فى الممرات السفلى فى هرم سقارة المدرج ، وفى المقبرة الواقعة إلى جنوب الهرم . واستخدم القيشانى فى عمل التمام والخواتم والأوانى والعقود والخرز ، ثم التماثيل الصغيرة للحيوانات والتماثيل الجنائزية التى يطلق عليها اسم الشوابتى أو التماثيل المجيبة . (١)

الجص :

كان يعد من كربونات الكلسيوم ومزيج من مادة أزوتية عضوية لعلها الغراء . وقد استخدم الجص فى تثبيت قراميد القيشانى على الجدران . واستعمل بكثرة فى الدولة الحديثة وما بعدها . (٢)

صناعة الفخار :

من أقدم الصناعات إذ ترجع إلى العصر الحجري الحديث . واستعمل المصرى القديم نوعين من الطمى ، أولهما يضرب إلى اللون البنى أو الأسود الذى يتحول إلى اللون الرمادى البنى عندما يجف . والنوع الثانى هو البنى الرمادى الذى يصير رماديا عندما يجف . (٣) ويقوم الصانع بتحضير الطمى وعجنه ليصير متماسكا ، وربما أضاف الصانع بعض التبن إليه ليساعد على عملية التماسك هذه ، ويحترق هذا التبن عند حرق الأنية . ثم يعمل بعد ذلك على تشكيل الأنية ، فى البداية كان يحدث ذلك باليد ، حتى توصل الصانع فى عصر الأسرة الأولى إلى استخدام

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ ، ٤٧٨ شكل ١٤ - ١٥ .

(٢) ولیم نظیر : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ؛

تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢١٠ .

عجلة الفخار التى يشكل عليها هذه الأواني ، وهى عبارة عن قطعة مستديرة من الخشب يديرها الصانع ، بينما يشكل قطعة الطمي بيده إلى الشكل المطلوب للآنية . كما نرى ذلك فى نقش من مقبرة تى فى سقارة من عصر الأسرة الخامسة . وبعد ذلك تترك الآنية لتجف قبل أن تحرق . وكانت طريقة الحرق فى أول الأمر تتلخص فى وضع هذه الأواني الطمية ، مختلطة بقطع الوقود على سطح الأرض حتى تتم عملية الحرق ، وكان الوقود يتألف من التبن المعروف والمأخوذ من روث البهائم .

وبمرور الزمن اكتشف المصرى القديم طريقة حرق الأواني فى موقد أو فرن يفصل فيها بين الأواني وبين قطع الوقود ، وذلك من حوالى عصر الأسرة الخامسة . (١) وكانت ألوان الفخار هى الأسود والأحمر والبني والرمادى . واستطاع الصانع أيضا أن يعطى الآنية الفخارية بريقا ، وذلك بصقل سطح الأواني قبل أن تجف نهائيا قبل حرقها بقطعة من الحجر الصلب الناعم .

أما عن زخرفة الأواني الفخارية فقد لوحظ أنه من عصر ما قبل الأسرات كانت هناك طرق متقاربة لهذا ويتم عن طريق حفر أشكال بعض الحيوانات وملئ ذلك بمادة بيضاء لتظهر على سطح الآنية ، واستخدم اللون الأزرق أو الأحمر أو الأسود أو الأصفر لتلوين الأواني .

وعلى الرغم من أن صناعة الفخار لم تكن على درجة كبيرة من الدقة فى حضارة الفيوم إلا أن هذه الصناعة تطورت بعد ذلك فى حضارة دير تاسا حتى أصبحت فى حضارة نقادة الأولى والثانية أكثر دقة . وغطيت أسطح الأواني الفخارية برسوم بالطفل الأبيض الأحمر ، وتتخذ هذه الرسوم أشكالا هندسية تشبه المثلثات والنجوم ومناظر طبيعية . وكانت حية منها مناظر تجمع بين الإنسان والحيوان فى مجال الصيد ومجال الرقص ، إلى جانب رسوم المراكب العديدة . وظهر على الفخار ذى اللون البنى فى حضارة نقادة ، مناظر تمثل أشكالا وأحداثا تاريخية معينة . وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على أواني من الفخار ومع أنها كانت كبيرة الحجم إلا أنها كانت متساوية النسب تساويا تاما ناعمة الملمس وصنع

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٨ .

أهل حلوان صوامع كبيرة للغلال من الفخار أيضا . (١)

صناعة الطوب اللبن :

كانت من أقدم الصناعات التي اتقنها الصانع المصري ومارسها . وظل النيل هو المورد الرئيسى للطين . وكان الطمي يخلط ببعض الرمال ومواد أخرى من المواد التي تكسبه صلابة ، مثل التبن ، الذي كان يؤدي إلى تماسك اللبن وكان الصانع المصري القديم يعلم أن للتبن فائدتين :

الأولى أنه يساعد على تماسك القوالب وحالة انخفاض نسبة انطمي ، والثانية أن يمنع القوالب من الالتصاق بالأرض عند جفافها . (٢) وتصور لنا مناظر مقبرة رخمى رع من الأسرة الثامنة عشرة كيفية صناعة اللبن . فكان العمال يحضرون الطمي ويخلطونه بالماء حتى يصبح في درجة تماسك معينة ، ثم تضاف إليه كميات التبن وخلطه معه خلطا جيدا ويبدأ العمال بعد ذلك بوضع قطع العجينة في قالب خشبي مستطيل له مقبض بحيث ترص قطع الطين لبنة لبنة وتترك لتجف بفعل حرارة الشمس . وكان المعتاد أن تعمل هذه اللبنات بجوار مكان البناء إن أمكن ، وفي عصر الدولة القديمة كان اسم صاحب المبنى يطبع على اللبنات في بعض الأحيان ونرى مثالا لهذا في مقبرة " برسن " .

ثم أصبحت تحمل اسم الملك في عصر الدولة الحديثة ، وكانت أحجام اللبنات تتفاوت تفاوتًا ملحوظًا ، فمنها ما يقرب من ٢٠ سم في الطول ومنها ما يبلغ في بعض الأحيان أكثر من ٤٠ سم ، وذلك على حسب نوع القالب المستعمل ، وكذلك المبنى الذي ستستخدم هذه اللبنات فيه . ولم ينس العامل في بعض الأحيان أن يجعل في كل لبنة قناة رفيعة ، تساعد على ربط اللبنات بعضها البعض في البناء . أما عن اللبن المحروق (الأحمر) فإن لم يستعمل في مصر قبل العصر الروماني وكانت ترص قطع اللبن صفوفًا وتغطي من الخارج ببعض الطمي وكان يترك بين

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بطلوان ، ص ٤٢ - ٤٣ صور ٢٢ - ٢٣ ،

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٤ .

صفوف اللبن من أسفل فجوة يوضع فيها الوقود الذى يشعل فيه النار فتتحول اللبئات إلى " الطوب الأحمر " . (١) وعلى الرغم من ذلك فإن المصرى لم يترك استعمال اللبن ، إذ أن حرقه يكلف ثمن الوقود مما يجعل اللبن العادى أرخص بكثير .

الملاحظة :

كان يعد لعملية البناء ، وهو عادة من الطمى الذى قد يخلط أحيانا بقطع من الفخار . غير أن هناك أمثلة خلط فيها الطمى ببعض الجبس أو الجير . ويعد بجوار منطقة البناء .

صناعة البردى :

كان نبات البردى ينمو بكثرة فى مستنقعات الدلتا فى العصور القديمة ، ولقد استفاد المصرى منه ، وتوصل إلى إحدى الصناعات المهمة التى تعتبر من أعظم ما أسنّه مصر للحضارة البشرية ألا وهى " صناعة الورق " وانقرض نبات البردى من مصر حاليا إلا من بعض الأنواع الضئيلة ، ولازال بعضه منتشرا فى بعض مناطق السودان . ويصل طول الساق من مترين إلى ثلاثة أمتار ، وقطر الساق ٤ سنتيمترات . وتتخلص طريقة عمل البردى فى جمع قطع السيقان ، ونزع الغلاف الخارجى ، وتقطيع الجسم الرخو الداخلى إلى شرائح . وتوضع هذه الشرائح جنباً لجنب بحيث تغطى أحرف القطع بعضها البعض ، وفوق هذا توضع طبقة ثانية من الشرائح فى اتجاه متعامد على اتجاه الشرائح السفلية ، وبعد أن تغطى الطبقة العليا الطبقة السفلى تضغط الطبقتان معا ، وتدف بمطارق من الخشب ، وذلك على سطح مستو . وربما كان الصانع يضع تحت هذه الشرائح وفوقها قطعاً من القماش لتمتص العصارة الزائدة من الشرائح . وبعد أن تندمج الشرائح معا تترك لتجف ، وبذلك

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ شكل ١٨ .

تصبح صالحة للكتابة عليها ^(١).

وكان العامل يلصق الصفحات معا لعمل ملف طويل منها بعد تهذيب القطع الزائدة . ويبلغ طول بعض هذه الملفات نحو ٤٥ مترا ، كان الكتبة يستعملونها باستمرار في تسجيل مراحل العمل الحكومي في إدارات الدولة المختلفة ، وتخزن بعد كتابتها . واعتبرت مصر مركزا لهذه الصناعة المهمة ، وأخذت تصدر جزوا كبيرا من إنتاجها إلى بلدان العالم القديم ، وكان ورق البردي يتجه إلى سد مطالب الجهاز الحكومي في مصر ، ثم الكتب الدينية ، وكانت هذه الصناعة من أروج الصناعات وخاصة في العصر المتأخر ، حيث كانت هذه الملفات تكتب وتتهيا بالطقوس وصور المعبودات ، ويترك اسم صاحبها خاليا حيث يكتب بعد شرائها .

أطلق المصريون القدماء على نبات البردي سبعة أسماء هي :

itr, idhw, mflk3t, mnḥ, twfy, mhjt, dt .

وعلى زهرة البردي اسم nsjs ، وساق البردي w3d . أما ورق البردي فأطلقوا عليه أربعة أسماء هي : itr, šfdw, šw, dmc ولفافة البردي اسم šfdw ودغل البردي اسم w3d وغابة البردي اسم twfy . أما كلمة ورقة فكانوا يطلقون عليها اسم ss منذ عصر الدولة الوسطى ^(٢).

واستخدم في كتابة البردي اللون الأسود أو الأحمر ، وكانت الكتابة في أعمدة أفقية أو رأسية ^(٣) وإلى جانب صناعة الورق استعمل المصري القديم البردي في أغراض أخرى ، وأولها القوارب الصغيرة التي كانت تصنع من سيقان البردي ، وصناعة السلال والحبال والحصر والفرش ^(٤).

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ؛ وبوجه خاص د. حسن رجب : البردي ، في سلسلة إقرأ ، دار المعارف ١٩٨١ ، ص ٤٣ - ٦٤ .

(٢) راجع : Wb VII, p. 116.

(٣) عن أدوات الكتابة على البردي بالفرش والأقلام التي تتراوح أطوالها بين ١٦ إلى ٢٣ سم ، راجع : د. حسن رجب : المرجع السابق ، ص ٧٤ - ٧٦ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وأثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٣٠ - ٢٣١ .

صناعة النسيج :

من أولى الصناعات التي مارسها المصريون القدماء منذ أقدم العصور ، إذ ترجع إلى العصر الحجري الحديث . فقد عرف أهل دير تاسا والبدارى الكتان ونسجه . وعثر في حفائر أبيدوس من الأسرة الأولى على ملابس من الكتان تمتاز بجمال نسجها وحياتها ، مما يدل على ذوق فني رفيع ، وعثر في حفائر حلوان من الفترة نفسها على أنواع عديدة من الأقمشة تدل طريقة نسجها على كثرة أنواعها . فمنها النسيج الرفيع ، وربما استخدموا النوال اليدوي لنسج الأقمشة . وعثر على قطع من الفخار لللف الخيط وضبط النوال اليدوي . (١)

كفى دفء الجو في مصر أهلها مشقة اللباس الثقيل ، واقتصرت مادته طوال تاريخها القديم على كتانها الرقيق ، ولم يجاوز اللباس في عصور فجر التاريخ قطعة بسيطة يلبسها الرجل ليستر بها عورته . ولكن سرعان ما تطور إلى نقبة قصيرة ، يلفها حول وسطه . (٢) وظلت النقبة هي لباس الجمهرة من الشعب . أما لباس الملوك فقد اتخذ أشكالا متعددة من حيث الطول والقصر والاتساع إلى جانب ما يتحلى به من ثنایا وما يضاف إليه من خرز ودلايات . واتخذ الملوك والنبلاء مأزر سابغة في أشهر الشتاء كتلك العباءة التي ظهر الملك جسر في تمثاله . وسنوسرت الثالث في عيد تنويجه ، أو ذلك القميص الذي ينحسر عن أحد كتفى حسي رع ، وقميص الملك منتوحتب القصير المفتوح عند الصدر . وقد عرف المصريون منذ عصر الدولة الوسطى أنواع اللباس السابغ ذي الثنایا . وشهدت الدولة الحديثة تنوعا كبيرا في الملابس إذ اتخذ الرجال الثياب السابغة ذات الثنایا الكثيرة

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٥٣ - ٥٦ ، صور ٥٨ - ٦٣ ،

٦٦ - ٦٨ ؛ د. رءوف حبيب : الغزل والنسيج في مصر القديمة ، مكتبة

المحبة ، ص ٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -

الجزء الأول ، ص ٣٧٤ .

والأكمام الفضفاضة ، كما اتخذ بعض الرجال المآزر والنقبات ذات أشكال وأنماط أنيقة . أما ملابس النساء فقد غلب عليها الرداء البسيط المفتوح عند الصدر بلا أكمام ، ومنهن من اتخذن الأكمام الفضفاضة والأحزمة فى الوسط . (١)

وأهم صناعات النسيج صناعة الكتان . فكانت السيقان تقطع من التربة دون تقطيعها ، وذلك للحصول على أطول خيوط ممكنة . ثم كانت السيقان تحزم فى مجموعات تربط من قبل جذورها ، وتترك لتجف فى الحقل ، ثم يمشط الكتان . وفى الدولة الحديثة نرى أن السيقان كانت تسلق أولا فى وعاء كبير الحجم ، وتطرق بالمطارق بعد ذلك لفصل اللحاء عنها ، ثم تندى الألياف وتقتل بمغزل باحكام . (٢)

وتدلنا النصوص التى حفظت لنا أن النساء كن يقمن بدور كبير فى صناعة الكتان ، إذ تسلم موظفو بيت المال خيوط الكتان من ادارة بيت المال ، وهؤلاء يسلمون هذه الخيوط للنساء اللاتى يعملن تحت امرتهم . وعلى النسوة أن يحسن نسج الكتان ويسلمن الموظف المختص نتيجة عملهن ، وهو بالتالى يقدمه إلى رؤسائه الذين يأمرن بتخزين نسيج الكتان فى مخازن بيت المال . وعثر فى مقبرة مكت رع على نموذج لمصنع غزل ونسج تعمل فيه طائفة من النساء . (٣)

نسج الصوف والعريير والقطن :

لم يقتصر المصريون القدماء على ارتداء ملابس مصنوعة من الكتان بل استخدموا الصوف أيضا بدليل ما وجد فى إحدى مقابر حلوان من الأسرة الأولى ، إذ

- (١) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .
- (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ شكل ١٩ ؛ د. رعوف حبيب : الغزل والنسيج فى مصر القديمة ، مكتبة المحبة ، ص ٣ - ٨ .
- (٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٢٩ .

عثر على بقايا هيكل عظمي لإنسان كان ملفوفاً في قماش من الصوف مما يؤكد أن المصريين في ذلك العهد كانوا يعرفون الأقمشة الصوفية . كما عثر على بعض عينات من نسيج الصوف الملون في نقادة وبلاص من عصر ما قبل الأسرات . (١) وقد ذكر المؤرخون اليونان أنهم شاهدوا استعمال المصريين للصوف كأردية مع بقية الملابس من الكتان ، وهذا ما أكدته هيرودوت وديودور الصقلي . غير أنه عند دخول المسيحية شاع استعمال الصوف في مصر ، ونسجت منه الأقمشة كما استعملت قطع منه زخرفة الأقمشة الكتانية . أما عن القطن فعلى الرغم من أن هيرودوت ذكر أن بعض الملابس التي أهداها الملك أمازيس في الأسرة السادسة والعشرين لمعبد من المعابد ، كانت مطرزة بالقطن . إلا أننا لم نعثر على أى قطعة من المنسوجات القطنية في أى منطقة أثرية ، ومن المعروف أن القطن كان يزرع في الهند ، وينسج هناك من القرن الخامس قبل الميلاد . (٢) أما الحرير فأصله من الصين ولم يعرف في مصر ، وإنما عثر على بعض القطع التي يمكن تحديد تاريخها بحوالى القرن الرابع بعد الميلاد . (٣) ومن هذا التاريخ شاع استعمال الحرير في الملابس . وربما لجأت مصر إلى استيراد قطع الحرير من الخارج .

وكان لكل طبقة زيتها الخاص بها فهناك زى خاص بالملوك والملكات وكبار رجال الدولة والموظفين وكبار الكهنة مثل كبار كهنة بتاح ، والكهنة العاديين ، والجنود وعامة الناس . ووصلت إلينا مجموعة من مناظر ترتدى فيها الفئات الزى الخاص بها في المناسبات المختلفة . فنرى رمسيس الثانى يرتدى النقبة ووراءه زوجته في الملابس الخاصة بالاحتفالات الدينية في معبد أبو سمبل الكبير . ونرى الملكة نفرتارى في زى رائع التصميم في مقبرتها في طيبة ، والملكة أحمر نفرتارى وهى ترتدى ملابس أنيقة خاصة بالمناسبات الدينية ، منظر في المتحف

-
- (١) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .
 (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٨ .
 (٣) د. ابو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص

البريطاني (١) ومن أمثلة المناظر التي تمثل زى كبار رجال الدولة منظر رجل يرتدى نقبة ضيقة (سقارة - الدولة القديمة) ، رجل يرتدى نقبة واسعة يعلوها رداء من جلد حيوان (الجيزة الدولة القديمة) ، رجل يرتدى ملابس خاصة بالحفلات (ميدوم - الدولة القديمة) ، رجل يرتدى ملابس الحفلات ومصنوع من جلد فهد (ميدوم - الدولة القديمة) ، رجل وسيدة يرتديان ملابس تزدان بالخرز (دير الجبراوى - الدولة القديمة) ، سيدة ترتدى ملابس الحفلات المصنوعة من جلد الفهد (ميدوم - الدولة القديمة) ، نبيل يرتدى رداء يتكون من جزئين (البرشا - الدولة الوسطى) ، رجل يرتدى رداء طويلا بسيطا (البرشا - الدولة الوسطى) ، رجل يرتدى رداء جميلا يتكون من ثلاثة أجزاء (طيبة - الدولة الحديثة) ، رجل يرتدى رداء بسيطا مكونا من جزئين (طيبة - الدولة الحديثة) ، رجل يلبس رداء فخما يلتصق على جسمه (متحف كوبنهاجن - الدولة الحديثة) ، وزير يتقدم بعض النبلاء وقد ارتدى الزى الخاص بوظيفته (تل العمارنة - الدولة الحديثة) ، وهناك كهنة يتشعرون بأردية من جلد الفهد (طيبة - الدولة الحديثة) ، وزى جنود (طيبة - الدولة الحديثة) ، ملابس جنود نوبيين (طيبة - الدولة الحديثة) ، وهناك أزياء متعددة ترتديها فتيات يرقصن ويعزفن الموسيقى (طيبة - الدولة الحديثة) ، خادمتان ترتديان ثيابا شفافة من نسيج رقيق (طيبة - الدولة الحديثة) ، وأيضا شعوب مختلفة ميزها المصري بملابسها الخاصة بها من آسيويين وزنوج وليبيين وشعوب البحر (٢) .

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٥٩ - ٢٧٣ ، ٢٧٩ - ٢٨٣ .

صناعة أموات الزينة :

عثر في حضارة البدارى على أدوات للزينة مثل الأمشطة المزدانة برؤوس الطيور وخواتم واقراط . كما عرف أهل حلوان منذ بداية الأسرات تصفيف الشعر وصناعة أدوات التجميل والمواد العطرية واستخدام الحلى والعقود بأنواعها والأساور بأشكالها منها ما يصنع من الخرز والاردوز ومن الفيل والقيشانى . وعثر على بعض مراود لتكحيل العيون مصنوعة من سن الفيل وأمشاطا للشعر . وعثر على مرآة من النحاس لها يد من الخشب ، وعثر على لوحات عديدة لصحن الألوان . (١) وفى نهاية عصر ما قبل الأسرات عثر على أمشاط ودبابيس وعقود من خرز وأساور من العاج وكان الصانع يتفنن فى تشكيل تلك الأدوات وتجميل زخرفها ، فكانت المرأة تصنع من أقراص ذات مقابض مختلفة من البرونز أو الفضة حيث تشكل مقابضها على هيئة المعبودة " حتحور " أو فى هيئة امرأة تحمل القرص فوق رأسها . ومن المكاحل ما كان فى هيئة النحلة أما أوعية العطور فقد اتخذت هيئة وأشكال متعددة ومنها ما هو فى شكل فتاة تسبح من وراء بطة ومنها ما هو على شكل جرة يحملها على الكتف رجل أو امرأة ، أو على شكل غزال .

وكانت الدهون تصب فى أطباق جميلة من الاردوز فى شكل أوراق الشجر ، ومنها ملاعق آية فى الجمال ، ومنها ما هو على شكل شجرة رمان مثمرة أو زهرة من البردى . أما الأمواس لإزالة الشعر من الجسد ، فمنها ما كان مستطيلا أو مقوسا (٢) واتخذت دبابيس الشعر شكل رؤوس الحيوانات ، وأكاليل الشعر كانت من المعادن النفيسة المرصعة . (٣)

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بطلوان ، ص ٥٧ - ٨٤ ، أشكال ٥ - ٦ ،

صور ٧٠ ، ٧٢ - ٧٥ ، ٧٧ - ٨٤ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -

الجزء الأول ، ص ٨٨ - ٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

ولدينا نماذج عديدة من أدوات الزينة ، مثل مرآة للزينة قرصها من البرونز المصقول ، ويدها مطعمة . وملعقة دهون من الخشب فى نهايتها مشط . وملعقة دهون من الخشب على شكل فتاة تسبح (المتحف المصرى - الدولة الحديثة) وهناك إنشاء من المرمر للعطور خاص بالملك توت عنخ آمون . ودبابيس توضع على الصدر من الذهب المطعم من الدولة الوسطى والدولة الحديثة . وأساور من الذهب عثر عليها فى مقبرة الملك جر فى أبيدوس وعقد من ثمانية فروع من الدولة الحديثة . عقود بسيطة من الدولة الوسطى (فى المتحف المصرى) . وتوكة للشعر فى المتحف المصرى وخواتم عديدة من الدولة الحديثة . (١)

صناعة الجلود والدباغة والصباغة :

استعمل الإنسان المصرى القديم جلود الأبقار والأغنام والماعز وغيرها من الحيوانات منذ العصر الحجري الحديث . وكانت هذه الجلود تعالج بالزيت أو بالمواد الأخرى ويزال الشعر منها حتى تصبح لينة . وترينا المناظر التى وجدت على جدران المقابر ، الصناع وهم يعملون فى صناعة الجلود ، فأحدهم يلين الجلد فى وعاء كبير قد يكون مملوء بالزيت أو بالمواد الأخرى ، بينما الصناع الآخرون يقومون بتنظيف الجلد من الشعر وشده بأيديهم على أداة من الخشب ذات ثلاثة أرجل حتى يصبح لينا ثم يفرد الجلد ليجف . (٢)

ويبدو أنهم استعملوا مواداً أخرى غير الزيت فى الدباغة مثل نباتات الصحراء أو ثمار شجرة السنط . وقد استعمل المصريون عدة ألوان فى صباغة

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٣٧ - ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ - ٢٥٧ .

(٢) بيري مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٢١٠ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

الجلود كان أكثرها تداولاً اللون الأحمر والأصفر والأخضر . وعثر في الدير البحرى بطيبة من الأسرة الحادية عشرة على قطعة من الجلد لونها أحمر . ويرجح أن هذا اللون كان يستخلص من أنثى حشرة القرمز الجافة . واستخدم قشر الرمان لصبغة الجلد الأصفر كما استخدمت الحناء والكركم في الصبغة وكانا يزرعان في مصر منذ أقدم العصور . وقد فحصت عينات من الجلد القديم من الدولة الحديثة فتيين أن معظمه من جلد الماعز وقد استعمل المصريون في أغراض شتى ، فمنذ العصر الحجري الحديث كان الإنسان يغطي بجلد الحيوان بعض الموتى في حضارة البدارى . وأصبحت الجلود تدخل بعد ذلك في صناعة النعال (الصنادل) من الجلد الخشن . وترينا نقوش المقابر ، الصانع المصرى وقد جلس على مقعده الواطئ ومعه أدواته وتشمل المخراز والنقاب وآلة ذات ستة أسنان ثم قرن حيوان ومدقة وسكيناً وهى الأدوات نفسها التى تستعمل الآن فى صناعة الجلود .

وكانوا يصنعون من الجلد الهش اللين القفازات ومحافظ للمحفوظات والأحزمة والرق للكتابة عليه إلى جانب البردى والسيور الدقيقة . كما استعمل الجلد فى صناعة جعب السهام والخناجر والتروس ووسائد الرأس وأغطية الرأس وقواعد الكراسى والأسرة وتغطية بعض الصناديق الصغيرة والأكياس والحبال والأربطة وأطواق الكلاب وعدة الخيل وكرات اللعب والخيام والآلات الموسيقية والقرب المستعملة لرفع المياه بواسطة الشادوف . وكان كل ذلك يصنع من جلود الماعز وأحياناً جلود العجول . أما جلد الفهد فكان يعد ويرتديه الرجال والنساء على حد سواء فى عصر الدولة القديمة ، وأصبح لباساً كهنوتياً خلال العصور التاريخية أما جلد فرس النهر فكان يستعمل فى صنع الدروع والسياط وغيرها . (١)

وكان المصريون القدماء مغرمين بلبس الفراء الوفيرة وخاصة فراء الحيوانات التى يصطادونها من الصحراء كالغزلان والثعالب . وكانت أمعاء الحيوانات تستخدم فى صنع أوتار الآلات الموسيقية والأقواس وقد بقيت حتى الآن أكبر قطعة جلد مشغول وهى الخيمة الجنائزية للملكة ايزه ام اخبيت من الأسرة

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، ص ١٩٧ .

الحادية والعشرين وموجودة الآن في المتحف المصري بالقاهرة . (١)
المصنوعات من القرون والعظام والعاج والأبنوس :

استخدم المصريون القدماء القرون والعظام والعاج والأبنوس في عدة صناعات صغيرة منذ العصر الحجري الحديث كما يدل على ذلك البقايا الأثرية التي عثر عليها في حضارات العمرة وجرزه والبدارى ونقادة وحلوان . فعثر على بعض الأدوات المصنوعة من القرون في حضارة نقادة كالأساور والأمشاط ورؤوس الحراب والأواني والأقداح . أما أقواس الرماية فكانت تصنع من قرون المها . وكان الصياد يلبس في معصمه سوارا من القرن لحمايته من احتكاك حبل الأقواس أثناء الرمي كما نرى في آثار توت عنخ آمون بالمتحف المصري بالقاهرة . ومن العظام صنع الإنسان الأدوات الصغيرة الخاصة بالزينة كالتمائم والأساور والأمشاط والخواتم وأدوات الصيد مثل رؤوس الحراب والسهام وغيرها . أما عظام الأسماك المدببة فكانوا يصنعون منها المثاقب والابر والدبابيس كما صنعوا من فقرات الأسماك الخرز .

وأظهر الفنان أو الصانع المصري القديم براعة فائقة في صناعة العاج الذي كان يستخرج بكثرة من سن الفيل أو من عظام فرس النهر . وقد عثر في المقابر على بعض الأدوات الصغيرة المطعمة بالعاج من عصر ما قبل التاريخ مثل مقبض سكين جبل العركى المصنوع من عظام فرس النهر (٢) وصنع من العاج أدوات صغيرة مثل الأمشاط ومقابض المرايا والعصى وأيديها والأقراط والأساور ورقع الشطرنج والمراوح والأقواس ورؤوس الرماح وأطراف السهام المدببة والسياط ودبابيس الشعر والملاعق والأواني ومساند الرأس ، وعثر في حفائر حلوان من بداية الأسرات على تماثيل صغيرة من سن الفيل . وعثر على نموذج عمود

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .
 (٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٦ شكل ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ؛ د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ١٥٣ ؛
 ولیم نظیر : المرجع السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

من سن الفيل ينتهى بزهرات اللوتس . (١) أما الأبنوس فكان يسمى فى اللغة المصرية القديمة " هبنى " وكان يرد لمصر من البلاد الواقعة إلى الجنوب ضمن المتاجر والجزى . وقد راجت صناعة الأثاث الثمين المصنوع من الخشب والمطعم بالعاج والأبنوس والأحجار الكريمة مثل المقاعد والكراسى والصناديق والتوابيت والنواويس ونرى اشغال العاج ممثلة بوضوح على جدران مقبرة رخمى رع بطيبة .

صناعة العطور والدهونات :

يقوم الخدم والخادمت أثناء اللواتم بالطواف على المدعوين وتوزيع الزهور والروائح العطرية عليهم . ولا نلث أن نجد كلا منهم يضع فوق رأسه قمعا أبيض اللون . وتضع الخادمت هذا القمع من دهان معطر قد أعد فى إناء كبير . وكان هذا الدهان المعطر يوضع أيضا فوق رأس كل من أصحاب المنزل والفتيات الصغيرات والخادمت إذ أنه من مستلزمات حفلات الاستقبال . ولايعد الحفل سعيدا دون روائح عطرية ولم يكن هذا الأمر عديم إذ الغرض منه اخفاء روائح الطعام واللحوم المشوية . (٢) وكان الملك إذا ما أراد تكريم أحد رجاله المخلصين يأمر بأن يطيب بالعطور الملكية . وكانت العطور تستخدم أيضا عند الزيارات بين الأسر ، وكذلك فى الاحتفالات الدينية . ولم يتوصل المصريون إلى طريقة تقطير الزيوت العطرية أى استخلاصها عن طريق التقطير إلا فى العصر البطلمى الرومانى . وكانوا يلجأون إلى جمع الزهور حاملة الزيوت العطرية مثل زهرة الزنبق ، ويقوم بجمعها مجموعة من النساء فى سلال مستديرة الشكل ، ثم تعصر فيما يشبه الشباك بواسطة رجلين ، ثم يجمع عصير الزيت فى الآوان لحفظه . وكان هذا المنظر منقوشا على جدران إحدى المقابر فى بنى حسن ، ولكنه ضاع الآن بفعل الإهمال ، ولحسن الحظ سجله الباحثون . وهناك منظران آخران يمثلان جمع وعصر زهور الزنبق على أثرين فى

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، صور ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

متحف اللوفر وليدن . (١) وكانت صناعة الزيوت العطرية والروائح ومركباتها من أهم الصناعات . (٢) وفي معبد أنفو حجرة خاصة كان تعد فيها العطور اللازمة للطقوس الدينية ، ونقش على جدران هذه الحجرة مجموعة النباتات التي كانت تستخرج منها هذه العطور .

كان يدخل ضمن صناعة العطور والدهونات ، إعداد وتركيب العقاقير المختلفة ، فنعرف أنه كان هناك حوالي ١٣ مادة تدخل في عملية التحنيط . (٣) وكانت العقاقير من أصل حيواني تبلغ حوالي ٤٢ عقارا (٤) والعقاقير المستخرجة من مواد عضوية ومعنوية تبلغ حوالي ٤٤ عقارا . (٥) وأخيرا العقاقير المستخرجة من أصول نباتية وهي الأكثر استخداما حوالي ١٣٦ عقارا . (٦) ويدخل ضمن المركبات العطرية الزيوت الطيارة والبخور . (٧) وأيضا مستحضرات التجميل وهي مواد مستخلصة من الأعشاب والزيوت العطرية والمعادن والأملاح ومختلف الأجزاء والمنتجات الحيوانية مثل ما هو مزيل للشعر الزائد ، ومنها ما يعالج سقوط الشعر

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -

الجزء الأول ، شكل ٢٣٣ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١١٨ .

(٢) Erman - Ranke , la Civilisation Egyptienne , p . 578 .

(٣) وهي : الجير ، كلوريد الصوديوم ، ملح النطرون ، شمع العسل ، قطران

الفحم ، التوابل ، القار المعدني ، الزيوت الصنوبرية ، الحفاء ، العرعر ، نبات الشبيرة ، نبيذ البلح ، الراتنجات ، راجع :

د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلية المصرية في العصر الفرعوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٤٤ ، ص ٢٦٦ - ٢٩٦ .

(٤) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٣٧ - ٣٤٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ - ٣٣٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٤٥ .

والصلع ومنها ما هو خاص بتقوية شعر الرأس وما يكسب الشعر نعومة وطلاوة ولمعانا وأيضا ما يستخدم كمساحيق للوجه والخدود وما يوقف إفراز العرق الغزير وما يستخدم كمساحيق لجفوف العيون وطلاء أظافر أيدي النساء وأقدامهن . (١)

صناعة أدوات التسلية :

وعثر في حفائر حلوان على قطع من حجر الالبستر وسن الفيل تستخدم للتسلية في أوقات الفراغ . وعثر في داخل بعض المقابر على نماذج لمراكب من العاج ومن الحجر الجيري الأصفر ومن الفخار . (٢) وظهرت في حضارة نقادة الثانية وسائل لشغل أوقات الفراغ ومن هذه الوسائل ابتكار لعبة تشبه لعبة الضامة (السيجة) . وتقدمت هذه الصناعة في العصور التاريخية ، مثل رسم الضامة المسجل على بردية من الدولة الحديثة في المتحف البريطاني . أو في مقبرة سنجم بدير المدينة . (٣)

صناعة السلال :

من أقدم الصناعات ، وتعمل من سعف نخيل البلح أو نخيل النوم . أو نبات الحلفا . وكانت السلال تزين ببعض الزخارف الملونة ، وذلك بوضع بعض الألياف الملونة داخل الجوانب المصنوعة مع بقية الألياف . وتستخدم السلال لوضع الخبز أو الفواكه . (٤) أو لحفظ الغلال في عصور ما قبل الأسرات .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٥٦ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٧ - ٨٧ صور ٨٩ - ٩٠ ،

١٠٧ - ١٠٩ .

(٣) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p .83 , 121 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

صناعة الحبال :

من أقدم الصناعات ، وتستخدم من الكتان وربما استعمل نبات الحلفا في هذا الشأن أيضا ، كما استعملت ألياف نخيل البلح .

صناعة الحصر :

من أهم الصناعات في مصر القديمة التي مارسها المصري منذ عصور ما قبل الأسرات وكان يستعمل في هذه الصناعة الأنواع المختلفة من نباتات الألياف مثل الحشائش المناسبة ، أو سعف النخيل أو البوص أو الحلفا ، واستعملت الخيوط في هذه الحصر . وتستخدم لتغطية أرضية المنازل وبعض المقاعد والارائك . أو تستخدم كستائر للأبواب والنوافذ .

صناعة الفرش :

من البوص أو القصب التي كانت تحول أطرافها إلى شعيرات ، وذلك بأن توضع في الماء ثم تدق بعد ذلك . وقد جاء ذكر أغلب المهن والحرف التي تحدثنا عنها في بردية نصائح دواؤف الخاصة بهجاء المهن ، فهو يذكر المثال ، النحات ، البناء ، الصائغ ، الحداد ، النساج ، الاسكافي ، البستاني ، الفلاح ، الحلاق ، حامل الماء (السقى) ، الصياد ، الخباز ، الكاهن ، الجندي ، وعلى رأس المهن كلها مهنة الكاتب .

فقد تحدثنا عن المثال والنحات والبناء عند الحديث عن المحاجر وتصنيع الأحجار ، والصائغ والحداد عند الحديث عن المناجم وتصنيع المعادن ، والنساج عند الحديث عن صناعة النسيج ، والاسكافي عند الحديث عن صناعة الجلود واللباغة والصباغة ، والبستاني والفلاح عند الحديث عن الزراعة والبساتين والحدائق ، والصياد عند الحديث عن الثروة السمكية ، والخباز عند الحديث عن الموارد الغذائية واعداد الاطعمة . وتحدثنا عن الكاهن والجندي والكاتب في الباب الأول عند الحديث عن نظام الحكم والإدارة . وتحدثنا في الباب نفسه عن مجموعة أصحاب المهن

الملحقين القصر الملكي ومنهم " مسئول الاضحيات في القصر الملكي " أى القصاب ،
 " رئيس مصفى الشعر " ولاشك أن أصحاب المهنة الأخيرة كانوا مسئولين عن زينة
 الملك والملكة وكانوا من الرجال والنساء .

ووصلت إلينا مجموعة من المناظر تمثل هذه المهنة منها منظر فكاى يمثل
 قص الشعر . (١) وهناك منظر على تابوت للملكة كاويت زوجة أحد ملوك الأسرة
 الحادية عشرة وترى وهى جالسة وقد أمسكت بيدها اليسرى مرآة ، بينما تتناول باليد
 الأخرى شرابا يقدمه لها أحد الاتباع ، وخلفها فتاة تصفف لها شعرها وتثبت دبوسا
 فى شعرها . ومنظر آخر يمثل أحد النبلاء وقد انشغل بعض أتباعه فى تزيينه
 وخاصة تسوية أظافر اليدين وآخر يهتم بالشعر وآخر يقوم بتدليك الرجل ، وهذا
 المنظر من الدولة القديمة . وهناك نموذج لباروكة أو شعر مستعار من الدولة الحديثة
 محفوظ بالمتحف المصرى . (٢)

وكان الحلاقون الذين يترددون على الطبقة الغنية على جانب من الثراء .
 ف لديهم مجموعات مختلفة من الأمواس والمقصات والملاقط يضعونها فى حقائب من
 الجلد ويحفظونها فى صناديق فاخرة من الأبنوس . وكانوا يمارسون عملهم فى
 المنازل ويحظون برعاية خاصة . (٣)

أما الحلاق الذى كان يحلق لعامة الشعب فكانت حالته يرثى لها وتحدثنا
 بردية دواؤف عن هذا الحلاق . (٤) فنقول أنه كان ينتقل من حى إلى آخر . أما
 معداته فهى بسيطة جدا ، عبارة عن إناء يحتوى على الماء المذاب فيه الصابون .
 وموسه عبارة عن سلاح أقل طولا من قبضة اليد ذو شكل غير منتظم ومزود
 بحافطة من الجلد . وتحدثنا فى الباب الثانى عن أوضاع هؤلاء العمال والصناع

-
- (١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول -
 الجزء الأول ، ص ٩٨ .
 (٢) المرجع السابق ، شكل ٢٤١ - ٢٤٢ ، شكل ٢٤٤ .
 (٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .
 (٤) راجع فيما بعد ، الباب الثامن .

والفنانين وأحوالهم الاجتماعية ونظرة المسئولين إليهم .

تاسعا : التجارة :

التجارة الداخلية :

كانت مخازن الإدارات الحكومة والمعابد الكبرى مليئة بالسلع والبضائع ومنتجات العمال الملحقين بهذه الإدارات . وبعد الصرف من هذه السلع على تموين العمال فإن الفائض يستخدم في التجارة . (١) وتباع منتجات إحدى الإدارات أو الأراضي الزراعية إلى التجار ، وهؤلاء يقومون بتوزيعها وبيعها في الأسواق أو في حوانيت خاصة بهم . وبجانب هذه الإدارات الكبرى ، كان يوجد أيضا عدد كبير من الملاك من كبارهم أو صغارهم الذين يقومون بتربية الماشية والدواجن أو يزرعون الحبوب والخضر والفاكهة وعندما يحتاجون إلى اقتناء الملابس أو الأثاث ومواد الزينة فكانوا يبيعون مافيض من زراعتهم أو من تربية الماشية أو الدواجن .

وكان هناك صناع أحرار يستغلون مصنعا صغيرا يملكونه ويعتمدون في معيشتهم على ما ينتجون ويقومون ببيعه . ويوجد أخيرا تجار لا ينتجون شيئا ويكتفون بشراء وبيع السلع المتدولة في أنحاء البلاد . وكانت كل هذه الفئات من التجار يتلاقون في الأسواق التجارية الموجودة في عواصم المدن والأقاليم ، أو التي كانت تعقد في القرى . وفي بعض مقابر سقارة من الدولة القديمة نرى تمثيلا لهذه الأسواق ففي السوق الأول نرى صورة حية لما يعرف ويحدث في السوق . فنرى في البداية منظر يمثل رجل يمارس مهنة معالجة الأطراف . وبعد ذلك نرى تاجرا وضع خضرواته في سلة متسعة ويتجه نحوه رجل يقود قرد ، وتاجر يضع أسماك في سلة ورجل واقف أمامه يعطيه إناء في مقابل السمك . وتاجر فاكهة يضع فاكهته في سلة وتقف أمامه امرأة ممسكة بطفلها وتعطيه إناءا متسعا ، ويظهر الرجل ومعه قرد مرة أخرى ، ويحاول القرد أن يعض رجل شاب آخر . وتاجر يبيع نوع من

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

القطائر المستديرة وجلست أمامه امرأة تشم عيدان من النباتات وفي كتفيها معلق كيس صغير . وتاجر آخر يعرض مجموعة من الأواني وأمامه رجل يعطيه أنية أخرى بدلا منها . وتاجر يبيع أسماك معلحة وأمامه رجل جالس يشم الرائحة . وتاجر العطاره يمد بيده أنية إلى امرأة ممسكة بأنية في يدها اليسرى . وتاجر يعرض منتجات زراعية على رجل واقف أمامه وتاجر آخر أمامه سلة بها أنواع من الجبن ينادى بأعلى صوته ويتجه إليه رجل آخر يحمل أنيتين . وتاجر آخر أمامه سلة بها أعشاب نباتية وأمامه رجل آخر يعطيه إناءا مغلق . وأخيرا تاجر يفرد ثوبا من القماش ويساعده المشتري . (١)

وفي السوق الثاني ، نرى في البداية رجلا يبيع صندوقا مستطيلا ويحمل آخر ، وامرأة تاجر الخزف تعطي تاجر العطاره أنيتين بدلا من قارورة للعطاره . وامرأة النجار تعطي تاجر السمك صندوقا من الخشب بدلا من السمك الذي اشترته منه ، ونرى التاجر وهو جالس وأمامه سلة السمك ونراه وقد سحب إحدى السمكات ويقوم بفتح خياشيمها ليرى المرأة كيف أن أسماكها طازجة . ونرى الاسكافي وهو يقدم لتاجر الحلوى والمعادن حذاء بدلا من عقد رقبة اشتراه منه . وامرأة تحمل صندوقا تتناقش مع تاجر خضروات ، وتاجر خضروات آخر يمد يده بغصن يلتقطه منه رجل آخر يشتري منه . ومن وراء المشتري نرى رجلا ممسكا بيديه آلتين مثل الجرس والشخشيخة ربما لجذب أنظار الزبائن بهما .

وفي السوق الثالث ، نرى في البداية مناظر الصناعات وهم يقومون بصهر المعادن واعداد الأواني منها ووزنها . ثم نرى تاجرا يبيع السمك ، وآخر يبيع الخضروات وثالث يبيع نوع آخر من السمك . (٢) وفي مقبرة خع ام حات من الدولة الحديثة رسم الفنان بحارة يعرضون غرارا وسلالا . وهم يصيحون في صخب شديد

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p . 88 .

(٢) Allam , op . cit . , p . 94 , 100 .

قاعدين أو قائمين . ونرى وصول مركب أجنبية قادمة إما من أعلى النيل أو من سوريا وكان التجار يقيمون الحوانيت لبيع الطعام للفينيقيين الذين كانوا يعطونهم مقابل ذلك قرنا مزخرفا . (١)

وفى مقبرة قن آمون من الأسرة الثامنة عشرة ، نرى مراكب تجارية سورية تقوم بانزال البضائع على ميناء مصرى . وبجوار الميناء انعقد سوق يقوم بالبيع فيه رجال ونساء . وفى مقبرة ايبي من الأسرة التاسعة عشرة نرى مركب تجارية كبيرة والعمال ينزلون البضائع منها ، وبجوار الميناء انعقد سوق يقوم بالبيع والشراء فيه مجموعة من الرجال والنساء ، ووضعوا منتجاتهم فى سلال ، ونرى سلة تخرج منها امرأة السمك الطازج . (٢) وهناك منظر على كتلة من الحجر الجيري فى متحف بروكلين بنيويورك ، ربما من مقبرة منتومحات من الأسرة الخامسة والعشرين ، يمثل امرأة جالسة ومعها طفلها ملفوفا فى قطعة قماش وأمامها سلة مملوءة بالفواكه وربما كانت تعرضها للبيع . (٣)

ونرى أصحاب الدواجن يقومون بذبحها وتنظيفها وتعليقها على صار من الخشب امام الحانوت ويعرضها للبيع . (٤) وهذا المنظر موجود فى أحد مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة . وذكر هيرودوت أن الصيادين كانوا يصطادون كميات وفيرة من الأسماك سنويا من بحيرة ميرس (مر - ور) وتمتد أسواق الفيوم بأجود الأنواع . (٥)

فمثلا قصة الفلاح الفصيح تدل على أنه كان يتاجر فى بعض منتجات الواحات من نظرون وملح وبعض النباتات والمحاصيل الأخرى ، وكان ذاهبا لكى يقاضىها بمحاصيل أخرى فى سوق العاصمة . ونعلم من رسائل حقا نخت من الدولة

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) Allam , op . cit . , p . 91 .

(٣) Id . , op . cit . , p . 106 .

(٤) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٥١ شكل ٨٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

الوسطى أن هذا الكاهن كان يقوم بجمع المحاصيل والاتجار فى بعض السلع . وكان
حقا نخت يسافر من آن لآخر إلى الشمال بعد أن يترك لابنه الأكبر إدارة بيته
وأملكه التى على مقربة من طيبة وفى إحدى المرات أرسل إليه قماشاً من الشمال ،
ويذكر لابنه أنه يجب عليه أن يمدح نوع الاقمشة عندما يقدمها للبيع وأن يقول أنها
من أحسن الأنواع . (١)

التجارة الخارجية :

منذ عصر الدولة القديمة كان الملوك يرسلون سفنهم التجارية إلى بلاد بونت
وقلب أفريقيا عن طريق البر تارة ، وبطريق البحر الأحمر تارة أخرى وذلك بغرض
التبادل التجارى . وانشئت بالفعل مدينة مصرية عند بلدة كرما فى دنقلة ، وكانت
مركزاً هاماً للنشاط التجارى وتشير قصة الملاح إلى قيامه بهذه الرحلة بغرض
التجارة . ولاتخرج رحلة بونت فى عهد الملكة حاتشبسوت عن كونها رحلة تجارية .
وكان المصريون يحضرون من هذه المناطق البعيدة الصمغ والبخور والذهب
والحيوانات وريش النعام والابنوس والعاج وجلود الفهود ومنتجات أخرى تنمو بكثرة
فى تلك المناطق البعيدة لحاجتهم إليها .

ومنذ هذا العصر كان هناك تبادل تجارى بين مصر والساحل السورى أيضا
فكان المصريون يستوردون من هناك أخشاب الأرز . وفى عصر الدولة الحديثة
كانت ترد من سوريا المنتجات المختلفة من الأسلحة وغيرها إلى مصر بكثرة . وفى
عهد رمسيس الثانى قام المصريون برحلات إلى سيبار التى تقع على قناة تربط نهر
الدجلة بنهر الفرات وذلك لشراء حجر اللازورد الأزرق الذى كان مصدره بلاد
باكترىان وأرسل رمسيس الثالث بعثة إلى بلاد بونت متخذة الطريق البحرى وزودها
بوسائل قوية فكان الأسطول يتكون من مراكب كبيرة كثيرة العدد ومراكب للحراسة
يتكون أفرادها من بحارة وحملة الاقواس ورؤسائهم وأفراد اللامدادات ، وقد شحنوا
معهم كميات وفيرة من الطعام والبضائع لأجل إطعام رجال الحملة ولغرض التبادل

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٩٨١ ، ٢٠٥ .

فى المعاملة . (١) وكانت هناك السفن السورية التى تربط بين الموانى الشمالية للساحل المصرى وموانى الساحل الليبى . وكانت تجئ محملة بالبضائع للأسواق المصرية .

أ - المعاملات المالية والتجارية :

وكان نظام التبادل أو المقايضة شائعاً ومعروفاً وتحدد قيمة كل سلعة حسب وزنها ، ولم تعرف مصر القديمة نظام العملة إلا فى العصور المتأخرة (عهد الملك تيوس فى الأسرة الثلاثين)^(٢) . وكانت المقايضة تتم طبقاً لوحدة من الوزن كان يطلق عليها اسم (شات) وعلى ذلك فمن كان يرغب فى بيع منزل ولم يتفق المشتري على تحديد قيمته على أساس الشات كان يقبل نظير ذلك أن يتسلم مواشى أو حبوباً لها قيمة الشات وإذا كان المطلوب مبادلة حيوانات أو مواد لم تكن قيمتها متساوية كان ينبغى تقدير الفرق بالشات أو بعدد من الشات وأن يسعوا إلى وجود سلع يكون فى استطاعة أحد الطرفين أن يقدمها ويقبل الآخر أن يتسلمها . واستخدمت وحدات أخرى :

١- للأكيل :

- (أ) وحدة حكت = ٤,٧٨٥ لتر .
- (ب) وحدة هن = ٠,٤٥ من اللتر .
- (ج) وحدة رو = ١٤ - ١٥ سم ٣ .

٢- للأوزان :

- (أ) وحدة قد = ٩,٢٣ جراما .
- (ب) وحدة بكا = ١٢,٩ جراما (استخدمت فقط فى وزن الذهب)
- (ج) وحدة دين = ٩١,٣ جراما .
- (د) وحدة سب = ٩١٢ جراما .

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

(٢) بعد رحيل قمبيز عن مصر عين الوالى الفارسى ارياندىس الذى ضرب عملة باسمه : اريانديكون . وكانت تصنع من أنقى أنواع الفضة . ومع ازدياد النفوذ التجارى الإغريقى فى مصر . عمد المصريون إلى نقش العملات الإغريقية بعلامات هيروغليفيه (مثل علامة نفر ووجا) ، راجع : ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ لعام ١٩٨٨ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(هـ) وحدة كيت = ٩ جراما (استخدمت للذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة) .

وفى العصر البطلمى ، أصبحت وحدة الدرهم هى السائدة فى الموازين ، وكانت تعادل حوالى ٢ جرامات (١) وبالمتحف المصرى مجموعة من المكاييل والموازين . منها وعاء عليه اسم تحوتمس الثالث يسع ٢١ هن (٢) ، ومجموعة من المكاييل للسوائل من البرونز والفضة من الأسرة الثامنة عشر مقسمة إلى أقسام صغيرة تبلغ ١/١٢٨ (٣) وهناك ثقل كبير له قمة على شكل نصف دائرة وعليه اسم الملك طهرقا ، ويزن حسب النص ٢٦٠ دينا (٤) . وهناك ثقل من الجرانيت الأشهب على شكل رأس عجل ، وعليه اسم الملك سيتى ، ويعادل هذا الثقل وزن ٢٠٠ دين (٥) .

أما أفراد القصر الملكى والعائلة الملكية فكانوا يستخدمون للشراء حلقات من الذهب ذات أوزان معينة تستخدم بدلا من العملة . وكانت الحبوب تكيل بمكاييل خشبية والفاكهة بالسلال ومنتجات أخرى بالغرار أو المقاطف المختلفة الأحجام . أما الحيوانات والأشجار فكانت تعد بالواحدة وفقا لأنواعها ، وتحدد قيمتها بالدين . فمثلا ثمن العجول يتراوح ما بين ٣٠ و ١٣٠ دين من النحاس ، وجوال الذرة يوازي دين واحد من النحاس فقد باع الكاتب بنانوكيت عجلا قدر ثمنه ١٣٠ دين من النحاس وتسلم فى المقابل رداءا من الكتان يساوى ٦٠ دين و ١٠ غرار و ٣ كيلات ونصف كيلة تساوى ٢٠ دينا وعقد من الخرز يساوى ٣٠ وأخيرا قميصين قيمة كل منهما ١٠ دين (٦) .

- (١) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
- (٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٢٦ (٥٥١٠) .
- (٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ (٥٥١٣ - ٥٥١٤) .
- (٤) المرجع السابق ، ص ١٢٦ (٥٥١١) .
- (٥) المرجع السابق ، ص ١٢٦ (٥٥١٢) .
- (٦) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ =

ب - طرق التجارة ووسائل النقل :

كانت هناك الطرق المتعددة الممهدة ، كذلك القنوات المائية . وكانت الطرق والقنوات تصان في آن واحد ، فعندما تظهر القنوات يؤخذ الردم الناتج منها لتسد به حفر الطريق ، واستخدمت الحمير لحمل البضائع والانتقال على الطرق الممهدة ، واستخدمت القوارب والمراكب في النيل والقنوات الداخلية . وكانت هناك الجسور الخشبية لعبور المارة والماشية . ومما لا شك فيه أنه لم توجد الجسور على نهر النيل ولا على فروعه الثانوية في الدلتا . وللتعبية من شاطئ لآخر استخدم المصري القارب . واستعمل الأثرياء زمنا طويلا في تنقلاتهم القصيرة تلك الكرسي الذي كان يحمل . وكان ينبغي على الثرى دفع أجر لهؤلاء الحمالين أو اطعامهم على الأقل . وفي عصر الدولة الحديثة كان الملك لا يحمل على هذا الكرسي إلا في بعض الاحتفالات . ولكن الملك وكبار الشخصيات كان عادة يفضلون العربة للتنقل . وكانت العربة وسيلة مفيدة لزيارة قصر الملك أو وسيلة النقل الحقيقية في مصر القديمة فكانت المراكب منذ أقدم العصور . (١) فمنذ عصور ما قبل الأسرات ظهر على فخار نقادة العديد من رسوم المراكب التي كانت تلعب دورا رئيسيا في أغراض النقل

= وعن الحياة الاقتصادية في مصر القديمة بوجه عام ، راجع :

Daumas , la Vie dans l'Égypte Ancienne , p.8 fig , p . 11 fig.2 et p . 12 fig . 3 ; p . 9 - 29 fig : 4 - 6 . p , 29 - 32 , p . 41 - 48 ; p . 92 - 99 ; Id., la Civilisation de l'Égypte Pharaonique , p. 215 - 247 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 4 - 5 , 14 - 15 , 37 - 38 , 43 - 44 , 47 - 49 , 51 - 52 , 61 - 62 , 92 - 95 , 101 - 102 , 117 - 118 ; 139 - 140 , 145 , 151 - 152 , 172 , 177 - 178 , 197 - 198 , 210 , 225 - 227 228 - 229 , 229 - 301 ; Erman - Ranke , la Civilisation Egyptienne , p . 543 , p . 600 - 644 ; Mokhtar , General History of Africa II (198) , p . 112 - 131 .

(١) تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٩ شكل ١٣ .

والتنقل . وفيما بعد فى العصور التاريخية التالية صنعت أنواع عديدة من المراكب ، منها ما كان يستخدم فى النيل والقنوات (١) .

وبالمتحف المصرى نماذج من هذه المراكب التى كانت تستخدم للنقل ، فهناك مركبان كبيران من الخشب طول كل منهما عشرة أمتار ، استعملتا فى نقل المتاع الجنائزى للملك سنوسرت الثالث ودفنتا بالقرب من هرمه بدهشور ليستطيع الملك استخدامها فى حياته الآخرة . ويلاحظ أنهما صنعتا من قطع صغيرة من الخشب معشقة فى بعضها ، وهما خاليتان من الأضلاع وبواسطة العوارض تكون الجوانب صلبة شديدة المقاومة . وقد أبدى هيروdot ملاحظاته الآتية فى وصفه بناء المراكب عند المصريين القدماء : " يقطع المصريون عددا من الواح يبلغ طول كل منها نحو ذراعين ثم يصفون هذه الألواح كما يصفون القوالب ، ويشدونها إلى بعضها بعدد من الأوتاد الطويلة حتى يتم بناء هيكل المركب . وهم لا يتخذون اضلاعا لمراكبهم ولكنهم يحشون الشقوق من الداخل بالبردى . (٢)

وعندما تسير المركب مع التيار دون أن تكون هناك رياح مساعدة ، استخدمت المجاديف . وكان عدد المجدفين يتراوح بين عشرة واثنى عشر شخصا . وعندما تسير المركب ضد التيار كانت تفرد الشراع الوحيد وهو عبارة عن قطعة مربعة وغالبا مستطيلة تفرد بين صاريين ، ويمكن تحريك الشراع بواسطة عدة حبال . أما المراكب المعدة للسفر فى النيل حتى بلاد النوبة، فكانت عبارة عن منازل حقيقية عائمة . وحتى يمكن جمع المحاصيل والمنتجات فى مركز رئيسى ولتسهيل استيراد البضائع وتصديرها كان لزاما على الإدارات الحكومية وعلى الأفراد

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية، المجلد الأول - الجزء

الأول ، شكل ١٩١ .

(٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ،

ص ١٥ - ١٦ (٦ - ٩) .

الأثرياء أن تكون فى حوزتهم اساطيل حقيقية من المراكب الكبيرة ذات القراع المسطح . (١)

وكانت هناك الصنادل الكبيرة التى كانت تستخدم لنقل الكتل الضخمة التى تستخرج من المحاجر مثل المسلات والتماثيل الضخمة ، ومثل هذه الصنادل يسحبها جرار . وكانت هناك صنادل ليس لها قمرات كانت تستعمل لنقل المواشى . كما كانت هناك مراكب ذات قمرات فى الوسط ، تستعمل لنقل الحبوب . فكانت توضع السفالات على حافة الشاطئ وتنزل الحيوانات . وتفرغ البضائع أو الحبوب ، ويصطف الحمالون صفا واحدا يلى أحدهم الآخر ويفرغون الحمولة ، ولكى يرفهوا عن أنفسهم كانوا يغنون أغاني تتفق ووقع خطواتهم . (٢) وكانت هذه المراكب تقوم أيضا بنقل حمولات التمر . (٣)

وكانت هناك المراكب الكبيرة التى تعبر شواطئ البحر الأحمر للوصول إلى السواحل الأفريقية . وكان هناك موقع لميناء من الأسرة الثانية عشرة عثر عليه فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر . وقد رأى بعض العلماء عدم ممارسة المصريين القدماء لآى نشاط بحرى فى البحر الأحمر فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، ومن رأيهم أن المصريين لم يستخدموا البحر الأحمر إلا فى عصر الدولة الحديثة . ولكن الكشف عن هذا الميناء من الدولة الوسطى يدحض مثل هذه الآراء . (٤) وأحيانا كانت المراكب المصرية تعبر البحر الأبيض المتوسط

(١) المرجع السابق ، شكل ١٩٥ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣١ - ٢٣٦ .

(٣) عن اوزان وحسابات هذه الحمولات للتمر ، راجع بردية اللوفر الخاصة بهذا الموضوع : Megally , Notions de comptabilite . Apropos du papyrus E 3226 du Musée du louvre , le Caire .

(٤) د. عبد المنعم عبد الحليم : الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر ، نشر فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣ ، ص ٧٣ - ٧٦ .

للوصول إلى السواحل السورية أو تذهب إلى الخليج العربي للأغراض التجارية ورحلات الكشف البعيدة ، وكانت معدة إعدادا خاصا وكانت تشيد في رأس خليج السويس . (١) فمثلا المراكب المعدة للسفر في النيل حتى بلاد النوبة كانت عبارة عن مركب طويل على شكل هلال لا يمس مقدمها ولا مؤخرها المياه ويتوسطها صاري واحد في الوسط ، ولها شراع كبير متصل بالصاري بحبال عديدة . وبدلا من وجود دفة واحدة في مؤخرة المحور ، توجد دفتان ثبتتا على أعمدة قوية على جانبي المركب الأيمن والأيسر ، على بعد قليل من المؤخرة . وأعدت قمرة كبيرة في وسط المركب لمكان للمسافرين ، والحق بها مكان توضع فيه الخيول . كما كانت هناك مراكب ذات الشراع أو ذات المجاديف التي تستخدم في النقل أو الجر أو الحراسة من الأسرة الخامسة . (٢)

وكان الملك يرسل فرقا من رماة السهام تحت قيادة حكيمة ، أحسن تسليحهم وكان واجبهم حماية المراكب ضد كل عدوان والعمل على احترام مبعوثيه عندما يكون فوق اليابسة . ولحماية المسافرين عن طريق البر أقيمت معابد صغيرة وقد اكتشف أخيرا في أحدها ، على الطريق الممتد بين ايونو وشاطئ البحر الأحمر ، مجموعة تماثيل منحوتة تمثل الملك رمسيس الثالث ، كان الأفراد يقرأون ماعليها من نصوص التي كانت كفيلة في اعتقادهم بحمايتهم . ولقد انشأ رمسيس الثالث فرقا من الشرطة ومن حملة الاقواس لحراسة القوافل . (٣)

أما السفر في الصحراء فكان يحتاج إلى مرشدين اكفاء . وبفضل هؤلاء الرواد أصبحت لدينا خرائط مثل تلك التي يحويها متحف تورين ، والتي تعتبر بحق أقدم خرائط العالم ، وهي تختص بمنطقة المحاجر ومناجم الذهب التي يطلق عليها

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المجلدان السادس

عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٣٩١ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ،

ص ٣٩٢ - ٣٩٥ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٤١ .

مناجم فقط (١) وقد رسمت الأراضي ولونت بالأحمر الفاقع بينما لونت الجبال بمسحوق حجر التوتيا الغامق ، ورسمت عليها أقدام بطول الطريق لتدل على الاتجاه . (٢) ولقد انشاء رمسيس الثالث فرقا من الشرطة ومن حملة الاقواس لحراسة القوافل التي تجوب الصحراء . ويجب أن نذكر هنا أنه كانت هناك قناة حفرت أيام الدولة الوسطى (سنوسرت الأول أو الثالث ؟) تفرعت من النيل قرب بوباسطة وتصب في وادي الطميلات . (٣)

وردمت هذه القناة وحاول الملك نكاو في الأسرة السادسة والعشرين إعادة حفرها . ويذكر هيرودوت أنه هلك فيها أكثر من ١٢٠ ألف رجلا خلال عملهم فيها وقد عدل الملك عن الاستمرار في الحفر عندما أبلغ عن طريق نبؤة الوحي أن البرابرة (يقصدون الفرس) هم الذين سيستفيدون من حفرها . وعندما جاء الملك دارا الأول أعاد حفرها وكانت متسعة بدرجة تكفى لمرور اثنين من مراكب ذات الطبقات الثلاث من المجاديف في يسر وسهولة . والمرور بها كان يستغرق نحو أربعة أيام بالشرع . وقد خلد دارا نكرى هذا العمل العظيم بإقامة خمس لوحات على

(١) عن طريق القوافل القديمة ومواقعها ، راجع : موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٢) بيبير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) يرى د. عبد المنعم أن هذه القناة لم يكن لها وجود أيام الأسرة الثانية عشرة ولكنها حفرت أيام دارا الأول الفارسي عام ٥١٨ ق.م . وقد وصف هيرودوت مسار هذه القناة بأنها كانت تأخذ من النيل (الفرع البيلوزى الذى يجرى مكانه الآن بحر شبين) إلى الجنوب قليلا من تل بسطة ثم تتجه شرقا إلى تل المسخوطة حاليا ثم خليج السويس ، راجع د. عبد المنعم عبد الحليم : " قناة النيل - البحر الأحمر المسماة قناة سيزوستريس وأدلة عدم وجودها في العصر الفرعوني بحث نشر في مؤلف : البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ -

جانبى القناة محفوظة الآن بمتحف الاسماعيلية . وأدخلت بعض التعديلات على هذه القناة أيام البطالمة . فقد أقيمت أهوسة عند صلتها بالبحر الأحمر وقد عطلت القناة خلال القرن الأول قبل الميلاد ، ويبدو أن الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م) قد أصلحها . ويبدو أنه فى هذا العصر حدث امتداد لهذه القناة أو تعديل لمسارها ، فكانت هناك قناة أخرى تبدأ قرب القاهرة وتنتهى فى خليج السويس ويحتمل أن يكون خط سيرها يتبع القناة وأصبحت تسمى " نهر تراجان " . وبعد الفتح العربى قام عمرو بن العاص بتجديد القناة القديمة (بعد تعديل مسارها) واستعملها فى نقل القمح من الفسطاط إلى القلزم (السويس) حيث كانوا يصدرونه إلى الجزيرة العربية . وقد أهملت هذه القناة بعد القرن الثامن الميلادى . (١)

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ ، راجع ص ٥٧ حيث يوجد خريطة لمسارات القنوات القديمة فى شرق الدلتا .

كشف الأعلام

[١]

(سيدنا) إبراهيم : ٤١ ، ١٤٤ ، ١٦٨ .

ابريس : ١٤٣ ، ٣١٦ ، ٤١٩ .

ابن جبير : ٩٨ .

ابن عبدالحكم : ٩٦ ، ١٠٥ .

أبو سمبل : ١٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،

٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ .

أبو السعود : ١٦٦ .

أبو الصلت أميه : ٩٨ ، ١٢٠ .

أبو الهول : ٥٣٥ .

أبوصير : ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٥٦٤ .

أبيدوس : ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٣٢ ،

٣٠٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ،

٤٨٥ ، ٥٢٤ ، ٥٧١ ، ٥٩٤ ،

٥٩٥ ، ٦٠٥ ، ٦٠٩ .

أتريب : ١٣٧ .

آتوم : ٣٠٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

٣٣٧ ، ٦٠٢ .

آتون : ٢٢٠ ، ٥٠٥ .

أثينا : ٤٠٥ .

أحمس الأول : ١٧٦ ، ٢٤٨ ،

٢٧٨ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ ،

٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٥٤٩ .

أحمس بن ابانا : ٤٣٤ .

أحمس بن نخبت : ٤٨٤ .

أحمس نفرتارى : ٦٢١ .

احيرام : ٤١٣ .

أخميم : ١٣٤ ، ١٤٨ .

اخناتون : ١٠٢ ، ١٧٦ ، ٢١٢ ،

٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٢٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٥ ،

٤٠١ ، ٤١١ ، ٤٠٢ ، ٤١٤ ،

٤١٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ، ٤٧٩ ،

٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٨٩ .

آخوريس : ٣٨٠ .

إدفو : ١٠٤ ، ١١١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٩٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،

٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٣٨٥ ، ٥٣٨ .

(سيدنا) آدم : ١٤٤ .

آدوم : ١٦٣ .

اراتو سثينيس : ٩٤ .

ارتا تاما : ٢٥٠ .

ارسو : ٤١٣ .

أرمنت : ١١١ ، ٢٩٠ ،

٥٩٠ .

- إسبرطة : ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٥ .
 إسنا : ١٠٤ ، ١١١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٥٣٨ ، ٥٧٧ .
 أسوان : ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٦٥ ، ١٨٤ (٢) ، ٢١١ ، ٢٩٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٢ ، ٥٦٣ ، ٥٩٠ .
 آسيا الصغرى : ٥٦ ، ١٧٦ .
 أسيوط : ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٧٧ ، ٣٤٣ ، ٣٧٩ ، ٣٩٦ ، ٤٣٢ ، ٥٢٣ ، ٥٤٨ .
 اشدود : ٣٧٩ .
 آشور : ٤٠٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ .
 أطفيح : ١٣٦ ، ١٤٩ .
 أعح حتب : ٢٧٨ .
 أغسطس : ٣١٦ .
 افارس : ٣٠٤ ، ٤٠٠ .
 افلاطون : ٤٣ ، ٢٩٠ .
 اماريس : ١٤٥ ، ١٦٢ ، ٣١٦ ، ٣٥٢ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٦٢١ .
 امبوش : ١٩٦ .
 امنحتب الأول : ٢٢٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٥٦٣ .
 امنحتب الثاني : ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٣٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ .
 امنحتب الثالث : ٢١٢ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٦٨ (٤) ، ٤٧٧ (٢) ، ٥٠٦ ، ٥٧٥ .
 امنحتب الرابع : ٥٧٢ .
 امنحتب بن حابو : ٢٦٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ (١) .
 امن نخت : ٣٩١ .
 امنمحات : ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٤٥٠ .
 امنمحات الأول : ١٤٢ ، ٣٣٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٢٣ .
 امنمحات الثاني : ٤٠٩ .
 امنمحات الثالث : ٣٩١ ، ٥٤٨ .
 امنمؤيت : ٢١٢ ، ٢٨٠ ، ٣٧٥ ، ٤٨٩ .
 آمون رع : ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ .

اوسركون الأول : ٤١٤ .
 اوسركون الثالث : ٢٢٤ (٢) ،
 ٣٢٥ (١٤) .
 ايبي : ٢٧٧ ، ٤٣٣ .
 ايبؤور : ٢٢٤ ، ٢٢٧ .
 ايثت تاوى : ٣٠٤ .
 ايزيس : ٤٣ ، ٢٠٤ ، ٢٨٣ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٤٨٤ .
 ايفا جوراس : ٣٨٠ .
 ايمتس : ٣٥٩ .
 ايمحوتب : ١١٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 ٣٣٧ ، ٤٣٧ ، ٤٧٠ .
 ايونو : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٩٥ ،
 ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،
 ٦٠٢ ، ٦٤١ .
 الأيبس : ٢١٠ ، ٢٨٣ .
 الأديسي : ٩٨ .
 الإسكندر الأكبر : ٣٣ ، ٤٦ ، ٩٣ ،
 ١٤٥ ، ١٥١ (١) ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
 ٣١٦ ، ٤٠٥ ، ٥١١ .
 الإسكندر الثانى : ٣١٦ .
 الإسكندرية : ٤٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٥٧٣ .

٣٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٤٧ ،
 ٤٤٨ ، ٤٦٤ ، ٥٣٨ ، ٥٦٢ ،
 ٥٦٣ ، ٥٧٤ ، ٦٠١ .
 آمون حر : ٤٠٥ .
 آمون مس : ٤٣٧ .
 اميرتى : ٣٠٥ .
 امينى : ١١٢ ، ٤٦٥ .
 امينى شب : ٢٣٢ .
 انتف : ٢٧٩ .
 انوبيس : ٢١٧ ، ٢٨٣ ،
 ٣١٩ .
 انوريس : ١٥٧ (٤) .
 آنى : ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٤٦٣ ،
 ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ،
 ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .
 انينى : ٢٦٦ ، ٤٣٧ ، ٥٦٣ .
 اهناسيا المدينة : ١١١ ، ١٣٥ ،
 ١٣٨ ، ١٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٩٦ ،
 ٤٠٣ ، ٤٣٦ .
 اوجاريت : ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
 اورشليم : ٤١٤ .
 اوزير : ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٣٣ ،
 ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٨٣ ،
 ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٤٠٦ ، ٥٣٧ ، ٥٦١ .

الجيزة : ٦٢ ، ١٢٠ ، ٢٣٢ ،
 ٤٣٣ ، (١)٥٢٣ ، (٥)٥٣١ ،
 ٥٣٥ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٦٢٢ .
 الحِيثيون : ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٤٠٢ ،
 ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ .
 الدكة : ١٠٤ ، ١٣٩ .
 الدير البحري : ٢٦٦ ، ٣١٨ ،
 ٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٣٧ ، ٥١٨ ،
 ٥٥٩ .
 الرمسيوم : ٢٦٤ ، ٣٦٦ ، ٤٠٢ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
 الرومان : ٣٣ ، ٤٢ ، ١٠٤ ، ١٥١ ،
 (١) ١٧٢ ، ٢٣٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ،
 ٥٢٠ .
 السوريون : ٢٤٠ ، ٤١٢ ، ٤٥٤ .
 السيدة العذراء : ٤١ ، ١٦٨ .
 الطبرى : ١٦٥ .
 الطود : ٢٤٩ ، ٤١٦ .
 العبرانيون : ١٦٣ ، ١٦٤ .
 العقرب (ملك) : ١٩٨ ، ٥٤٧ .
 العمرة : ١٩٦ ، ٦١٣ ، ٦٢٦ .
 العمرى : ١٢٧ ، ١٢٨ .
 الفرافرة : ٧١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٨٧ .
 الفرس : ٣٧٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ .

الآسيويون : ١١٣ ، ١٧٥ ، ٢٤١ ،
 (١) ٣٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ،
 ٤٦٧ .
 الأشمونين : ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ،
 ٣٦٤ .
 الآشوريون : ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٤١٧ .
 الأقصر : ٨٩ ، ١١١ ، ١٣٤ ،
 ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٣١٨ ، ٣٧٣ ،
 ٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٨ ،
 ٤٩٣ .
 الألوسى : ١٦٦ .
 البابليون : ١٦٣ ، ٤١٧ .
 البتراء : ١٦٣ .
 البدرای : ٥٩٨ ، ٦٢٦ .
 البرشا : ٢٠٨ ، ٢٦٧ ، ٤٣٢ ،
 ٥٧١ ، ٦٢٢ .
 الجدار الأبيض : ٣٠٣ ، ٣٠٦ .
 الجوهري : ١٣٦ .
 الجندل الأول : ٦٠ ، ٩٤ ،
 ١٧٢ ، ٢٤٧ ، ٤٢١ .
 الجندل الثانى : ٢٤٧ ، ٣٩٢ ،
 ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٥٩٧ .
 الجندل الثالث : ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
 الجندل الرابع : ٩٥ ، ٤٢٧ .

اللاهون : ٣٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٦٠٩ .

الليبيون : ٣٢٥ (١٦) ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .
الشت : ٤٤٧ .

المسعودي : ٩٧ ، ١١١ ، ١٦٥ ، ١٦٩ (١) .

المقرئزي : ١١٣ .

النوبيون : ٣٢٥ (١٦) ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٩٩ .

الهكسوس : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٨٥ ، ٣٣٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٥٢ ، ٥٢٠ .

الواحة البحرية : ٦٢ ، ٧١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٧ .

الواحة الخارجة : ٧١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٧ .

الواحة الداخلة : ٧١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٧ .

اليقوي : ١٦٥ .

اليونان : ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٧١ .

١٣٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ .

٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٨٢ .

الفلسطينيون : ٣٢٥ (١٦) .

الفنتين : ١١١ ، ١٤٨ ، ٤٢٢ .

الفيوم : ٦٢ ، ٦٤ ، ٧١ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٦ .

٢٣٢ ، ٣٠٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٤ .

٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٥٤٥ .

٥٤٨ ، ٥٥٧ ، ٥٦٨ ، ٥٨٤ .

٥٩٦ ، ٦١٥ ، ٦٣٤ .

الفيثقيون : ٤٢ ، ١٤١ ، ٤٠٩ .

٤١٢ ، ٤٢٧ ، ٤٥٤ .

القصور : ٣٨٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

القوصية : ٣٥٩ .

الكاب : ١٤٨ ، ٣٨٨ ، ٤٨٤ ، ٦٠٩ .

الكرنك : ١٠٤ ، ١٣٢ (٢) ، ١٤٨ .

١٧٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ .

٢٦٤ ، ٢٨٧ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ .

٣٦٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

٣٨٨ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

٤٥٤ ، ٤٦٤ ، ٥٢٣ ، ٥٣٨ .

٥٦٣ .

الكندی : ٩٧ .

الكوشيون : ٤٠٤ .

المعادي : ٥٧٢ ، ٥٩٨ .

[بـ]

بردية تورين : ٤٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ .

بردية هاريس : ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٣٢ ،
٣٣٧ ، ٤٠٢ ، ٥٥٠ ، ٥٦٢ .

بردية وستكار : ٣١٨ ، ٥٣٧ .

بررعمس : ٣٠٤ .

بس : ٢٨٣ .

بسماتيك الأول : ٣١٦ ، ٤١٧ .

بسماتيك الثاني : ٣١٦ ، ٣٧٩ ،
٤١٩ .

بسوسينس الأول : ٣١٥ .

بسوسينس الثاني : ٤١٥ .

بطليموس الأول : ٤٦ ، ٣١٦ .

بطليموس الثاني : ٤٦ ، ٢٩٢ .

بطليموس الثالث : ٢٨٧ ، ٢٩٢ ،
٤٧١ .

بطليموس الرابع : ٢٨٧ .

بطليموس السادس : ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

بطليموس الثامن : ٢٨٧ .

بطليموس التاسع : ٢٩٢ .

بطليموس العاشر : ٣١٦ .

بطليموس الثالث عشر : ٣١٦ .

بطليموس الجغرافي : ٩٥ .

بلاد الحبشة : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٩٣ ، ٥٧٢ .

بلاد الحيثيين : ٥٦٦ .

باباسا : ٥٦٤ .

بابل : ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ .

باحري : ٤٨٤ .

باختان : ٤١٦ .

باستت : ٥٣٨ .

باور جدت : ٤٢٢ .

بتاح : ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢١٠ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،

٢٨٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧ ،

٣٧٢ ، ٤١٢ ، ٤٥٤ ، ٦٢١ .

بتاح حتب : ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ،

٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،

٣٤٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ،

٤٩٠ ، ٤٩٧ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ،

٥٢٩ ، ٥٧٢ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ .

بتاح مس : ٣٤٨ .

برايب سن : ١٩٢ ، ١٩٥ ،

٣٣٩ .

بردية القروي الفصيح : ٢٢٩ ،

٢٧٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ،

٤٦٠ ، ٤٨٨ ، ٦٣٤ .

بردية الملاح : ٤٩٥ .

بردية بولاق : ٣٠١ ، ٣٣٠ ،

٣٣٥ .

- بلاد الشام : ٥٧، ٥٦، ٤٨ ، ٢٤٣، ٢٤٩، ٤٠٩، ٤١٣ .
- بلاد النهرين : ٥٧، ٥٦، ٣٦ : ١٦٨ .
- بلاد النوبة : ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٤٨ ، ٦٧ ، ١٦١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ (٤) ، ١٩٣ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٤٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٤ (٤) ، ٥٦٧ ، ٥٩٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ .
- بلاد بونت : ٢٦٨، ١٥٩، ٩٢ : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
- بلاد فارس : ٣٨٠، ٥٦، ٣٦ : ٤١٨، ٤١٧ .
- بلاد كوش : ١٧٥، ٩٢ .
- بلوتارخ : ٢٩٢، ٢٩٠، ٢٠٧ : ٥٧٧ .
- بلينى : ٢٥٤ .
- بنى إسرائيل : ١٤٤، ١٤١ : ٤١٢، ١٦٤، ١٦٣ .
- بنى حسن : ٤٠٨، ٣٨٧، ٢٠٦ : ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٧١، ٥٧٣ ، ٥٧٤، ٥٨١، ٥٨٢ .
- بوياس : ٣٠٤ .
- بوتو : ١٩٦، ١٩٥، ١٣٨ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ .
- بوزوريس : ١٩٦، ١٣٨ : ٢٤٩ .
- بوغازكوى : ٢٤٩ .
- بونت : ٥٧٢، ٥٥٩، ٥٥٠ : ٦٣٥ .
- بوهن : ٤٢٤، ٤٢٣ : ٤٠٩ .
- بيبلوس : ٤٠٨، ٤٠٧، ١٧٥ : ٤٠٩ .
- بيبى الأول : ٣٥٩، ٢٣٠، ٢٢٩ : ٤٢١ .
- بيبى الثانى : ٤٢٢، ٤٠٨، ٣٩٥ : ٣٥٩ .
- بيبى عنخ : ٣٥٩ .
- بيبى نخت : ٤٢٣، ٤٢٢ .
- بيتوزيريس : ٥٦٢، ٥٣١، ٥٢٩ : ٥٧٥ .
- [ت]
- تانيس : ٤٠٣، ٣١٥، ٣٠٤ : ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٥٤ ، ٥٣٤ .
- تاورت : ٢٠٩ .
- تحتمس الأول : ٤١٠، ٢٦٤ : ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ .
- تحتمس الثانى : ٤١٠، ٢٦٤ : ٤٢٥ .

- تحتس الثالث : ٢١٢ ، ٣٩ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٧٩ ، ٢٦٤ ، ٢٥٠ ، ٢٨٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣١٤ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٨٤ ، ٥٢٠ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٣ ، ٥٧٤ .
- تحتس الرابع : ٢٣٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٤١٠ ، ٤٢٦ ، ٥٣٥ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ .
- تحتى : ١٠٣ ، ١٤٥ ، ١٥٧ (٤) ، ٢١٧ ، ٣٠٧ ، ٣٤٢ ، ٥٣٦ .
- تحتى حتب : ٢٣١ ، ٢٦٧ ، ٥٧١ .
- تحتى نخت : ٤٣٤ ، ٥٥٠ .
- تراجان : ٦٤٣ .
- تف ايـب : ٣٧٩ .
- تف نخت : ٣٧٩ .
- تل اتريب : ١٣٧ .
- تل البلامون : ١٣٨ .
- تل العمارنة : ٦٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٦٦ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ .
- ٤٤٧ ، ٥٠٥ ، ٥٦١ ، ٥٧٢ ، ٥٨٩ ، ٦١٤ ، ٦٢٢ .
- تل الفراعين : ١٣٨ ، ٢٩٨ .
- تل المسخوطة : ١٣٧ ، ٦٤٢ (٣) .
- تل بسطة : ١٣٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ ، ٥٣٨ ، ٦٤٢ (٣) .
- تمى الأمديد : ١٣٧ ، ١٨٨ ، ٣٠٥ ، ٤٠٥ .
- توت عنخ آمون : ٥٠٦ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ (٤) ، ٥٣٥ ، ٥٦٠ ، ٥٧٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٢٤ ، ٦٢٦ .
- توشراتا : ٤١٥ .
- تونا الجبل : ١٢٩ (١) ، ٥٧٥ .
- تيجلات بلاصر الثالث : ١٦١ ، ١٦٤ .
- تى : ٥٠٦ ، ٥٥٦ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ، ٦٥١ ، ٦٠٥ .
- تيوس : ٣١٦ .
- تويا : ٥٧٦ .
- [ث]
- ثينى : ١٣٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٦٤ ، ٤٨٤ .

[ج]

جب : ١٥٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ،

٣٠٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ .

جبل العرکی : ٦٢٦ .

جبلین : ٦١ ، ١١١ ، ٢٧٨ .

جبیل : ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣٧٨ ،

٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٦ .

جذف رع : ٣١٢ ، ٣٢١ .

جدکارع اسیسی : ٢٢٨ ، ٢٧٥ ،

٣٤٢ ، ٤٠٨ ، ٤٢٢ .

جدو : ١٩٦ .

جدی : ٤٥٨ .

جر : ١٩٧ ، ٤١٨ ، ٤٢١ .

جرجا : ٣٧٤ .

جرزه : ١٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ ،

٦٢٦ .

جسر : ١١٠ ، ١٨٤ (٢) ، ١٩٧ ،

٢٢٢ ، ٢٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٣٨ ، ٤٢١ ،

٤٣٧ ، ٦١٩ .

جولیوس الأفریقی : ٤٦ ، ١٩٣ ،

١٩٥ ، ٣٩٣ .

جیلوهیا : ٢٥٠ ، ٤١٥ .

[ح]

حاتنوب : ١١٢ ، ٤٥٧ .

حتحور : ١٤٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٣٥٩ ، ٤٠٩ ،

٤٤٤ ، ٤٨٠ ، ٥٣٨ .

حاتشبسوت : ٢٢٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،

٣١٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٤٢٥ ،

٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٨٤ ، ٥٥٠ ،

٥٧٢ ، ٦٣٥ .

حتى بن نخت : ٤٤٠ .

حجر بالرمو : ٤٧ ، ١٥٣ ، ١٨١ ،

١٩٤ ، ٣٤٠ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ،

٦٠٩ .

حرخوف : ٩٢ ، ٢١١ ، ٢٧٦ ،

٤٢٢ ، ٥٦٢ .

حریحور : ٤٠٢ ، ٤١٣ .

حسی رع : ٥٣١ (٥) ، ٦٠٦ ،

٦١٩ .

حعبی : ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ .

حعبی جقای : ٢٧٨ ، ٤٢٣ .

حقانخت : ٣٥٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤٠ ،

٤٩١ ، ٤٩٣ .

حلوان : ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،

٢٩٨ ، ٥٣٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٦ ،

٥٦٧ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٤ ،

٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٦ ،

٦٠٩ ، ٦١٣ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ،

٦٢٦ ، ٦٢٩ .

- حماكا : ١٩٧ ، ٢٥٤ .
- حم ايونو : ٢٦٥ ، ٤٣٧ .
- حمص : ٢٤٩ ، ٤٠٩ .
- حننو : ٤٢٣ .
- حور آختى : ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤ .
- حورس : ٧٨ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ (١٦) ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٤٨٤ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٦٣ .
- حور محب : ٣٣٢ ، ٤٠١ ، ٤٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ .
- [خ]
- خاتو سيل الثالث : ٤١٥ .
- خبا باشا : ٣١٦ .
- خرواف : ٥٤٠ .
- خغ سخم : ٨٠ (١) ، ٣٩٤ .
- خغ سخموى : ١٩٥ ، ٤٠٧ .
- خفرع : ٦٠ ، ٢٢٩ ، ٣١٢ ، ٤٠٧ .
- خلوم : ٢٠٧ ، ٢٨٣ ، ٥٣٨ .
- خنوم حنوب الثانى : ٥٧٤ .
- خنوم حنوب الثالث : ٤٠٨ ، ٥٧١ ، ٥٨٢ .
- خوفو : ١٤٠ ، ٢٣١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٣٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٤٠٧ ، ٤٣٧ ، ٤٥٨ ، ٥٣٧ .
- خونسو : ٢٠٧ ، ٣٢١ ، ٤١٦ .
- خيتا : ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٤١٥ ، ٥٤٩ .
- خيتى : ٣٩٦ .
- خيتى الأول : ٢١١ .
- خيتى الثالث (أو الرابع) : ١٢١ ، ١٥٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧٠ (٤) .
- خيتى بن تف إيب : ٢٧٧ .
- خيتى بن دواواف : ٢٧٠ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ ، ٤٩٥ .
- [ط]
- دارا الأول : ١٧٩ ، ٣١٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٦٤٢ .
- دراع أبو النجا : ٥٧٤ .
- دن : ١٥٣ ، ١٩١ ، ١٨٧ ، ٢٥٤ ، ٣١٠ .

دندرة : ١٠٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٨ ، ١٩٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ،
٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٦ (٢) ، ٣١٨ ،
٣٨٥ ، ٤٥٧ ، ٥٣٨ .

دهشور : ٢٣٢ ، ٤٤٧ .

دوش : ٢٩٠ .

دير الجبراوى : ٦٢٢ .

دير المدينة : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٤٤ ،
٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٨٤ ، ٤٩٣ ، ٥٣١ ،
٥٥٧ ، ٥٥٩ (٤) ، ٦٢٩ .

دير تاسا : ٥٤٥ ، ٥٦٥ ، ٦١٥ .

دير شلويط : ١٠٤ ، ٢٨٧ .

ديوجين : ٩٤ ، ٩٥ .

ديودور الصقلي : ١٠٥ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٩٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٥ ، ٤٦٩ ،
٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٥٧٦ ، ٦٢١ .

[د]

رأس الشمرا : ٢٤٩ ، ٤٠٨ .

رخمي رع : ٢١٢ ، ٢٢٥ ،
٢٧٩ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ،
٣٥٥ ، ٤٠٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤٧ ،
٥٦٤ ، ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٩ ،
٦١٦ ، ٦٢٧ .

رع : ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ،
١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٣١١ ،
٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ،
٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ ،
٣٧٢ ، ٥٧٨ .

رع حتب : ٥٣١ (٥) .

رع ور : ٢٢٨ ، ٢٦٤ ، ٣١٦ .

رمسيس الأول : ٢٦٤ .

رمسيس الثانى : ٨٩ ، ٩٩ ، ١٢١ ،
١٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ (٢) ،
٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٠٤ .

٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٥ (١٣) ،
٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ،
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ،
٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ،
٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٥٠٦ ، ٥٤٠ ،
٥٤٩ ، ٦٢١ ، ٦٣٥ .

رمسيس الثالث : ٩٩ ، ١٠٣ ،

٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ،

٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ،

٤٣٤ ، ٤٥٩ ، ٥٠٧ ، ٥٢٧ ،

٥٣١ (٥) ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ،

- ٥٦٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨١ ، ٦٣٥ ،
٦٣٦ ، ٦٣٧ .
رمسيس الخامس : ٢٢٤ (٢) ،
٣٢٥ (١٦) .
رمسيس السادس : ٣٢٥ (١٦) .
رمسيس التاسع : ٣٦٠ ، ٤٥١ .
رمسيس الحادي عشر : ٣١٥ ،
٣٦٠ .
رنسي بن مرو : ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
رننوت : ٥٦١ .
رومي - روى : ٥٢٣ .
[لس]
سابني : ٤٩٤ (٤) .
ساحورع : ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٣٧٨ ،
٣٨٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٨ ، ٤٢١ .
سايس : ١٣٨ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
٤٠٤ ، ٥٣٨ .
سبك : ٢٠٧ .
ست : ٢٣٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ ،
٣٧٢ ، ٤٠٦ .
سترابون : ٩٤ ، ١٠٥ ، ٢١٠ ،
٢٩١ ، ٤٦٤ ، ٤٨٢ .
سحا : ٣٠٤ ، ٣٩٩ .
سخت : ٢٠٧ .
سخم خت : ١٤١ .
سرابيس : ٥١١ .
سرابية الخادم : ١٤٠ ، ١٤١ .
سرجون الثاني : ١٦١ .
سشات : ٣٠٧ .
سشم رع : ٥٠٠ .
سقارة : ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٦٥ ،
٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٤٥٣ ،
٤٦٤ ، ٤٨٦ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،
٥٣١ ، ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،
٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ،
٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٦٠١ ، ٦٠٥ ،
٦١٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٢ .
سمندس : ٤٠٣ .
سمنة : ١٣٩ ، ٢٤٧ ، ٣٩٢ ،
٣٩٨ ، ٤٢٤ .
سمنود : ١٣٧ ، ٢٧٥ .
سنب : ٤٥٧ ، ٤٦٥ ، ٥٠٨ .
سنجم : ٥٥٦ ، ٦٢٩ .
سن نفر : ٥٠٨ .
سنفرو : ١٤٠ ، ٢٢٧ ، ٢٦٥ ،
٣١٠ ، ٣٣٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٤ ،
٤٠٧ ، ٤١٨ ، ٤٢١ ، ٤٣٣ ،
٦٠٩ .

- سنموت : ٢٦٦ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ ، ٤٨٤ ، ٤٣٧ .
- سنوسرت الأول : ١١٢ ، ١٣٢ ، (٢) ، ١٧٩ ، ٢٤٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ، ٥٦٣ ، ٦٤٢ .
- سنوسرت الثاني : ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
- سنوسرت الثالث : ١٧٩ ، ٢٤٧ ، ٣٦٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٤ ، ٦٤٢ .
- سنوهى : ١١٣ ، ٢٤٨ ، ٤٠٨ ، ٤٥٨ .
- سوريا : ٤٨ ، ١٧٥ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٥٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧٢ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ .
- سوس : ٤١٨ .
- سيتى الأول : ٢٢٤ (٢) ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٣٢٥ (١٥) ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٤٩ ، ٥٣٦ ، ٥٨١ ، ٦٣٧ .
- سيتى الثاني : ٣٦٢ ، ٣٩١ .
- سيكرابس : ٤٣ .
- سينسلوس : ٤٦ .
- سيوه : ٧١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
- (سيدنا) سليمان : ٤١٤ .
- [ش]
- شاباكا : ٤٦٥ .
- شاروهن : ٤٠٠ .
- شامبوليون : ٢٩ ، ٤٠٨ .
- شيسى رع : ٢٢٨ .
- شبه جزيرة سيناء : ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧١ ، ١١٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٩٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ .
- ششنق الأول : ٣١٥ ، ٤١٤ .
- ششنق الثالث : ٣١٥ .
- شو : ٢٠٧ .
- شوتارنا : ٢٥٠ .
- [ص]
- صا الحجر : ١٣٧ ، ١٨٧ .
- صان الحجر : ١٣٧ ، ١٨٦ .
- [ط]
- طهرقا : ١٠٤ ، ٤١٤ .

- طود : ١٠٤ .
 طيبة : ٤٩ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ،
 ١٥٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٤ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٠٤ ، ٣٣٠ ،
 ٣٤١ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
 ٣٦٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ،
 ٤١٢ ، ٤١٦ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ،
 ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ،
 ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ،
 ٤٨٨ (٢) ، ٤٩٣ ، ٥٠٨ ، ٥٣١ ،
 ٥٣٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ،
 ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ،
 ٥٩٠ ، ٥٩٢ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ،
 ٦٢٧ ، ٦٣٥ .
- [ع]
 عبد اللطيف البغدادي : ٩٨ ،
 ١١٤ .
 عج ايب : ٨٥ (٢) ، ٣٤٠ ،
 ٣٩٣ .
 عحا : ٤٢١ .
 عسقلون : ١٧٥ ، ٣٧٩ .
 عمميت : ٢١٧ .
 عنجتي : ٢٩٦ .
- عنخ تيفي : ١١١ .
 عنخ شاشنقي : ٢١٣ ، ٢٦٣ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٤٦٢ ، ٤٩٠ .
 عنخ ماحور : ٤٦٣ .
 (سيدنا) عيسى : ٤١ ، ١٦٧ .
 [غ]
 غزه : ٣٧٩ .
- [ف]
 فلسطين : ١٢٧ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ،
 ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٣ ،
 ٤١٤ .
 فيله : ١٠٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
 ٣١٨ ، ٥٣٨ .
 فينيقيا : ٤٠٩ ، ٤٢٠ .
- [ق]
 قائمة ابيدوس : ٤٧ .
 قائمة الكرنك : ٤٧ .
 قائمة سقارة : ٤٧ .
 قائمة لوحة الأنساب : ٤٧ .
 قاش : ٢٤٣ ، ٣١٤ ، ٤١٣ ،
 ٤١٥ ، ٥٤٠ .
 قبرص : ٣٨٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ .
 قطنه : ٢٤٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

قفط : ٦١ ، ١٣٤ ، ١٧٣ ، ٣٠٤ ،

٤٢٦ ، ٥٣٨ ، ٥٩٠ .

قمبیز : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٤٠٤ ،

٤١٨ ، ٤٦٣ ، ٦٣٦ (٢) .

قمه : ١٣٩ ، ٣٦٩ ، ٣٩٢ ،

٤٢٤ .

قن آمون : ٤١١ ، ٤٨٣ ، ٥٨٤ ،

٦٣٤ .

قنطیر : ٣٨١ .

[ک]

کارس : ٢٧٨ .

کاویت ٥١٨ .

کایجمنی : ٢٢٨ ، ٢٧٥ ، ٤٣٣ ،

٤٨٩ .

کرما : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٦٣٥ .

کریٹ : ١٧٧ ، ٤٢٠ .

کلابشه : ٦٠ ، ٢٩٠ .

کلمنت السکندری : ١٣٣ .

کویان : ٢٤٧ .

کوش : ٣٣٣ ، ٣٤٤ ، ٤٢٤ ،

٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٥٥٩ .

کوم امبو : ١٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٨ ،

٣٨٥ ، ٥٧٣ .

[ل]

لیبیا : ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ .

[م]

ماریانوس : ٩٤ ، ٩٥ .

ماعت : ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٣٥٤ ، ٣٥٥ .

مانیتون : ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٩٩ .

متن : ٥٦٢ .

مجدو : ٢٤٩ ، ٤١٠ ، ٥٤٠ .

مدامود : ١٠٤ ، ٢٩٠ ، ٣٨٥ .

مدین : ١٦٣ .

مدینة هابو : ٢٢٣ ، ٣١٨ ، ٤٠٢ ،

٥٣١ (٥) ، ٥٣٦ ، ٥٨١ .

مرس عنخ : ٥١٨ .

مرمده بنی سلامة : ٨٩ ، ١٢٨ ،

٥٤٥ ، ٥٥٧ .

مرنبتاح : ٩٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٨٦ ، ٢٢٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٠ ،

٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ،

٤٢٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤٩ .

مر-ور : ٥٤٨ .

مکت رع : ٥٢٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ ،

٥٨٨ ، ٦٠٨ ، ٦٢٠ .

مری این رع : ٢٣٠ ، ٣١٠ ،

٤٢٢ .

مریت ایت اس : ٤٠٧ .

منا : ٤٨٨ (٢) ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،

٥٨٤ .

منى : ٤٤٩ .

(سيدنا موسى) : ٤١ ، ١٤١ ،

١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

٤١٢ ، ٤٨٣ .

ميت رهينة : ١٣٦ ، ٥٧٨ .

ميتاني : ٤١٥ .

ميدوم : ٥٣١ (٥) ، ٦٢٢ .

مير : ٢٠٨ ، ٣٥٩ .

مين : ٣٧٤ ، ٤٣٢ ، ٤٨٤ ،

٥٣٥ ، ٥٣٨ .

[٥]

نابوبلاصر : ١٦٢ .

نابوخذ نصر : ١٦٢ .

ناصر خسرو : ٩٧ .

نب آمون : ٣٨٣ ، ٥٠٧ ، ٥٦٧ ،

٥٧١ .

نبرع : ١٩٥ ، ٤١٨ .

نباتا : ٤٢٧ .

نبت : ٣٤٢ .

نبرى : ٢٦١ .

نثر رخت : ٣٠٣ .

نحسى : ٤٢٥ .

نخب : ١٩٦ .

مرى رع : ٤٦٥ .

مرى روکا : ٤٣٣ ، ٥٢٥ ، ٥٦٤ ،

٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ، ٦٠١ .

مريكارع : ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٦٨ ،

٢٧٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧٠ (٤) .

مكت رع : ٤٤٢ (٣) ، ٤٤٣ ،

(حاشية) .

منتوحتب : ٤٣٣ .

منتوحتب الأول : ١١١ ، ٤٥٧ ،

٦١٠ .

منتوحتب الثالث : ٤٢٣ .

منتومحات : ٢٦٧ ، ٤٣٨ ، ٤٨٦ .

مندس : ٣٠٥ ، ٤٠٥ .

منف : ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،

١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ،

٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٧ ،

٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ،

٤٣٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ،

٥١١ ، ٥٩٠ ، ٦١٤ .

منكاورع : ٢٢٩ ، ٣١٢ ، ٣٨٤ ،

٤٠٧ ، ٤٥٠ .

منكاى : ٣٣٨ .

مونتو : ١٠٤ .

منتومحات : ٦٣٤ .

نقادة : ٦٠٩ ، ٥٦٧ ، ٥٣٠ ،

٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ ، ٦٢٩ ،

٦٣٨ .

نقراطيس : ٦٠٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ،

٦١٤ .

نكاو الثاني : ٣٧٩ ، ١٧٩ ، ١٦٢ ،

٣٨١ ، ٤٠٤ ، ٤٢٧ ، ٦٤٢ .

نوت : ٢٠٧ ، ٢٠٤ .

(سيدنا) نوح : ١٦٣ ، ١٤٤ ،

١٦٥ ، ١٦٦ .

نى اوسرع - آنى : ٢٧٥ ، ٢١٥ ،

٣٨٤ ، ٤١٨ ، ٥٦٤ .

نيت : ٢١٠ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ،

٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،

٣٥٣ ، ٥٣٧ .

نيت حتب : ١٩٥ .

نيرون : ٩٤ .

نى نثر : ٣٩٤ ، ١٩٣ .

[- ٤]

هرموبوليس : ٣٧٩ .

هليوبوليس : ٣٨١ .

هواره : ٤٢٠ .

هوميروس : ١٧١ .

هيوقراط : ١١٦ .

هيراكليوبوليس : ٣٠٤ .

نخبت : ٣٠٩ ، ٢٩٩ ، ١٩٦ ،

٣١٧ .

نخت : ٥٥٧ ، ٥٠٧ .

نختنبو الأول : ٣٠٥ ، ٢٨٤ ،

٣١٦ ، ٣٥٣ .

نختنبو الثاني : ٢٨٤ ، ١٤٦ ،

٣١٦ .

نخن : ١٩٠ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ،

١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،

٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٨ ،

٣٦٠ .

نعرمر - منى : ٨٠ ، ٦٠ ، ٤٦ ،

(١) ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٥ ، ٣٣٨ ، ٣٩٣ .

نفتيس : ٣٨٣ .

نفر إركارع - كاكاي : ٢٢٨ .

نفر تارى : ٥٠٦ ، ٣٨٨ ، ٢٤٩ ،

٦٢١ .

نفر حتب : ٥١٦ ، ٣٣٠ .

نفر روهو : ٢٤١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ،

(١) .

نفرورع : ٤٨٤ ، ٤٣٢ .

نفر يتس : ٣٧٩ .

- هیراقو نبولیس : ١٣٨ ، ١٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ .
- هیرودوت : ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٥٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٤٤١ ، ٤٦٤ ، ٥١٧ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣ ، ٥٦٨ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤ ، ٦٢١ ، ٦٣٩ ، ٦٣٢ .
- هیکاتیه : ١٠٤ ، ٢٨٨ .
- [و]
- واجی : ١٩٧ .
- واجیت : ١٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ .
- وادی الحمامات : ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ١٣٩ ، ٥٩٠ .
- وادی الطمیلات : ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٦٤٢ .
- وادی العلاقی : ٦٣ ، ٧١ ، ١٣٩ .
- وادی المغارة : ٦٣ ، ٧١ ، ١٣٩ .
- وادی النظرون : ٦٣ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .
- وادی الهودی : ٦٣ ، ٧١ ، ١٤٠ .
- وادی جواسیس : ٣٨٠ ، ٣٨١ (١) ، ٦٤٠ .
- وادی حلفا : ٢٤٧ ، ٤٢١ .
- واشبتاح : ٢٢٨ .
- ون امون : ٤١٣ ، ٤٢١ .
- ونی : ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٨ .
- ونیس : ٤٠٨ .
- [ح]
- (سیدنا) یعقوب : ٤١ ، ١٦٨ .
- یوسبیوس : ٤٦ .
- (سیدنا) یوسف : ٤١ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .
- یوسیفس : ٤٦ ، ١٥٠ .
- یویا : ٥٧٦ .

الجزء الأول

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة :

- مفهوم كلمة حضارة ٩ - ١٨
- قلة ما كتب عن حضارة مصر القديمة ١٨ - ٢٢
- محتويات أبواب الكتاب ٢٣ - ٣٤

تمهيد :

- أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة ٣٥ - ٥١

الباب الأول

- ٥٣ - ٥٥ البيئة والإنسان المصرى القديم

- (١) عناصر ومقومات البيئة المصرية ٥٥ - ٧٥
- (٢) أصل الإنسان المصرى القديم ٧٦ - ٨٠
- (٣) استغلال الإنسان المصرى القديم لعناصر البيئة ٨١ - ١١٦
- (٤) تأثير عناصر البيئة وظواهرها على طبيعة ١١٦ - ١٢١
ومجهود الإنسان المصرى القديم

الباب الثانى

- ١٢٣ - ١٢٤ نشأة الحضارة المصرية القديمة

- (١) العمران المصرى والتجارب التى مر بها ١٢٤ - ١٢٩
الإنسان المصرى القديم

صفحة

- (٢) تطور صور العمران على الأرض المصرية
وظهور الأقاليم ١٤٧ - ١٣.
- (٣) العمران وعلاقته بكثافة السكان في مصر القديمة ١٥٤ - ١٤٧
- (٤) الأسماء التي أطلقها المصريون القدماء على
أرضهم وبلادهم ودلالاتها ١٧٧ - ١٥٥
- (٥) تأثير عناصر البيئة على النتاج الحضارى
المصرى القديم ١٩٠ - ١٧٧
- (٦) الحضارة المصرية بين النشأة والتطور ١٩٨ - ١٩٠.

الباب الثالث

عوامل تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة ١٩٩ - ٢٠١

- أولاً - مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل في توفير
عوامل الاستقرار للحضارة المصرية ٢٠٣ - ٢٠١
- ثانياً - رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال في حياة الإنسان
المصرى القديم وفيما حققه من مظاهر حضارية ٢٢١ - ٢٠٢
- ثالثاً - تبجيل واحترام وتقديس الحاكم وطاعته والتفانى
في خدمته ٢٣٣ - ٢٢١
- رابعاً - وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ٢٣٨ - ٢٣٣
- خامساً - توفير عوامل الأمن والأمان بفضل إتباع سياسة عادلة
ومستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج ٢٥٠ - ٢٣٨
- سادساً - تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم وبروز
قدراته فى أكثر من مجال حضارى ٢٥٩ - ٢٥٠.

صفحة

- سابعاً - احترام العمل ونوبان ذاتية الفرد في الجماعة وأصبح العمل " قيمة " في حياة الإنسان المصري القديم ٢٥٩ - ٢٦٨
- ثامناً - ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم ٢٦٨ - ٢٦٩
- تاسعاً - قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين أفرادهِ روابط وعادات وتقاليد راسخة ٢٦٩ - ٢٧٢
- عاشراً - التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التي كانت ثابتة الأركان في حياة المصريين القدماء ٢٧٢ - ٢٨٢
- حادى عشر - المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سواء أكان تراثاً فكرياً أو علمياً أو مادياً ٢٨٢ - ٢٨٥
- ثانى عشر - ثبات مقومات الحضارة المصرية أمام المحن ولم تتغير أو تفقد أصالتها ٢٨٥ - ٢٩٤

الباب الرابع

- ٢٩٥ - ٢٩٦ نظم الحكم والإدارة

- مقدمة - مراحل التطور السياسى قبل قيام الأسرة الأولى ٢٩٦ - ٣٠٠
- قيام الملكية المصرية وتطور نظم الحكم والإدارة عبر العصور التاريخية ٣٠٠ - ٣٠٢
- اختيار عاصمة الحكم ٣٠٢ - ٣٠٥

صفحة

- أولاً** - نظم الحكم : ٣٠٥ - ٣٢٩
- الملك ، مراسيم التتويج ، ألقابه الرسمية ، صفات وألقاب أخرى ، زينته وملابسه الرسمية ، سلطاته وواجباته وأعماله الرسمية ، حياته الشخصية ، ثقافته وخبرته وإشراك ولى العهد فى الحكم
- ثانياً** - نظم الإدارة : ٣٣٨ - ٣٥١
- الوزير واختصاصاته ، كبار الموظفين ، موظفو القصر الملكى ، موظفو الإدارات الحكومية ، ما يجب أن يكون عليه كل موظف من سلوكيات، الإدارات الحكومية المختلفة
- ثالثاً** - النظام المالى : ٣٥١ - ٣٥٤
- الضرائب ، إدارة بيتى المال
- رابعاً** - النظم القضائية : ٣٥٤ - ٣٦٥
- مفهوم كلمة " ماعت " ، القوانين ، دور القضاء ، أنواع الدعاوى ، أنواع العقوبات
- خامساً** - النظم العسكرية : ٣٦٥ - ٣٧٠
- الشرطة وأقسامها ، وسائل البحث الجنائى ، وسائل التحقيق الجنائى ، واجبات أخرى للشرطة
- الجيش : فرق الجيش ، التدريب ، التربية العسكرية لأبناء الأمراء ، إدارة الأسلحة والمعدات ، تجميع الأسلحة وتوزيعها ، مخازن الغلال والمؤن
- البحرية والأسطول ، التقاليد العسكرية ٣٧٨ - ٣٨٤
- سادساً** - نظم الحكم والإدارة فى الأقاليم ، العدالة فى قرية ٣٨٤ - ٣٩٣
- مصرية ، مسئولية الدولة

صفحة

- سابعاً** - مظاهر الأوضاع السياسية فى الداخل عبر
الأسرات الحاكمة منذ أقدم العصور ٣٩٣ - ٤٠٥
- ثامناً** - السياسة الخارجية عبر الأسرات الحاكمة
٤٠٥ - ٤٢٧

الباب الخامس

- ٤٢٩ - ٤٣٠ مظاهر الحياة الاجتماعية

- أولاً** - المجتمع وطبقاته : الطبقة العليا ، الطبقة
الوسطى ، الطبقة الدنيا ، حالة طبقة العمال

والصناع والحرفيين والفنانين والتجار
والأقليات الأجنبية ، الرعاية الصحية وسن
الشيخوخة ، المشكلات الاجتماعية .

- ثانياً** - الأسرة : الزواج ، شروط الزواج ، خطوات
الزواج ومراسيمه ، عقود الزواج ، الحياة

الزوجية ، العلاقات الزوجية ، واجبات الوالدين
نحو الأبناء ، واجبات الزوجة ، واجبات الزوج ،
واجبات الأبناء ، صيغ البر بالوالدين فى حياتهما
وبعد مماتهما ، صيغ الترابط الأسرى بين الأبناء
داخل الأسرة الواحدة ، صيغ البر بالآخرين من
أفراد الأسرة ، صور ومناظر وأوضاع بعض
التمائيل التى تعبر عن الترابط الأسرى ، صور
من انفصال الترابط الأسرى

- ثالثاً** - بعض مظاهر وأنشطة الحياة الأسرية :
٥١٣ - ٥٢٤

أماكن معيشة الأسرة ، وضع الخدم والعبيد فى

صفحة

المنزل ، العناية بالنظافة بوجه عام ، الملابس
والزينة ، إعداد الطعام والوجبات والطهي ،
وجود الحيوانات الأليفة في المنازل ، الحياة
اليومية

٥٣٧ - ٥٢٤ رابعاً - أساليب شغل أوقات الفراغ :

الرياضة بأنواعها ، مشاهدة ألعاب الأطفال ،
وسائل التسلية وألعاب الحظ والفكر ، المآدب
والولاتم ، الخروج للصيد ، الخروج للتنزه

٥٤٠ - ٥٣٨ خامساً - الاحتفال بالأعياد والمناسبات والمشاركة في
المواكب

٥٤٢ - ٥٤١ سادساً - بعض السلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية

الباب السادس

٥٤٤ - ٥٤٣ مظاهر الحياة الاقتصادية

٥٤٤	<u>أولاً - تقسيم الأراضي</u>
٥٦٥ - ٥٤٤	<u>ثانياً - الثروة الزراعية</u>
٥٧٣ - ٥٦٥	<u>ثالثاً - الثروة الحيوانية</u>
٥٧٦ - ٥٧٣	<u>رابعاً - تربية الدواجن</u>
٥٧٨ - ٥٧٧	<u>خامساً - الثروة السمكية</u>
٥٨٤ - ٥٧٨	<u>سادساً - الصيد بأنواعه</u>
٥٨٩ - ٥٨٥	<u>سابعاً - إعداد المواد التموينية</u>
٦٣١ - ٥٨٩	<u>ثامناً - الصناعات والحرف وأهم المهن</u>
٦٣٦ - ٦٣٢	<u>تاسعاً - التجارة الداخلية والخارجية</u>

٦٣٧ - ٦٣٦

أ - المعاملات المالية والتجارية

٦٤٣ - ٦٣٨

ب - طرق التجارة ووسائل النقل

٦٦٢ - ٦٤٥

كشف بأهم أسماء الأعلام

٦٦٩ - ٦٦٣

محتويات الكتاب

رقم الإيداع ١٥٢٠٩ / ٢٠٠٤

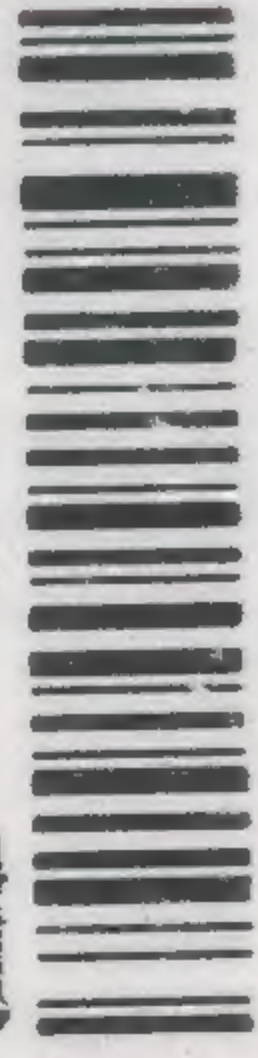
I.S.B.N.

977-305-771-2

مطابع المجلس الأعلى للآثار



Bibliotheca Alexandrina



0639846